

تأليف

سليم حسن

الجزء العاشر

تاريخ السودان المقارن

إلى أوائل عهد "بيعنخي"

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٥٥



تأليف

سليم حسن

الجزء العاشر

تاريخ السودان المقارن

إلى أوائل عهد "بيعنخي"

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

روابط الوحدة بين مصر والسودان

منذ عصر ما قبل التاريخ

إن الموقف المجيد الذى وقفته مصر أخيراً بجانب بلاد السودان لتحريرها من نير الاستعمار الإنجليزى يعد أمراً طبيعيا إذا ما وقف المرء على ما كان ولا يزال بين القطرين من الروابط السلالية والثقافية والدينية والاجتماعية التى تضرب بأعراقها إلى عهود ما قبل التاريخ ، أى منذ حوالى خمسة آلاف سنة أو يزيد .

والواقع أن البحوث العلمية والكشوف الأثرية الحديثة قد دلت دلالة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام على أن بلاد النوبة حتى الشلال الرابع كانت منذ عصر ما قبل التاريخ أمة واحدة من حيث السلالة والحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية . فقد أثبتت بحوث علماء علم الإنسان الذين فحصوا عن الجماجم البشرية فى كلا القطرين أن كل من المصرى والسودانى ينسب إلى سلالة واحدة هى السلالة الحامية . وقد ظلت هذه السلالة نقية حتى عهد الأسرة الثامنة عشرة حوالى ١٥٨٠ ق . م . وذلك عند ما أخذت السلالة الزنجية الجنوبية تختلط بالسلالة الحامية فى الشمال بعض الشئ . كما دلت أحدث الكشوف التى عملت عند ما أقيم الخزان عام ١٩٠٢ وعند ما بدأت التعلية الأولى حوالى عام ١٩٠٧ على أن الحياة فى كل من بلاد النوبة ومصر كانت موحدة فى عصور ما قبل التاريخ ، فقد وجد أن محتويات القبور وأشكالها

فى كلا البلدين من حيث الأوانى المنزلية والمأكل والملبس وعادات الدفن واحدة وليس هناك أية فروق قط . وقد ظلت الأحوال على هذا المنوال حتى جاء عهد الملك مينا (حوالى ٣٢٠٠ ق . م) وكان على يده توحيد بلاد القطر المصرى وسار بقطره الموحد قدما نحو العلا ، وهنا يلحظ للمرة الأولى من الآثار أن بلاد النوبة قد تخلفت عن ركب الحضارة المصرية فترة من الزمن ، غير أنه لم يمض طويل زمن حتى أخذت مصر تستعيد علاقتها بالقطر الشقيق بلاد النوبة ،وقد ظهرت بوادر هذه العلاقة ثانية منذ عهد الأسرة الثانية . فقد وجدت فى مقابر بلاد النوبة من هذا العهد أشياء مصنوعة فى مصر ، كما وجدت فى المقابر المصرية أدوات مصنوعة من مواد لاتأتى إلا من بلاد النوبة كالأبنوس والعاج ، وهذا يدل على تبادل التجارة بين القطرين . وكان أول ملك مصرى سار بحملة منظمة إلى بلاد النوبة هو الفرعون «سنفرو» أول ملوك الأسرة الرابعة وقد عاد منها بمغانم كثيرة . ومنذ ذلك العهد بدأت العلاقة بين القطرين تأخذ مظهراً جديداً ، إذ بدأ المصريون يرسلون سلعهم دون عائق إلى الجنوب ، كما أخذ ملوك مصر يستغلون محاجر الديوريت التى تقع فى الصحراء على مسافة ٨٥ كيلو متراً من بلدة « توشكى » الحالية .

وتدل شواهد الأحوال على أن الحدود الجنوبية فى عهد الدولة القديمة (من حوالى عام ٣٢٠٠ — ٢٤٢٠ ق. م) كانت عند بلدة الفنتين (أسوان الحالية). وقد عين لها حاكم خاص. والظاهر أن بلادالنوبة فى تلك الفترة كان يحكمها عدة أمراء مستقلين، غير أن علاقتهم بمصر كانت على أحسن ما يكون من الود والمصافاة، يدل على ذلك استمرار قيام التجارة بين البلدين بلا انقطاع ، فكانت مصر ترسل مقادير عظيمة من الحبوب إلى بلاد النوبة التى تقتصر الزراعة فيها على الأماكن الخصبة ، كما كانت بلاد النوبة بدورها ترسل إلى مصر مقابل ذلك البخور والأبنوس والزيوت وسن الفيل والذهب وغير ذلك مما كانت تنتجه هذه البلاد فى ذلك العهد . ولا غرابة إذاً فى أن نرى ملوك الأسرة السادسة المصريين قد أخذوا يهتمون ببلاد النوبة ومنتجاتها فأرسلوا إليها

البعوث العدة لارتياد مجاهلها والكشف عن خيراتها ، ونخص بالذكر من هذه البعوث تلك التى قام بها الكاشف العظيم « حرخوف » الذى يعد أول كاشف لمجاهل أفريقيا . والظاهر أنه أوغل فى الجهات الجنوبية إلى مسافات بعيدة حتى أنه أحضر قزما إلى مليكه الفتى الفرعون بيبى الثانى ليرفه عنه وليقوم برقصات دينية خاصة تؤدى عند تأدية الشعائر . هذا وتدل الوثائق على أن « حرخوف » هذا قد تحالف مع الأمراء الذين كانوا يحكمون الأقاليم التى ارتادها . ويعد هذا أول حلف عقد بين مصر وشقيقتها بلاد النوبة . وتدل الوثائق على أن ملوك الأسرة السادسة قد أرسلوا القائد « ونى » لقطع أحجار الجرانيت من المحاجر الواقعة وراء الحدود المصرية ولقطع الأشجار لبناء السفن التى كانت تصنع فى بلاد النوبة نفسها وتشحن فيها الأحجار اللازمة . وقد أسهم فى ذلك أمراء بلاد النوبة عن طيب خاطر ، وحضروا إلى الشلال الأول ليقدموا ولاءهم للفرعون « بيبى » الأول عند ما زار هذه المنطقة ، وفضلا عن ذلك تحدثنا النقوش أن جيش القائد « ونى » هذا كان يضم بين جنوده فرقة من الجنود النوبيين وقد ناضلوا معه لصدّ قبائل البدو المجاورة للحدود . ومما يطيب ذكره هنا أن هؤلاء الجنود النوبيين كانوا قد وفدوا إلى مصر وانضموا إلى الجيش المصرى من تلقاء أنفسهم طلبا للرزق ، وقد ظلوا منذ ذلك العهد يفدون إلى مصر ويخدمون فى الجيش المصرى حتى الآن ، وهم الذين يعرفون الآن باسم المجانة .

وتدل الظواهر على أن الحدود المصرية قد امتدت حتى وصلت إلى الشلال الثانى فى عهد الملك « بيبى الثانى » ، غير أنه فى أواخر حكمه أخذ شمل البلاد المصرية يتفرق وتمزقت البلاد وأصبحت إقطاعات مستقلة ، ومن ثم انقطعت العلاقات بين مصر وبلاد النوبة فترة وجيزة كانت فيها مصر مسرحا للفتن والغزو الأسيوى ، فى حين أخذت بلاد النوبة تفيق من رقدتها وتخطو نحو الرقى ، فكانت لها ثقافة خاصة إذ هبط عليها من الجنوب قوم من أهل السودان يقال إنهم وفدوا من جهة النيل الأزرق وعطبره وتخطوا فى زحفهم أسوان وقد كوّنوا لأنفسهم حضارة خاصة بهم

يدل على مقدار نموها ما تركوه فى مقابرهم من الآثار التى تختلف اختلافا بينا عن آثار بلاد النوبة فى العصور السابقة ، وهذه الثقافة رمز لها عند رجال الآثار بحرف « س » (C) . وقد ظلت هذه الثقافة مزدهرة منذ العهد المتوسط الأول ، أى بعد الأسرة السادسة ، حتى أوائل الأسرة الثانية عشرة عند ما غزت مصر بلاد النوبة كرة أخرى .

والواقع أن العلاقات بين مصر و بلاد النوبة كانت غامضة وقتئذ و يقال إن قوماً من النوبيين غزوا مصر نفسها ، وقد ظلت الحال مبهمة فى مصر حتى أخذت تنتعش ثانية من سباتها العميق ، وتفيق من الثورات الاجتماعية التى مزقتها كل ممزق والتى أثارتها الحروب بين شمال مصر وجنوبها ، وكان يقوم فيها الجنود النوبيون بدور الجنود المرتزقين .

ولما وُحدت البلاد ثانية فى عهد الأسرة الحادية عشرة حوالى ٢١٤٠ ق . م أخذ ملوكها يعملون على إعادة علاقتهم ببلاد النوبة مرة أخرى .

وفى خلال الأسرة الثانية عشرة بدأت صفحة جديدة بين ملوك مصر وبلاد النوبة التى أصبحت منذ تلك الفترة مقسمة قسمين مميزين : الأول من أسوان حتى الشلال الثانى ويسمى إقليم واوات ، والآخر من الشلال الثانى حتى مشارف الشلال الرابع ويدعى بلاد كوش ، أى السودان . وتدل شواهد الأحوال على أن أم «امنمحات الأول» مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وموحد البلاد المصرية ، كانت من أصل نوبى ، ومن أجل هذا وجه عنايته بصورة خاصة إلى بلاد الجنوب وعمل على ضمها لمصر . والواقع أن الولايات الصغيرة المستقلة التى كانت تتألف منها بلاد النوبة وقتئذ أخذ أهلها يهددون الطرق التجارية التى بين مصر و بلاد النوبة بالسلب والنهب ، وقد شجع على ذلك عدم اكتراث أمراء هذه البلاد بمصر فرأى امنمحات الأول لكى يؤمّن تجارة مصر مع الجنوب أن يفتح هذه البلاد و يضمها لتاج مصر فقام بحملة على بلاد كوش وفتحها وأمّن طرق المواصلات بعض الشئ ، وفى عهد أخلافه

أقيمت المعاقل المزودة بالجنود فى طول بلاد النوبة وعرضها ، كما أسس مستودع تجارى فى بلدة « كرمه » القريبة من دنقلة وعين فيها حاكم خاص من عظماء رجالات مصر وقتئذ وهو « حبزافى » الذى لا يزال قبره قائماً فى جبل أسيوط حتى الآن ، ويعد أكبر قبر عرف لأمير فى الدولة الوسطى ، هذا وقد أرسل ملوك مصر إلى كرمه الصناع وأصحاب الحرف فأنشئوا صناعات وثقافة جديدة تعد خليطاً من الثقافة المصرية والثقافة النوبية لتلائم أحوال البلاد .

وقد ازدهرت هذه الثقافة ونمت فى كرمة حتى أصبحت هذه البلدة مركزاً هاماً للتجارة بين الشمال والجنوب . والواقع أن أهل كوش قد تعلموا من المصريين صناعاتهم وحرفهم ومزجوها بحضارتهم وألفوا منها حضارة عظيمة تدعى ثقافة كرمه . وقد أرسل « سنوسرت الأول » ابن « أمنمحات الأول » بعض الحملات لإخضاع القبائل المغيرة الخارجة عن النظام فى تلك البلاد وبذلك وطد أركان ملكه فى كل البلاد الجنوبية حتى الشلال الثانى الذى كان يعده الحد الفاصل الطبيعى للبلاد المصرية ، ومنذ ذلك العهد أخذت مصر تفيد من تجارتها مع بلاد « واوات » وكوش وبخاصة من تثمير مناجم الذهب التى أصبحت منذ ذلك العهد مورداً يفيض بالثروة على ملوك مصر ، وقد ظل الأمن مستتباً والسلام سائداً فى ربوع بلاد النوبة وكوش حتى عهد الملك سنوسرت الثالث إذ نقض بعض القبائل النوبية العهود فى زمنه وهددوا التجارة فسار إليهم بجيش من المصريين وقضى على الفتنة فى مكمنها ، ولم يلبث أهل كوش أن أخلدوا إلى السكينة وساد السلام بين البلدين وجعل « سنوسرت » الثالث الحد الفاصل بين ممتلكاته الأصلية وبين بلاد كوش الشلال الثانى عند قلعتى « سمنة » « وقمة » اللتين أقامهما لذلك وفى هذه البقعة تقع بلدة « صرص » التى تعد حداً فاصلا بين مصر والسودان ، ونصب « سنوسرت » هناك لوحته المشهورة التى يتحدث فيها للمصريين عن الكفاح عن الوطن والمحافظة على حدود البلاد فاستمع إليه وهو يقول : « لقد جعلت تخوم بلادى أبعد مما وصل إليه أجدادى ، ولقد زدت فى مساحة بلادى على ما ورثته ، وإنى ملك يقول وينفذ ، وما يختلج فى صدرى تفعله يدى ، وإنى

طموح إلى السيطرة وقوى لأحرز الفوز ، ولست بالرجل الذى يرضى لبه بالتقاعس عند ما يعتدى عليه ، أهاجم من يهاجمنى حسبما تقتضيه الأحوال ، وإن الرجل الذى يركن إلى الدعة بعد الهجوم عليه يقوى قلب العدو . والشجاعة هى مضاء العزيمة ، والجبن هو التخاذل ، وإن من يرتد وهو على الحدود جبان حقاً ، ولما كان الأسود يحكم بكلمة تخرج من الفم فإن الجواب الحاسم يردعه ، وعند ما يكون الإنسان ماضى العزيمة فى وجه العدو فإنه يولى الأدبار، أما إذا تخاذل أمامه فإنه يأخذ فى مهاجمته» . ثم يقول : « وكل ولد أنجبه ويحافظ على هذه الحدود التى وصل إليها جلالتى يكون ابنى وولد جلالتى ، أما من يتخلى عنها ولا يحارب دفاعاً عن سلامتها فليس ابنى ولم يولد من ظهرى . والآن تأمل فإن جلالتى قد أمر بإقامة تمثال لى عند هذه الحدود التى وصل إليها جلالتى حتى تنبعث فيكم الشجاعة من أجلها فتحاربوا للمحافظة عليها» .

وقد كان لسنوسرت الثالث منزلة عظيمة فى نفوس المصريين بعامة ، وفى نفوس الكوشيين بخاصة ، حتى أنه أصبح مؤلهـا عند الكوشيين كما صار يعد ضمن آلهتهم فى كل أزمان التاريخ القديم ، وفضلا عن ذلك كان موضع تقديس عند الملوك المصريين المحاربين العظماء الذين أتوا بعده أمثال تحتمس الثالث و « تهرقا » الكوشى المنبت . ولا غرابة فى ذلك فقد كان مثلهم الأعلى فى فنون الحروب .

وبعد سقوط الدولة الوسطى حوالى عام ١٧٣٠ ق . م . عادت مصر إلى فترة من الفوضى والانحلال فاحتلها الهكسوس نحو قرن ونصف قرن من الزمان ، وتدل الوثائق التى فى متناولنا على أن الهكسوس قد مدوا حكمهم إلى بلاد كوش حتى كرمه مدة من الزمن انسحبوا بعدها إلى مصر السفلى وانحصر سلطانهم فى بلاد الدلتا . وتدل الكشوف الحديثة على أن بلاد النوبة كانت فى عهد الهكسوس الأخير مستقلة ، وبعبارة أخرى كان وادى النيل فى تلك الفترة مقسما ثلاثة أقسام : فكان الملك « كاموسى » آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة يحكم مصر الوسطى ومصر العليا ، وكان يحكم بلاد النوبة فى الجنوب حاكم مستقل ، أما الدلتا فكانت فى قبضة الهكسوس .

والظاهر أن الكوشيين لم يكونوا معادين للمصريين إذ وجد فى جيش التحرير الذى قام على رأسه « كاموسى » لطرد الهكسوس جنود من الكوشيين ، ومن ثم نجد أن الصلات بين البلدين كانت متصلة ، والظاهر أن حاكم بلاد النوبة لم يصغ إلى إغراء الهكسوس عند ما طلبوا إليه التحالف على « كاموسى » الذى أراد أن يخلص البلاد جملة من حكم الهكسوس الطغاة ، بل كان ضالعاً مع ملك طيبة كاموسى .

وقد تم طرد الهكسوس وإجلاؤهم عن البلاد كلية على يد الفاتح العظيم «أحمس الأول » مؤسس الأسرة الثامنة عشرة حوالى عام ١٥٨٠ ق . م . وقد حدث فى خلال حرب «أحمس» مع الهكسوس أن انتقض عليه بعض الأمراء من بلاد كوش وزحفوا على البلاد المصرية فلحق بهم أحمس وهزمهم وأخذ بعد ذلك فى بسط سلطانه على بلادهم ، غير أن المناوشات كانت بين ملوك مصر وبعض الأمراء النوبيين قد استمرت حتى عهد الملك تحتمس الأول ، وهو الذى هدأ الأحوال تماما فى بلاد النوبة وقسمها خمسة أقسام على رأس كل قسم منها أمير وطنى من النوبيين .

وكانت فتوحاته قد امتدت فى الجنوب حتى الشلال الرابع الذى أصبح الحد الفاصل بين مصر والقبائل المجاورة من السود . وقد ظلت هذه الحدود موضع عناية الفراعنة حتى نهاية الأسرة الثانية والعشرين، وقد غمضت الصلات بعدها بين القطرين حتى ظهرت فى صورة جديدة فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين حوالى ٧٥٠ ق . م أى عندما انتهز الكوشيون الفوضى السائدة فى البلاد المصرية وغزوها واستولوا عليها ولقبوا أنفسهم فراعنة مصر .

ولا نزاع فى أن بلاد كوش (أو السودان) كانت موضع عناية فراعنة مصر ورعايتهم فى عهد الدولة الحديثة المصرية (١٥٨٠ — ١١٠٠ ق . م) فقد كان حاكم بلاد كوش فى أول الأمر ابن الملك فعلا ، ثم أخذ هذا اللقب يطلق على كل حاكم يتولى شئون هذه البلاد ، فكان يسمى « ابن الملك صاحب كوش » . وقد كان نفوذه يمتد من المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه القبلى حتى الشلال الرابع ، أى من بلدة «أدفو»

حتى مدينة « نباتا » ، وهذا يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن هناك أية فروق بين البلاد المصرية والبلاد الكوشية فى نوع الحكم ، بل كان المصرى والنوبى سواسية فى المعاملة ، وذلك لأن ملوك مصر كانوا يعتبرون الحد النهائى للبلاد المصرية من جهة الجنوب هو الشلال الرابع .

وقد كان نائب الملك بوصفه أعلى موظف فى بلاد كوش هو المسئول قبل كل فرد عن توريد جزية إقليم بلاد النوبة . وهذه الجزية كان يتوقف عليها عظمة الفرعون وسلطانه ونفوذه ، وكانت تعد أكبر مصدر للخزانة المصرية وبخاصة الذهب . ولا نزاع فى أن هذه الجزية كانت تتطلب إدارة حازمة من ابن الملك حاكم كوش ، وعلى الرغم من ذلك لم نجد من بين أبناء الملك الذين تولوا هذا المنصب الخطير من كان صاحب قدرة ممتازة فى الإدارة ، إذ كان كثير منهم يشغل وظائف خاصة فى القصر الملكى مثل مدير الاصطبل الملكى أو سائق عربة الفرعون ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن ابن الملك صاحب كوش كان ينتخب من المقربين لدى الفرعون ، وذلك ليوثق العلاقة بين بلاد كوش و بين الأسرة المالكة . وتدل الوثائق التى لدينا على أنه كان حراً فى وظيفته وأنه لم يكن مسئولا أمام أحد غير الفرعون .

وعند ما كانت جزية بلاد النوبة تحمل إلى مصر بوساطة موظف آخر يراقب توريدها للخزانة فلا يعنى ذلك بأية حال أن نائب الملك كان تحت إدارة هذا الموظف أو أنه كان مسئولا أمامه ، فقد كان ابن الملك هو المسئول الوحيد أمام الملك وحسب . وتدل النقوش على أن هذه الجزية كانت تقدم للفرعون عادة فى حفل عظيم يستعرض فيه كل مواد الجزية .

وكانت حكومة ابن الملك صاحب كوش تشمل طائفة من الموظفين استطاع بمعونتهم تأدية مهام وظيفته وتنفيذ سياسته على الوجه الأكمل . وأهم هؤلاء الموظفين قائد جيش الرماة فى كوش ، وكان يقود الجنود الذين فى خدمة نائب الملك . وكان له كذلك وكيلان يقوم واحد منهما على إدارة بلاد « واوات » أما الآخر فكان

يدير بلاد كوش . والمعروف وقتئذ أن إقليم واوات كان كما ذكرنا من قبل يمتد من أسوان حتى الشلال الثانى ، والاقليم الآخر أى بلاد كوش ، يمتد من الشلال الثانى حتى الشلال الرابع عند بلدة « كاراى » القريبة من « نباتا » . وهذا آخر ما وصل إليه الفتح المصرى على حسب المعلومات التى وصلت الينا حتى الآن .

وكان يوجد فضلا عن ثلاثة الموظفين الكبار الذين ذكرناهم هنا عدد عظيم من صغار الموظفين . وتدل الظواهر على إن الإدارة فى هذه البلاد كانت تشبه كثيراً فى تأليفها الإدارة المصرية فى تلك الفترة .

وعندما يريد الفرعون إنجاز عمل خاص فى بلاد السودان يرسل رسولا مجهزاً بسلطات خاصة منعاً من التصادم مع ولاة الأمور هناك ، ومن ثم كان على الفرعون أن يزوده بخطاب من عنده لنائب كوش ليعاونه فى قضاء مأموريته .

هذا وكان معظم رجال الإدارة فى حكومة ابن الملك صاحب كوش من المصريين ، كما كان من بينهم سودانيون قد تمصروا وتسموا بأسماء مصرية بحتة ، ويلفت النظر أن بعض أبناء الملك حكام كوش كانوا من السودانيين أنفسهم ، نذكر منهم على سبيل المثال ابن الملك « نحسى » (معنى كلمة نحسى الأسود) الذى كان يشغل هذه الوظيفة فى عهد رعمسيس التاسع وهذا دليل على ما كان بين القطرين من حسن تفاهم وتقدير. على أنه من جهة أخرى كان يوجد بجانب نظام الوظائف هذه والإدارة الأمراء الكوشيون الذين كانوا يسكنون فى بقاع مختلفة من بلاد كوش ، وهؤلاء كانوا يقومون بتمثيل دورهم فى حكم البلاد ، فمثلا فى عهد الملك توت عنخ آمون شاهدنا كيف أن أمير « معام » (عنيبه الحالية) والأمراء الآخرين من « واوات » قد ظهروا على رأس أتباعهم فى بلاط الفرعون يقدمون فروض الطاعة والولاء . والواقع أن الدور الذى كان يلعبه هؤلاء الأمراء لم يعرف بعد على وجه التأكيد ، غير أن مجرد وجودهم يدل على أن المصرى كان يحرص على العلاقة الودية بينه وبين هؤلاء الأمراء . والظاهر أن الأمير الذى كان يدين بالولاء للفرعون يبقى فى إمارته على شرط أن يقدم

ما عليه من جزية . ولا نزاع فى أن هؤلاء الأمراء كانوا بطبيعة الحال تحت سلطان ابن الملك حاكم كوش ونائبيه فيراقبونهم مراقبة حازمة . ولما كان كل أمير منهم يسعى للحصول على استقلاله السياسى بقدر المستطاع ، فإنهم من أجل ذلك كانوا يقومون بالثورات فى عهد الدولة الحديثة ، ولكن ملوك مصر قد استعملوا وقتئذ سياسة ماكرة لإخضاع الحكام الثائرين ، وذلك أن الفرعون كان يحضر من غزواته أولاد الأمير وأخوته — كما حدث فى عهد تحتمس الثالث — ويضعهم فى مكان أمين ، وعند موت الأمير كان يولى الفرعون ابنه أو أخاه الذى كان فى مصر مكانه ، وكان الفرعون ينشئ هؤلاء الأولاد أو الأخوة تنشئة مصرية خالصة حتى إذا ما عادوا إلى بلادهم عملوا على ما فيه خير مصر ، ولكن هذه السياسة برهنت على فشلها فى الأزمان القديمة ، كما برهنت على خيبتها فى الأزمان الحديثة عندما أراد الانجليز تطبيقها فى بلاد الهند . والواقع أن التعليم فى مصر كان يقودهم إلى عكس ما ذهب اليه الفراعنة ، ولكن من جهة أخرى نجد أن الفرعون كان يربى أطفال هؤلاء الأمراء مع أمراء البيت المالك ، وكان كل واحد منهم يحمل لقب « غلام » (أو مملوك) ، وكان هذا اللقب يبقى عالقاً بهم حتى وهم متقدمون فى السن ومتقلدون أعظم وظائف الدولة . وقد وجدنا أن أحد أبناء الملك صاحب كوش وهو المسمى « وسرساتت » كان يلقب بالمملوك أو الغلام ، وكان على ما يظهر نوبى الأصل ، ومع ذلك نجد أنه قد تولى منصباً من أعظم مناصب الدولة فى عهد أمنحتب الثانى أى منصب ابن الملك صاحب كوش . وتدل النقوش التى فى متناولنا الآن على أن هذا الحاكم كان صديقاً حميا للفرعون أمنحتب الثانى وأنه كان يرغب فى محاباة صغار الموظفين من أهل كوش ووضعهم فى المناصب العالية ، وقد أرسل اليه الفرعون أمنحتب رسالة شخصية تعد إلى الآن الأولى من نوعها يذكره فيها بالحملات التى قاما بها سوياً فى بلاد آسيا وما غنمه « وسرساتت » من غنائم وما جلبه معه من جوار وخادمات ، وكذلك حذره أمنحتب فى هذا الخطاب أن يستخدم صغار النوبيين فى الوظائف الكبيرة إلا عند الضرورة القصوى .

ولا نزاع فى أن تنشئة أولاد الأمراء الكوشيين فى البلاط المصرى مع من سيكونون رؤساءهم تدل على أن المصرى لم يسلك مع أهل كوش مسلك سياسة الاستغلال والسلب والنهب بل كانت سياسة مهادنة ووئام . والواقع أن المصرى لم يحاول قط أن يقضى على شخصية الكوشى إذ لم نجد أى فرعون أجلى أسرة من أسر الأمراء الوطنيين عن موطنها الأصلى، مع أن ذلك كان من الأمور السهلة الهينة لدى الفراعنة ؛ وقد كان من نتائج هذه السياسة المنطوية على التسامح أن وجدنا سكان بلاد كوش قد خطوا خطوات واسعة نحو التمصير، ولذلك كان معظم الموظفين الإداريين فى كل مرافق الحكومة من أهل البلاد . والواقع أن المصرى كان يكره الاغتراب ومن أجل ذلك كان لا يحب الهجرة إلى بلاد كوش ، ومن ثم كان المصريون حتى كبار الموظفين منهم ، لا يرغبون فى أن يدفنوا فى بلاد غير مصر ، فكان الموظف بعد انتهاء مدة حكمه يعود ليدفن فى موطنه الأصلى .

وعلى الرغم من يقظة حكام بلاد كوش وما كان بين القطرين من حسن تفاهم أقام الفراعنة بالقرب من النيل عدة حصون فى بلاد النوبة فى عهد الدولة الحديثة لحماية التجارة من غارات بدو الصحراء الذين حاربهم فراعنة الدولة الحديثة وأخضعوهم فى عهد تحتمس الأول وتحتمس الثالث ورعمسيس الثانى وغيرهم .

والديانة التى سادت بلاد كوش فى عهد الدولة الحديثة هى الديانة المصرية القديمة، ويدل على ما كان بين القطرين من ارتباط ديني وثيق أن بعض الآلهة الذين كانوا فى الأصل آلهة كوشيين قد أصبحوا يعبدون فى مصر أيضا ؛ فالإله « ددون » الذى كان معبوداً كوشيا أصبح يعبد فى مصر كذلك منذ عهد الدولة القديمة ، فأصبحت الديانة فى كل من مصر وكوش ديانة مشتركة كما هى الحال الآن . والواقع أنه لم يكن هناك إله يعبد فى مصر إلا كان يعبد فى بلاد كوش ، ومن ثم نرى أن الوحدة بين البلدين كانت تامة من نواحى السلالة والدين واللغة جميعاً .

وقد ساعد على توحيد الديانة فى البلدين ما كان بينهما من اختلاط كبير، فقد كان

النوبي منذ أقدم العهود ينزح إلى مصر ويعمل كادحا بطرق مختلفة ، على أن هذا النزوح وإن كان محدوداً فى بادئ الأمر ، غير أنه أخذ يعظم شيئاً فشيئاً حتى بلغ درجة عظيمة فى نهاية الدولة الحديثة ، إذ كان السودانيون يتدفقون على مصر ويعمل الرجال منهم فى زرع الأرض وغسل الذهب ، أما النساء فكنّ يعملن فى الغزل والنسج وغير ذلك من الأمور المنزلية . يضاف إلى ذلك أن الفرعون كان يصطفى من النوبيين أفرادا لخدمته الخاصة لا يلبثون أن يتقلدوا وظائف عالية فى مرافق الدولة . وأكثر ما يستخدم فيه النوبي الجندية والشرطة ، ويرجع تاريخ ذلك إلى أواخر عهد الدولة القديمة . فقد كان ينخرط بوجه عام فى فرق الرماة ، كما كان يستعمل جندياً يحمل الدرع ويسوق العربة ، ولم يكن بينه وبين المصرى فى غالب الأحيان فى عهد الدولة الحديثة أى فرق فى الملبس ، وكان رئيس الشرطة من الكوشيين أنفسهم ، هذا إلى أنه قد اندمج فى الجيش المصرى فرقة كوشية كاملة لها من الحقوق ما للفرق المصرية تقريبا .

وكانت تحتل المرأة النوبية فى تلك الفترة أحياناً مكانة عظيمة عند عظماء القوم ، كما تدل على ذلك نقوش بعض المقابر التى وصلت إلينا من عهد الأسرة الثامنة عشرة .

كما تدل النقوش على أن بلاد كوش كانت تلعب دوراً هاماً فى سياسة مصر الداخلية فى عهد الدولة الحديثة فقد حدث فى عهد الأسرة التاسعة عشرة أنه بعد موت الفرعون مرنبتاح بن رعمسيس الثانى خلفه سلسلة من الملوك الذين اغتصبوا عرش البلاد دون حق شرعى ، وقد ظهرت بلاد كوش فى ذلك العهد بوصفها عاملا قوياً فى سياسة البلاد الداخلية بسبب ما حيك فيها من دسائس تدور حول تولى عرش مصر . فنجد وقتئذ أن الملك «رعمسيس سبتاح» قد قام بنفسه برحلة إلى بلاد النوبة لينصب ابن الملك حاكم كوش بنفسه فى وظيفته ، غير أنه على ما يظهر لم يذهب فى سفره إلى أكثر من «بهين» (وادى حلفة الحالية) ، وهذا أمر لم يسبق له مثيل ويدل دلالة واضحة على ما كان لابن الملك نائب كوش ، ولبلاد كوش نفسها من أهمية بالغة عند الفراعنة ، فضلا عن ذلك نعرف من جهة أخرى أن أحد أبناء الملك أصحاب

كوش قد اعتلى عرش ملك مصر فى هذه الفترة مما يدل على قوة بلاد كوش فى توجيه سياسة الدولة الداخلية . ولدينا برهان قاطع على صدق هذا الرأى فقد دبرت فى أواخر عهد الملك رعمسيس الثالث مؤامرة على قتله ، دبرتها إحدى حظيات هذا الملك رغبة منها فى أن تجعل ابنها الوارث للعرش بدلا من ابن رعمسيس الشرعى الذى تولى الحكم فيما بعد باسم رعمسيس الرابع ؛ والدور الذى لعبته بلاد كوش فى هذه المؤامرة أن قائد الرماة هناك كانت له أخت فى خدر رعمسيس الثالث وكانت فى جانب المتآمرين على قتل الفرعون وكان المتفق عليه هو أنه إذا نجحت المؤامرة انضمت كوش للمغتصب للعرش وأعلنت الولاء له ، غير أن المؤامرة قد كشف أمرها فى النهاية على الرغم من أن الفرعون قد توفى بعد الاعتداء عليه بزمن قصير جداً .

وقد ظل الفراعنة فى عهد الدولة الحديثة يهتمون بأمر السودان وأهله لدرجة أن « بانحسى » النوبى قد عين فى عهد الملك رعمسيس الحادى عشر فى وظيفة « ابن ملك » إرضاء لأهل كوش ، وقد لعب هذا النائب دوراً عظيما فى حرب التحرير أو بعبارة أخرى ، عصر النهضة التى قامت فى مصر فى تلك الفترة لإصلاح ما أفسده الفراعنة الضعفاء .

والواقع أن الذى كان يتولى وظيفة ابن الملك حاكم كوش فى تلك الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة الحديثة كان فى يده سلطان عظيم، ولذلك فإن «حريحور» عندما عين كاهنا أكبر للبلاد وقائدا للجيش ضم إليه وظيفة ابن الملك صاحب كوش وبذلك أمكنه بعد موت رعمسيس الحادى عشر أن يقفز إلى عرش الملك بيسر وسهولة وقد سلم لابنه بيعنخى هذه الوظيفة بعد إعلان نفسه فرعونا على مصر ، فكان بذلك آخر من قبض على زمام الأمور فى بلاد كوش ، ولم يتول هذه الوظيفة بعد« بيعنخى » هذا إلا امرأة تدعى «نسخنسو» وهى زوج الفرعون « بينوزم الثانى » أحد ملوك الأسرة الواحدة والعشرين ، والظاهر أنه كان لقباً فخرياً إشباعاً لرغبة هذه الأميرة ، ومنذ الانقلاب السياسى الذى حدث فى أواخر الأسرة العشرين اعتنقت سياسة جديدة

أصبحت بمقتضاها الإدارات العامة متجمعة فى يد الوارث للعرش بما فى ذلك وظيفة ابن الملك صاحب كوش . وقد كان ذلك هو الحل المنطق الوحيد لمجابهة المصاعب الداخلية التى سببتها دسائس طبقة الموظفين البيروقراطية وطبقة الكهنة الأغنياء فى حكومة كل ميولها مع الحكم الدينى . وقد كان هذا المبدأ سليما لدرجة أن ملوك الأسرة الثانية والعشرين التى أسسها « شيشنق » اللوبى الأصل قد استمروا فى نفس السياسة التى أصبحت سياسة تقليدية وهى تهيئة أمراء البيت المالك المصرى ليكونوا على رأس الادارات الحكومية فى مصر والسودان . غير أنه قد لوحظ عدم أستعمال لقب ابن الملك صاحب كوش ، ولكن ذلك لا يعنى أن إدارة حكومة كوش لم تكن فى يد أكبر أولاد حكام طيبة . ومن البدهى أن لقب ابن الملك صاحب كوش فى نظر أى واحد من هؤلاء الملوك الذين كانوا فعلا أولاد ملوك لم يكن له قيمة فى نظره بجانب ولاية العهد وقيادة الجيش والكهانة العظمى التى يشغلها . وهكذا نرى مما سبق أن وظيفة ابن الملك حاكم كوش التى استمرت نحو أربعة قرون ونصف القرن ، أى حتى حوالى عام ١١٠٠ ق.م ، قد كانت همزة الوصل بين القطرين ولعب حاملوها دوراً هاماً فى توثيق عرا الوحدة السياسية والدينية والاجتماعية بين شمالى الوادى وجنوبه .

وأخيراً يلاحظ أن العلاقات بين كوش ومصر منذ عام ١١٠٠ إلى ٧٥٠ ق . م كانت غامضة . وكل ما نعلمه عن هذه الفترة لا يخرج عن الحدس والتخمين ؛ ولكن المؤكد هو أنه كان هناك اتصال روحى بين البلدين ، ولا أدل على ذلك من أنه عندما تحدثنا الآثار بغاة عن ملك كوشى يدعى « كشتا » قد تولى عرش الملك فى طيبة وحكم الوجه القبلى ، نلاحظ أنه كان يعتنق مذهب ديانة الإله آمون وهى الديانة التى كانت سائدة فى مصر فى تلك الفترة ، وبذلك لم يجد صعوبة فى جذب الشعب المصرى إليه واستمالته ، وقد دلت البحوث الحديثة على أن « كشتا » هذا هو مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر ، وأنه قد هبط إلى مصر من « نباتا » عاصمة ملكه

الواقعة عند الشلال الرابع. وقد كشفت حديثاً جبانة ملوك الأسرة الخامسة والعشرين هذه فى « الكورو » القريبة من نباتا ، وبذلك ظهرت أمامنا صفحة كانت غامضة عن ملوك هذه الأسرة حتى زمن قريب جداً . وهذه الأسرة الكوشية كانت معاصرة للأسرة الثالثة والعشرين المصرية التى كان مقرها فى الوجه البحرى . وسنترك الكلام عن الأسرة الكوشية وحكمها لمصر جملة إلى الجزء التالى من هذه الموسوعة إن شاء الله .

* * *

وإنى أتقدم هنا بعظيم شكرى لصديق الأستاذ محمد النجار المفتش بوزارة التربية والتعليم لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة . كما أتقدم بوافر الشكر إلى السيد محمد زكى خليل مدير مطبعة جامعة القاهرة ومعاونيه لما بذلوه من جهد مشكور وعناية ملحوظة فى إخراج هذا الكتاب .

وكذلك أقدم عظيم شكرى للسيد أحمد عزت بجامعة ابراهيم لما بذله من مجهود عظيم فى قراءة التجارب وعمل فهرس الأعلام والمصادر الأفرنجية بكل دقة وعناية ، وفى الختام أشكر السيد الأستاذ الشاطر بصيلى بمعهد السودان كل الشكر على ملاحظاته عن الأسماء النوبية وقراءة بعض التجارب ما

علاقة بلاد النوبة (كوش) بمصر
منذ أقدم العصور حتى نهاية الفتح الكوشى

مقدمة :

فى باكورة القرن العشرين قامت نهضة مباركة فى البلاد المصرية لتحسين حال الفلاح وإسعاد أهل البلاد بعامة ، وكان من مقتضياتها تعلية خزان أسوان فى ١٩٠٧ وكان لابد من عمل حفائر فى الجهات الأثرية التى ينتظر أن تغمرها المياه بعد التعلية وراء الخزان أى فى أراضى بلاد النوبة السفلى .

وقد دلت الحفائر التى عملت فى بلاد النوبة فى هذه الفترة على أن العلاقات الثقافية والتجارية بين هذه البلاد ومصر كانت متصلة الحلقات منذ عهد ما قبل التاريخ ، ولا تزال البحوث التى تعمل حتى الآن تؤكد هذه الصلات الوثيقة بين القطرين . ويرجع الفضل فى كشف النقاب عن هذه الثقافة للحفائر التى قام بها الأستاذ « ريزنر » حوالى عام ١٩٠٧م . أولا[١] ، ثم لحفائر جماعة الأثريين الذين قفوه فى هذا المضمار ونخص بالذكر منهم الأثرى « فرث »[٢] والأستاذ « جرفث »[٣] والعلامة « يونكر »[٤] وغيرهم ممن أسهموا فى هذه الكشوف .

(١) راجع Reisner, The Archaeological Survey of Nubia for 1907-1908, Cairo, 1910

(٢) راجع Firth, The Archaeological Survey of Nubia. Report for 1908-1909, Cairo, 1912
— Firth I.—Report for 1909-1910, Ib. 1915.
— Firth II.—Report for 1910-1911, Ib. 1927.
— Firth III.

(٣) راجع Griffith, Oxford Excavations in Nubia ; Annals of Archaeology, Liverpool, 1908 ff

(٤) راجع Junker, Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von Ermenne (Nubien) im Winter 1911—12 ; Ibid von El Kubanieh—

ولما كانت هذه الكشوف الأثرية قد دلت على علاقات بين البلدين يرجع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة وما بعدها فقد قسمها الأستاذ « ريزنر » على حسب ترتيبها التاريخي قسمين كبيرين بالنسبة لبلاد النوبة :

(١) القسم الأول : ويشمل عصر ما قبل التاريخ النوبي ويحتوى على مجموعتين ثقافيتين مميزتين ، ورمز للأولى بحرفى (ا) A و (ب) B (وقد اعتنق علماء الآثار جميعاً تلك الرموز التي وضعها « ريزنر ») . وهاتان المجموعتان يقابلان فى التاريخ المصرى عصر ما قبل التاريخ وعصر الأسرات الأولى وعصر بناة الأهرام حتى بداية الأسرة السادسة .

(٢) القسم الثانى : ويشمل العصر النوبي المتوسط ويرمز له الأستاذ « ريزنر » بالمجموعة الثقافية (ج) C ، وهذا ما يقابل فى التاريخ المصرى القديم العصر المتوسط الأول أى العهد الذى وقع بعد سقوط الدولة القديمة حتى قيام الدولة الوسطى ، ثم الدولة الوسطى وعصر الهكسوس ، وأخيراً العصر المتوسط الثانى من التاريخ المصرى الذى عاصر عهد الهكسوس .

عصر ما قبل التاريخ فى بلاد النوبة السفلى

المجموعة الثقافية (ا) A (وتؤرخ من حوالى ٤٠٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م)
والمجموعة (ب) B (من حوالى ٣٠٠٠ — ٢٤٠٠ ق . م)

دلت الكشوف الأثرية التي قامت فى بلاد النوبة السفلى على أنه كانت توجد سلسلة مراكز للسكان يقع كل منها عند فم واد أو خور من التي ألفت فيها رواسب النهر مساحات مختلفة الحجم صالحة للزراعة ، وقد كان عماد هؤلاء السكان الذين

= Nord. Winter 1910—1911. Ibid, von El Kubanieh-Süd: Winter 1910—1911. Ibid, von Toschke (Nubien) in Winter 1911—12.

يسكنون هذه المساحات فى حياتهم هو الزراعة يؤازرها الصيد البرى والمائى ونقل السلع من مكان لآخر . وقد بقيت حياة هذه الجماعات مستمرة ما بقيت الأرض صالحة للزراعة . وفى بعض الأحيان كانت تتكوّن طبقات جديدة من الغرين يرسبها النهر ، كما كان النيل ينحسر عن طبقات أخرى فتصبح جافة قاحلة . ولقد دلت الحفائر التى عملت فى هذه الجهات على أن مدافن كل جماعة من السكان قد استمرت ممثلة منذ عهد ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا على الرغم مما أصاب تلك المدافن من نهب وتعرية . أما عدد هذه الجماعات ومقدار ما كان عليه أهلها من سعادة فكان يختلف كثيراً من عصر لعصر . وهذا الاختلاف يرجع أحياناً إلى التغييرات التى كانت تحدث فى منسوب النيل ، وبعضه يرجع إلى الأحوال الإدارية والتجارية فى البلاد . فيلحظ مثلا أن ارتداد الزراعة من طبقات عليا إلى أخرى سفلى من الأرض بين عهد ما قبل الأسرات وعهد الدولة القديمة يرجع سببه إلى انخفاض فى منسوب النيل العالى ، فى حين أن الزيادة العظيمة فى عدد السكان فى عهد الدولة الحديثة ثم فى عهد البطالمة والرومان قد يرجع إلى إقامة المؤسسات الدينية التى كانت تعتمد فى تموينها على الضرائب التى تجبى من نقل السلع من السودان إلى مصر وبالعكس ، وهذه المؤسسات لا تزال آثارها باقية حتى الآن .

وقد دلت نتائج الفحص عن الهياكل البشرية التى وجدت فى أقدم الجبانات النوبية من عهد المجموعتين الثقافيتين (أ) A و (ب) B على أن أقدم سكان عثر عليهم كانوا موحدين[1] مع أقدم سكان ظهروا فى مصر ، أى مع القوم الذين يسمون مصريى عهد ما قبل الأسرات . فقد وجد أن هؤلاء القوم أنفسهم — بعد فحص هياكلهم الباقية — من نفس سلالة المصريين الذين سكنوا مصر قبل ظهور الأسرات المصرية ؛ كما أن فخارهم وآلاتهم المصنوعة من الظران ومدخراتهم من المواد الغفل ومصنوعاتهم

(١) والظاهر أن أول سكان وادى النيل قد سكنوا فى سفح التلال وقد دخلوا مصر من الجنوب .
راجع The Cultures of Prehistoric Egypt, by Elise J. Baumgartel, p. 78.

من المعدن وأوانيهم الحجرية وجلودهم المدبوغة ونسيجهم وحصيرهم وحليهم وتعاويذهم المصنوعة من الحجر والعاج والخزف المطلى كانت كلها مطابقة فى مادتها وشكلها وصناعتها للأشياء التى وجدت من نفس العهد المصرى . وبعبارة أخرى لم يكن مصريو عصر ما قبل التاريخ يحتلون وادى النيل من إقليم القاهرة حتى الشلال الأول وحسب ، بل كانوا يمتدون حتى منطقة الشلال الثانى على ما يظهر[1] . وكانت الحيوانات الأليفة والبرية المعروفة للسلالة النوبية القديمة تشبه كثيراً الحيوانات التى فى عصر هؤلاء . ولا نزاع فى أن الزراعة كانت شائعة فى النوبة كما كانت فى مصر ، يضاف إلى ذلك أن التعامل التام بين القبائل القاطنة على امتداد النهر كان موجوداً ، يدل على ذلك ما نجده من وحدة فى أشكال ومادة وصناعة كل الأشياء التى كان يستعملها الأهلون وقتئذ ، هذا إلى أن الأشياء التى وجدناها مصنوعة من مواد مستخرجة من مساحة واحدة فقط من الوادى كانت توجد بنفس الكثرة فى سائر جهات الوادى الأخرى . مثال ذلك السكاكين المصنوعة من الظران . هذا وكانت طرق النقل هى السفن التى تجرى فى النيل منذ القدم .

وقد دل الفحص على أن سكان بلاد النوبة ومصر كانوا ينسبون إلى الجنس الحامى[2] ، وكذلك ثبتت نسبتهم على وجه التأكيد للوبيى شمالى أفريقية[3] والأجناس الذين يقطنون فى شرقيها وهم سكان الصحراء الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الأحمر وبلاد الصومال .

ولا نعرف حتى الآن إذا كان سكان وادى النيل قد نشئوا من طبيعة تربتهم الأصلية أو وفدوا إلى البلاد عن طريق الهجرة . وإذا كانوا من المهاجرين فرضاً فمن أى طريق أتوا إلى وادى النيل ؟ . ومن جهة أخرى لا نعرف إذا كان المصريون

---

(١) راجع Junker, (Kubanieh-Nord), II f., 34

(٢) راجع Junker, The First Appearance of the Negroes in History, J. E. A., vol. 7, p. 121 ff.

(٣) راجع Steindorff, Aniba I, p. 2 : The Cultures of Prehistoric Egypt, p. 48

والنوبيون فى الأصل ينسبون إلى ثقافة حامية مشتركة أو لا ينسبون ، وذلك لأن كل الطبقة الأثرية التى بعد شلال «أسوان» قد اختفت ، غير أن الأستاذ « ينكر »[1] يعتقد أن الوحدة التى توجد بين الأوانى المصنوعة من الفخار ، وكذلك تشابه العادات الجنازية مثل دفن الجسم مقرفصا تعد من الثقافة الحامية . وعلى ذلك يظن أن مركز هذه الثقافة هو شمالى بلاد أسوان ، وأن هذا الجنس من الناس قد زحف فى استعماره نحو الشمال حتى الوجه القبلى . ومع ذلك نجد أن الأستاذ « ينكر »[2] لا يقطع برأى فيما إذا كان هؤلاء القوم هم أول جماعة وفدوا على وادى النيل أو أنه كان يوجد قبلهم سكان أصليون خضعوا للسكان الوافدين الجدد . وعلى أية حال فإن رأيه النهائى هو أن الثقافة الحامية هى أصل ثقافة الوجه القبلى . ومن جهة أخرى لا نعرف إذا كانت ثقافة « البدارى » التى تؤرخ بحوالى ٤٠٠٠ ق . م . وتقع فى مصر الوسطى لها ارتباط بالثقافة النوبية أيضاً أو لا ترتبط بها . ولا مراء فى أنه توجد علامات فى الفخار الذى وجد فى « البدارى » وبخاصة أوانى الفخار الأحمر المصقول ذى الفوهة السوداء ، فإن هذه الأوانى تمتاز بخفة الوزن كما يمتاز سطحها بتموجات ، وقد وجدت مثيلاتها فى الفخار النوبى الذى يرجع إلى عهد المجموعه الثقافية A الأولى والثانية ، غير أن هذا التوافق يوجد بجانبه تخالف من نواح كثيرة ، فلا يعد برهانا كافياً لإثبات الرأى الذى اشترك فيه كل من « ينكر » والأستاذ «شارف» ، وهو القائل بأن منطقة « البدارى » الثقافية تمتد حتى بلاد النوبة القديمة ، أى أن ثقافة البدارى بنيت عليها ثقافة المجموعة A . هذا ويعتقد الأثرى « برنتون » أن ثقافة البدارى قد امتدت إلى بلاد النوبة حيث تطورت هناك كثيراً وانحطت إلى درجة محسة[3] إذ يقول : إن كثيراً من الأمثلة المقابلة للأشياء التى ترجع إلى عهد

---

(١) راجع The Cultures of Prehistoric Egypt, p. 78
حيث تقول المؤلفة : إن السلالة الثانية من سكان « نقادة » قد أتوا من « آسيا » عن طريق « وادى حمامات » فى حين أن السكان الذين كانوا موجودين قد وفدوا من الجنوب .

(٢) راجع Kubanieh-Nord, II f; 34

(٣) راجع Brunton, Badarian Civilisation, p. 40

ما قبل الأسرات المبكر المستخرجة من حفائر « البدارى » ، وبخاصة الصوان والخارز المصنوعة من العظم وما أشبه ذلك قد وجدت فى بلاد النوبة . وقد استمر استعمال الأوانى الفخارية ذات السطح المموج فى صور مختلفة إلى أزمان متأخرة (حتى الألف الأولى ق . م .) . وأهم ما يلفت النظر بين هذه الأشياء أشكال الفخار المستعملة فى كل من المنطقتين فنجد أن الكأس التى كانت أكثر الأشكال شيوعا واستعمالا فى «البدارى» كانت توجد كذلك بكثرة فى بلاد النوبة حيث استمرت عدة قرون مستعملة فى أنحاء هذه البلاد . وهذا التشابه فى المواد المستعملة وهو الذى يدعى هؤلاء العلماء أنه جاء عن أصل ثقافة حامية عتيقة لا يقدم لنا أى برهان على وجود أى اتصال ثقافى بين ثقافة « البدارى » وثقافة بلاد النوبة القديمة فى عصر ما قبل التاريخ .

ومن جهة أخرى نرى أن ثقافة «البدارى» التى ترجع إلى حوالى ٤٠٠٠ ق . م . قد أعقبتها أول حضارة قامت فى الوجه القبلى فى مدينة « أمبوس » (نبتى) وموقعها الآن البلدة المعروفة باسم « نقادة » وهى التى يطلق على حضارتها « ثقافة نقادة الأولى» ، غير أن هذه الثقافة الأخيرة لم تؤسس بدورها على غرار الحضارة النوبية . والغريب أنه لم يوجد لهذه الثقافة الأخيرة أثر فى بلاد النوبة إلا فى جبانة واحدة وهى جبانة « بهان » الواقعة على مسافة قريبة جنوب شلال أسوان ، أى فى أقصى الحد الشمالى لبلاد النوبة . وبذلك يكون من الجائز وجود محطة فى عهد « نقادة » الأول يرجع تاريخها إلى عصر ما قبل التاريخ ، ويحتمل أنه قد أقيم فيها مستودع تجارى وكان لعمال هذا المستودع الجبانة رقم ١٧ ، وعلى أية حال فإن هذه الجبانة تشمل عدداً من المقابر يلفت ما عثر عليه فيها النظر ، إذ يدل ما وجد فيها من أشياء على أنها تنتمى إلى حضارة «نقادة» الأولى ، ونخص بالذكر من بينها أوانى أسطوانية وسطها مفرطح وذات قاعدة مصنوعة من حجر البازلت أو البرشيا ، وأوانى من الفخار الأملس لها حافة عريضة سوداء (Black-topped) ، وأوانى حمراء مصقولة وأخرى سوداء

مصقولة أيضا وأطباقا مدهونة باللون الأبيض[١] وأطباقا على هيئة المقمعة من أحجار ذات ألوان منوّعة ومكاحل من الأردواز على شكل معين[٢] . وعلى أية حال فإن موقع « بهـان » لا يعتبر دليلا مقبولا[٣] على أن أوّل ثقافة نوبية قد أسست فى الوجه القبلى كما أسست فى بلاد النوبة السفلى . هذا ويظن الأستاذ « ستيندورف » أنه فى هذا العهد العتيق لم يكن أهالى النوبة من الأقوام المتحضرين بل كانوا لا يزالون يعيشون عيشة البدو الجائلين وكانوا رعاة أكثر منهم مزارعين ، ومن أجل ذلك لم يكن لديهم ضرورة ملحة لتذوق عيشة الاستقرار الثقافية والاشتغال بالتجارة .

وكشفت أعمال الحفر للمرة الأولى فى أديم بلاد النوبة عن عدد عظيم من المقابر تحتوى على أشياء ثقافية ترجع إلى الألف الرابعة قبل الميلاد ، وهذه الأشياء تنسب بلا شك إلى « ثقافة نقادة الثانية » التى نبعت من « ثقافة نقادة الأولى[٤] » وقد ظهر فيها عناصر جديدة كثيرة وبخاصة الفخار ذا المقابض المموّجة . وهذا الفخار يضرب بأعراقه إلى فلسطين وسوريا اللتين نقل عنهما . وقد انتقل إلى بلاد النوبة عن طريق الحدود المصرية وقد وجد هذا الفخار مستعملا فى بلاد النوبة حتى الشلال الثانى فى « جمّى[٥] » الواقعة على مسافة خمسة عشر ميلا جنوب « وادى حلفا » .

وعلى ذلك نجد أنه قد أصبح لدينا فى عصر ما قبل التاريخ ما يمكن أن نطلق عليه اسم « مصر الكبيرة » الموحدة من حيث الجنس والثقافة وتمتد من أول « وادى حلفا » حتى « الدلتا » .

---

(١) راجع Reisner, Ibid, Pl. 60 a, b

(٢) راجع Reisner, Ibid, Pl. 63 a

(٣) راجع Scharff, Vorgeschichte, p. 38-9

(٤) تقول « اليز بوميجارتل » أن السلالة الثانية من سكان « نقادة » قد غزوا وادى النيل وهم أسيويون وحضارتهم أرقى من حضارة قوم نقادة الأول . راجع The Cultures of Prehistoric, etc., p. 50.

(٥) J.E.A., vol. 3, p. 219

ولدينا بجانب المواد الثقافية المصرية البحتة التى انتقلت من مصر إلى بلاد النوبة مواد ثقافية أخرى من أصل نوبى لا توجد مثيلاتها فى مصر ، ونخص بالذكر من بين هذه أوانى الفخار الدقيقة الصنع المصقولة ذات اللون الأحمر والتى يزين حافتها شريط ضيق أسود . وهذه الأوانى تعد نتاجا خاصا ببلاد النوبة . وقد لاحظ الأستاذ « ينكر » بحق[1] أن هذه العلامة ليست المميز الرئيسى لهذا النوع من الفخار بل تعد المادة واللون والطلاء الأسود الداخلى وخفة وزن الفخار بوجه خاص هى الأسس القويمة التى تميز هذه الأوانى عن الأوانى المصرية . وقد اختلفت الآراء فى أصل هذه الأوانى ذات الحافة السوداء فيقول الأثرى « فرث » إنها تقليد للأوانى الفخارية ذات الشريط الأسود، ويعنى بذلك أن صانع الفخار النوبى قد عمل تجربته الأولى من فخار مستورد من مصر . ويرى الأستاذ « ينكر »[2] أن هذه الأوانى من صناعة مصرية نوبية مشتركة فى عصر ما قبل التاريخ المبكر . وقد أخذت تتغير فى مصر شيئا فشيئا ولكنها بقيت ثابتة فى بلاد النوبة ، ويوافق على هذا الرأى الأستاذ « ستيندورف » ويقول إن أقدم فخار مما له مقبض قد جلب إلى بلاد النوبة من مصر غير أنه لم يستعمل وحده باستمرار ، إذ نجد منذ العصور القديمة أن الأوانى الفخارية المهداة للنوفى كانت تصنع فى البلاد نفسها دون مشقة على أنها تقليد للأوانى ذات الشريط الأسود ، ولا نزاع فى أنها كانت متأثرة بها ومأخوذة عنها .

بدء الخلاف فى حضارة القطرين :

وقد تم اتحاد البلاد المصرية سياسياً كما هو معلوم على يد « مينا » حوالى عام ٣٢٠٠ ق . م .[3] ، ومن ثم بدأ العصر التاريخى فى الجزء الأسفل من النيل ، وعندئذ نشأت مصر الحقيقية . وقد ولدت مصر ذات كيان جديد قوى لم يتغير مدة

---

(١) راجع Kubanieh-Süd, p. 54.

(٢) راجع Kubanieh Süd, p. 59.

(٣) يميل بعض المشتغلين بمسائل التاريخ إلى جعل بداية حكم مينا حوالى ٣٠٠٠ ق . م .

ألف سنة من الزمان . ومن ثم خلق فى مصر فن جديد واخترعت الكتابة المصرية ، وبذلك ختم العصر البدائى المعروف بعصر الثقافة النحاسية الحجرية التى يميز بها عهد ما قبل التاريخ أو ما قبل الأسرات .

وهذا التطور العجيب الذى حدث فى مصر فى مدة قرن أو بضع عشرات من السنين لم تسهم فيه بلاد النوبة بنصيب ما ، إذ لم يمتد الروح المصرى الجديد الذى دب فى أرض الكنانة إلى ما وراء الشلال الأول بعد « أسوان » بل ظلت تلك البلاد فى سباتها العميق متخلفة عن ركب الحضارة ، ومن أجل ذلك نجد هوّة سحيقة بين الثقافة النوبية التى تنسب إلى العصر الحجرى والثقافة التى ازدهرت فى مصر الجديدة على يد « مينا » . وهذه الهوّة قد ازداد عمقها ولم تسدّ قط طوال العصور التاريخية . وقد زاد فى شقة التباعد فى المدنية فى البلدين ظهور العنصر الزنجى الجنوبى بكثرة محسة . وهؤلاء من جنس مختلف عن سكان بلاد النوبة وعن المصريين أنفسهم فى الوقت ذاته . وسنتحدث فيما بعد عمــا أسفرت عنه نتائج أعمال الحفر من الوجهة الثقافية والاجتماعية .

وتنقسم الثقافة A إلى عصرين مميزين أحدهما قديم ويرجع إلى عصر ما قبل التاريخ أو ما قبل الأسرات ، والآخر أحدث منه ويقابل العصر التاريخى المبكر الأسرى ، وهو يقابل عهد ملوك الأسرتين الأولى والثانية فى التاريخ المصرى .

المجموعة الثقافية A (رقم ١) :

وجدت مقابر من عهد هذه المجموعة ومن المجموعة B وكثير غيرها من العصور التى تلتهــا وبخاصة المجموعة الثقافية C فى الأماكن التالية من بلاد النوبة : (١) « الكوبانية » وتقع شمــال «أسوان» على الشاطئ الأيسر للنيل [١] . (٢) وبلدة

---

(١) راجع Junker, Kubanieh-Süd, pp. 1-122

« رزق الله » الواقعة بالقرب من « دبود » فى الجبانة رقم (٣٠)[١] (٣) وكذلك فى جبانة « مريس » و « مرقص » رقم ٤١ فى مستعمرة قريبة تابعة لها[٢] . (٤) وفى بلدة « دهميت » فى الجبانة الشرقية رقم ٤٣[٣] . (٥) وفى « جرف حسين » بالجبانتين رقم ٧٣ و ٧٩[٤] (٦) وفى جبانات « دكة » ١٠١ إلى ١٠٣[٥] وتحتوى على أكثر من ستمائة مقبرة وتعد من أعظم المدافن النوبية من عهد ما قبل التاريخ حتى العهد النوبى المتوسط أى المجموعة الثقافية C . وأقدم مقابر هذه الجبانة تقع فى مستعمرة عتيقة فى الجنوب وتمتد منها الجبانة نحو الشمال ، وقد أقيم على الجبانة الجنوبية التى فى هذه الجهة مقابر جديدة[٦] . (٧) وكذلك فى « كوبان — العلاقى » فى الجبانة رقم ١١١[٧] و (٨) وفى « السيالة » بالجبانة رقم ١٣٤[٨] .

وفى هذه الجبانات السالفة الذكر نجد أن القبر كان صغيراً ومسطحا وأن الجسم قد وضع فيه مضطجعاً ومقرفصاً على الجانب الأيسر والرأس متجه نحو الجنوب وكان فى العادة يغطى الجسم بحصير ، أو جلد حيوان .

أما الأثاث الذى وضع مع المتوفى فيحتوى على أوان من الفخار صناعتها مصرية نذكر منها القعاب الحمراء اللون المصقولة التى يحيط بها شريط أسود ، والأوانى ذات الحافة السوداء والفخار الأسود المصقول ، والفخار ذا العروة المموجة والأطباق الصلبة

---

(١) راجع Reisner, p. 191 ff

(٢) راجع Reisner, pp. 208-211, 215 ff

(٣) راجع Reisner, p. 246

(٤) راجع Firth, The Archæological Survey of Nubia Report for 1908—1909, vol. I, p. 6 f, 99 ff.

(٥) راجع Ibid, pp. 101-103

(٦) راجع Firth, II, pp. 51-104

(٧) راجع Firth, III, p. 98 ff

(٨) راجع Firth, III, p. 192 ff

ذات اللون الأحمر الداكن وهى التى يرسم عليها أشكال هندسية أو صور[1]، هذا إلى أوان من الحجر مخططة تشبه الأوانى المصرية التى من عصر ما قبل التاريخ . وقد جيء من مصر بأوان للكحل من الاردواز الأخضر بعضها مستطيل الشكل و بعضها شكله معين أو ممثلة فى هيئة حيوانات أو بيضية الشكل برأس طائر، هذا إلى قلائد من الخرز[2]، كما وجدت أطباق ورءوس مقامع كمثرية الشكل مصنوعة من أحجار مختلفة الألوان ، وقد وجد كذلك مع المتوفى سكاكين مصنوعة صنعاً جميلا وأسلحة كالحراب ورءوس سهام مصنوعة من حجر الظران، ويلحظ هنا أن النحاس كان نادر الوجود فى هذه المقابر .

المجموعة الثقافية A (رقم ٢) وتقابل فى التاريخ المصرى العصر الأسرى المبكر :

وجدت آثار لهذه المجموعة فى غير الأماكن التى ذكرناها فيما سبق فى جبانتى «السيالة» رقم ١٣٦ و ١٣٧ وفيهما وجدت مدافن الأمراء النوبيين وقد قام بأعمال الحفر فيها الأثرى «فرث»[3] . وفى «نجع وادى» بمركز «السيالة» بالجبانة رقم ١٤٢[4] . وفى «السبوع» بالجبانة رقم ١٤٨[5] وفى جبانة «عنيبة»[6] وأخيراً فى «فرص»[7] .

ويلاحظ فى مقابر هذا العهد أن المتوفى كان يدفن فى حفرة مكسوة بالحجر الرملى كما كانت توجد أحياناً مقابر على هيئة خلية النحل[8]، ووجدت الجثة موضوعة نفس الوضع الذى وجدت عليه فى مقابر مجموعة A (رقم ١) وكان يدفن فى غالب الأحيان شخصان أو أكثر فى قبر واحد .

---

(١) راجع مصر القديمة جزء ثان ص ٨٣

(٢) راجع Reisner, The Archæological Survey of Nubia Report for 1907—1908, Pl. 67, 1-7, 10-13.

(٣) راجع Firth, III, pp. 199, 204 ff

(٤) راجع Firth, III, p. 213

(٥) راجع Firth, III, p. 220 ff

(٦) راجع Steindorff, Aniba I, p. 24 ff

(٧) راجع Faras, Proto-Dynastic Settlement and Cemetery, p. 4 ff

(٨) راجع Firth, I, p. 197 ; III, p. 127

أما الأثاث الذى كان يوضع مع جثة المتوفى فيحتوى على أوان من الفخار المصرى كالتى وجدت فى مقابر المجموعة A (رقم ١) ، هذا إلى وجود فخار نوبى مصنوع فى معامل محلية يضاف إلى ذلك أوان من الفخار الأحمر المصقول ذات فوهة سوداء (Black-mouthed) وأشكال جديدة أخرى مثل الفخار المدبب من أسفل وعلى سطحه أشكال مطبوعة ، وأوان جميلة دقيقة السمك لونها أحمر[١]. وأوان من الحجر كالتى ذكرناها فى المجموعة A (رقم ١) وأطباق للزينة من الاردواز المسائل للخضرة ذى الشكل المستطيل ، هذا إلى أوان من هذا النوع لكل منها رأس طائر[٢]. أما الأشياء الجديدة التى عثر عليها فى مقابر هذا العصر فهى أطباق للزينة مستطيلة الشكل وبعضها على شكل معين مصنوعة من حجر الكوارتس الأبيض وأحجار أخرى صلبة ، وكذلك عثر فيها على قلائد للزينة[٣] ومقامع كمثرية الشكل وآلات من النحاس كالخراز والبلطة والمنقاش وهذه الأشياء قد وجدت بكمية تفوق التى وجدت فى مقابر المجموعة A (رقم ١)[٤].

علاقة مصر ببلاد النوبة فى العصر الطينى[٥] :

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن المجموعة الثقافية B وهى التى تقابل « عصر

---

(١) راجع Firth, I, Pl. 46 a,b ; II, Pl. 128 d; III, Pl. 19 a,b

(٢) راجع Firth, III, Pl. 21 c

(٣) راجع Reisner, Pl 67, and 68 a

(٤) راجع Firth, III, Pl. 226

(٥) راجع The Origin and Development of Trade and Cultural Relations of Ancient Egypt with Neighbouring Countries. (Papers presented by the Soviet Delegation at the 23rd International, Congress of Orientalists (Egyptology by V. Avdief.), p. 25 :

حيث يقول : منذ العهد العتيق أو بعبارة أدق منذ عهد ما قبل الأسرات عندما ظهرت لأول مرة مساكن الفالحين للأرض فى وادى النيل ، أخذ المصريون يوطدون التجارة والعلاقات الثقافية مع الأقوام والقبائل المجاورة ، يؤكد ذلك أنواع المواد المختلفة التى جلبت إلى مصر من البلاد المجاورة وبخاصة الذهب والعاج والنحاس وحجر الأبسيديان فقد تسلم المصريون الذهب من الصحراء الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الأحمر . وكانوا يجلبونه غالبا من الجزء الجنوبى من هذا الاقليم الواقع =

الأهرام » أن نتحدث عن العلاقات السياسية والتجارية التى كانت بين مصر وبلاد النوبة فى العهد الطيبى لنعرف مدى الاتصال بين البلدين فى تلك الفترة التى أخذت فيها مصر فى أسباب التطور ووقفت فيها بلاد النوبة جامدة لم تتحرك فى سبيل الحضارة والعمران :

لقد كان المظنون من الثقافة النوبية ، وهى من نوع الثقافة المصرية فى عصر ما قبل التاريخ ، أن تسير بخطى واسعة مثلها ولكنها تأخرت عنها وقد وجدت فعلا كما ذكرنا فى مجموعة A الثقافية فى بلاد النوبة أوان من الفخار والحجر مصرية الأصل مما يدل على تبادل التجارة بين البلدين : هذا وقد وجدت فى مقابر مصرية معاصرة

= جنوبى طريق قفط — القصير . والواقع أن المركز الرئيسى على أية حال للذهب هو النوبة الواقعة على الحدود الجنوبية لمصر . وقد أرسل المصريون إلى بلاد الجنوب فى أثناء طلبهم الذهب منذ الأزمان القديمة ، وقد اجتهدوا أولا فى اختراق مجاهل هذه الأقاليم ثم عملوا على الاستيلاء عليها وفى الوقت نفسه عملوا على إيجاد روابط تجارية مع القبائل المتوطنة هناك . ومن الجائز أن هذا السبب نفسه هو الذى من أجله سميت العاصمة الجديدة لمصر العليا المدينة الذهبية (نبتى) . ومن هذه العاصمة كانت تخرج الطرق التجارية ممتدة شرقا وجنوبا ، والواقع أنه هنا فى المقاطعة الخامسة من مقاطعات الوجه القبلى قد عثر على أغنى مقابر عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرات المبكر . وتبرهن الكميات الكبيرة من أدوات الزينة المصنوعة صنعا فاخرا والقلائد الذهبية والأسوار ومقابض السكاكين الذهبية المحلاة بالصور والنقوش على مهارة صائغى هذا العهد . ولا غرابة إذا فى أن الكلمة المصرية الدالة على « الذهب » كانت تكتب بإشارة هيرغليفية تدل على قطعة من المجوهرات ويدل شكلها الظاهرى على أنها قلادة محلاة بالخرز .

وقد أحضر المصريون العاج بكميات مماثلة من الأراضى الجنوبية . ففى العهد العتيق استعملوا العاج لصناعة مختلف الأشياء مثل الأساور والخواتم والملاعق ومقابض السكاكين والأمشاط ، والقلائد والدبابيس وقطع الأثاث والأختام الاسطوانية ، والآلات السحرية والتماثيل الصغيرة وأدوات الكتابة الخ . وقد وجد كثير من هذه الأشياء فى مقابر العهد العتيق ويوجد على تمثال للاله مين فى قفط الممثل بعضو التذكير منتشرا صورة فيل . وقد بقيت صناعة الحفر والعاج ممتازة الصنع حتى الأسرة الرابعة ، ومنها تمثال الملك خوفو ، وليس لدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن أن الفيلة كانت فى مصر القديمة كما زعم « برستد » . ولا نزاع فى أن سن الفيل كان يجلب من أقاليم جنوبية نائية ، والمكان الذى كان يخزن فيه العاج هو المدينة الرئيسية للقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى ، وكان موقعها على الحدود الجنوبية لمصر بجوار الجزيرة التى سميت لهذا السبب : جزيرة الفيلة . وتدل شواهد الأحوال على أن المصريين قد أحضروا من الأقاليم الجنوبية النعام وريشه وبيضه وقد عثر على صور نعام على أوان من الطين من العهد العتيق .

محاصيل تدل على اتصال التجارة بين البلدين . ففى بعض المقابر المقامة من اللبنات بـ « العرابة المدفونة » وجدت أشياء من خشب الأبنوس[١] والمفهوم بوجه عام أن خشب الأبنوس من شجرة هندية الأصل (Diospyros) ، ولكن برهن كل من الأثرى «لوريه» و «بوريفاج» على أن هذا النوع من الشجر كان ينمو فى السودان ، وعلى ذلك كان يتجر فيه مع مصر .

ومن جهة أخرى وجد العاج بكثرة فى مقابر هذا العهد وغيره من مقابر العصر العتيق وهذا يدعونا إلى التساؤل عن سبب وجوده . والواقع أن الفيل كان يتنقل من مكان لآخر فمثلا نعلم أن ملوك البطالمة كانوا يصطادون هذا الحيوان من الجهات الواقعة على الساحل الغربى للبحر الأحمر[٢] ويدل وجود عدد كبير من الآلات المصنوعة من سن الفيل فى عهد « ثقافة نقادة الأولى » ، ووجود صور للفيل على الآثار المصرية فى عصر ما قبل الأسرات وما بعده على أن هذا الحيوان كان على الأقل موجوداً حتى الحدود المصرية[٣] ، ويحتمل جداً أن اسم بلدة « الفنتين » (أبو[٤]) فيه أشارة تدل على ذلك . وقد كتب الأستاذ « زيته » عن « الفنتين » التى يكتب اسمها بصورة فيل أنها المكان الوحيد فى وادى النيل السفلى الذى وجد فيه الانسان الفيل . أما التفسير القديم الذى يقول إن « الفنتين » قد سميت بهذا الاسم لتبادل تجارة سن الفيل فيها فلا يؤخذ به .

وتدل شواهد الأحوال على أن الحدود بين مصر وبلاد النوبة السفلى من حيث الجنس لم تكن قط فى كل العصور هى الشلال الأول بل كانت أبعد من ذلك شمالا عند مضيق النيل الذى يشاهد عند بلدة « السلسلة » الحالية وكانت بلدة « الفنتين »

---

(١) راجع Petrie, Royal Tombs I, 11, 22, 40 : II, 22

(٢) راجع Kortenbeutal, Der Ag., Sud.-und osthandel in der Politik der Ptolemäer und Römichen Kaiser Diss, Berlin 1931, p. 27, 36 ff.

(٣) راجع Sethe, Urgeschichte, p. 125

(٤) كلمة « أبو » بالمصرية معناها الفيل وترسم بمخصص هذا الحيوان .

تعد دائماً أرضاً مصرية تفصل بلاد النوبة عن مصر ، ومن أجل ذلك كانت تسمى أقصى مقاطعة مصرية فى الجنوب « تاستى» أى أرض النوبة[١] . وليس لنا علم بالوقت الذى وسعت فيه للمرة الأولى مصر حدودها نحو الجنوب . ولكن المحقق أن هذا التوسع قد حدث فى وقت مبكر إذ فى عهد الأسرة الثالثة كانت توجد على ما يظهر بعض حصون فى « الفنتين » فقد وجد اسم الملك « حونى » على قطعة من الجرانيت يحتمل أنها من حصن قديم هناك . غير أن ذلك مجرد تخمين[٢] . ويقول « بنكر » من جهة أخرى إن تأسيس هذا الحصن كان فى عصر ما قبل الأسرات[٣] مباشرة . وقد يكون ذلك فرضا صحيحا غير أنه ليس لدينا ما يؤيد هذا الفرض .

وجاء على لوحة الملك « نحا » عبارة « ضرب ستى » غير أننا لا نعرف إذا كان المقصود هنا بكلمة « ستى » هو بلاد النوبة أو مقاطعة « تاستى » أولى مقاطعات الوجه القبلى من الجنوب .

ونجد فى قبر الملك « ودمو » أحد ملوك الأسرة الأولى « بالعرابة المدفونة » أنه استعمل فيه قطعا من الجرانيت الأسود مما يدل على أن « الفنتين » كانت على ما يظن فى يد المصريين لأن هذا الحجر كان يستخرج منها[٤] .

وفى عهد الأسرة الثانية نرى نشاطاً سياسياً مصرياً خارج حدود مصر ضد بلاد « تاستى » يدل على ذلك لوحة النصر التى أقامها الملك « خع سخم » وقد عثر عليها فى بلدة « هيراكنبوليس[٥] » (الكاب[٦] الحالية) . ولكن مما يؤسف له جد الأسف

(١) راجع كتاب أقسام مصر الجغرافية للمؤلف ص ٣٣ الخ .
(٢) راجع Borchardt, Altägyptische Festungen, etc., p. 41 ; A.Z., 46 p. 12 ff
(٣) راجع Kubanieh-Süd, p. 5
(٤) راجع Petrie, Royal Tombs, II, p. 9 f
(٥) راجع كتاب أقسام مصر الجغرافية للمؤلف ص ٣٩
(٦) راجع Quibell, Hierakonpolis, II, Pl. LVIII

أن هذا الأثر قد وجد مهشما ولكن بقيت منه صورة العدو المقهور على أمره ظاهرة وعلى رأسه العلامة الدالة على لفظة « ستي » أى النوبة . وقد ظن الأستاذ « نيو برى » أن أسطورة الآله « حور » التى وضعت فى العصور المتأخرة فى معبد « ادفو » توجد فيها نواة تاريخية وأنها تعكس أمامنا الحروب التى شنها هذا الملك على أعدائه النوبيين (١) . ففى نقش « أدفو » هذا ذكر كيف أن الملك المؤله « حور أختى » عند عودته من حملة مظفرة على بلاد النوبة كشف عن مؤامرة ثورية فى مصر ، وبعد أن قضى على الثوار واقتفى أثرهم حتى « ثاروا » على الحدود الشمالية للدلتا رجع إلى الجنوب وهزم البقية الباقية من الأعداء فى بلاد « واوات » فى « شاسحرت » . وقد تناول الأستاذ « كيس » هذه الخرافة بالنقد مفندا إياها (٢) ، وقال عنها إنها تشير إلى حرب متأخرة ، هذا إلى أن اسم « شاسحرت » من عنصر طرازه متأخر وضعت فى عصر حديث نسبياً (٣) ، فهذا المكان موقعه هام كما يدل على ذلك نقش فى متحف « اللوفر » (٤) من عهد الأسرة السادسة والعشرين إذ جاء فى هذا النقش أن الجنود المرتزقة فى عهد الملك « ابريز » (٥٨٨ — ٥٦٨ ق . م .) قد هاجروا إليه وقد منعهم من ذلك المشرف على فتح باب الجنوب للبلاد الأجنبية (٥) . ومن أجل هذا يجب ألا نجعل لما جاء فى هذه الخرافة الدينية صلة بسياسة الملك « خع سخم » .

هذا وقد نسب كل من « أمرى » و « كروان » سقوط مجموعة A وهى التى وجدت آثارها فى هذا الوقت فى المقابر النوبية إلى الحروب التى شنها « خع سخم » (٦) غير أنه يصعب البرهنة على صدق هذه النظرية .

---

(١) راجع Newberry, Ancient Egypt, (1922), p. 40 ff

(٢) راجع Kees, Kultur und Urgesch., p. 345 ff

(٣) راجع Dic. Geogr., V, p. 107

(٤) Louvre A. 90

(٥) Schafer, Kriegerauswanderungen Unter Psammetik und Soldneraufstand unter Apries. Lehmann Kornemann, Beitrage zur Alten Geschichte, IV, 152 ff, Leipzig, 1904.

(٦) Emry-Kirwan, The Excavation and Survey between Wadi Es-Subua and Adindan. p. 2

ولدينا نقش آخر عثر عليه فى « جزيرة سهيل » يرجع عهده لعصر البطالمة جاء فيه أن الملك « زوسر » يهدى للاله « خنوم » رب « الفنتين » إقليم « دودكاشوينوس »[١] النوبى . وحقيقة الأمر فى ذلك أن كهنة الإله « خنوم » إله « الفنتين » أرادوا أن يحموا حقوق هذا الإله القديمة من جور الإلهة « أزيس » التى أدخلت عبادتها حديثا على شعائر القوم فى معبد « الفيلة » (أس الوجود) ، وقد لعبت دوراً هاماً فى تاريخ مصر فى هذا العهد ، وكان لها مكانة عظيمة بقيت حتى نهاية العهد الوثنى ، فلجأ كهنة « خنوم » كما كانت الحال دائما إلى الخرافات القديمة لتجديد حقوقهم وتمسحوا بملك قديم ذائع الصيت كان مؤلها ولا تزال ذكرياته فى أذهان القوم . ولا غرابة فى أن انتخب هؤلاء الكهنة « زوسر » فإن وزيره « امحتب » كان فى الأزمان المتأخرة يعد إلها أو بطلا من أبطال التاريخ المصرى . وليس فى التجاء كهنة « خنوم » إلى وثائق قديمة أى دليل على أن أرض « الدودكاشوينوس » كانت ملكا للفرعون « زوسر » فعلا وأنه كان مستولياً عليها — كما ادعى بعضهم ذلك — فإنه لم توجد لدينا أية وثيقة أصلية تدل على أن هذا الملك كان ذا نشاط سياسى فى البلاد الواقعة جنوبى مصر أى فى بلاد النوبة .

أما أول حملة رسمية تاريخية على بلاد النوبة فكانت فى عهد الملك «سنفرو» أول ملوك الأسرة الرابعة وقد جاء ذكرها على حجر « بلرمو » . وهذا الحجر الذى وجد ناقصاً يحتمل أنه نقش حوالى نهاية الدولة القديمة . وقد جاء فيه ذكر أسماء ملوك المصريين من أول الأسرة الأولى وما بعدها بالترتيب التاريخى ، وكذلك الحوادث الهامة لكل سنة من حكمهم . ولما كانت الوثائق فى عهد العصر المبكر تؤرخ على حسب هذه الحوادث الهامة فإن مثل هذه القائمة كانت ضرورية للرجوع إليها . وقد وجدنا واحدة من سنى الملك «سنفرو» (حوالى ٢٩٠٠ ق . م) قد جاء فيها : سنة بناء الـ . . . سفناً طولها مائة ذراع من خشب مر ، وتخريب أرض السود وإحضار ٧٠٠٠ أسير من الرجال

---

(١) أى اقليم الاثنى عشر ميلا الواقعة خلف الشلال .

والنساء و ٢٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية الكبيرة والصغيرة ، الخ[١]. ولكن فى هذا الوقت كانت ثقافة مجموعة A فى بلاد النوبة السفلى قد انقرضت وظهرت فى مقابر الثقافة التى خلفتها ، (أى ثقافة مجموعة B) علامات الفقر المدقع. ومن ثم يميل الإنسان إلى الاعتقاد بأن ثقافة مجموعة A قد لاقت ضربتها القاضية فى هذه الحروب التى شنها « سنفرو »[٢] . وهذه السياسة التى ظهر نشاطها فى بلاد النوبة يحتمل أنها السبب الموضح لذكر إله النوبة « ددون » فى متون الأهرام . ومما يجدر ذكره هنا أن الإله « ددون » هذا قد جاء ذكره فى متون الأهرام بوصفه جالب البخور الذى يعد من محاصيل البلاد الجنوبية[٣] .

ثقافة المجموعة B فى بلاد النوبة :

بعد هذه اللمحة عن علاقات مصر ببلاد النوبة فى العهد الطينى حتى أوائل الأسرة الرابعة نعود إلى التحدث عن ثقافة المجموعة B كما نستنبطها من مقابر بلاد النوبة .

وثقافة هذا العصر تقابل من حيث الزمن عصر بناة الأهرام حتى الأسرة السادسة ، غير أنه لم يوجد فيها أى تأثير مصرى بارز ، فلم نجد فى مقابر القوم أى نوع من الكتابة ، هذا إلى أن الفخار الذى وجد فى مصر فى عصر الأسرة الثالثة لم ينقل إلى بلاد النوبة . والواقع أن الحضارة النوبية لهذا العصر ليست إلا صورة منحطة من ثقافة المجموعة $\overline{A}$ التى على ما يظهر تختلف عنها .

وقد عثر على آثار لهذه الثقافة فى جبانة « الشلال » رقم ٧[٤] وفى خور « أميوكول » بالجبانة رقم ١٤[٥] وفى « بجرف حسين » بالجبانة رقم ٧٧ المقابر ١٠٠ الخ. وهذه الجبانة هامة

(١) راجع Urk. I., p. 236

(٢) راجع Emery—Kirwan, Ibid, p. 2

(٣) راجع Pyr., 1017, 1718,. A.Z., 50 p. 74

(٤) راجع Reisner; Ibid p. 33 ff.

(٥) راجع Ibid, p. 141 ff.

لأنها تبين لنا الانتقال من الثقافة A رقم (٢) إلى الثقافة A رقم ٣[1] هذا إلى مدافن صغيرة جداً عن المدافن السابقة كالتى فى الجبانتين رقم ٤١ و ٤٥[2]

ويلحظ أن مقابر هذا العصر كانت بيضية أو مستطيلة الشكل ذات أركان مستديرة والجسم فيها وضع مضطجعاً ومقرفصاً على جانبه الأيمن أو على الجانب الأيسر فى اتجاهات غير منتظمة ، وغالبا ما نجد الجسم ملفوفاً فى جلد ماعز أو فى حصير . أما الأثاث الذى كان موضوعا مع الجسم فكان فى العادة يتألف من أوان من الفخار ، غير أنها لم تكن كثيرة العدد ، وأهم نوع هو فخار سميك مصقول لونه أحمر وفخار ذو شريط أسود يشبه فخار ثقافة مجموعة A (١ — ٢) ، غير أنه أكبر منه وأقبح شكلا ، هذا إلى أطباق ساذجة نصف مستديرة . ولم يوجد فى مقابر هذا العهد أوان من الحجر . وكذلك كان الخرز والكرنلين والأشياء المصنوعة من المحار أو الميناء الزرقاء نادرة الوجود . ولم يعثر بين الآلات النحاسية إلا على المخراز . أما الأدوات المصنوعة من العظم مثل أطراف السهام والإبر ومقابض السكاكين والملاعق فكانت توجد بكثرة فى مقابر هذه الثقافة .

علاقات مصر ببلاد النوبة فى عهد ثقافة المجموعة B :

وصلت بلاد النوبة فى عهد ثقافة المجموعة B إلى درجة عظيمة من الفقر ، ولذلك كان فى استطاعة المصريين أن يرسلوا بضائعهم بدون عائق إلى الجنوب . وقد كان من جراء تهدئة الأحوال فى بلاد النوبة السفلى تهدئة واسعة النطاق أن أخذ المصريون يستغلون محاجر الديوريت التى تقع على مسافة تتراوح ما بين ٦٥ إلى ٨٥ كيلو متراً فى الصحراء فى الشمال الغربى من بلدة « توشكى » فكانت الأحجار تجلب إلى « توشكى » هذه ، ومن ثم ترسل إلى مصر على ظهر النيل ، وقد عثر فى هذه المحاجر على أسماء الملوك «خوفو» و«ددفرع» و«ساحورع» و«زدكارع» و« أسسى »[3] . وهذا المكان الذى كانت

(١) راجع Firth, I, p. 123 ff

(٢) راجع Reisner, p. 211 ff and 262 ff

(٣) راجع A. S., T. 33, p. 65 ff; T. 38, p. 369 ff. and 678 ff.

تقطع منه الأحجار يسمى فى النقوش المصرية «حامت» ولا يبعد كثيراً عن طريق واحة «النخيلة» و «دنقلة» . وتدل شواهد الأحوال على أن ملوك الأسرة الرابعة كانوا يقطعون تماثيلهم من حجر الديوريت من هذه الجهة . ولا نزاع فى أن استغلال هذه المحاجر الواقعة فى صحراء بلاد النوبة وجلبها إلى «توشكى» ثم إلى مصر يدل على أن أهالى بلاد النوبة لم يكونوا محاربين ، ولا غرابة فإن أهل النوبة الفقراء لم يكن لديهم القوة ليقفوا أمام المصريين الأقوياء ، ولذلك كان من صالحهم أن يعيشوا فى سلام ومهادنة مع مصر وأن يعملوا على تنمية العلاقات الودية بينهم وبين المصريين .

وهذا النشاط السلمى الذى كانت تسلكه مصر فى بلاد النوبة السفلى تدل عليه النقوش التى عثر عليها فى «توماس» فى عهد الملوك «ساحورع» و «أسسى» و «تيتى» و «بيبي الأول» [1] . يضاف إلى ذلك أنه وجد اسم الملك «خوفو» فى «جزيرة سهيل» [2] . هذا وقد نقش عدد عظيم من الموظفين أسماءهم وألقابهم على صخور «توماس» ، وبعض هؤلاء الموظفين كانوا يعملون فى عهد الأسرة السادسة ومن المحتمل أنهم كانوا معروفين فى «الفنتين» . وتلقى ألقاب هؤلاء الموظفين ضوءاً على ما كان لهم من نشاط فى بلاد النوبة ، فنجد بعضهم كان يحمل لقب «المشرف على السفينة» أو «كاتب السفينة» مما يدل على قيام السياحات فى النيل من مصر إلى بلاد النوبة ، هذا إلى أن عدداً كبيراً من هؤلاء الموظفين كان يحمل لقب «المشرف على التراجمة» ، ولدينا اثنان من هؤلاء يحمل كل منهما لقب «المشرف على الجنود» ومن المحتمل أن عملهما كان متصلا بالنشاط الحربى فى الصحراء [3] .

وفى عهد الأسرة السادسة أسعفتنا النقوش الأثرية بمعلومات ثمينة تكشف لنا النقاب عن صفحة جديدة فى تاريخ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة ، وذلك

---

(١) راجع Weigall, Report, pl. 57, 58

(٢) راجع A. S., II, p. 171

(٣) راجع P. S. B. A., 37, 117 ff; Bull. Inst. Fr., 13, 141 ff.

أنه فى هذا العهد أخذ الموظفون الذين قاموا ببعوث تجارية مع الجنوب يتحدثون عن رحلاتهم فى الجنوب ويوضحون علاقة بلاد النوبة بمصر. ولا بد لنا عند التحدث عن المادة التى لدينا من هذا العهد أن نكون على بصيرة من أن حدود مصر بقيت حتى العهد الرومانى عند « الشلال الأول » وأن المصرى لم يبحث يوما من الأيام — على قدر ما نعلم — وراء ضم الجزء الجنوبى من هذه النقطة إلى بلاده ، ويبرهن على ذلك نقشان هامان خلفهما لنا الملك « مرنرع » أحد ملوك الأسرة السادسة فى منطقة « الشلال » . والنقش الأول حفر فى الصخور الواقعة على الشاطىء الشرقى قبالة « جزيرة هيس » والثانى نقش على الصخور التى فى الشارع القديم لمدينة « أسوان » المؤدى إلى « الفيلة » [1] . والنقشان موحدان فى كلماتهما وهى : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « مرنرع » محبوب « خنوم » رب « الشلال » السنة الخامسة الشهر الثانى من فصل الصيف اليوم الثامن والعشرون . لقد أتى الملك بنفسه وعاد وقد وقف على ظهر الجبل وقبل أمراء « وارثت » و « واوات » الأرض بين يديه ومدحوه كثيراً » .

وهذا النقش يدل صراحة على تفتيش للحدود الجنوبية التى أتى إليها من بعيد الأمراء الأجانب من مختلف أنحاء البلاد النوبية ليقدموا لجلالة الملك خضوعهم وولاءهم . ولا نزاع فى أن هذا النقش خاص بالحدود، ومن المحتمل أنه كان من نوع النقش البالغ القصر الذى نقشه الملك « وناس » آخر ملوك الأسرة الخامسة فى « الفنتين » وقد جاء فيه : « حور — واز — تاوى » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وناس» سيد البلاد الأجنبية معطى الحياة والصحة إلى الأبد محبوب «خنوم» معطى الحياة أبديا » [2] .

ومما يدل كذلك على ان الحدود السياسية لمصر كانت بالقرب من « الفنتين »

---

(١) راجع Sethe, Urk., I, 110, III.

(٢) راجع Urk., I, p. 69

أنه عندما أنشئت وظيفة « المشرف على الوجه القبلى » فى النصف الثانى من الأسرة الخامسة كانت « الفنتين » أو بعبارة أخرى المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى تعد الحد الجنوبى لنفوذ حامل هذه الوظيفة . ففى كل مرة ذكرت فيها على النقوش كانت تعتبر حدود الدولة منتهية عند الشلال .

وقد أخذت تظهر الأهمية البالغة لمراقبة الحدود عند « الفنتين » فى منتصف الأسرة السادسة ، وذلك عندما ظهرت أمامنا وظيفة « حارس باب الجنوب » فى ألقاب أمير المقاطعة فقد سمى « كار » فى نقش عثر عليه فى « ادفو » من عهد الملك « مرنرع الأول » : « السمير الوحيد وكاتم السر الأول لكل كلمة سرية تأتى من باب « الفنتين » وكاتم السر لكل كلمة تأتى من الباب الضيق للبلاد الأجنبية ، ومن البلاد الجنوبية »[١] . ومثل هذه الألقاب لم يكن يحملها أمراء الجزء الجنوبى من مصر وحدهم بل نجد كذلك أن حاكم مقاطعة (القصر والصياد) (Chenobsokion) المسمى « ثاوتى » فى نقش له ببلدة « القصر والصياد »[٢] يحمل لقب « المشرف على الوجه القبلى » وينعت بلقب « الذى يملأ قلب الملك (أى ثقته) فى الباب الضيق للجنوب وكاتم سر الباب الضيق للجنوب » ، مما يدل على أن هذه الوظيفة كانت عظيمة الخطر .

وكان الوزير « بيو » فى « منف » فى نهاية عهد الملك « بيبى الثانى » يلقب « المشرف على الباب الجنوبى والمشرف على الباب الشمالى لمصر »[٣] . ومن مدلول هذه الألقاب نعلم أن الوظيفة التى نتحدث عنها الآن كان لها مكانة عظيمة فى شمالى البلاد كما كان لها خطرها فى الجنوب ، وأن مراقبة الحدود الجنوبية كانت تلعب دورا هاما فى سياسة البلاد كما سيتضح ذلك جلياً عند التحدث عن الحدود المصرية الجنوبية فى عهد الدولة الوسطى .

---

(١) راجع Urk., I, 253-4

(٢) راجع Urk., I, 257

(٣) راجع Kees, Beiträge zur Gesch. des Vezirats im Alten Reich ; p. 52

وبهذه المناسبة عثر على قطعة بردى لها علاقة بمراقبة الحدود وجدت فى نفس « الفنتين » ، غير أنها بكل أسف ممزقة ولم يمكن أن نستخلص منها نتيجة حاسمة .

والظاهر أنها خاصة بمنازعات قضائية وقد جاء فيها ما يأتى : « عند ما سار النوبى نحو الشمال إلى المكان الذى كان فيه كبار الموظفين . . . لم تحضر إلى أى نسخة من القائمة (؟) » وعلى الرغم من عدم إمكاننا استخلاص نتيجة من هذه الورقة فإن الظواهر تدل على أن الكاتب المسئول عن مراقبة الحدود يأسف لعدم إرسال القائد المصرى للنوبيين أية صورة من القائمة الخاصة بأسماء المهاجرين ، على أنه من جهة أخرى يجوز أن المتن ليس له علاقة بالحدود[١] .

وتدل الأحوال على أن محط الحدود كان الوافد على مصر يراقب عنده ، وكذلك يراقب ما يدخل من سلع إلى بلاد النوبة كما كان يعد المكان الرئيسى للتجارة الذاهبة إلى الجنوب ، أما الإقليم الذى خلفه فكان يعتبر مسرحاً للتجارة . ولا نزاع فى أن هذا هو السبب الطبيعى الذى جعل أمراء « الفنتين » يقيمون مقابرهم فى هذه البلدة . ومن المحتمل أن الأفراد الذين نقشوا كتابات على الصخور فى هذه الجهة قد لعبوا دوراً رئيسياً فى سياسة مصر الجنوبية فى هذا الوقت[٢] . والسواد الأعظم من كبار رجالة القوم الذين قاموا بحملات إلى بلاد السودان كانوا من مواطنى « الفنتين » هذه . وسنورد هنا إتماماً للفائدة ما يمكن إيراده من أسماء هؤلاء الموظفين :

(١) « نيسوخو » (٢) « حرخوف » (٣) « بيبي نخت » (٤) « سبنى »
(٥) « ونى » (٦) « خوى »[٣] (٧) « ثيثى »[٤] (٨) « أوفر » (؟)[٥]

(١) راجع Hierat. pap. Berlin, III, pl. VII
(٢) راجع Weigall, Report, Pl. 57.
(٣) راجع نقوش « خوى » فى Sethe, Urk., II n. 29 p. 140 وقبره قبالة « الفنتين » .
(٤) راجع نقوش « ثيثى » Sethe, Urk. I. No. 30, p. 141 وهو حاكم مقاطعة « الفنتين » ويعلن فى نقوشه أنه جمع محاصيل الأقاليم الجنوبية للملك وعاد بها وقبره قبالة « الفنتين » .
(٥) راجع قائمة هذه الأسماء فى : Reisner, Kerma, V, ; p., 587

(٩) «سابى» (١٠) «أقب» (١١) «تيتى عنخ»[1] (١٢) «ارى» «والد حرخوف» (١٣) «حابى»[2] (١٤) «عاوو» (١٥) «حمنتحب» . ولدينا غير هؤلاء أسماء عدد من قواد السفن دوّنت أسماؤهم على الآثار ، فلدينا قائد سفينة يدعى «حتتى» ذكر اسمه على لوحة جنازية وكذلك لدينا عدد من أسماء قواد السفن نقشت أسماؤهم على الصخور النوبية نخص بالذكر منهم «أحى» و «خنوم حتب» و «حنى» وبعض أسماء لم يمكن قراءتها وسنورد فيما يلى أعمال بعض هؤلاء الموظفين :

(١) «نيسوخو»[3] : عاش فى عهد الملك «بيبى الأول» وقبره فى «الفنتين» ويحتمل كذلك أن النقش الذى وجد على صخر «توماس» من عمله . و «نيسوخو» هذا يحمل كذلك اسم «شماى» ويلقب السمير الوحيد وحامل خاتم الوجه البحرى والكاهن المرتل والمبجل عند الإله العظيم . ونقش «توماس» يقص علينا أنه فى عهد «بيبى الأول» وأن هذا الفرعون أرسله ليخترق بلاد «ارثت» الخ .

(٢) «حرخوف» : عاش فى عهد كل من الملك «مرنرع» و «بيبى الثانى» وقبره فى «الفنتين» وهاك ترجمة نقوشه : «قربان[4] يقدمه الملك لانوبيس الذى على جبله والذى على رأس محرابه الذى فى الواحة وسيد البلاد المشرقة (الجبانة) ، لأجل أن يدفن «حرخوف» فى الجبل الغربى (بعد) أن يصل إلى شيخوخة جميلة جداً بوصفه مبجلا أمام الإله العظيم . . . الإله العظيم . الأمير الوراثى حاكم الجنوب وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد والكاهن المرتل والمشرف على التراجمة والمبجل عند الإله «بتاح سكر» «حرخوف» » .

---

(١) تيتى عنخ المسمى امحتب Davies, Rock Tombs of Sheikh Said, p. 31 .

(٢) حابى Ibid, p. 34 .

(٣) راجع De Morgan., Cat. I, p. 158 ff.; Eleph. Pap. 10523; Urk. I, p. 208

(٤) راجع Urkunden des Alten Reichs, p. 120 ff

« قربان يقدمه الملك و« أوزير» سيد «ددو» (بوصير) لأجل أن يسير (أى « حرخوف ») فى سلام على الطرق الجميلة للغرب، وهى التى سار عليها المبجلون، ولأجل أن يصعد نحو الإله رب السماء بوصفه مبجلا أمام . . . الأمير الوراثى (والتشريفاتى) ونائب الملك فى «نخن»، ورئيس الشعائر فى نخب (الكاب الحالية) والسمير الوحيد والكاهن المرتل المبجل عند «أوزير» «حرخوف» .

« قربان يقدمه الملك لأجل أن يحدث خروج الصوت من أجله فى الجبانة والكاهن المرتل يقوم بتأدية الشعائر فى كل أعياد رأس السنة وعيد «تحوت» وفى كل الأيام . . . حامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد والكاهن المرتل والمشرف على التراجمة «حرخوف» .

ترجمة حياته : « لقد أتيت اليوم من ضيعتى، ونزلت من مقاطعتى، وبنيت بيتى وأقمت له أبوابا، وحفرت بحيرة وغرست أشجار (جميز) وقد مدحنى الملك وقد عمل والدى وصية فى صالحى لأنى كنت ممتازاً . . . ومحبوبا من والدى ممدوحا من والدتى ومحبوبا من كل أخوتى وأعطيت الجوعان خبزاً وكسوت العريان وعبرت النهر بمن لا يملك قاربا (فى قاربى) » .

« وأنتم يأيها الأحياء الذين يسيرون على الأرض وسيمرون بالقرب من هذا القبر فى أثناء انحداركم فى النهر أو صعودكم إذا قلتم : ألفا من الخبز وألفا من جرار الجعة لأجل صاحب هذا القبر فإنى سأتدخل من أجلكم فى عالم الآخرة لأنى روح ممتاز مجهز وكاهن مرتل ذو فم مثقف » .

« على أن كل من سيدخل هذا القبر وهو نجس فإنى سأقبض عليه كالطائر الجارح وسيحاكم على ذلك أمام الإله العظيم » (يقصد هنا المحاكمة أمام الإله «رع» أو أمام الإله «أوزير» الذى أصبح منذ نهاية الدولة القديمة إله الموتى الذى سيحاكم فى عالم الآخرة) .

« وإنى رجل يقول ما هو حسن ويعيد ما يحب (لا يئم) ، ولم أقل قط ما هو خبيث لرجل قوى أو لأى إنسان لأنى رغبت فى أن تكون الأشياء طيبة من أجلى أمام الإله العظيم » .

« وإنى لم (أفصل بين الأخوين) بطريقة تجعل الابن يحرم ميراث والده » .

« قربان يقدمه الملك و « أنوبيس » الذى على جبله والمشرف على الساحة المقدسة ليخرج الصوت بالقربان له فى الجبانة لأجل المبجل عند « أنوبيس » رئيس جبله والمشرف على الساحة المقدسة . . . » .

« الأمير الوراثى والسمير الوحيد والكاهن المرتل (والتشريفاتى) ، نائب الملك فى « نخن » ، ومدير الملك فى « نخب » وحامل الخاتم الملكى فى الوجه البحرى والسمير الوحيد والمرتل والمشرف على التراجمة ، ورئيس الأسرار لكل الأوامر الخاصة بالحدود الجنوبية وصاحب الحظوة عند مليكه « حرخوف » ، حامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والمرتل والمشرف على التراجمة الذى يحمل الضرائب المستحقة للزينة الملكية ، والمشرف على كل البلاد الأجنبية الجنوبية ، والذى ينشر الفزع من حور فى البلاد الأجنبية والذى يفعل كل ما يرغب فيه سيده ، وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والمرتل والمشرف على التراجمة المبجل عند « بتاح سكر » « حرخوف » يقول :

الحملة الأولى إلى بلاد « يام » :

« إن جلالة « مرنرع » سيدى قد أرسلنى فى الوقت نفسه مع والدى السمير الوحيد والمرتل « آرى » إلى إقليم « يام » (مكان مجهول) لنكشف عن الطريق المؤدية إلى هذا الاقليم الأجنبى . وقد قمت بذلك فى مدة سبعة أشهر وقد أحضرت كل الهدايا من هناك . . . وقد مدحت من أجل ذلك كثيراً جداً » .

الحملة الثانية :

« لقد أرسلني جلالته مرة ثانية وكنت وحدى . وقد خرجت على طريق «الفنتين»[1] وانحدرت نحو «أرثت» و «مخر» و «ترس» و «أرثت» فى ثمانية أشهر . وقد انحدرت حاملا محاصيل هذا البلد الأجنبى بكميات عظيمة جداً . ولم يحدث مرة أن شيئاً مماثلا قد حمل من هذه البلاد من قبل . وقد انحدرت من مخيم رئيس «سثو» و « أرثت » بعد أن اقتحمت مجاهل هذه البلاد الأجنبية » .

« ولم يشهد من قبل أن أى سمير مشرف على التراجمة قد فعل ذلك موغلا فى إقليم «يام» من قبل » .

الحملة الثالثة إلى إقليم «يام» :

« لقد أرسلنى جلالته مرة ثالثة إلى بلاد «يام» فخرجت من (منف) متجها نحو العرابة المدفونة عن طريق إقليم الواحة (؟) وقد وجدت رئيس «يام» الذى كان ذاهباً ضد بلاد تمحوا (لوبيا) لمحاربتها ؟ حتى حدود غرب السماء ، وقد سرت معه خلفه حتى بلاد «لوبيا» (تمحو) وقد أخضعته إلى أن عبد كل آلهة مليكى . . وبعد أن أخضعت رئيس « يام » انحدرت ثانية . . . حتى « أرثت » ؛ وعند حدود « سثو » وجدت رؤساء «أرثت » و «سثو» و «واوات» . . . وعدت مع ثلاثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت حنكو و زيت ثاث وجلود الفهد وسن الفيل (؟) وكل محاصيل جميلة » .

«وعندما رأى رؤساء « أرثت» و « سثو » و « واوات » مقدار عظم جنود «يام» وقوتهم وهم الذين انحدروا معى نحو البلاط ، بالإضافة إلى الجنود الذين كانوا قد أرسلوا معى فإن هؤلاء الرؤساء قد جلبوا إلى هدايا : ثيرانا وماشية صغيرة وقادونى

---

(١) تدل شواهد الأحوال على أن « حرخوف » قد بدأ رحلته من عاصمة الملك متخذا طريقه إلى الفنتين ومن ثم إلى الجهات التى كان يقصدها . وهذا هو الرأى المعقول إذ كان عليه أن يذهب أولا إلى عاصمة الملك ليتجهز و يأخذ التعليمات من مليكه وأصحاب الشأن هناك .

بطريق جبال « أرثت » وكانت يقظتى بالغة أكثر من أى سمير ومشرف على التراجمة من الذين أرسلوا إلى « يام » قبلى ، وعلى ذلك فإن الخادم « حر خوف » (يقصد نفسه) انحدر فى النهر نحو البلاط وقد أرسل (أى الملك) إلى الأمير الوراثى والسمير الوحيد والمشرف على حجرة المرطبات المزدوجة لاستقبالى ومعه السفن المحملة بنبيذ البلح (العرقى) والفطير والخبز والجعة . الأمير الوراثى وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والكاهن المرتل وحامل الخاتم الإلهى ورئيس أسرار كل الأوامر لحدود الجنوب ، المبجل «حر خوف» » .

خطاب الملك « ببى الثانى » « لحر خوف » :

« ختم بالملك نفسه فى السنة الثانية للشهر الثالث من فصل الفيضان اليوم الخامس عشر . مرسوم ملكى للسمير الوحيد ، الكاهن المرتل ، ومدير التراجمة (القافلة) «حر خوف» . لقد فهمت المقصود من خطابك هذا الذى أرسلته إلى الملك فى القصر لتنبئه بأنك قد عدت سالما معافى من بلاد « يام » بالجيش الذى كان معك . ولقد ذكرت فى هذا الخطاب أنك أحضرت معك كل المنتجات العظيمة والطيبة التى منحتها « حتحور » سيدة « أماو » حضرة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نفر كارع » (ببى الثانى) الذى يحيا أبديا ومخلدا . وقد ذكرت فى هذا الخطاب أنك أحضرت قزماً (دنج) يرقص رقصاً مقدساً من أرض الأرواح (تا أخو)مثل القزم الذى أحضره حامل خاتم المقدس « با ور دد » من بلاد « بنت » فى عهد الملك « أسسى » . وقد قلت لجلالتى : « لم يحدث قط من قبل أن واحداً مثله قد أحضر ممن زاروا « يام » . حقاً إنك فعلت ما يحبه و يمدحه سيدك ، حقاً إنك تمضى النهار والليل فى عمل ما يرغب سيدك فيه ويحب ويأمر به . وجلالته يرغب فى أن يمنحك كثيراً من الشرف العظيم حتى تصبح زينة لابن ابنك أبدياً لدرجة أن كل إنسان سيقول عندما يسمع ما فعلته لجلالتى : « هل هناك شئ مماثل لما عمل للسمير الوحيد «حر خوف » عندما عاد من بلاد « يام » وذلك بسبب اليقظة

التى أظهرها لعمل ما يرغب فيه سيده ، وما يحبه وما يأمر به » .

« عد حينئذ فى الحال إلى البلاط منحدراً فى النهر واترك كل شئ آخر (؟) ولتحضر معك هذا القزم الذى جلبته معك من بلاد الأرواح حياً وسليما معافى حتى يقوم بالرقص المقدس وليسرى عن القلب وليسر فؤاد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نفركارع » عاش أبدياً » .

« وأحمل عندما ينزل معك فى السفينة على أن يكون رجالك اليقظون حوله من ناحيتى السفينة ، واعمل على ألا يسقط فى المـاء ، وعندما ينام فى الليل يكون رجالك اليقظون نائمين حوله فى حجرته وفتش عليه عشر مرات كل ليلة لأن جلالتى يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل منتجات بلاد « بنت » وكنوزها » .

« وإذا وصلت إلى البلاط وبصحبتك هذا القزم حيا سليما معافى فإن جلالتى سيقوم بعمل أشياء عظيمة لك ، تفوق التى عملت لحامل الخاتم الإلهى « باوردد » فى عهد الملك « إسسى » وذلك لرغبة قلب جلالتى فى رؤية القزم ، وقد أعطيت الأوامر حاكم إقليم البلاد الجديدة ، السمير ، مدير الكهنة ليأمر بإعداد المأكولات فى كل قصر بيت المحراث (ضياع ملكية)[1] وفى كل معبد دون استثناء » .

(٣) « بيبى نخت » : موظف كبير فى عهد الملك « بيبى الثانى » يحمل ألقابا عدة منها أنه كان السمير الوحيد ، نائب الملك فى « نخن » ورئيس عبادة « نخب » ومدير كل القوافل والمحترم من الإله العظيم « بيبى نخت » يقول : « كنت رجلا يقول ما هو حسن ، ويكرر ما يحب ، ولم أقل قط شيئا يسئ إلى رجل قوى ذما فى أى شخص ، لأنى كنت أرغب فى أن تعرض الأشياء من جهتى حسنة فى حضرة الإله العظيم . لقد أعطيت خبزاً للجائع وكسوت العريان ولم أقض قط بين أخوين بحيث يحرم ابن متاع والده ، ولقد كنت محبوبا من والدى ، ممدوحا من والدتى

(١) راجع Urk., I, p. 120 ff

ومحبوبا من أخوتى ذكورا وإناثا . لقد أرسلنى جلالة سيدى لأخرب بلاد « إرثت » فعملت ما مدحنى عليه سيدى ، ولقد ذبحت منهم عددا عظيما . ومن بينهم أولاد الرؤساء والضباط المتفوقين من المحاربين (؟) لأنى كنت بطلا على رأس جيش عظيم من الجنود الأقوياء . وقد سر قلب سيدى منى لكل البعوث التى وكل أمرها لى » .

« وعقب ذلك أرسلنى جلالة سيدى لتهدئة الأحوال فى هذه الممالك . وقد قمت بذلك حتى أن سيدى أثنى على كثيراً أكثر من أى إنسان آخر . ولقد أحضرت معى رئيسى هاتين المملكتين سالمين معافين إلى البلاط ، ومعهما ثيران وماعز حية إلى البلاط ، وكذلك أحضرت أطفال الرئيسين وضابطى المحاربين الذين كانوا معهما » .

(٤) « سبنى »[1] : من حكام « أسوان » فى عهد الملك « ببى الثانى » قد قام بحملة إلى بلاد النوبة لإحضار جثة والده « مخو » الذى سطت عليه قبائل السود وذبحوه ، ونقوش « سبنى » مهشمة فى البداية غير أنه فى إمكاننا أن نفهم منها المعنى المقصود بجملة ؛ ولم يكن « سبنى » عند قيامه بهذه الحملة جاهلا بأحوال هذه البلاد التى قتل فيها والده ، بل يظهر أنه كان مدربا على ارتيادها ، وكان لابد له من ذلك ، لأن وظيفة قيادة القوافل على ما نعلم كانت وراثية فى حكام هذه المنطقة كما شاهدنا ذلك فى « حرخوف » ووالده ، فكان الوالد يعلم ولده الأعمال التى كانت تتطلبها وظيفته .

قام « مخو » والد « سبنى » برحلة ولكنه مات فى خلالها فى جهة ما فى قلب مجاهل أفريقيا فقام ابنه بالبحث عن جثة والده فكتب على مقبرته التى لا تزال إلى الآن بـ « ألفنتين » مع قبر والده : « يقول الأمير حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، مدير الجنوب ، السمير الوحيد ، الكاهن المرتل « سبنى » :

« وعندئذ ذهب ضابط السفينة « أنتف » ومدير . . . « بهكسى » ليحملوا الخبر ،

(١) راجع Urkunden., Ibid., no. 28. p. 135

أن السمير الوحيد والكاهن المرتل « نخو » قد مات وعندئذ صحبت معى جنوداً من ضيعتى ومائة حمار وأخذت كذلك عطورا وشهدا ، وملابس وزيتا و . . . لأقدمها هدايا فى هذه الأقطار ، وسرت نحو بلاد النحسى (السود) هذه . . . وقد أرسلت أناسا كانوا عند بوابة الفنتين وكتبت خطابات لأخبر الملك بأنى سافرت لأحضر والدى من « واوات » و « ارثت » ولقد هدأت الأحوال فى هذه الأقطار الأجنبية . . . وفى الأقطار . . . التى تسمى « ما » ثم « ثر » ثم حملت جثة هذا السمير الوحيد على ظهر حمار ثم ارسلته مع فصيلة من جنود أوقافى . وصنعت له تابوتا . . . وأحضرت معى . . . لأجل أن أنقله من هذه الأقطار الأجنبية . ولم أرسل قط إلى أية بلاد سود . للبلاط . . وقد مدحت كثيرا على هذا العمل ثم عدت نحو « واوات » و «وثك» ، وأرسلت الشريف الملكى «إرى»(1) مع اثنين من ملاك الفلاحين من ضياعى طليعة ومعهما الروائح العطرية . . . وحاجز من العاج لأعلم . . . أنى حملت جثة والدى وكل أنواع هدايا هذه الأقطار . ثم عدت لأضع والدى . . . أما من جهة « أرى » الذى كان فى البلاط فإنه أحضر أمراً بتحنيط الأمير ، حامل خاتم الوجه البحرى ، السمير الوحيد ، الكاهن المرتل « نخو » وقد أحضر . . . محنطين ، والكاهن المطهر الأعلى والتشريفى ، والكاهن الأعلى للأوقاف الجنازية والبكائين وكل قربان بيت التحنيط . وأحضر زيت الشعائر الخاص ببيت التحنيط ، والأشياء السرية لبيت التطهير المزدوج والخاصة ببيت السلاح وملابس من بيت المال ، وكل الملحقات الجنازية أتت من البلاط كما كانت الحال فى أمر الأمير « مرو » . وعند ما وصل « أرى » أحضر معه مرسوما ليثنى علىّ على ما فعلته وقد ذكر فى هذا المرسوم : « لقد فعلت لك كل الأشياء الممتازة تذكارا لهذا العمل العظيم لأنك أحضرت والدك . . . ولم يحدث مثل هذا من قبل » .

« ودفنت والدى فى هذا القبر من الجبانة ، على أنه لم يدفن رجل فى هذه الدرجة

(1) الظاهر أن « ارى » هذا هو والد « سرخوف » السالف الذكر .

بالطريقة التى دفن بها . ثم نزلت فى النهر نحو « منف » حاملا معى منتجات هذه الأقطار الأجنبية وكذلك ما كان والدى قد جمعه . . . جيشى والنحسى (السود) . . . والخادم « سبنى » قد أثنى عليه فى البلاط ؛ ووجه الملك له مدحا لأنه كان صاحب حظوة عظيمة عند الملك . . . وقد أعطيت صندوقا من خشب الخروب يحتوى على عطور وزيوت ، وكذلك منحت حقيبة من الكتان . . . وملابس . وكذلك أعطيت ذهب الجدارة ، وكذلك تسلمت قرابين من اللحم والطيور . . . وعندما كانت تقرب الذبائح كان يذكر ما فعله لى سيدى » .

وقد قيل للخادم « سبنى » (أى له نفسه) : لقد وصل مرسوم من القاضى الأعظم والوزير . . بلدة «نخب» الكاهن الأعظم «أنى» الذى كان وقتئذ فى « برححور رسيت » قائلا : « أنه يمكننى أن أحضر والدى فى الحال ويمكننى أن أدفنه فى قبره شمال « نخب » . ولقد منحت ٣٠ أرورا من الأرض فى الشمال والجنوب وقفا من الهرم المسمى « من صنخ نفر كارع » تقديراً لى » .

(٥) « ونى » أو « أونى »[1] : أحد كبار الموظفين الذى عاصر ملوكا كثيرين ابتداء من الملك « تيتى » وقد دفن فى «العرابة»[2] .

نقوش « ونى » : الأمير الوراثى ، مدير الوجه القبلى (والتشريفاتى) ونائب « نخن » والرئيس الأعظم « لنخب » (الكاب) والسمير الوحيد والمبجل عند « أوزير » أوّل أهل الغرب « ونى » .

عند ما كنت طفلا ممنطقا بالحزام فى عهد جلالة الملك « تيتى » كانت وظيفتى هى مدير المخازن والمشرف على القصر الملكى وملاحظ المزارع ؟؟ . . والمرتل للقصر فى عهد جلالة « ببى » . وقد رفعنى جلالته إلى مرتبة سمير وحيد وكاهن مشرف على ضيعته الجنازية (أى هرمه) .

---

(١) راجع .Urkunden, I., p. 98 ff

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الأوّل ص ٣٧٧

تنصيبه قاضيا : « وعند ما كانت وظيفتى وهى . . . نصبنى جلالته قاضى فم نخن (أى نائبا عن نخن) وكان قلبه مفعما بى (أى يحبنى) أكثر من أى خادم آخر . وقد سمعت الأحوال منفردا مع الوزير عن كل الأشياء السرية وكنت أحقق باسم الملك فيما يتعلق بالخدر الملكى فى محكمة الستة العظام العليا وذلك لأنى كنت ملء قلب جلالته أكثر من أى واحد من أشرافه ، وأكثر من أى واحد من عظمائه ، وأكثر من أى واحد من خدامه » .

إقامة إقبره بوساطة الملك : « لقد رجوت جلالة سيدى أن يحضر لى تابوتا من حجر « طره » الأبيض ، وقد سمح جلالته أن يقلع حامل خاتم ملك الوجه البحرى مع طائفة من البحارة تحت إدارته لأجل أن يحضر لى هذا التابوت من « طره » . وقد حضر به فى سفينة كبيرة من سفن القصر ومعه غطاؤه واللوحة والصدغان والقاعدة . ولم يعمل قط مثل ذلك لخادم آخر ، لأنى كنت ممتازاً فى قلب جلالته ، ولأنى كنت محببا لقلب جلالته ، ولأنى كنت فى قلب جلالته (يحبنى) » .

تنصيب « ونى » المشرف على مزارع البلاط : « وعند ما كنت قاضى ونائب « نخن » (فم نخن) لقبنى جلالته السمير الوحيد والمشرف على مزارعى القصر ، وقد حللت بذلك محل أربعة المشرفين على مزارع القصر هناك . وقد عملت حتى نلت مديح جلالته ، عند ما كنت أجهز القصر ، وعند ما كنت أنظم طريق الملك ، وعند ما كنت أنسق المحاط ، وقد عملت كل ذلك بطريقة جعلت جلالته يمدحنى من أجل ذلك أكثر من أى شئ » .

تعاليم صريحة ضدّ الملكة « ورت حتس » : وبمناسبة قضيته فى الخدر الملكى ضد الزوجة الملكية « ورت حتس » التى أقيمت سراً فإن جلالته جعلنى أدخل لأجل أن أسمع القضية ، وقد كنت وحدى دون أن يكون معى وزير أو شريف بل كنت وحدى . وقد كنت كاملا ومحبباً لقلب جلالته ، وذلك لأنى كنت ملء قلب

جلالته . وكنت أنا الذى أعمل كاتباً ، وكنت وحدى مع القاضى نائب « نخن » ، وذلك لأنى كنت أشغل وظيفة المشرف على مزارع القصر . ولم يحدث قط أن حقق واحد مثلى فى قضية سرية فى الخدر الملكى ، ولكن جلالته جعلنى أحققها لأنى كنت ماهراً فى قلب جلالته أكثر من أى شريف آخر وأكثر من أى عظيم آخر وأكثر من أى خادم آخر » .

الاستعداد لمحاربة أهل الرمال : « وقد شرع جلالته فى القيام بحملة تأديبية على الأسيويين أسياد الرمال . وقد ألف جلالته جيشاً من عشرات الآلاف العديدة من الرجال من كل الوجه القبلى من أول « الفنتين » فى الجنوب حتى « أطفيح » فى الشمال ومن الوجه البحرى جندتهم إدارة الجيش المرتزقة ، وجميعهم فى القلعة فى داخل الحصون (؟) بين نوبى « أرثت » و « المزاوى » و « يام » و « واوات » و « كاو » وبلاد « تمحو » (لوبيا) .

مسير الجيش تحت أمرة « ونى » : وقد أرسلنى جلالته على رأس هذا الجيش فى حين أن الأمراء الوراثيين وحاملى خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمار الوحيدين أصحاب القصور العظيمة (أى الحصون) والرؤساء المشرفين على القلاع فى الوجهين القبلى والبحرى ، والسمار المشرفين على القوافل ، والمشرفين على الكهنة خدام الإله للوجهين القبلى والبحرى ، والمشرفين على جيش الجنود المرتزقة وكان كل واحد منهم على رأس فرقة من المعاقل واقطاعيات الوجهين القبلى والبحرى التى كانوا يحكمونها ، وكذلك «نحسيو» (السود) هذه الممالك الأجنبية ، وكنت أنا الذى سهرت على نظامهم وذلك بوصفى صاحب وظيفة المشرف على مزارعى قصر الملك[1] وبسبب مكانتى لدرجة أنه لم يوضع فرد مكان قرينه ، ولم يسرق من إنسان خبز أو حذاء فى أثناء الطريق ولم يسرق نسيج من أى بلد ولم يغتصب ماعز من أى شخص » .

---

(١) هذا اللقب يذكرنا بوظيفة وكيل الخاصة الملكية فقد كان يشرف على مزارع الملك كلها وكان له نفوذ عظيم فى مصالح الحكومة بعامة .

« وقد قدت هؤلاء الجنود عن طريق جزيرة الشمال و بوابة « امحتب » و إقليم « سنفرو » وذلك بوصفى أنى كنت فى هذه الوظيفة . . . . وقد استعرضت كل واحدة من هذه الفرق ولم يحدث قط أن خادماً قد استعرض جنوداً من قبل » .

عودة الجيش منتصرا : « إن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن حطم أرض أهل الرمال ، وهذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن محا معاقلهم ، إن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن اجتثت أشجار تينهم وكرومهم ، إن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن صب النيران فى كل جنودهم . إن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن ذبح كل جنودهم بعشرات الآلاف العدة ، أن هذا الجيش قد عاد فى سلام بعد أن ساق جنوداً عديدين من الأسرى . وقد مدحنى من أجل ذلك أكثر من أى شئ » .

إخضاع ثورة الأقوام المقهورين : « وقد أرسلنى جلالته خمس مرات قائداً لهذا الجيش لأجل أن أخرب بلاد سكان الرمال فى كل مرة يثورون بفصائل من الجنود ، وقد قمت بواجبى حتى أن الملك مدحنى من أجل ذلك » .

حملة بحرية و برية على بلاد « أنف الغزال » : وعندما قيل إن ثورة قامت لأمر من الأمور بين المتوحشين المجاورين لجهة « الكرمل » (بلاد « أنف الغزال ») نزلت فى سفن البحر مع فصائل من الجنود ورسوت خلف المرتفعات الجبلية فى شمالى بلاد سكان الرمال . وعندما قيد هذا الجيش على المرتفعات ذهبت وقبضت (على العصاة) بأجمعهم وكل واحد من الثوار هزم » .

« ونى » ينصب حاكما على « الوجه القبلى » : « ولما كنت ضابطاً حاملا للحذاء فى القصر العظيم ، فإن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيدى « مرورع » قد نصبنى أميراً حاكما للجنوب من أول « الفنتين » فى الجنوب حتى « أطفيح » فى الشمال لأنى كنت كاملا فى قلب جلالته ، بقدر ما كان قلب جلالته مبتهجاً بى ، و بقدر ما كان قلب جلالته مفعما بى » .

«ولما كنت ضابطاً حامل الحذاء فإن جلالته مدحنى من أجل يقظتى ومن أجل الحراسة التى قمت بها فى القصر . وقد مدحنى أكثر من أى شريف أو عظيم أو خادم» .

«ولم يُمنح قط هذه الوظيفة خادم من قبل . وقد عملت للملك بوصفى حاكما للجنوب بما يرضيه لدرجة أنه لم يوضع إنسان فى مكان جاره ، ولقد مارست كل عمل ، وقد عملت حساب كل شئ حمل لحساب الخزانة فى الوجه القبلى هذا مرتين ، وكل ساعة عمل (سخرة) وضعت فى الحساب لأجل البلاط فى الوجه القبلى هذا مرتين . وقد ملأت وظيفة حاكم بصفة مثالية فى الوجه القبلى ، هذا وقد عملت كله لأجل أن أمدح من جلالته » .

رحلة إلى محاجر « إبهات » فى بلاد النوبة وإلى محاجر « الفنتين » : « وقد أرسلنى جلالته إلى « إبهات » لأحضر تابوتاً (صندوق الحى)[1] مع غطاء بالإضافة إلى هرم صغير ثمين وفاخر لأجل هرم « مرنرع » (الذى يسمى) « خع — نفر — مرنرع » .

وبعد ذلك أرسلنى جلالته إلى «الفنتين» لأجل أن أحضر باباً وهمياً من الجرانيت بقاعدته وعارضتيه لأجل الحجرة العليا الخاصة بهرم «مرنرع» «خع — نفر — مرنرع» .

وقد سحت نحو الشمال من هذا المكان حتى هرم « مرنرع » « خع — نفر — مرنرع » ومعى ست سفن نقل وخمس سفن جربها ثمانية أزواج فى حملة واحدة . ولم تعمل حملة واحدة قط إلى « إبهات » و « ألفنتين » دفعة واحدة فى حكم أى ملك وقد تم كل شئ أمر به جلالته بأكمله كما أمرنى به جلالته » .

حملة إلى محاجر مرمر «حتنوب» فى مصر الوسطى : « أرسلنى جلالته إلى محاجر «حتنوب» لأحضر منها مائدة قربان عظيمة من المرمر . وقد انحدرت

(١) يقصد بالحى هنا المتوفى وذلك لأن المصرى كان يمقت ذكر الموت .

فى النهر من أجل الملك مع هذه المائدة المقطوعة من محاجر «حتنوب» فى سبعة عشر يوما ، وجعلتها تحمل فى النهر (نحو الشمال) فى سفينة نقل . والواقع أنى صنعت لهذا الغرض سفينة نقل من الخشب السنط طولها خمسون ذراعا وعرضها ثلاثون ذراعا وقد ركبت فى سبعة عشر يوما فى أثناء الشهر الثالث من فصل الصيف . وعلى الرغم من أنه لم يكن ماء فى قعر النهر فإنى رسوت سليما عند هرم «مرنرع» (المسمى) : «خع — نفر — مرنرع» . وقد أنجزت كل شئ بشخصى على حسب الأمر الذى أعطانيه جلالة سيدى» .

الحملة الثانية إلى الشلال : «وقد أرسلنى جلالته لتعميق خمس قنوات فى الجنوب ولأجل أن أصنع ثلاث سفن واسعة وخمس سفن نقل مصنوعة من سنط بلاد «واوات» فى حين أن زعماء بلاد «أرثت» و «واوات» و «يام» «والمزاوى» كانوا يوردون الخشب لهذا الغرض ، وقد أنجزت كل ذلك فى سنة واحدة (أى فى بعث) وأنزلت (السفن) فى الماء محملة بالجرانيت بكثرة لأجل هرم «مرنرع» المسمى «خع — نفر — مرنرع» («مرنرع» جميل عندما يظهر) .

«وفضلا عن ذلك حققت اقتصاداً بذلك فى الوقت لأجل القصر بفضل هذه القنوات الخمس فى مجموعها (وكل ذلك) بسبب احترامى وصفاتى الشخصية والتقديس الذى عندى لقوة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «مرنرع» العائش إلى الأبد ، أكثر من كل الآلهة ، وذلك لأن كل شئ كان قد أنجز على حسب الأمر الذى أعطانيه الملك . وإنى أنا المحبوب من والده والممدوح من أمه و إخوته ، أنا الأمير الوراثى حاكم الوجه القبلى المبجل عند «أوزير» «ونى»[1] .

ولا نزاع فى أن وجود هؤلاء العظماء فى «الفنتين» قد أكسبها ثروة طائلة وأضفى عليها بهاء ورونقاً وعظمة حافظت عليها فى كل عصور التاريخ ، ولا تزال من أجل ذلك حتى يومنا هذا مهبط الزوار من كل أقطار العالم لما فيها من آثار جميلة وجو ممتع فى أثناء الشتاء .

(١) راجع Jaques Pierenne, Histoire des Institutions et du droit Privé de l'ancienne Egypte, Tom. III, p. 262; Sethe Unkunden, I, p. 98.

وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء العظماء كانوا يقومون بلا شك بهذه البعوث لحساب الحكومة التى كانت مسيطرة على كل شئ . ولكن مما يؤسف له أن النقوش التى تركها لنا هؤلاء الموظفون الكبار على نحو ما رأى القارئ لم تصف لنا رحلاتهم فى الجنوب إلا باختصار وهذه هى الحال فى كل كتابات الدولة القديمة ، إذ لاتعبر عن الوقائع إلا باختصار فى كل النقوش التى وصلت إلينا ، ولذلك ينبغى علينا ألا ننتظر تفاصيل ضافية عن هذه البعوث كما يرى القارئ فى المتون التى أوردناها خاصة بهؤلاء العظماء .

على أن أكبر صعوبة تعترضنا فى تقدير هذه النقوش هى الصعوبة الجغرافية التى تصادفنا فى تعرف أسماء البلدان التى وردت فى بلاد النوبة ، فقد أصبح من العسير علينا تحديد مواقع الأماكن التى ذكرت فى هذه النقوش ، فنرى أولا أن سرد أسماء الأماكن الجنوبية الواحدة تلو الأخرى كما جاءت فى النقوش المختلفة لايمكن أن يؤدى إلى نتيجة حاسمة ، وذلك لأننا نجد أن هذا الترتيب فى النقوش المختلفة بل وفى النقش الواحد يتغير فمثلا نجد فى نقوش « ونى » أولا أن البلاد « أرثت » و « المزاوى » و« يام » و «واوات» ذكرت على هذا الترتيب و بعد ذلك نجد فى النقش نفسه الترتيب التالى « أرثت » و « واوات » و « يام » ثم « المزاوى » .

وكذلك نجد فى القوائم المتأخرة مثل قائمة «الكرنك» التى يرجع عهدها لحكم « تحتمس الثالث » أن بعض الأسماء التى ذكرت فى الدولة القديمة وحفظت لنا فى هذه القائمة لاتقدم لنا مادة كافية لتحديد موقع هذه الأماكن . والواقع أن معظم هذه الأسماء غير معروف لنا كلية ولذلك لا يمكن تحديد موقعها . ولا يمكن أحداً أن يصل إلى نتيجة من ترتيب هذه الأسماء لأن هذا الترتيب يختلف فى القوائم المتعددة التى جاءت فى النقوش الأخرى المعاصرة .

ولكن إذا جمع الإنسان بين نقوش المقابر والنقوش التى على الصخور فإنه من المستطاع

أن يحدد موقع بعض الأماكن بشئ قد يقرب من الحقيقة . ففى «توماس» حيث تخرج الطريق التى تنعطف عند منحنى النيل فى كرسكو ، وكذلك طريق القوافل التى تخرج من «واحة كركر» والتى ينتهى عند «واحة دنقلة» ، قد وجد الأثرى «ويجول»[1] عدداً عظيما من النقوش التى على الصخور من أزمان مختلفة ، ومن عهد الدولة القديمة بخاصة . ففى إحداها يقول «نيسوخو» السالف الذكر : «لقد أرسلت لأفتح «أرثت» للملك «بيبى الأول» العائش أبديا ، المشرف على مزارع البيت والمشرف على التراجمة «نيسوخو» ومن ذلك يظهر أن أرض «أرثت» كانت بالقرب من «توماس»[2] وكذلك بلاد «واوات» يمكن أن يحدد مكانها بهذه الكيفية ، ولا شك فى أن «واوات» فى عهد الدولة القديمة كانت غير «واوات» فى عهد الدولة الحديثة . فقد كانت فى الأخيرة اسما عاماً لكل بلاد النوبة السفلى ولا يدل استعمالها فى الدولة القديمة على ذلك حيث كانت تقابل تماما الأسماء الأخرى الدالة على أنها جزء من بلاد النوبة ، أما فى الدولة الوسطى فلا نعلم على وجه التأكيد التوسع الذى أحرزته «واوات» وكل ما نعرفه أن «كرسكو» كانت ضمنها على ما يظهر . هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن كلا من «ليونز» و «بركش» قد أشار إلى نقش لم نعثر عليه بعد للملك «امنمحات الأول» . وهو : «لقد أتينا لاخضاع «واوات»[3] .

ويجد فى نقوش «حرخوف» فى رحلته الثانية أن «ستو» و «أرثت» كانتا متجاورتين ويدل على ذلك أن «حرخوف» هذا قد جعل هذين البلدين تحت حكم أمير واحد كما رأينا ذلك فى نقوش «حرخوف» التى ذكرت سالفاً ويجب أن تكون «واوات» مجاورة لهذين البلدين لأن «حرخوف» فى رحلته الثالثة وجد نفس الأمير يحكم «أرثت» و «ستو» و «واوات» والأخيرة أصبحت تحت حكم هذا الأمير

---

(١) راجع .Weigall Report, Pl. 56 ff

(٢) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt., I, 2, p. 231; Weigall Report, p. 9; Daressy, A. S., 20, p. 135 ff.

(٣) راجع A.Z., 20, p. 30

فيما بعد ، ولا يمكن أن تكون واقعة بين « ستو » و « أرثت » وأخيراً يجب أن تكون « يام » جنوب هذه البلاد لأن « حرخوف » اخترق « ارثت » و « ستو » و « واوات » عند عودته من رحلته إلى « يام » . فإذا كانت « ارثت » على ما يظهر تقع عند « توماس » كما يحتمل أن « واوات » تقع عند « كرسكو » فإنه لابد أن تقع « ستو » إما بين « توماس » و « كرسكو » أو جنوبي « توماس » ، والرأى الأخير هو المرجح ، وعلى ذلك تكون « يام » على مقربة من الشلال الثانى فى الجنوب منه . هذا هو رأى الأستاذ « تورجنى سيف زودربرج »[١] . ويميل الانسان إلى جعل موقع « يام » فى الجنوب وذلك لأن وارداتها كانت لا تأتى على ما يظن إلا من بلاد فى داخل افريقية مثل خشب الأبنوس والعاج والبخور ، ولكن من جهة أخرى لا نعلم إلى أى حد كانت هذه المحاصيل بعينها موجودة فى الشمال فى الأزمان القديمة . ومن المحتمل أن الأستاذ « ينكر » كان على حق عندما وحد هذه البلاد بالبقعة التى تسمى « المحس »[٢] ، هذا إلى أن توحيد الأثرى « دارسى » « يام » بجبل « أمام » رأى يستحق التفكير[٣] . ولكن بعد ذلك طلع علينا الأثرى « جان يويوت » برأى آخر وهو أن « يام » هى نفس واحة دنقلة[٤] .

ومن الأمور التى تناولها البحث كثيرا موضوع إحضار « حرخوف » فى رحلته الرابعة قزما للملك « مرنرع » . وهذا الأمر قد أدى إلى الظن بأن « حرخوف » قد أوغل فى رحلته نحو الجنوب حتى وصل إلى أواسط افريقية موطن هؤلاء الأقزام[٥] . وهذا الرأى لا يستند على مصادر أصلية تؤكد هذا الزعم . فلابد من فحص هذا

(١) راجع Agypten und Nubien, p. 15. ff.

(٢) راجع Junker, Ermenne, p. 39

(٣) راجع A S., 20, p. 134

(٤) راجع ماكتب فى هذا الموضوع فى Bulletion De L'Institut Francais D'archeologie Orientale Tome LII, p. 173 ff.. وهذا رأى فيه شك كبير

(٥) راجع Budge, The Egyptian Sudan, I, p. 52 ff.; Moret, L'Egypte Pharaonie, p. 164 Keunz, Bull. Inst., 17, pp. 128, 146 f..

الموضوع هنا على ضوء الحقائق العلمية التى أوردها علماء الآثار فى هذا الصدد[1] .
ولا بد لنا من التفرقة بين الأقزام الذين ورد ذكرهم فى النقوش المصرية ، ونوع من الرجال يولد قميئا من أصل مصرى . ولكن اللغة المصرية القديمة قد عبرت عن نوعى هذين القزمين بكلمة واحدة وهى كلمة « دنج »[2] أو كما جاء ذلك فى متون الأهرام بلفظة « داج »[3] . وقوم الأقزام يسكنون الآن فى منطقة معينة فى داخل افريقيا وقد كان أول من كشف عن موقع بلاد هؤلاء القوم هو العالم الرحالة « شفينفورت » وهو إقليم تابع لمملكة « المانجباتو » التى تقع فى أعالى منابع النيل . وتنحصر مساكن كل الأقزام فى الأحراج والغابات . وكانوا فى الأصل منتشرين فى أماكن أخرى غير أنهم انحصروا الآن فى تلك الغابات ثانية . وكذلك لدينا سكان آخرون قد تقهقروا أمام الفاتحين إلى الأماكن الجبلية التى يصعب السير فيها مثل أهل جبال النوبا فى « كردفان » . ومن المحتمل أن انتشار جلس الأقزام كان عظيما فى عهد الدولة القديمة ويدل على ذلك أن مساكنهم فيما مضى قد امتدت نحو الشمال . أما المعلومات القائلة بأنهم أحضروا من بلاد « بنت »[4] فلا يستند على أساس ، فقد كان من الممكن أن تذكر الطريق التى أحضروا منها إلى مصر . على أن بعد « كرمة » التى تعد أقصى نقطة تجارية فى الجنوب فى عهد الأسرة السادسة من أقصى نقطة فى الشمال يسكنها الأقزام بحوالى ٢٠٠٠ كيلومترا يجعل من المستحيل وجود اتصال مباشر بين المكانين ، كما أن القول بوجود ارتباط تجارى مع طول المسافة وصعوبة الاتصال مع السودان كان من الأمور المستحيلة وقتئذ . ومن جهة أخرى ينبغى علينا ألا نجعل بقعة إقامة

---

(١) راجع Junker, Giza, V, p. 6 ; Hans Felix Wolf, Die Kultische Rolle des Zwerges in Alten Agypten Anthropos, 33, p. 447, Anm 3.

(٢) دنج = القزم وهذا يعبر عن الشىء الصغير وربما كانت كلمة دانق التى لا تزال مستعملة فى الموازين المصرية حتى الآن (حبة ودانق) على أصغر وزن مشتقة من هذا اللفظ .

(٣) راجع Wb., 5, p. 470

(٤) راجع Urk., 1, p. 128 ff.

الأقزام موغلة فى الشمال وإلا لمـا عُدّ إحضار واحد من هؤلاء القوم حينئذ حدثا نادراً فى بابه من الأحداث التاريخية المشهورة .

والواقع أن الأقزام كانوا مطلوبين بكثرة فى مصر وذلك لأنهم كانوا يقومون بالرقص الإلهى . ومما يجدر ذكره هنا أن العبارة التى نترجمها بالرقص الإلهى فى هذا الصدد ليست مفهومة على الوجه الأكمل . وذلك لأنه يمكن أن تعتبر كلمة « إلهى » عائدة على الملك ، لأنه كان يعد إلهـا عند المصريين ، وعلى ذلك يكون الرقص الإلهى تسلية الملك .

ولكن القزم كان ينبغى فى الوقت نفسه أن يستعمل فى الرقص الدينى الخاص بالشعائر ، ولا أدل على ذلك من أننا نرى فى متون الأهرام أن الملك نفسه كان يقوم بدور القزم[1] إذ يقول المتن عن الملك « إنه راقص الإله الذى يسر الإله أمام العرش العظيم » وكذلك تحدثنا الآثار عن « تيوس » (Teos) الشهير وهو قزم قزعة من عهد الملك « نقطانب » ٣١٨ — ٣٦١ م أنه قد رقص فى « كم » (؟) فى يوم دفن العجل « أبيس أوزير »[2] .

ومن المحتمل أنه يوجد فى الأصل رقصة وطنية غريبة تدعى « إباو — نتر » يتقنها قصار القامة لأنهم أتوا من بلاد بعيدة تعتبر مقدسة ، وتسمى كذلك « تا — نتر » الأرض الإلهية ، وقد كان هذا المكان الخرافى هو الذى منه أتت خيرات النيل كما كان يعد منبع البخور . ورقص سكان هذا الإقليم ربما كان له أهمية خاصة . ونحن نرى كيف أن رقص الأقوام الأجانب فى الشعائر الدينية له مكانة هامة مثل رقص « التحو » (اللوبيين)[3] . ورقص « نحسيو » (السود) الذى يلعب دورا فى عيد الإله « مين » . إله الخصب والنماء .

---

(١) راجع. Sethe, Die Altaegyptischen Pyramidentexte, L. 1189

(٢) راجع Spieglberg, A.Z. 64, p. 76 f.

(٣) راجع E. Brunner-Traut, Der Tanz Im Alten Agypten, p. 73 f.

ولدينا حالة هامة لم تلق التفاتاً حتى الآن . وذلك أن الأقزام كان لهم رقصة غريبة على مايظهر . فقد دوّن العالم « شفينفورت » فى كتاب له[1] ما يأتى : « وإذا كانت رقصة السلاح الخاصة بقوم « نيام نيام » قد استرعت إعجابى وتقديرى ، فإن سرورى كان لا حد له هذه المرة فإنه على الرغم من ضخامة كرشه (يقصد القزم) المتدلى وعلى الرغم من قصر فخذيه الدقيقتين فإن « إديموكو » المتقدم فى السن كان يؤدى حركاته بخفة ورشاقة هذا إلى أن قفزاته وهيئته وحيويته كانت تتمثل فى محياه مما كان يثير ضحك كل الحاضرين على الرغم منهم » . والواقع أن مثل هذه الرقصة كانت محببة إلى قلوب المصريين فى عهد الدولة القديمة . ويمكننا أن نفهم إذن كيف أن الحملات إلى بلاد السودان كانت ترسل للحصول على مثل هؤلاء الأقزام . هذا ولم تمنع غرابة حركات الأقزام اشتراكهم فى إقامة الشعائر الدينية .

ويلاحظ أن الأقزام المحليين كانوا أحياناً يشاهدون فى الصور بوصفهم خدما وكانت أجسامهم متناسبة الأعضاء فنرى أن طول الذراعين والساقين متناسب مع الجذع وكان عظم الرأس يتفق مع سائر الجسم ، وقد كان نشاطه يمتد حتى النشاط الذى كان يقوم به قزم من أقزام السودان ، وعلى ذلك فإن الأقزام النادرين الذين نجدهم فى الصور يمثلون الأقزام الحقيقيين لابد أنهم كانوا يتخذون مكانة أخرى بصرف النظر عن أنهم أنفسهم كانوا قليلى الوجود بالبلاط ، والواقع أنهم كانوا لا يستخدمون فى بيوت العظماء وهؤلاء لا يمكن أن نعدهم غلماناً صغاراً يقومون بالخدمة إذ يعترض ذلك الفرض صورة الجسم ولباس الرأس ، وفى هذه الحالة يجب أن يكون الممثل هنا رجلا ولد قميئا ، كما نشاهد أمثال هؤلاء المخلوقات فى كل أجناس العالم ، وعلى ذلك يمكننا أن نستبعد كثيراً من الصور التى أظهرهم فيها المفتن لأسباب خاصة ، إذ هم فى الواقع مخلوقات صغيرة متناسقة الأعضاء فنجد مثلا شخصاً قميئاً قد رسم بجوار محفة سيده وهو يقود حيوان السيد المحبب إليه .

---

(١) راجع Schweinfurth, Im Herzen von Afrika, p. 358

وليس من الضرورى أن يكون الأشخاص الذين يرسمون بطريقة صغيرة من الأقزام بل كان المثالون فى كثير من الأحوال يرسمون أناساً بصورة صغيرة نسبية بوصفهم حاملين سادتهم فيكون رسم التابع متناسبا مع صورة السيد المحمول فى المحفة[1]، وقد لاحظ الرسام فى تأليف هذه الصورة ما لاحظه فى الصورة رقم ٤٤ فى نفس المؤلف من مراعاة النسبة فى الرسم حيث نجد الابنة قد رسمت بجانب والديها بصورة صغيرة جداً ومع ذلك فإنه قد بقى لنا بعض حالات نشاهد فيها أقزاما حقيقيين رسموا بصورة منظمة بوصفهم خدما كما نشاهد ذلك فى مقبرة «تى»[2]، وكذلك صورة القزم فى كتاب «ولكنسون»[3].

وعلى أية حال فإن أمثلة الأقزام قليلة جداً، وفى معظم الحالات نجد القزم قد صور بهيئة قبيحة فيرسم جذعه ورأسه مثل جذع ورأس رجل عادى ولكن ذراعيه وساقيه قصيرة مشوهة بسبب نقص فى الغدة.

الأعمال التى يقوم بها القزم : لم يكن استعمال القزم فى البيت بأية حال مجرد لعبة أو صورة مضحكة يتسلى بها أصحابه أو تابعاً يقوم بعمل تافه، بل كان على العكس من ذلك يقوم فى البيت بكل الأعمال التى لا تتعارض مع تكوين جسمه فلا يزاول الأعمال اليدوية الصعبة التى لا يمكنه القيام بها بحسب تكوينه ولكنه يقوم بالأعمال الأخرى الخاصة بالبيت كما كانت الأعمال الدقيقة كلها من اختصاصه فنجده يقوم بعمل الغلام فى البيت وحارس النسيج والصانع وحارس الماشية، كما نجده يقوم بوظيفة غلام الحجرة يحضر لسيده حاجاته الخاصة كالحذاء والعصا والمخدة والكرسى والمرآة الخ.

وعلى أية حال فإن ذكر «حرخوف» فى نفس المتن الذى وضعه هو بأن مواطناً آخر قد أحضر قزماً من بلاد «بنت» لا يعنى أن رحلات التجار المصريين قد وصلت

(١) راجع Junkor, Giza, V. Fig. 20

(٢) راجع Epron, Le Tombeau de Ti, Pls. 16, 18

(٣) راجع Wilkinson, Manners and Customs, II, Fig. 481, p. 444

إلى هذا الحد فى الجنوب وذلك لأن هؤلاء الأقزام كما شرحنا من قبل ليسوا من فصيلة الأقزام الحقيقيين ، وإذا كان الأمر كذلك فإنا لانعرف إلى أى بقعة شمالا استوطن هؤلاء القوم فى هذا العهد إلا أنه من الجائز جداً أنهم جلبوا بواسطة تجار الرقيق إلى المكان الذى كان يتقابلون فيه مع المصريين فى بلاد النوبة .

هذا ولا يمكن أن نعتبر طول مدة الرحلتين الأخيرتين اللتين قام بهما « حرخوف » تشير إلى أن المصرى قد أوغل فى سياحته نحو الجنوب وأن « يام » موقعها بعيد فى الجنوب وذلك لأننا لا نعرف مقدار سرعة سيره ولم نعرف كذلك المدد التى كان يمكثها « حرخوف » فى البلاد المختلفة التى جاب مجاهلها . وقد فحص الأستاذ « جاردنر » مواقع هذه الأماكن عند تحدثه عن « مجا » (مزا) . فيقول : أن «مزا» أو « مجا » التى جاء ذكرها فى النقوش هى بلاد يسكنها قوم من البدو الرحل ويحتمل أنها تقابل قبيلة « بجا » الحالية[1] . وتعد « المجا » أو «المزا» فى عهد الدولة القديمة أحد الأقاليم النوبية المجاور بعضها لبعض التى منها «واوات» و« يام« و«أرثت» وهذه هى التى جاء ذكرها عادة فى المتون ، وسكان هذه الأقاليم يوصفون بأنهم «النحسيو» وهى كلمة عامة تطلق على الذين من أصل نوبى وليسوا زنوجا[2] . وفى الحملة التى قام بها « بيبى الأول » على بدو « سيناء » نجد أن الجيش الذى كان يقوده « ونى » لمحاربة بدو « سيناء » يحتوى على فيالق من الأقاليم أو القبائل السالفة الذكر[3] . ونجد من بين الموظفين الذين خوطبوا فى منشور مؤرخ بحكم هذا الملك رئيس[4] المترجمين « للمجا » و « يام » و « أرثت » مما يدل إلى حد ما على أنهم كانوا تحت سلطان القضاء المصرى ، وفى العهد التالى أى فى حكم الملك « مرنرع » نجد أن رؤساء « المزا » و « أرثت » و « واوات » قد زاروا جوار « أسوان » ليقدموا

(١) راجع Gardiner, Onomastica, II, p. 73

(٢) راجع Junker, J.E.A. Vol. VII, p. 121 ff.

(٣) راجع Urk., I, p. 101

(٤) راجع Urk., I, p. 209 ff.

خضوعهم للملك شخصياً كما ذكرنا من قبل ، وهذه الحادثة يحتمل أنها كانت تتفق مع مساعدتهم للقائد « ونى » ونجد كذلك هنا أن أمير « يام » قد قام بدوره فى جر قطع خشب السنط للسفن التى استعملها فى نقل الجرانيت لهرم الملك « مرنرع »[1] ، وإذا كان قول الأثرى « ويجول »[2] ، كما ظن حقا ، من أن هذا الخشب قد قطع من داخل هذه الأقاليم التى يحكمها هؤلاء الأمراء فإن هذه الأقاليم لا يمكن أن تقع على مسافة بعيدة من مصر ، والواقع أن الفكرة التى يستخلصها الإنسان من ذلك أن كل هذه الأقاليم كانت تحصر فى مساحة قدرها ٣٥٠ كيلو متراً من النهر بين « الشلال الأول » و « الشلال الثانى » . ولدينا بعض تفاصيل مؤكدة لهذا الرأى يمكن الإنسان أن يلمسها . فإقليم « واوات » كان معروفا أنه امتد شمالا حتى حصن « سنخت » (بجه) . ولدينا نقش على الصخر فى « كرسكو »[3] مسجل فيه حملة قام بها « امنمحات الأول » ليهزم « واوات » وربما تكون الحملة فى هذا الوقت قد وصلت إلى هذا الحد جنوبا . وفى عهد الدولة الحديثة كانت تشمل كل بلاد النوبة السفلى[4] . ولدينا نقش على الصخر للملك « بيبى الأول »[5] فى « توماس » على مسافة ثلاثين كيلو متراً فى أعالى النهر من « كرسكو » يخلد ذكرى موظف قد أرسل إلى هذه الجهة ليقتحم مجاهل « أرثت » ومن ثم يمكن أن نستنبط أن « توماس » كانت فى داخل هذا الإقليم . وعلى أية حال فإن أمير « أرثت » كان كذلك أمير « ستو » التى أشير إليها بأنها فى أسفل « أرثت »[6] . وعلى ذلك يجوز أن « واوات » فى عهد الأسرة السادسة لم تصل فى امتدادها إلى أعالى النهر حتى « كرسكو » . وكان أمير

---

(١) راجع Urk., I, p. 109

(٢) راجع Weigall, Antiquities of Lower Nubia, p. 5 ff.

(٣) راجع A.Z., XX, p. 30

(٤) راجع Reisner, J.E.A., Vol. VI, p. 84

(٥) راجع Weigall, Ibid, Pls. 56, 58, p. 108 ; Urk., I, p. 208

(٦) راجع Urk., I, pp. 125-127

« الفنتين » « حرخوف » قد أرسل فى عهد الملك « مرنرع » للكشف عن مجاهل « يام » وهى تقع بدهيا بعيداً عن مصر أكثر من « سثو » و « أرثت » اللتين ذكرهما[1] فى نقوشه ولما لم يكن قد تكلم عن « مجا » (مزا) فإنه يظهر إذاً أنها كانت تقع بعيداً عن هذه الجهات ، والبراهين التى تدل على موقع « مجا » (مزا) فى هذا العهد المبكر تعوزنا ، ولكن لا يحتمل أنها تقع جنوب الشلال الثانى وإن كان « ويجول »[2] قد أخطأ بالتأكيد فى قوله إنها تمتد شمالا حتى « الدر » القريبة من « توماس » وعلى ذلك كان من الواجب أن يكون ضمنها « أرثت » . وفى عهد الدولة الوسطى يصادفنا اسم الحصن « خسف مزاو » = « صد المزاوى » (فرص) وهذا يقدم لنا شاهداً هاما على أنه عند ما بنى هذا الحصن — وذلك لم يكن قبل الدولة الوسطى — كانت هجمات « المزاوى » منتظرة فى هذه النواحى[3] . وإذا لم يعتبر « المزاوى » فى ذلك العهد من الأقوام المعتدين لكان الكلام السابق من لغو القول . وقائمة الحصون كما سنرى بعد تضع هذا الحصن بين « وادى حلفا » و « عنيبة » وقد قيل إن مكانها هو « سره الغرب » و « فرص » . وعلى أية حال فإنه فى عهد الأسرة الثالثة عشرة كان قوم « المزاوى » (المجاى) يسكنون خلف « الشلال الثانى » وذلك لأن ورقة « الرمسيوم » وهى التى أطلق عليها رسائل « سمنه » تسجل[4] وصول عدد صغير من « المزاوى » إلى « سمنة » وهم الذين يرجعون بعد بيع سلعهم إلى المكان الذى أتوا منه . والذى يهمنى الآن هو موقع بلاد « مزاو » (مجاو) . وتدل البراهين التى أوردناها فيما سبق على أن هذه البلاد كانت فى عهد ختام الأسرة السادسة تقع شمالى الشلال الثانى ومن المشكوك فيه كثيراً أنها كانت تمتد وراء ذلك الإقليم المصرى الصغير . ولا نزاع فى أن ملوك مصر فى عهد الدولة القديمة

---

(١) راجع Urk., I, p. 124 ff.

(٢) راجع Weigall, Ibid, p. 9

(٣) راجع Onomastica, II, p. 271

(٤) راجع J.E.A., Vol. XXXI, p. 3 ff.

لم يجندوا جنوداً من الجنوب الأقصى لبلاد النوبة العليا . وقد دوّن الأستاذ « زيته » ملحوظة غريبة فى بابها فى كتابه الخاص باللعنات على أعداء مصر وهى التى وجدت على قطع من الفخار جاء فيها « فى الوقت الذى يجد فيه الإنسان سائر أعداء مصر من النوبيين وصفوا بأنهم حكام كل على مملكته الخاصة جاء ذكر حاكم « مزاوى » دون أى لقب « مزاى واح إب »[1] وقد يدل هذا على أنه عند تاريخ كتابة هذه المتون التى يرجع عهدها إلى قبل الأسرة الثانية عشرة كانت «مزا» أو «مجا» قد أصبحت لا تحدد بوصفها وحدة جغرافية ، وإن كان قوم « المزاوى » لا يزالون يوجدون بوصفهم قبيلة منفصلة. وبعد الدولة القديمة لم نعد نسمع عن « أرثت » و « يام ». ومن المحتمل أن شخصية بلاد « مزا » الأصلية قد أصبحت فى النهاية مندمجة فى بلاد « واوات » التى أصبحت مرادفة لبلاد النوبة السفلى . ولدينا وثيقة تشير إلى هذا الرأى وأعنى بها ورقة « بولاق » التى تبحث فى اليوميات الخاصة بمصاريف البلاط والأحداث التى جرت فى « المدمود » فى عهد أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة[2] ، فقد جاء فى هذه الورقة ذكر رئيسين من « المزاى » كانا قد أتيا ليقدما مع نساء وطفل وتابع ومترجم . وقد وصف أحد الرئيسين كما يأتى: رئيس المزاى للزاى . والمقصود بكلمة « المزاى » الأولى النوبيون على وجه عام والمزاى الثانية هى قبيلة « المزاى » الخاصة . والظاهر أن كلمة « مزاى » بمعنى النوبيين قد ظهرت على ما يظن للمرة الأولى فى العهد المتوسط الأوّل فى نقوش محاجر المرمر فى « حتنوب »[3] ، وكذلك فى تعاليم « أمنمحات الأول » حيث نجد الملك يلقن قوله : « لقد حملت « المزاى » أسرى وهزمت أهل «واوات» ، وربما كان المقصود هنا البلدين اللذين تتألف منهما فى الأصل بلاد النوبة السفلى .

وتدل ظواهر الأمور على أنه فى عهد الدولة الوسطى وحتى فيما بعدها بقليل

(١) راجع Sethe, Die Achtung feindlicher Fursten, p. 36 (in Abh, Berlin, 1926)

(٢) راجع كتاب مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٨٨ الخ .

(٣) راجع Anthes, Die Felseninschriften 16, pp. 6-7 ; J.E.A, 30, p. 61

كان اسم « المزاوى » ، « مزايو » ، « مزاى » يراد به النوبيون فى معنى عام وذلك لأنه كان يذكر وحده ليعنى أى قوم من النوبة وما بعدها ، فمثلا فى تحذيرات نبى نجد العبارة التالية : « والمزاى ملاطف مع المصرى »(١) . وربما كان المقصود من ذلك أنه كان على مصافاة مع تلك البلاد التى كانت نفسها ممزقة بالحروب الداخلية .

وبعد هذا العهد بنحو خمسة قرون كان الملك « كاموس » يستعمل جنداً من « المزاوى » فى هجومه على الهكسوس(٢) ، ولكننا لا نعرف أن هؤلاء الجنود هم من الجنس النوبى الصافى .

وإذا كانت كلمة « مزاى » قد أصبحت تعبر عن النوبيين الذين زحفوا جنوباً بعد موطنهم الأصلى فإنه من الطبيعى أن التعبير عنهم فيما بعد ينبغى أن يحمل معنى مقابلا لاسم بلاد « مزا » . ومن المحتمل أن الاشارات إلى أرض « مزا » منذ عهد الدولة الوسطى وما بعدها إما أن تكون مجرد تعبير قديم محض كما نجد فى قوائم البلاد التى فتحها ملوك الدولة الحديثة مثل « تحتمس الثالث »(٣) و « سيتى الأول »(٤) وما بعده ، أو أن الكلمة مستعملة فى معنى مبهم لتدل على كل السودان بأوسع معانيه ، غير أن هناك بعض اعتراض على ذلك(٥) . فالظاهر أنه كانت لا توجد أرض تدعى بلاد « مزا » بعد بداية الدولة الوسطى كما يقول « جاردنر »(٦) وعلى أية حال فإنه من الحقائق الثابتة أننا لم نعد بعد نسمع إلا ذكر قوم « مزا » باطراد مستمر ، وفى الوقت نفسه أخذ ذكر بلاد « مزاى » يقل شيئاً فشيئاً فى المتون .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن علماء الآثار الألمان أخذوا يتأثرون برأى الأستاذ

(١) راجع Gardiner, Admonitions, 14, p. 14
(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٤١
(٣) راجع Urk., IV, 799, 78
(٤) راجع Dic. Geogr., III, p. 65 f.
(٥) راجع Gardiner, Onomastica, II, 78
(٦) راجع Ibid, II, 79

« شيفر » فى توحيد كلمة « مجا » أو « مزا » باسم قبيلة « مجا »[1] . وهذا التوحيد قد اعترف به « ادوارد ميز »[2] والأستاذ « زيته »[3] والأستاذ « كيس »[4] . والواقع أن الرأى الذى عبر عنه كل من « برستد » و « جوتييه » مفضل على رأى الألمان وذلك لأن كلا منهما يعد « المزاى » من أهل الجنوب (النوبيين) لا بدواً من أهل الصحراء الغربية . والواقع أننا إذا استثنينا بعض أمثلة فيها شك ذكرها الأستاذ « جاردنر » عن بلاد « مزاى » فإننا قد لا نجد مثالا واحداً يعبر عن بلاد « المزاى » بمعناها الجغرافى الصحيح الذى يدل على النوبيين بعد الأسرة الثامنة عشرة ، بل من هذا العهد وما بعده قد نجد أن كلمة « مزاى » تعنى الشرطة أو ما يشبه ذلك .

رأينا فيما سبق أنه فى كل من نقوش الدولة القديمة ولوحة « كارنرفون » الخاصة بأعمال الملك « كاموس » أن استعمال « مزاوى » النوبيين كان بوصفهم مساعدين للجيش المصرى . وهذا الاستعمال كان من غير شك أكثر شيوعا فى الوقت الذى سبق الأسرة الثامنة عشرة مما تكشف عنه المصادر التى فى متناولنا ، وذلك لأنه منذ نهاية هذا العهد كانت كلمة « مزاى » قد أصبحت كثيرة الاستعمال بمعنى شرطى أو رام . ومن المحتمل أن أول أثر لهذا الاستعمال كان فى عهد « سنوسرت الثالث » عندما ظهر « مزاى » فى موظفى معبد « اللاهون »[5] ، وكذلك لدينا مثال آخر وجد على لوحة خشنة النقش محفوظة الآن فى متحف « جيميه » حيث نجد لقب « مزاو » قد منحه رجلان يحملان اسمين مصريين وهما « رس » و « بتاح ور »[6] . وهذه اللوحة يمكن أن تنسب إلى عهد الأسرة الثالثة عشرة . وقد لوحظ أن أحد الرجلين كان لونه أحمر

---

(١) راجع Die Aethéopische Koniginschrift, etc., p. 136

(٢) راجع Ed. Meyer, Gesch., 165

(٣) راجع Urk., I. p. 36 f.

(٤) راجع Kees, Kulturgesch., p. 237

(٥) راجع A.Z., XL, p. 114

(٦) راجع J.E.A., XXV, p. 24 f

على حسب ما جاء فى المتن الذى دوّنه «موريه» ، ولكنه لم يذهب إلى أن المقصود به نوبى . ويقول « جاردنر » إنه لم يجد فى الأزمان التى خلفت الأسرة السابعة عشرة أى برهان ما غير اسم « مزاى » نفسه . واللقب « رئيس المزاى » يدل على رئيس الشرطة أو الجنود الذين كانوا يسمون بهذا الاسم ، وكانوا يشملون رجالا من أصل نوبى . ومن جهة أخرى لدينا حقائق عدة تدل على أن الضباط أو الرجال الذين وصفوا بأنهم « مزاى » كانوا مصريين حقيقيين . ففى « تل العمارنة » نجد أن فرقة بأكملها قد رسمت على جدران قبر ضابطها المسمى « محو »[1] . و « محو » اسم مصرى ولا يوجد فى منظر رجاله ما يدل على أنهم من دم أجنبى . وفى « الكاب »[2] أن «مزاى» كان ابن أخت صاحب المقبرة ، وليس لدينا ما يدعو إلى الشك فى أن «نبأمون» صاحب المقبرة رقم ٩ فى « طيبة » الذى بدأ حياته بحاراً وأصبح فيما بعد حامل علم ، وختم مجاله فى سلك التوظف بأن أصبح ضابط « مزاى » فى غربى «طيبة»[3] لم يكن مصريا ، وهكذا من الأمثلة التى لا حصر لها . والواقع أن أسماء «مزاى» (الشرطى) فى عهد الدولة الحديثة كله كانوا بوجه خاص مصريين مثل ضباطهم الذين كانوا يلقبون ضباط المزاى ، وكان من أهم أعمالهم حراسة الجبانة وحراسة الحدود فى كل أنحاء البلاد .

ولم نسمع عن « المزاى » إلا القليل بعد الأسرة العشرين[4] . وخلاصة القول أنه يمكن تلخيص نتائج هذا البحث الطويل فى ثلاثة عهود مميزة فى تاريخ التعبير « مزاو » ، « مزاى » .

(١) الأول من عهد الدولة القديمة عندما كانت كلمة « مزاى » تشير إلى إقليم صغير ويحتمل أنه كان الإقليم الواقع شمالى الشلال الثانى مباشرة .

---

(١) راجع Davies, El Amarna, IV, Pl. 17 ff.

(٢) راجع Pahero, Pl. 7

(٣) راجع Davies, Tombs of Two Officials, Pl. 17

(٤) راجع Gardiner, Ibid, I, 88

(٢) الثانى من عهد الدولة الوسطى حتى عهد الأسرة السابعة عشرة عندما كان قوم « المزاى » لا يزالون نوبيين ، ولكن الاسم أصبح عاماً يشمل أناسا يحتمل أنهم كانوا يعيشون بعد الشلال الثانى بمسافة كبيرة .

(٣) الثالث من عهد الأسرة الثامنة عشرة عندما كانت كلمة « مزاى » تستعمل بوصفها لقب وظيفة وتعنى رجال الشرطة ورماة الصحراء ، ويحتمل أنها قد فقدت فى هذه الفترة كل علاقة فعلية مع بلاد النوبة والنوبيين .

ولدينا أسماء أماكن أخرى جاء ذكرها فى متون الدولة القديمة مثل « ماخر » و « ترس » لم يمكن حتى الآن استنباط شئ عن حقيقة موقعها على وجه التأكيد .

طرق المواصلات بين مصر وبلاد النوبة :

ذكرنا فيما سبق شيئاً عن الرحلات التى كان يقوم بها كبار رجال الدولة من « منف » عاصمة الملك وكذلك من « الفنتين » إلى بلاد النوبة ، وما كان بين البلدين من ارتباط تجارى ، فكانت مصر فى عهد الدولة القديمة تصنع سلعاً تحتاج إليها بلاد النوبة احتياجا شديداً ، كما كانت الأرض الجنوبية تنتج كميات عظيمة من المواد الغفل — بالاضافة إلى تجارة العبيد الذين كانت مصر فى حاجة إليهم . هذا ونعلم أن مصر كان يفصلها عن بلاد السودان ذلك الجزء المجدب الذى لا يأتى بثمار ، وهو الاقليم الذى سمى « كاش » أو « كوش » أو « اثيوبيا » . فيما بعد ، وكانت « كوش » نتيجة لذلك تعد أرض طرق تجارية ، وقد كسبت أهميتها وقتئذ وإلى الأبد بما أوتيت من موقع جغرافى بوصفها حلقة الاتصال بين مصر وأواسط أفريقيا . ويمكن تتبع الطرق التى كانت تسير عليها التجارة فى عهد الدولة القديمة من البيانات التى تركها لنا قواد الحملات على جدران مقابرهم وعلى الصخور التى على ضفتى النيل . والظاهر أنها كانت نفس الطرق التى تستعمل حتى يومنا هذا . ففى عهدى المهدى والخليفة التعايشى فى السودان كانت التجارة قد قضى عليها تقريباً . ومنذ عام ١٩٠٠ م . فتحت حكومة

السودان خطوط السكك الحديدية والبواخر النيلية مما أنقص من تجارة القوافل ، وبذلك تحول جزء عظيم من التجارة إلى طريق « بور سودان » . ويلحظ أنه فى القرن المنصرم من عصرنا كانت الطرق القديمة لا تزال مستعملة ، وهى ثلاث طرق : الأولى طريق التجارة النيلية ، والثانية الطريق التى تخترق الصحراء الشرقية ، والثالثة الطريق التى كانت تسير فى الصحراء الغربية . وطبعى أن العامل الحاسم فى صلاحية كل من هذه الطرق للسير عليه هو وجود الماء الذى يعد أهم عنصر للحياة فى هذا الإقليم القاحل . هذا ولم يكن نهر النيل نفسه كله صالحاً للملاحة لما يعترضه من شلالات . وعلى أية حال كانت فيه مسافات صالحة لسير السفن منها مسافة طولها ثلثمائة كيلو متر وتقع بين الشلال الأول والثانى وكانت على ما يظن تستعمل للتجارة فى عهد الدولة القديمة ، وكانت متصلة بالنيل بقنوات عند الشلال الأول . هذا وتوجد مسافة أخرى صالحة للملاحة يبلغ طولها حوالى مائة كيلو متر وتقع بين « كوشه » و « دلقو » . ثم المسافة الطويلة التى يبلغ طولها حوالى أربعمائة وخمسين كيلو متراً فى المنحنى العظيم الذى تقع فيه منطقة « دنقلة » الحالية ، ولكن من جهة أخرى تكون الشلالات صالحة للملاحة فى أثناء فصل الفيضان (أى مدة شهرين فى السنة) ويمكن للسفن المحلية أن تقوم بالرحلة بين « دنقلة » و « حلفا » ثم تعود فى تلك المدة .

ويتضح لنا من البيانات التى وصلت الينا من عهد الدولة الحديثة أن الطرق النهرية كانت تستعمل سنوياً لنقل الجزية التى كانت تجبى من هذه الجهات كل عام .

وتدل النقوش التى تركها ملاحو السفن فى عهد الدولة القديمة والدولة الوسطى على استعمال الطريق المائية حتى الشلال الثانى على الأقل . ومن المحتمل أن هذه الطريق كانت معروفة ومستعملة منذ أقدم العهود ، وكانت الرحلة ذهابا وإياباً تستغرق فى هذه الأحوال على الأقل مدة سنة فكان الرحالة يصعد فى النيل فى أثناء الفيضان ثم ينحدر راجعاً خلال الفيضان التالى . وتوجد على كل من شاطئ النهر طريق محاذية للنيل تتفرع عند المنحنيات التى فى النهر لتختزل المسافة بطريق قصيرة تدعى « عقبة »

فى الصحراء ، غير أن الرحالة يعود ثانية إلى النيل دائما لأجل أن يسير فى محاذاة ماء النيل . والصحراوان اللتان تقعان خلف الوادى إحداهما فى الشرق والأخرى فى الغرب تختلفان اختلافاً عظيما من حيث التركيب الجيولوجى ومن حيث السكان ونوع الطرق . ففى الصحراء الشرقية لا توجد واحات كبيرة ولكن توجد فيها أحواض عدة حيث يجتمع المطر الذى كان ينزل من وقت لآخر ويتجمع ويخزن فى آبار ، وهذه الصحراء الآن يسكنها من أول خط عرض قنا جنوبا حتى منطقة الأمطار عدد قليل من البدو معظمهم من العبابدة والبشارين ، وفى الأزمان القديمة كان يقطنها كذلك قوم من البدو ربما كانوا من جنس مختلف .

وكان مورد حياة هؤلاء السكان هو قطعان الإبل والماشية الصغيرة والفحم البلدى وتجارة الملح وصيد السمك فى البحر الأحمر ، على أن هؤلاء البدو وما يملكون من إبل ، ومن خبرة فى معرفة بالآبار ، قد تمكنوا بطبيعة الحال من احتكار كل طرق النقل فى الصحراء . وطرق القوافل المعروفة هى :

(١) من النيل بطريق «قفط» — «قنا» أو الأقصر حتى موانىء البحر الأحمر وأهمها الآن «القصير» ، وفى عهد الدولة القديمة «ساو» (الآن وادى «جاسوس») وهى ميناء بلاد «بنت»[١] .

(٢) وطرق القوافل المؤدية إلى المحاجر والمناجم المختلفة فى «حتنوب» وجبل «فطيرة» و «حمامات» (على طريق القصير) و «أم روس» و «وادى العلاقى» الخ .

(٣) وأعظم الطرق التى فى الشمال الجنوبى تخرج من عند النيل فى «دراو» شمالى «أسوان» وتمر بسلسلة آبار يوميا تقريباً وبعد مسيرة مدة تتراوح ما بين ستة عشر يوما إلى عشرين يوما تصل إلى النيل فوق بداية منحنى «دنقلة» العظيم . وفى الأزمان الحديثة تؤدى هذه الطريق إلى «شندى» و «سنار» . ومن «شندى» تخرج طرق

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٢٦٢ والجزء الرابع ص ٣٢٧

أخرى إلى « سواكن » أو « الحبشة » وتخترق الصحراء إلى «مروى» أو «كورتى» فى مديرية « دنقلة » ، ومن «سنار» كانت الطرق مفتوحة إلى «كردفان» و«دارفور» وغربى أفريقيا أو إلى نقط تجمع مياه النيل الأزرق أو النيل الأبيض .

(٤) ويوازى تقريباً طريق «دراو» — «سنار» الطريق المؤدية من «كرسكو» إلى « أبو حمد » وكانت فى الواقع طريقاً مختصراً فى طريق النهر المحاذية لشريط انحناء « دنقلة » الكبير ، وهذه الطريق تقطع فى ثمانية أيام وليس فيها إلا بئر واحدة فى منتصفها تقريبا .

وأهم الطرق للتجارة الكوشية الطريقان الشماليتان الجنوبيتان بطبيعة الحال فهما الوحيدتان الهامتان لها ، ومن المحتمل أنهما اللتان كانتا تستعملان فى الأزمان القديمة . والصحراء الغربية تمتاز بسلسلة الواحات التى تمتد بمحاذاة الوادى . ففى الأزمان الحديثة كانت طريق القوافل الذاهبة جنوبا وهى «درب الأربعين» أو طريق «دارفور» تخرج من النيل عند « أسيوط » وتمر جنوباً بالواحة الخارجة وبسلسلة من الواحات الصغيرة أو الآبار حتى واحة سليمة ، ومن ثم تسير إلى «بئر السلطان» حتى «دارفور» . وهذه الطريق الرئيسية يمكن الوصول إليها بطرق متقاطعة تؤدى إلى الصحراء من «جرجا» أو «سوهاج» و « أرمنت » أو « الأقصر » و « أدفو » وبوجه خاص من « أسوان » . وطريق « أسوان » تتجه نحو الجنوب الغربى وتمر بواحتى « كركر » و «دنقل» ، و « بئر أبو نخيل» وتصل إلى «درب الأربعين» عند واحة «سليمة» ، ومن واحة « سليمة» تؤدى طريق قصيرة إلى النيل ثانية عند «ساقية العبد» أو إلى جزيرة «ساى» على مسافة أربعين كيلو مترا شمالى « معبد صلب » . وهناك طريق أخرى أطول تؤدى إلى رأس الشلال الثالث وهو إقليم دنقلة الجديدة (الأردى) وجزيرة « ارقو » ثم « كرمه » .

وقد كانت طريق « أسوان » — « سليمة » — « ساى » أو « كرمه » فى نظر مصريى الدولة القديمة عملية أكثر من طريق « درب الأربعين » إذ كانت تسمح

باستعمال النهر حتى « أسوان » ومع ذلك كانت تمر بهم على كل القبائل التى اشتهرت بالنهب و بفرض الضرائب وهى التى كانت تسكن وادى مديرية « دنقله » التى لم تبعد كثيرا عن الأسواق الجنوبية الرئيسية . أما التجار الجنوبيون الذين كانوا يسعون للوصول إلى مصر ويرغبون فى تجنب تعرض الموظفين المصريين لأموالهم وقبائل « واوات » الذين يقطنون شاطئ النهر فكانت طريق « الأربعين » أوفق لهم . والغرض من اتخاذ هذه الطرق الصحراوية الشاقة تجنب تتابع انقضاض القبائل والحكومات الصغيرة التى يقطن أهلها ساحل النهر ومطالبة القوافل بالضريبة الحتمية على ما تحمل من سلع ، وكان رئيس كل قبيلة يحدد ضريبته على كل حمولة أو كل شخص حسب إرادته ، وكان يعلم أن تأخر القافلة من أحسن الأسلحة لديه لزيادة الضريبة ، هذا إلى أن إلقاء القوافل عصا السير من أجل ذلك كان يهيئ فرصا لسرقة البضائع وسرقة دواب الحمل الخاصة بالقافلة . على أن نفس الطرق المفضلة لم تكن مأمونة بعيدة عن غارات سكان الصحراء الذين ينقضون من الجبال ، غير أن قبائل الصحراء المتفرقة كانوا فى الأزمان الحديثة يحصرون فى مجموعة أو مجموعتين وعلى ذلك فإن القافلة كانت تتقى هجماتهم بدفع الضريبة مرة أو مرتين بالمساومة من أول الطريق وكان فى إمكان القافلة بذلك أن تقطع الطريق من «أسوان» حتى «دنقله» أو «بربر» دون أى عائق يقوم فى وجهها . وعندما نفحص نقوش الدولة القديمة نجد أن من واجب قواد القوافل وقتئذ أن يتعاملوا مع بلاد مثل هذه تنقصها الحكومة المركزية . يضاف إلى ذلك أن المصرى القديم لم يكن لديه إبل بل كان كل ما يستعمله فى رحلاته هو الحمار الذى كان يجتاز به الصحراء وكان سيره فيها يتوقف على وجود الماء ، ومن المعلوم أن قوافل الحمير القليلة التى كانت تقوم بالرحلات فى الصحراء لا يمكنها أن تسير أكثر من يومين . أما القوافل العادية التى تسير فيها الحمير والجمال معاً فيمكن أن تقطع مسافة طويلة فى صحراء لا ماء فيها ، لأن الجمال كانت تحمل الماء اللازم لقطع هذه المسافة[1] . هذا ولدينا صعوبة أخرى

(١) راجع Seligman, Egypt and Negro Africa, p. 67 ff.

عندما نريد أن نحكم على هذه الرحلات الصحراوية وأعنى بها علاقتها بالآبار المحفورة فى الصحراء فنجد حتى يومنا هذا آباراً عدة تكون أحياناً مملوءة بالماء وأحياناً أخرى تكون ناضبة .

وعندما يفكر الإنسان فى الأهمية العظمى لبئر واحدة تتوقف عليها حياة القائمين برحلة طويلة ومقدار ما يتعرضون له إذا طمرتها الرمال — وكثيراً ما يحدث ذلك — أصبح من الصعب عليه أن يحكم على إمكانيات التجارة بالسير على طرق مختلفة ؛ ذلك إلى أن السطو على القوافل فى الوديان التى كانت آبارها محافظاً عليها كان كثيراً بلا شك .

ويمكن أن نلخص القول عن كيفية اختيار طرق التجارة القديمة فيما يأتى :

عند ما تكون الحاصلات المطلوبة فى بلاد النوبة السفلى ويصعب نقلها بسرعة مثل الأحجار اللازمة للتماثيل وغيرها ، ومثل قطع الخشب الكبيرة اللازمة لبناء السفن وغيرها ، فإن طريق النقل بالنيل كانت هى المستعملة فى هذه الحالة . ولكن عندما يكون المطلوب نقل بضائع خفيفة الوزن تنقل على ظهور الحمير على الطريق المحاذية للنيل . وفى هذه الحالة كان يتفادى الإنسان انحناءات النيل باتباع الطريق القصيرة ، أى باختراق الصحراء مباشرة ، ثم العودة إلى الطريق المحاذية للنيل . وكانت الطريق المفضلة التى تربط البلاد التى خلف « الشلال الثانى » بالأراضى التى بعده هى طريق الصحراء المارة بواحات « كركر » و « دنقلة » و « سليمة » إذا لم يكن لدى المسافر أشياء يريد قضاءها فى بلاد النوبة السفلى .

وتدل ظواهر الأمور ، كما قلنا سابقاً ، على أن التجارة كانت فى هذه الأحوال احتكاراً للملوك ، ولا أدل على ذلك من نظم الحكم فى الدولة القديمة ، فطالما ظلت الحكومة المركزية فى « منف » قوية لا يفكر أحد فى ارتكاب شئ يخالف القانون ، وحتى فى خلال عهد الملك « بيبى الثانى » الطويل الأمد (٩٧ سنة) عندما أخذ

حكام الاقطاع ينفصلون شيئاً فشيئاً عن الحكومة المركزية فإن الحال بقيت كما هى عليه من حيث احتكار الملك للتجارة . وعلى الرغم من ذلك فإن ذكر هذه الحالة لم يرد فى نقوش رؤساء البعوث قط ، غير أن ذلك كان مفهوماً ضمناً لأن هؤلاء المبعوثين كانوا دائماً يتلقون تعلياتهم من الفرعون نفسه ، كما كان هو الذى يعينهم للقيام بهذه البعوث ، وهكذا كانت حال هذه التجارة عندما توجد حكومة مركزية قوية فى عاصمة البلاد . وهذه الحال كانت كذلك سائدة فى عهد « محمد على » الذى قبض على زمام كل موارد التجارة بعد أن كانت فى عهد المماليك فى أيدى أشخاص مختلفين .

المعاملات التجارية :

الواقع أننا لا نعرف إلا القليل عن المعاملات التجارية بين مصر وبلاد النوبة فى هذا العهد ، والظاهر أن هذه المعاملات فى بادئ الأمر قد ظهرت عند ما كانت الروابط السياسية تسير على سبيل الود والمصافاة ، وكان قوامها المنفعة المتبادلة بين البلدين ، فكان المصرى يدفع للمواطن النوبى أجره على الأعمال التى يؤديها له ، كما كان يشترى منه البضائع الغفل التى لم يجنها بنفسه ، وعند ما تأزمت الأحوال السياسية بين القطرين فيما بعد ، كان لزاماً على النوبى أن يدفع جزية تدعى « تنجو » لمرور تجارته عند الحدود .

وليس لدينا فى مقابر المجموعة الثقافية « ب B » الفقيرة من مواد التجارة إلا أشياء قليلة مستوردة من الصناعات التى كانت تتبادل بين مصر وبلاد النوبة فى هذا العهد ، فالأوانى المصنوعة من الحجر كانت معدومة بالمرة ، ولم يوجد الخرز ضمن محتويات أثاث المقابر إلا نادراً وكان بسيطاً فى صنعه مع أنه كان من الممكن وضع أشياء ثمينة مع الموتى . ولم يذكر لنا المصرى نفسه فى نقوشه التى تركها لنا إلا ما جاء فى فقرة واحدة فى نقوش « سبنى » التى تركها لنا عن رحلته التى قام بها لإحضار جثة والده ، ولكن مما يؤسف له أن الكلمة الحاسمة الهامة فى هذا النقش وجدت مهشمة ،

وعلى ذلك فإن المعنى ليس مؤكداً على الوجه الأكمل. وهاك ماوجد فيها : «قائد السفينة «انتف» و . . . ينادون : إن السمير الوحيد والمرتل «مخو» والد « سبنى » قد مات وقد أخذت جنوداً من إقطاعيتى ومائة حمار معى محملة بزيت العطور والشهد والملابس وأشياء من الفخار المصقول وأوانى من المرمر لأرفه بها عن أهل هذه الأرض الأجنبية (؟) » . ولسنا على بينة تامة من أن هذه السلع التى حملها معه « سبنى » كانت للاتجار فيها مع بلاد النوبة ، ولكن شواهد الأحوال تدل على أنها كانت للتجارة ، وعلى هذا فإن المتن الذى نتحدث عنه هنا له قيمة عظيمة جداً لأنه ذكر لنا محاصيل لم نجدها فى هذا العصر فى قبور بلاد النوبة مثل الملابس وزيت العطور والشهد .

ومن بين المحاصيل الطبيعية الحبوب ، وهذه كانت من الأشياء التى يرحب بها السكان الذين كانوا فقراء نسبياً ، وبخاصة أنهم كانوا لايميلون للزراعة فى بلاد النوبة السفلى . ويتفق مع ذلك فى عصرنا الحالى وصف « بورخارت » فى رحلته التى قام بها فى هذه الجهات فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى[1] . فقد كان فى مقدور هذا الرحالة أن يشترى حب الأهلين عندما كان يقود البعث الذى جاء على رأسه لارتياد مجاهل هذه البلاد بما كان قد جلبه معه من مصر من مقاذير عظيمة من الحبوب إلى بلاد النوبة ، حيث كان لايزرع فيها إلا فى الأماكن الخصبة على شاطىء النهر وهى قليلة . هذا ولم يوجد فى المقابر التى عثر عليها من هذا العهد (الدولة القديمة) مايدل على أنه كانت توجد تجارة فى مثل هذه المادة كما كان فى ذلك منتظراً .

حاصلات بلاد النوبة :

أما ما كان المصرى يبحث عنه فى بلاد النوبة بوجه خاص فهو المواد الغفل لا المحاصيل المصنوعة ، وتأتى فى المنزلة الأولى من هذه المواد التى لا توجد فى مصر أو التى كانت توجد بقلة ولا تكفى حاجة البلاد .

(١) راجع Burckhardt, Travels in Nubia (London 1819), p. 181 f.

وقد عدّد لنا «حرخوف» عند التحدث عن رحلته الثالثة فى مجاهل بلاد النوبة المحاصيل التى أحضرها من بلاد «يام» فيقول : «وعدت إلى مصر مع ثلثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت «حنكو» وزيت «ثاث» وجلود الفهد وسن الفيل (؟) وكل محاصيل جميلة » .

وتسلم من أمير «أرثت» و«سثو» و«واوات» ثيراناً وماشية صغيرة وهذه على ما نظن لم تكن طعاماً لرجال البعث بل كانت تحمل إلى مصر أيضاً ، وذلك لأنه فى حملة «بيبى — نخت» التأديبية التى قام بهـا فى نفس هذا الاقليم قد أحضر غنيمة عظيمة لمصر أنواعاً من البقر (« أوا » و « نزو ») [1] كما جلب مثل ذلك فى الحملة التى قام بهـا « سنفرو » إلى هذه البلاد كما ذكرنا ذلك من قبل . هذا وقد أحضر «سبنى» مثل هذه المحاصيل معه من بلاد النوبة [2] .

ومن المحتمل أن الأبنوس والعاج كانا يجلبان من بلاد النوبة فى العهد الطينى إلى مصر وقد عدّت منذ ذلك العهد من المحاصيل التى كان لا ينقطع ورودها تقريباً من بلاد النوبة ، ومن المحتمل أن جلد الفهد كان يجلب كذلك إلى مصر منذ العهود المبكرة ، وإن كان لم يظهر استيراده بصورة محققة إلا فى تلك الفترة ، ولا نعلم من جهة أخرى إلى أى عهد وجد الفهد فى مصر ، ولكن على أية حال فإن الحيوانات المتوحشة كانت قد أخذت فى التقهقر إلى الغابات والأحراج بدرجة ما ، ثم أخذت تختفى شيئاً فشيئاً فى الجبال ، والواقع أنه كلما كثرت الأراضى الزراعية فى مصر أخذت هذه الحيوانات الضارية تختفى أمام المدنية إما فى مناقع الدلتا حيث الأعشاب وإما فى جنوب الوادى ، ولذلك كان المصرى يجلب السلع التى تؤخذ من هذه الحيوانات مثل جلد الفهد من الأراضى الجنوبية . وقد كان فهد جنوب مصر يضرب به المثل فى القوة والشراسة وقد ورد ذكره بهذا الوصف فى المتون الحربية والأدبية ، هذا إلى أنه كان لا يزال يوجد كذلك بكثرة فى عهد الدولتين الوسطى والحديثة .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٨٩

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٩١

الأحجار[1] : وكانت تأتى إلى مصر كما ذكرنا من قبل أنواع جميلة من الأحجار التى كانت تقطع من محاجر بلاد النوبة ومن منطقة الشلال الأول ، وهذه الأحجار كانت مرغوباً فيها فى عهد الأسرتين الرابعة والثالثة وبخاصة حجر الديوريت الذى كان يستخرج من محاجر الصحراء الواقعة فى الشمال الغربى من بلدة « توشكى » ، غير أننا لم نعثر إلى الآن على نقش يدل على أن ملوك الأسرة السادسة قد استعملوا أحجار هذه المحاجر ، ومن المحتمل أنه لم تكن فى عهدهم من الأحجار المحببة اليهم ، أو كان من الصعب عليهم الحصول عليها فى تلك الفترة التى كانت البلاد آخذة فيها نحو التدهور ، وتدل شواهد الأحوال على أنهم استعملوا أحجاراً أخرى فى هذا العهد .

وكانت الأحجار المتبلورة البركانية التى يمكن الحصول عليها بالقرب من الشلال الأول تستعمل فى مصر فى كل الأزمان[2] . وقد كشف عن نقوش من عهد « وناس » آخر ملوك الأسرة الخامسة وكذلك من عهد الأسرة السادسة تحدثنا عن استعمال هذه الأحجار . فقد كشف المؤلف عن مناظر فى طريق الملك « وناس » مثلت فيها سفن تحمل بعض هذه الأحجار آتية من « أسوان » لتقام فى أماكنها الخاصة بها فى المعبد[3] وتشمل عمداً نخلية الشكل وأبواباً من الجرانيت الأحمر وقطع الكرانيش التى كانت تستعمل فى إقامة المعبد الجنازى ، وقد كتب عليها : « أعمدة من الجرانيت أحضرت من أسوان » ، ومن المدهش أن هذه المناظر تدل دلالة واضحة على أن هذه الأعمدة والكرانيش قد صنعت فى « أسوان » ثم وضعت على زحافات وربطت ثم وضعت فى السفن لتكون جاهزة لإقامتها فى أماكنها بمجرد وصولها ، أى أنه كان يوجد فى « أسوان » مدارس صناعات لهذا الغرض ، ولم يشهد التاريخ منظراً مماثلا من قبل

---

(١) راجع ما كتبه المؤلف عن الأحجار المختلفة ومصادرها فى الجزء الثانى من مصر القديمة ص ١٤٤ — ١٨٠

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ١٤٨ و Sethe, Die Bau und Denkmalsteine, p. 87 ff.

(٣) راجع A.S., 38, p. 519

أو من بعد ، اللهم إلا ما جاء على مسلة «حتشبسوت» التي نقلت من « أسوان » ولم يكن قد تم نقشها[1] .

هذا ويقص علينا « ونى » الذى عاش فى عهد الملك «مرنرع» فى نقوش لوحته التى عثر عليها فى « العرابة المدفونة » عندما أرسله الفرعون للمرة الأولى نحو « أبهات » و « الفنتين » أنه أحضر من « ابهات » تابوتاً بغطائه وقطعة هرمية صغيرة كما أحضر من « الفنتين » أجزاء أبواب من الجرانيت ، ولا نعلم شيئاً يذكر عن موقع « أبهات » هذه والظاهر أنها على حسب ما جاء فى هذا المتن تقع فى مكان ما عند الشلال الأول[2] .

وأول ما تصادفنا الأحجار المتبلورة فى وادى النيل جنوب هذا المكان عند الشلال الثانى وعلى ذلك فإن تابوت « مرنرع » الذى عثر عليه ثانية كان منحوتاً من حجر الجرانيت الأسود الذى يوجد عند الشلال الأول بكميات وفيرة . وقد ذهب الأستاذ «زيته» إلى أن موقع «أبهات» بجوار معبد أبو سمبل[3] أى فى المكان الذى يقع على النيل بالقرب من المحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من « توشكى » وعلى ذلك يكون تابوت الملك « مرنرع » على حسب نظرية « زيته » قد قطع من محاجر «توشكى» ويقول « زيته » إنه يجب البحث فى هذه الجهة عن موقع « أبهات » غير أن نظرية «زيته» قد بنيت على أساس غير متين ولا تزال تتطلب التحقق من نوع الحجر وقرنه بالأحجار التى تستخرج من هذه الجهة .

الخشب : هذا وقد ذكرنا « ونى » ، فى حملة أخرى قام بها بعد « الشلال » فى فقرة من نقوشه أنه كان يجلب نوعا من الخشب من بلاد النوبة إلى مصر . ولا غرابة فى ذلك فإن قلة نمو الخشب فى مصر نفسها وكثرة استعماله فى آن واحد جعلت الحاجة

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣٣٨ الخ .

(٢) راجع Lucas, Ancient Materials, p. 56

(٣) راجع Sethe, Die Bau und Denkmalsteine, p. 910

ملحة لجلبه من الخارج ، وكان أحسن نوع يجلب منه هو خشب الأرز من بلاد « لبنان » هذا إلى أن الأنواع الأخرى التى لم تكن ذات قيمة كبيرة كالتى تزرع فى مصر كانت تجلب من بلاد النوبة . ويقص علينا « ونى » فى حملته الثانية إلى الشلال الوصف التالى : « أرسلنى جلالته لأحفر خمس قنوات فى الجنوب ولأضع ثلاث سفن واسعة الحجم وخمس سفن نقل مصنوعة من السنط المجلوب من « واوات » وقد جر أمراء « أرثت » و « واوات » و « يام » و « مجا » (مزا) الأخشاب اللازمة ؛ وقد عملتها كلها فى سنة واحدة وأنزلت (السفن) فى الماء محملة بالجرانيت بكثرة لأجل الهرم المسمى « مرنرع » جميل عند ما يظهر »[1]. وليس من المهم فى هذا المتن المساعدة الودية التى بذلها أمراء بلاد النوبة ، بل المهم فى موضوعنا أنه كان فى بلاد النوبة السفلى خشب كاف لبناء سفن منه هناك لتعود فى النيل محملة بالجرانيت اللازم لبناء هرم الملك « مرنرع » . وهذه الحقائق من الأهمية بمكان للباحث فى العلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد النوبة ، والواقع أن هذا المتن لا يقفنا على أن بلاد النوبة كانت تورد لمصر الأحجار الجرانيتية وحسب ، بل كذلك نعرف منه طريقة النقل المباشرة إلى مكان استغلال الأحجار نفسها ، وذلك لأنه كما كانت مصر فقيرة فى الأخشاب فإن السفن الكثيرة التى تحمل هذه الأحجار كانت تصنع من خشب بلاد النوبة نفسها ، ولذلك فإن رحلة « ونى » هذه كانت متعددة الفوائد لمصر . والواقع أن هذا القائد قد غادر مصر بجيش صغير على ما يظهر من الجنود والعمال إلى المكان الذى أراد أن يستغله ، وهناك بنى سفن نقل بمساعدة الأهالى ، وفى الوقت نفسه قطع الأحجار ونقلها إلى الشاطئ وأنزلها فى سفنه المخصصة لذلك ، ثم سارت فى النهر مخترقة الشلال الأول إلى المكان الذى بنى فيه الهرم . أما السفن فإنها بعد تفريغ شحنتها كانت تستعمل فى مصر لأغراض أخرى ولا تستعمل ثانية لنفس الغرض إذ لم ترسل كرة أخرى إلى بلاد النوبة بل كان يصنع غيرها جديداً .

(١) راجع Boreux, Étude Nautique Egyp., p. 130 f.

والظاهر أن هذه السفن لم تكن كثيرة العدد كما يدل على ذلك متن « ونى » . هذا بالاضافة إلى أن كل أهالى بلاد النوبة كانوا يساعدون فى إحضار مواد بنائها ، وقد يدل هذا على أن العلاقات كانت سليمة بين البلدين ، ولو ظاهرا ، على أنه من المحتمل أن « ونى » قد استحضر معه سفنه فى الحملة الأولى من مصر ليرى إذا كان فى الإمكان تنفيذ الفكرة التى نفذها فى الحملة الثانية ، وهى كما قلنا بناء السفن فى بلاد النوبة نفسها .

وفى أيامنا هذه تدل ظواهر الأحوال على أنه لايوجد خشب كثير فى بلاد النوبة ، ولكن يظهر أن الوقت الذى استعمرت فيه مصر هذه البلاد كانت أخشابها مزدهرة وفيرة .

وهذه الأخشاب لم تكن وفيرة فى وادى النيل وحده بل كذلك فى وديان الصحراء نفسها ، ولا أدل على ذلك من أن وديان الصحراء كانت عامرة بالأخشاب حتى القرن المنصرم كما جاء فى وصف للرحالة «بورخارت» للصحراء الغربية إذ يقول مثلا فى وصف وادى « أم جات » الواقعة بالقرب من وادى «العلاقى » : لم يصادفنا حتى الآن واد مررنا به فيه أشجار السنط الكثيفة بهذه الدرجة التى وجدناها فى هذا الوادى [1]

هذا إلى ما وجدته « مس مرى » من جبانات للثيران فى جهات الصحراء فى بقاع لايمكن أن تربى فيها الآن حيوانات . وهذا يدل على ماطرأ على وجه الصحراء من تغيير فى أيامنا هذه .

وعلى ذلك فإنه عندما يفكر الإنسان فى أن الوديان كانت ذات أشجار باسقة يانعة ، فإنه ليس من المستحيل أنه كانت توجد فى الصحراء الواقعة غربى بلاد النوبة ، أو فى شمال السودان فيلة ترتع فى الأدغال التى فيها .

---

(١) راجع Burckhardt, Travels in Nubia, p. 184

ومع ذلك فإن خشب بلاد النوبة لم يقم بالدور الذى كان يقوم به خشب بلاد «لبنان» لأن خشب بلاد النوبة كان من النوع الرخيص الذى يوجد منه كثير فى مصر ، ومعظمه كان من خشب السنط . ولما كان خشب النوبة من النوع العادى الرخيص فإنه لم يستورد بحالته الطبيعية إلى مصر بل كان يصنع هناك كما حدثنا « ونى » عن ذلك . فكان على عكس الخشب الذى يستورد من لبنان .

الذهب : ومن الغريب أن الذهب الذى كان فيما بعد يعد أهم مادة تستورد من بلاد النوبة لم يأت ذكره فى نقوش الدولة القديمة قط . ويمكن أن نفسر هذا بأن مناجم الذهب الواقعة بجوار مصر لم تكن غنية فى محصولها ولم تؤسس تأسيساً متينا حتى أنها لم تكن كافية لتغطية نفقات البلاد .

وفى الدولة القديمة كان يستخرج الذهب من المناطق الشاسعة فى مصر بين وادى النيل والبحر الأحمر وبخاصة فى الصحراء الشرقية جنوباً من طريق قنا — القصير إلى حدود السودان[1] فى حين أن استخراج الذهب من السودان من « وادى العلاقى » وغيره لم يكن قد عرف عنه شئ أو على الأقل كان لا يستخرج منه إلا الشئ القليل .

(١) راجع مصر القديمة — الجزء الثانى ص ١٩٠

العلاقات الودية بين مصر وبلاد النوبة
فى عهد الدولة القديمة

تدل النقوش التى يرجع عهدها إلى أوائل الأسرة السادسة وما قبلها مباشرة على أن العلاقات بين مصر وبلاد النوبة كانت ودية ، ولا أدل على ذلك من نقوش الحدود التى ذكرناها فيما سبق من عهد الملك « مرنرع » هذا بالاضافة إلى المساعدة التى قدمها الرؤساء الوطنيون للقائد « ونى » عندما ذهب لاستحضار الأحجار لهرم « مرنرع » من أسوان ، فمن ذلك نرى أن مصر — إذا لم تبسط سيادتها المطلقة على هذه البلاد — لا يمكن أن تؤدى لها هذه المساعدة . والواقع أنه ليس لدينا معلومات تؤكد وجود هذه السيطرة المطلقة ، فلابد أن هؤلاء الأمراء كانوا يقومون بتقديم هذه الخدمات فى مقابل أجر أو منفعة خاصة . على أننا نشاهد هذا التعاون بين مصر وبلاد النوبة فى نفس نقوش « ونى » فى مناسبة أخرى ، غير ما ذكرنا ، وذلك أن الملك « بيبى الأول » كان قد شرع فى القيام بحملة على البدو وكان جيشه فى هذه الحملة لا يقتصر على جنود رديف من المقاطعات المصرية المختلفة ، بل كان يشمل فضلا عن ذلك فرقا من أهل النوبة من بلاد « أرثت » و « مجا » و « يام » و « واوات » ثم لوبيين . ولم يذكر فى هذا المتن الذى ذكرنا ترجمته فيما سبق أسماء الأمراء المختلفين لبلاد النوبة ، بل ذكر فقط كلمة « نحسيو » (= نوبى أسود) وعلى ذلك يميل الإنسان إلى التسليم بأنه لم توجد أية محالفة حربية بين مصر والبلاد النوبية هذه ، بل كل ما حدث هو أن جنوداً نوبيين من هذه الجهات قد انضموا إلى صفوف الجيش المصرى ، وهؤلاء كانوا قد جذبوا إلى مصر فى جماعات للخدمة كما هى الحال فى أيامنا ، إذ نجد كثيراً من أهل بلاد النوبة يفدون إلى مصر للخدمة فيها عند العظماء والأمراء . وعلى ذلك لم تكن هناك هجرة لقبائل بأسرها إلى مصر ، ويدل على ذلك ما جاء فى ورقة « الفنتين » السالفة الذكر من سفر نوبيين إلى الشمال وكذلك ذهاب جيش من قبيلة المجا (المزاوى) ومن أهالى « واوات » .

ومما يثبت أن النوبيين الذين وفدوا على مصر فى عهد الدولة القديمة وكذلك فى عهد الدولة الحديثة فيما بعد كانوا يشتغلون شرطة ما جاء فى نقوش منشور « دهشور » فى عهد « بيبى الأول » فقد قرر فيه أن سكان مدينة الهرم كانوا تحت حماية النحسيو (النوبيين) الآمنين من أى تعدّ . والظاهر أنهم كانوا مرتبطين معا فى جماعات معينة ، وذلك لأننا نقرأ فى نفس المنشور أنهم كانوا تحت إمرة المشرف على التراجمة (القوافل) والمشرف على « المزاوى » و « يام » و « أرثت »[١] . والواقع أن أعمال الحفر لم تكشف عن جبانات نوبية خاصة بهم فى مصر كما كانت الحال فى العهد المتوسط الثانى الذى جاء على أعقاب سقوط الدولة الوسطى ، ولكن يمكن تفسير ذلك بأن النوبيين كانوا عند ما تنتهى مدة خدمتهم فى مصر ، يعودون إلى بلادهم ثانية كما هى الحال الآن إذ نشاهد أن العمال النوبيين عند ما ينتهون من خدمتهم فى مصر بتقدم السن يعودون إلى بلادهم ليدفنوا فى أرض الوطن . ولدينا من الدولة القديمة بعض مناظر تدل على ذلك[٢] . ومن الجائز أنه بوساطة هذه الهجرة التى بدأت على ما يظهر منذ زمن مبكر حدث اختلاط الدم النوبى بالدم المصرى بالتزاوج بين أفراد البلدين ، ومن الجائز كذلك ما يلحظ من أن لون « بيبى عنخ » الأسود الذى كان يسكن « الفنتين » يرجع سببه إلى أن أمه كانت نوبية ، وكذلك الرأس الأسود الذى وجده « ريزنر » فى أثناء الحفر فى منطقة « الأهرام » لأميرة يرجع سواده لاختلاط الدم النوبى بالدم المصرى[٣] .

وليس لدينا آثار كثيرة تحدثنا عن العلاقات بين بلاد النوبة ومصر فى عهد الأسرة السادسة ولكن يمكن أن نلحظ أنه فى عهد « بيبى الثانى » قد حدثت بعض تغيرات

---

(١) راجع A.Z., 42, p. 7 ff; Urk., I, p. 209 ff.

(٢) راجع Junker, Vorbericht, 1913 : p. 22 ; Junker, Giza, II, p. 194 ; Junker, Kubanieh Nord, p. 14 ff.

(٣) راجع Bull. Boston, M.F.A., 13, p. 32 ff., Fig. 9 ; cf Petrie, Ancient Egypt, 1916, p. 48.

فى العلاقات الودية التى كانت سائدة فى عهد الملك «مرنرع» . ففى كتابات «حرخوف» نفهم من خلال رحلاته المختلفة بعض هذه التغيرات . ففى رحلته الأولى قام مع والده إلى بلاد «يام» لارتياد الطريق الموصلة إليها وقد استغرقت الرحلة سبعة أشهر وقد أحضر معه كل أنواع المحاصيل إلى أرض الوطن ولم يذكر لنا عن العلاقات بين مصر وسكان النوبة أية كلمة . وفى الرحلة الثانية ذهب بمفرده عن طريق « الفنتين » إلى « أرثت » و « ماخر » و « ترس » ثم « أرثت » وقد استغرقت السياحة ثمانية أشهر ثم عاد بكل أنواع المحاصيل من هذه الجهات ، ويذكر لنا أنه عاد من مكان بيت أمير « ستو » و «أرثت» ، وبعد ذلك فتحت أمامه مجاهل هذه البلاد ، فكان الهدف الذى يرمى إليه فى رحلته فى هذه المرة هو كشف مجاهل هذه الأقاليم . ولكن فى عودته تلاقى مع الأمير الذى كان يسيطر على إقليمى « ستو » و « أرثت » . والظاهر أنه قد ألف حلفاً نوبياً يحتمل أن غرضه كان مناوءة مصر ، ومن المحتمل أن «حرخوف» قد لاقى بعض الصعاب مع أعضاء هذا الحلف ، وربما كان هذا هو السبب الذى جعله يختار فى رحلته التالية الطريق التى تخترق الواحات ويهجر طريق النهر ، وفى رحلته الثالثة نجد إيضاحات بينة لهذه الصعوبات ، فقد اتبع طريق الصحراء ، ولكن مما يؤسف له أن اسم المكان الذى خرج منه وجد فى النقوش مهشما . فيقص علينا أنه سار على طريق الواحات وساح إلى واحة « كركر » فواحة «دنقل» وبذلك تحاشى المرور من شمال بلاد النوبة ، وبعد ذلك قام أمير «يام» الذى كان يقوم بحملة على بلاد «تمحو»[1] (أى اللوبيين) وقد تصالحا معاً . وفى عودته تقابل مع أمير البلاد «أرثت» و «ستو» و «واوات» معاً . ومن المحتمل أن ذلك يعنى أن هذا الحلف قد وسع رقعة ممتلكاته . ومن المحتمل كذلك أن نفس هذا الأمير قد أخضع بلاد « واوات » أيضاً ، وعلى أية حال فإن «حرخوف» كانت لديه أسباب وجيهة تجعله يتجنب الطريق التى تمر بهذه الجهة فى سياحته الطويلة ، ولكنه عند عودته وقف إلى جانبه أهل إقليم « يام » الذين كان قد اجتذبهم

---

(١) راجع ما كتب عن « التمحو » فى مصر القديمة الجزء السابع ص ٣٦ الخ .

إلى جانبه ، وهؤلاء كانوا خارج الحلف المشار إليه سابقاً ، وربما كان لهم مصلحة مشتركة فى ذلك مع مصر . وبذلك كان على « حرخوف » أن يتخذ الطريق المحاذية للنيل دون أى تردد . يضاف إلى ذلك أن قافلته كانت محملة بالمحاصيل المنوعة من بلاد «يام» فأجبره ذلك على ما يظهر على اتخاذ طريق أخرى ، ويقص علينا « حرخوف » فى أثناء مقابلته لأمير « أرثت » و « ستو » و «واوات» مقدار ما كان لديه من قوة ونفوذ فاستمع إليه وهو يقول : « وعندما رأى رؤساء « أرثت » الخ (انظر الترجمة المنشورة سالفاً). ويقول «ريزنر» عن هذه الرحلة[1] : إن «حرخوف» فى رحلته الثالثة كان بدهيا فى الصحراء الغربية ، ويقول إنه ابتدأ من مكان لم يمكن تحقيق قراءته فى النقوش وإنه كان ذاهباً على طريق الصحراء وقد وجد أن صديقه حاكم « يام » قد ذهب إلى الأماكن النائية فى الصحراء الغربية ليقوم بغزو بلاد « تمحو » (لوبيا) . وقد ذهب «حرخوف» أو أرسل رسلا للحاق بحاكم «يام» الذى يحتمل أنه يعادل الآن ملكا صغيراً من الملوك فى عصرنا الحالى أو شيخ قبيلة فأحضره ، والظاهر أنه أتم معه صفقات تجارية فى « يام » (المتن هنا مهشم) أو فى سوق فى متناول « ملك » « يام » (أى « ملك يام ») . ولم يجهر « حرخوف » على الإيغال أكثر من ذلك دون حماية هذا «الملك» الذى لابد أنه قد دفع له ثمنا طيباً على ذلك . وباقى البيانات عن هذه الرحلة والعودة مفيد : « . . . قبل « أرثت » وخلف « ستو » وقد وجدت حاكم « أرثت » و « ستو » و «واوات» (كامنين) عند رأس الطريق عندما كنت آتياً ومعى ثلثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت « حكنو » (أحد الزيوت الخمسة أو الستة المستخرجة من نباتات السودان وزيت الخروع هو أهمها وهو الذى يعرف على الأرجح بحبوب «سسان») ، وجلود الفهود ، هذا عدا أسنان فيلة كثيرة وكل محصول طيب . وبعد أن رأى حاكم « أرثت » و «ستو» و «واوات» جنود «يام» العديدين وهم الذين كانوا آتين معى إلى البلاط بالاضافة إلى الجنود المصريين الذين أتوا معى

---

(١) راجع Reisner, Kerma, II, p. 540

فإن هذا الحاكم (أى حاكم « أرثت » و « سثو » و «واوات ») أرسل ليمطينى ثيراناً وماعزاً وأن يرشدنا إلى طريق جبل أرض « أرثت » . وهذه الفقرة إذا تغاضينا عن قصرها وما جاء فيها من أسماء أعلام يمكن أن نعدها مأخوذة من البيان الذى وضعه « بورخارت » الرحالة عن رحلته وعن قافلته التى ابتدأت من « دراو » وانتهت عند « بربر » عام سنة ١٨١٣ م ، فالوقت الذى أخذه تجار الدولة القديمة ليصلوا إلى بلاد أثيوبيا (كوش) كان نفس الوقت تقريبا الذى تنفقه قوافل « سنار » . ولا بد أن الأحوال السياسية فى كلا العهدين كانت واحدة تقريبا ، وتميز بعدم وجود حكومة مركزية وقد تغيرت الحال فى كلا العهدين فيما بعد ، ففى الأولى كان التغيير بفتح مصر لبلاد « كوش » ، وفى الثانية بفتح « محمد على » لبلاد السودان .

على أن ما يلفت النظر فى كلام « ريزنر » هو قوله : « إن حاكم « يام » قد ذهب إلى الأماكن النائية فى الصحراء ليقوم بغزوة على بلاد « تمحو » (لوبيا) . والواقع أنه من المستحيل أن توجد بلاد « تمحو » بالإقليم الشمالى الذى نسمع عنه بهذا الاسم فيما بعد ، وأوفق نظرية وأكثرها جرأة فى هذا الصدد هى أن نفرض أن عبارة أرض « تمحو » كانت تطبق على أى إقليم زحف عليه اللوبيون ذوو البشرة البيضاء . فمثلا جنود أرض « تمحو » الذين ضمهم « ونى » فى جيشه يمكن أن يكونوا قد أتوا من « الواحة الخارجة » ، وذلك لأنهم لم يذكروا فى الجزء الأول من الفقرة نفسها التى تتحدث عن الدلتا ، ولكن ذكروا فى وقت واحد مع عدد من القبائل النوبية ، وعلى أية حال فإن ما يبعث أكثر على الحيرة الإشارة إلى هؤلاء اللوبيين فى حياة « حرخوف » حيث يحدثنا كما هو مذكور فيما سبق أنه للمرة الثالثة قد أرسل إلى « يام » (التى تقع فى مكان ما فى الشمال من « وادى حلفا ») « وقد وجد أن رئيس القبيلة قد رحل إلى بلاد « تمحو » ليضرب « التمحو » حتى الركن الغربى من السماء » . والواقع أن قيام رحلة إلى الواحة الخارجة يعد مشروعاً غير ممكن تنفيذه بوساطة

رئيس قبيلة صغيرة ، هذا بالإضافة إلى أن « الواحة الخارجة » تقع فى الاتجاه الخاطئ من موطن «حرخوف» فى « الفنتين » كما أنهـا بعيدة جداً عن « يام » والفرض الطبعى هو أن « حرخوف » قد وصل فعلا إلى « يام » وأنه بعد وصوله هناك وجد أن رئيس القبيلة قد ذهب لمحاربة اللوبيين الذين يُنتظر أن يجدهم الإنسان بعيداً جداً فى الجنوب الغربى . ففى هذه الجهة لا يوجد أقليم صالح للسكن فى هذه البقعة حتى يصل الإنسان إلى واحة « دنقل » ، و « واحة سليمة » لا يمكن أن تعد إقليما صالحاً للسكنى ، يضاف إلى ذلك أن واحة « دنقل » أقل احتمالا من « الواحة الخارجة » لتكون هى أرض « تمحو » التى يقصدها هنا «حرخوف» . ويقول « جاردنر » إن تفسير العبارة التى جاءت عن بلاد « تمحو » فى نقوش « حرخوف » قد أعجزه كلية[1] ثم يقول إن أرض « تمحو » التى غزاها «سنوسرت الأول» كما جاء فى قصة « سنوهيت » كانت تقع بوضوح فى الشمال الغربى من الدلتا ، ومن المحتمل أنهـا كانت تمتد فى هذه الناحية من جهة الغرب حتى « تريبوليتانيا » (أقليم طرابلس) « ولا بد أن نضع فيها كل قوم » التمحو « الذين ذكروا فيما بعد هنا[2] » .

على أنه من المحتمل أن المقصود من الطريق الأخيرة التى اتبعها وهى المختصرة هى الطريق الواقعة بين « توماس » و « المضيق » وأن الأمير قد أرشده إلى اقتفائهـا . وعلى ذلك كان من الواجب على « حرخوف » أن يكون على حذر حتى لا يقع فى المصيبة التى وقع فيهـا من بعده المماليك الذين كان يطاردهم « محمد على » فى بلاد النوبة وكانوا قد وثقوا بقبيلة «العبابدة» ولم يكونوا على علم بنفس هذا المكان فأضلوهم السبيل فى الصحراء وماتوا عطشا وهم بجوار الآبار ، فقد خبأها منهم «العبابدة» وباعوها لغيرهم[3] .

---

(١) راجع Gardiner, Onomastica, I, p. 116

(٢) راجع Ibid, p. 116

(٣) راجع Burckhardt, Travels in Nubia, (1819), p. 181 ff

والظاهر أن « حرخوف » كان كلما أوغل فى الجهات الجنوبية فى رحلاته يقابل صعاباً كبيرة ، وكذلك كانت تزداد معارضة القبائل الجنوبية له . وإذا كان الحلف السابق الذكر لم يكن متينا ، وأنه بعد موت قائده وشيخه قد انحل فلا بد أن أعضاءه قد لاقوا صعوبات ومناهضة من قبل مع مصر ، وذلك لأن النوبى كان يركز معظم همه فى رفع أسعار سلعه والضرائب التى كان يجبيها من القوافل إذ كانت مورده الوحيد لكسب عيشه .

هذا ويجد المطلع على تاريخ هذه الفترة صورة أخرى عن العلاقات التى كانت بين البلدين فى المتن الذى تركه لنا العظيم « بيبى نخت » ، غير أنه فى هذه المرة لم يكن يقوم ببعث سلمى مثل بعوث « حرخوف » بل كان حربا عوانا على النوبيين لم نسمع من قبل بمثلها فى النقوش التى قبل عهد « بيبى نخت » ، ومن المحتمل أن ذلك يرجع إلى ظهور مقاومة مسلحة من جانب النوبيين للمصريين الذين أخذوا يستهينون بالأهالى بعد أن اتضح لهم نجاح رحلات « حرخوف » وعودته بكثير من المحاصيل المحلية المرغوب فيها كثيراً فى مصر . وقصة « سبنى » ووصفها لموت والده وحجز جثته فى بلاد النوبة لها علاقة بتغيير الأحوال بين البلدين ، وأن العداء منذ ذلك الوقت قد بدأ يظهر من جانب النوبيين للمصريين الذين أخذوا يناصبونهم العداء جهاراً ولولا ذلك لما قضى على القافلة التى كان يرأسها والد « سبنى » ولعاد أتباعه بجثته إلى مصر، ولم يكن هناك داع لإرسال حملة لهذا الغرض[2] ولا أدل على خيبة رحلة والد « سبنى » خيبة تامة من أن البضائع التى كان قد جمعها هذا الأب قد حملتها أولا قافلة ابنه إلى مصر ، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن المتن وجد مهشما عند النقطة التى بدأ فيها وصف الكارثة ، ولذلك أصبحنا وليس فى مقدورنا الحصول على أى تفصيل عن هذا الحادث ، غير أنه من الجائز أن والد « سبنى » قد انقض عليه الأهالى وذبحوه . هذا وقد قص علينا كذلك « بيبى نخت »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٨٨

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٩١

السالف الذكر السبب فى قيامه برحلة للبحر الأحمر تشبه حوادثها قصة رحلة «سبنى» .
وتلخص هذه القصة فى أن أحد الضباط الذين أرسلوا فى حملة إلى سواحل البحر الأحمر
واسمه «عنخت نينى» كان يريد أولا بناء سفينة والسفر بهـا إلى بلاد «بنت» التى
كان يعتقد فيها المصريون أنها أرض الإله ، وأن أصلهم يرجع إليها ، وعند ما كان
«عنخت نينى» هذا منهمكا فى بناء سفينته عند ساحل البحر الأحمر غير ملتفت
إلى ما حوله انقضت عليه وعلى رجاله قوة من البدو وقضوا عليه ، وقد كان
من الضرورى معاقبة المعتدين على فعلتهم هذه ، ولكن كان أهم من ذلك إحضار جثة
«عنخت نينى» إلى مصر ولذلك أرسل «بيبى نخت» ثانية للقيام بهذه المهمة .

هذا ولدينا بعض موظفين آخرين لهم علاقة ببلاد النوبة ، غير أنهم لم يقوموا بدور
هام إلا «ثنى»[1] فقد أرسله الملك لجمع الضرائب من بلاد النوبة وعاد بها ممـا يدل على
أنه كانت هناك جزية تفرض على الأهلين .

على أن النشاط الذى ظهر فى بلاد النوبة بصفة جدية ، وكذلك إرسال الحملات
التأديبية لم يستمر طويلا ، وذلك لأن الوهن والضعف وسوء الحكم كان قد أخذ
يتفشى فى داخلية البلاد التى مزقها الحكم الإقطاعى الذى تجلى بأبشع مظاهره فى أواخر
الأسرة السادسة ممـا أدى إلى القضاء على كل نشاط سياسى خارج البلاد ، سواء أكان
ذلك فى الشمال تجاه آسيا أم فى الجنوب تجاه بلاد النوبة ، وقد ظلت العلاقات بين
مصر وهذه البلاد تكاد تكون معدومة فلم نجد إلا بعض إشارات فى المتون التى من
العصر المتوسط الأوّل تدل على علاقات فاترة بين مصر وجنوب الوادى ، غير
أن الحفائر التى عملت فى بلاد النوبة فى أوائل هذا القرن قد دلت على ظهور حالة
جديدة فى بلاد النوبة لم تشاركها فيها مصر .

ويجب ألا ننظر إلى الحملات التأديبية التى قام بها رجال البعوث فى بلاد النوبة

---

(١) راجع Urk., I, 30, p. 141

على أنها كانت بعوثا تقوم على أسس حربية منظمة ، كالتى أرسلها ملوك الأسرة الثانية عشرة فيما بعد ، وذلك بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا فى هذا الصدد . وعلى ضوء الحفائر التى قامت فى هذه الجهات . وقد ظن بعض المؤرخين أن هذه البعوث الحربية كان لها مراكز حربية فى نفس بلاد النوبة فكان بها معاقل فى « اكور » و « كوبان » و « عنيبة »(1) . وقد استنبط ذلك « فرث » من المبانى فقط دون أن يستند على أى متن من هذا العصر يشير إلى وجود هذه المعاقل فى تلك الفترة وبخاصة أن نقوش قواد البعوث قد وجدت خالية من أية إشارة تدل على وجود حصن واحد . وعلى أية حال فإن كل ما يمكن قوله حتى الآن فى هذا الصدد هو أننا لا نعرف شيئاً على وجه التأكيد عن المبانى المحصنة فى هذا العهد ولا شكلها ولا الأماكن التى أقيمت فيها ، ولعل الكشوف المقبلة تحدثنا عن بعض التفاصيل فى هذا الموضوع ، ولكن مما لاشك فيه أن مصر لم تكن قد أوغلت فى تثبيت قدمها فى بلاد النوبة وأنها عند ما بدأت فى إيجاد مركز سياسى لها كانت قد أخذت هى فى أسباب الوهن ودبت فيها الفوضى الداخلية فلم تتقدم كثيراً فى هذا المضمار . بل على العكس تأخرت فى ركب الحضارة وأخذت النوبة بدورها فى تلك الفترة التى نسميها العصر المتوسط الأول تخطو نحو الأمام فى مدارج الحضارة مما سنفصل القول فيه فيما يلى كما استنبط من الحفائر الحديثة . وهذا العصر هو الذى يطلق عليه مجموعة ثقافة C

(1) راجع Firth, Ibid, p. 22 ff.

العصر النوبى المتوسط الأوّل

المجموعة الثقافية C (من ١ – ٤)

حوالى ٢٤٠٠ ق . م — ١٦٠٠ ق . م

كان يسكن فى بلاد النوبة السفلى قوم من النوبيين القدامى الذين ينسبون إلى نفس جنس سكان مصر فى عهد ما قبل التاريخ ، ولكن دمهم الحامى كان مختلطاً بدم الزنوج وهم الذين تخطوا الشلال الأوّل من الجنوب ونزلوا فى الوجه القبلى واستوطنوه وهؤلاء القوم كانوا فى الأصل رعاة ماشية يشبهون قبيلة «البقارة» الحالية التى يرعى أهلها ماشيتهم فى مراعى « كردفان » وقبيلة « المعازة » التى يربى أهلها الماعز فى رقعة الصحراء الشرقية[١] ، وقد استوطنوا وادى النيل ، ولا يمكننا أن نحكم على وجه التأكيد من أين جاء هؤلاء السكان الجدد وقد ذهب الأثرى « فرث »[٢] ، والأستاذ « ينكر »[٣] إلى أن موطنهم الأصلى فى الجنوب الشرقى من البقعة التى ينبع منها النيل الأزرق وعطبرة ويتألف من مجراهما طريق طبيعى إلى وادى النيل فى بلاد النوبة ، وفى هذه البقعة نجد موطن أهل ثقافة « كرمه » الذين يسكنون بلاد النوبة العليا ، وقد نمت ثقافة القوم وترعرعت فى « دنقلة » ، غير أن الأستاذ « ستيندورف » يرجح نظرية أخرى فى هذه المعضلة وافقه عليها الأثرى « فرث » وأنكرها الأستاذ « ينكر » ، وذلك أن قوم مجموعة ثقافة C قد أتوا من الجنوب الغربى من « كردفان » وسكنوا أولا فى منطقة الشلال الثانى ، ونذكر هنا بهذه المناسبة نظرية أخرى أدلى بها « فرث »[٤] إذ يقول إن أول وأبسط فرض يخطر بالبال هو أن الجنس الزنجى قد دخل وادى النيل

---

(١) راجع Faras, p. 67

(٢) راجع Firth, Report, II, p. 19

(٣) راجع Kubanieh Nord, 9 ff., 179

(٤) راجع Firth, II, p. 19

النوبى من جهة السودان واختلط بالقبائل الحامية التى تقطن الصحراء الشرقية وهم الذين يمثلهم الآن «العبابدة» و « البشاريين » و «الهدندوة » ولكن يعترض هذه النظرية التى ينكرها كذلك الأستاذ « ينكر» النتائج التى أسفر عنها بحث الأجسام البشرية وذلك أن الهياكل العظمية لمجموعة C ليس فيها إلا نسبة ضئيلة من الجنس الزنجى ، وهنا نقف أمام سؤال لم تسفر البحوث الأثرية عن جواب شاف له ، وهو ما أصل هذه السلالة التى غزت البلاد النوبية ؟ ويجب أن نعلم حق العلم أننا هنا أمام جنس من الناس يحيط بأصله الغموض والإبهام وليس لدينا أية معلومات كتابية تميط اللثام عنه (وقد تحدثت عن أصل ثقافة مجموعة C عند التحدث عن جولان « التمحو» وخزفهم الذى عثر عليه فى بلاد النوبة فى الجزء السابع من مصر القديمة ص ٦٥ — ٧٤) .

والذى نعرفه أن هؤلاء القوم المهاجرين بمجرد اختلاطهم بالسكان الأصليين كوّنوا لأنفسهم ثقافة جديدة نامية أخذت عناصر كثيرة من الثقافة النوبية القديمة ، وبخاصة الفخار ، ولكنها على وجه عام كانت ثقافة قائمة بذاتها ، وقد احتلت مكانة عالية فى الحياة القومية نفسها ، وإذا ماقرنت بثقافة الدولة الوسطى المصرية عدّت ساذجة إلى أقصى حد ، بالنسبة إليها ، ويمكن أن تعدّ بمثابة الثقافة النحاسية الحجرية المتأخرة. ولم تأخذ عن المنتجات الثقافية الأجنبية إلا الشئ الضئيل جداً وذلك لأن الأهالى كانوا شديدى الفقر فلم يفكروا فى جلب أشياء كمالية من الخارج ، وعلى ذلك لم يجلب من مصر الغنية أشياء مصنوعة من النحاس إلا القليل كالمرايا والخناجر وقطع الزينة الرخيصة أو الأوانى المصنوعة من الفخار كالأباريق القناوى وما أشبه ذلك . وكان يتجر فيها تجار جائلون وهم الذين كانوا يتنقلون بسلعهم من مكان إلى آخر ، ولكن من جهة أخرى لم يكن هناك أى تبادل تجارى بين أهل مجموعة ثقافة C ومصر . ومن جهة أخرى نستخلص أنه كانت تقوم بين هؤلاء الناس وبين سكان ساحل البحر الأحمر معاملات ماهرة ، إذ كانوا يجلبون من ساحل البحر الأحمر الأدوات الضرورية للزينة وبخاصة المحار الذى كان يحمله بدو الصحراء الشرقية إلى وادى النيل .

هذا وليس لدينا أى دليل على قيام أية معاملات تجارية بين هؤلاء القوم وبين بلدة « كرمة » التى كانت تعد المركز الثقافى المصرى لبلاد النوبة العليا .

اسماء بلاد النوبة والسودان :

وقد ظهر خلال باكورة الدولة الوسطى فى النقوش المصرية اسم جديد للجزء الأعلى من وادى النيل لبلاد النوبة وهو « كاش » . وبهذه المناسبة سنفحص هنا الأسماء التى سميت بها بلاد السودان فى مختلف عصور التاريخ وسنبدأ أولا بالاسم الحديث الذى استعمله المؤرخون فى كتب التاريخ الآن وهو :

« أثيوبيا » ولا نزاع فى أن لفظة « أثيوبيا » التى استعملها الكتاب القدامى والأثريون المحدثون هى لفظة تنقصها الدقة للدلالة على الاقليم الخاص الممتد من أعالى النيل ، والذى يشمل من أول « حلفا » تقريباً حتى ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض عند « الخرطوم » . وقد دلت البحوث الأثرية الحديثة على أن المراكز الرئيسية للثقافة والسكان فى هذا الاقليم كانت منطقة «دنقلة» الحالية ما بين الشلال الثالث والرابع ومركز «مروى» . وهذا الاقليم لايشمل بلاد الحبشة (أبيسينيا) الجنوبية الشرقية .

والواقع أن لفظة « أثيوبيا » قد استعملت لتدل على الأقطار الواقعة جنوب مصر نفسها وتشمل المساحة التى نعرفها الآن بهذا الاسم . ولكن هذا الاسم يستعمل بطريقة مبهمة حتى أنها كانت تشمل كل بلاد النوبة السفلى وبلاد الحبشة ، وفضلا عن ذلك فإن هناك عنصراً آخر زاد فى ارتباك معنى هذا الاسم ، وذلك أن سكان بلاد السودان الأحداث لا يعدون أنفسهم أثيوبيين ولا يرغبون فى أن يطلق على بلادهم هذه التسمية[١] . وكان قدماء المصريين فى عهد الدولة الحديثة يشيرون إلى الأراضى الجنوبية بلفظين وهما :

(١) « واوات » وتعادل بلاد النوبة السفلى من أسوان حتى « وادى حلفا » .

---

(١) راجع El Kurro, p. 1 ff.

(٢) و « كوش » وكانت فى نظرهم الاقليم الواقع جنوب « وادى حلفا » وعاصمته « نباتا » ويحكمه نائب ملك يحمل لقب « ابن الملك صاحب كوش » . ومملكة « كوش » هذه عندما استقلت كانت تشمل « مروى » ، وكانت فى عصورها الأخيرة تحكم من هذه المدينة .

والواقع إذاً أن ما يسمى بلاد « أثيوبيا » عند المؤرخين القدامى هو بلاد « كوش » . وأول ذكر لهذا الاسم (كوش) على الآثار كان فى نقوش اللعنة التى وضعها الأستاذ « زيته »[١]

وقد بحث الأستاذ « ستيندورف » الأسماء المختلفة التى أطلقت على بلاد السودان أو على أجزائها فى مقال ممتع[٢] ، وسنورد هنا هذه الأسماء ونتحدث عن كل منها :

(١) « نخنت — حن — نفر » : وجد هذا الاسم فى قائمة البلاد التى خلفها لنا « رعمسيس الثانى » على جدران معبد « العرابة المدفونة »[٣] . وهذا الاسم يعد أحدث أسماء بلاد النوبة بعد اسم « أثيوبيا » وكان أول ذكر له على الآثار فى نقوش القائد « أحمس » بن « أباناً »[٤] ، وتدل المتون على أن هذا الاسم كان يطلق على السودان حتى الشلال الثالث على الأقل ، بل يحتمل على كل البلاد التى كانت خاضعة لمصر فى هذه الجهات الجنوبية ولم يكن يقتصر على جزء معين من بلاد النوبة .

(٢) « كاش » أو « كوش » : هذا الاسم أقدم من السابق بمئات السنين

---

(١) راجع Sethe, Die Achtung feindlicher Fursten Folker und Dinge auf altägyptischen Tongefass-scherbin des Mittlern Reiches, p. 183.

(٢) راجع Steindorff, Studies Presented to Griffith, p. 360 ff.

(٣) راجع Mariette, Abydos, II, p. 12

(٤) راجع Urk., IV, p. 5 ff.

وكان ينطق فى أقدم الكتابات « كاش » وقد عثر عليه فى النقوش المصرية فى أوائل الدولة الوسطى كما ذكرنا من قبل[١] . وقد ظهرت كلمة « كاش » فى نفس الوقت الذى ظهر فيه قوم أصحاب ثقافة مجموعة C فى وادى النيل ، وقد أصاب الأستاذ « يُنكر »[٢] عند ما قال إن « كوش » لا تعنى إلا الأراضى التى تسكنها أهل مجموعة ثقافة C ، وهى البلاد الجنوبية التى تمتد من الشلال الثانى حتى « أسوان » ، ولا نعلم كيف امتد هذا الاسم فى كل الرقعة التى يطلق عليها ، كما كانت الحال على ما يظن مع اسم « خنت — حن — نفر » ، والواقع أن هذا الاسم قد أطلق فيما بعد على كل البلاد التى كان يحكمها « ابن الملك صاحب كوش » . فكانت « كوش » كما ذكرنا من قبل هى على وجه التقريب بلاد « أثيوبيا » فى العهد اليونانى الرومانى .

(٣) تاستى : أما ثالث اسم لبلاد السودان فنجده فى قائمة أسماء البلاد بالعرابة المدفونة وهو « تاستى » وهو أقدم اسم لهذه الجهات الجنوبية وكان يترجم فيما مضى « بأرض القوس » ، غير أن الأستاذ « ولف » قال إن العلامة (ستى) لا تدل على القوس[٣] . ويرجع الفضل للأستاذ « ارمان » فى قراءة هذا الاسم « تاستى » الذى كان يقرأ قبل « تاخنت »[٤] ، وكتابة هذا الاسم فى متون « الاهرام » تدل على أنه بلد أجنبى أو جبلى . وقد ظن البعض أن « تاستى » لم تكن تطلق فى الأصل على بلاد النوبة بل على أول مقاطعة من مقاطعات الوجه القبلى من جهة الجنوب ، ولكن الوثائق دلت على أن هذا زعم خاطئ . ولا نعلم إذا كان إقليم « واوات » هو جزء من بلاد « تاستى » أو كان يقع فى الأصل جنوب حدود « تاستى » . وعلى أية حال فإن بلاد « تاستى » كانت تشمل فى الأسرة الثامنة عشرة كل بلاد النوبة إلى الشلال الثانى وتتفق جزئيا مع الاسم « خنت — حن — نفر » ، وذلك أن أقدم جزء

---

(١) راجع Sethe, Die Achtung, etc, p. 33

(٢) راجع Kubanieh Nord, p. 17—18

(٣) راجع Wolf, Bewaffung. p, 27, Anm. 4

(٤) راجع A.Z., XLV, p. 128

من معبد « سمنة » كان منذورا للاله سيد بلاد النوبة « ددون » . وتقع « سمنة » فى بلاد « تاستى » هذا إلى أنه عند ما ذكر فى لوحة « نورثمبتون »[١] أن خشب الأبنوس يأتى من « تاستى » فإن هذا لا يعنى بلاد النوبة السفلى بل يعنى بلاد السودان الواقعة جنوب الشلال الثانى .

وعلى ذلك فإن الأهالى الذين كانوا يسكنون أرض « ستى » أى الذين يسكنون فى وادى النيل النوبى كانوا يعرفون باسم « ستيو » منذ أقدم العهود دون الالتفات إلى نوع الثقافة التى يتبعونها سواء أكانوا تابعين إلى الثقافة الأولى أم الثانية أم الثالثة . ومن هنا وجب علينا أن نترجم هذا الاسم بكلمة « النوبيين » ، غير أنه يلزم أن نعلم تمام العلم أن كلمة « النوبيين » لا يمكن تحديدها بأى جنس بل تطلق على أى قوم من الناس سكنوا بلاد النوبة فنجد اسم « ستيو » كان فعلا منذ عهد « مينا » فى كتابات القبور الملكية[٢] إذ يشير فيه إلى ضرب « ستيو » ، وفى عهد الدولة الوسطى نجد فى متن حرب الملك « منتوحتب » فى الأسرة الحادية عشرة ذكر هؤلاء القوم بوصفهم « ستيو » بجانب « ستتيو » (سكان آسيا) . وفى الدولة الحديثة قد جاء ذكر « ستيو » أيضاً[٣] ، حيث يقال إن « تحتمس الأول » فى حملته على أهل الجنوب هزم أمراء « ستيو » .

(٤) نحسيو : ونجد اسم « نحس » أو « نحسى » الذى جمع على « نحسيو » مستعملا أكثر من اسم « ستيو » ويقصد به سكان الجنوب[٤] واسم « نحسيو » كان يترجم إلى زمن قريب بكلمة « زنجى » ومن ثم استنبط أن بلاد النوبة كانت فى العهد القديم مسكونة بقوم من الزنوج غير أن الكشوف الحديثة فى بلاد النوبة برهنت على أن سكان هذه البلاد وهم الممثلون للمجموعتين الثقافيتين A&B وكذلك المجموعة الثقافية C ،

---

(١) راجع Urk., IV, p. 423

(٢) راجع Petrie, Royal Tombs, II, p. 3, 2

(٣) راجع Urk., IV, p. 83

(٤) راجع Sethe, Die Achtung, etc., p. 25 ff.

وهى التى وفد أهلها فيما بعد إلى بلاد النوبة لم يكونوا بأية حال زنوجا بل هم من أصل حامى وقد اختلط دمهم بعض الشئ بالدم الزنجى . وقد أثبت الأستاذ «ينكر» بعد البحث المسبب أنه لم يوجد حتى عهد الدولة الحديثة فى الرسوم المصرية صورة «زنجى» وأن اسم «نحسيو» لا يطلق فقط على أهل النوبة سكان وادى النيل من «أسوان» حتى السودان وحسب بل كذلك يشمل سكان بلاد «بنت»(١) . وعندما دخل الزنوج لمرة الأولى بلاد النوبة حوالى بداية الأسرة الثامنة عشرة واستوطنوها كانوا لذلك يسمون «نحسيو» ؛ وعلى ذلك نجد أن كلمة «نحسيو» قد أخذت شيئا فشيئا تحمل المعنى الخاص بالزنوج ، ومنذ الأسرة الثامنة عشرة ذكرت بلاد «نحسيو» وأطلقت على أرض الزنوج ، ومن ثم ظهر فى المناظر التى من عهد متأخر أجناس العالم الأربعة كما وجدت منقوشة فى مقبرة «سيتى الأول»(٢) فكان «النحسيو» يمثلون ببشرة سوداء وشعر مجعد بجانب «العامو» (أى السامى) و «التمحو» (اللوبى) و «رمث» المصرى (ومعنى الكلمة الأخيرة هو الناس إذ كان المصرى يعتبر أن الناس هم المصريون وسائر العالم همج) .

(٥) «أونوت» : وكذلك يوجد بجانب الاسمين «ستيو» و «نحسى» اسم آخر يعد أقدم الأسماء بكونه نعتا لأرض الجنوب وأعنى بذلك كلمة «أونوت» . وقد وجد هذا النعت فى كثير من النقوش التاريخية منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة مستعملا صفة لاسم «ستيو» أو مضافاً لكلمة «ستى» أو «تاستى» . فيقال «ستيو — أونوت» أى نوبيو «أونوت» . وقد جرت التقاليد على أن يترجم اسم قوم «أونوت» بكلمة «تروجلوديت» Troglodite (أى سكان الكهوف) ، أى أن هؤلاء «الأونوت» هم قوم كانوا يسكنون الجنوب الشرقى من الصحراء

(١) اقرن L.D., III, p. 163 حيث نجد عبارة نحسيو بنت وكذلك راجع Junker, Das Erste Auftreten der Neger in der Geschichte (Almanach der Akademie d. Wissinschaft Wien 1925)

(٢) راجع L. D., III, p. 136

بين النيل والبحر الأحمر ، ويقول عنهم « زيته »[1] أنهم يمثلون أهل قبيلة « مجا » أو « مزا » (المزاوى) الذين يسكنون الصحراء بين النيل والبحر الأحمر ويفدون إلى وادى النيل . والواقع أن اسم هؤلاء القوم يمثل قبيلة « مجا » وواضع هذا التفسير هو الأثرى « بركش » ، غير أن تفسيره اللغوى لكلمة « أونوت » لا يتفق مع المعلومات الحديثة فى هذا الصدد ، إذ قد اشتق « بروكش » كلمة « أن » التى تعنى عموداً أو دهليزاً من أصل الحجر الذى عمل منه العمود وربطها بكلمة أرض جبلية أو مكان فيه حجارة ، وعلى ذلك تكون كلمة « آن » أو « أنتى » معناها ساكن الجبل أو إنسان يسكن الكهف أى « تروجلوديت » مثل هؤلاء القوم الذين يسكنون بين البحر الأحمر ووادى النيل ، غير أن المعنى الحقيقى لكلمة « أونوت » على حسب قول « زيته »[2] هو فى الأصل قبيلة بدوية (ويقول « جاردنر »[3] أن عبارة « أونتى — ستى » مأخوذة من كلمة « أونت » التى تعنى قوساً ، وتعنى الرامى من القوس) ويظن « زيته » أن اسم قوم « أونوت » مشتق فى الأصل من الكلمة المؤنثة المفردة « أونت » ، وأصبح إذاً اسم الفرد المنسوب إلى هذه القبيلة يسمى « أونتى » . وهذا الاسم كان فى الأصل يطلقه المصرى القديم على قبائل مختلفة تسكن الصحراء الشرقية وقد أصاب « زيته » عند ما أطلقه على القوم الساميين الذين يسكنون شبه جزيرة سينا كما أطلقه كذلك على العرب الرحل الذين يسكنون صحراء العرب بين النيل والبحر الأحمر وهم العبابدة الحاليون . وكذلك بدو بلاد النوبة . ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك[4] .

والأمثلة التى جاء فيها لفظ « أونوت » وتعنى سكان الصحراء الشرقية ترجع إلى عهد الأسرة الأولى حتى الأسرة الثامنة عشرة .

---

(١) راجع Sethe, Urk., IV, ubersetzung, p. 3

(٢) راجع Sethe, Grab des Sahure, II, pp. 80—81

(٣) راجع Gardiner, Grammar, p. 533

(٤) راجع Studies presented to Griffith, p. 365 ff.

ويمكننا بعد درس هذه الأمثلة أن نستخلص باختصار ما يأتى :

فى استطاعتنا أن نفهم أنه كان فى الأصل ينضوى تحت لواء هذا الاسم القبائل التى لم تكن مصرية المنبت والعشائر التى تقطن شبه جزيرة سينا ، وكذلك التى كانت تسكن الصحراء الشرقية تجاه الوجه القبلى ، والتى تحتل بلاد النوبة ويحتمل كذلك الصحراء النوبية . ولكن نجد فى عهد الدولة الوسطى أن هذا اللفظ قد حدد معناه . ومنذ الدولة الحديثة كان يوضح معناه بكلمة « نوبى » ، وكانت الكلمة تطلق بوجه خاص على الأجانب الذين ليسوا مصريين ويسكنون وادى النيل النوبى فى الأراضى « ستى » و « خنت — حن — نفر » . وقد دلت الحفائر الحديثة التى عملت فى هذه الرقعة من الأرض على أن سكانها كانوا حاميى الجنس ولهم ثقافة خاصة بهم وهى التى تمثل ثقافة مجموعة C . وعلى ذلك يجب ألا نفهم أن « أونوت » الدولة الوسطى أو « أونوت » النوبيين التابعين للأسرة الثامنة عشرة مثل النوبيين القاطنين فى وادى النيل . والواقع أن نوبيى هذا العهد ليسوا من البدو ، وذلك عندما نعلم أن المقصود أنهم قبائل غير متوطنين . ومن باب أولى لا نفهم على هذا الزعم أنهم « التروجلوديت » الذين ليس لهم بهم أقل علاقة .

نعود بعد هذا العرض لأسماء بلاد النوبة المختلفة إلى ثقافة مجموعة C .

الأماكن التى وجدت فيها آثار ثقافة مجموعة C .

جمع المعلومات التى كشفت عنها البعوث المختلفة فى جبانات مجموعة C الأستاذ «يونكر» فى كتابه المسمى «كوبانيه الشمالية»[1] وبحثها . وجبانات هذا العهد كبيرة والمقابر كلها من العهد النوبى المتوسط وتشمل الجبانة رقم ٨٧ فى بلدة « كشتمنه »[2] والجبانات رقم ١٠١ — ١٠٣ فى «الدكه» والجبانة رقم ١١٨ فى «قرته غرب» وتشمل

(١) راجع Kubanieh Nord, p. 2 ff.

(٢) راجع Firth, I, p. 158 ff.

مقابر من عصر مجموعة C المبكر[1] وفى « عنيبة » و « فرص » .

ومقابر هؤلاء القوم مستديرة فى شكلها الخارجى وجزؤها الأعلى كان مبنياً بالحجر ويغطى المبنى المقام فوقها رمال الصحراء . والجزء الأسفل منها حفرة موضوعة فى الجهة الشرقية الغربية . وقد وضع المتوفى فيها مضطجعاً القرفصاء على الجانب الأيمن ووجهه متجه نحو الشمال وذراعاه وساقاه مغطاة بالملابس ، ولكن وجد أن هذا الوضع لجسم المتوفى لم يدم الحرص عليه ، فنجد هناك حفراً غالباً ما يكون اتجاهها من الجنوب للشمال فيتغير وضع الجثة تبعاً لذلك .

أما الأثاث الذى يوضع مع المتوفى فكان يوجد فى الجانب الخارجى من البناء الذى فوق حفرة الدفن فى الجهة الشرقية أو فى الشمال الشرقى عادة ، ويحتوى على أوان من الفخار الأحمر ذى الفوهة السوداء ونخار أحمر حافته محزوزة وأطباق عليها حزوز بيضاء تذكرنا بالأطباق المصرية التى ترجع إلى عهد ما قبل التاريخ ، وبالأطباق النوبية التى من مجموعة A الثقافية ، غير أنها من حيث الصناعة والنماذج تختلف عنها اختلافاً بيناً . وكذلك وجد نخار بدائى الصنع محزوز وغير محزوز . كما وجدت جرار حبوب وأوعية للمؤن وقعاب صغيرة من الفخار الصلب المصقول ذى اللون الأبيض المائل للخضرة . وهذه الأوانى هى التى يطلق عليها الأوانى القناوية وقد وجدت فى المقابر القديمة من مجموعة C بعدد قليل ، ومعظمها وجد فى العصر النوبى المتوسط .

وبدأت أولا عادة وضع الأوانى الفخارية مع المتوفى فى حجرة الدفن أو الحفرة فى فترة متأخرة من هذا العهد الذى يتحدث عنه . وقد ظهر بدلا من الأطباق التى كانت توضع فيها مواد التجميل صحاف مفرطحة معظمها من نخار النيل ، وقد وجد فيما كشف عنه من هذه الصحاف بقايا مادة الكحل . أما الأوانى المصنوعة من الحجر فقليلة جداً .

---

(١) راجع Firth, III, p. 145 ff.

هذا ووجدت كذلك مرايا من النحاس وحلى مؤلف من عقود مصنوعة من الخرز من أنواع مختلفة وأسورة وخلاخيل وأسورة معصم مصنوعة من مواد مختلفة وحلى عظيم كالأقراط ومشابك الشعر المصنوعة من الأصداف .

وتدل شواهد الأحوال على أنه إذا كانت بداية العهد النوبى المتوسط الذى يماثل ثقافة مجموعة C هى الأسرة السادسة فإن نهاية هذا العهد كانت فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة . وعلى ذلك تكون فترة هذه الثقافة حوالى ثمانية قرون من الزمن . والمفهوم أن هذه الثقافة لم تقف جامدة طوال هذه الفترة الطويلة بل لا بد قد حدثت فيها تغييرات ، ولكنها تغييرات ليست محسة بالنسبة لقوم بدائيين كالنوبيين . وذلك على العكس مما وجدناه جارياً من تغيرات فى الثقافة العالية التى كانت منتشرة فى وادى النيل فى مصر منذ توحيد البلاد .

وقد أشار الأثرى « فوث »[1] إلى الاختلافات التى توجد فى مختلف جبانات «الدكة» الخاصة بالمجموعة الثقافية C . وقد أثبت بحق وجود مميزات فى إقامة المقابر تدل على أنها صنعت فى أزمان قديمة متأخرة عن سابقتها وبخاصة ظهور المقابر المقببة والمزارات المقامة من اللبنات ، هذا بالإضافة إلى اتجاه المقابر نحو الشمال بدلا من الغرب ووجود أوان بها حزوز مملوءة بألوان مختلفة .

ويمكن تقسيم مدة هذه الثقافة على حسب الآثار التى عثر عليها فى « عنيبة » أربعة أقسام تاريخية منفصل بعضها عن بعض ، وإن كانت أحياناً تتداخل وهى :

(١) الثقافة النوبية المتوسطة رقم (١) : وتمثل العهد القديم الذى يبتدئ حوالى الأسرة السادسة والعهد المتوسط الأول المصرى . والآثار التى تمثل هذا العهد عثر عليها فى أجزاء جبانات «الدكة» و« عنيبة » و « فرص »، ولكن فى « عنيبة » على وجه التأكيد ، وتمتاز مقابر هذا العصر بأن مبانيها العلوية التى على سطح

---

(١) راجع Firth, II, p. 12 ff.

الأرض مقامة من الحجر الجيرى الأبيض المتماسك الحبات فوق حفرة صغيرة مستديرة الشكل . هذا وقد وجدت أحجار على هيئة لوحات كانت تقام بغير تنسيق فى الجبانة .

أما الأثاث الجنازى فكان يحتوى على أوان من الفخار حمر وسود وكذلك على أوان محزوزة من الأشكال والنماذج القديمة ، وعلى أوان ملونة باللون الأحمر [١] ومن جهة أخرى نجد أن الفخار النوبى الخشن الصنع معدوم [٢] ، وكذلك الفخار القناوى (جرار الحبوب وما أشبه ذلك) لا يوجد إلا فى حالات فردية [٣] . ووجدت المرايا المصنوعة من النحاس فى يد المتوفى اليمنى عادة أمام الوجه ، هذا إلى وجود أوان من الحجر لطحن الكحل ، ولم يعثر على المحار الخاص بحفظ مواد الزينة إلا قليلا . ووجد عدد عظيم من الحلى مؤلف من قلائد من الخرز بخاصة لأن الأنواع المحببة كانت هى الخرز والعقود المصنوعة من الصوان ذى اللونين الأسود والأبيض معاً والقلائد المصنوعة من الكرنالين والتعاويذ المصنوعة من الخرز والأختام التى على هيئة أزرار .

وسنتكلم عن الأقسام الأخرى فى عصورها .

(١) راجع Aniba, I, Gattung VII, p. 102 Pls. 66, 9, and 210

(٢) راجع Ibid, IV, p. 91 ff.; Taf 54—57

(٣) راجع Ibid, VI, p. 98, Pl. 60

العلاقة بين مصر وبلاد النوبة

فى العهد المتوسط الأول

مقدمة : كان المصرى منذ فجر تاريخه متمسكا بأهداب العدالة والحق والصدق والنظام التى كان يعبر عنها جميعاً بلفظة « ماعت » . ولذلك جاء فى أساطير القوم أن الآله «رع» الذى يعد أول من حكم مصر هو الذى جاء بهذا القانون وطبقه فى أنحاء البلاد . ولما رفع «رع» إلى السماء كما تقول الأسطورة وتنحى عن الحكم فى الأرض وبدأ يحكم بعده أخلافه على الأرض اتخذوا هذا القانون نبراسا لهم فى حكم البلاد ، ولهذا كان يدعى كل من يحكم مصر من بعده «ابن رع» مادام متبعاً قانون «ماعت» ، فإذا حادعنه ملك من الملوك فإنه لن يكون منه ، وقد ظل ملوك مصر منذ عهد «مينا» يترسمون فى خطواتهم هدى «ماعت» أكثر من ألف سنة إلى أن أخذ الملوك يحيدون عن هديها فضلوا السبيل وأضلوا البلاد معهم فلفظتهم وأقصتهم عن الحكم . ولقد بدأ الفساد يدب فى البلاد عندما أخذ ملوك مصر يهبون حكام الأقطاع الهبات ويرخون لهم العنان للعبث بالأهلين فى حين أنهم كانوا أنفسهم ينغمسون فى حمأة اللهو والفجور مما أدى إلى ضعف الحكومة المركزية وتمزق شمل البلاد حتى رجعت إلى سيرتها الأولى من الانقسام إلى إقطاعات كما كانت عليه قبل حكم « مينا » موحد مصر . وفى النهاية كان حكم الملك « بيبى الثانى » الذى ظل يحكم البلاد أكثر من تسعين عاما هو خاتمة المطاف فقد ضعفت فى أيامه الحكومة المركزية فى « منف » وكذلك سارت البلاد نحو الهاوية والانحلال بطبيعة الحال . وهذه الحالة قد أدت بلا نزاع إلى شل قوة مصر فى الخارج ، فكان من جراء ذلك أن روابط العلاقات التجارية الخارجية قد أصبحت مرتبكة ، ثم قطعت نهائياً . وتدل شواهد الأحوال على أنه بعد حكم « بيبى الثانى » غزا البلاد أقوام من الأسيويين بل ومن النوبيين أيضاً . فقد جاء ما يشير إلى ذلك من طرف خفى

فى الفقرة المشهورة من تحذيرات المتنبي « آبور »[١] التى نقتبس منها عن قطع العلاقات التجارية مع الأرض الشمالية (آسيا) الجملة التى جاء فيها : « ان الإنسان لم يعد يمكنه الحصول على خشب الأرز لأجل الموتى » ، وهذه العبارة لهـا ما يقابلها فيما يخص أرض الجنوب (أى النوبة) ، غير أنها لم تلاحظ كثيراً فيقول المتن : « لقد جردت (الناس) من ملابسهم ومادة « خسايت » وزيت « مرحت » (وهاتان مادتان لا تجلبان إلا من بلاد الجنوب) ، ومن ثم نرى أن هذه الفقرة تشير إلى أن العلاقات مع الجنوب كانت قد قطعت أيضاً كما انقطعت مع بلاد آسيا والشمال . وهذه الحالة قد أثرت فى « منف » بوصفها عاصمة البلاد فقد انقطع عنها محاصيل جنوب الوادى . هذا ولدينا فقرات أخرى فى نفس المتن تدل على شيوع الاضطراب فى البـلاد : « أن « الفنتين » و « طينه » (؟) يتبعان الوجه القبلى (؟) وهما لا يدفعان ضرائب بسبب الفتن » .

على أن الضيق والعوز لم يَسُودا شمال مصر وحده حيث كانت « منف » عاصمة الملك بل كذلك نجد الانحلال التام قد انتشر فى داخل البلاد . وقد رأينا من قبل أن الجنود المرتزقين بدءوا يفدون إلى عهد الأسرة السادسة ويستعملون شرطة[٢] ومحاربين ، وقد حدث ذلك فى وقت كانت لا تزال فيه الحكومة قوية ، وقد أصبح هؤلاء الجنود المرتزقون فيما بعد خطراً داخلياً كما يدل على ذلك منشور الحماية الذى أصدره « ببى الأول » . والدور الذى لعبه هؤلاء الأجانب أنهم نشروا الفوضى فى مرافق الحكومة كما تشير إلى ذلك فقرة فى تحذيرات المتنبي « آبور »[٣] فاستمع لمـا جاء فيها : « . . . أن كل إنسان قتال قد حارب من أجل أخته وكان يحمى نفسه . هل هم « نحسيو » ؟ إذن يجب أن نحمى أنفسنا (؟) وأن المحاربين

---

(١) راجع الأدب المصرى القديم للؤلف الجزء الأول ص ٢٩٥ وكذلك راجع Chronique d'Egypt, No. 52 (1951), p. 299.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٤٧١ — ٤٨٧

(٣) راجع Gardiner, Admonitions of an Egyptian Sage, 14, 2

قد تضاعفوا (؟ !) ليصدوا رجال القوس . هل هم « تمحو » (اللوبيين) إذاً علينا أن نتقهقر ، (؟) والمازوى فرحين (؟) بمصر . وكيف ينبغى أن يقتل كل رجل شقيقه؟ والجنود الذين جندوا لنا قد أصبحوا من قوم القوس (أى أصبحوا مسيئين مثل هؤلاء) وقد أتوا ليهلكوا (؟) (أو المقصود هنا أن « المازوى » أو « المجاى » قد هيأت لهم الأحوال أن يقطنوا مصر ويخربوها كالوحوش) .

ونحن نعلم أن الأسيويين قد ذكروا قبل ذلك بأنهم خطر على مصر ، وكذلك يقصد بالتمحو (اللوبيين) بأنهم قوم قد غمروا مصر بالخطر . ومن المحتمل أن التعبير « هل هم « تحسيو » إذن يجب علينا أن نحمى أنفسنا » يقصد به نفس المعنى أيضاً . ولا ينتظر الإنسان من هذا المتن المكتوب من الوجهة المنفية إشارة إلى علاقة البلاد بالحدود الأجنبية ، وذلك لأن الحكومة المنفية فى هذا الوقت قد تركت حماية الوجه القبلى — على ما يظهر — للأسرة التى تحكم هناك وأصبحت منفصلة عن الجزء الجنوبى من مصر ، ولهذا السبب يمكن أن تنسب هذه الجملة الخاصة بالجنود المرتزقين الثائرين إلى مصر العليا ، ولكن التعبير : « إن المحاربين قد تضاعفوا ليصدّوا رجال القوس » يشير على ما يظهر إلى الخطر السياسى الخارجى أكثر من إشارته إلى الخطر الداخلى .

وقد رأينا أن العلاقات بين مصر وبلاد النوبة السفلى قد تحرجت بدرجة عظيمة فى نهاية الدولة القديمة حتى أن الملك قد أرسل حملة تأديبية على رأسها « بيبى نخت » ، غير أن نتائجها من حيث امتداد نفوذ مصر لم تأت ثمارها بل على العكس أوجدت فى الحياة السياسية النوبية غشاوة وقد أصبحت مصر من جراء ذلك لا تحتل مكانة قوية فى سياسة بلاد النوبة .

وقد لاحظنا ، فى نقوش «حرخوف» أن علاقات السلالات النوبية فى الجنوب حرخوف قد أصبحت مضطربة ، وقد ذكرنا من قبل الحملة التى قام بها قوم « يام »

على « التمحو » (اللوبيين) وكذلك نجد فى هذه النقوش تعبيرات تدل على وجود عداء بين القبائل النوبية ذاتها . ولا نزاع فى أنه بوجود مثل هذه العلاقات المضطربة التى لم تكن فيها لمصر يد بوجه عام كانت الطريق ممهدة لهجرة قبائل جديدة كما كانت الحال من قبل . والواقع أن نتائج الحفائر الأثرية قد أثبتت هجرة قبائل عديدة إلى بلاد النوبة وهم القوم الذين وفدوا إلى النوبة السفلى حاملين ثقافة مجموعة C ، كما حمل أقاربهم المجاورون لهم فى الجنوب ثقافة « كرمة » .

وهؤلاء المهاجرون يمكن أن يكونوا قد وفدوا إلى البلاد فى نهاية الأسرة السادسة على أكثر تقدير . والواقع أن تحديد هذا التاريخ بأنه يقع بين نهاية الأسرة السادسة وبداية الأسرة الحادية عشرة لايمكن أن يتفق مع الحقيقة بما لدينا من مادة مكشوفة إذ لم نجد فى أقدم الجبانات المنسوبة إلى مجموعة C تاريخاً يمكن الاعتماد عليه . فالجبانات المعروفة حتى الآن من أقدم زمن لهذه الثقافة توجد جزئياً فى «الدكه » و « عنيبة » و « فرص » ، ولكن لم نجد وثائق يمكن تأريخها فى « عنيبة » كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

والواقع أن ما وجد فى «عنيبة» ويمكن نسبته إلى هذا العهد يعتوره بعض الشك ، وإن كان لدينا من مقابر هذه الجهة بعض أشياء مجلوبة من مصر وتنسب إلى العهد المتوسط الأوّل ، على حسب تقسيم « ستيندورف » لمجموعة ثقافة C كما تحدثنا عن ذلك سابقاً .

وقد ظن الأثرى « فرث » أن هذه الهجرة قد حدثت بسبب الضعف الذى أصاب بلاد النوبة السفلى بعد الحملة التأديبية التى قام بها «بيبى نخت» إذ يقول : « ومن الجائز أنه بعد الحملة التى قام بها « بيبى نخت » أصبحت أراضى « واوات » و«ارثت» ضعيفة لدرجة أن قوم مجموعة ثقافة C وضعوا أقدامهم فى هذه البلاد وأصبحوا قوة منتهزين فى ذلك الحروب الداخلية التى كانت فى مصر فى العهد الإقطاعى ، وكذلك الحروب التى

كانت بين أسرتى «أهناسيه المدينة» و«طيبه»[١]، ولكن الأسباب التى دعت إلى هذه الهجرة كانت أعمق من ذلك وترتبط بعدم وجود المصريين فى بلاد النوبة ، إذ من المحتمل أن هذه الحملة التى مهدت الطريق للهاجرين لم تكن الدافع المباشر الذى سهل لهؤلاء القوم الوافدين الهجرة ، وعلى ذلك لا يمكن أن نتخذ هذه الحملة بمثابة معيار تاريخ مؤكد .

ولقد وصل إلى تاريخ محدود كما ذكر الأستاذ «نيكر» فى تحليله لمحتويات مقابر «كوبانية الشمالية» وهو أن هذه الهجرة قد حدثت من غير شك قبل بداية الدولة الوسطى بزمن طويل كاف ، وعلى ذلك فإن مجموعة ثقافة C هذه قد انطبعت بطابع مصرى من عهد الدولة الوسطى المبكر جدا . ولما كانت «الكوبانية الشمالية» التى تمثل فيها طليعة هذه الثقافة تقع فى أقصى شمالى بلاد النوبة فإن أقدم جزء فى آثارها قد وجد فى تأريخه مع منتصف الدولة الوسطى المصرية[٢] .

ولا نعلم إلا القليل عن صبغة ثقافة قوم مجموعة C عند زمن هجرتهم . ويمكننا أن نلحظ هذه الثقافة أولا بوجه خاص فى طور من أطوارها المتأخرة أى فى الوقت الذى بدأت فيه المملكة الموحدة تقهر بلاد النوبة . ولا نزاع فى أن هذه الهجرة الجديدة كانت لها صورة أخرى تميزها عن الثقافتين A ، B اللتين تحدثنا عنهما فيما سبق ، كما يدل على ذلك بوضوح مناهضتها لسياسة التوسع المصرية المتأخرة .

وقد ذكر كل من «ريزنر»[٣] و «أمرى» و «كروان»[٤] أن قوم ثقافة C كانوا لا يميلون إلى الحروب ، وأنهم كانوا أهل سلام ، وأن حضارتهم قد أينعت أولا فى حماية معاقل

---

(١) راجع Firth, Ibid, Vol. II, p. 20

(٢) راجع Junker, Kubanieh Nord, p. 35 f

(٣) راجع Reisner, Kerma, II, p. 555

(٤) راجع Emery, W. B. and Kirwan, Es Sebua and Adendan (Service des Antiquites de l'Egypt. Mission Archeologique de Nubie (1929-1934), Cairo (1935), p. 8.

الدولة الوسطى ، غير أنه لدينــا أمور كثيرة تناقض هذا القول . حقاً لم يوجد فى أثاث مقابر قوم مجموعة C كثير من الأسلحة ، ولكن لا يستلزم ذلك أنهم كانوا أهل سلم ، إذ من المحتمل أن الأسلحة كانت غالية بالنسبة للنوبى فيعجز عن شرائها لتوضع معه فى القبر ، ومن المحتمل كذلك أنه كان للقوم عادات خاصة بالدفن لا يتفق معها وضع أسلحة فى المدافن ، والواقع أن النزاع الحربى الذى قام بين مصر و بلاد النوبة وهو الذى انتهى باحتلال المصريين لبلاد النوبة السفلى على يد « سنوسرت الأوّل » قد بدا فيه لنــا مقاومة عنيدة من جانب النوبيين . ولا شك فى أن قوم مجموعة C كانوا بلا نزاع وقتئذ قد استوطنوا بلاد النوبة قبل نهــاية عهد الدولة القديمة .

وقد خالف «ريزنر» هذا الرأى إذ يقول : إن مجموعة ثقافة C لم توجد فى « كرمه» غير أن بعض الفخار الذى وجد فى المقابر النوبية المتأخرة كان موحداً مع فخار جبانات مجموعة C الخاصة ببلاد النوبة السفلى . وإن الجبانات النوبية الخاصة « بكرمه » كان الجزء الكبير منهــا معاصرا لجبانات مجموعة C التابعة لبلاد النوبة السفلى ، ومن الواضح أن السكان النوبيين الذين أسست فى وسطهم مستعمرة « أنبوا منمحات » المصرية لم تكن مثل مجموعة ثقافة C ؛ إذ على الرغم من أن كل هؤلاء السكان يمكن أن يكونوا من أصل واحد فإنى أميل إلى الاعتقاد مع الأثرى « أورك بيتس» أن قوم المجموعة C كانوا فى معظمهم قبيلة صحراوية ، والمحتمل أنهم لوبيون قد زحفوا إلى بلاد النوبة السفلى فى هذه الآونة فى حين أن نوبيي منطقة « دنقله » كانوا يمثلون السكان القدامى الذين سكنوا فى الوادى منذ عهد الدولة القديمة أوحتى قبل ذلك الخ[١].

ويدل ما وصل إلينا من وصف الموقعة الحربية التى شنها «سنوسرت الأوّل » على أنها كانت موجهة إلى أهالى وادى النيل فى بلاد النوبة[٢] ويدل إحجام قوم مجموعة C عن الأخذ بتعاليم الثقافة المصرية أيام احتلال المصريين لهذه الأراضى فى عهد ملوك

(١) راجع Reisner, Kerma II, p. 555,

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٣ الخ .

الدولة الوسطى ، وكذلك بناء المعاقل المصرية فى قلب مراكز الأهالى على كراهية سكان أهل النوبة السفلى للسيادة الأجنبية . هذا ويدل تخليص النوبيين أنفسهم فى العهد المتوسط الثانى من السيادة الأجنبية على أنه كان على المصريين أن يخضعوهم ثانية ، يضاف إلى كل ذلك أن قوم مجموعة C والقبائل القريبة النسب منها كان أفرادها يشتغلون جنودا مرتزقين . كل هذه الحقائق لا تتفق مع ماذكره الأستاذ « ينكر » أو الأستاذ « كيس » عن هؤلاء القوم[١] .

ويدل فحص الفخار الخاص بأقدم طور من أطوار ثقافة قوم مجموعة C على أنه لم ينم فى بلاد النوبة السفلى بل إنه ظهر وانتشر فى البلاد فى خلال حملة هذه المجموعة الرئيسية على هذه الجهات ، ونخص بالذكر الأوانى الفخارية المحزوزة التى تعد من أحسن الأشكال التى ظهرت فى بلاد النوبة أناقة ومن أحسن النماذج التى وجدناها فى أقدم المقابر[٢] ، ولا يوجد فى الفخار الأحمر ذى الرقبة السوداء والفخار المصقول تطور كبير يذكر من حيث النوع بل فى الشكل فقط[٣] . ومن جهة أخرى توجد عناصر نرى بوساطتها تطوراً جديداً ظهر فى صورة أشكال فخار طويلة ، ويتضح ذلك جلياً فى الفخار الذى عثر عليه فى المقابر بخاصة ، فأقدم هذه المقابر صغير الحجم وكلها على ما يظهر بدون استثناء على شكل حلقة فى وسطها بئر بسيطة للتوفى ، ولم نعثر على المقابر الكبيرة الحسنة البناء المكسوة بالحجر أو المقببة الشكل التى حلت محل البئر البسيطة إلا فيما بعد . وهذه التطورات فى فن البناء توضح بجلاء وبأحسن صورة عهد الانتقال من عيشة الجولان والبداوة إلى عيشة الاستقرار والحضارة .

وفى هذا العهد ظهرت كذلك أنواع من الأوانى المصرية الأصل فى المقابر النوبية ، هذا إلى بعض خرز من القاشانى وقطع أخرى صغيرة مستوردة ضمن قائمة

---

(١) راجع Kees, Kult., p. 345

(٢) راجع Aniba, I, p. 65 ff., pls 33—51& 64, 32

(٣) راجع Aniba I, p. 86

محتويات القبر الثابتة . ووجود هذه الأشياء يدل بلا نزاع على تبادل تجارى مع مصر منذ أقدم عهد ظهرت فيه ثقافة مجموعة C . وقد كتب الأستاذ « ينكر » عن العلاقات التجارية فى هذا العهد قائلا[١] : « ومن المحتمل أن الموطن الجديد وتغير الحياة من الجولان إلى حياة الاستقرار ووجود العلاقات الطيبة مع جيرانهم أهل الشمال قد كان لها أثر حسن . ومع ذلك فقد بقى هؤلاء القوم فقراء فنجد أن أوانى الفخار التى كانت توضع فى المقابر قد انكمش عددها حتى أصبح لا يزيد عن بعض طرز من الأوانى المحزوزة بحزوز حادة ، ولا يوجد بينها إلا بعض أوان فخارية من أصل مصرى . وإذا استثنينا هذه العناصر فإن الروابط التى كانت بين البلدين تنتهى عند هذا الحد . وقد بقيت القطع الرئيسية من الأوانى الفخارية التى من ذلك العهد كما هى ، وقد اختفت عند ظهور أوان جديدة يمكن أن تكون دليلا على أصل حضارة المجموعة الثقافية C الخاصة ، وهى التى كانت وقتئذ آخذة فى السعى وراء الكمال والاستقرار . وفى تلك الأثناء أخذت تظهر فى مصر سياسة معارضة فى عهد الأسرة الحادية عشرة شيئا فشيئا ، ومنذ هذه الفترة كانت الخطة الثابتة لمطامح فراعنة مصر تنحصر فى قهر بلاد النوبة والقبض عليها بيد من حديد . ولا غرابة فى أن نجد فى تلك الأوقات المليئة بالمقاومة والحروب تبادل التجارة الذى كان يسوده الوئام والسلام قد تأثر تأثراً سيئا كما أن التأثير المصرى الثقافى أصبح بمقتضى الأحوال غير ممكن وقف تياره .

ويحتمل أن الأستاذ « ينكر » كان على حق عندما قال إن العلاقات كانت ودية فى بادئ الأمر بين هؤلاء الوافدين من القبائل الجدد وبين مصر ، هذا إذا كانت الجملة التى أوردها دليلا على ذلك تشير حقا إلى بلاد النوبة أى « بلاد الجنوب » ولا تشير إلى الجنوب بمعنى الوجه القبلى[٢] ، لأن ذلك يكون التفسير الطبيعى لوجود

---

(١) راجع Junker, Ermanne, p. 11 ff.

(٢) راجع Save Soderbergh, Agypten und Nubien, p. 42, Note 1

أوان مصرية بحالة ثابتة فى أوانى مجموعة C ، ولكن يظهر أن التجارة كانت قد تأثرت هناك ولم تكن هناك كذلك حكومة مصرية قوية يمكن أن يعتمد عليها قائد الحملة ، ومن أجل ذلك كان لابد من إرسال حملة تأديبية من وقت لآخر لوضع الأمور فى نصابها عند ما كان يصيب التجار المصريين أى أذى . ولدينا ما يدل على وجود تجارة صغيرة يقوم بها صغار السكان فى هذا العهد (1) .

ولا نزاع فى أنه ما دامت بلاد النوبة فى جملتها كانت مجدبة لا يزرع منها إلا أجزاء قليلة ، وأن هذه الهجرة العظيمة إلى أرض الجنوب قد استقرت فى الأراضى الخصبة لوادى النيل فإنه لا يمكن تفسير ذلك إلا أن قوم مجموعة C قد باءوا بالفشل بعد محاولة غير مجدية لدخول وادى النيل الخصيب . والحروب الدفاعية التى قامت فى الجنوب من جراء ذلك لم تلعب فيها حكومة « منف » أى دور ، وأعنى بذلك الحكومة التى عاشت بعد الاضطرابات التى كانت فى عهد « بيبى الثانى » وبعده ، وهى التى كانت قد فقدت كثيراً من سلطانها . وكان يحكم فى الوجه القبلى فى هذه الفترة أسرات مختلفة محلية ، غير أن الأسرة التى اتخذت مقرها « ققط » كانت صاحبة المكانة العليا فى تلك الجهة . ولا نعرف عن ملوك هذه الأسرة إلا القليل فقد وصل إلينا بطريق الصدفة بعضهم ، فنجد فى نقوش منشور « ققط » الذى عثر عليه من قبل اسم ملك يدعى « وازكارع » (2) . على أن هذا الاسم ليس هو اسم الملك الذى أصدر المنشور ، والواقع أن الاسم الحورى لصاحب المنشور هو « دمز — اب — تاوى » وهو الذى كتب فى أول نقش المنشور (3) وفضلا عن ذلك فان لقب « وازكارع » كان يؤلف جزءاً من اسم علم لشخص ما من عامة الشعب يريد أن يضيف إلى اسمه هذا اللقب مثل اسم « وازكارع — سنب » ، وعلى ذلك فإن اسم « وازكارع »

(1) راجع Aniba, I, p. 6

(2) راجع Weill, Les Décrets Royaux de L' Ancien Empire Egyptien, p. 65

(3) راجع Gothingische Gelehrte. Anz., 1912, No. 12, 719 ff. and Urk., I, p. 306, Journal Asiatique Ser., 11, 10 (1917), p. 385.

الذى مزج بالأسماء الأعلام على ما يظهر لا بد أنه كان ممن خلفوا هذا الملك . والظاهر أنه من ملوك « قفط » .

واسم الملك « وازكارع » قد وجد فى نقش مزدوج عثر عليه فى نقوش « خوردهميت »[1] . وأحد النقشين يشمل الصيغة الجنازية المعتادة ، أما الثانى فقد جاء فيه الجملة (أو الأمر) التى قادها ابن الحاكم الذى هزم عدو والده « حور الذهبى » « خنم رع » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وازكارع » بن « رع » « سجرسلتى » فى الشمال من بلدة « برسنبيت » : تفتيش أراضى « سخع » و « واعج » (؟)[2] . ومما جاء فى النقش الأول نفهم أن « ابن رع » « سجرسلتى » ليس اسم الملك « وازكارع » بل هو اسم « ابن الملك » . أما على حسب ترجمة الأستاذ « ريدر » فكان « سجرسلتى » هذا الذى يحمل الصل على جبينه فهو على رأيه أمير نوبى صغير كان على اتصال بملك مصر[3] . غير أن البرهان الذى ذكره «ريدر» مدللا على أن هذا الاسم ليس مصرياً وأن الثائر قد هزم فى الشمال لا يمكن الأخذ به فلا بد من التروى والحيطة عند الحكم على الاسم إذا كان مصرياً أصلياً أو أجنبياً ، لأنه توجد أسماء لم نصل حتى الآن إلى معرفة اشتقاقها اللغوى ، وأنه لم يصل إلينا منها إلا مثال واحد وهو الذى نحن بصدده . وفى هذه الحالة يكون الحكم فى إرجاعه إلى أصله صعباً جداً ، يضاف إلى ذلك أن « سجرسلتى » لم يقل إنه هزم العدو فى الشمال بل إن المقصود هنا فى الجملة السالفة موقع المكان فى شمالى « برسنبيت » .

وإذا كان « وازكارع » — كما هو المرجح — ينتسب فعلا إلى أسرة « قفط » على حسب ما يفهم من المنشور السابق ذكره فإن الوجه القبلى حتى ما وراء « الفنتين » كان تحت سلطانه ، وعلى ذلك فإن هذين النقشين يعدان وثيقة تثبت أن أسرة «قفط»

---

(١) راجع Roeder, Debod Bis Bab Kalabsche, p. 306, Pl. 108

(٢) وقد ترجم الأستاذ « ريدر » هذه الجملة ترجمة أخرى Roeder, Ibid, p. 307

(٣) راجع Roeder, Ibid, p. 116

كانت طليعة المحاربين من المصريين فى بلاد النوبة السفلى . وإذا كان لزاماً علينا أن نعترف بأن قوم مجموعة C هاجروا فعلا نحو مصر فإنه من الجائز أن الملك كان قد أرسل ابناً له — يحتمل أنه كان ولى العهد — إلى الجنوب ليصدّ تقدّم هؤلاء القوم المهاجرين فى زحفهم على الأراضى المصرية .

أما فى الوجه البحرى فقد تولى الحكم بعد الأسرة المنفية الأسرة الأهناسية وهى التى أوجد ملوكها من الفوضى نظاماً نسبياً وبذلك بدأت مصر عصر ثقافة زاهر[1] . ولا نعرف على وجه التأكيد إلى أى حد امتدّ سلطان هذه الأسرة نحو الجنوب ، ولكن المؤكد أن سلطانها كان ممتداً حتى « طيبه » ولو اسما . وتدل شواهد الأحوال على أن الطيبيين كانوا قد انضموا إلى أسرة « قفط » وشنوا حرباً على ثلاث المقاطعات الواقعة فى أقصى جنوب مصر . ولما كانت الأسرة القفطية قد اختفت لأسباب غير معروفة فإن ملوك « طيبة » قد أصبحوا هم الحامون للأراضى الواقعة جنوب « طيبه » ، ثم أخذت قوتهم تزداد فى هذه الجهة باستمرار كما كانت لهم السيادة على مملكة « اهناسية المدينة » وهذه التطورات السياسية كانت فى الواقع بشيرا بقيام الأسرة الحادية عشرة التى وضعت العراقيل شيئاً فشيئاً فى سبيل الأسرة الاهناسية إلى أن قضت عليها نهائياً ووحدت البلاد جمعاء[2] .

هذا ولدينا نقش من العهد الذى لم يكن فيه أمراء « طيبة » الأقوياء على عداء ظاهر مع حكومة الدلتا وهو من الأهمية بمكان إذ يدلنا على العلاقة التى كانت بين مصر والجنوب وقتئذ[3] . وهذا النقش مدوّن على لوحة عثر عليها على ما يظن فى « طيبة » وهى لفرد يدعى « زمى » ويلقب المشرف على الجنود والمشرف على التراجمة (رئيس القافلة) وهو يقص علينا حملات مختلفة قام بها فى أثناء حياته وفيها يقول : «لقد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٤١٤

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١ الخ .

(٣) راجع The American Journal of Semotic Languages and Literatures (1921), p. 55 ff.

جعلت «واوات» بلاداً خاضعة وكل حاكم مقاطعة ثار فى هذه المقاطعة قضيت . . . وبذلك كنت محبوباً » . غير أنه من الصعب فهم عبارة « جعلتها بلاداً خاضعة » . إذ ليس لدينا مادة أخرى تساعد على الإدلاء برأى قاطع فى معنى هذه العبارة ، ويجوز أنها مبالغة من الكاتب المصرى كما هى الحال غالبا فى وصفه للعلاقات المصرية مع البلاد الأجنبية ، وعلى ذلك يمكننا أن نتطرف فى تفسيرنا إلى القول بأن هذا القائد يشير إلى حملة للاستيلاء على بلاد النوبة .

ولا يدل تاريخ البلاد فيما بعد على أن هذه كانت حملة لاستعمار البلاد النوبية ، بل فى الواقع كانت غزوة من الغزوات الصغيرة المعدّة التى كان يقوم بها المصريون ليحملوا النوبيين على توريد السلع إلى مصر ، ومن المحتمل أن هذه الحرب كانت قد وقعت فى جنوب الحدود حيث كان أهل ثقافة مجموعة C قدوطدوا أقدامهم هناك ، وذلك أنه على حسب نتائج الكشوف التى قام بها الأستاذ « ينكر » فى « الكوبانية الشمالية » نعلم أنه كانت تسكن هناك جماعات صغيرة كانت تزحف نحو شمالى « أسوان » .

هذا ولا نعرف إذا كان للأهناسيين أنفسهم نشاط عند الحدود فى مراقبة التخوم والتجارة ، إذ أن ذلك موضوع يحيطه الشك والإبهام [١] .

حقا وجد اسم الملك « خيتى الأول » والملك « مرى — اب — رع » عند الشلال الأول ، ولكن يمكن تفسير ذلك بأن هذه النقوش كتبها أحد أمراء مقاطعة « طيبة » الذين لم يكونوا قد اعترفوا بأمراء « أهناسية » ملوكا على مصر . والواقع أن الطيبيين كانوا يعتبرون عند الحدود الجنوبية بمثابة أبطال مصر الذائدين عنها كما يدل على ذلك نقش « زمى » ، ونقش آخر [٢] ، وقد وجد مكتوبا عليه اسم أمير مقاطعة يدعى « إنتفى الطيبى » ويحمل لقب : « الذى يملأ قلب الملك عند باب الجنوب الضيق » .

---

(١) راجع Kees, Beiträge zur Altägyptischen Provinzialverwaltung, p. 102 ff.

(٢) راجع Petrie, Season, Pl. XII, No. 310

وإنه لمن المهم أن نجد الآن وثيقة ذكر فيها هذا اللقب القديم المحترم الذي يدل على أن حامله كان يراقب الهجرة من الجنوب إلى مصر عند الحدود . ولا نزاع فى أن حاكم المقاطعة هنا كان يمثل الملك كما يدل على ذلك الكتابة التى أمام « انتف » الأول وتعد من عصر واحد هى ونقش « زمى » ، وقد كان الأخير ضابطا فى خدمة حاكم مقاطعة .

والألقاب التى تأتى بعد هذا فى اللوحة السابقة تعد من الألقاب الخاصة بهذا العهد وهى : «العمود العظيم الذى يحمى أرضه» وهذا اللقب له رنين خاص عند حاكم المقاطعة ، ويدلنا على أن الوقت قد اقترب لأن يصبح حاكم المقاطعة مناهضاً للملك . وهذا التغير بالفعل ، مضافاً إليه اسم « أنتف الأول » وهو « سهرتاوى » (مهدئ الأرضين) يقابلان اسمى ملكين لم يوجد اسمهما إلا فى بلاد النوبة وهما من الأهمية بمكان . وأحد هذين الاسمين هو « حور » بجمل أرضيه ، حور الذهبى الجميل ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « كارع كا » ابن رع « أن » . وقد جاء ذكر اسم هذا الملك سبع مرات على صخور بلاد النوبة من الشمال إلى الجنوب (1) .

وقد وضع «ادوارد مير» هذا الملك فى الأسرة الحادية عشرة وذلك بسبب مشابهته لاسم الملك « منتوحتب » « سعنخ كارع » (أى الذى يحيى روح « رع ») حور ونبتى « سعنخ تاوى » (الذى يحيى الأرضين) (2) . أما الأثرى « جوتييه » فإنه وضع هذا الاسم مع اسم ملك وضعه « لبسيوس » فى كتابه الذى ألفه عن ملوك مصر ولكن بدون سند (3) .

ونجد نفس الاختصار لاسم « أنتف » موجوداً كما أشار إلى ذلك «ادوارد مير»

---

(1) راجع Säve Söderbergh, Ägypten und Nubien, p. 47

(2) راجع A.Z., 44, p. 115

(3) راجع Lepsius, Konigsbuch, No. 166, Taf. XI, and Gauth., L.R., I, p. 247

وكذلك على لوحة الكلب المشهورة وفى ورقه « آبوت » [١] . وعلى ذلك فإنه لا مانع من وجوده مع أحد الملوك الذين تسموا باسم « أنتف » فى عهد الأسرة الحادية عشرة ، كما أن توحيد الاسم الحورى واسم نبتى يجعل هذا التاريخ فى العهد الذى قبل الدولة الوسطى ممكناً .

أما اسم الملك الآخر الذى لم نجد ذكره للا ن إلا فى بلاد النوبة فهو :

«حور جرج تاوى ف» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «أى ـ اب ـ خنت ـ رع».
وقد وجد اسمه فى نقشين من نقوش بلاد النوبة أحدهما على مقربة من « أبو هور » [٢] والآخر فى «المضيق» [٣] . ونجد فى الحالة الأخيرة أن اسمه قد ذكر مع اسم « سارع أنتف » ولهذا السبب يكون معاصرا ، ويعضد ذلك التكوين الخاص للاسم الحورى الذى يشبه كثيراً أسماء الملوك الآخرين .

ويشك « جوتييه » فى أن هذين الملكين مصريان وقد تبعه فى ذلك « دريتون » و « فنديبه » [٤] ولكن « سيف زودربرج » قد برهن على خطأ هذا الرأى [٥] .

وقد أنكر كذلك « ينكر » رأى « جوتييه » وأكد أن أسرة مثل هذه لو وجدت خارج مصر وكانت صاحبة سيادة هنا لحرمت كل معاضدة فى بلاد النوبة . ولما لم يكن هناك ثقافة مشتركة ولا تبعية ثقافية للبلاد فإنه لا يمكن للانسان أن يفكر فى أن ملوكا مناهضين قد فروا إلى بلاد النوبة واتخذوها ملجأ لهم كما حدث ذلك مع الملك « نقطانب » الذى ينسب إلى ملوك الأسرة الثلاثين [٦] .

---

(١) راجع Moller, Hierat. Leseat. III, p. 17

(٢) راجع Weigall, Report, Pl. 32,1

(٣) راجع Weigall, Report, Pl. 50,1; Breasted, A.J.S. L.(1906), 57

(٤) راجع Drioton et Vandier, L'Egypte, p. 238

(٥) راجع Save, Ibid, p. 48

(٦) راجع Gauthier: Precis De L'Histoire de l'Egypte, p. 224

ولا يمكن القول بأن أهل ثقافة مجموعة C كان لهم ملك ليس له قوة يستند عليها فى بلاده الأصلية . وعلى الإنسان أن يفكر فى المصاعب التى لاقتها مصر فيما بعد عند ما أرادت استعمار بلاد النوبة .

والواقع أن الموضوع لا يخص ملكا مؤقتاً حكم البلاد بل يخص عدة ملوك ، فينبغى أن يكونوا قد خلفوا وراءهم بعض بقايا المدنية المصرية محفوظة لنا سواء أكان ذلك فى المقابر أم غيرها ، ولكن لم نجد فى ثقافة مجموعة B ولا فى ثقافة مجموعة C أى أثر يدل على السيادة المصرية . هذا ولم يوجد قبر مصرى فى كل العصر الذى نحن بصدده ، كما لم يوجد به بقايا لمقر ملك أو أى شئ من أشياء حاشية الملك .

ويوجد مع اسم الملك «خور — جرج — تاوى — ف» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «أى — أب — خنت رع» السالف الذكر فى بلدة «المضيق» نقش لكاهن يدعى «خنوم حتب» كتب بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب الذى كتب به اسم هذا الملك وهذا النقش هو بلا شك من عصر هذا الملك [1] .

ويوجد فى نقوش «أبو هور» اسم مدير مكتب يدعى «سبك محتب» (؟) والظاهر أن هذا الرجل بعينه كتب اسمه فى «المضيق» [2] . ويلاحظ فى «أبو هور» أن نقوش هذا الرجل متصلة باسم الملك ، وقد كتبت فى الصورة بنفس الأسلوب . وعند قرن هذه النقوش باسم الملك المعاصر له وهو يحمل لقباً مصرياً خالصاً يتضح أن هذا الملك كان مصرى الأصل . وعلى ذلك فإن القول بأن ملوك النوبة فى هذا العصر قد ذهبوا بعيداً فى ثقافتهم إلى أن تمصروا وأنهم حملوا أسماء مصرية وكان لهم موظفون يحملون ألقاباً على النمط المصرى لا يتفق مع نتائج الحفائر التى عملت فى هذه البلاد .

(١) راجع Breasted, A.J.S.L. (1906), p. 57; Weigall, Report, Pl. 50, 4

(٢) راجع Weigall, Report, Pl. 50, 15

وإذا كانت الأسماء الأخرى التى توجد مع أسماء الملوك فى « المضيق » يعد بعضها معاصراً لبعض فإنها تؤكد لنا تاريخ الكتابات الملكية . وفضلا عن ذلك تقدم لنا نقطة يعتمد عليها فى معرفة كنهها . ففى هذا العهد نجد عدة شخصيات يحملون اسم « منتوحتب » و «انتف» وثلاثة من هذه الأسماء كان كل منها يحمل لقب المشرف على التراجمة (أو رئيس القافلة) ، وهذا اللقب يدل غالباً على أن النقوش كانت خاصة برحلات تجارية أو حملات حربية كما كانت الحال فى عهد الدولة القديمة .

ويمكن تأكيد الرأى القائل بأن هؤلاء الذين كانوا فى دائرة حكام مقاطعة «طيبة» كانوا تابعين للملوك . فقد رأينا من مصادر أخرى من البلاد المصرية نفسها النشاط الذى أظهره الطيبيون فى الجنوب فى هذا العهد أما عدم ذكرهم فى نقوش « طيبة » فقد يكون ذلك من باب الصدفة ، وبخاصة عندما نعلم أن جبانة « طيبة » التى دفن فيها الملوك الأناتفة قد خربت وحطمت منذ زمن بعيد . وما نعلمه عن علاقة الأسرة الحادية عشرة وسابقتها قليل جداً ، ولا نزاع فى تتابع أسماء الأناتفة الآتية : « حور — واح — عنخ — انتف — الثانى » و « حورنخت نب تب نفر انتف الثالث » و « حور سعنخ أب تاوى منتحتب الثالث » . إذ قد أكدلنا هذا الترتيب النقوش . ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كان هناك ملك آخر وهو « أنتف الأول » قد حكم « طيبة » إذ قد جاء ذكره فقط فى نقوش « طود » باسم « سهرتاوى إنتف الأول » [1] . وعلى أية حال لا نعلم شيئاً على وجه التأكيد بالنسبة لترتيب هؤلاء الملوك فى الأسرة الحادية عشرة إلا ما ذكرناه فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة ص ٨

الجنود المرتزقون : ذكرنا من قبل أنه كان يوجد جنود نوبيون يحترفون امتشاق الحسام فى عهد سقوط الدولة القديمة ، وليس لدينا بعد عهد الدولة القديمة وثائق عن وجودهم فى مصر ولا عن الدور الذى لعبوه فى الحروب التى كانت بين الأسرات المحلية أى فى عهد الاقطاع ، ولكن من الجائز أن ذلك قد حدث عن طريق

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث صفحة ٨ الخ عن تتابع ملوك الأسرة الحادية عشرة .

المصادفة لأننا وجدنا — كما تدل الآثار العديدة — أن النوبيين فى هذه الحروب الداخلية كانوا يستعملون جنوداً مساعدين ، و بوجه خاص كانوا يقومون فى ساحة القتال بدور الرماة ، ولا أدل على ذلك من مجموعة نماذج الجنود التى عثر عليها فى إحدى مقابر العصر الاهناسى[١] . وقد عثر على هذه المجموعة فى « أسيوط » التى بقيت مشتركة فى الحروب القائمة بين « طيبة » و « هيرا كليو بوليس » حتى النهاية وكانت منحازة إلى أهل الشمال ، أى أن الجنود المرتزقين كانوا يحاربون فى صف « إهناسية » . وقد برهن الأستاذ « ينكر »[٢] على أن هؤلاء الجنود ليسوا من سلالة الزنوج بل كانوا من السلالة الحامية النوبية ولونهم أسمر قاتم ، ولكنه ليس أسود فاحما ، غير أنهم يظهرون أشد سمرة عند مايقفون بجانب الجنود المصريين ، هذا إلى أنهم أقصر قامة من المصريين ، وهذا يتفق مع ما ظهر من نتائج الحفائر التى عملت فى النوبة . وكانوا مسلحين بالسهام والأقواس و يرتدون قمصاناً قصيرة مزينة برسوم مختلفة يميل إليها أهل مجموعة C الثقافية كثيراً[٣] . وكان بعض هذه القمصان أبيض و يحتمل أنها كانت مصنوعة من الكتان المصرى وكان معلقاً فيها من الأمام شرابة طويلة مزينة برسوم متشابهة . وهذه الشرابة نراها فيما بعد فى الرسوم المتأخرة العهد يتحلى بها الجنود المرتزقون النوبيون كما يلحظ ذلك فى الجنود المرتزقين النوبيين فى عهد « تل العمارنة »[٤] .

وقد عثر فى مقابر مجموعة ثقافة C على قمصان من الجلد مزينة ، وليس لدينا ما يبعث على الشك فى أنها تمثل هذه الثقافة أو أنها أقرب شئ إليها ، ولكن الشئ الغريب أننا حتى الآن لم نجد أى قبر نوبى مثل المقابر القعبية الشكل التى جاءت بعد فى هذا العهد فى مصر . ومن المحتمل أن النوبيين كانوا يهاجرون ثانية بعد انتهاء خدمتهم فى مصر إلى وطنهم فى بلاد النوبة كما هى الحال فى عصرنا الحالى إذ نجد أن

---

(١) راجع Le Musée Egyptien I, Pl. 33 ff.

(٢) راجع Kubanieh Nord, p 16.

(٣) راجع Aniba I, Pl. 25 ; Grab., 487 Note 3

(٤) راجع Wresz., Atlas II, Pl. 11

النوبى أو البربرى عندما يتقدم فى السن ويصبح غير قادر على العمل يعود إلى بلاد النوبة موطنه الأصلى حيث كان يفضل أن يدفن بين أهله وعشيرته .

على أن وجود مقابر جنود مرتزقين نوبيين من وجهة نظرنا يعد من الأمور الهامة إذ من ذلك نعلم إذا كانوا يدفنون فى جبانات خاصة بهم أو كانوا يدفنون فى مقابر متفرقة بسيطة من المقابر المصرية . وقد يجوز إذاً أن خصائص مقابرهم القليلة المتفرقة لم يكن من المستطاع ملاحظتها وقد يكون السبب فى عدم تمييزها هو التخريب الذى أصابها فأصبحت كأن لم تغن بالأمس . وليس لدينا من بين الجبانات النوبية التى عثر عليها فى مصر ما يرجع إلى العهد الأول المتوسط من تاريخ أرض الكنانة .

ومن المحتمل أن هؤلاء الجنود النوبيين المرتزقة كانوا قد وفدوا فعلا فى عهد مبكر نحو الشمال، ولكن ذلك لايحتم أنهم كانوا وقفاً على مساعدة حزب الشمال قبل قيام الحرب بين «طيبة» و«إهناسية» . والواقع أن هؤلاء الجنود لم يكن لهم أية منفعة شخصية فى ذلك لأنهم كانوا يحاربون مع أية طائفة تدفع لهم أجورهم ، ومن أجل ذلك كانوا ينتقلون من معسكر لآخر على حسب زيادة الأجر الذى يتقاضونه ولدينا عن ذلك مثال حديث وقع فى عهد الحروب السودانية فقد حارب بعض هؤلاء الجنود مع الجيش المصرى بقيادة «كتشنر» وكانوا من قبل يحاربون مع «المهدى» . وكان هؤلاء الجنود يتحينون كل فرصة ضعف فى الحكومات وينهبون أموال المصريين كما يدلنا على ذلك مصادر مصرية مختلفة[1] . على أن أمثال هؤلاء الجنود لم تقتصر على النوبيين بل كان من بينهم أجانب آخرون ومصريون وليست النماذج التى عثر عليها فى «أسيوط» هى الدليل الوحيد الذى يبرهن على أن هؤلاء الجنود المرتزقة كانوا يحاربون إلى جانب مملكة «إهناسية» بل لدينا بعض نقوش عثر عليها فى «حتنوب» من عصر «إهناسية» المتأخر تحدثنا عن حرب

---

(١) راجع Kees, Kulturgesch, p. 232

الأمير «نحرى» الذى أوقد نارها على «طيبة» فيقال عنه «كانت المحبة له (أى لنحرى) عند المزوى والأسيويين والأراضى الجبلية (؟) نافذة فى قلوبهم[١]» .

وكذلك يذكر لنا أميريدعى «كاى» فى نقش من السنة الخامسة من عهد «نحرى» نفسه قوم «المزوى» وأهل «واوات» و «نحسيو» (؟) والأسيويين وربما كان ذكرهم هنالك على أنهم أعداء .

على أن عصر ظهور الجنود المرتزقة بصورة بارزة لم يكن قد حل بعد وأعنى بذلك العصر الذى نجد فيه هذا الصنف من الناس يذكرون كثيراً ونجد لهم كذلك مقابر فى مصر .

ولم نجد حتى الآن بين النقوش التى عثر عليها ذكر للجنود المرتزقين محاربين فى جانب الطيبيين ، ومن الجائز أن ذلك قد حدث عن طريق الصدفة . وهذا ليس بغريب عندما نعلم أن المصادر المبكرة كانت قليلة جداً .

ولم نجد فى الصور التى بقيت لنا من معبد الملك (منتوحتب) صورة واحدة يمكن أن يقال عنها بحق إنها تمثل رجلا نوبياً ، والعلامة الخاصة للجنود المرتزقة من النوبيين هى شريط على هيئة صليب مرسوم على الصدر . والمثال الوحيد الذى يمكن أن يدل على ذلك هو الذى نشاهد فيه الرامى يحمل الشريط المصلب ولا يحمل أية ريشة على الرأس فى حين أن رماة آخرين كانوا يحملون هذه الريشة[٢] ، ومع ذلك فإنه لا الريشة التى تكون على الرأس ولا الشريط المصلب كان كافياً لتمييز المحارب النوبى بل على العكس نجد أن الشريط المصلب لا يعرف بأنه لباس نوبى أو على الأقل لم نجد متنا مع شخص يلبس هذا الشريط قيل فيه إن المتحلى به نوبى الأصل .

(١) راجع Anthes, Die Felseninschriften Von Hatnub, Insch, No. 25, L. 14, p. 56 ff.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٧ الخ .

العصر النوبى المتوسط الثانى

(= الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة)

تحدثنا من قبل عن العصر النوبى المتوسط الأول من الوجهة الأثرية وستتحدث هنا عن العصر المتوسط الثانى، وهو الذى يقابل من حيث الزمن الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة، وبعبارة أخرى هو العصر الذهبى لثقافة أهل مجموعة C . ونخص بالذكر هنا الآثار التى كشف عنها فى هذا العصر خلافا للأماكن الثلاثة التى ذكرت فى العصر السابق جبانة « جرف حسين » ٧٢ / ٢٠٠ و٧٣[1]، وجبانة «الدكة» رقم ٩٧[2] وجبانة « العلاقى » رقم ١١٤[3] وجبانة « قرته غرب » رقم ١٧٥ و ١١٨[4] ، ويلحظ فى مقابر هذا العصر أن المبنى العلوى للقبرة كان كبيرا ، غير أنه لم يكن متماسك البناء كما كانت الحال فى مقابر العصر السابق . ومقابر هذا العهد لم تقم مباشرة فى غالب الأحيان عند حافة رقعة الصحراء بل على الرمال التى هبت من هذه الصحراء ، وحفر الدفن الخاصة بهذا العهد كانت مستطيلة الشكل وزواياها مستديرة وكثيراً ما كان يبنى ظاهرها بالأحجار وتزين بألواح من الحجر بعد ذلك .

وبجانب هذا كان يسقف البناء الأعلى ببناء مقبب من الطين المجفف فى الهواء ، على أن الرأى القائل بأن السقف المقبب أحدث من السقف المنبسط المقام بالحجر وأنه أول ما ظهر كان فى العصر الثالث للثقافة النوبية المتوسطة وهو الذى سنتحدث عنه بعد — لا يؤخذ به بعد الكشوف التى حدثت فى « عنيبة » إذ نجد الطرازين من المقابر موجودين جنبا إلى جنب .

---

(١) راجع Firth I, p. 80 ff., 105 ff.
(٢) راجع Firth, II, p. 108 ff.
(٣) راجع Firth, III, p. 129 ff.
(٤) راجع Firth, III, p. 132, 145 ff.

وكانت الجثة تدفن فى هذا العصر موضوعة على جانبها الأيمن ورأسها نحو الشرق وكثيراً ما كانت تلف فى حصير أو فى جلد ماشية أو ما شابه ذلك ، وكثيراً ما كان الرأس يوضع على مخدة من القش . وكان يوضع مع المتوفى أوانى فخار من أنواع مختلفة فى البناء الخارجى وتحتوى على أوان للحبوب والمؤن .

وقد لوحظ وجود حلى كثير يشمل قلائد من الخرز وأسورة مختلفة للساعد وأقراطا ومشابك شعر ذات أشكال مختلفة مصنوعة من الأصداف .

علاقة مصر ببـــلاد النوبة

فى عهد الدولة الوسطى

مقدمة : كانت الأحوال التى حافظت فيها قوافل التجارة على تبادل السلع فى عهد الدولة القديمة بين مصر والأراضى الجنوبية قد عرّضت هذه التجارة إلى النهب والسلب اللذين يقوم بهما جمهرة من الولايات الصغيرة المستقلة بمـا يتبع كل ذلك من غرور وطمع وعدم اكتراث كان يبديه أمراء هذه الولايات . وقد كان الضمان الوحيد للمحافظة على هذه القوافل هو أن تحرس بفرقة من الجنود لا يزيد عددها عن بضع مئات ، غير أن هذا النوع من الحماية كان غالبا تحيط به المتاعب والمناوشات ، فقد كانت هذه القوافل على الرغم من حراستها تهاجم فى طريقها ، ومع ذلك فإن ملوك الأسرة السادسة لم يتخذوا إجراء حازما للقضاء على مثل هذه الحالة المقلقة لتجارتهم اللهم إلا بعض حملات تأديبية تحدثنا عنها فى مكانها .

وممـا لا شك فيه أن فتح بلاد السودان لم يحتج إلى مخاطر كبيرة ، فقد كانت بلاد النوبة مقسمة إلى ممـالك صغيرة كما كانت الحال فى باكورة القرن المـاضى عند ما قامت قوة مؤلفة من مئتى مملوك طردهم « محمد على » من مصر فساروا دون أية مشقة إلى مديرية « دنقلة » وفتحوها وقبضوا على زمام الأمور فيها عدة سنين . وفى عام ١٨٢٠م قام إبراهيم باشا على رأس حملة مؤلفة من أربعة آلاف مقاتل ففتح كل السودان واستولى عليه . على أن فتح بلاد مثل السودان التى تعد بلاد طرق للوصول إلى أجزائها المختلفة كان يحتاج إلى الاستعانة بحامية كافية لضمان طرق القوافل والحملات التى تحمل الجزية للحكومة . وبإقامة الحاميات فى أنحاء بلاد النوبة أصبحت طرق التجارة بوساطة النهر والطرق المحاذية له هى التى تسير فيها التجارة آمنة . وقد دلت النقوش التى من عهد الدولة الوسطى كما كان المنتظر على أن النقل بطريق المـاء كان مستعملا كثيراً ، وبخاصة

فى الحملات الكبيرة ، وكان النهر محميا من خطر الغارات بسلسلة من الحصون نعرف منها اثنى عشر حصنا بالاسم ، تمتد من سمنة العليا حتى بجزيرة « بجه » (أسوان) .

والمقدمات المتعلقة باحتلال الدولة الوسطى لبلاد السودان لا بد من الادلاء بها هنا لأنها تشير مباشرة إلى الأحوال التى اقتضت تأسيس مستعمرة « كرمة » (جدار امنمحات) ، والنقوش التى عثر عليها مدونة على صخور بلاد النوبة السفلى وعلى اللوحات التى من « الجبلين » التى تشير إلى العصر الذى قبل الأسرة الثانية عشرة وسنتحدث عنها فيما يلى كل على حسب مناسبته فى الكلام .

(١) الأسرة الحادية عشرة :

كانت الكفة الراجحة فى الحروب التى قامت بين أمراء « أهناسية المدينة » الذين كان يعاضدهم أمراء « أسيوط » وبين أمراء « طيبة » فى جانب حكام « طيبة » وهم الذين أسسوا الأسرة الحادية عشرة[1] .

وبعد أن قضى ملوك هذه الأسرة على كل مقاومة فى داخل البلاد وأصبحت مصر من جديد موحدة الكلمة أخذت تنهج سياسة نشاط وتوسع فى الخارج ، ولدينا وثائق أثرية خاصة بتوسع مصر فى بلاد النوبة وغيرها ، وتدل شواهد الأحوال على أن سياسة التوسع هذه كانت قد بدأت تظهر منذ العهد المبكر من تاريخ الأسرة الحادية عشرة . فمن بين هذه الآثار منظر عثر عليه فى « تل الشيخ موسى » فى « الجبلين » على مسافة بضعة أميال من « أرمنت » إذ أقيم معبد صغير احتفالا بإقامة باب عظيم لمعبد ما محلى لإظهار الفرح بإحدى انتصارات الملك « منتوحتب الثانى » .

وهذا المنظر يمثل الملك « حورحزت » « منتوحتب الثانى » يضرب أربعة من الأسرى ، الأول يرتدى القميص المصرى المعتاد ، وعلى الرغم من عدم وجود كتابة

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٧ الخ .

عليه فإنه يمثل رجلا مصريا ، والثانى يرتدى قميصا قصيراً وتدل النقوش التى عليه على أنه نوبى (ستيو) ولا يحلى رأسه بالريشة التى كان يلبسها النوبى . والثالث أسيوى ويلبس ريشة على رأسه والرابع يلبس كذلك ريشة على رأسه ويدعى تحنو (أى لوبى) وفوق المنظر المتن التالى : « انه مسيطر على رؤساء الأرضين الصعيد والدلتا والأجانب وشاطئ النيل والأقواس التسعة وكلا المصرين »[١] .

ولدينا منظر آخر يشبه منظر « الجبلين » مثل على مقصورة للملك نفسه فى « دندرة » وقد أشير فيه إلى توحيد الأرضين فنشاهد الملك يقبض على النباتين اللذين يمثلان الوجه القبلى والوجه البحرى ويرى تحت هذه الصورة فضلا عن ذلك علامة توحيد الأرضين العادية . وفوق الملك صورة صقر يحلق وهو يمثل الإله « حور » الذى يبطش بالبلاد الأجنبية وخلف الملك نقش مهشم خاص بالبلاد الأجنبية التى هزمها الملك ، ويلفت النظر بوجه خاص فى هذا المتن أن أهالى البلاد الأجنبية قد وصفت بما يأتى : « والنوبيون قد أصبحوا يدفعون الضرائب » . وكذلك ذكر بوضوح أهل « المزوى » و « واوات » بجانب « التمحو » (اللوبيين[٢]) والواقع أنه ينبغى علينا ألا نجعل لهذه المناظر فى حد ذاتها قيمة تاريخية عظيمة ، غير أنها تعد بمثابة إشارة للاهتمام العظيم والنشاط الكبير اللذين كان يظهرهما الملك فى سياسته الخارجية . وقد ذكرنا من قبل فى نقوش « زمى » أن النوبيين قد أصبحوا خاضعين يدفعون الضرائب لمصر دون أن يكون فى مقدورنا أن نستنبط بحق أن بلاد النوبة كانت خاضعة لمصر عسكرياً ، وكذلك فى عهد « منتوحتب الثانى » تكاد تكون الحالة واحدة ، ولكن وجدت آثار من عهد الأسرة الحادية عشرة تدل على سياسة نشطة فى الجنوب . فقد عثر فى معبد « منتوحتب » بالدير البحرى على قطعة من منظر يقول عنها الأثرى « نافيل » إنه مثل فيها أسير نوبى أسود[٣] ، ولكن مما يؤسف له

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٦

(٢) راجع Breasted, A.J.S.L. 21, p. 111

(٣) راجع Naville, Deir El Bahari (IIth Dy.), 1, 5

أن الصورة ليست واضحة تماماً ، ولذلك لم يكن فى مقدورنا أن نعطى عنها رأياً قاطعاً . ويتساءل الإنسان كيف يمكننا أن نفسر من جهة أخرى تمثيل الأميرة « كسيت » فى قبرها ببشرة سوداء مع أنها مثلت مرة ببشرة صفراء وهذا شىء غير واضح . ومن المحتمل فى هذه الحالة أن هذه السيدة قد وفدت إلى مصر من الجنوب بوصفها من سبايا الحروب أو عن طريق تجارة الرقيق ودخلت البلاد بهذه الكيفية . ولكن من جهة أخرى نجد أن الملكة «أحمس نفرتارى»[١] التى يرجع تاريخها إلى بداية الاسرة الثامنة عشرة كانت تصوّر باللون الأسود على الرغم من أنها مصرية بحتة على مايظهر مما يجعلنا نتخذ جانب الحذر فى الحكم على الملكة «كسيت» . هذا ولا يفوتنا أن نذكر أنه قد وجدت صورة الملك « أمنحتب » والملكة « نفرتارى » ملونتين باللون الأسود وذلك فى قبر من مقابر الأسرة التاسعة عشرة[٢] . والظاهر أن تفسير هذا اللون الأسود يرجع إلى اعتقاد دينى خاص وهو أن الإنسان بعد الموت يفقد دمه وعندما يعود إلى الحياة ثانية يجرى فى عروقه الدم كما نشاهد ذلك فى صورة البقرة «حتحور» المحفوظة بالمتحف المصرى فنجد «تحتمس الثالث» يقف أمام صدر البقرة بلونه الأسود فإذا ما رضع من لبنها جرى الدم فى عروقه . ولهذا نجد أن تمثالى «توت عنخ آمون» الملونين باللون الأسود وهما واقفان أمام قبره يمثلانه وهو ميت وهو فى ذلك كالإله «أوزير» . «على ذلك يمكن تفسير كل هؤلاء الأشخاص الذين مثلوا باللون الأسود على هذا النمط . غير أن « نافيل » قد ادعى أن جمجمة الأميرة « كسيت » من سلالة نوبية أو على رأيه زنجية[٣] .

ولدينا صورة أخرى فى معبد « منتوحتب »[٤] من عهد الأسرة الحادية عشرة وقد كتب معها «نحسيو» (نوبى) محضراً جزية من المعدن الثمين فى صورة حلقات .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٢٥ ، ٢١٢ ، ٢٤٣

(٢) راجع J.E.A., V., p. 288

(٣) راجع Naville, I, 55 and 50

(٤) راجع Naville, Ibid, III, Pl XIII, 5

ولكن الفحص دل على أن هذه الصورة ترجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وفى «أسوان» يوجد نقش على صخر مؤرخ بالسنة الواحدة والأربعين من عهد الملك «منتوحتب الثالث» جاء فيه ذكر حامل الخاتم «خيتى» الذى كان معروفا تماماً فى «طيبة»[1] ومما يؤسف له أن هذا النقش قد وجد مهشما جداً ولكن يفهم مما تبقى منه أنه قد أتى إلى هذه الجهة كما جاء ذكر سفن من بلاد « واوات » ، وإنه على ما يظن سافر بها إلى الجنوب . وبالاختصار تدل شواهد الأحوال على أنه قد أرسلت حملة فى عهده وأنها كانت فى سفن . وهذا يدل على نشاط السياسة الخارجية للأسرة الحادية عشرة فى بلاد النوبة .

وحامل الخاتم « خيتى » هذا كان قد قام بحملة فى بلاد النوبة وقد تحدثنا عنها عند الكلام على منظر «شط الرجال» بالتفصيل[2] . وخلاصة القول أن هذا المنظر يمثل عودة حملة من بلاد النوبة ولا يمثل خلافاً فى داخل البلاد ، ولا نعلم عن هذه الحملة شيئاً ولكن الظاهر أن «خيتى» كان قائدها وكان عائداً مع رجاله فى عام ٣٩ من حكم « منتوحتب » من حملته هذه .

ولدينا كذلك فى بلاد النوبة بعض نقوش دونت على الصخور خاصة بعهد هذا الملك ، فمن ذلك مجموعة النقوش الموجودة فى اقليم « دهميت » (على مسافة عشرة كيلو مترات جنوب « أسوان ») فى قرية « أبيبيسكو » وقد كشف عنها « ويجول » ونقلها بسرعة ثم نقلها فيما بعد الأثرى « ريدر »[3] نقلا صحيحا . وهذه النقوش كتب نصفها بالخط الهيراطيقى على غرار نقوش « حتنوب » . والنقش الأول وهو الوحيد الذى نقش نقشا غائرا ولا يزال محفوظا حفظا جيداً وقد كتب عكسيا وجاء فيه : « الأمر (حملة) الذى صدر لـ« ثمـار » فى السنه . . . (؟) وقد بدأت

(١) راجع A.J.S,L. (1940), p. 137

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٦٣ الخ

(٣) راجع Debod bis Kalabasche, p. 103 f; Tafel 1. 6 ff

أحارب فى عهد « نب — حبت — رع » بوصفى جنديا عندما كان يسير شمالا نحو « بن » وقد سار معى ابنى إلى الملك وقد استولى الملك على كل الأراضى . وقد فكر فى ذبح أسيوى « زاتى » (يحتمل أن المقصود هنا بلاد « زاهى ») وقد اقتربت من « طيبة » فى عودتى (؟) ولكن النوبيين عادوا . وقد هزمت زاتى وعلى ذلك أقلع جنوباً » .

والنقش الثانى مهشم تماما ولا يمكن أن يقرأ منه الانسان إلا بعض ألفاظ منها « سافر جنوبا . . وعاد إلى الجنوب مع الناس » .

والنقش الثالث هشمت بداية أسطره ولم يمكن فهم محتوياته وجاء فيه ذكر بلاد تدعى « معا » وبدو الرمال و (؟) و بلاد « واوات » . هذا وأشير فيه إلى حرب كما أشير فيه إلى أن « ثمـاو » سافر نحو الشمال . وفضلا عن ذلك يحتمل أنه ذكر فيه الاستيلاء على مقاطعة ، وكذلك جاء ذكر ابن الملك وجيشه الذى أحضره .

والنقش الرابع فى حالة لا بأس بها وجاء فيه : « لقد انحدرت فى النهر إلى جهة «طيبة» ووجدت الناس على الشاطئ واقفين وقد ظنوا أنهم سيقومون بحرب؟ وهربوا أمامى . . » .

أما النقوش من رقم خمسة إلى سبعة فلم يبق منها إلا القليل وهى غير مفهومة .

ومن الطبعى أنه لا يمكننا أن نصل إلى صورة مفهومة من المتون السبعة السابقة ومن الجائز أن المقصود من النقشين الأول والرابع وهما اللذان يمكن أن نقرأ منهما شيئا ما يأتى : كان فى قبضة « ثمـاو » جنود مساعدون من النوبيين يشنّ بهم حربا للملك « منتوحتب » على بلاد « زاتى » التى يحتمل أن تكون هى بلاد « زاهى » فى آسيا ، وبعد اعتلاء الملك العرش سافر إلى « طيبة » يتبعه نوبى كان ذا شهرة حتى أن اسمه لم يذكر . وقد عاد هذا النوبى إلى « طيبة » ثم عاد إلى وطنه . وعندما وصل « ثمـاو » مع جيشه من الجنود المرتزقة إلى « طيبة » فزع الأهالى الذين كانوا واقفين على الشاطئ وظنوا أنه عدو فولوا الأدبار أمام « ثمـاو » هذا .

هذا ما يمكن فهمه، على أننا لسنا واثقين من أن هذا المعنى هو الحقيق، وقد فهم الأستاذ « ريدر » هذا المتن بصورة أخرى إذ يقول إن المتن يقص علينا أن « نب حبت رع » ليس موحدا مع الملك بل كان تابعا له ، أى كان يعتبر ولى عهد ، ولكن استنباط « ريدر » جاء من سوء فهم المتن .

و إذا كان المعنى الذى استنبطه « سيف زودر برج » لهذا المتن وهو ما لخصناه فيما سبق هو المعنى الصحيح فإن « ثمـاو » كان فى قبضته جيش من الجنود المرتزقة لمساعدة « منتوحتب » الثانى فى حرب على آسيا وذلك ينبئ بأن بلاد النوبة كانت فى مصافاة مع مصر فى هذا الوقت . ولدينا نقش آخر عثر عليه فى بلدة « بلاص » يشير إلى هذا الاتجاه السلمى فى بلاد النوبة[١] . ومما يؤسف له أن كل نهايات الأسطر فى هذا المتن وجدت مهشمة حتى أصبح من الصعب فهم المتن فى مجموعه وترجمته ترجمة كاملة ، ففى السطر الثانى نقرأ : « وسافرنا منحدرين فى النهر بعد أن هزمنا العدو » ، وفى السطر الثالث نقرأ « إنهم أتوا إليك منحنين ومقبلين إياك من كل أعضائك ومن أجل هذا ينبغى أن يكون قلبك هادئا فى جسمك والجنوبيون . . » ، وفى السطرين السادس و الثانى عشر قيل إن « واوات » والواحات قد ضمت إلى الوجه القبلى ، « ولا يوجد ملك كانت تدفع له الجزية من قبل » وفى السطر الثامن جاء : « إن الطرق المغلقة التى فى البلاد الأجنبية قد فتحت لك » .

ومن هذا النقش نفهم كما فهمنا من نقش « ثمـاو » السابق أنه كانت توجد بين مصر وبلاد النوبة علاقة ولكن بصورة مبهمة .

ولا يمكن الاستنباط مما سبق أن بلاد النوبة السفلى كانت منضمة إلى مصر أو أنها محتلة عسكريا كما أنها لم تكن كذلك فى عهد نقوش « زمى » و « منتوحتب الثانى » . ولا أدل على ذلك من العبارة التى جاءت فى سياق الكلام السابق

---

(١) راجع Kees, Kulturgesch., p. 345

وهى أن هذه البلاد لم تكن تدفع الجزية ، ومن المحتمل إذا أن أمراء بلاد النوبة السفلى كانوا مضطرين بعد غزوة أو أكثر لبلادهم إلى دفع ضرائب دون أن تكون بلادهم قد احتلت عسكريا ، ونشاهد مثل هذه الحالة فى العهد الإسلامى حيث نجد أن بلاد النوبة الحرة كانت تدفع جزية سنوية معينة[1] . ولا يبعد أن يكون ماجاء فى المتون السابقة من أن بلاد النوبة كانت تدفع الضرائب لمصر من هذا القبيل ؛ فيكون ما جاء فى نقوش « بلاص » دليلا على تنفيذ نظام كان متبعا من قبل .

ولا نزاع فى أن الحروب الداخلية التى نشبت فى نهاية الأسرة الحادية عشرة قد أودت بهـا إلى الدمار كما فصلنا القول فى ذلك فى الجزء الثالث من مصر القديمة ص ١٤٠ — ١٤٨

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن متون « اللعنة » التى نشرها الأستاذ « زيته »[2] قد يرجع زمنها إلى هذا العهد غير أن المتون المشابهة التى نشرها « بوزنر » يرجع تاريخها للأسرة الثانية عشرة ولذلك فان تاريخ « زيته » للمتون التى نشرها أصبح يعتوره الشك[3] . ويقول الأثرى « سيف زودربرج »[4] : إذا كان ينبغى علينا أن نؤرخ متون اللعنة هذه بعهد نهاية الأسرة الحادية عشرة فلا بد من أن الرجال الموالين لبيت الملك القديم فى عهد الأسرة الحادية عشرة كانوا قد كتبوا هذه المتون على قطع من الخزف ووضعوها فى قبر أحد الملوك الذين سموا باسم « منتوحتب » وأن هذه النقوش كانت إذاً أحد الاحتجاجات الأخيرة التى احتجت بهـا الأسرة الفانية على الأسرة الثانية عشرة التى كانت لا تزال فى دور النهوض فى تلك الفترة ، وذلك أنه جاء ضمن الاعداء — وهم على وجه عام الأمراء والأقوام الأجانب — أسمـاء « امنمحات » و « سنوسرت » . ويلحظ

---

(١) راجع MacMichael, A History of the Arabs in the Sudan, Vol. I, Cambridge, 1922 p. 156 and 179.

(٢) راجع Die Ächtung feindlicher Fürsten, etc.

(٣) راجع Posener, Princes et Pays d'Asie et de Nubie, Chronique d'Egypte, 14, p. 39 ff.

(٤) راجع Save, Ibid, p. 61 ff.

أن معظم الأمراء الأفريقيين والأقوام الذين ذكروا فى هذه المتون غير معروفين لدينا .
هذا ونجد بعض تأثير مصرى ضعيف فى أسماء هؤلاء القوم ، ففى حالة نجد أن نوبيا يحمل بجانب اسمه الأصلى اسم علم مصرى ، وفى حالة أخرى نجد رجالا من قوم المزوى يسمى « واح أب » (الهادى) . ومما يلفت النظر أن الاسم الأخير لم يكن مثل سابقه أمير قوم بل مجرد أحد أفراد « المزوى » . وبالنسبة للدور الذى كان يلعبه هؤلاء « المزوى » كما رأينا من قبل نرجح أن هذا « المزوى » المسمى « واح أب » (الهادى) كان من الجنود المرتزقة وكان يقوم بدور هام فى العصر المضطرب الذى وقع بين التغيير الأسرى ، ولذلك فإنه بمكانته هذه فى مصر قد اتخذ لنفسه اسما مصريا .

(٢) فتح مصر لبلاد النوبة على يد ملوك الأسرة الثانية عشرة :

أصل الأسرة الثانية عشرة : تدل شواهد الأحوال على أن « امنمحات الأول » مؤسس الأسرة الثانية عشرة هو نفس « امنمحات » وزير الفرعون « منتوحتب الرابع »[١] والمرجح أن سلطان هذا الوزير أخذ يعظم ونفوذه يزداد ويقوى فى عهد « منتوحتب » هذا حتى تمكن فى نهاية الأمر من الاستيلاء على عرش الملك عنوة ، ويقوى هذا الظن ان « منتوحتب » الرابع هذا ، كان مغتصباً الملك ولم يكن صاحب حق وراثى فيه ، على أنه من الجائز أن يكون « امنمحات » قد تولى العرش بعد وفاة « منتوحتب » مباشرة بفضل ما كان له من قوة ونفوذ فى البلاط ، ويعدّ هذا الرأى الأخير مقبولا جداً إذا ثبت أن « أمنمحات » هذا ينتسب إلى أحد فروع الأسرة الملكية الشرعية القديمة[٢] .

ويميل الأستاذ « ينكر » إلى أن أم « امنمحات » أو « أمينى » كانت من أصل نوبى كما ذكر الكاهن المرتل « نفررهو » فى نبوءته التى قيل إنها ألقيت أمام الملك

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٤٠

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٦٩ الخ .

« سنفرو »[1] عندما يقول : « ابن امرأة من « تاستى » ولد فى « نخن » (الكاب) » .
والظاهر أن أم الملك هـذه تدعى على ما يظهر « نفرت » وذلك لأنه وجدت مائدة قربان فى هرم هذا الملك « باللشت » جاء عليها النقش التالى : الأميرة أم الملك « نفرت » . ومما يلفت النظر أنها لا تحمل أى لقب ملكى ، ويمكن تفسير ذلك بأن « أمنمحات » قد أسس أسرة جديدة[2] والظاهر أن أم الملك كان لها اسم مصرى ، غير أن هذا لا يحدثنا بشئ عن أصلها لأنها لو كانت نوبية الأصل لما كان لها اسم أجنبى بوصفها أم الملك . والواقع أن التعبير « تاستى » يحمل معناه الأصلى ، أى نوبى ، وقد يعنى المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى . غير أن المعنى الأقرب للذهن هو أنها كانت نوبية الأصل .

ومن جهة أخرى يجب ألا يغرب عن ذهننا أن قصة « نفررهو » لا تخرج عن كونها قصة أسطورية ولهذا ينبغى أن نكون على حذر عند التحدث عنها من الوجهة التاريخية . فنعلم أن بلدة « نخن » (الكاب الحالية) كانت منذ أقدم العهود تحمل معنى خاصاً بالنسبة للملك . فمن المحتمل أن كل هذه القصة التى أوردها هذا الفيلسوف الأديب تعنى ببساطة أن مصرياً صميا قد ولد فى البلد الذى كان يتوج فيه الملك فى الأزمان القديمة (أى نخن) فنسب من أجل هذه الولادة إلى الملك ، وهذا رأى ضعيف .[3] والرأى الصواب هو الذى أدلى به « ينكر » إذ يقول : إن طراز محيا الملك الجديد يحتمل أنه من أصل نوبى وبخاصة أن عظم الوجنتين فيه ما يدل على أنه من دم نوبى .[4]

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٧٠ الخ .
(٢) راجع The Egyptian Expedition, Metropolitan Museum (1921-22), p. 12; comp.: Sethe, Die Thronwirren unter den Nachfolgern Königs Thotmosis I, p. I, anm. 4.
(٣) راجع Save, Ibid; p. 64
(٤) راجع J.E.A., 7, p. 124, Anm. 2; cf. Junker and Delaporte, Die Völker des Antiken Orients, p. 88; Winlock J.E.A., 26, p. 119.

الملك امنمحات الأول وحملاته فى بلاد النوبة (٢٠٠٠—١٩٧٠ ق . م) .

تدل ظواهر الأمور على أن « امنمحات الأول » قد وطد سلطانه فى بلاد النوبة بصفة جدية ، ولدينا نقوش عدة تؤكد لنا ذلك ، ونخص بالذكر منها أولا تلميحه بذلك فى تعاليمه المنسوبة اليه وهى التى ألقى فيها على ابنه دروساً فى الحياة فيقول : لقد أذللت الأسود، واصطدت التماسيح، وقهرت أهل «واوات» ، وأسرت قوم «المزوى» الخ.[1]

ومن المحتمل أن الجنود المرتزقة الأجانب قد لعبوا دوراً فى الحروب الداخلية التى أدّت إلى تسلط ملوك الأسرة الثانية عشرة على البلاد . والواقع أنه لدينا متن مهشم جداً فى مقبرة « خنوم حتب الأول » فى « بنى حسن »[2] . ومن المحتمل أن هذا النقش يصف حملة نهرية وقد جاء فيها ذكر النوبيين (نحسيو (؟)) و (ستتيو ؟) بصورة غامضة . وقد اختلف المؤرخون فى تفسير ذلك فيقول « ادوردمير »[3] إن « ستتيو » هم الأسيويون ويقول « ر يزنر » إن « ستتيو » هم أهالى « الشلال الأول » .

وقد قص علينا « خنوم حتب » أنه ظهر مع الملك فى أسطول يبلغ نحو عشرين سفينة مصنوعة من خشب الأرز وأنه هزم العدو فى مصر، وأخضع السود والأسيويين الذين كانوا فى معسكر العدو، واستولى على الأراضى المنخفضة والأراضى العالية فى كلا القطرين . وقد كافأ الفرعون «خنوم حتب» على ذلك بأن جعله أميراً على بلدة « منعات خوفو » (بنى حسن) التى كانت إلى هذا الوقت تابعة لمقاطعة الغزال وفصلت عن حكومة هذه المقاطعة ، وكذلك ضم اليه إدارة الصحراء الشرقية ، ولقد امتدت سيطرة هذه البلدة حتى شملت كل مقاطعة « الغزال » (بالقرب من المنيا الحالية)، والظاهر أن أسرة الأمراء القديمة فى هذه الجهة كانت قد انضمت إلى المعسكر المعادى للفرعون فخلعوا من حكم هذه المقاطعة ، ولذلك يظن أن السود والأسيويين الذين

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٨٥ والأدب المصرى القديم جزء أول ص ٢٠٤

(٢) راجع Urkunden Des Mittleren Reiches I, VII, 12

(٣) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt., 1, 2, p. 264

ذكروا فى هذه الحروب ليسوا إلا جنوداً مرتزقة كانوا يحاربون فى المعسكر المعادى للفرعون[١] .

وليس لدينا مصادر كثيرة تحدثنا عن علاقة « امنمحات الأول » السياسية ببلاد النوبة ، ولذلك أصبح من الصعب علينا حتى الآن أن نحدد على وجه التأكيد التغييرات التى طرأت فى عصره على علاقاته بهذه البلاد . وسنذكر أهم هذه المصادر فيما يلى :

أولا : وجد له نقش مختصر على صخرة بالقرب من « كرسكو » عند مدخل « وادى جرجاوى » يدل على وصول جيوش الفرعون إلى هذه البقعة فى السنة التاسعة والعشرين من حكم ملك القطرين القبلى والبحرى « سحتب اب رع » « امنمحات الأول » عاش مخلداً. لقد جئنا لنهزم أهالى « واوات »[٢] . وهذه هى الجملة الوحيدة المؤكدة التى وصل الينا عنها متن . ولا نعلم إذا كان هذا الفرعون قد قاد الجيش بنفسه فى هذه الحملة أو ذهب جيشه بقيادة أحد عظماء رجال دولته ، والمرجح هو الرأى الأخير لأن « امنمحات » كان قد تقدم فى السن فى هذه الآونة . هذا ويوجد فى بلاد النوبة كذلك نقوش أخرى من عهد « أمنمحات الأول » ولكنها ليست كثيرة كما هى الحال فى عهد الملوك المتأخرين من هذه الأسرة .

فمن المحتمل أن اسم هذا الملك قد ذكر فى نقش بالقرب من « ماريه » الواقعة شمالى « جرف حسين »[٣] .

وكذلك يوجد نقش بين « أسوان » و « الفيلة » على الصخر مؤرخ بالسنة الثالثة والعشرين من حكمه[٤] . يضاف إلى ذلك أن اسمه قد نقش فى المحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من « توشكى » . وقد ذكر هنا مع وارثه لعرش الملك « سنوسرت الأول »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٨١ — ١٨٢

(٢) راجع A.Z., (1882), p. 30; Br. A.R.I., p. 473, etc.

(٣) راجع Weigall, Report, Pl. XXXII, 6

(٤) راجع De Morgan, Cat. Gen., I, p. 34, No. 81

ولكنه نعت بالعبارة التالية : « معطى الحياة أبديا » مما يدل على أن ابنه «سنوسرت الأول» هو الذى نقشها .

وقد وجد « ريزنر » فى « كرمة» من بين الأوانى المصنوعة من المومر التى وجدت مهشمة فى « دفوفه » قطعة عليها : «امنمحات الأول» ، وكذلك قطعة عليها اسم خلفه . وفى عهد « امنمحات الثالث » عثر على نقش يتحدّث عن جدار « امنمحات » ويذكر لنا أنه قد أسس مبنى فى « كرمه » وعلى ذلك فمن الجائز أنه ينسب إلى « امنمحات الأول » ومن المحتمل أن هذا المبنى ينسب إلى « امنمحات الثانى » [1] ، على أنه من الجائز أن الآنية التى عليها اسمه قد جلبت فيما بعد إلى « كرمه » عن طريق التجارة .

ولا نزاع فى أن العثور ثانية على المحاجر النوبية الواقعة فى الصحراء فى الجهة الشمالية الغربية من بلدة « توشكى » وقطع الأحجار منها وإرسالها عن طريق النيل فى السفن إلى مصر يدل دلالة واضحة على أن الحكومة المصرية كان لها سلطان عظيم على سكان بلاد النوبة فى تلك الفترة وذلك لأن المصرى كان عندما يقابل صعوبات فى بلاد النوبة السفلى من هذه الناحية يرسل الأحجار عن طريق الصحراء مباشرة إلى « أسوان » .

ويدل نقش « كرسكو » الذى يقول : « لقد أتينا إلى « واوات » لنقهرها » على أن العلاقات بين البلدين لم تكن علاقات ودّ ومصافاة، بل كانت هناك حرب مع النوبيين كما نوه « امنمحات » إلى ذلك فى تعاليمه ، وفضلا عن ذلك نعلم أن خلف « امنمحات الأول » وهو « سنوسرت الأول » قد سار على رأس حملة لاحتلال بلاد النوبة . وقد كان همّ المصرى فى بلاد النوبة منحصراً فى استغلال موادها الغفل وبخاصة مناجم الذهب التى كانت تزخر بها تلك الجهات ، وكان على المصرى للحصول

(١) راجع Reisner, Kerma, 542 f.; 511 ff.

على ذلك إما أن يستغل النوبي بطريقة منظمة فيستولى على ما لديه من مواد غفل باعتبارها ضريبة يدفعها له أو كان يعمل بالتعاون معه لاستخراجها أو على الأقل كان لا يمنع من الحصول على هذه المنتجات .

وكان السكان الوطنيون الذين يمثلون ثقافة مجموعة C كما قلنا من قبل أكثر مدنية وأشدّ بأساً بدرجة عظيمة من مجموعة ثقافة B التي تحدثنا عنها فيما سبق . إذ نجد أنهم قد وقفوا في وجه أطماع المصريين بقوّة وبأس شديدين، فقد رأى النوبيون في مطامع المصريين خطراً يهدد استقلالهم وخشوا أن يتسلط المصريون عليهم ويخضعوهم لسلطانهم التام وبذلك يقضى على حريتهم كلية . وتدل الأحوال على أنهم في عهد الأسرة الحادية عشرة كانوا يئنون من ضغط المصريين عليهم مما جعلهم يدفعون جزية كما كانوا يوردون لهم السلع أو يبيعونها ، غير أن هذا النظام قد ظهر في أعينهم عدم جدواه . ومن الجائز أنه قد حدثت أعمال غير مرضية من كلا الجانبين مما أدى إلى سوء التفاهم واضطراب العلاقات بين البلدين، ولا أدل على ذلك من أننا لم نجد في هذا الوقت تبادلا تجارياً بين البلدين يسير على طريق الودّ والمهادنة ، كما يبرهن على ذلك ثقافة مجموعة C إذ لم نجد تقريباً أى عنصر من عناصر التجارة المصرية قد ورد إلى بلاد النوبة ، وعلى ذلك لم يكن لمصر أمام هذا الموقف إلا أن تحتل بلاد النوبة احتلالا عسكرياً . وذلك لأن المصرى كان يرى بقاء الطريق مفتوحة إلى الأماكن التي يمكنه أن يصرف فيها تجارته من الأهمية بمكان ، وعلى ذلك فلا بد من تهدئة الأحوال في كل بلاد النوبة السفلى والاشراف عليها إشرافاً قوياً حتى يتسنى بذلك سير القوافل التجارية دون عائق أو منافس . وعلى الرغم من أنه لا يمكننا القطع بأنه في عهد « امنمحات الأول » كانت توجد مستودعات تجارية في « كرمه » فإن التجارة في هذا الاقليم كانت قد بدأت تترعرع ، مما جعل المصرى يرى لزاماً عليه أن يخضع سكان بلاد النوبة السفلى لإرادته حتى تسير تجارته وتنمو .

سنوسرت الأول وبلاد النوبة (١٩٨٠ — ١٩٣٦ ق . م) .

والظاهر أن « امنمحات الأول » عند توليته عرش الملك كان طاعنا فى السن فرأى أن يوكل أمر قيادة الحروب مع بلاد النوبة وغيرها لابنه وخلفه على العرش « سنوسرت الأول » . والواقع أنه لما حضرت الوفاة « امنمحات الأول » كان « سنوسرت » ابنه يقود جيشه فى موقعة حربية مع بلاد « لوبيا » وتتضح لنا سياسة « سنوسرت » الخارجية بعد تولية عرش الملك مما لمح به فى قصة « سنوهيت »[1] إذ يقول فى متن هذه القصة « إنه هو الذى أخضع البلاد الأجنبية ، والذى سيفتح البلاد الجنوبية » .

محاجر صحراء النوبة الغربية : يظهر أن أول من مرَّ محاجر صحراء النوبة الغربية فى عهد الدولة الوسطى هو الملك «سنوسرت الأول» . وقد كشف عن موقع هذه المحاجر حديثا ، وتقع على مسافة ٦٥ كيلومترا فى الشمال الغربى من « أبو سمبل » أى على خط عرض ٢٢ / ٤٩ شمالا وخط طول ٣١ / ١٦ شرقا . وقد جاء كشفها عن غير قصد ، فلقد كان رجال من شرطة الجيش المصرى يمرون فى هذا المكان ، فلفت نظرهم قطعتان من الحجر عليهما نقوش ظهر أنها تحمل ألقاب بعض ملوك الدولة القديمة ومن بينها اسم الفرعون «زدفرع» . وقد عثر فى هذه المحاجر على حجر الديوريت الجميل الذى كان يستعمله « خفرع » لصنع تماثيله العظيمة ، وقد كان مصدر هذا الحجر مجهولا حتى كشف عنه كما ذكرنا ، وكذلك عثر على أنواع أخرى من الحجر الصلب فى هذه البقعة ، مثل الجرانيت الوردى ذى الحبات الدقيقة وحجر الكوارتسيت الأبيض القاتم .

وقد عثر فى هذا المكان على لوحة من الحجر الرملى الأسمر نقش عليها طغراء كل من « امنمحات الأول » وابنه « سنوسرت الأول » .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٠٥

وفى محاجر الجرانيت الواقعة فى هذه البقعة وجدت لوحة لهذا الفرعون مؤرخة بالسنة العشرين ، الشهر الثانى ، فصل الحصاد ، والجزء الأسفل منها غامض . يضاف إلى ذلك لوحة أخرى من الحجر الرملى الأصفر ، أقامها لهذا الفرعون موظف يدعى « خننو » بن « منتوحتب » ويلقب أعظم عشرة الجنوب ، وقد نقش عليها : « محبوب « حتحور » سيدة الصحراء له كل الحماية والحياه الخالدة » (١) .

بعوثه إلى وادى الهودى : أرسل « سنوسرت الأول » عدة بعوث إلى « وادى الهودى » لاستحضار حجر الجمشت فى السنوات العشرين ، والحادية والعشرين ، والثانية والعشرين ، والرابعة والعشرين ، والثامنة والعشرين ، والتاسعة والعشرين من حكمه . وقد ترك لنا رجال هذه البعوث لوحات هامة عما قاموا به فى هذه الجهة ، ففى السنة العشرين من حكم هذا الفرعون ترك لنا ثلاثة ممن قاموا بالبعثة ثلاث لوحات : الأولى منها لأعظم عشرة الجنوب المسمى « منتوحتب » بن « حننو » بن « بيبى » وقد صنعت من الجرانيت الأسود .

١ — نص لوحة «منتوحتب» : السنة العشرون فى حكم جلالة الصقر «الملك» . . ملك الوجه القبلى والبحرى «خبر كارع » بن «رع» « سنوسرت » حور العائش أبديا خادمه الحقيق وعزيزه الذى يفعل كل مايمدحه دائما وكل يوم ، أعظم عشرة الجنوب ، الذى يمثل «ماعت» (العدالة) . «منتوحتب» بن «حننو» بن « بيبى » يقول : أرسلنى سيدى له الحياة والصحة والسلامة لأحضر الجمشت من أرض النوبة ، واستوليت من جديد على الأماكن التى كنت قد عملتها ، وقد أحضرت منه كثيراً جداً من منجم الأحجار التى من الجمشت ، ولقد كانت قوة رب القصر وامتيازه هما اللذان رعيانى ، ولرهبته انحنى أهل الأراضى الأجنبية ، وسيفه يخضع كل الأراضى ليشتغلوا له ، وأعطى (أى الملك) الصحراء فيها بأمر « منتو » ساكن « أيون » (أرمنت) و « آمون » رب تيجان الأرضين ليبقى خالداً .

---

(١) راجع A.S., XXXIII, p. 65 ff.

وقد عاد « منتوحتب » هذا مرة أخرى فى العـام الرابع والعشرين من حكم هذا الفرعون ، فكتب على نفس اللوحة ما يأتى : السنة الخامسة والعشرون من حكم جلالة «حور» (المسمى) ، حياة المواليد ، وصاحب الإلهين ، (المسمى) حياة المواليد ، ملك الوجه القبلى والبحرى (المسمى) « خبر كارع » (روح «رع » تأتى إلى الحياة) ابن « رع » (المسمى) « سنوسرت » الإله الطيب رب الأرضين الحى إلى الأبد ، العودة لمتابعة (استخراج) الجمشت إنه خادم سيده ومحبوبه الخ .

٢ — لوحة قائد الجيش « آنتف » : وفى نفس السنة العشرين ترك لنا قائد الجيش « آنتف » لوحة لم يكمل كتابتها وقد جاء فيها : « السنة العشرون من حكم «حور» حياة المواليد ، الإله الطيب ، رب الأرضين ، ملك الوجه القبلى والبحرى ، « خبر كارع » عاش مثل « رع » مخلداً . حامل الخاتم وقائد الجيش « آنتف» خادمه الذى يثق فيه ،والذى يفعل كل ما يرضيه ،وعشت خالياً من الذنب «آنتف » المبرأ» .

٣ — لوحة رئيس الخزانة « أنتف إقر » : وكذلك ترك لنـا لوحة من الجرانيت الأسود رئيس الخزانة غير أن نقوشها متآكلة ، وقد جاء عليها : « السنة العشرون رئيس الخزانة ووكيل حامل الخاتم «ونى» عملت « هذه اللوحة » لقائد جيشه الذى يعمل كل مايرضيه دائماً ، وكل يوم ، حاكم المدينة (طيبة) والوزير ، وكاتم أسرار بيوت الفرعون « أنتف إقر » له الحياة والصحة والسلامة ، لقد أرسلنى لأحضر الجمشت والذهب ، . . . وقد أحضرت منهـا (الكثير جداً) . . . » .

وفى السنة الواحدة والعشرين ترك لنـا « منتونسو » لوحة من الجرانيت منقوشة نقشاً جميلا جاء فيها : السنة الواحدة والعشرون من حكم جلالة « حور » حياة المواليد الإله الطيب « سنوسرت » الحى الخالد . إنه خادمه وموضع ثقته بحق الذى يفعل كل مايرضيه دائماً وكل يوم . لقد تبع خطوات سيده فى الطرق المعبدة التى أحسن صنعها الخادم « منتونسو » بن «حتبى» بن « آدن » وفى نهاية اللوحة نجد رسم الملك .

فهل هذا يشعر بأن الفرعون نفسه قد زار هذه المناجم ؟ وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف « أسوان » .

٤ — وفى السنة الثانية والعشرين ترك شخصان لوحتين من الجرانيت : أولهما يدعى «سنوسرت» بن «ونى» وقد جاء عليها ما يأتى : « السنة الثانية والعشرون ، الخروج لإحضار الجمشت لحور (أى الملك) حياة المواليد الإله الطيب بن «رع» ملك الوجهين القبلى والبحرى «خبر كارع» بن «رع» ، «سنوسرت» عاش أبد الآبدين خادمه «سنوسرت» ابن « ونى » ، مما يدل على أن خادمه كان معه فى الرحلة . أما اللوحة الثانية فهى لشخص يدعى «سبك» بن . . . وقد نقش عليها ما يأتى : « السنة الثانية والعشرون ، ملك الوجهين القبلى والبحرى « خبر كارع » بن «رع» ، «سنوسرت» معطى الحياة مثل « رع » مخلداً «سبك » بن . . . الممدوح . . . نزل فى سلام » .

٥ — وفى السنة الرابعة والعشرين قامت حملة خامسة يقول فيها قائدها : «إنه تابع البحث عن الجمشت » والظاهر أن كاتب اللوحة قد كتبها على عجل إذ نقش اسم «سنوسرت» بدون طغراء .

٦ — ولدينا لوحة من السنة الثامنة والعشرين باسم « وسدى » ويلقب رئيس القوم ، ولم يذكر فيها شئ غير الألقاب الفرعونية والصيغ المعتادة فى إخلاصه للفرعون ، وكان معه خادمه المخلص الذى يثق فيه « حرور » قاطع الأحجار .

أما فى السنة التاسعة والعشرين فقد وجد على ما يظهر لوحتان من عهده : الأولى أقامها موظف يدعى «حننو» وهى من الحجر الرملى وقد جاء عليها ما يأتى : فى السنة التاسعة والعشرين خرج إلى هذه البلاد أعظم عشرة الوجه القبلى « حننو » ليته يعيش ويقوى ويصح . (ومعه) خادمه الأمين الذى يعمل كل ما يمدحه (سيده) فى خلال كل نهار المسمى «سنب سا أشتف» .

أما اللوحة الثانية فصاحبها كذلك «حننو» بن «منتوحتب» وهو نفس الموظف

صاحب اللوحة السابقة وقد جاء عليها ما يأتى : « السنة التاسعة والثلاثون أعظم عشرة الوجه القبلى «حننو» بن «منتوحتب» ليته يعيش ويقوى ويصح (ومعه) خادمه الأمين الذى يعمل كل ما يمدحه (سيده) كل يوم «شمسو سعنخ» . ومن ذلك نعلم أن اللوحتين قد عملتا للموظف «حننو» ومعه خادماه أى أن الثلاثة كانوا قد ذهبوا سويا إلى هذه المناجم .

لوحة « حور » : وأعظم هذه اللوحات التى تنسب إلى عهد هذا الفرعون لوحة أقامها موظف يدعى «حور» أرسله « سنوسرت » لإحضار الجمشت من صحراء النوبة الجنوبية الشرقية من وادى «الهودى» وهذه اللوحة مصنوعة من الحجر الجيرى الأبيض وهاك النص الذى نقش عليها : « يعيش «حور» حياة المواليد ، صاحب السيدتين ، (الصل والعقاب) ، حياة المواليد ، ملك الجنوب والشمال «خبر كارع» (روح «رع» تأتى للوجود) بن «رع» «سنوسرت» الإله الحسن ، الذى يذبح « الأونتى » (سكان الصحراء الجنوبية الشرقية) ويقطع رقاب من فى الأراضى الأسيوية ، الملك الذى يطوق «حانبو» (أقوام الشمال) والذى يصل إلى نهاية حدود المقهورين وحدود السود ، والذى يهشم رءوس الأسر الثائرة ، موسعاً تخوم مصر مفسحا بذلك المجال (ابلاده) ، وهو الذى وحد بجماله الأرضين ، رب القوة والحروب فى البلاد الأجنبية ، وسيفه قد أخضع الثوار ، ومن ثاروا عليه ماتوا بسيف جلالته . وهو الذى وضع أعداءه فى الأغلال ، وهو أميرو ديع الخلق لمن يخدمه ، ومعط نفس الحياة من يبتهل إليه ، والبلاد تقدم له طعامها ، و«جب» (إله الأرض) أفضى إليه بأسراره ، والبلاد الأجنبية أصبحت تابعة (له) ، والجبال صارت مبتهجة (به) وكل مكان قد أفضى إليه بأسراره ، مبعوثوه عديدون فى كل الأراضى ، ورسله يفعلون ما يريد ، وأملاكه هى السهل والحزن ويدين له ما يحيط به قرص الشمس ، وإليه تجلب العين وما فيها (العين هنا عين حور وهى تعنى كل شئ حسن) ، وهى سيدة الموجودات مع كل ما خلقته .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى . « خبر كارع » الذى يحب « حور النوبة » ، والذى يمدح السيدة التى على رأس النوبة معطى الحياة والثبات والصحة مثل «رع» مخلداً .

خادمه الأمين حقيقة ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد ومدير مخزنى الغلال ، ومدير حظيرتى الدجاج ، ومدير بيتى التبريد ، ومدير ذوات القرن ، وذوات الحوافر ، والطيور والسمك ، ومدير البيت «حور» يقول : لقد أرسلنى السيد (هذا الإله رئيس الأرضين) بأمر يتعلق بأعماله الطيبة فى هذه الأرض وقد كان الجيش خلفى (أى يشد أزرى) لأجل أن أقوم بما أراده خاصاً بهذا الحمشت الذى فى أرض النوبة وقد أحضرته من هناك بكميات عظيمة ، وعندما جمعته مثل فم المخزنين (أى مثل القطع التى تسد فم المخزنين) جر بزحافات وحمل على نقالات ، وكل « أنتيو » من أرض النوبة الذين سيدفعون الجزية يعمل خادماً حسب رغبة هذا الإله سيبقى جنسه أبد الآبدين[١] .

وفى جنوب الشلال الأول عثر له على لوحتين فى معبد « بهين » ويعدان من أهم آثاره ، وهذا المعبد قائم أمام بلدة « وادى حلفا » ، أقامه هذا الفرعون تخليداً لذكرى انتصاراته على أعدائه ، واعترافا منه بالجميل لآلهة هذه المنطقة[٢] . وتوجد لهذا الملك آثار مؤرخة بسنى حكمه من السنة الأولى حتى السنة الخامسة والأربعين[٣] .

وكانت أولى نتائج أول حرب شنها « سنوسرت » على النوبيين أن نظم من جديد العلاقات بينه وبين مقاطعة الشلال الأول فنصب أمير مقاطعة جديداً فى « الفنتين » يدعى « سرنبوت » فى « الفنتين »[٤] . وقبر هذا الأمير بالقرب من قبة الهواء مقابل النهاية القصوى من جزيرة « الفنتين » ويحمل رقم ٣٦ وهو ابن « سات ثنى » ويعاصر الملك « سنوسرت الأول » وهذا القبر محفور فى الصخر فى هذه الجهة ويدل على ما كان له من مكانة عظيمة فى تلك الفترة وقد كان سلطانه يمتد إلى الجهات التى خلف « الشلال الأول » ولذلك كان يدعى المشرف على كل الأراضى الأجنبية والمشرف

---

(١) راجع A.S., XXXIX, p. 186 ff.

(٢) راجع MacIver and Woolley, " Buhen ", pp. 89, 95

(٣) راجع Petrie, History, p. 163

(٤) راجع Muller, Die Felsengräber du Fürsten Von Elephantine; Scharff, Aegyp. Forschungen, Heft. 9 (1940).

على التراجمة (رئيس القوافل) . وقد خلف لنا ترجمته لنفسه فاستمع لما يقول :
الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الملك للوجه البحرى والسمير الوحيد ، رئيس
كهنة الإلهة « ساتيس » سيدة « الفنتين » والمبجل من « أنوبيس » ومن أنجبه
« سات ثنى » يقول : أنتم يا من يعيشون على الأرض ومن سيمرون على القبر الصاعدين
منكم فى النهر والمنحدرين فيه إذا أردتم أن تكونوا محبوبين من إلهكم فعليكم أن تصلوا
إلى إلهكم من أجل قربان جنازى لروح الحاكم « سرنبوت » .

وهو يقول : أنى إنسان أرضيت قلب الملك فى المعبد وأنى فم « نخن » فى معبد
«ساتيس » ونخبت فى معبد «بوتو » (معبد النار) والرئيس الأعلى للكهنة الجنازيين
وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد ، وكاتم سر الملك فى الجيش ،
والذى يسمع ما يسمعه الواحد فقط ، والذى يأتى إليه كل الأرض (أى كل واحد) . .
إلى المكان الذى خضع فيه أعداء الملك . والواحد الذى يدخل فى قلب الملك
(ثقته) . . . .

وأنى إنسان حملت الخاتم الملكى فى كل الأحوال الخاصة ببلاد « كوش » (؟)
(وفى رواية أخرى كل البلاد الأجنبية) للزوجة الملكية والذى يقدم التقارير
عن الضرائب من بلاد « مزا » (بجا) بوصفها جزية من أمراء البلاد الأجنبية .
والذى يسهر الليل داخل المعبد فى يوم العيد الكبير ، والذى يتسلم الهدايا التى تحتوى
على أحسن الأشياء الثمينة التى يقدمها الملك فى قصره . والرئيس الأعلى للأعياد الثلاثينية
فى قارب الإله بوساطة كل الأعمال المدهشة (أى المحاصيل المدهشة) للنوبيين
من « الشلال » وأمين القوم على الميناء وأعظم المشرفين على سفن بيت الملك ، والذى
يدير بيتى المال بنظام والرئيس على بقاع « تاستى » (النوبة) والذى تحت إدارته
من يحرو ومن يرسو .

والحاكم ورئيس الكهنة « سرنبوت » يقول : لقد أقمت قبرى بحظوة الملك
« خبر كارع » . ولقد رفعنى الملك فى الأرض وكذلك كنت أعلى قدراً من أمراء

المقاطعات ، ولقد غيرت (؟) قوانين الأزمان القديمة . ولقد رفعت إلى السماء فى لحظة عين (أى رفعت إلى مرتبة عليا فى لحظة عين) . وعينت صناع أحجار لعمل مقبرتى وقد مدحنى جلالته لذلك كثيراً جداً ومرات يخطئها العد فى حضرة رجال البلاط والملكة . وقد جهزها بأثاث من القصر وزينها بكل ما يلزم وملأها بالحلى وأمدها بقربان الخبز وجهزها بكل ما كان صالحا لها . ولم يكن ينقصنى شئ مما يلزمنى من الأشياء التى من بيت المال . . . وسمح لى جلالته أن أذهب (حرا) مثل كل موظف فى مقر الملك (هل يعنى أنه لم يكن مقيداً بالبقاء فى «الفنتين» طوال الوقت ؟) وكنت رجلا يؤدى خدمات بجانب سيده وإنسانا رفعته مميزاته » .

يقول : « كنت رجلا مستقيما فى الحضرة الملكية ، خالياً من المين ، وكنت ذكيا عند ما يرسلنى (فى مأمورية) . ولقد كنت ثانى اثنين وثالث ثلاثة فى هذه الأرض ، وكنت أعمل المديح كثيراً جداً وكنت مملوءاً بالثناء حتى يعوز حنجرتى الهواء ، وقد هللت عند ما رفعت إلى السماء ووصل رأسى إلى القبة الزرقاء . وقد كشطت أجسام النجوم وباشرت التهليل عند ما لمعت كالنجم ورقصت مع الكواكب . وكانت مدينتى فى عيد ، وهلل رجالى وسمعت الناس ذلك الرقص . . . ، والمسنون والأطفال كانوا فى سرور . والآلهة الذين فى « الفنتين » قد أطالوا لى مدة بقاء جلالته ملكا ، فقد ولدوا جلالته من جديد من أجلى حتى يكرر لى ملايين الأعياد الثلاثينية . وقد منحوه الأبدية بوصفه ملكا حتى يبقى على عرش حور من جديد (؟) كما أحب ، وكنت خادمه القريب من قلبه مؤدياً ما يحبه سيده ، الأمير والمشرف على الكهنة « سرنبوت » .

ويقول : « لقد حضرت من مدينتى ونزلت إلى مقاطعتى وعملت ما يحبه قومى وما يمدحه كل الآلهة » .

والواقع أن الألفاظ المنمقة التى حاك بها قصة تاريخ حياته لا يمكننا منها الحكم تماما عليه واستنباط الحقائق التى قد اختفت وراء هذه التعابير البراقة ، ومع ذلك

تدل شواهد الأحوال على أنه على ما يظهر كان المؤسس لأسرته ، وأن الفضل يرجع للملك « سنوسرت الأول » فى تنصيبه فى هذا المنصب الخطير ، ولذلك لم نجده يحاول إخفاء ما حباه الملك به من فضل و إنعام . ومن ثم يجب علينا ألا نستخلص من فخامة مقابر أمراء هذا العصر أنهم كانوا على جانب عظيم من الأهمية بوصفهم حكاماً محليين مستقلين ، بل على العكس تدلنا على خضوعهم لحكم أسرة قوية السلطان ، وما كان يتبع ذلك من تقدم مادى .

وأهم ألقاب « سرنبوت » هى أنه كان كاهناً فى معبد « ساتيس » فى « الفنتين » كما كانت العادة أن يكون حاكم المقاطعة هو القيم على المعبد الرئيسى للمقاطعة ، ولا أدل على ذلك من منزلة « زفاى حعبى » بـ « أسيوط »[1] . هذا وقد أظهر الملك اهتماماً بمعبد « الفنتين » فقد ذكر على قطعة من الحجر محفوظة الآن بالمتحف المصرى كيف أن الملك ذهب نحو الجنوب ليقدم لآلهة الجنوب مائدة قربان ، وكذلك فى نقش آخر وجد فى معبد «هليو بوليس» أنه قد ذكر إقامة معبد لحور صاحب «تاستى» وكذلك أقام معبداً لثالوث « الشلال » وهم « خنوم » و « ساتيس » و « عنقت »[2] . هذا وقد جاء ذكر هذا الملك على قاعدة تمثال عثر عليه فى «الفنتين» محبوب «ساتيس» و « عنقت »[3] .

هذا ونجد أن الملك « سنوسرت » قد منح حاكم مقاطعة « الفنتين » هذا عطفه إذ يقول : « وعند ما ذهب جلالته ليضرب أهل « كوش » التعساء[4] أمر جلالته أن يرسل إلى قطعة لحم (من ثور) » . ومن هذا النقش نفهم أن الملك قد أسس لنفسه فى « الفنتين » قاعدة لأعماله الحربية ، واهتم بأن تكون سفن التجارة فى هذا

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٣٠

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢١٣

(٣) راجع A.S., VIII, p. 47

(٤) راجع Urk., VII, p. 5.B ومصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٥ ملحوظة (١) .

المكان الصعب منظمة وأن يكون حاكم المقاطعة المسيطر فيها خادماً أميناً لبيت الملك . ولا نزاع فى أن هذا العمل كان على جانب من الأهمية فى زمن كان العهد الذى قبله هو عهد إقطاع فلا بد أن يعزل فيه أمراء المقاطعات وأصحاب الكلمة العليا فى البلاد وأن يحل غيرهم من المخلصين لبيت الملك من الموظفين .

الحملة الكبرى التى أرسلها « سنوسرت الأوّل » لفتح بلاد النوبة العليا :

وتعد الحملة التى قام بها « سنوسرت الأوّل » حتى « الشلال الثالث » من أهم الحملات التى قام بها ملوك الأسرة الثانية عشرة . ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كانت الحملة السالفة الذكر وهى التى كما قلنا ذهب فيها ليضرب أهل « كوش » التعساء هى نفس الحملة التى قام بها فى السنة الثامنة عشرة من حكمه أم غيرها . وكان غرضه من هذه الحملة اخضاع قبائل السودان وتثبيت حدود مصر الجنوبية إلى نقطة تبعد نحو ٢٥٠ كيلو متراً من جنوبى « وادى حلفا » التى تعتبر الآن الحد الشمالى لبلاد السودان وبذلك تصبح كل بلاد النوبة السفلى وشمال السودان خالية من كل اعتداء أو غزو من جهة السود . وهذه الحملة التى قامت فى السنة الثامنة عشرة من حكم هذا الفرعون كانت بقيادة قائد يدعى « منتوحتب » الذى ترك لنا نقشا فى معبد « بهين » بـ « وادى حلفا » مثل فى أعلاه « سنوسرت الأوّل » واقفا أمام آله الحرب « منتو » الذى يقول للملك : « أحضرت كل أعمالك التى فى النوبة تحت قدميك يأيها الآله الطيب » . ويشاهد بعد ذلك الآله يقود للفرعون عشرة أسرى من النوبيين كل منهم يمثل قبيلة[1] . ونفهم من مغزى ما بقى من نقوش هذا المتن أن المقصود من هذه الغزوة هو قهر بلاد النوبة العليا وإذلالها ، ويؤكد ذلك وجود هذه اللوحة فى « بهين » . وتدل نتائج أعمال الحفر فى هذه الجهة على أنه من المرجح جداً أن المصريين كانوا

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٣

قد أقاموا حصنا فى هذه الجهة . ويدل على ذلك أيضاً وجود نقش لمشرف على جنود ومشرف على مجندين وقائد جيش من عهد « سنوسرت الأول » فنقرأ فى سطوره الأخيرة الممزقة ذكر حصن ويحتمل كذلك الإشارة إلى حراسة حدود[١]، وتدل نتائج الحفر فى حصون بلاد النوبة الأخرى وبخاصة حصن « كوبان » على أن بلاد النوبة كانت فعلا محتلة عسكريا فى عهد « سنوسرت الأول » وكان مسيطراً عليها بوساطة الحصون، وإنه لمن المعقول التسليم بأن هذه الحصون قد تم بناؤها فى زمن هذه الحملة التى قهر فيها أهل بلاد النوبة .

ومن المحتمل أنه قد أقيمت لوحة على مسافة عشرين كيلو متراً من الجنوب الغربى من « أسوان » عثر عليها فى قلب الصحراء بأمر ملكى غير أنه لم ينقش على هذه اللوحة طغراء الملك وكل ما نقش عليها هو السنة الثامنة عشرة ورسم رجل مسلح بالقوس والنشاب يقود أمامه أسيراً[٢] . وتدل شواهد الأحوال على أن المصريين قد استعملوا العسف فى فتح بلاد النوبة السفلى كما حدث ذلك فى عهد الدولة الحديثة فيما بعد، فقد كان هم الفاتحين استغلال أهالى البلاد ولذلك نجد النوبى الذى كان مستعدا لأن يعمل للمصرى قد أصبح يعامل معاملة العدو فيقول « سنوسرت الأول »[٣] : « إن كل نوبى سيدفع الجزية بمثابة خادم ويعمل على حسب مشيئة هذا الآله تماما ستبقى سلالته أبدية، وبعبارة أخرى على كل نوبى أن يسير سيراً حسنا فى تقديم محصولاته لمصر .

واللوحة التى جاء فيها هذا النص عثر عليها فى « وادى الهودى » على مسافة ٢٨ كيلو متراً فى الجنوب الشرقى من « أسوان » وعلى مسافة ٢٦ كيلوا متراً شرقى وادى النيل على مقربة من « دبود » وهو خاص بحملة كان قد أرسلها الفرعون للحصول على حجر الأمتست[٤] .

---

(١) راجع British Museum Hierog. Text, IV Pls, 2 and 3

(٢) راجع A.S., 38, Pl. LV, 3, p. 389

(٣) راجع A.S., 39, p. 187

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ١٤٩

وعثر كذلك على لوحتين أخريين بالقرب من السابقة لأفراد مؤرختين بالسنة التاسعة والعشرين من حكم « سنوسرت الأول » . والظاهر أنه قد أرسلت حملتان فى نفس هذه الجهة كما يدل على ذلك نقشان عثر عليهما فى « دبود » و « دهميت » مما يدل على أن هذه الطريق كانت هى المفضلة إلى الجهات التى يمكن استغلالها من هذا الجزء من بلاد النوبة . ويرجع نقش « دبود » إلى عهد الملك «امنمحات الثانى» والآخر أرخ بالسنة الحادية عشرة من عهد الملك «امنمحات الثالث»[١] . ومما يؤسف له أن كلا النقشين وجد فى حالة سيئة ، غير أنه كان فى الامكان معرفة أنهما خاصان باستخراج الامتست . وقد ذكر على كل منهما اسم رجل يدعى « حنو » . وهذا الرجل بعينه قد ذكر على صخور المحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من « توشكى » وكذلك يوجد فضلا عن ذلك نقش آخر مؤرخ بالسنة العشرين الشهر الثانى من فصل «أخت» من حكم الملك « سنوسرت الأول »[٢] . وكذلك جاء اسم «سنوسرت الأول» على قطعة مثقال وزن عثر عليها فى حصن « كوبان »[٣] .

وأخيراً وجدت مائدة قربان باسم هذا الفرعون عثر عليها فى بيت فى جزيرة « أرقو » وهى الآن بمتحف بمديرية «مروى» ، ومن المحتمل أنه أتى بها من « كرمه » ولكن المرجح أنها من « جزيرة أرقو »[٤] .

عهد « امنمحات الثانى » حين اشتراكه مع « سنوسرت الأول »

ونجد فى العهد الأخير من حكم « سنوسرت الأول » عند ما كان مشتركا معه ابنه « امنمحات الثانى » فى الحكم سلسلة نقوش على الصخور فى بلاد النوبة السفلى .

---

(١) راجع Berlin No. 1203 ; L.D II p. 123 b

(٢) راجع A.S. 33, p. 70 f.

(٣) راجع Ibid, p. 32

(٤) راجع Reisner, Kerma II, p. 545

فعلى الصخور التى فى الطريق من « أسوان » إلى « الفيلة » نقشان : واحد منهما باسم شخص يدعى « منتوحتب » بن « ردى سبك » مؤرخ بالسنة الحادية والأربعين[١]، ويحتوى على صيغة قربان عادية. أما النقش الآخر فلشخص يدعى « انتف وهو مؤرخ بالسنة الثانية والثلاثين أو الثالثة والثلاثين[٢] . هذا ويوجد فى « جناوى شما » (Gnawi Schema) التى تقع قبالة « خوردهميت » مجموعة من النقوش على الصخر نقشها موظفون مؤرخة بالسنة الثانية من عهد الملك «امنمحات الثانى» (السنة الخامسة والأربعين من حكم « سنوسرت الأول ») وقد جاء عليها اسم شخص معروف يدعى « أمينى » بن « بيبى » ونقش معه الدعاء : « له الحياة والصحة والعافية المرحوم » . وهذا الدعاء جاء على غرار ما كان يكتب لحكام المقاطعات والوزراء . ويظن الأستاذ « ريدر » أن هذا الرجل هو نفس « أمينى » الذى ذكرناه سابقاً فى نقوش «بنى حسن» وهو الذى مات فى السنة الثالثة والأربعين من حكم «سنوسرت الأول»[٣] . ولكن الأثرى « سيف زودربرج » يشك فى توحيد الاسمين[٤] .

وعلى مسافة أربعة كيلومترات جنوبى معبد « أمدا[٥] » نجد مجموعة أخرى من النقوش مدونة على الصخر من عهد « سنوسرت الأول » كما نجد نقوشاً على الصخر مؤرخة بالسنة الخامسة من عهد « امنمحات الثانى » ومن عهد «سنوسرت الثالث» . و « أمينى » الذى ذكر فى هذه النقوش بوصفه يحمل لقب أعظم عشرة الوجه القبلى لا يمكن تحديد تاريخه . وعلى أية حال فإنه ليس « أمينى » الذى جاء ذكره فى مقابر « بنى حسن » بل يحتمل توحيده مع فرد يدعى « أمينى » جاء ذكره على لوحة محفوظة بالمتحف البريطانى مؤرخة بالسنة الثامنة من عهد « سنوسرت الثالث » . والأمر

---

(١) راجع L.R., I, p. 270

(٢) راجع De Morgan, Cat. Gen. I, 19, No. 94; L.D., II, 11 and C.

(٣) راجع Roeder, Debod bis Bab Kalabsha, p. 114 pl. 108 d.

(٤) راجع Save Soderbergh, Agypten und Nubien, p. 72, Not b.

(٥) راجع Weigall, Report, Pl. L III

الذى يلفت النظر فى هذه النقوش أنهـا لا تدل على قيام حروب جديدة بين البلدين أو الشروع فى حروب بعد السنة الثامنة عشرة من حكم « سنوسرت الأوّل » بل على العكس يظهر منهـا أنها تدل على وجود نشاط عظيم فى الأراضى النوبية للحصول على المواد الغفل .

حملات « سنوسرت » للبحث عن الذهب (١) :

والواقع أن « أمينى » قد ذكر لنا حملتين إلى بلاد النوبة كان الغرض منهما الحصول على الذهب . فقد قاد « أمينى » حملة متأخرة إلى صحراء « قفط » (وكان قد مات فى السنة الثالثة والأربعين من حكم « سنوسرت الأوّل ») ، وعلى ذلك لا ينبغى ألا تؤرخ هذه الحملة بالسنين الأخيرة من حكم « سنوسرت الأوّل » ، هذا إلى أن ولى العهد أى « أمنمحات الثانى » كان قد رافقه فى هذه الحمله .

ووصف هذه الحملة مختصر وليس مؤرخاً . فاستمع لمـا جاء فيه : « لقد سرت نحو الجنوب لأحضر التبر لجلالة « سنوسرت الأوّل » العـائش أبدياً . وقد سرت إلى الجنوب مع الأمراء وولى العهد بكر أولاد الملك المحبوب « أمينى » له الحياة والعافية والصحة . وسرت إلى الجنوب مع جمع يبلغ أربعمائة من خيرة رجال الجيش وعدنا إلى الوطن سالمين دون أن يفقد واحد منـا وقد أحضرت الذهب الذى كلفت به وقد مدحت من أجل ذلك فى بيت الملك وشكرنى ابن الملك » .

ويدل عدد الجنود الذين رافقوا « أمينى » على أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى نشوب حرب بل كان لمجرد البحث عن مناجم الذهب التى بدأت تظهر فى بلاد النوبة . والظاهر أن وادى النيل النوبى فى ذلك الوقت قد سادته السكينة بعد الحروب الأولى ، وأن المصريين قد أخذوا العدة لأنفسهم وأقاموا الحاميات فى أنحاء

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٤ الخ .

طرفهم ، ومع ذلك فقد اتخذ قائدنا لنفسه الحيطة خوفاً من قطاع الطرق من البدو الذين كانوا يتجمعون فى الصحراء .

أما الصلات مع بلاد النوبة العليا أو بلاد «كوش» فستتحدث عنها فيما بعد ويكفى أن نشير هنا إلى أنه قد وجد فى عهد « سنوسرت الأول » تماثيل للحاكم « زفاى حعبى » (١) وزوجته فى بلدة « كرمه » (٢) .

وقد بقيت العلاقات الودية بين مصر وبلاد النوبة سائدة ومستمرة فى عهد كل من « امنحات الثانى » وخلفه « سنوسرت الثانى » وذلك لأن الاحتلال المصرى كان على ما يظهر ناجحاً ولذلك لم يكن هناك ما يدعو إلى إرسال حملات حربية إلى بلاد النوبة . ولدينا لوحة محفوظة بالمتحف البريطانى (٣) لموظف يدعى « ساحتحور » مساعد مدير الخزانة وقد ذكر ضمن نقوشها أنه قام برحلة مماثلة لحملة « أمينى » لاحضار الذهب ، فاستمع لما يقول : «لقد زرت أرض المناجم «سيناء» وأنا شاب ، وأجبرت العظماء والأمراء على غسل الذهب وأحضرت الفيروزج ووصلت إلى «تاستى» (النوبة) الخاصة بالنحسيو لأنى أتيت إليها عندما كانت مقهورة أمام خوف سيد الأرضين وسرت نحو « حا » واخترقت جزيرتها (أو أرضها) وأحضرت محاصيلها (؟) وإنى أقسم بسيدى — له الحياة والفلاح والصحة — أنى أقول الصدق » .

وهذا المتن يؤكد لنا ما تحدث به «أمينى» فى نقشه ، ويضيف لنا تفاصيل أخرى عن استخراج الذهب ، كما ذكر لنا استخراج الفيروزج من بلاد النوبة .

وتدل شواهد الأحوال على أنه فى تلك الفترة قد تم نظام الحاميات كما تم بناؤها فقد وجد نقش على صخرة فى « أسوان » مؤرخ بالسنة الخامسة والثلاثين من عهد أمنحات

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٧

(٢) وهو المعروف باسم « حبزافى » أيضا .

(٣) راجع Brit. Mus. Stela, No. 569; texts II, 19, 20 ; Br. A.R., I, § 602 ;A. Z., 12, III ff.

الثانى خاص بتفتيش على هذه الحصون حيث يقول : « لقد أتى ... « حنو » ليقوم بتفتيش على حصون « واوات »[١] .

وقد أرسل « امنمحات الثانى » بعوثاً إلى « وادى الهودى » وقد وصلت إلينا لوحة من عهده غير مؤرخة أقامها رئيس البعثة المسمى « سنيبو » ويحمل لقب رئيس الخزانة ونقش عليها ما يأتى : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خع كاورع » عاش أبد الآبدين محبوب « حتحور » سيدة الجمشت (حسمن) . قريب الملك الحقيق ومحبوبه وساكن قلبه رئيس الخزانة ، وهو الذى وضعته « سبك رع » ورب الاحترام والذى استولى على قلب الملك باختراق الصحارى (فى البعثة) التى قام بها لسيده بتفوق « سنيبو » رب الاحترام » .

ولدينا لوحة أخرى من هذا المكان منحوتة من الصخر الرملى غير أن معظم كتاباتها قد محيت ويرجع عهدها إلى السنة السادسة من الحكم الذى اشترك فيه هذا الفرعون وابنه « سنوسرت الثانى »[٢] .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن حصن « عنيبة » قد أصلح وزيد فيه فى عهد « سنوسرت الثانى » وكذلك وجد اسمه مطبوعاً على لبنة فى حصن « الكبانية »[٣] .

ووجد فى محاجر الصحراء الواقعة شمال غربى « توشكى » بعض نقوش من عهد « سنوسرت الثانى » منها نقش مؤرخ بالسنة الثامنة (؟) من عهد هذا الملك[٤] يحدثنا عن بعثة قام بها موظف كبير يدعى « أمينى » ويحمل لقب مدير هيئة الموظفين ولقب كاهن (سم) وهو من أكبر ألقاب الكهنة وفيه صلاة للآلهة « حتحور » سيدة « نخنت » ؛ ومن بين الأسماء التى ذكرت فى هذه اللوحة اسم موظف يدعى

---

(١) راجع L D., II, 123 e ; De Morgan, Cat. Gen. I, p. 25, No. 178

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٤٨

(٣) راجع Aniba, II, p. 11; Emery-Kirwan, p. 55

(٤) راجع A.S., 33 p. 71 f. ومصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٧٣

« حقا أب » بن «سنوسرت» ويحمل لقب المشرف على فرقة قطع الأحجار الأثرية، وهذا اللقب نادر جداً فى الآثار المصرية وكذلك عثر على تمثال صغير منذور من الحجر الرملى نقش على صدره لقب « سنوسرت الثانى »[١] .

وقد ظل السلام مخيما فى عهد كل من الفرعونين « امنمحات الثانى » و «سنوسرت الثانى » على بلاد النوبة ومصر وازدهرت التجارة فيه ازدهاراً عظيما ، ولكن ما لبث هذا السلام أن أعقبه اضطرابات وهجمات على القوافل فى السنة الثامنة من عهد «سنوسرت الثالث» لأنه فى هذه السنة قام هذا الفرعون بحملة على بلاد النوبة كما سنرى بعد ، ومن المحتمل أن سبب قيام هذه الهجمات من جانب النوبيين يرجع إلى الخمول العسكرى الذى ساد البلاد فى عهد هذين الملكين السابقين وهو الذى شجع السكان فى السودان على القيام بالهجرة فى البلاد من الجزء الجنوبى من السودان مما أدى إلى طرد قبائل أخرى أمامها نحو الشمال .

« سنوسرت الثالث» وعلاقاته ببلاد النوبة (١٨٨٧—١٨٤٩ق٠م٠)[٢]

يعد « سنوسرت الثالث » عند المصريين من أكبر الغزاة الذين قاموا بحروب طاحنة دفاعا عن حدود مصر من جهة الجنوب فى وجه السودانيين ، ومن جهة الشمال فى وجه الأسيويين ، غير أن الحروب التى قام بها جنوباً كانت شغله الشاغل طوال مدة حياته ، من أجل ذلك عده المصريون من أكبر غزاتهم حتى أنهم ألهوه وبقى اسمه تتناقله الأجيال ويذكرونه فى خرافاتهم باسم « سوزستريس » كما سنشير إلى ذلك فيما بعد .

وقد كان أول عمل قام به «سنوسرت الثالث» من الوجهة الحربية هو تأديب قبائل بلاد النوبة وهم الذين كانوا فى حالة اضطراب وقلاقل بعض الشئ فى عهد الفرعون السابق، بل كانوا مصدر خوف فى داخل البلاد نفسها . و يقول « ريزنر » : «من الواضح

(١) راجع A.S., Vol. XXXIII, p. 72

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٧٨ — ٢٨٩

تماماً أنه فى الجزء الأول من عهد «سنوسرت الأول» كانت التجارة الجنوبية مهددة جداً من رجال القبائل فى مواضع بالقرب من «سمنة» وبخاصة على الشاطئ الغربى . وكان ذلك هو السبب الرئيسى فى تدخل «سنوسرت الثالث» لتحرير طريق التجارة الموصلة إلى «كرمه» . ويعضد الرأى القائل إن بدو الصحراء عند الشلال كانوا هم العدو الرئيسى لمصر ما أقيم هناك من حصون فى هذا الإقليم وكذلك ما ذكر على لوحة النصر التى أقيمت فى «سمنة» .

ولقد كان لزاماً على الفرعون للقيام بحملة على هؤلاء المغيرين أن يكون لديه أسطول عظيم لنقل الجنود ولإمدادهم بالغذاء والمهمات باستمرار . وقد كان العائق أمامه صخور الشلال التى تعوق مرور هذا الأسطول إلا فى وقت الفيضان . ومنذ خمسمائة عام من هذا التاريخ تغلب فراعنة الأسرة السادسة على هذه العقبة بحفر سلسلة ترع حفرها القائد «ونى» لعوامل تجارية[1] ، ولكنها بعد هذا الزمن الطويل هدمت ولم تعد صالحة لما يتطلبه الموقف وقتها ، ولذلك رأى «سنوسرت الثالث» ضرورة حفر قناة عند الشلال الأول ليعبر فيها إلى أعالى الشلال ، وقد لا يكون المقصود من ذلك حفر قناة بالمعنى الصحيح الذى نفهمه نحن الآن ، بل قد يكون القصد تعميق الممر الموجود الآن شرقى «جزيرة سهيل» ليساعد على جر السفن فيه بدون كبير عناء ، وذلك بدلا من معارضة التيار القوى فى الممر الغربى ، وعلى أية حال فإن هذه الترعة قد تم تعميقها فى بداية حكم هذا الفرعون كما تحدثنا بذلك نقوش «سهيل» . وفيها نشاهد «سنوسرت» واقفا أمام الآلهة «عنقت» إحدى إلهات «الشلال» وأسفل هذه الصورة نقرأ : «لقد صنعها أثراً للآلهة «عنقت» ربة النوبة إذ شق لها ترعة تسمى «أجمل طرق» «خع كاورع» «سنوسرت الثالث» الحى الخالد» . ولم نجد تاريخاً لهذا النقش ، ولكن لما كان من الضرورى أن تطهر هذه الترعة من الغرين فى السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون ليسير منها بحملته رجحنا أنها كانت موجودة منذ بضع سنين

---

(١) راجع «مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٨٣

قبل ذلك العهد و يمكننا أن نتصور بعد ذلك جيش الفرعون يمر فى هذه الترعة الجديدة فى السنة الثامنة من حكمه لغزو بلاد النوبة .

والواقع أن « سنوسرت الثالث » قد فكر كما فكر من قبله جده « سنوسرت الأول » فى أن يتخذ لحملاته الحربية التى أراد شنها على بلاد النوبة مدينة « الفنتين » قاعدة لجيوشه ومؤنه وأن يعدّها لذلك ، ولأجل أن يصل إلى هذه القاعدة بسرعة بوساطة السفن أمر بحفر قناة فى الشلال . وقد دوّن هذا العمل على صخور « سهيل » ، فنرى فى لوحة هناك الفرعون واقفاً وعلى رأسه التاج المزدوج أمام الآلهة « ساتت » إلهة « الشلال » وتقدم له رمز الحياة وخلفه رئيس بيت المال ومدير الأشغال ثم يلى ذلك النقش الآتى : « السنة الثامنة من حكم جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خع كاورع » « سنوسرت الثالث » عاش مخلداً . أمر جلالته بعمل قناة جديدة اسمها «طرق» خع كاورع « جميلة» عاش أبدياً ، وذلك عندما سار بجيشه إلى أعالى النهر ليهزم الكوشيين الخاسئين» ، وطول هذه القناة خمسون ذراعا وعرضها عشرون ذراعا وعمقها خمس عشرة ذراعا أى أن هذا الممر كان كافياً لمرور أية سفينة لمثل هذه البعثة . وقد حفرت هذه القناة حفراً جيداً إذ بقيت مستعملة حوالى ثلاثمائة سنة أو أربعمائة سنة تقريباً بعد حفرها ، وقدطهرت فى عهد «تحتمس الأول » وكذلك فى عهد « تحتمس الثالث » عندما قاما بالغزو فى هذه الجهات ، وقد كان لزاماً على صيادى السمك تطهيرها سنوياً (١) .

وعندما كان ماراً نحو الجنوب وجه الفرعون عنايته إلى حصن «الفنتين» كما ذكرنا من قبل قاصدا بذلك تحسين مدخله وقد ترك لنا أحد الموظفين المحليين نقشا يدل محتوياته على إتمام هذا العمل الذى انتهى فى السنة التالية : « السنة التاسعة الشهر الثالث من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى « خع كاورع » محبوب الإلهة « ساتت » سيدة

---

(١) راجع Sethe, Lesestücke, p. 85 ; De Morgan Cat., I, 86, No. 20 and 86 ; Rec. Trav., 13, p. 202 وكذلك راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٨٠ الخ .

«الفنتين» عاش مخلدا . أمر ملكى موجه لعظيم العشرة للوجه القبلى المسمى «أمينى» . .
فى حصن «الفنتين» محجر (؟) لأجل حاكم الجنوب ليعمله . . . وأناس على شاطئ
«الفنتين» عندما كان جلالته له الحياة والفلاح والصحة ذاهبا لقهر «كوش» الخاسئة.[1]
ومما تبقى من هذا المتن نرى أن الجملة الهامة الخاصة بحصن «الفنتين» قد هشمت،
ولذلك أصبح الحكم فى هذا الموضوع غير ممكن على الوجه الأكمل . وإذا كان هذا
الأمر له علاقة بإعداد الحملة وأن أهل «الفنتين» الذين ذكروا فى هذا المتن قد جندوا لها
فإن ذلك لا يمكن استنباطه من هذا النقش المهشم .

وقد كان من نتائج هذه الحملة أن تقدم المصريون فى زحفهم نحو سبعة وثلاثين ميلا
جنوبى «وادى حلفا» ولكنهم كانوا لا يزالون بعيدين عن «كرمه» التى اتخذها
«زفاى حعبى» مقراً لحكم هذه الجهات فى عهد «سنوسرت الأول» بنحو مائتى ميل
كما يظن بعض المؤرخين ، وكان الفرعون «سنوسرت الثالث» مصمما على أن يحافظ
على ما فتحه فأقام نصبا فى «سمنة» . وهذا الأثر معروف بلوحة الحدود . وقد نقش
عليها المتن التالى : «الحدود الجنوبية التى عملت فى السنة الثامنة من عهد جلالة ملك
الوجه القبلى والوجه البحرى «خع كاروع» معطى الحياة أبديا ليمنع أى نوبى (نحسى)
أن يتعداها فى ذهابه نحو الشمال سواء أكان ذلك على البر أم بسفينة أم بحيوانات
من أى نوع من النوبة إلا إذا أتى إلى «أقن» بقصد التجارة أو معه رسالة ما ،
فإنه يعامل حينئذ معاملة حسنة (أى تعطى له كل التسهيلات) على شرط ألا يسمح
لسفينة فيها سود أن تتخطى «حِح» (سمنة) ذاهبة نحو الشمال قط»[2] . ومن ثم أقام
«سنوسرت الثالث» حاجزا لمنع هجرة أهل السودان إلى مصر .

الحملة الثانية : غير أن هذه الحملة الأولى لم يكن لها أثر فعال ومن المحتمل

---

(١) راجع Br., 169 [852]; Hierog. Texts Vol. IV, 10 and Br. A. R., I, § 550

(٢) راجع Berlin, No. 14753, Agyp. Inschrif. Konig. Mus. Berlin 1, 255 f; L.D. II, 163, i and Sethe Lesestücke p. 84 ومصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٨١

أنه قد قامت حملة ثانية فى السنة العاشرة من حكمه . والمصدر الوحيد الذى لدينا عنها هو نقش على الصخور الواقعة على الطريق بين « أسوان » و « الفنتين » وهو السنة العاشرة (؟) الشهر الثانى من فصل الزرع فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خع كاورع » معطى الحياة المحبوب من «خنوم» رب «الشلال» : « لقد سار جلالته لهزم الكوشيين » . وبقية هذا النقش مهشم وغير مفهوم ، هذا إلى أن التاريخ الذى فى أوله غير مؤكد[1] . ويظن « ريزنر » أن هذا النقش مرتبط بنقش الحملة الأولى التى قام بها فى السنة الثامنة . غير أنه ليس لدينا ما يمنع قيام حملة فى السنة العاشرة على الرغم من أنه لا يمكننا أن نجزم بذلك بسبب تهشيم المتن[2] .

الحملة الثالثة : والواقع أن بلاد « كوش » هذه قد تطلبت من الفرعون غزوات عدة على ما يظهر قبل أن تخضع وتذعن تماما للحكم المصرى ، إذ أنه بعد انقضاء ستة أعوام على الحملة الأخيرة كان « سنوسرت » يزحف بجيشه كرة أخرى ، ولدينا عن هذه الحملة لوحتان عند الحدود واحدة منهما نصبها فى « سمنة » والثانية وجدت فى « ورنرتى » وتقع تحت بلدة « سمنة » مباشرة وتمتاز لوحة « ورنرتى » بأنها ، تعطينا بعض معلومات لم تدون على لوحة « سمنة » . فقد جاء فيها أن حصن « ورنرتى » قد بنى فى هذه السنة أيضاً ، إذ بعد ذكر الملك نقرأ : « لوحة أقيمت فى السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من الفصل الثانى عند ما بنى الحصن المسمى « طرد النوبيين »[3] . ومن المحتمل أن الحصون الأخرى التى أقيمت فى هذه الجهة قد بنيت فى نفس هذا الوقت وأهمها هو حصن « سمنة » كما كان يسميها المصريون (« سمنة » التابعة للملك « خع كاورع ») ، وقد كانت قلعة عظيمة بنيت باللبن فى موقع حصين وقد زيد فى حصانتها الطبيعية بالتحصين الصناعى ، وكانت تشرف على النهر الذى لا يزيد عرضه فى هذه الجهة عن أربعمائة متر . وفى الجهة الشرقية من النهر قبالة

---

(١) راجع Petrie, Season Pl. XIII, No. 340

(٢) راجع Br., A R. Vol. I, § 65; Reisner, Kerma, II, p. 547

(٣) راجع L.D., II, p. 136, Sethe, Lesestucke, p. 83

« سمنة » أقيمت قلعة أخرى صغيرة تعرف باسم « قمه »[1] بنيت على قلعة طبيعية فكان من الصعب مرور أى جيش فى النهر من هذه الجهة . وخرائب هاتين القلعتين لا تزال باقية للآن .

آلهة بلاد النوبة العليا وتأليه « سنوسرت الثالث » : وكان فى كل من الحصنين معبد. ففى «سمنة » كان معبد الإله « ددون » وهو الإله المحلى لهذه الجهة وفى « قمة » معبد للاله « خنوم » معبود شلال « أسوان » و « الفنتين » ، وفى هذين المعبدين احتفل بعيد عظيم ابتهاجا بالانتصار على السود وكان يسمى « طرد السود » ، وكان يحتفل بعده بعيد آخر يسمى « شد وثاق المتوحشين » ، وفى خلاله كانت تقدم القرابين للملكة « مرسجر » العظيمة زوجة الفرعون «سنوسرت الثالث» ، وهذه الأعياد قد بقيت ذكراها إلى أزمان بعيدة حتى أن « تحتمس الثالث » عندما أعاد بناء معبد سلفه بعد مضى ثلثمائة وسبعين سنة تقريبا ، أحيا الاحتفال بهما مع أعياد أخرى ، يضاف إلى ذلك أنه ألّه الملك « سنوسرت » وجعله ثالث آلهة الحدود التى أسسها ، ولا نستغرب أن يصدر هذا العمل الصالح من رجل عظيم مثل « تحتمس الثالث » الذى لم يحمل حقداً لأحد بخلاف « رعمسيس الثانى » الذى كان يغتصب كل شرف ليس له فيه أدنى نصيب ، ونجد فى معبد « إمدا » ببلاد النوبة أن الفرعون « تحتمس الثالث » كان يتعبد للاله « سنوسرت الثالث »[2] . وفى معبد « الليسية » نراه كذلك يعبد ، ونرى « تحتمس الثالث » يتعبد إليه كذلك فى « بهين » (وادى حلفا[3]) . ولم تكن عبادة « سنوسرت الثالث » قاصرة على الملوك بل تعدتهم إلى عامة الشعب ، إذ عثر على نقش جهة « توشكى » شمالى « أبو سمبل » على إحدى الصخور المطلة على النهر وهذا النقش يمثل منظر أسرة تتألف من رجل يدعى «سلبى»

(١) راجع L. D., I, 111—112; Maspero, Larcheologie Egyptienne", p. 9, 29, 30

(٢) راجع Weigall, Lower Nubia, p. 104

(٣) راجع MacIver and Woolley, " Buhen " p. 41, 42

وزوجه وأولادهما وقد أحضروا قرباناً لصورة « حورمعام » الذى مثل جالسا ثم « سنوسرت الثالث » والإله « رشب »[١] .

وتعد نقوش لوحة «سمنة » الثانية التى سجلت لنا حملة السنة السادسة عشرة من أهم النقوش التى وصلت الينا من هذا العصر[٢] ، ولاتنحصر أهميتها فى أنها حددت لنا التخوم المصرية فى هذا العهد فى بلاد النوبة ، بل لأن جملها المنمقة تذكرنا بالخطب التى ذكرها « ديدور » والذى يقول عنها إنها كتبت على لوحة نقشها « سوزستريس » الخرافى تذكارا لفتوحه ، وتعد هذه النقوش بحق من أهم ما تركه لنا قدماء المصريين فى كل عصورهم ، إذ يتمثل لنا فيها قوة إرادة هذا الفرعون وشدة حرصه على مجد بلاده ، وإذكاؤه نار الغيرة فى نفوس أخلافه للمحافظة على فتوحاته ، والدفاع عن حدودها بالنفس والنفيس ، وهاك ترجمتها حرفيا لتكون مثلا حياً لأبناء هذا الجيل من المصريين فى وقت أحوج ما تكون فيه البلاد لمثل هذه العظات الخالدة :

نص لوحة الحدود الخالدة : فى « السنة السادسة عشرة فى الشهر الثالث من الفصل الثانى عندما مدّ جلالته الحدود لغاية « حح » (سمنة) » . لقد جعلت تخوم بلادى أبعد مما وصل إليه أجدادى ، ولقد زدت فى مساحة بلادى على ما ورثته ، وإنى ملك يقول وينفذ ، وما يختلج فى صدرى تفعله يدى ، وإنى طموح إلى السيطرة ، وقوى لأحرز الفوز ، ولست بالرجل الذى يرضى لبه بالتقاعس عندما يعتدى عليه ، أهاجم من يهاجمنى حسب ما تقتضيه الأحوال ، وإن الرجل الذى يركن إلى الدعة بعد الهجوم عليه يقوى قلب العدو . والشجاعة هى مضاء العزيمة ، والجبن هو التخاذل ، وإن من يرتد وهو على الحدود جبان حقاً ، ولما كان الأسود يحكم بكلمة تخرج من الفم ، فإن الجواب الحاسم يردعه ، وعندما يكون الانسان ماضى العزيمة فى وجهه (الأسود) فإنه يولى مدبراً ، أما إذا تخاذل أمامه فإنه يأخذ فى مهاجمته ، على أن السود ليسوا

---

(١) راجع Dunbar, The Rock pictnres of Lower Nubia, p. 15, 16

(٢) راجع L. D., II, 136

بقوم أشداء ولكنهم فقراء كسيرو القلوب ، ولقد رآهم جلالتى ، وإنى لست بخاطئ فى تقديرى ، ولقد أسرت نساءهم ، وسقت رعاياهم . واقتحمت آبارهم ، وذبحت ثيرانهم ، وحصدت زرعهم ، وأشعلت النار فيما بقى منها ، وبحياتى وحياة والدى لم أنطق إلا صدقا ، دون أن تخرج من فى فرية ، وكل ولد أنجبه ويحافظ على هذه الحدود التى وصل إليها جلالتى يكون ابنى ، وولد جلالتى ، وألحقه بنسبى ، وإن من يحافظ على تخوم الذى أنجبه ، يكون منتقما لأبيه حقاً ، أما من يتخلى عنها ، ولا يحارب دفاعا عن سلامتها فليس ابنى ولم يولد من ظهرى ، والآن تأمل فإن جلالتى قد أمر بإقامة تمثال عند هذه الحدود التى وصل إليها جلالتى حتى تنبعث فيكم الشجاعة من أجلها ، فتحاربوا للمحافظة عليها » .

وهذا الروح الحربى نشاهده فى الصور التى تنطق بها التماثيل الكثيرة التى تركها لنا هذا البطل العظيم ، وبخاصة تلك التماثيل التى كشف عنها فى ساحة معبد الملك « نب حبت رع » بجوار « الدير البحرى » حيث أقامها لتكون تذكاراً لسلفه العظيم وهذه التماثيل تصور لنا « سنوسرت الثالث » فى أطوار حياته الثلاثة المختلفة « الشباب — الكهولة — الشيخوخة » ، وكلها موجودة بالمتحف البريطانى[1] وتلمح فى تمثال شيخوخته وجها ينم عن القوة الساحقة والعظمة والكبرياء التى يمتاز بها عظماء الفاتحين .

وقد كان لانتصارات « سنوسرت الثالث » هذه فى بلاد النوبة أثر عظيم فى تاريخها وعاش اسم « سنوسرت » محرفاً باسم « سوز ستريس » ومن ذلك نشأت خرافة « هردوت » عن « سوزستريس » إذ يقول لنا فيها « هذا الملك كان حينئذ هو الفرعون الوحيد الذى حكم « أثيوبيا » (بلاد النوبة) » . وذلك طبعاً لا ينطبق على الواقع . ولكن من جهة أخرى يظهر لنا مقدار تأثير انتصارات « سنوسرت » فى هذه البلاد ، ولا نعلم إذا كان هذا الفرعون قد حرم عبادة تمثاله الذى أقامه عند الحدود أم لا ، ولكننا نعرف أن هذا التحريم — إذا كان قد حدث — نسخ بعد مدة قصيرة ،

(١) راجع Naville, 11th Dyn. Temple, Vol. I, Pl. XIX; Vol. II, Pl. II

وأصبح « سنوسرت » من بين الآلهة الذين يعدون أرباباً لبلاد النوبة ، وقد رأينا فيما سبق أن عبادته أصبحت على قدم المساواة مع عبادة الإله « ددون » والإله « خنوم » فى قلعة «سمنة» فى عهد « تحتمس الثالث » ، ولما تولى « تهرقا » الفرعون النوبى حكم البلاد بعد انقضاء ألف ومائتى سنة من حكم « سنوسرت » أعاد معبد « سمنة » وعبادة فاتح النوبة العظيم « سنوسرت الثالث » . كما سنرى ذلك بعد .

آخر حملاته إلى السودان : وعلى الرغم من هزائم « سنوسرت » المتتالية للسود فإنهم قاموا فى وجهه كرة أخرى ، ويظهر أنها كانت الأخيرة وكان قد مضى على إخضاعهم وكسر شوكتهم ثلاث سنوات ، ولم تصلنا عن حملته الأخيرة معلومات شافية سوى نقش لرئيس إدارة موظفيه الذى يدعى «ساستت» وهى لوحة عثر عليها فى «العرابة المدفونة» وهى الآن بمتحف «جنيف» فيقول فيها : «حضرت إلى «العرابة» وبصحبتى كبير بيت المال «أخرنفرت» لينحت تمثالا للاله « أوزير » «رب العرابة» عندما كان ملك القطرين «خع كاورع » الحى المخلد سائراً ليهزم الكوش الخاسئين فى السنة التاسعة عشرة » .

ولم تحدثنا الوثائق عن الحد الذى وصل إليه « سنوسرت الثالث » فى داخل بلاد النوبة ولكنه ثبت الحدود فى « سمنة » تماماً ومن ثم أصبح فى مقدوره أن يتتبع القبائل المغيرة فى عقر دارها ومن هنا كان تأثير هذه الحملة عظيما فى إلقاء الرعب والهلع فى قلوب أهالى السودان .

وقد حدثنا الأستاذ « ريزنر» عن حملات « سنوسرت الثالث » من وجهة نظره فيقول ما مضمونه[1] : يظهر أولا أن الحملة أو الحملات التى جاء ذكرها فى النقوش التى تركها لنا « سنوسرت الثالث » لم تكن حملات حربية جدية شنت لمقاومة كبيرة من قبل النوبيين بل كانت فى الواقع حملات تأديبية من الصعب أن تجد من تؤدبه ، وذلك

(١) راجع Reisner, Kerma, II pp. 549—551

أن القبائل المجرمة كانت تهرب على ما يظهر إلى الصحراء وكان المصريون يحطمون كل الممتلكات التى لم يكن فى مقدور الهاربين حملها و يستولون على العبيد والنساء الذين تركوا خلف الفارين . وكان يتتبع المجرمين إلى أماكن بعض الآبار فى الصحراء ، وعند ما كان المصريون ينسحبون كان رجال القبائل يعودون إلى سلب محاط القوافل . وكانت مجموعة الحصون التى بنيت أو التى كانت موجودة بين « سمنه » و « حلفا » تظهر بوضوح الإقليم الذى كانت تقوم فيه الاضطرابات ، وقائمة الحصون (التى سنتحدث عنها فيما بعد) التى نشرها « جاردنر » تقدم لنا اثنى عشر حصنا جنوبى « بيجه » ، ثمانية منها تقع فى المسافة التى بين « بهين » و « سمنة » وكلها عدا واحدة على الشاطئ الغربى أو فى جزر النهر . وحصون « سمنه » تحرس النهر من هجمات الجنوب وهى مع كل الحصون الأخرى يظهر أنها قد أقيمت للحماية من الهجمات الآتية من الغرب . ونعلم أنه كان على الأقل « لسنوسرت الثالث » حصنان بالقرب من « سمنة » وواحد عند « مورجيس » وأن الباقى كان موجودا قبل عهده . ومن الواضح أنه فى الجزء الأول من عهد « سنوسرت الثالث » كانت التجارة قد شلت على يد رجال القبائل فى نقاط بالقرب من « سمنة » وبخاصة على الشاطئ الأيمن .

والواقع أن الأعمال التى كانت تجرى عند « الفنتين » وأعنى بذلك القناة والمبانى كانت تحسينات دائمة لطريق المواصلات مع الجنوب ، ولم تكن متصلة بأية حملة خاصة يقوم بها الملك ، فالذهب أو السام الذى ذكر فى السنة التاسعة عشرة أن الملك أحضره من بلاد « كوش » يمكن أن يكون قد أحضر بطرق التنجيم العادية من المناجم أو بالسلب وفرض الغرامات على الأهلين . وهذا لم يكن يستلزم حروبا طاحنة .

والآن يتساءل المرء نتيجة لذلك عن عدد الحملات التى قام بها « سنوسرت الثالث » فى بلاد « كوش » من هذا النوع . وإذا فهمنا النقوش حرفيا وجدنا ثلاث حملات الأولى حدثت فى السنة الثامنة والثانية فى السنة السادسة عشرة والثالثة فى السنة التاسعة عشرة .

وحملة السنة الثامنة ترتكز على نقش القناة الذى ذكر فيما سبق ولوحة المتحف البريطانى السابقة أيضا . ولوحة « سمنة » الأولى السالفة الذكر لا تحتاج إلى استنباط أن الملك كان فى بلاد « كوش » ولكن نفهم منها بطبيعة الحال وجوده هناك . والبيان الوحيد فيها بالنسبة لصفة هذه الحملة هو أن الملك صعد فى النيل ليهزم « كوش » الخاسئة ومن المحتمل كما سيظهر أن شعر لوحة « سمنة » الثانية وترجمة حياة « خوسبك » يشير كل منهما إلى هذه الحملة .

وحملة السنة السادسة عشرة ترتكز فقط على لوحة « سمنة » الثانية غير أن هذه اللوحة لا تذكر لنا بياناً محدداً عن هذه الحملة فتقول فقط : « عندما عمل جلالته حده الجنوبى عند « حح » (سمنة) » غير أنه ينبغى أن يلحظ أن الملك على حسب ما جاء فى لوحة « سمنة » الأولى كان قد عمل حده الجنوبى عند « حح » . فاللوحة المزدوجة التى عثر عليها فى « ورنرتى » تقول : « عندما أقيم الحصن المسمى « طرد الأونتيو » والشعر الذى نقش على هاتين اللوحتين وهو الذى يصف لنا أخلاق العبيد ويدعى الانتصار عليهم يستند بطبيعة الحال على حقيقة تاريخية ، غير أن أساس الحقيقة قد يرجع إلى عدة سنين قبل السنة السادسة عشرة كالسنة الثامنة مثلا . وإقامة الحصن على « ورنرتى » (جزيرة « ورو ») وكذلك إقامة الحدود بنصب حجر تذكارى جديد ليست إلا حقائق قد حددت السنة السادسة عشرة . ولا نزاع فى أن إقامة الحصن يدل بوضوح على أن شيئاً قد حدث بين السنة الثامنة والسنة السادسة عشرة يحتم ضرورة زيادة حصن جديد . ومن المحتمل أن سبب ذلك يرجع إلى أن القبائل الغربية قد عبروا النهر إلى الجزيرة وهاجموا القوافل الذاهبة إلى « كرمه » على الشاطئ الشرقى فى أسفل حصون « سمنة » وإذا كانت نقوش « خوسبك » وهى التى تذكر أن الملك ذهب جنوباً ليهزم قبائل « أونتيو » لها علاقة بإقامة هذا الحصن فإن الملك يكون قد أتى بنفسه وقوى الحاميات وأقام الحصن الجديد ليمنع تكرار الغارات عند هذه النقطة .

ومن الجائز أن حصن « مرجيس » الذى يحتوى على معبد للملك « سنوسرت الثالث » كان قد أقيم فى نفس الوقت . وليس من المؤكد أن ترجمة حياة « خوسبك » تشير إلى السنة السادسة عشرة بقدر ما يمكن أن تدل على السنة الثامنة ، وهى التى قيل عنها فى نقش الفنتين قد قامت فيها حملة لهزم الكوش توصف كذلك بأنها كانت حملة لهزم « أونتيو » أرض « ستى » (بلاد النوبة) . وعلى ذلك فإنى أشعر ببعض الشك فى حضور الملك إلى بلاد « كوش » فى السنة السادسة عشرة .

وحملة السنة التاسعة عشرة ترتكز على نقش لوحة « ساستت » السالفة الذكر والحقائق الخاصة بهذه الحملة كما ذكرها « إخرنفرت » و « ساستت » فى لوحتيهما هى كما يأتى : « أرسل « أخرنفرت » بأمر الملك ليعمل فى « العرابة » مستعملا السام الذى أحضره الملك بنصر من بلاد « كوش » . وقد حضر معه « ساستت » وكان ذلك فى السنة التاسعة عشرة عند ما ذهب « سنوسرت الثالث » ليهزم « كوش » الخاسئة » . ومما تجدر ملاحظته أننا لا نعرف شيئاً قط عن الوقت الذى أقيمت فيه هذه اللوحة ولا يمكن أن نكون متأكدين من أنها وثيقة معاصرة مثل لوحة القناة واللوحات الرسمية . ومن المحتمل أن هناك بعض خطأ ولذلك فإن لوحة « ساستت » وحدها دون أن يعضدها برهان آخر لا يمكن أن تكون بذاتها برهاناً قاطعاً على قيام حملة فى السنة التاسعة عشرة من حكم « سنوسرت الثالث » .

وللأسباب السالفة نجد أن حملة السنة الثامنة هى التى ظهر قيامها بوضوح ، أما الاستنباطات الخاصة عن الحملة أو الحملات الأخرى ، وكذلك فيما يخص الأحوال السائدة فى « كوش » فإنها لم تتأثر كثيراً سواء أكان الملك قد قام برحلة أو اثنتين أو أكثر إلى بلاد « كوش » . ولكن تبقى هناك حقيقة وهى أنه لم يذهب إلى بلاد « كوش » ليفرض بطشه على القبائل ، أو أنه نهب قبائل الصحراء بدون جدوى ،

وأنه أقام على أقل تقدير ثلاثة حصون وأنه حافظ على استيراد المعادن الثمينة ، ويحتمل كذلك محاصيل أخرى من بلاد « كوش » وإنى لا أجد فى الوثائق أى أثر لثورة قام بها أهل « كوش » الساكنون على شاطىء النهر كما لا يوجد أثر يدل على فتح بلادهم ، بل نجد برهاناً واضحاً على أن « سنوسرت الثالث » قد مكن أعماله الخاصة بالحماية على طول الطريق وزاد فى المحاط الحربية ليجعل التجارة فى مأمن نسبياً .

هذا موجز ماذكره « ريزنر » عن حروب « سنوسرت الثالث » وهو بذلك يريد أن يفرض علينا أنه لم يقم إلا بحملات قليلة لا تزيد عن حملتين وأنه لم يكن هناك فى عهده حروب بالمعنى الحقيقى ، هذا على الرغم من أن ملوك مصر العظام الذين قاموا بالفتوح العظيمة فى عهد « تحتمس الثالث » قد ألهوا « سنوسرت الثالث » وجعلوه من كبار الفاتحين ، بل كان يعد فى نظرهم أعظم ملك حربى ، كما يرى القارئ فيما ذكرناه من قبل فى هذا الصدد . وعلى أية حال فإن « سنوسرت الثالث » قد قام بحروب عظيمة فى السودان لما كان من أهلها من عبث بالأمن ومناهضة المصريين ، ولا تقل الحملات التى قام بها على حسب أحدث الكشوف التى قامت فى الأزمان الأخيرة عن أربع حملات ونجد فى كلام « ريزنر » بعض التشكك فى عدد حملات «سنوسرت» هذا إلى أنه أهمل ذكر حملة[1] .

امنمحات الثالث[2] :

ويلحظ أن الإشارة إلى بلاد « كوش » من الوجهة الحربية فى عهد من تبقى من ملوك الأسرة الثانية عشرة أى فى عهد كل من « امنمحات الثالث » و « امنمحات الرابع » والملكة « سبك نفرو رع » كانت قليلة جداً ، فنجد فى « أسوان » تسعة نقوش على الصخر مؤرخة بعهد الملك « امنمحات الثالث » . هذا وقد وصل إلينا عدد

---

(١) راجع Reisner, Kerma, II, p. 551

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٠٩ الخ .

عظيم من مقاييس ارتفاع النيل فى عهد هذا الفرعون مدونة فى « سمنة » و « قمه »[١] .
وكذلك لدينا من عصره بعض إشارات من أشخاص عاشوا فى عهده من بينهم شخص يدعى « سمينتو » يقول فى نقش له : « السنة السادسة من عهد الملك « امنمحات الثالث » العائش أبديا ، الثقة الحقيق للملك والمحبوب منه والقاضى وفم « نخن » « سمينتو » سيد الاحترام ليت كل من يمر بهذا النقش يقول إذا أراد أن يعود إلى بيته ويرى زوجه سعيدة وأقاربه غير فقراء : قربانا يقدمه الملك إلى القاضى وفم « نخن » « سمينتو » ، » والظاهر أن نفس هذا الرجل قد جاء ذكره على لوحة بالمتحف البريطانى من « سمنة »[٢] .

وكذلك لدينا بعض النقوش من عهد هذا الفرعون وجدت فى المحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من « توشكى »[٣] وكذلك وجد له لوحة فى « كوبان »[٤] .

ومن جهة أخرى وجدت أشياء فى مقابر النوبة السفلى فى حصن « ورنرتى » نقش عليها اسم الفرعون « امنمحات الثالث »[٥] ، ولدينا بعض رسائل ترجع إلى عهد هذا الفرعون[٦] . ولم نعثر على نقوش من عهد هذا الفرعون خاصة بحروب قام بها .
والواقع أن البلاد فى عصره وعصر خليفته « امنمحات الرابع » والملكة « سبك نفرورع » وكذلك العصر الذى تلاهم أى فى عهد الأسرة الثالثة عشرة كانت فى سلام وكانت بلاد النوبة مرتبطة بمصر ارتباطاً وثيقاً من حيث العمل وتبادل التجارة .
وقد عثر على بعض مقابر مصرية فى بلدة « بهين » وفى بلدة « عنيبه » تبرهن على وجود مستعمرين مصريين فيهما .

---

(١) راجع L.D, II, p. 139
(٢) راجع B.M. Hierog. Texts, IV, Pl. 16
(٣) راجع A.S., 33, p. 72
(٤) راجع L.D., II, 138 g; L.D., Texts., V, p. 60
(٥) راجع Junker, Kubanieh Sud., p. 159
(٦) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤١٥ و ٤١٩

وتدل أعمال الحفر على أنه فى عهد « امنمحات الثالث » حدث فى « كرمة » إصلاح فى سور « أنبو امنمحات » على يد موظف مصرى[1] ، مما يدل على أنه فى هذا العهد كانت وكالات التجارة التابعة للحكومة محمية وأن التجارة كانت مزدهرة بين السودان ومصر .

(١) راجع L.D. II, p. 114 f.

الحـاميات المصرية

فى بلاد السودان للمحافظة على طرق التجارة

تحدثنا فى الفصل السابق عن الحملات التى قام بها ملوك الدولة الوسطى حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة وما قاموا به من مجهودات جبارة فى العمل على استتباب النظام والسلام بين البلدين ممـا أدى فى نهاية الأمر إلى إقامة الحصون والمعاقل فى جهات عدة لتأمين مراكزهم التجارية فى هذا الإقليم المترامى الأطراف من الشلال الأول حتى الشلال الرابع تقريبا .

ولدينا قائمة بالحصون التى أقيمت فى هذه الجهات يرجع تاريخ إقامتها إلى حوالى مائة عام قبل بداية الأسرة الثامنة عشرة عثر عليها فى « طيبة »[١] . ومواقع هذه الحـاميات التى جاءت فى هذه القائمة[٢] تنقسم قسمين : قسم يمكن تحقيق مواقعه ، وهو الجزء الأكبر، وقسم مواقعه غير مؤكدة وقد تكشف عنه الحفائر المقبلة فى تلك الجهات . وقبل أن نتحدث عن هذه الحصون المختلفة ووظيفتها وطراز بنائها ينبغى أن نسرد أسماءها وهى[٣] :

(١) حصن « دايرخاست » (؟) « كيد نكالو » (بورخادرت) Kidinkalo

(٢) حصن « سخم خع كاورع — مع خرو » = « سمنة » .

(٣) حصن « اتنو — بزوت » = « قمة » .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤٢٦ — ٤٢٨

(٢) راجع J.E.A., 3, p. 155 ff. ; and Save, Agypten, und Nubien p. 21

(٣) المصادر التى يمكن الرجوع اليها فى تحقيق أسماء هذه الحصون خلافا لما ذكرنا هى : Borchardt, Altägypt., Festungen ; Reisner, Kerma. II, p. 549 ; p. 25, Anm. 4. وقد تحدث عن هذه المعاقل وأورد أسماءها الأثرى سيف زودربرج (راجع Save, Agypten und Nubien, p. 81 ff.).

(٤) حصن « خسف اونتيو » = « ورنرتى » .

(٥) حصن « وعف — خسوت » = « شلفك » (مرشد) .

(٦) حصن « در — وتيو » (؟) أو « درمتيو » (؟) = مرجيس .

(٧) حصن « اقن » = « دابنارتى » = « دابى » (ويشك سمزرد فى توحيد هذه البلدة بجزيرة دابنارتى الواقعة عند فم وادى « متوكه »[(١)]) .

(٨) حصن « بهن » = « وادى حلفا » .

(٩) حصن « سرة الغرب » (؟) « وادى حلفا » شرق (؟) .

(١٠) حصن « خسف مزاى » ، « سرة الغرب » (؟) « فرص »[(٢)] .

(١١) حصن « معام » = « عنيبة » .

(١٢) حصن « با كى » = « كوبان » .

(١٣) حصن « سمنت » = « بيجه » .

(١٤) حصن « آبو » = « الفنتين » .

(١٥) حصن « . . . زد » . . . ، « كوبانية » (؟) .

(١٦) حصن (اسم مفقود) .

(١٧) حصن « خنى » = « جبل السلسلة »[(٣)] .

هذه هى أسماء القلاع كما وجدت على البردية وإذا ألقينا نظرة عامة على هذه القائمة وجدنا أن ثمانية من هذه الحصون السبعة عشر قد أقيمت فى إقليم الشلال الثانى

---

(١) راجع Onomastica, I, 10 Note 4

(٢) راجع Ibid, 1, 11, Note 1

(٣) وتوجد بعض الاختلافات فى هذه الأسماء والأسماء التى أوردها سيف زودر برج (راجع Save, p. 8I f.).

أى من « سمنة » إلى « وادى حلفا » ، وكذلك نلاحظ أن ثلاثة منها على أقل تقدير كان لها علاقة بالفرعون « سنوسرت الثالث » ، ومن المحتمل أن سبعة الحصون التى فى جنوب « وادى حلفا » تنتسب إلى هذا الفاتح العظيم أيضا وإذا كان هذا الفرض صحيحا فإنه يفسر لنا سبب عبادة هذا الفرعون فى كل أنحاء بلاد النوبة السفلى . على أننا من جهة أخرى نعلم أن هناك قلاعا ضخمة كانت قد أقيمت فى جنوب هذه القلاع فى تاريخ مبكر عن الذى نحن بصدده ، وقد أماط لنا اللثام عن هذه الحقيقة الدكتور « ريزنر » بالحفائر التى قام بها فى بلدة « كرمه » . غير أن ذلك لا يقلل من أهمية الخطوة التى خطاها « سنوسرت الثالث » والتى كان غرضه المعين منها أن يضم مصر وبلاد النوبة السفلى تحت لواء واحد ، وذلك بإقامة حاجز منيع عند « بطن الحجر » (الشلال الأول) . وهذه الوثائق المدهشة توضح لنا أن بعض القلاع النوبية كان لها وظيفتان أنها كانت بمثابة سدّ منيع أمام أى اعتداء حربى منتظر ، وكذلك كانت حاجزا ضدّ الضغط المستمر الذى كان يهدّد مصر وأملاكها من جهة الشمال ، وهو ما كان يقوم به أهل السودان من الغارات ، ومن جهة أخرى كانت تستعمل بمثابة محاط تجارية . وقد كانت « سمنة » فى عهد الدولة الوسطى آخر الحدود كما نعلم ذلك من لوحتى بطل مصر« سنوسرت الثالث » كما سلف ذكره .

وتحدثنا الرسائل عن أهل الجنوب الذين نزحوا إلى الحدود المصرية ليبيعوا سلعهم ، أنهم كانوا يصرفون متاجرهم ثم يقفلون راجعين إلى أوطانهم ، وكذلك نجد أن بعض أهل « المزوى » (وهم الذين كانوا يعلنون أنهم أتوا لخدمة الحكومة المصرية) قد سرحوا إلى الصحراء ، ومن ثم يظهر أنه لم يكن مصرحا لهؤلاء القوم أن يتخطوا الحدود وهذا يتفق مع الأمر الملكى الذى نقش على لوحة « سمنة » الصغرى ، حيث يذكر فيها ان النوبى الذى أتى ليتجر مع « إقن » الواقعة شمال الحدود ، أو الذى جاء لأمر رسمى يمكنه أن يمر شمالى « حح » وهى التى تعرف الآن عادة بأنها واقعة فى إقليم

« سمنة » ، وكذلك لا يسمح لقوارب النوبيين أو قطعانهم بأية حالة من الأحوال أن تتخطى الحدود . فالنوبيون الذين سمح بمرور بضائعهم كانوا تجاراً قاصدين « إقن » لتصريف بعض أنواع من منتجات بلادهم ، وكانوا يقطعون باقى رحلتهم بالقوارب فقط ، وكانت هذه القوارب دائماً مصرية .

ومما يلفت النظر كذلك فى هذه الرسائل ، فضلا عن الصيغة العادية التى نجدها فى أسلوب كثير منها فى عهد الدولة الوسطى ، أنها كانت تحتوى على شئ جديد ، وهو التأكيد غير العادى بسلامة الضياع الملكية ، والظاهر أن أملاك الفرعون هنا كانت تحتوى على أراضى التاج ، ثم تشمل دخل التاج الذى كان يجبى من الضرائب ، ومن مصادر أخرى ، كالاحتكار وغير ذلك ، ومن هذا يتضح أن التجارة على حسب ما جاء فى هذه الرسائل كانت عند الحدود يقوم بها موظفون حكوميون لحساب الضياع الملكية (برنسو) وكذلك كان هؤلاء الموظفون هم المسئولون عن البضائع التى كانت ترسل من مصر للمبادلة ، وكذلك كان موكولا إليهم أمر إرسال البضائع التى حصلوا عليها من النوبيين بوصفها ملكا للتاج[1] .

وقد ذكرنا من قبل أن مصر فى عهد الدولة القديمة حتى أوائل الدولة الوسطى لم يكن لها حصون فى بلاد النوبة بالمعنى الحقيقى ، ولكن عندما أخذ المصريون فى استغلال بلاد النوبة وبخاصة فيما بعد الشلال الأول والثانى وإقامة مركز تجارى لهم فى « كرمه » فى عهد « سنوسرت الأول » أخذوا يقيمون الحصون على طول ساحل النهر لتأمين طرق تجارتهم وللسيطرة على الأماكن الكثيفة السكان وبخاصة فى إقليم « دنقلة » وبإقامة هذه الحصون أصبح فى مقدورها حراسة السكان الوطنيين الذين كانوا يستخدمونهم فى مآربهم التجارية ، وذلك بالقوة والنظام معاً .

وهذه الحصون كانت تقام فى وسط الوديان بالقرب من النهر كما ذكرنا من قبل

---

(١) راجع J.E.A., Vol. XXXI, p. 5

وبذلك تكون الرابطة مع الحصون الأخرى النوبية التى تؤدى إلى الاتصال مع البلاد المصرية نفسها .

وقد كان لزاماً على المصرى لأجل السيطرة على نهر النيل نفسه بما لديه من مهارة فى فن صنع السفن و بما كان له من طول خبرة بالنسبة لأهل بلاد النوبة السذج أن ينظر إلى هذا الموضوع نظرة الوجل الحذر لما كان يكتنفه من أخطار . وقد كشفت لنا البحوث الأثرية الحديثة عن طراز حصن من الحصون التى كانت شائعة فى هذا العهد وهو يقع فى بلدة « عنيبة » الحالية يرجع تاريخه على ما يظهر إلى عهد الهكسوس وذلك فى القائمة التى نشرها الأستاذ جاردنر عن حصون بلاد النوبة[1] واسم البلد القديم هو «معام» وقد اختلف المؤرخون فى موقع « معام » هذه ، ولكن المؤكد أن موقعها هو بلدة «عنيبة » الحالية . وإقليم «معام» يشمل المواقع القديمة التى كانت على الشاطئين الشرقى والغربى ، هذا بالإضافة إلى الجزيرة الواقعة فى النيل التى تسمى جزيرة «أبريم» وجزيرة « الرأس» . وقد وجد نقش ذكر عليه اسم الجزيرة : جزيرة «معام» . ومعبد هذه البلدة قد تهدم تماماً ولم يبق له أثر ، وكان الإله «حور» سيد «معام» الذى مثل بصورة صقر يحمل على رأسه قرص الشمس ، أو بإنسان له رأس صقر ، ويلبس التاج المزدوج هو نفس الإله «حور» الذى كان يعبد فى «بهين» (وادى حلفا) باسم سيد « بهين » وفى «الدكة» و « كوبان» باسم سيد « باكى » . والظاهر أن عبادة « حور » فى المدن الثلاث الرئيسية لبلاد النوبة السفلى الجنوبية قد أدخلت فى نهاية الدولة القديمة ، ويحتمل أن ذلك كان فى نفس الوقت الذى كانت تقدس فيه بلدة « أبشك » القريبة من « أبو سمبل[2] » الإلهة « حتحور » التى كانت تنعت بسيدة «أبشك» وكانت «حتحور» تمثل هناك فى صورة بقرة .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤١٧ الخ .

(٢) راجع Gautheir, Dic. Geog. I, p. 65

وترجع مكانتها الممتازة من الناحية السياسية والثقافية فى بلاد النوبة السفلى إلى خصب تربتها ، وكثرة خيراتها ، ولذلك كانت تعد محطة عظيمة لطرق التجارة الآتية من « واحة دنقل » الواقعة فى الصحراء الغربية . ولا نعلم إذا كانت هناك طريق للتجارة على الشاطئ الشرقى عند «أبريم» مخترقاً الوديان حتى البحر الأحمر أم لا . ويقول « ويجول » : إن « عنيبة » تحتل مكانة استراتيجية عظيمة الأهمية ، ومن المحتمل أنه كانت توجد فى قديم الزمان شلالات عند قصر « أبريم » ، وعلى ذلك كان لابد من إقامة حصن هناك لحماية السفن الذاهبة جنوباً ، ولمهاجمة العدو المنقض من جهة الشمال ، غير أننا لانعرف شيئاً عن هذا الشلال ، ومن الجائز أن تحصين «معام» كان يستعمل لملاحظة التجارة على النيل ، كما كان يعد مركزاً لجمع الضرائب على السفن التى تمر من هناك .

ويمكن أن نلخص تاريخ « معام » (عنيبة) مما لدينا من الوثائق التاريخية ، ومن نتائج أعمال الحفر التى قامت فى هذه الجهة فى النقط الآتية :

(ا) تدل أقدم الآثار التى عثر عليها فى هذه الجهة على وجود مستعمرة يرجع عهدها إلى العصر الثانى القديم من تاريخ بلاد النوبة (أى عصر الأسرات المصرى المبكر) .

(ب) أما فى العصر النوبى الثالث وهو ما يقابل عهد الدولة القديمة المصرية فلم نجد له أثراً يذكر فى « عنيبة » كما كانت الحال فى الجهات الأخرى لبلاد النوبة ، ومن الجائز أن « عنيبة » وكذلك كل بلاد النوبة السفلى قد حاقت بها خسائر على يد أحد فراعنة هذا العهد الذين قاموا بغزوات فى هذه الجهات كما جاء على حجر « بلرم » ، ومنها حملة فى عهد الملك « سنفرو » (الأسرة الرابعة) وقد غنم فيها سبعة آلاف أسير وعشرين ألف رأس من الماشية .

ولا نعلم إلى أى حد فى عهد الأسرة السادسة قد امتدت مشروعات القوافل التى كان يرسلها أمراء مقاطعة « أسوان » وعظماء تجارها من « الفنتين » إلى بلاد النوبة والسودان ، وذلك لأن أسماء الأماكن النوبية التى جاءت فى المتون المصرية لم يمكن

تحقيق مواضعها حتى الآن ، وهذا العصر هو الذى أسس فيه الوكالات التجارية فى « كرمه » التى اتخذها رجال القوافل مركزاً ، ومن المحتمل أنه فى ذلك العهد قد أقام المصريون محطاً أو حصناً كما يدل على ذلك الآثار الباقية[1] .

(ج) وعندما استوطن قوم مجموعة C وادى النيل فى البقعة التى تقع بين الشلال الأول والشلال الثانى فى نهاية الأسرة السادسة أصبحت « عنيبة » بجوار « الدكة » أهم بلدة ممثلة لهذا العهد . وفى الحروب التى نشبت بين الأهالى الأصليين وبين الأقوام الجائلين قاسى الأهالى الذين كانوا على ما يظهر فى الحصن عذاب الحريق الذى جعل عاليه سافله ، وهذا العهد هو أقدم جزء فى الجبانة N يمكن معرفته ، وهو الذى يعرف بمجموعة C القديمة .

(د) وفى نهاية الأسرة الحادية عشرة ابتدأ عهد تغلب مصر الحربى على بلاد النوبة . وقد أقام « سنوسرت الأول » حصن « عنيبة » فى مكان الحصن القديم (وهو الذى يعرف بالحصن الثانى) ، وفى خلال الأسرة الثانية عشرة أقيمت زيادات محسه على هذا الحصن . وفى هذا العهد أقيمت للمرة الأولى جبانة مصرية فى منبسط الصحراء وهى المعروفة بالجبانة حرف S . وعلى الرغم من وجود أثر الفاتح المصرى فإن الثقافة النوبية لمجموعة C كانت لا تزال هى الثقافة المزدهرة تماماً . ولم تتوار هذه المدنية إلا فى نهاية الدولة الوسطى كما يظهر لنا ذلك من الفخار المنسوب إلى هذه المدنية ، فقد أخذ يختفى تدريجاً . والمقابر العديدة الخاصة بالجبانة حرف N وبخاصة المقام سقفها بحجر مقطوع من المحاجر ، والقباب المبنية باللبن قد ظهرت فى هذا العهد وكذلك فى العهدين الثالث والرابع للمستعمرة أى فى مجموعة C الوسطى .

(ﻫ) ولما كان قد قضى على قوة مصر السياسية فى عهد الهكسوس فإن ثقافة مجموعة C النوبية قد انتعشت من جديد ، وهذا العهد يعرف بعهد ثقافة مجموعة C المتأخرة .

(١) راجع Steindorff, Aniba, II

(و) ولما تمصرت بلاد النوبة فى أوائل الدولة الحديثة اختفت ثقافة مجموعة C ولدينا كثير من الموظفين المصريين الذين سكنوا فى « عنيبة » ودفنوا فى مقابر خاصة أقيمت لهم ، كما يوجد آخرون ممن اهتموا بالعمل على أن تدفن جثثهم فى أرض الكنانة نفسها لأجل أن تحنط ويحتفل بها دينياً . ولكننا لا نعلم على وجه التأكيد إلى أى حد اشترك النوبيون فى « عنيبة » فى الحكم . وعلى أية حال نجد أنه كان يعيش بجانب المصريين وبمعزل عنهم سكان أصليون تحت حكم رئيس من بنى جلدتهم ، ويحمل لقب « أمير معام » ويدعى « حقانفر » ، وقد عاش فى عهد « توت عنخ آمون » وكان بين عظماء « واوات » الذين أحضروا الجزية المفروضة عليهم لابن الملك فى « طيبة » . وقد بقيت السيادة المصرية مستمرة فى « عنيبة » حتى حكم الفرعون « رعمسيس السادس » .

وفى عهد الأسرة الثامنة عشرة تم بناء مدينة « عنيبة » التى بدأت فى عهد الدولة الوسطى ، وكذلك أقيم المعبد فى الركن الشمالى الشرقى داخل السور .

ويتبع الجزء الرئيسى من الجبانة S بما فيها من آبار ومقابر هرمية الشكل هذا العهد ، وفى نهاية هذه الجبانة تقع مقبرة « بننوت » العظيمة المحفورة فى الصخر[1] .

وعلى الرغم من أن الغرض من إقامة حصنى « كوبان » و « أكور » شىء آخر فإن ظواهر الأحوال تدل على أنهما كانا يقومان بنفس المهمة التى أقيم من أجلها حصن « عنيبة » .

ويلحظ أن « وادى الدكة » ينفرج قبالة وادى الكوبانية وهنا نجد جبانات عظيمة خاصة بمجموعة ثقافة C تكشف لنا عن وجود مستعمرات كثيفة السكان من أهالى النوبة ، ويمتد الوادى فى الشمال حتى شمالى « أكور » وهذا الحصن بوجه خاص قد أقيم لحراسة السكان الوطنيين . ويدل موقعه فى الشاطئ الغربى على أنه كان صالحة

---

(١) راجع Steindorff, Aniba, I, p. 21 ff. ومصر القديمة الجزء الثامن ص ٢٨٩ — ٢٩٣

لهذا الغرض صلاحية عظيمة ، ولكن كان موقع « كوبان » من هذه الوجهة هاما .
والواقع أن إقامة الحصن على الشاطىء الشرقى كان يتوقف على الوظيفة الخاصة التى كان يؤديها وهى تأمين طرق المواصلات المؤدية إلى مناجم الذهب والنحاس الواقعة فى « وادى العلاق » .

ومن الصعب كذلك إيجاد تفسير آخر لإقامة حصنى « سرة الغرب » و « فرص » ؛ غير أن كلا منهما قد أقيم لحراسة بلاد النوبة ، والواقع أنه لا يقع واحد منهما فى مكان استراتيجى هام ، هذا إلى أن قيمتهما لم تكن عظيمة فى تأمين التجارة الذاهبة إلى « بهين » ، وكذلك لم يكن لهما أهمية عظيمة بالنسبة للتجارة مع السودان لأنهما لم يكونا محطى انتظار للسفن النيلية تحتمى فيهما فى أثناء الليل .

وحصن « سرة غرب »[1] صغير الحجم وهو الآن مدمر حتى أصبح من الصعب أن يقف الإنسان على معالمه الأصلية وهو مستطيل الشكل وبه أبراج متقابلة مقامة فى أركانه وجدرانه مقسمة أقساماً تتبادل فيها الطبقات المبنية بصورة مجوفة مقببة . وهذا النوع من المبانى لانجده فى الحصون النوبية الصميمة بل فى الواقع هو النوع الذى كان عاديا فى مصر ، والاسم القديم لهذا الحصن هو « أنق — تاوى » ومعناه « ضام الأرضين » . ويقول « جاردنر » : « لقد لاحظت عند « سرة غرب » على مسافة خمسة عشر ميلا شمالى « حلفا » وبصحبتى مستر « جفرى ميلنهام » أن الجدران التى تحيط بالكنائس هناك كانت بلا شك لحصن قديم من عهد الدولة الوسطى » .

أما عن حصن « فرص » المسمى « طرد المزوى » (خسف مزاو) فيقول الأستاذ « جاردنر » إنه لا يمكن أن يقطع فيه برأى لأن تحصيناته يظهر أنها من عصر متأخر عن ذلك بكثير ، ومع ذلك فإنه قد عثر على نحو مائة قطعة من اللبنات مختومة ، وكذلك عثر على قطع أكبر من السابقة كلها توحى بأن هذا الحصن قد يؤرخ

(١) راجع J. E. A., Vol. 3, p. 190

بالدولة الوسطى ، ويلحظ أن هذا الحصن لم يكن يقع على شاطئ النهر مباشرة بل يقع في واد بعيد بعض الشئ عن النهر حيث كان على ما يظن يصل إليه فرع من النيل يدل على ذلك بقايا مرسى لا تزال موجودة هناك . وفي داخل هذا المبنى الصغير يوجد ما يدل على وجود بيوت وزرائب ومخازن غلال .

مواقع مناجم الذهب في الصحراء وإقامة الحصون لحمايتها :

تحدثنا في الجزء الثاني من « مصر القديمة » (ص ١٨٩ — ١٩٥) عن الذهب وأنواعه وكيفية الحصول عليه والأماكن التي كان يوجد فيها في وادي النيل النوبي وغيره . والواقع أن الذهب النوبي هو أهم مادة بحث عنها المصريون في بلاد النوبة السفلى وقد كان أول معدن ذكر عندهم . ومناجم الذهب التي استغلها المصريون في الصحراء الشرقية من مصر وبلاد النوبة تنقسم ثلاث مجاميع[١] ، فالمجموعة الأولى تقع في أقصى الشمال من وادي النيل في « وادي حمامات » « قنا » وهو في منتصف الطريق المؤدية للبحر الأحمر . ومن هذا المكان كان يستخرج الذهب المسمى ذهب « قفط » أو ذهب صحراء « قفط » . وفي المجموعة الثانية أو الوسطى يوجد منجم ذهب « برامية » ويصل إليه الإنسان من « أدفو » . والمجموعة الأخيرة أو المنجم الجنوبي ويقع في « وادي العلاقى » « أم جرايات » و « أم ثورة » ، و « بير ايجات » و « درا هيب ») ، وكذلك كان يستخرج من الوديان القريبة من « وادي العلاقى » وأهمها « وادي مرا » و « سيجا » (Seiga) و « دراهيب » وتوجد بقايا بعض بيوت قديمة لا يزال فيها مغاسل وطواحين يد للطحن[٢] . وهذه

---

(١) راجع Blankenhorn, Aegypten (Steinmann and Wilkens, Handb. d. regionalen Geologie VII Bd. 9), p 196 ff. ; Williams, Gold and Silver Jewellery and related objects (New York Hist. Soc. Cat. Eg. Ant), p. 15 ff. Bibliotheque in Krenkel, Geological Africus I, (Geologie der Endé), p. 409.

(٢) راجع Wilkenson, Manners and Customs, III, 229 ; Sudan Notes and Records, 20, (1937), p. 313 ff.

المناجم لم يحدد زمنها على وجه التقريب ، ويوجد فى « بير إيجات »(Eigat) على الآبار نفسها رسوم تمثل ثيراناً ذات قرون طويلة وإشارات هيروغليفية بخط ، هذا بالإضافة إلى نقوش تركها كاتب يدعى « امنحتب »[1] وكذلك وجد فى « دراهيب » قطعة من إناء حجرى[2] ، ويقع هذا المكان فى « وادى العلاقى » على مسافة بضعة أميال من جهة السودان على الحدود المصرية السودانية ، وهو ضمن الإدارة المصرية .

وقد وصلت إلينا طريقة العمل فى هذه المناجم فى العهد الفرعونى ، وقد وصفها لنا الكاتب الإغريقى « أجاثارخيدس»[3] (Agatharchidis) يضاف إلى ذلك الاستغلال الذى كان يقوم به عدد عظيم من الناس دون أى نظام . ولا نعلم شيئاً مؤكداً عن هذه الطرق من المصادر الفرعونية ، ومن المشكوك فيه أن المصرى نفسه كان يقوم بمراقبة استخراج الذهب . ومن المحتمل أن العبارة التى فاه بها «ساحتحور»[4] كما ذكرنا من قبل وهى « لقد ابتززت الذهب الكثير بالغسل» تشير إلى أن الأمراء النوبيين كانوا هم المسئولين عن تحصيل الذهب ، وأن الدخل كان يدفع للمصريين بمثابة جزية . وتدل شواهد الأحوال على أن الذهب فى هذا الوقت (كما كان فى عهد الدولة الحديثة بعد) يمثل الجزية التى كان يدفعها الأمراء النوبيون للوظفين المصريين ، ومن ثم نفهم أن المصريين أنفسهم كانوا لا يستخرجون الذهب .

النحاس : ومن الجائز أن النحاس كان يستخرج كذلك من « وادى العلاقى » وذلك على الرغم من أنه لم تصل إلينا وثائق مدونة عن ذلك إذا ما قرن بنقوش « وادى الهودى » ؛ وذلك أنه فى واد جانبى متفرع من « أم قربات » نجد فى مكان يدعى «أبسيل» طبقة نحاسية ، هذا إلى وجود مناجم قديمة[5] .

(١) راجع A.S., 4. p. 278

(٢) راجع A.S., 24, p. 10

(٣) راجع Diodor, III, Comp. K. Fitzler steinbruche und Bergwerke im ptol. u. Rom. Agypten (Diss. Lps., 1910), p. 54.

(٤) راجع Br., A.R., I, § 602

(٥) راجع Lucas, An. Mat., p. 162

وقد أقيم عند فم « وادى العلاقى » حصن قوى ليكون نقطة ارتكاز للمناجم يدعى « باكى »[1] . والظاهر أنه أول حصن أقيم فى عهد « سنوسرت الأول » وقد حل محله حصن أكبر كما حدث فى « عنيبة » . ويظن « أمرى » و « كيروان » أنه قد أسس فى عهد « سنوسرت الثالث » ؛ ولكن طراز بنائه يدل على أنه أقيم فى عهد « سنوسرت الثانى » . ويدل مظهر حصن كل من « كوبان » و « إكور » على أنهما متشابهان هذا إلى أن حصن « إكور » لم يذكر فى قائمة الحصون السالفة الذكر مما جعل الأثرى « فريث » يظن أنهما بناء يكمل أحدهما الآخر ، فقد استعمل حصن « كوبان » لتنظيف المعدن المستخرج من المناجم المجاورة وبعد ذلك كان يحفظ فى حصن « إكور » ومن المحتمل أن الذهب الذى أتى به « أمينى » فى عهد « سنوسرت الأول » بحماية كتيبة حربية ، يعد برهانا على أنه على الرغم من احتلال البلاد احتلالا عسكريا كان يحسب حساب هجمات يقوم بها الأهالى ، وأن اتخاذ مثل هذه الاحتياطات كان لابد منه . ولا نزاع فى أنه كانت توجد فى « كوبان » لا فى « إكور » رواسب معدنية ، وهذا يدل على أنه لم يوجد فى هذا الحصن الأخير إلا المعدن النفل الذى تم إعداده ، هذا إلى أن موقع « إكور » على الشاطئ الغربى يوحى بأن هذا الحصن كان يقوم بنفس الوظيفة التى كانت تقوم بها « عنيبة » فى عهد الدولة الحديثة ، ذلك العهد الذى كان يسوده السلام والطمأنينة . هذا ويدل وقوع هذين الحصنين عند فوهة « وادى العلاقى » على مقدار ما كان لهذه المناجم من أهمية عند المصريين . ونجد فى مقابر عظماء القوم من عهد الأسرة الثانية عشرة وبخاصة فى جبانة مقر الملك أن الأثاث الغزير الذى كان يصنع من مواد غير ثمينة قد أصبح يصنع من مواد أثمن ، ولا شك فى أن ذلك مرتبط باستخراج الكنوز الطبيعية من بلاد النوبة ، وقد لعب الذهب دوراً خاصا فى صناعة هذا الأثاث ، وقد أخذت أهمية الذهب تزداد من هذه الناحية منذ هذه اللحظة ، ولا أدل على ذلك من المجوهرات التى عثر عليها فى « دهشور » و « اللاهون » وهى التى

---

(١) راجع Emery—Kirwan, Report, p. 26 ff.

تعد من أنفس المصنوعات الذهبية التي أخرجها الصانع المصري في هذا العهد[١] . وقد أخذ الذهب يحتل مكانة عظيمة في التجارة مع البلاد الشمالية المجاورة لمصر كما يدل على ذلك الكنز الذي عثر عليه في « ببلوص » (جبيل) ، يضاف إلى ذلك أن بلاد النوبة كانت تعد طريقا هامة للتجارة المصرية مع البقاع الجنوبية التجارية . ومن أجل ذلك كانت الحصون النوبية على جانب عظيم من الأهمية لحراسة الأهالي ولتأمين طرق التجارة الذاهبة إلى السودان .

ويوجد ما لا يقل عن سبعة حصون من التي ذكرت في القائمة السالفة الذكر في منطقة « الشلال الثاني » . وجميع هذه الحصون تقع في مساحة لا تزيد عن ستين كيلو مترا ، ويرجع سبب ذلك إلى خاصية هذا السهل الذي تقع فيه وما كان لهذه الحصون من مهام ضرورية تقوم بها . ففي جنوب « بهين » مباشرة تنتهي المسافة التي كان يمكن للمسافر أن يقطعها بوساطة النهر بسهولة ، وبعد ذلك نجد شلالات عدة وجزراً يصعب مع وجودها السير في النهر . وقد تجمعت هذه العقبات في مسافتين أولاهما : ما بين « بهين » و « مرجيس داب » والأخرى ما بين « شلفك » و « سمنة » .

ولا نزاع في أنه كانت توجد في العهد القديم تجارة نهرية على الرغم من كل ذلك . وقد لاحظ الأستاذ « ريزنر »[٢] في أثناء الحفر الذي قام به في هذه الحصون مدة عشرين سنة أنه كان يقوم أسطول تجاري من السفن الصغيرة من السودان ثلاث مرات في السنة من يولية حتى ينايرو يمر في الشلالات ، وقد سلم بأن قدماء المصريين كانوا يعملون مثل هذا العمل وكانوا يمرون بالحملات الحربية بخاصة في هذه الجهات ، ومن المحتمل كذلك أنه كانت تقوم مبادلات تجارية بالسفن[٣] . ويؤكد ذلك الآن النقوش التي عثر عليها حديثا في « ورنرتي » وهي مؤرخة بالسنة التاسعة عشرة من عهد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤٥٤

(٢) راجع Sudan Notes and Records, 12, p. 147

(٣) راجع A.S., 29, p. 10

الفرعون « سنوسرت الثالث » وقد سبق التحدث عن ذلك ، كما يؤكده ما جاء في لوحة « سمنة » الخاصة بهذا الفرعون نفسه وهي التي حرم فيها على السودانيين تعدى الحدود بالسفن .

ويدل كذلك ذكر تعداد السفن عند «الشلال» في تجور في عهد «تحتمس الأول» على وجود هذه التجارة النهرية في مصر القديمة[1] . وأخيراً نجد أن فكرة وقوع « ورونى » على جزيرة غير مفهوم إذا أنكر الإنسان إمكانية قيام تجارة نهرية هناك كما ذكر ذلك الأثرى « بورخارت »[2] . والواقع أن هذا المنبسط من الأرض الواقع عند الشلال الثاني والذي يصعب المرور فيه كانت فيه مخابيء يستتر فيها الأهالي عند قيام اللصوص بهجمات مفاجئة على التجارة المارة هناك ، كما كان صالحا من جهة أخرى لمرور الحملات التأديبية على أهالي النوبة الثائرين ، وأخيراً تمثل هذه الجهة الممر الطبيعي الذي كانت تزحف منه القبائل السودانية نحو الشمال . ومما يؤسف له جدّ الأسف أن البقعة الواقعة بين «سمنة» و « كرمه » لم تبحث بحثاً كافياً ، ولذلك فإننا لا نكاد نعرف شيئاً عن ثقافة الأهالي هناك .

ويرجع السبب في وجود حصون « الشلال الثاني » إلى ثلاثة أمور ، أولها أنها أقيمت هناك على وجه عام لمراقبة وحماية السياحة والتجارة ، وثانيها حراسة السهل حتى لا تطأ قدم معادية من السكان هذه الجهة ، وثالثها أنها كانت تعد بمثابة حاجز في وجه المهاجرين من السودان إلى مصر .

ولما كانت الرابطة بين الحصون بطريق الماء ليست سهلة في بلاد النوبة العليا كما هي الحال في بلاد النوبة السفلى فإن كل حصن على وجه عام كان يعتمد على نفسه ولذلك أقيمت الحصون بطريقة تجعل كل واحد منها يحتوي على حامية صغيرة تصد غائلة الهجوم المفاجيء ، ولذلك كان يوضع في كل حامية عدد من الرجال للقيام بالأعمال

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٥٩

(٢) راجع Borchardt, Altäg. Festungen, p. 24

والواجبات الأخرى التى تقتضيها ملابسات الأحوال ، فإذا اتفق أن السفن الخاصة بالحملات الحربية أو الحملات التجارية عجزت عن المرور بسهولة فى الجهات الجنوبية النائية بسبب الشلالات كما سبق وصف ذلك فى نقش « وروتى » فإنه فى مثل تلك الحالة يسند إلى بعض من رجال الحصن القيام بهذا العمل الشاق دون أن يؤخذ من حامية الحصن نفسها أحد ، وعلى ذلك أصبح فى الإمكان تبادل المساعدة بين حصن وآخر ، وقد كان على العمال الذين يجرون السفن أن يسيروا على الساحل دون حماية حربية مما جعل من السهل الهجوم عليهم ، ومن أجل ذلك كان المرور صعبا ، فكان لابد من تقريب الحصون بعضها إلى بعض فنرى فى المنطقة الجنوبية بين « سمنة » و « شلفك » أن هذه الحصون لا يبعد الواحد عن الآخر أكثر من مدّ البصر ، وعلى العكس من ذلك نجد أنه بين « مرشد » و « مرجيس » حيث المرور أسهل ، لم يكشف عن أكثر من حصنين رديئين وقد أصلحا عدة مرات ولا يمكننا أن نؤرخهما على وجه التأكيد[1] .

وقد بنيت ميناء تفريغ فى « بهين » وهى النقطة النهائية الطبيعية للتجارة النهرية فى بلاد النوبة السفلى وقد كشف فى هذا المكان عن حصن يرجع تاريخه للأسرة الثانية عشرة ، والآثار التى كشف عنها فيه لا تمكننا من تاريخه على وجه التأكيد ، ولكن الآثار التى عثر عليها فى « بهين » وهى التى ترجع إلى عهد « سنوسرت الأول » تجعلنا نؤرخ هذا الحصن على الأرجح بزمن هذا الفرعون . وعلى الرغم من عدم وجود ميناء نهرية فإنه مما لا شك فيه وجود ميناء للتفريغ فى هذا المكان لكل الأراضى الجنوبية وإلا فلا نجد تفسيراً آخر طبيعيا لوجود هذه المؤسسة . والواقع أن « بهين » كانت قبل كل شئ تقوم بدور عظيم بوصفها نقطة نهائية للتجارة النهرية فى الأزمان الغابرة عند ما كان « الشلال » بوجه عام لا يمكن عبوره . وكان لا يمكن تبادل التجارة من هنا جنوبا أو شمالا إلا بوساطة طريق البر فقط ولا نعلم إلى أى حد كانت

---

(١) راجع Sudan Notes and Records, 15, (1932), p. 256

تفرغ البضائع كذلك هنا خلال الفصل الذى كان يمكن للسفن أن تمر فيه فى النهر ، كما لا نعلم إذا كانت هناك سفن أخرى تستعمل فى مياه الشلال خلاف السفن النيلية المعتادة .

ويلحظ أنه فى الجنوب عند « سمنة » حيث يكون مرور السفن فى النيل أسفل لم تكن الأرض السهلة هناك صالحة بوجه خاص لإقامة ميناء تفريغ ، ومن أجل ذلك كان على التاجر الأهلى الوافد من السودان أن يسير حتى يعبر « إقن » وكان يفتش عليه بعد فى الجانب الآخر من الشلال . على أن تجمع هذه الحصون عند الحدود الجنوبية سهلت القيام بمراقبة شديدة ، وكذلك كان يمكن مراقبة الأجنبى فى السفر من الحدود حتى « إقن » . ومما يؤسف له أننا لا نعرف موضع « إقن » بصفة مؤكدة وكل ما نعرفه عن موقعها لا يخرج عن التخمين وقد وحد الأستاذ « ريزنر » بلدة « إقن » ببلدة « بهين » دون أن يقدم لنا البراهين على ذلك[1] .

أما عن مراقبة التجارة بالبر فليس لدينا إلا الحصون المقامة على شاطئ النهر فالأجنبى الوافد يمكن الإعلان عنه فى الوقت المناسب فى « سمنة » جنوبا ، وذلك أنه كان يخترق عرض الحصن الرئيسى فى « سمنة » شارع ، وكانت قوافل التجارة على ما يظهر تمر فيه للتفتيش والمراقبة . وكذلك المؤسسة الصغيرة الواقعة غربى « سمنة » كانت مقامة لأجل الإشراف على القوافل التجارية . أما أجزاء الحصون التى لم تكن ضرورية للدفاع فكان يقوم حراسها بجر السفن فى جهة الشلال وحراسة الأماكن التى تحيط بها الصحراء فإذا كشفت دوريات الحراسة هجوماً معادياً من هذه الجهة أعلنوا ذلك للحصون المجاورة . ويمكنهم بالتعاون مع هؤلاء صد المغيرين ، كما كان فى مقدورهم بوساطة جنود الإشارة الاستنجاد بجنود من الحصون الشمالية ، ومضمون لوحة « سمنة » يوحى بأن الحصون قد أقيمت أولا لتكون سداً منيعا عند الحدود فى وجه كل من يريد المرور إلى داخل البلاد المصرية بدون إذن ، غير أن الكشوف فى « كرمه » قد برهنت

(١) راجع Reisner, Kerma, II, p. 549

على أن الفائدة العظمى التى كان يسعى وراءها المصرى فى السودان هى الفائدة التجارية ، ومن أجلها كان لزاما عليه أن يعمل كل مافى وسعه لتسهيل مرورها فى الشلالات دون أى عائق .

ونعرف مما نستنبطه من طبيعة بلاد السودان نوعين مختلفين من طرز الحصون ، النوع الأول الحصون التى كانت تقام فى الوديان ، والنوع الآخر كان يؤسس فى الجبال . والنوع الأول نجده فى بلاد النوبة السفلى حيث كان يقام الحصن على النهر ففى «فرص» يلاحظ أن النهر قد غير مجراه ، فبعد الحصن بعض الشئ عن النهر . ويمكن تفقد التصميم الأصلى لهذا الحصن من وجهتين ، إذ يوجد فى داخل المبنى على طول امتداده فضاء كبير فى داخل الحصن على هيئة مربع وبجانب ذلك ميناء نهرية ليست بعيدة عن النهر ومحمية بالجدران . ومن هذين العنصرين يتألف الحصن على هيئة مستطيل أبعاده طويلة وضلعه الطويل محاذ للنهر ، ويلاحظ أن أقوى التحصينات يقع فى ضلع الحصن المطل على اليابسة ، وذلك لأن الهجوم من جهة الماء يكون صعب المنال جداً ، هذا إلى أن المصرى كان فى استطاعته دائما أن يسيطر على النهر بما أوتى من مهارة فى قيادة السفن ودراية فى فن الملاحة .

وتتجلى التحصينات المبنية التى كانت تقام من جهة البر فى الحصون التى كانت تقع فى الوادى بوجه عام . فكان يقام حول الحصن منحدر حتى لا يجد العدو أى مكان يحتمى فيه فى أحجار الأرض عند هجوم من فى الحصن عليه . وفى داخل هذا المنحدر كان يدور حول جدرانه حفر مجففة محفورة فى سطح الأرض أو فى الصخر . وتدل كسوتها التى كانت تعمل فى الغالب من طين النيل على أنها لم تكن تملأ بالماء .

وفوق ذلك كان يقام طوار هزيل منخفض ومقوى بالأبراج الصغيرة وفى داخل هذا المبنى كانت توجد طريق ضيقة وبعد ذلك يأتى الجدار الرئيسى العالى القوى البنيان الذى كان يحلى غالبا بخارجات تشبه الأبراج وخلف هذه الخارجات يوجد أحيانا شارع ضيق كان يمكن أن تسير فيه الجنود والمهمات بحماية الجدار الرئيسى .

وكان الغرض من هذا الطوار بلا نزاع هو أن تكون الرماية أكثر أثراً . لأن الرماية من الطوار المنخفض ليست كبيرة المفعول كالرماية من الطوار العالى ، وعندما يقرب المهاجمون من الحصن يكونون تحت نيران جنود البرجين أو الطوارين وتبتدئ الزاوية الميتة أو بعبارة أخرى الأرض التى لا يصيبها مرمى الذين يصوبون سهامهم من المبنى الرئيسى عند الحفر الواقعة أمام الطوار . ويكون فى مقدور المدافعين عن الطوار أن ينسحبوا بوساطة باب الحصن عند الحاجة تحت حماية النيران المنطلقة من الجدار الرئيسى . ونجد فى الحصون المقامة فى منطقة الشلال فقط أن السهل كان هو العامل الفعال فى تكييف صورة الحصن . ففى مثل هذه الحصون كان على المهاجم أن يتسلق الجدران التى كانت ملغمة بالعقبات ، كما كان عليه أن يتغلب على المرتفعات العمودية التى كانت بطبيعة الحال مقامة هناك .

أما فى الحصون الجبلية التى توجد فى جهة الشلال فقط فإنه على العكس يكون السل هو العامل الفاصل فى تكوين الحصن وفى كيفية إقامته . وكان على المهاجم فى هذه الحال لأجل أن يستغل السهل ليصل إلى سفح جدار الحصن أن يتسلق عقبات ، كما كان عليه أن يصعد مرتفعات عمودية وإلا فإن الميزة الاستراتيجية للحصن تصبح على العكس لا قيمة لها . ولكن إذا كانت الأحوال تحتم على العدو أن يندفع إلى أعلى فإنه فى هذه الحالة يكون فى إمكان المهاجمين إيقاد نار لإغاثتهم ، ومن أجل ذلك كان من الضرورى بناء كل الطنف التى فى الحصون المقامة على الهضاب بجدران طويلة ويمكن مشاهدة التصميم الخاص بذلك فى بناء حصن « ورنرتى » حيث نجد أن الحصن يتألف من جدار واحد طويل ينقسم متفرعاً عند نقطة فرعين يقع الحصن الرئيسى فى حضنهما .

وإذا كانت الأرض التى تقع خارج الحصن عظيمة الانحدار فلا توجد فى هذه الحالة ضرورة لإقامة سور خارجى ، إذ أن مثل هذا السور يكون ضروريا لتكوين زوايا ميتة للرماة فى البناء الرئيسى ليكون فى مقدور الرماة بما لديهم من أسلحة قديمة تصويب

مرماهم بدقة وإحكام على المهاجمين خارج الحصن . ومن أجل ذلك نجد أن معظم حصون « الشلال » قد أقيمت على صخور منحدرة ، فليس فيها دائماً نظام إقامة السور المزدوج . وفى حصن « مرجيس » يوجد على جانبه الواقع تجاه البر جداران متوازيان يبعد أحدهما عن الآخر ، وقد بنى كل منهما بناء محكما . والآن يتساءل الإنسان عما إذا كان هذان الجداران قد بنيا فى عهد واحد أو فى عصرين مختلفين ، والواقع أنه ليس لدينا ما يثبت الرأى الأخير مما لدينا من آثار . ومن المحتمل أنه كان يوجد سور أمامى فى « قه » ، ولكن يحتمل أن ما نشاهد فى « مرجيس » ليس إلا تقوية للسور الرئيسى (١) .

ومما يلفت النظر فى الحصون المقامة فى الصحراء كيفية الحصول على الماء . والواقع أنه كان يوجد فى الحصن باب خاص يفتح على النهر مباشرة . وكان يوجد هناك ممر سرى لا يراه الأعداء يبتدئ عند هذا الباب ويستمر مسافة وكان مغطى بأحجار مسطحة . ونجد مثل هذا النظام فى حصن «سمنة» وفى حصنى « ورنرتى » و« كوبان » والحصن الأخير يقع فى الوادى ولكنه مبنى فى الصخر وعلى ذلك لم يكن من المستطاع حفر آبار فيه .

وكان كل حصن مجهز بمعبد وقد وجد فعلا فى هذه الحصون مبان تشبه المعبد فى كثير من الأحوال وقد اتضح أنها للعبادة ، وذلك بما وجد فيها من آثار تدل على ذلك ، كما نشاهد ذلك فى حصن « ورنرتى » بصفة قاطعة ، إذ وجد فى هذا الحصن بناء يحتوى على ثلاث حجرات صغيرة وردهة تحتوى على أحد عشر نموذجا من الرغفان المصنوعة من الخشب ومن بينها رغيف نقش عليه : « السنة الثالثة والثلاثون من عهد «أمنمحات الثالث» (٢) ومما يؤسف له كثيراً أن الحصون الواقعة فى السهل فى بلاد النوبة قد وجد

---

(١) راجع J.E.A. Vol. 3, p. 173

(٢) راجع Sudan Notes and Records, 14, (1931), p. 5

داخلها محطما ، ولذلك لم يكن فى مقدورنا معرفة وظيفة المبانى الداخلية التى تحتويها تلك الحصون .

وكان يوجد فى كل حصن بصفة مستديمة غير البيوت التى يسكنها الجنود والقواد مخزن غلال و بيت مال ، فقد وجد من بين اللبنات المختومة التى عثر عليها فى « ورنرتى » لبنات مطبوع عليها المتن التالى : مخزن غلال حصن «خسف أونتيو» . و « بروى حز » (بيتا الفضة) الخاصان بحصن «خسف أونتيو » «ورنرتى» ، ومن ثم نعرف أنه كان لكل حصن إدارته الخاصة التى تتصل بمكتب الوزير و بالسلطات المصرية الأخرى مباشرة ، هذا ولدينا طابع أختام هذه السلطات عثر عليه فى حصن « ورنرتى» وترجع إلى بداية العصر الذى يلى عهد الأسرة الثانية عشرة ولكنها بلا شك كانت متصلة بالأسرة الأخيرة على وجه التأكيد .

وقد وصل إلينا طوابع أختام على لبنات لموظفين مختلفين ولأشخاص غير موظفين ولكن لا يمكننا أن نحكم على وجه التأكيد بأن هؤلاء كانوا ضمن موظفى الحصن .

ولا نزاع فى أنه كان بين هذه الحصون روابط قوية يدل على ذلك تلك الآثار التى عثر عليها فى « ورنرتى » وهى طوابع أختام من حصون أخرى مثل حصون « سمنة » و « شلفك » و « إقن » و « بهن » ولا غرابة فى ذلك فإنه كان من الضرورى أن تكون هذه الروابط موجودة بين هذه الحصون إذ أن جنودها مصريون ، وكان العمل الذى يقوم به كل حصن هو نفس العمل الذى تقوم به الحصون الأخرى ولا يبعد أنها كلها كانت تحت إدارة رئيس أعلى وإدارة واحدة تربط بعضها ببعض .

علاقات مصر بالسودان
فى عهد الدولة الوسطى

رأينا فيما سبق المجهود الذى بذله ملوك الأسرة الثانية عشرة فى إخضاع القبائل الثائرة والأقوام التى كانت تغير على التجارة المتبادلة بين القطرين ، وكيف أن ملوك هذه الأسرة قد مهدوا السبيل لاستتباب الأمن بإقامة المعاقل والحصون فى مختلف جهات بلاد النوبة من أول « الشلال الأول » حتى « الشلال الثالث » . غير أن إقامة الحصون وتزويدها بالجنود المصريين ليدل دلالة واضحة على أن الأمن لم يكن مستتباً فى بلاد السودان على الوجه الأكمل ، بل على العكس يدل على أن المصريين كانوا يخافون شر هجمات القبائل المعادية ، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان بجوار هذه الحصون بعض المستعمرات ولكنها لم تبحث حتى الآن بحثاً كافيا يمكن به استنباط حقائق مقررة ، هذا إلى أن مدن الدولة الحديثة التى أقيمت على أنقاض هذه المستعمرات مثل «عنيبة» و « بهين » قد خربت كذلك ولم تحفظ لنا من هذه المؤسسات إلا بعض بيوت فى حصون الشلالات وقد فحصت .

والواقع أن هذه المستعمرات أو المؤسسات لم تكن مراكز سكن مريحة بصورة مرضية ، وذلك لأنه لم تكن هناك أراض خصبة صالحة للزراعة بجوار هذه المؤسسات وعلى ذلك فليس من السهل أن نستخلص نتيجة أكيدة من بقايا المبانى التى حفظت لنا حتى الآن عن استعمار المصريين لبلاد النوبة السفلى فى عهد الدولة الوسطى ، ومن المحتمل أن الإضافات التى عملت فى حصن « عنيبة » إلى أن أصبحت مدينة صغيرة قد تكشف لنا الغطاء عن الحقيقة القائلة بأن المصرى قد هاجر إلى بلاد النوبة السفلى واستوطن هناك ، وأن الحال كانت مثل ذلك تماما فى « بهين » إذ نجد غير حصن الدولة الوسطى مؤسسة كبيرة نسبياً يرجع تاريخها إلى ما قبل الأسرة الثامنة عشرة وتقع تحت مبانى المعبد الذى أقامه « أحمس الأول » وتتفق اتجاهاتها مع اتجاهات الحصن

القديم[1] والطبقة التي وجدت فيها جدران هذه المؤسسة تقع على علو ٧٠ سم من أساس حصن الدولة الوسطى ، وعلى ذلك يظهر أنها أحدث من الأخيرة . وقد أقيم هذا الحصن القديم في أوائل الأسرة الثانية عشرة ويحتمل في عهد الملك « سنوسرت الأول » ، وعلى ذلك تنتسب هذه المؤسسة إلى الزمن الذي يلي الأسرة الثانية عشرة ومن ثم لا توجد جدران حصون من عهد الدولة الوسطى ، والظاهر أنها تقع خارج الأراضي التي يحجبها السور ، ولابد إذاً أنها قد بنيت في وقت كانت فيه العلاقات الودية على ما يرام ، ولم يكن المصري يخاف وقتئذ شر أي هجوم من النوبي .

وقد لاحظنا أن نظام إقامة الحصون في عهد « سنوسرت الثالث » عند الشلال الثاني هو لتأمين الحدود الجنوبية من إغارة النوبيين ، ولذلك فإنه عدّل تعديلا تاماً ، وتدل شواهد الأحوال كما ذكرنا من قبل على أن العهد الذي تلا حكم «سنوسرت الثالث» كان على ما يظهر عهد سلام ووئام . ومن المحتمل إذا أن المباني التي نحن بصددها قد أقيمت في هذا العهد ، وهذا يتفق تماما مع ما نشاهده من أن معظم المقابر القديمة في « بهين » تنسب إلى هذا العهد وهذا يشير إلى ازدهار هذه المستعمرات .

ومما عثر عليه في المقابر المصرية التي أقيمت في بلاد النوبة السفلى نستنبط أن المصري كان يكره لنفسه بدرجة عظيمة أن يدفن جثمانه في بلاد أجنبية ، وقد كان من نتائج ذلك أن أجسام موتى كل أصحاب اليسار كانت تنقل إلى أرض الوطن ، ولدينا أدلة على ذلك مدونة في عهد الدولة القديمة ، وكذلك من عهد الدولة الوسطى ، ونذكر على سبيل المثال قصة « سنوهيت »[2] الذي كان جل ما يتمناه أن يعود إلى أرض الوطن ويدفن جثمانه فيها . وفي عهد الدولة الوسطى كانت بلاد النوبة لا تزال محتفظة بطابعها الذي يدل على أنها كانت بلاداً أجنبية مخيفة ، وأول مقابر هامة ظهرت فيها يرجع تاريخها إلى عهد نهاية الدولة الوسطى ، ونجد مقابر الدولة الوسطى فيها فردية

---

(١) راجع Buhen, p. 98, 102 ff.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٠٤

وفى جهات قليلة ، وجميع أصحاب هذه المقابر على وجه عام نكرات فلا نعرف شيئا عن مكانتهم أو ألقابهم ، ومع ذلك نعرف شيئا عن سلسلة أفراد من المصريين الذين استوطنوا بلاد النوبة السفلى من النقوش العديدة التى دونت على صخور هذه البلاد ، ومن الصعب تأريخ معظم هذه النقوش ، ولا نعلم شيئا عن الأسماء التى جاء ذكرها على هذه الصخور أكان أصحابها مجرد عابرين لبلاد النوبة أم مقيمين فيها ويلحظ أن الكاتب الذى دوّن هذه النقوش كان يقصد ذكر اسم بلاده كما حدث ذلك فى حالة كاتب جنود «الفنتين»[١] .

ولدينا فى مصر نفسها نقوش كثيرة تذكارية — خلافاً لما ذكر من قبل عند الكلام على السياسة الخارجية — تدل على أن كثيراً من المصريين قد أرسلوا فى مأموريات إلى بلاد النوبة ، فمثلا يقول رجل من مدينة «الفنتين» كان قد قام بدور هام فى سياسة البلاد الجنوبية كما كانت الحال فى عهد الدولة القديمة : «لقد قمت بحملات عدة مصعدا فى النيل نحو « بلاد كوش » فلم تحدث منى غلطة ، ولم يقع أى سوء[٢] » . وكان يلقب فضلا عن ذلك « حارس النوبيين » وقص علينا كذلك نائب حامل الخاتم على لوحة تذكارية من « العرابة المدفونة » أن الملك أرسله لفتح بلاد كوش[٣] ، ومما له علاقة بهذا الموضوع ما جاء فى مقدمة قصة الغريق وفى نهايتها يقول صاحب القصة إنه كان فى رحلة إلى بلاد «واوات » غير أن ذلك فيه شك كبير[٤] .

ولدينا من عصر متأخر عن العصر الذى نحن بصدده الآن نقش وجد فى «أدفو» يذكر فيه مشرف على المدينة أنه ذهب إلى « أواريس » فى الشمال و « كوش » فى الجنوب[٥] .

---

(١) راجع Roeder, Debod bis Bab-Kalabsche § 450, VI ويحتمل أن هذه الأسماء من الدولة الحديثة .

(٢) راجع Berlin No. 19500 (Agypt. Inschr. Konig. Mus. Berlin I, 260 f.

(٣) راجع Lange— Schafer, I, p. 101

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٥٠ الخ

(٥) راجع J.E.A., 3, p. 100

هذا ولدينا مشرف على الجنود آخر يدعى « نيسو منتو » ولقبه هذا يدل على نشاطه في بلاد النوبة[1] .

ولا بد أن نسلم هنا بأن كل المصريين الذين ذكروا على الآثار كانوا يقومون بتأدية مهام خاصة في بلاد النوبة وكان كثير منهم يتخذها موطناً ويعمل فيها .

وقد كان من الطبيعي أن نجد من نتائج استيلاء المصريين على بلاد النوبة نقوشاً كثيرة لرجال الحرب والموظفين هناك . فوجد في طوابع الأختام التي عثر عليها في جزيرة « ورنرتي » بعض تابعين كانوا يشغلون نفس المنصب الذي كان يشغله « سبك خو » الذي تحدثنا عنه من قبل ، وأمثال هؤلاء التابعين نجد أسماءهم على النقوش الصخرية . هذا ولدينا كذلك لقب المشرف على التابعين ، وهذا اللقب على حسب نقوش «سبك خو» الصخرية (وهي التي عثر عليها في «قمة» و «سمنة») يعد أعلى رتبة وكذلك لقب «المشرف على الجنود»[2] قد وجد في أحد نقوش «سنوسرت الأول» في «بهين»[3] ، هذا وفي المحاجر الواقعة في الشمال الغربي من «توشكى» نقش لقب « المشرف على المجندين» في عهد « أمنمحات الثاني»[4] . وكان حامل اللقب الأخير يلقب كذلك المشرف على بيتي الفضة (= الخزانة) وعلى بيتي الذهب . ومن المحتمل أن بعض الذين يحملون لقب « المشرف على السفينة » ينسبون إلى الدولة الوسطى أو الدولة القديمة كما يرى في النقوش المدونة في « هنداو » وفي « الامبركاب » وفي « جزيرة سروس » ، حيث نجد فضلا عن ذلك منقوشاً لقب « كاتب السفينة »[5] . وأخيراً وجد على طابع خاتم في « ورنرتي » اسم موظف يحمل لقب « المشرف على الرماة » ومن المحتمل أنه كان يشغل وظيفة قائد الجنود في بلاد النوبة .

---

(١) راجع Louvre. I, Nach Abschrift des Berliner W.B.

(٢) راجع Sudan Notes and Records 12, p. 157

(٣) راجع Ibid p. 69

(٤) راجع A.S., 33, p.71

(٥) راجع Roeder, Debod bis Bab-Kalabsche, pp. 529, 543

ولا يمكن أن نستخلص شيئاً عن نظام الإدارة من النقوش السالفة الذكر لأننا لا نعلم من بين هؤلاء الموظفين ينسب إلى بلاد النوبة ، فنعلم أنه كان يوجد فى «سمنة» موظف يحمل لقب « حاكم المركز »[(١)] . وينبغى علينا أن نعلم أن بلاد النوبة كانت مقسمة من حيث المقاطعات قسمين أو أكثر ، وكان لكل واحد من هذه الأقسام مشرف يحمل لقب « المشرف أو الحاكم على المركز »[(٢)] وقد وجد مذكورا على نقوش المحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من « توشكى » لقب[(٣)] « المشرف على قسم قطع الأحجار » (؟) .

ومن بين الوظائف العالية المصرية التى وجدناها فى بلاد النوبة لقب أعظم العشرة للوجه القبلى وقد وجد منقوشاً فى « أمدا »[(٤)] ؛ وكذلك لقب « فم نخن » (نائب نخن) فى « سمنه »[(٥)] ولقب « المشرف على مائدة الملك » فى نقوش « جرف حسين »[(٦)] وفى « سمنة »[(٧)] .

ومن المحتمل أن ألقاباً مثل « مدير البيت »[(٨)] و « موظف البيت »[(٩)] و « المشرف على المحكمة » و « مدير مكتب الإدارة »[(١٠)] يمكن أن تكون من الألقاب الإدارية الخاصة بحصون بلاد النوبة ومركز الحكومة الاستعمارية .

وأخيراً نعرف كذلك سلسلة من الأشخاص الذين يحملون ألقاباً تدل على أعمالهم

(١) راجع Sudan Notes and Records, 12, p. 157

(٢) راجع A.Z., 70, p. 88 ff.

(٣) راجع A.S., Vol. 33, p. 72

(٤) راجع Weigall Report, Pl. LIII

(٥) راجع Sudan Notes, 12, p. 159

(٦) راجع Roeder, Dekka, p. 369

(٧) راجع Sudan Notes, 12, p. 159

(٨) راجع Roeder, Debod bis Bab-Kalabsche, p. 114

(٩) راجع A.S., 33, p. 74

(١٠) Roeder, Dekka, p. 371

مثل « الحاجب » و « قاطع الأحجار »[١] ، ووجد لقب « طبيب » فى نقش « بباب كلبشه »[٢] ، كما وجد أسماء موظفين كثيرين فى جهات متفرقة فى « جرف حسين » و « ورنرتى » و « باب كلبشه » و « مودنجار » (Mudinjar) . وكذلك نجد أن صاحب القبر (K.8) فى « بهين » يحمل لقب « بستانى »[٣] . يضاف إلى ذلك أسماء كتاب عديدين جاء ذكرهم فى نقوش الصخور ، غير أنها لا تلقى أى ضوء كبير على علاقات مصر ببلاد النوبة من جهة النظام فى عهد الدولة الوسطى ، ومع ذلك نذكر بعضهم هنا . فقد وجدنا اسم كاتب لبيت المال فى نقوش « جرف حسين »[٤] ، وهنا نجد كذلك اسم « كاتب للبلاط لقيادة العمل » (؟) وفى « البقيع » نجد نقشاً لقاض يحمل لقب « المشرف على الكتاب »[٥] .

ومن كل ما سبق نفهم أن المصرى كان يهاجر إلى بلاد النوبة السفلى على الأقل فى نهاية الدولة الوسطى ، غير أن ذلك لم يكن فى نطاق واسع ، هذا مع العلم بأن المصرى كان لا يسكن إلا فى الأماكن المحصنة ، لأنه عثر فى هذه الأماكن على مقابر مصرية الصبغة فى عهد الدولة الوسطى ، ولا بد أن نفهم أن هؤلاء المصريين النازحين كان معهم خدمهم . أما فى الجهات الراقية فى بلاد النوبة ، وكذلك فى القرى فكان النوبى يعيش عيشة خاصة كما تدل على ذلك الجبانات القومية ومستعمرات هذا العهد . أما إذا كانت قد حدثت حقيقة هجرة كبيرة من مصر إلى بلاد النوبة السفلى فإن ذلك كان هو السبب فى القضاء على ثقافة النوبيين مما جعلهم يهاجرون إلى أماكن بعيدة ، غير أن ذلك ليس هو الواقع بأية حال من الأحوال ، وذلك لأن ثقافة مجموعة C كانت مزدهرة وليس هناك مايدل على أى انحطاط ثقافى قط هناك .

---

(١) Roeder, Debod, p. 113

(٢) راجع Roeder, Ibid, § 524

(٣) راجع Buhen, p 201

(٤) راجع Roeder, Dekka, p. 368

(٥) راجع Roeder, Debod, § 544

والواقع أن ثقافة مجموعة C لم تتأثر بالثقافة المصرية العالية إلا تأثراً سطحياً إذ قد بقيت الصبغة الأساسية الثقافية القومية لم تتغير ، ففى الأوانى الجنازية بقيت العناصر التى كانت على وجه عام قد نقلت فى بداية الاختلاط بالثقافة المصرية ، هذا إلى آلات أخرى وأشياء فنية قد بقيت كما هى بصورة ما ، ويمكن أن تكون مستوردة من مصر أو وطنية الأصل ، ومن الجائز أنه منذ عهد الدولة الوسطى قد وجدت أشياء كمالية فى القبور بكثرة بعض الشئ ، إذ قد وجدت مرايا من النحاس فى مجموعة ثقافة C ، وكذلك قبلها وبعدها ، ولكن الخناجر المصرية البحتة المصنوعة من البرنز قد وجدت فى المقابر النوبية ببلدة « عنيبه » أولا فى بداية الدولة الوسطى[1] . ومعظم الخناجر يرجع عهدها إلى العصر المتوسط الثانى ، وتوجد كذلك أسلحة فى مقابر مجموعة C ولكنها نادرة[2] . وقد عثر فى قبر من مقابر « عنيبه » على قطعة عاج مشغولة وتدل على أنها صناعة مصرية بحتة ، غير أن تقليد لوحات المقابر المصرية وكذلك موائد القربان[3] قد أخذ عن مصر ، كما حدث ذلك فى عناصر أخرى فى ثقافة مجموعة C على وجه عام فى عصر متأخر .

والواقع أن ثقافة مجموعة C قد اختطت لنفسها حياة خاصة وكذلك العناصر التى ثقافتها من « كرمه » فإنها تابعة بوجه خاص لعهد كانت فيه الموانع الخاصة بالحدود عند « الشلال الثانى » قد أزيلت بين البلدين .

---

(١) راجع Aniba, I, p. 114

(٢) راجع Emery-Kirwan, p. 8 ; LAAA, 8, 77

(٣) راجع Ibid, p. 40

ثقافة "كرمه"

تحدثنا فيما سبق عن مدى اختلاط المصريين ببلاد النوبة وما كان لمصر من سلطان فى بلاد النوبة السفلى حتى « الشلال الثانى » وما بعده بقليل ، وكذلك تحدثنا عن ثقافة مجموعة C وما كان لها من أثر فى هذه الجهات منذ أن ابتدأت تظهر فى نهاية الأسرة السادسة ، وقد بقيت مستمرة حتى بداية الدولة الحديثة كما سنرى بعد، على أنه فى الوقت الذى كانت تسود فيه ثقافة مجموعة C بلاد النوبة السفلى كانت تزدهر فى بلاد النوبة العليا ثقافة أخرى وذلك أن الأستاذ « ريزنر » قد عثر فى بلدة « كرمه » الواقعة شمالى « جزيرة أرقو » مباشرة وعلى مسافة بعيدة من حصن « سمنة » الذى كان يعد الحد السياسى لمصر فى عهد الدولة الوسطى على جبانة وطنية عظيمة وعلى آثار مستودع تجارى (١) . وقد وصف السياح والكتاب المحدثون بلدة « كرمه » ولكن أشملهم وأوفاهم وصفاً هو ما كتبه الأثرى « لبسيوس » (٢) وقد زار بعث « لبسيوس » « كرمه » فى يونيه سنة ١٨٤٤ .

والمكان المعروف باسم « كرمه » أخذ اسمه من الإقليم الذى يقع على الشاطئ الشرقى للنيل بين « أرقو » و « تومبوس » ويسكنه الآن نوبيو «دنقلة» أو البرابرة . والميزة الظاهرة لهذه البقعة خرابتان مؤلفتان من المبانى المقامة من الطوب التى تدعى بلغة أهل « دنقلة » «كرمان دفوفه»، وكلمة «دفوفة» يحتمل أن تعنى قرية. وخرائب «كرمان دفوفة » يمكن رؤيتها من بعد ، وقد لاحظها كل السياح الذين مروا بهذه الجهات . وتنقسم « كرمان دفوفة » فى نظر الأهالى قسمين « دفوفه العليا » و «دفوفه السفلى» وتشمل « كرمه » حاليا عدة مجاميع من البيوت المقامة من الطين بالقرب من النهر .

---

(١) راجع Harvard, African Studies, Vols. V and VI and Kerma 1 and II

(٢) راجع Karl Richard Lepsuis, Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien Erganzungsband V, bearbeitet Von Walter Wreszinské, Leipzig, (1913), pp. 245-247.

وأهل ثقافة « كرمه » الذين وجدوا فى الجبانات العظيمة التى عثر عليها فى هذه البقعة فى المقابر التى يرجع تاريخها إلى نهاية الأسرة الثانية عشرة وبداية الدولة الحديثة ينسبون إلى السكان الأصليين على حسب رأى الأستاذ « ريزنر »[١] حيث يقول :

« وإذا وزنا الأمور بميزان الإمكانيات التى ترتكز على البراهين التى فى متناولنا فإنى أستنبط أنه عندما أسست مستعمرة « انبو امنمحات (جدار امنمحات) » التجارية كانت بمديرية « دنقلة » مسكونة بسلالة أصلية لا تنسب إلى زنوج أواسط أفريقيا بل إلى مجموعة سكان شمالى أفريقيا ، ويحتمل أن اللوبيين كانوا فرعاً منهم . وهذا الجنس كما يشاهد فى الصور المصرية الخاصة باللوبيين يتسم بأنف مفرطح ويميز بتقاطيع بارزة تعادل المميزات الزنجية الخاصة بالهياكل العظمية النوبية . ويلاحظ فى المقابر النوبية المتأخرة العهد أن السكان أصبحوا مختلطى الجنس ، وقد أظهر الفحص الذى قام به الدكتور « درى » أنه توجد فى مقابر هذا العصر المتأخر هياكل بشرية من أجناس مختلفة بعضها مصرى صميم وبعضها يدل على أنه من أهل مجموعة ثقافة C ويظهر فيه الدم الزنجى ، وأخيراً نجد أن بعض الأجسام من أصل زنجى صريح .

وعلى ذلك ينبغى للانسان أن ينظر إلى سكان « كرمه » فى نهاية الدولة الوسطى وبداية الدولة الحديثة كما ينظر على وجه التقريب إلى سكان بلدة « أم درمان » الحالية حيث يجد فيها الإنسان الآن كل الأجناس التى تسكن أعالى وادى النيل .

ومما يؤسف له جد الأسف أن ثقافة « كرمه » ليس لها وثائق مكتوبة قط وما عثر عليه من نقوش هيروغليفية ليس له أية علاقة بهذه الثقافة .

ولا نعلم من الآثار التى عثر عليها قبل الكشف الذى قام به الأستاذ « ريزنر » فى مصر وبلاد النوبة السفلى أى من نشاط للمصريين فى هذه الجهة إلا ما جاء فى لوحة عثر عليها

---

(١) راجع Kerma, II, p. 556

فى بلدة « أدفو »[1] ، من نص صعب الفهم ، ويمكن أن نستخلص منه أن رجلا يدعى « خع عنخف » يقرر أنه كان مصريا ، ويحتمل أنه كان صاحب نشاط فى « كرمه » ، ولكن يمكن أن نفهم من المتن جلياً أنه كان هو وزوجه وأولاده قد عادوا إلى « أسوان » من « كرمه » أو أنهم وصلوا إلى هذا المكان فى ثلاثة عشر يوماً . ويذكر لنا فضلاً عن ذلك صاحب هذه اللوحة الذهب الذى أحضره ، وكذلك يقول إنه جلب معه عبداً أو عبيداً ، وستتحدث عن هذه اللوحة فيما بعد . ولعمرى إن أهم ما كانت تتجه اليه أنظار المصرى فى كل عصور تاريخه حتى عصرنا الحالى إلى زمن قريب هو الحصول على الذهب والعبيد ، والكل يعلم أن تجارة الرقيق كانت منتشرة إلى زمن قريب جداً أبطلت بعده .

غير أن ما جاء فى هذه اللوحة لا يؤكد لنا بصورة قاطعة نشاط مصر فى الجنوب . وعلى ذلك فإن كل اعتمادنا على صلة مصر بهذه الجهة ينحصر فيما عثر عليه فى « كرمه » . والواقع أن معلوماتنا عن ثقافة « كرمه » فى تلك الفترة مستقاة من مقابر جبانات شاسعة الأرجاء تبعد حوالى أربعة كيلومترات ونصف كيلو متر من شاطئ النيل .

ففى هذه البقعة يوجد غير مزارين كبيرين عدة مقابر ومدافن فى هيئة أكوام دفن فيها أفراد من عامة الشعب ، وعدد مهم من المقابر الضخمة يدل ظاهرها على أنها كانت لأسر أمراء أقام كل منهم لنفسه جبانة منفردة . وهذه المقابر فى صورة تل مستدير الشكل يحيط بها لوحات من الحجر الرملى ويوجد فى داخلها مبنى مؤلف من جدران من اللبنات ، مثال ذلك المؤسسة التى على هيئة تل رقم (٣)[2] وهى المقبرة التى دفن فيها على ما يقال «زفاى حعبى»[3] (انظر اللوحة رقم ٢) ويبلغ قطرها حوالى ٩٠ متراً وتشغل مساحة قدرها ٦٣٨٥ متراً مربعا ، ويبلغ ارتفاع الجدران المبنية باللبنات

---

(١) راجع A.S.T., 29, p. 6 ff.

(٢) راجع Kerma, I, pp. 135-189

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٧ الخ و ينطق اسمه كذلك حبزافى

من الداخل حوالى ٢,١١ متراً ، وهذه الجدران كانت أعلى من ذلك فيما مضى ، وقد أقيم فى وسط هذا المدفن دهليز يمتد من الشرق إلى الغرب جدرانه من اللبنات ويبلغ عرضه حوالى مترين ، ومن هذا الدهليز يتفرع شمالا وجنوبا حتى محيط دائرة هذه الجبانة عدة جدران متوازية تقطعها جدران أخرى فى نقط متعددة مرتبط بعضها ببعض ومن ذلك يتكون فى كل من الجزء الشمالى والجزء الجنوبى عدة حجرات صغيرة تعرف عليها الأستاذ « ريزنر » بأنها مقابر .

وفى وسط هذا الدهليز نجد باباً لحجرة أمامية تبلغ مساحتها ٣,٣٥ × ٢ مترا مسقفة بسقف مقبب وهى أكبر حجرة فى كل هذه المؤسسة وقد وجدت منهوبة فلا يمكننا أن نتحدث عن حالتها الأصلية على وجه التأكيد ، ولكن يمكن وصفها بطريق الحدس بالموازنة بينها وبين ماوجد فى حجرات الدفن الأخرى المماثلة لها فى المؤسسات الأخرى المجاورة . ولا نزاع فى أن الشخص الذى دفن فى هذه الحجرة أمير وهو الرئيس المسيطر على هذه الجهة فى عصره ، وبجانب هذا الأمير كانت تضطجع زوجه على سرير من الخشب ، وعلى رقعة الحجرة وجد رجال مضطجعون ونساء مضطجعات ، ويحتمل أنهم أقرب الناس إلى صاحب المقبرة وزوجه . والظاهر أنهم قد دفنوا أنفسهم أحياء طوعا أو كرها مع الأمير وزوجه ، ويبلغ عدد الذين دفنوا أنفسهم بهذه الكيفية حوالى مائة شخص (هذا ونجد مدفونا فى دهليز المقبرة المستديرة رقم ٤ عددا يتراوح بين ١١٠ — ١٣٠ شخصا) . وكل هذه الأجسام قد وجدت فى أوضاع مفزعة مخيفة مما يدل على أن هؤلاء الرجال والنساء قد لاقوا حتفهم فى وقت واحد . وهؤلاء الموتى ضحايا قرابتهم للمتوفى . وقد سمى هذه العادة الأستاذ « ريزنر » دفن « ساتى » . حيث يقول[١] : « إنه على حسب كل ما وصل إلينا من معلومات لا توجد إلا عادة واحدة على حسبها تذهب كل الأسرة أو جزء منها إلى عالم الآخرة مع رئيسهم ، وهذه هى العادة المسماة « ساتى » التى تستعمل كثيراً ، ولكنها معروفة معرفة جديدة عند الهنود باسم

(١) راجع Kerma, I, p. 69

« ساتى » أو «سوتى» و بمقتضاها تلقى نساء الرجل المتوفى أنفسهن (أو يلقين) فى النار التى يحرق فيها المتوفى ، ومثل هذه العادة تفسر لنا تماماً ما نجده من حقائق فى مقابر « كرمه » إلخ » ، والواقع أن هذا النوع من الدفن يقابل ما كان متبعا فى عصور ما قبل التاريخ عند دفن الملوك أو الأفراد من الأسرة المالكة فى « سومر » ببلدة « أور » ، وكذلك فى أفريقيا نجد هذه العادة ، وذلك أنه عند موت رئيس كانت زوجه أو بعض أقاربه يدفنون معه طوعا أو على كره منهم ، فكانوا بذلك يضحون بأنفسهم من أجله أو يدفنون معه أحياء . وهذه العادة متبعة حتى الآن ، ولا يوجد من يحيد عنها[1] إلا النادر ، والظاهر أن أصل هذا المدفن الكومى الشكل هو أن يقام أولا السور المصنوع من الحجر ثم يبنى بعد ذلك البناء المصنوع من اللبنات وكان يضطجع فى حجرة دفن الأمير أقرباؤه الأدنون ، وكانوا فى هذه الحالة يدفنون أحياء ، وفى خارج هذه الحجرة كان يدفن الخدم والأتباع فى الدهليز الطويل الممتد بقطر المؤسسة ثم يهال عليهم التراب حيث كانوا ينامون فى أوضاع محزنة مفزعة ، أما الماشية التى كانت تقدم قربانا فى خلال حفل الدفن ، وبخاصة الثيران ، فكانت تدفن فى الجهة الجنوبية من المقبرة ، وبعد ذلك كانت تملأ الطرق المجاورة بالرمال والحصى بما يبلغ سمكه حوالى خمسين سنتيمترا ثم يغطى ذلك بطبقة من اللبنات التى تعلوها طبقة من الملاط وفوق ذلك توضع طبقة رفيعة من الحصى ، وكان يقام فوق هذا المدفن الذى على شكل كومة لوحة مخروطية الشكل توضع فى وسطه وهى مصنوعة من حجر الكوارتسيت ، ومن المحتمل أنه كان يوضع فوقها القربان .

وبعد ذلك كان يقام فى صلب هذه الكومة فى خلال عدة أجيال مقابر ثانوية كانت تحفر فى الحصى حتى طبقة الطين أو أعمق من ذلك . وكان يوضع صاحب القبر غالباً مع زوجه على سرير ويلف كل منهما فى جلد حيوان ، وهنا كذلك نجد فرداً أو وحد

(١) راجع Kerma, 72

أفراد مدفونين على الأرض مباشرة ، ومن المحتمل أنهم أقارب صاحب المقبرة أو خدمه ، وهؤلاء كانوا بمثابة قربان له كالخرفان التى كانت تدفن معه قربانا .

هذا وتقدم لنا الأشياء التى كانت توضع مع المتوفى فى قبره لاستعماله اليومى فى عالم الآخرة فى « كرمه » لمحة عن ثقافة بلاد النوبة العليا فى العهد النوبى المتوسط . والواقع أن هذه الثقافة تنسب إلى العهد النيوليتى المتأخر مثل ثقافة مجموعة C ؛ ففى حين نجد أن جزءاً من محتويات القبر قد صنع فى نفس بلاد النوبة العليا بدون شك ، فإنه قد عثر على قطع أخرى من أثاث القبر قد تأثرت كثيراً فى صنعها بالطابع المصرى حتى أنه كان فى كثير من الأحيان يصعب على الإنسان أن يميز بين الأشياء الموردة من مصر والأشياء المصنوعة محليا ، ومن المحتمل أنها كانت من صنع مصريين هاجروا إلى بلاد السودان واستوطنوها ، ويميل غالباً إلى هذا الرأى الأخير الأستاذ « ريزنر » .

ومعظم الأشياء التى وجدت فى هذه القبور مصنوعة من الفخار وبخاصة الأباريق والطسوت وأطباق الأكل والشرب والزيوت والمسوح وهى مصنوعة فى مصانع فخار يدوى ؛ ويقول « ريزنر » إن أشكال الأوانى التى وجدت فى « كرمه » تؤلف مجموعة منقطعة النظير فى كل من مصر وبلاد النوبة فنجد حوالى ١٥٫٥ ٪ من الأوانى التى ذكرت من أصل مصرى فى حين نجد أن ٨٫٥ ٪ قد صنع من الفخار الخشن المصنوع باليد ، وهو من مادة نوبية لا شك فيها ويشبه كثيراً أشكال فخار مجموعة ثقافة C فى بلاد النوبة السفلى ، أما الستة والسبعون فى المائة الباقية فهى أوان جميلة الصنع عدا بعض كئوس بسيطة لا يمكن وجودها فى كل من مصر وبلاد النوبة . وهذه الأوانى الجميلة الصنع هى خليط نوبى بها أجزاء سوداء ولكنها صنعت بعجلة الفخار بمهارة وبحسن اختيار للشكل لا مثيل له فى الفخار النوبى بقدر ما وصلت اليه معلوماتنا . ويقول « ستيندورف » إن « ريزنر » ميز ثمانية عشر نوعاً مختلفا من الأوانى الفخارية قسمها ثلاثة أقسام :

١ — أوان وطنية .

٢ — أوان مصرية أو متحضرة .

٣ — أوان وطنية خشنة الصنع .

فالمجموعة الأولى تحتوى على ٧٩½ ٪ من مجموع الأوانى التى عثر عليها فى هذه الجهة . ويظن « ريزنر » أنها عملت على حسب الصناعة المصرية على عجلة صانع الفخار ، ومن المحتمل أن ذلك كان على نسق فخار مجلوب من مصر حيث نجد من الفخار القديم الفخار الأحمر المصقول والأوانى ذات الحافة السوداء . وكذلك نجد أن أشكال وخواص هذه الأوانى التى توحى بأنها كانت مخصصة للشرب على جانب عظيم من الجمال ، ومن هذه بوجه خاص الأوانى والأقداح الرشيقة المنظر . ويتبع هذه الأوانى الأكواب الرشيقة الشكل والأباريق ذات الحافة الجميلة والأقداح ذات البزابيز والأباريق التى تشبه أباريق الشاى . كل هذه قد وجدت فى مصانع « كرمه » ، ولكن أصولها منقولة من مصر إلى بلاد النوبة السفلى ، وقد عثر عليها فى مقابر هذه الجهات التى أقيمت على شكل قعب (مستديره) ، ومن الفخار الخاص بعهد « كرمه » القعب الطويل الأسود والطويل ذو الجدار العمودى المسنن ولدينا مثال من ذلك[١] .

والمجموعة الثانية تحتوى على ١١,٥ ٪ من مجموع فخار « كرمه » وهى من حيث الشكل والمادة والصناعة موحدة مع أوان مصرية معروفة أو على الأقل قريبة الاتصال بها وهى كما قلنا من قبل إما مجلوبة من مصر أو عملت تقليداً لأوان مصرية .

أما المجموعة الثالثة فتحتوى على ٨,٥ ٪ من مجموع فخار « كرمه » وكلها صناعة محلية وتشتمل مثل أوانى مجموعة ثقافة C ، على أوان فخارية ساذجة الصنع[٢] ، وهذه

(١) راجع Kerma, II, p. 378, Fig. 260. Pl. 70. 3 ; 72.1

(٢) راجع Aniba, I, Gattung IV, p. 91 *ff.*

الأوانى رخيصة وفقيرة فى صنعها ، وكانت تستعمل فى وادى النيل النوبى للأعمال اليومية المعتادة فى المنازل ومن الجائز أن النساء كنّ يصنعنها بأيديهنّ .

ولدينا كذلك من الصناعات الوطنية النوبية[1] بوجه خاص الأثاث المصنوع من النجارة الدقيقة كالأسرة والكراسى والمخدات والتوابيت ، وقد صنع كثير من هذه الأشياء وفق نماذج مصرية ، يضاف إلى ذلك الأشياء المصنوعة من الجلد منها الأحزمة والمبدعات الجميلة للسيدات العذارى ، والأحذية ، وأغطية وأربطة للأسرة والكراسى والشبابيك وعلاقات للأوانى الفخارية .

أما المصنوعات المعدنية فنجد أن الصائغ كان يصوغ أدوات الزينة الجميلة التى وجد منها الكثير ونخص بالذكر الأساور والأقراط وقطع الحلى الأخرى والنحاس الذى كانت مادته فى نفس البلاد ، فكان يصنع منه أنواع الآلات مثل السكاكين والموسيات . ولا نعلم تمام العلم إذا كانت الخناجر العدة وهى السلاح الوحيد الذى وجد فى كل المقابر النوبية فى هذه الجهة من المحاصيل المحلية أو جلبت من مصر كما يظن ذلك « ستيندورف »[2] .

وتمتاز مصنوعات « كرمه » بما تنتجه من الزخارف المصنوعة من الميكا . وهذه المادة قد وجدت فى مصر منذ عصر ما قبل التاريخ[3] . وقد وجدت مرايا من الميكا من العهد العتيق فى بلاد النوبة[4] .

وأهم ما يلفت النظر فى استعمال هذه المادة فى « كرمه » هو استعمالها زينة فى صنع القبعات[5] المصنوعة من الجلد التى خيط فيها قطع من هذه المادة[6] ذات

---

(١) راجع Kerma, II, p. 7 ff.

(٢) راجع Aniba, I, p. 114

(٣) راجع Flinders Petrie, Prehistoric Egypt, p. 44

(٤) راجع Firth, Arch. Survey of Nubia, IV-V, pp. 272—280

(٥) راجع Lucas, An. Eg. Mat. p. 22

(٦) راجع Reisner, Kerma, II, Pls. 57—60

أشكال مختلفة تمثل الزراف والطيور والأزهار الصغيرة وأشكالا هندسية أخرى منوعة ، ويجد مثل هذه الأشكال مصنوعة من سن الفيل فى صور حيوانات مثل الثعلب والنعام والصقور مطعمة فى خشب الأسرة[١] . ولا نزاع فى أن جزءاً عظيما من الخرز والتعاويذ التى وجدت فى هذه الجهة هى من شغل « كرمه » ، وكذلك لابد أن نعلم أن الكثير منها قد أحضره معه صناع من مصر إلى بلاد النوبة .

ومن الأشياء التى جلبت من مصر على ما يظهر الأوانى المصنوعة من الفخار المطلى ؛ وقد وجد منها قطع عديدة[٢] ويرى الأستاذ « ينكر »[٣] أن صناعاً مصريين كانوا يديرون المصانع التى تصنع الأوانى الخزفية المطلية التى توجد على مقربة من « دفوفة كرمه » . غير أن « ستيندورف » لا يعتقد فى ذلك ويظن أن هذه الأشياء قد أحضرت من مصر ، وكذلك التماثيل التى عثر عليها فى « كرمه » فانها أحضرت من مصر ويظن « ينكر » أنها قد صنعت فى « كرمه » وقام بعملها صناع مصريون .

هذا وبلسينا فضلا عن ذلك جزء من القواعد المصنوعة من الخزف المطلى ، والتطعيم والخرز والتعاويذ والأشكال المطلية وغير ذلك قد صنعت فى مصانع نوبية وطنية . وقد بقى من كل ذلك آثار تدل على وجود مصنع فى هذه الجهة[٤] .

هذا ويدل ما وجد فى المقابر من الأشياء الكمالية التى عملت فى أشكال مصرية كالمرايا والآلات المصنوعة من النحاس وحقاق الزيت المصنوعة من المرمر وغير ذلك على أنها من أصل مصرى وأن الصناع المصريين قد أتوا إلى بلاد النوبة العليا وزاولوا صناعاتهم فيها .

وإذا ألقينا نظرة عاملة إلى مجموع ما عرفناه عن ثقافة « كرمه » حتى الآن أمكننا أن نقرر بحق أن الثقافة قد تأثرت تأثراً عظيما بالثقافة الافريقية أكثر من الأثر

(١) راجع Reisner, Kerma, II, Pls. 54—56

(٢) راجع Kerma, II, Taf 45—47

(٣) راجع Griffith, Studies, p. 303 *f.*

(٤) راجع Kerma, II, p. 135

الذى نجده فى أختها ثقافة مجموعة C التى ظهرت فى بلاد النوبة السفلى . حقاً ان كلا من حملة هاتين الثقافتين بينهما رابطة جنسية تربطهما بعضهما ببعض ، هذا فضلا عن أن كلا من الفريقين كان يفلح الأرض ويرعى الماشية ، كما نجد كذلك تشابها بينهما من حيث الملبس وبخاصة الأحزمة المزينة بالخرز ، وكذلك من جهة المحاصيل اليدوية فهى مشاعة بينهما ، ومن جهة أخرى نجد فروقاً ضخمة وبخاصة فى مؤسسات المقابر التى تتشابه جميعا فى الظاهر ، إذ نجدها كلها على هيئة كومة مستديرة ، وكذلك تختلف فى عادة الدفن إذ نجد العادة فى « كرمه » أن يدفن مع الرئيس عدد عظيم من الناس المذبوحين ومعهم أدوات زينة خاصة ، ولكن فى ثقافة مجموعة C كان صاحب المقبرة يدفن وحده .

ويلاحظ أنه لم توجد قطع فنية كالتماثيل وغيرها من الصناعة النوبية الوطنية بل كادت تكون معدومة فى « كرمه » ، هذا إذا غضضنا الطرف عن بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الحجر المطلى فى « كرمه »(١) مثل الأسود والثعابين والكباش والصقور.

أما فى مجموعة ثقافة C فلدينا جم غفير من التماثيل الصغيرة للرجال والحيوان(٢) .

أما الصور التى فى المناظر فنجد فى « كرمه » (خلافا لبعض الرسوم التى نجدها على الجص فى مزارين(٣) وهى التى نلحظ فيها على ما يظهر التأثير المصرى) أحيانا صورا ضخمة مطعمة بسن الفيل والميكا والخشب والجلد ، ولدينا فى مجموعة C صور أخرى مختلفة عن السابقة من حيث الأسلوب اختلافا تاما رسمت على أوانى من الفخار ، صوراً محفورة لرجال وحيوانات وهى تذكرنا بالصور التى كانت ترسم على جدران الأوانى المصرية فى عصر ما قبل التاريخ أو الصور التى رسمت على جدران « هيراكنبوليس » (الكاب) . يضاف إلى ذلك بعض الاختلافات فى الملبس

(١) راجع Kerma, II, p. 51, Pl. 37

(٢) راجع Aniba, I, p. 116 *ff.*

(٣) راجع Kerma, I, Pl. 19

إذ نجد فى « كرمه » القوم يلبسون القبعة المصنوعة من الجلد والمزينة بقطع من الميكا عليها صور مختلفة . هذا ولا نجد فى « كرمه » ما نجده من خواص عصر ثقافة C المتأخر ، وأعنى بذلك الأقراط وأسورة السواعد المصنوعة من أصداف البحر [١] ، وكذلك نجد هذه الاختلافات فى كثير من المحاصيل الهامة من الصناعات اليدوية .

ومما سبق نجد أن لدينا ثقافتين منفصلة إحداهما عن الأخرى انفصالا بينا ، ففى بلاد النوبة السفلى لدينا ثقافة مجموعة C وفى بلاد النوبة العليا لدينا ثقافة « كرمه » . وكلاهما ينسب إلى عصر النحاس المتأخر ، وهما متفرعتان من الثقافة الإفريقية . وقد انفصل بعضهما عن بعض فى العصور الأولى ونمت كل منهما على حدة ، وبقيت كل منهما فيما بعد لا تؤثر على الأخرى كما يقول « ستيندورف » ، ولكن الأستاذ « ينكر » يقول إن ثقافة مجموعة C قد تأثرت تأثراً عظيما بثقافة « كرمه [٢] » وقد ظهر ذلك جليا فى المزارات المبنية باللبنات فى مقابر مجموعة ثقافة C فإنها مأخوذة عن ثقافة « كرمه » .

وخلاصة القول أن مجموعة الأشياء التى أنتجتها حفائر « كرمه » تؤلف مجموعة أثرية لها علاقة ظاهرة جلية من جهة بمجموعة الدولة الوسطى المصرية ، ومن جهة أخرى لها علاقة أقل ارتباطا بمجموعة بلاد النوبة الأثرية التى من نفس العهد ، غير أن مجموعة ثقافة « كرمه » فى حد ذاتها تعد نسيج وحدها . فالصبغة الخاصة بالمحاصيل الفنية والصناعية التى وجدت فى المقابر تفسر بطبيعة الحال وبكل بساطة صبغة الموقع الجغرافى الذى يسكن فيه القوم . والواقع أن هذا المكان كان يعد مستعمرة تجارية مسلحة أسسها فرعون مصر لتحافظ على سلامة الطرق الجنوبية ، وكانت فى الأصل تحتوى على أهل بيت أول نائب ملك وموظفيه ويحتمل أنه كان الأمير « زفاى حعبى » حاكم « أسيوط [٣] » . وجماعة حاشية بيت « زفاى حعبى » هذا كانت تتألف من طائفة

(١) راجع Kerma, I, p. 48

(٢) راجع Junker, Toschke, p. 10

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٢٧ الخ

. . .

من الموظفين قائمين بأنفسهم ويشملون عمالا وصناعا كافين لسدّ الحاجات الضرورية اللازمة لمثل هذا المجتمع كما كانت الحال فى حاشية بيت صاحب الاقطاع العظيم فى مصر فى تلك الفترة . والواقع أن الصناع المصريين الذين كانوا قد جلبوا إلى تلك الجهة كان المفروض فيهم أنهم عمال مدربون مهرة وأنهم قد أبعدوا عن المواد الأولية التى كانوا ينتجون صناعاتهم منها ، ولذلك كانوا يبحثون بكل ما لديهم من عزم عن المواد التى كانت لازمة لصناعاتهم فى موطنهم الجديد ، ولابد أنهم قد بحثوا عن المواد والطرق ومنتجات العمال المحليين تمهيداً للبدء فى عملهم . ولا نزاع فى أن الصناعات المحلية كانت بطبيعة الحال بدائية جداً بالنسبة لما كان يوجد فى مصر ، ولكن لابد أن الفخار ذا القمة السوداء والفخار الأحمر المصقول وهما اللذان يؤلفان أهمّ صفة للمجموعة الفخارية الأثرية النوبية ، قد احتل مكانه فى الذوق المصرى ، ويظهر أنه قد ترك أثراً فى أعمال المصريين هناك أكثر من أى عنصر آخر من عناصر الصناعات المحلية المجاورة . والواقع أن الصناع المصريين الذين استوطنوا هذه الجهة قد أخذوا هذه الصناعة المحلية واستعملوا فى صنعها عجلة صنع الفخار ، هذا بالاضافة إلى المهارة المصرية ، ومن ذلك أوجدوا مجموعة من الفخار لامثيل لها فى العهود القديمة قبل استعمال الاغريق العجينة اللطيفة فى صناعة الفخار . وكذلك قد أخذ المصريون عن أهل هذه الجهات حرفة أخرى أو حرفتين وأعنى بذلك صناعة الجلود والتطعيم بحجر الميكا ، غير أن هاتين الصناعتين لم تتقدما تقدما يذكر إذا استثنينا تطبيق الأشكال المصرية فى الحليات التى عملت من الميكا . وعلى الرغم من أن الصناعات المصرية كانت متمسكة بكل قوة بالتقاليد المصرية فأنها قد تأثرت بالمواد الجديدة التى كان يستعملها العمال المصريون . هذا بالاضافة إلى الالتزامات الجديدة التى كانت تتطلبها البيئة الجديدة ، وهذه الالتزامات الجديدة كانت ترجع أولا إلى إدخال عادات دفن جديدة مثل وضع المتوفى على سرير ، وثانيا أحوال الجو الجديدة كعمل صهاريج ماء وأوان للشرب وأحذية ، وثالثا حاجيات التجارة الجنوبية ، وبخاصة الخرز المطلى وغيره مما كان يحتاج إليه أهل هذه الجهة .

المستودع التجارى الذى أقيم فى «كرمه»

تحدثنا فيما سبق عن جبانات «كرمه» وعن الأشياء التى عثر عليها فى مقابرها مما وضع أمامنا صورة عن الثقافة التى كانت سائدة فى هذا العهد .

والآن نتحدث عن المستودع التجارى الذى وجد فى هذه الجهة ويقع على مسافة كيلومترين من شاطئ النيل وعلى مسيرة خمسة كيلو مترات من «جزيرة أرقو» ويتألف من مبنى فى صورة مستطيل مقام باللبنات وقد أقيم فى الجهة الشرقية مبنى آخر بنى بنفس الطريقة ويعد فى الواقع امتدادا للمبنى السابق فى حين أنه يوجد فى الجهة الغربية من هذا المبنى مجموعة مبان مركبة أقيمت أمام الجهة التى فيها المدخل العام .

وتدل شواهد الأحوال على أن المبنى الأصلى قد بنى على حسب مقاييس الأبعاد المصرية فطوله يبلغ ٥٢,٥ مترا وهو ما يساوى مائة ذراع مصرى وعرضه ٢٦,٧ مترا وهو ما يساوى خمسين ذراعا مصريا ، يضاف إلى ذلك أن صناعة اللبنات التى بنى بها تختلف عن اللبنات المصرية العادية . ويلحظ فى هذه المبانى أنه قد استعملت كتل من الخشب فى صلب المبانى لتقويتها ، هذا إلى أن مقاس اللبنات وتنظيمها فى الجدران يتفق مع ما هو معروف فى المبانى المصرية فى هذا العهد .

وكان ارتفاع هذا المبنى ١٩,٣ مترا عند الكشف عنه . والدور العلوى الذى كان مخصصا للسكن والمؤن قد هدم ، وكذلك المبنى الإضافى الذى فى الجهة الشرقية فقد كان ارتفاعه مثل ارتفاع المبنى الأصلى ، ولم يبق منه إلا الجزء السفلى (انظر الشكل رقم ١) .

ويدل ما عثر عليه فى هذا المبنى من مواد غفل وأوان مثل السلات والأوعية المصنوعة من الفخار الكبيرة العدد المختومة ، على أن هذه المؤسسة كانت مركزاً تجاريا

هاما وقد يكون خلو المبنى الرئيسى من طوابع أختام كالتى وجدت فى الحجرتين الثالثة والرابعة من المبنى الغربى جاء من طريق الصدفة ، ومع ذلك فإن الدكتور « ريزنر » يؤكد أن الحجرتين الأولى والثانية (ا ، ب) وهما اللتان يفتح بابهما إلى خارج المبنى: هما متجران لا مكانان للسكن ، ومع ذلك يمكن أن نعدّ الحجرة الأولى مقصورة للعبادة إذ أنها بما تحتويه من عمد فى وسطها تشبه المقصورتين أو المزارين رقم ٢ و رقم ١١ اللتين عثر عليهما فى هذه الجبانة الشاسعة[١] .

ومن البدهى أن المبنى الرئيسى قبل زيادة أية إضافة فيه كان يعدّ نوعا من الحصون أو مستودعا تجارياً محصنا تخزن فيه السلع ، وكان يسكن فيه المصريون الذين كانوا يشتغلون فى التجارة مع أهالى الجنوب ، وذلك لحماية أنفسهم من غارات السطو والنهب التى كانت تتعرض لها مثل هذه الأماكن الغنية بما فيها من مواد ثمينة . ويستنبط من موقع هذه المؤسسة فى الوادى أنها كانت لأول وهلة تشبه حصون بلاد النوبة السفلى التى تقع فى الوديان . غير أن الأخيرة كانت تقع فى أسفل النهر الذى كان يسيطر المصرى هناك عليه ، يضاف إلى ذلك أن عدم انتظام تصميم هذه المؤسسة جعلها تشبه حصن ميناء نهرى ، غير أن الأحوال فى السودان تختلف اختلافا تاما فقد رأينا على حسب ما جاء فى لوحة الحدود التى أقامها « سنوسرت الثالث » تجارة نهرية وطنية ، كما رأينا فضلا عن ذلك أن المصرى لم يكن فى مقدوره قط أن يسيطر على النهر سيطرة تامة ، إذ كان مضطرا أحياناً أن يوجه حملات بأسطوله جنوبى «سمنه» على أعدائه المغيرين . ومن أجل ذلك لم يكن هذا المخزن مقاماً أسفل النهر ، ولذلك كان وضعه فى الأرض المكشوفة رهنا بالوضع الذى يكون فيه بيوت السكان ، ومن ثم كان لابد من انتخاب نقطة قوية يمكن حمايتها من كل جانب . وهذه الحصون تشبه فى الواقع الحصون الجبلية التى كانت تقام عند «الشلال الثانى» ، فكان يقام طوار ضخم تحت الحصن وبذلك كان ينال هذا الحصن نفس الميزة

---

(١) راجع Kerma, I, Pl. XI

التى يتمتع بها الحصن الجبلى . والواقع أن المبنى الأساسى فى « كرمه » كان يشبه حصناً جبلياً مقاماً على جبل صناعى . وكان فى مقدور مثل هذا البناء الضخم أن يقاوم أكثر من السور الذى يقام حول الميناء النهرية فى بلاد النوبة السفلى .

ويقول الأستاذ « ينكر »(١) إنه استناداً إلى براهين مقنعة نفهم أن هذه المؤسسة لا يمكن أن تكون حصناً مصرياً يستطيع به المصريون أن يسيطروا على الأراضى التى حوله ويبتزون المحاصيل التى يحتاجون إليها بمثابة جزية ، وذلك لأن حجم هذا المبنى الصغير نسبياً ، إذا فرضنا أنه حصن ، لا يتسع لأكثر من خمسين إلى مائة رجل ، يضاف إلى ذلك أن انفرادها تماماً يؤكد عدم صلاحيتها لأن تكون حصناً . حقاً نعرف أنه فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد كانت توجد حاميات عربية صغيرة فى داخل أفريقيا يمكن بوضعها أن تسيطر على بقعة كبيرة من الأرض ، ولكن الفضل فى إمكان قيامها بمثل هذه الوظيفة يرجع إلى حسن تسليح رجالها بالأسلحة النارية الحديثة . وعلى العكس تدل الآثار المكشوفة فى جبانات القوم من الوطنيين فى « كرمه » على أنهم كانوا قوماً مسالمين يتبادلون التجارة بين مصر وبلاد السودان كما سنرى بعد .

وكذلك نجد فى المبنى الشرقى لهذه المؤسسة نفس التصميم الذى قام عليه البناء الأصلى إذ بوساطة المسطح الذى يشتمله الطابق العلوى يمكن توسيع إمكانية الدفاع عند الهجوم وذلك لأنه كان فى الإمكان وضع حامية كبيرة عليه .

أما البابان الخاصان بالحجرتين (ا و ب) وهما اللذان يظهر أنهما لا علاقة لهما مباشرة بالدور العلوى فإنهما لا يؤثران بأية حال على نظام الدفاع لأن الرماية من الشرفات التى فوق الباب تهيئ للرامى مكاناً فسيحاً أكثر مما يتصور . أما مجموعة المبانى المقامة فى الجهة الغربية للمؤسسة وهى التى تتألف من عدة حجرات فإنها تؤدى على العكس

(١) راجع Tell el-Yahudiya Vasen p. 99

بمـا فيها من زوايا ميتة إلى ضعف بين فى نظام الدفاع وعلى ذلك تكون فى تصميمها مضادة لتصميم البناء الأصلى ، ومن ثم فإنه يلوح أن هذه المجموعة قد أنشئت فى وقت كانت فيه الأحوال هادئة موطدة الأركان ، والعناية بشئون الدفاع الفنى لم يكن لهـا الاعتبار الأول عند إقامتها ، يضاف إلى ذلك أن الأرض المكشوفة التى تحيط بهذه المؤسسة وما جاورها من المبانى لم تكن بأية حال من الأحوال محاطة بسور حام لهـا .

وعلى الرغم من أن التاريخ النسبي للأجزاء المختلفة لهذه المؤسسة قد عرف على وجه التقريب ، وأن البناء الشرقى أقدم من الجزء الرئيسى من المجموعة التى فى الغرب ، فإن التاريخ المؤكد للبناء كله لم يمكن الوصول اليه بعد .

وقد وجدت تحت المبنى الأصلى جدران أقدم منه كما وجدت بعض أجزاء مبان فى مجموعة من المبانى الغربية أقدم من المبنى القديم وقد نسب الأستاذ « ريزنر » هذه المبانى إلى الدولة القديمة وحدّد ذلك ببعض آثار وجدت هناك بأنهـا من الأسرة السادسة . وقد وصف لنا « ريزنر » حالة الطبقات والأساس لهذا المكان فيما يأتى :

« وكما ذكرنا فيما سبق كانت توجد ثلاث طبقات من الردم أولا طبقة علوية من الردم الخشن مؤلفة بوجه خاص من آجر مفتت ، وثانيا طبقة من الردم الدقيق المفكك تملأ الجدران ، وثالثاً بقايا ردم قديم متماسك كان تحت الأرضية يرجع إلى عهود مختلفة . ففى الردم الخشن لم توجد آثار تقريبا إلا بعض قطع من الفخار بعضها داخل فى تركيب اللبنات . وقد وجد فى الردم المفكك معظم الأشياء التى استخرجت من هذه البقعة . وهذا الردم معظمه أتربة جلبتها الرياح ولبنات متحللة من عصور مختلفة جدا . ففى الحجرات التى تقع شمـال العقد لم توجد إلا قطع من الفخار أو من أوانى الفخار المطلى بالقاشانى[1] . هذا إلى أشياء أخرى ليس لهـا أهمية فاصلة . ووجد جنوب عقد المبنى فى الردم الذى كان فى الجدران القديمة سلسلة من القطع

(١) راجع Kerma, I, Fig, 4, No. 1. p. 27

الأثرية على جانب عظيم من الأهمية ، أهمها قطع كثيرة من المرمر الخاصة بالعطور ذات الشكل الأسطوانى وهى التى كانت شائعة الانتشار فى الدولة القديمة ، ووجد منها منقوشا على أقل تقدير خمس وعشرون آنية مختلفة باسم الملك « بيبى الأول » ، ولكن أسماء الملوك « رع نفركا » (بيبى الثانى) و « امنمحات الأول » و « سنوسرت الأول » ذكر كل منهم مرة واحدة . وكذلك اسم الملك « مرنرع » ذكر على قطعة من نفس طراز الأوانى التى وجدت فى المبنى رقم ٢ (KII) . وهذه القطع بوجه خاص فى الحجرة (H5) ، ولكن وجدت كذلك فى الحجرة (X 1-3) . وهذه الأشياء كانت على ما يظهر مما لدينا من أدلة قد أودعت هنا مع الردم قبل إقامة « الدفوفة » . وكانت موجودة تحت سفح السلم الخارجى للعقد فى أسفل . وكانت بلا نزاع تحت المستوى الذى تتطلبه رقعتا الحجرتين (H,X) . ومن الممكن إذاً أن تكون قد ألقيت مع أشياء أخرى فى أثناء حفر جدران « الدفوفة » ، فإذا كان هذا الفرض صحيحا — وإنى أعتقد بصحته — فإن امتداد زمن القطع المؤرخة يدل على أن « الدفوفة » كانت قد أقيمت بعد بداية حكم « سنوسرت الأول » ، ودفنت فيما بعد فى جبانة « زفاى حعبى » (KIII) ، وعلى ذلك يمكن أن تكون المدة التى مكثها البناء القديم على هذا الموقع تمتد من عهد « بيبى الأول » حتى عهد « سنوسرت الأول » .

ولكن مما يؤسف له أن الأستاذ « ريزنر » لم يقدم لنا أى صورة تخطيطية عن هذه الطبقات والجدران التى تحدث لنا عنها مما جعل التاريخ النسبى للأجزاء المختلفة لهذا البناء لا يمكن ضبطه ، كما ترك لنا حالة الأساس غير ظاهرة بالنسبة لقطع المرمر . وقد دل البحث على أن وجود قطع المرمر السالفة الذكر لا يمكن اتخاذها معيارا لوجود مبان قديمة من عهد الدولة القديمة (1) .

وعلى ذلك فإن ما وجد من آثار فى عهد الدولة القديمة فى « إكرمه » وما وجد

(1) راجع Save-Soderbergh, Ibid., pp. 107-108

من مخازن عهد الدولة الوسطى لا بد أن يبقى موضع الشك إذا كان لنا الحق فى أن نسلم بأنه وجد فى عهد الدولة القديمة مستودع تجارى فى « كرمه » . على أنه من الممكن بدون شك أن تكون هذه الأوانى قد جلبت أولا فى عهد الدولة الوسطى إلى « كرمه » ، مما يدل على أن استعمال الأوانى القديمة كان مستعملا فى الجنوب كما كان مستعملا فى شمال الوادى (١) ، فنجد مثلا فى مخزن الأوانى الذى وجد فى هرم « زوسر » أوانى من الحجر من عهد الأسرتين الأولى والثانية (٢) .

وكذلك وجدت آنية من الحجر فى مخزن من عهد الأسرة الثامنة عشرة فى « تل العمارنة » (٣) . وفضلا عن ذلك وجد فى « كريت » وكذلك فى بلاد اليونان نفسها أوان من الحجر مصرية الصنع ، وبخاصة فى المقابر الكريتية — أقدم بكثير من عهد استعمالها فى هذه الجهات — ولا بد أنها على الأرجح قد أحضرت من مصر قبل زمن استعمالها .

ومن الممكن أن تكون هذه الأوانى المصنوعة من المرمر التى أتى بها إلى « كرمه » قد جلبت فى زمن كان استعمالها فى مصر قد انقضى ولم تكن من جهة نقوشها من حيث الاستعمال أو بوصفها أوانى جنازية ذات ميزة خاصة . وقد وصلت بوساطة تبادل التجارة مع أهالى الجنوب لتستعمل هناك . وقد عثر « ريزنر » على قطع مؤرخة بعهد الدولة القديمة فى المزار أو المقصورة رقم ٢ الخاصة بجبانة الأهالى فى « كرمه » .

وعلى أية حال فإن التاريخ الأصلى لإقامة المستودع التجارى السالف الذكر غير مؤكد ، غير أنها على ما يظهر ترجع إلى عهد بداية الأسرة الثانية عشرة . ولا ينبغى أن نبنى السبب فى ذلك على قطع المرمر التى وجدناها فى « الدفوفة » باسمى

---

(١) راجع Reisner, A.Z., 52 p. 34 *ff.*

(٢) راجع Firth, The Step Pyramid (1936) p. 120-123, 136 f. Pl. 88 *ff.*; 105

(٣) راجع Pendlebury, Aegyptiaca (Cambridge, 1930), p. 3 Note 6

الملك « امنمحات الأول » و « سنوسرت الأول » بل يحتمل أن نضم إلى ذلك مائدة القربان التى وجدت باسم الملك « سنوسرت الأول » فى « جزيرة أرقو » . وهذه المائدة قد وجدت مبنية فى بيت فى هذه الجزيرة وهى موجودة الآن فى متحف المديرية فى « مروى » . ويقول « ريزنر » إن هذا الأثر يحتمل أنه أتى من « كرمه » أو « كاوا » ولكن فى الغالب من « جزيرة أرقو »[1] . هذا وقد وجد فضلا عن ذلك فى مقبرة « زفاى حعبى » (KIII) تمثال هذا الأمير بالحجم الطبعى وكذلك تمثال زوجه ، ويدل وجود لوحة فى مقصورة « كرمه » رقم ٢ (KII) باسم « انتف » على احتمال إقامة مؤسسة فى عهد « امنمحات الأول » أو « امنمحات الثانى » .

وتدل القطع الأثرية الأخرى المؤرخة التى وجدت فى المستودع التجارى (مثل طوابع الأختام التى وجدت فى المبنى الشرقى من هذه المؤسسة) بوجه التأكيد على استمرار وجود هذا المستودع حتى عهد الهكسوس . فنجد فضلا عن طوابع أختام عديدة ذات طراز خاص بهذا العصر أسماء الملوك الآتية :

(١) ابن رع « أبيبى » (= « أبو فيس ») .
(٢) ابن رع « ششى » .
(٣) الآله الطيب « ماعت أب رع » .
(٤) الآله الطيب (؟) « سخعن رع » .
(٥) الزوجة الملكية العظيمة صاحبة التاج الأبيض « إنى » .

فبينما نجد أن الملكة « أنى » يرجع عهدها على الأرجح إلى الأسرة الثالثة عشرة إذ نجد أن الملوك الآخرين الذين عددنا أسماءهم هنا جميعا يرجع تاريخهم الى عهد الهكسوس ، ولاشك فى أن ذلك كان حوالى العهد الذى قوى فيه نفوذ الهكسوس فى الوجه القبلى ولم تكن معارضة الأسرة السابعة عشرة وسالفتها قد بدأت بعد[2] . —

(١) كما يزعم « ريزنر » راجع Kerma, II, p. 545

(٢) راجع Save-Soderbergh, Ibid , p. 109

وتدل شواهد الأحوال على أن مؤسسة «كرمه» (المستودع) قد امتد زمنها حتى بداية الدولة الحديثة إلى أن خربها حريق ، ويحتمل أن ذلك كان فى عهد الاضطرابات فى نهاية عهد الهكسوس فى وقت لم يكن المصريون فى مركز يؤهلهم للتجارة مع الجنوب .

وقد وجدت جبانات ضخمة بالقرب من هذه المؤسسة وهى كما ذكرنا من قبل تقع على مسافة ثلاثة كيلو مترات شرقى مستودع التجارة وتشمل عدة مقابر مستديرة على هيئة تل بعضها كبير والآخر صغير كما تحتوى على مزارين مستطيلى الشكل وهما «كرمه» رقم (١) و «كرمه» رقم (٢) (KI, KII) وحجرات هذين المزارين مزينة بالرسوم وبالأعمدة المقامة فى وسطها .

ولا نزاع فى أن هذه الأكوام المستديرة الشكل هى مقابر السكان الأصليين ؛ غير أن ما وجد فيها من كتابات لا يمكن به معرفة أسماء أصحابها . وقد برهن الأستاذ «يُنكر»[1] على أنها مقابر الأهالى كما اعترف بذلك «ريزنر» .

وقد تحدثنا من قبل عن هذه المدينة ولكن يجب أن نلحظ هنا أن ما وجد فيها هو فى أساسه وطنى غير أنه تأثر تأثراً عظيماً بالثقافة المصرية . ويدل ما فى هذه الجبانات الضخمة من الانتاج الصناعى القومى وبخاصة الخناجر ذات الشكل الخاص على أن أصحابها كانوا قوماً محاربين .

وقد رتب «ريزنر» الجبانات العظيمة التى فى منطقة «كرمه» ترتيباً تاريخياً نسبياً فوضعها على حسب قدمها بالترتيب التالى : ٣ و ٤ و ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ ، وإذا كان هذا الترتيب صحيحاً كما يدعى فإن هناك أسباباً تدعو للتشكك فيه ، وذلك لأنه اتخذ أساساً لاستنباطه آثاراً تحوم حول تاريخها الشكوك . وسنورد فيما يلى النقوش التى استند إليها «ريزنر» فى تحديد تواريخ هذه الجبانات وما جاء عنها من اعتراضات : فاستمع

---

(١) راجع Kubanieh Nord, p. 19 *ff.*; Tell-el-Yahudiya-Vasen, p. 95 *ff.* Steindorff Aniba, I, 12; Kees, Ibid., p. 348, Scharff in OLZ. 29, 89 *ff*

لما يقول[١] : « لقد عانيت صعوبات كبيرة فى وضع ترتيب تاريخى لهذه الأكوام العظيمة على أسس أثرية وذلك لأن الأشياء المكتوبة كان معظمها فى حالة تمزق ، ووجدت كلها فى الردم وليست فى أماكنها الأصلية » ثم يستطرد فيقول إنه « لايشك فى أن هذه النقوش بسبب ما قدمه من براهين فى الفصول الخاصة بقطع النحت وبالمبانى المنفصلة والجبانات الكومية الشكل قد وجدت تقريبا فى الأماكن التى تنوه عن وجودها فيها . والنقوش التى وجد فيها إشارة عن تاريخها هى كما يأتى :

(١) تمثالان بالحجم الطبعى للأمير « زفاى حعبى » وقد وجدا فى الجبانة رقم ٣ والتمثال الأخير يرجح أنه وجد فى مكانه الأصلى تقريبا . وقد عرف « زفاى حعبى » من ألقابه ومن اسمى زوجه وأمه والدعاء للآله « أنوبيس » رب « أسيوط » ونفس « زفاى حعبى » الذى يوجد قبره فى « أسيوط » قد وجد اسمه فى النقوش التى سجلها الأستاذ « جرفث »[٢] ونجد فى قبره هذا الذى لم يكن قد تم اسما « سنوسرت الأول » على جدرانها و « زفاى حعبى » يقدم أمامها الخضوع . ولا شك فى أن « زفاى حعبى » كان عائشاً فى عهد « سنوسرت الأول » (١٩٨٠ — ١٩٣٥ ق.م) وتدل شواهد الأحوال على أن نقوش القبر الذى فى « أسيوط » قد نقشت فوق نقوش أخرى أى أنها لم تكن خاصة بالتصميم الأول لتزيين القبر بل بالتصميم الثانى وهو الذى يحتمل أنه قد نفذ كله أو بعضه على يد كاهن الروح للأمير « زفاى حعبى » بعد موته . وليس من السهل لدينا أن نفسر أهمية الاسم الملكى من حيث التاريخ . إذ من الجائز أن الاسم الملكى قد وضع على الجدار بوصفه المنعم المعظم على « زفاى حعبى » حتى ولو بعد موت « سنوسرت الأول » . ومع ذلك فإنه على الرغم من ذلك لا يزال من الحقائق الثابتة أن « زفاى حعبى » كان من أتباع « سنوسرت الأول » . وقد اعتبر هذا الملك بأنه سيده العظيم . هذا وقد يشير إلى تعيين « زفاى حعبى » نائبا

---

(١) راجع Kerma, I, p. 94 *ff.*

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٧٧ الخ .

للملك فى بلاد أثيوبيا (كوش) ومن الجائز أن هذا الاعتراف بالجميل قد يرجع سببه إلى خطوات أخرى نالها فى مصر ، وأن التعيين فى السودان كان المقصود منه النفى من البلاط وأن الذى أمر بها هو « امنمحات الثانى » . فإذا فرضنا أن تعيين « زفاى حعبى » حاكما « لكوش » قد تم فى عهد « سنوسرت الأول » فإن الفرصة المواتية كانت بعد الحملة التأديبية التى وقعت حوالى عام ١٩٦٢ ق . م . وأن الغرض من إرسال حامية مستديمة مع « زفاى حعبى » فى « كرمه » كان المقصود بها إخماد أى ثورة أخرى كما حدث من قبل ، وإذا كان « زفاى حعبى » قد بدأ مجال حياته فى « كرمه » عام ١٩٦٠ ق . م . وتمتع بمدة ولاية مثل التى كان يتمتع بها نواب الملوك فى الأسرة الثامنة عشرة فيحتمل أنه قد مات حوالى عامى ١٩٤٠ — ١٩٣٠ ق . م . أما إذا كان قد عين فى عهد « امنمحات الثانى » فان أقدم تاريخ لذلك يكون حوالى عام ١٩٣٥ ق . م ومن المحتمل أن يكون قد حكم فى « كرمه » حتى حوالى عام ١٩٠٠ ق . م . أو إذا كانت حياته طويلة فوق العادة فيكون قد حكم حتى عام ١٨٨٠ ق . م . وهكذا يظهر لى أن السنتين ١٩٤٠ ق . م و ١٨٨٠ ق . م . هما الطرفان الممكنان لموت « زفاى حعبى » . والظاهر أنه فى زمن ما فى خلال الستين سنة هذه أقيمت الجبانة الكومية الشكل فى « كرمه رقم ٣ » ولا بد أن المقصورة « كرمه رقم ٢ » كانت قد بنيت » .

هذا ما قاله « ريزنر » عن مقبرة « كرمه رقم ٣ » التى يدعى أن « زفاى حعبى » قد دفن فيها ، غير أن هناك اعتراضات على ذلك يظهر منها أن « زفاى حعبى » لم يدفن فى هذا القبر إذ قد وجد فى هذه المقبرة غير تمثاله وتمثال زوجه تماثيل أخرى لموظفين آخرين يحملون أسماء وألقابا عالية من بينهم واحد يلقب أعظم العشرة[1] للوجه القبلى وآخر يدعى « كن »[2] ويلقب المشرف على حملة الأختام ، ولدينا ثالث يحمل لقب حامل الخاتم الملكى والمشرف العظيم والمشرف على حملة الأختام « أمينى »[3] . ومن المحتمل

---

(١) راجع Kerma, II, p. 525, Statuette No. 48 Inscr. No. 49 comp. Kerma I, 85, No. 49

(٢) راجع Kerma, II, p. 525, Statuette No. 60

(٣) راجع Kerma, II, p. 525, Statuette No. 55 Inscr. No. 47

أنه كان يتمتع بنفس المرتبة التى كان يتمتع بها « زفاى حعبى » الذى لم يكن يحمل فى « كرمه » لقب المشرف العظيم للوجه القبلى . وليس من المرجح أن هذا الموظف قد اشترك فى إقامة هذه الجبانة مع « زفاى حعبى » فان ذلك يكون لو سلمنا بأن حاكم مقاطعة « الكاب » الذى يدعى « سبكنخت » قد دفن فى قبر ثانوى فى جبانة « كرمه رقم ٣ » لأنه وجد هناك آنية من المرمر باسمه(١) . وهذه التماثيل لا تمدنا إلا بتاريخ العهد الذى عملت فيه . أما المدة التى بين الدفن فى جبانة « كرمه رقم ٣ » وفى جبانة « كرمه رقم ١٠ ب » ، وبين إقامة هذه التماثيل فإنه لا يمكن معرفتها على وجه التأكيد إذ من الجائز أن أحد الأهالى قد استعمل تماثيل قديمة لا تمثله ولا تحمل نفس اسمه .

وإنه لمن الصعب أن نضع فاصلا بين ما هو تابع للدفن الرئيسى وهو ما تؤرخ به الجبانة ، وبين ما هو تابع للدفن الثانوى الذى عمل فيما بعد ، وذلك لأن محتويات الجبانة قد قلبت رأسا على عقب . ولكن عندما نسب « ريزنر » الجعارين التى وجدت فى الدهليز الرئيسى لهذه الجبانة (11-63) ، (11-87) للدفنة الرئيسية نتج عن ذلك أن هذه الجبانة قد أصبحت تؤرخ بعصر متأخر عن بداية الدولة المتوسطة ، هذا إذا كانت نسبة هذه الجعارين لهذه الجبانة صحيحة ، وذلك لأنه من شكل النقوش يظهر أن الجعران (11-63) من عهد الهكسوس ، وكذلك نلحظ أن الجعران الثانى (11-87) يدل شكله على أنه من عهد بعد الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك نجد أنها ممثلة فى طوابع الأختام التى وجدت فى « كرمه » للبنى رقم (١) كما وجدت فى الدفنات الثانوية فى جبانة كرمه رقم (٣) ، ونجدها كذلك على ظاهر جعارين مصورة بأشكال كثيرة (راجع 11-74,11-81,11-86,11-89) . وكل هذه الرسوم لا يمكن أن تنسب إلا إلى العهد الذى بعد الأسرة الثانية عشرة .

وكذلك الحال فى الجبانة رقم (٤) « بكرمه » يلحظ أن الجعارين التى وجدت

---

(١) راجع Kerma, I, p. 182

مع الأجسام فى الدهليز الرئيسى وبخاصة الجعران(53-11) لاتكاد تتفق مع استنباط « ريزنر » بالنسبة لتاريخها فقد وضع هذا الجعران الأخير فى عهد « امنمحات الرابع » .

وعلى أية حال نرى أن « ريزنر » قد استنبط من الآثار التى عثر عليها فى جبانة « كرمه رقم ٣ » (التى دل ما وجد فيها على أنها من طراز يرجع إلى أزمان متأخرة) أنها من عهد أوائل الدولة الوسطى وهذا يناقض ما كشف فيها من آثار ، وعلى ذلك يمكن القول أن جبانة « كرمه رقم ٣ » لا يمكن أن تكون مقبرة « زفاى حعبى » . وهذا يوافق رأى « سيف زودربرج » .

وإذا كانت هذه الآثار والطرز التى نشاهدها فى جبانة كرمه رقم ٣ لايمكن أن تؤرخ بعهد أوائل الأسرة الثانية عشرة فإن وجودها فى هذا المكان لابد أن ينسب إلى ما بعد الأسرة الثانية عشرة أو على الأقل إلى نهاية هذه الأسرة . وفضلا عن ذلك وجد فى دهليز جبانة « كرمه رقم ٣ » قضيب سحرى مصنوع من سن الفيل كتب عليه النقش التالى « الأم الملكية أنخ » . ومن المحتمل أنها كانت فى الأصل فى الدفنة الرئيسية . ونحن من جانبنا نعلم بوجود الأم الملكية التى تدعى « أنخ » على بعض الجعارين ، وقد قال عنها « نيوبرى » إنها من العهد المتوسط الثانى[1] وهذا التأريخ يتفق مع تاريخ الجعارين التى وجدت فى الدهليز الرئيسى لمقبرة « كرمه رقم ٣ » .

أما الغطاء الذى عثر عليه فى جبانة « كرمه رقم ٣ » وهو الذى نقش عليه الاسم الحورى للملك « امنمحات الثالث » ، فتدل كل الاستعمالات المتبعة على أن أصله من مبنى « كرمه رقم ٥ »[2] . هذا فضلا عن أن هذا الغطاء لا يمكن أن يعد ضمن أثاث جبانة « كرمه رقم ٣ » .

---

(١) راجع Kerma, I, 85, II, p. 522

(٢) راجع Reisner, Kerma, II, p. 521

ومن ثم نلحظ أن هناك أشياء كثيرة ترجح الرأى القائل إن جبانة « كرمه رقم ٣ » وجبانة « كرمه رقم ٤ » لا بد أن تؤرخا بعهد غير العهد الذى اقترحه « ريزنر » . ومن ذلك تكون التماثيل التى وجدت للأمير «زفاى حعبى» وزوجه قد استعملت مرة ثانية فى هذه الجبانة فيما بعد . والآن يتساءل الانسان عما إذا كان « زفاى حعبى» والموظفون الآخرون الذين جاء ذكرهم فى النقوش فى جبانة « كرمه رقم ٣ » كانوا فعلا يقومون بأعمال إدارية فى « كرمه » . فعلى حسب رأى « ريزنر » نفهم أن كل التماثيل التى وجدت فى « كرمه » مصنوعة من أحجار محلية ، غير أن هذا الرأى يرتكز فقط على أن الأحجار التى استعملت للحفر موجودة فى هذه الجهة أى أنها أحجار محلية ، غير أن المكان الذى استخرجت منه هذه الأحجار سيظل غير مؤكد لدينا إذ ليس من الثابت لدينا أن نوع الحجر الذى نحن بصدده لم يكن مستعملا فى مصر وأنه لا يوجد إلا فى « كرمه » .

وإذا كانت التماثيل الصغيرة والكبيرة قد نقلت إلى « كرمه » بوساطة التجارة أو غير ذلك فإن الأشخاص الذين تمثلهم لا يقدمون لنا بدهياً أية صورة عن طائفة الموظفين فى هذه الجهة . أما التماثيل الصغيرة فإنها على العكس من التماثيل الكبيرة الحجم يمكن حملها ونقلها بسهولة .

وتشمل النقوش عدا لوحة « انتف » التى عثر عليها فى مبنى « كرمه رقم ٢ » صيغة جنازية وألقاباً بعضها لا يدل على شئ ، وبعضها له اتصال بعلاقات مصرية داخلية مباشرة . هذا ونجد أن لقب « الرئيس العظيم للجنوب » الذى يحمله « زفاى حعبى » لا يكاد يعادل لقب حاكم ، ولكنه من المؤكد يحمل نفس المعنى الذى نجده فى لقبه « المشرف على الوجه القبلى » وهو اللقب الذى نجده فى نقوشه التى تركها لنا فى مقبرته « بأسيوط » . يضاف إلى ذلك أننا لانجد فى نقوش « أسيوط » هذه ما يدل على أن « زفاى حعبى » كان يعمل خارج بلاد مصر أى فى بلاد « كوش » .

(٢) ينتقل بعد ذلك « ريزنر » إلى التحدث عن لوحة « انتف » فيقول :
« وجدت لوحة الأمير الوراثى والمشرف على الخاتم « انتف » مهشمة ثلاث قطع متقاربة فى الردم أمام مقصورة « كرمه رقم ٢ » . وقد أرخت بالسنة الثالثة والثلاثين من عهد « امنمحات الثالث » (١٨١٦ ق . م) وهى تذكار لإصلاح مبنى يدعى « سنبت » أى أن تاريخها ما بين ٦٥و١٢٥ سنة بعد موت «زفاى حعبى» . والظاهر من النقش الذى تركه لنا « انتف » أنه قد أرسل إلى « كرمه » فى حملة موفقة ، ولكنه يفتخر بأنه قد أرسل بسبب امتيازه لتوسيع حدود الملك وما أوتى من كفاية ، وليس فى مقدورى أن أعرف لماذا أرسل إلى هذا المكان إذا كان هناك فعلا حاكم فى « كرمه» فلا يتصور أن يرسل إلى هذه الجهة عظيم لمجرد إصلاح مبنى يحتاج الى عدد قليل من آلاف اللبنات والتفسير الوحيد المقبول فى هذا الصدد على ما يظهر لى هو أن « انتف » كان قد أرسل لإدارة هذا القطر ، وإن هذه اللوحة هى عبارة عن سجل قصير لعمل من الأعمال ، وقد نصبت فى هذا المكان حيث نفذ هذا العمل ، وإنى أعتقد إذاً أن « انتف » كان أحد نواب الملك العاملين فى « كرمه » وكان يقوم بعمله فى العام الثالث والثلاثين من حكم « امنمحات الثالث » ما بين ١٨١٦ ق . م . وبين ١٨٨٠ ق . م . وهو آخر تاريخ ممكن لعهد ولاية « زفاى حعبى » وهى مدة قدرها أربع وستون سنة ، ولا بد أن نفرض لهذه المدة حاكما لم يكن مدفونا فى« كرمه» أما من جهة « أنتف » نفسه فانه على الرغم من تحديد تاريخ لعهده فى « كرمه » فإن هذه الحادثة يمكن أن تكون قد حدثت بين عامى ١٨١٦ و ١٧٥٠ ق . م . وإن كان من المحتمل أن التأريخ الأخير مبالغ فيه بعض الشئ . والنقش يقدم لنا نقطة أخرى فى اسم المؤسسة « انبو امنمحات (جدار امنمحات) صادق القول » ، وذلك أن هذا المكان قد سمى باسم فرد يدعى «امنمحات» كان قد مات ، وعلى ذلك فإنه ليس « امنمحات الثالث » الذى عمل فى عهده النقش لأن النقش على الأرجح جداً بطبيعة الحال كان ينسب إلى « امنمحات الأول » ، وعلى ذلك فإن تأسيس هذه النقطة العسكرية فى « كرمه » لابد أن ينسب إلى عهده . وقد أخضع « امنمحات الأول »

ثورة كوشية فى عام ١٩٧١ ق . م . غير أن ابنه « سنوسرت الأول » كان مضطراً لإخماد ثورة أخرى فى عام ١٩٦٢ ق . م . أى بعد تسع سنوات من الثورة الأولى . وكان المركز الإدارى المحصن الذى تمثله « الدفوفه الغربية » قد أقيم إما فى نهاية عهد « سنوسرت الأول » أو فى أوائل عهد « امنمحات الثانى » وكانت الجبانة العظيمة التى تعد المركز الهـام لدفن المجتمع هناك قد بدئت على قدر ما يمكن معرفته الآن بالأمير « زفاى حعبى » عند نهاية حكم « سنوسرت الأول » تقريبا أو فى عهد « امنمحات الثانى » . والظاهر أن المؤسسة « انبو امنمحات » إذا كانت قد أسست فى عهد « امنمحات الأول » لم تكن فى عهده إلا بمثابة نقطة تجارة كما كانت عليه فى عهد « ببى الثانى » ، ولذلك فإن اسم « جدار امنمحات » يظهر ضخما أكثر من اللازم إلا إذا كان هناك جدار شاسع محيط كان قد هدم تمـاما ، وعلى ذلك لا يمكن حل هذه المسألة بمـا لدينا من مادة محفوظة كشف عنها ، فالجبانة كما وجدناها لا يرجع تاريخها إلى أكثر من عهد « سنوسرت الأول » وعلى ذلك فإنه لا بد أن نفكر فى المقترح القائل بأن اسم « انبو أمنمحات » يشير إلى « أمنمحات الثانى » ، وأن « زفاى حعبى » قد أرسله الملك إلى « كرمه » وأنه هو المؤسس لحامية « كرمه » وهذا المقترح إذا كان صحيحا فإنه يجعل موت « زفاى حعبى » حوالى عام ١٨٨٠ ق . م . أكثر من التاريخ الذى حدد لموته فيما سبق ، هذا ما علق به الأستاذ « ريزنر » على لوحة « انتف » والآن يجب علينا قبل مناقشة كلامه أن نضع ترجمة لهذه اللوحة فيما يلى :

« السنة الثالثة والثلاثون الشهر الأول من فصل الصيف اليوم الأول فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نى ماعت رع » بن « رع » « امنمحات (الثالث) » العائش أبديا ، قائمة اللبنات اللازمة للبنى « سنهت » الذى يقع فى « انبو امنمحات المرحوم » وهى التى استعملت بنشاط الأمير والسمير الوحيد الذى بعثه سيده لأنه كان ممتازاً — لتثبيت حدوده بمـا لديه من تصميمات ممتازة ، المشرف على الخاتم « انتف »

ابن « شم إب » عندما كان مع جنود الحدود الخاصة « بالفنتين » [١] . (عدداللبنات) ٣٥٣٠٠ (أو ٣١,٣٠٥) » .

وعلى الرغم من أن المنتظر أن ذكر جنود الحدود فى « الفنتين » وكذلك العبارة : « لأنه كان ممتازاً لتثبيت حدوده (أى الملك) » يكون مصدره نقشاً من « الفنتين » أكثر من نقش مصدره « كرمه » ، فإن شواهد الأحوال تدل على أن مصدره كان « كرمه » . ومن المحتمل أن النشاط البنائى المذكور فى هذه اللوحة كما يقول « ريزنر » قد يدل على إصلاح فى مبنى « كرمه رقم ٢ » . وكلمة « سنبت » معناها العام « جدار » ولا تعنى أية محطة معينة . غير أن عدد اللبنات يتفق مع عمل إصلاح حدث فعلا فى مبنى « كرمه رقم ٢ » ، وفى الوقت نفسه فإنه يعتبر عددا ضئيلا جداً لإقامة مبنى فى « كرمه رقم ٢ » أو « كرمه رقم ١ » . ويطلق الاسم « إنبو أمنمحات المرحوم » على المستودع التجارى « بكرمه » أو على المستعمرة المرتبطة بها (أى كرمه نفسها) [٢] ، هذا إلى أن تكوين الاسم نفسه يدل على أنها قد أقيمت فى عهد ملك مبكر يدعى « امنمحات » ويحتمل أنه « أمنمحات » الأول أو الثانى ولذلك سميت باسمه . أما الأستاذ « ينكر » فيسلم [٣] بأن مبنى « كرمه رقم ٢ » وكذلك المؤسسة الكبيرة « كرمه رقم ١ » قد أقامهما « امنمحات الثالث » غير أن المتون التى لدينا لا تعضد هذا الرأى ، ومع ذلك فإنه قد يكون على حق ، وذلك لأنه من المحتمل أن « كرمه رقم ١ » المتأخرة قد أقيمت فى عهد ذلك الفرعون فى حين أن المبانى القديمة فى « الدفوفة » قد أقيمت فى بداية عهد الدولة المتوسطة . وهذا الرأى يمكن الأخذ به ما دامت المآخذ الأثرية تعوزنا . وتؤكد لنا المتون على أن الوكالة كانت تقوم بنشاط فى عهد حكم الإمبراطورية ، وهذا ما تدل عليه كل الأحوال فى عهد الدولة الوسطى .

(١) راجع Scharff in OLZ, 29, p. 96 *f*; Kees, Kulturgesch., p. 848

(٢) راجع J.E.A, Vol. 3, p. 187 note 1

(٣) راجع Tell-el-Yahudiya Vasen, p. 102

وتدل صفة هذه المؤسسة المحصنة التى تعد بمثابة مستودع تجارى لا حصن ، كما يدل ما نجده من مظاهر النعيم والرخاء فى مقابر القوم فى هذا العهد ، على أن المصرى كان يعيش هنا بوصفه تاجراً مسالما ، وأنه كان يستغل السكان الأصليين فى تجارته . ولم تنتشر المقابر المتأخرة عن عصر ثقافة « كرمه » بعد ، غير أنه من المادة التى انتشرت حتى الآن من جبانة « كرمه رقم ٣ » نعلم أن تدهورا حدث فى فن بناء المقابر الكومية الشكل وكذلك فى الصناعات اليدوية[١] .

وبازدياد الصعوبات فى العهد المتوسط الثانى من التاريخ المصرى فى وجه التجارة مع الجنوب ظهر أمامنا كذلك حالة فقر الأهلين فى « كرمه » نتيجة لذلك .

(٣) ويستمر « ريزنر » فى تعداد الآثار التى وجدت من هذا العصر فيقول : « عثر على لوحة فى هيئة خاتم فى « كرمه رقم ٤٠٥ » وهو مدفن من أهم المدافن الثلاثة فى جبانة « كرمه رقم ٤ » وهو على مايظهر أحد المدافن المبكرة فى هذه الجبانة . ويرى « ريزنر » أن العلامات الهيروغليفية التى على هذا الخاتم هى الاسم الحورى للملك « امنمحات الرابع[٢] » وهذا الخاتم كان متآكلا ويبرهن على أن الدفنة (K 405) كانت قد حفرت بعد بداية حكم « امنمحات الرابع » ، ولكن هذه المدة لا تتجاوز عشر سنين من غير شك ، وعلى ذلك يمكننا أن نضع حداً لتاريخ معقول وهو ما بين ١٨٠٠ ق . م . و ١٧٩٠ ق . م . للعهد الذى يمكن أن يكون قد توفى فيه الموظف الذى دفن فى الجبانة (KIV) . ويلاحظ أن هذا التاريخ يفتح أمامنا إمكانية أن « أنتف » صاحب اللوحة الذى أصلح مبنى « كرمه رقم ٢ » قد دفن فى نفس المقبرة (KIV) . وألقاب الموظف الذى دفن فى (KIV) كما وصلت الينا من قطعة من تمثال صغير نسبته اليه هى : الأمير الوراثى والحاكم . . . » فى حين أن « أنتف » كان يلقب على اللوحة « المشرف على الخاتم » ولكن يلحظ أن اللوحة

(١) راجع Kerma, I, 95 ; II, p. 13 ff.

(٢) راجع Kerma, I, p. 100

صغيرة جداً وكان الكاتب مضطراً بمقتضى المساحة التى أمامه أن يختصر فى الألقاب ، فمن الممكن إذاً أنه كان يحمل ألقاب صاحب التمثال الصغير وغيرها . وفضلا عن ذلك يمكن أن يحمل التمثال اللقب الذى على اللوحة وألقاباً أخرى هشمت . وأخيراً يمكن أن نضيف هنا أن « أنتف » قد أتى إلى « كرمه » إما فى سنة ١٨١٦ ق . م . أو قبلها وهو يحمل لقب « المشرف على الخاتم » ومن الممكن أنه كان قد أحرز ألقاباً أخرى بين هذا الوقت والتاريخ الذى دفن فيه إذا كان فعلا قد دفن فى هذه الجبانة » .

والواقع أن قراءة الاسم الحورى بوصفه للملك « امنمحات الرابع » فيه شك وبخاصة أن هذا الخاتم لا يحمل على ظهره الإطار العادى والرسم الذى على ظاهر الخاتم على أنه من عهد متأخر[1] وعلى ذلك فإن كل مقترحات الأستاذ « ريزنر » تتلاشى من حيث التأريخ بهذا الخاتم .

(٤) ثم يقول « ريزنر » : «عثر على تمثال صغير لملك يدعى « سخم رع خوتا وى » فى دهليز التضحية للمقبرة (KXB) فى الردم فى غربى حجرة الدفن الرئيسية ، وكذلك عثر على قطع من تمثال أصغر بكثير من السابق وعلى تمثال الملك «سنوسرت الثالث» على سطح الردم على الجانب الجنوبى للمقبرة الكومية » . وتوحيد هذا التمثال بالملك « سنوسرت الثالث » يتوقف على سطر من النقوش جاء فيه : الإله الطيب « خع . . . رع » وعلى رأس تمثال يظهر من ملامحه أنه «لسنوسرت الثالث» كما يدل على ذلك تماثيله فى مصر ويظهر لى ذلك مؤكدا . والعلاقات بين قطع هذا التمثال الصغير والدفنة الرئيسية ليست واضحة . ولكن يمكن أن تعتبر هذه مثل القطع التى وجدت فى المقبرتين رقم ٣ و ٤ فى « كرمه» وعلى ذلك فإنى أنسبها بالإضافة إلى تمثال «سخم رع خوتا وى» للدفنة الرئيسية فى الجبانة (K.X.) . وعلى حسب ورقة «تورين» يعتبر «سخم رع خوتا وى» الملك الخامس عشر فى الأسرة الثالثة عشرة ، وعلى حسب تاريخ هذه الأسرة العام يكون حكمه حوالى عام ١٧٣٠ ق . م تقريبا ، وعلى وجه التقريب يكون قد حكم بعد

(١) راجع Kerma II, pl. 40 and 41 No II, 59

«سنوسرت الثالث» بقرن . ولما كان تمثاله قدوضع فى حجرة الدفن الرئيسية للمقبرة (K.X.) فإن الرجل الذى دفن هناك لا يمكن أن يكون قد مات قبل حكم «سخم رع خوتا وى» .

(٥) ويقول « ريزنر »[1] إنه عثر فى المقبرة (KXVI) فى ردم حجرة الدفن الرئيسية على قطع كبيرة من إناء قربان كبير مصنوع من المرمر نقش على جزء منها نهاية اسم ملكى « مس » كما عثر على تمثال صغير من الخشب له لباس رأس ملكى وصل ، هذا إلى قطع من تمثالين « لشخصين عاديين » .

وقد قرأ « ريزنر » اسم هذا الملك على أنه « زديومس » غير أن هذه القراءة فيها شك كبير لأن علامة «مس» فيه مهشمة تماما[2] .

ومما سبق نفهم أنه كان يوجد فى جهة « كرمه » مستعمرة مصرية قد يجوز أنها ترجع إلى عهد الدولة القديمة ، غير أن قيامها الفعلى كان فى عهد الدولة المتوسطة ، وكان الغرض منها قبل كل شئ التجارة بين بلاد «كوش» ومصر ، وتدل شواهد الأحوال على أن هذه التجارة كانت تقوم على مبادئ السلام والمهادنة . والواقع أنه ليس لدينا أية مصادر حتى الآن تدلنا على قيام مشاريع حربية أو على نشوب مواقع مع الأهالى جنوب « سمنه » ، ومن ثم نعرف أن بلاد النوبة السفلى كان يحتلها المصريون احتلالا عسكريا ، وأن الأهالى هناك عندما كانوا لا يسامون الخسف يخضعون تماما سياسيا لمصر . ولكن من جهة أخرى نجد أن العلاقات بين منطقة « كرمه» ومصر كان قوامها تبادل التجارة السلمى ، وعلى ذلك فإن الصعوبات التى كانت تعترض التجارة المصرية فى الجنوب وهى التى انتهى أمرها بسقوط المستودع الذى كان فى « كرمه » لم يكن سببها يرجع إلى الأحوال فى « كرمه » بل إلى الأحوال فى مصر نفسها وفى بلاد النوبة السفلى التى كانت تربط الجهتين إحداهما بالأخرى . إذ فى تلك الفترة أخذت مصر فى التدهور الذى انتهى بسقوط الدولة الوسطى ثم احتلال الهكسوس للبلاد لمدة طويلة كما سنرى بعد .

---

(١) راجع Ibid, p. 101

(٢) راجع Save, Ibid, p. 111

العصر المتوسط النوبي الثالث

(عصر الهكسوس)

يبتدئ العصر المتوسط النوبي الثالث بالأسرة الثالثة عشرة وهو عصر نهوض جديد ثم انحطاط تدريجي لمجموعة ثقافة C .

والأماكن التي وجدت فيها آثار تمثل هذا العصر غير الجبانات التي ذكرناها فيما قبل هي جبانة الشلال رقم ٧ [١] وجبانة « مريس – فرص » ٤١/٥٠٠ [٢] وجبانة « جنارى » ٥٨/١٠٠ [٣] وجبانة « الدكة » رقم ٩٤ [٤] وجبانة « كوبان » رقم ١١٠ [٥] وجبانة « السياله » رقم ١٣٥ [٦] وجبانة « قوته غرب » رقم ١١٨ [٧] وجبانة « العلاقى غرب » رقم ١١٣ [٨] هذا بالاضافة إلى ماكشف عنه « ينكر » من مقابر فى الكوبانية الشمالية وأرمنا وتوشكى .

ويلفت النظر أن الدفن فى هذه الجبانات يشبه الدفن فى العصر النوبي المتوسط الثانى ويلاحظ كثيراً أنه كانت تقام مزارات من اللبنات فى الشرق أو فى الجهة الشمالية من البناء العلوى [٩] . وفضلا عن ذلك يوجد بناء علوى عظيم ضخم مستدير مسقف بقبة وله مزار من اللبنات مقام على حافة الجبانة . وتقام غالبا المقابر على رمل عال يكون

(١) راجع .Reisner, Ibid, p. 52 ff

(٢) راجع .Reisner, Ibid, p. 224 ff

(٣) راجع .Firth, I, p. 55 ff وكذلك راجع Toschke, p. 13

(٤) راجع ,Firth, II, p. 105 ff و Toschke, p. 12

(٥) راجع Firth III, p. 51

(٦) راجع .Firth III, p. 198 ff

(٧) راجع .Firth III, p. 143 ff

(٨) راجع .Firth III, p. 125 ff

(٩) راجع .Steindorff, Aniba I, p. 32 ff

فى العادة فوق مبان قديمة . ووضع الجثة المقرفصة فى هذه المقابر لا يتبع قاعدة معينة كما كانت الحال فى العهد المتوسط الثانى النوبى ؛ فنجد بجانب الوضع القديم الذى كانت توضع فيه الجثة متجهة من الشرق إلى الغرب الوضع من الشمال إلى الجنوب . وتوضع الجثة على السرير على الجانب الأيسر ، ويلاحظ أن الركبة ليست مطوية تماما بل مطوية بعض الشئ . وغالبا ما يوجد بجانب الجثة حيوانات (ضأن وماعز) مدفونة . وفى كثير من الجبانات توجد قرون منصوبة ملونة باللون الأحمر فى الجانب الخارجى للمبنى العلوى .

أما القربات التى كانت تدفن مع المتوفى فى هذا العهد فكانت تشتمل على أوان عدة من الفخار توضع فى حفرة المتوفى (وأحيانا كان يوضع بعضها خارجها) أو كانت تحفظ فى المقصورة . وقد بقى كثير من الأشكال القديمة التى كانت تستعمل فى مقابر العهد المتوسط الثانى فى مقابر العصر الذى نحن بصدده ، غير أن صناعتها قد انحطت والأشكال الجديدة التى ظهرت فى هذه المقابر هى أوعية عميقة الغور ذات اللون الأحمر المصقول أو ذات اللون الأحمر والحافة السوداء ، وكذلك من التى على ظاهرها أشكال تخطيطية محفورة[1] . هذا إلى صحاف محزوزة مكونة من نماذج ملونة ، وقواعد أوان وأباريق على هيئة الزنبق وأطباق ذات أفواه من فخار « كرمه » الجميل .

وأهم مايلاحظ فى أدوات الزينة التى وجدت مع المتوفى أساور المعصم التى نظمت فى صفوف على هيئة مستطيلات رقيقة من الألواح الصغيرة المؤلفة من الأصداف .

العصر النوبى الرابع الذى يقابل نهاية عصر الهكسوس وبداية الأسرة الثامنة عشرة :

ومجموعة مقابر هذا العصر تشمل المقابر المستديرة أو القعبية وهى التى توجد فى الجزء الجنوبى من الوجه القبلى وتمتد شمالا حتى « أسيوط » . وهذه المقابر لها علاقة وثيقة

---

(١) راجع .Firth II, p. 18, fig. I, classes: XI, XII, pl. 32 b. 1—3 and 35 c, d; comp. Toschke II, 14.

بمقابر العصر النوبى الثالث ، غير أنها تقدم لنا مع ذلك خواص كثيرة لها مما يجعلها مميزة عن الأخيرة تماما بوصفها وحدة منفصلة دخيلة . ولا يمكن أن نحكم على وجه التأكيد عن المكان الذى أتى منه القوم الذين دفنوا فى هذه المقابر المستديرة الشكل ، فمن المحتمل أنهم نوبيون مهاجرون مثل البرابرة الذين يقومون بالخدمة فى البيوتات المصرية الكبيرة الآن لعدم وجود أسباب العيش فى بلادهم الأصلية ، فكانوا يرحلون إلى مصر حيث يجدون العيش الرغد والدخل الكبير بالنسبة لبلادهم . وقد يظن الإنسان أن هؤلاء المهاجرين هم جنود مرتزقة وذلك بسبب وجود بعض الأسلحة معهم وأنهم قد وفدوا إلى مصر فى عهد الهكسوس ليقوموا بخدمة ملوك الوجه القبلى فى عهد الأسرة السابعة عشرة وأقاموا لأنفسهم مستعمرات هناك . والواقع أن الأثرى « ويتريت » قد وصف القوم الذين دفنوا فى هذه المقابر المستديرة الشكل بأنهم قوم غلاظ الطبع وبطبيعة الحال محاربون[1] .

ولم نعثر على وجه التأكيد فى تربة بلاد النوبة على جبانات تحتوى على مقابر مستديرة الشكل ، وقد نسب خطأ الأستاذ « ويجول » فى وقت لم تكن الثقافة النوبية القديمة معروفة (١٩٠٦م — ١٩٠٧م) الثقافة القصبية الشكل إلى ثقافة مجموعة C . يضاف إلى ذلك أن الجبانة النوبية رقم ٧ فى « الشلال » والجبانة رقم ١١٠ فى « كوبان » والجبانة رقم ١١٣ فى « العلاق » لا يزال ينسبها « دينكر »[2] إلى ثقافة المقابر القصبية الشكل ، وقد كان أول من وضع الأمور فى نصابها الأثرى « فرث » عندما نسبها بحق إلى ثقافة مجموعة C المتأخرة ، وبذلك قد سقطت كل مقترحات « ينكر » عن أصل وعلاقة المقابر القصبية الشكل بثقافة « كرمه » الوطنية فى « دنقلة » . فيلحظ لأول وهلة أنه من مميزات الأخيرة ، أى ثقافة « كرمه » ، أن مدافنها على شكل كومة كبيرة كما تمتاز زخرفتها بالميكا ، هذا إلى أن التطعيم بسن الفيل نجده معدوما تماما فى ودائع

---

(١) راجع Balabish, p. 6

(٢) راجع Kubanieh Nord, p. 30

المقابر القعبية كما أنه غريب عن ثقافة مجموعة C . وعندما نجد المقابر القعبية تقدم لنا أشياء كثيرة لا توجد فى معظم مقابر العصر المتوسط النوبى الثالث فإنه يكون من السهل علينا أن نفسر أن الثقافة النوبية بوجه عام ليست من تربة مصرية وأن الأشياء التى أمكن الإنسان أن يحصل عليها هى للقوم الذين ضربوا فى الأرض نحو الشمال وبذلك كان لزاما عليهم أن يستبدلوا غيرها بها .

وأهم الأماكن التى وجدت فيها آثار هؤلاء القوم فى مصر هى « هو » و « عبادية »[1] و« ريفه » بالقرب من « أسيوط »[2] « والبلابييش » الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل قبالة « العرابة »[3] و « البدارى »[4] .

ومقابر هذا العهد مستديرة ومنبسطة واتجاهها من الجنوب إلى الشمال ولا يعلوها بناء آخر ، وقد وجد مع المتوفى أحيانا فى جبانات منفردة (كما هى الحال فى جبانات العصر النوبى الثالث) قرون نهايتها حمراء والجثة المقرفصة قد وضعت فى القبر مضطجعة على الجانب الأيمن والوجه متجه نحو الغرب .

الأثاث الذى كان يوضع مع المتوفى[5] :

وجدت بين الأوانى الفخارية التى كانت توضع مع المتوفى فى حفرة الدفن غير الأوانى النوبية المعروفة أشكال جديدة وزخارف ، وأباريق لها بزابيز وصحون من أوانى « كرمه » . أما أدوات الزينة فقد عثر منها على محار حلزونى استعمل فى نظم قلائد وأسوار معصم مؤلفة من لوحات من الأصداف كما كان ذلك محبوبا فى العهد النوبى المتوسط الثالث ، وفى هذا العهد كثرت كذلك الخناجر المصنوعة من النحاس .

---

(١) راجع Petrie, Diospolis Parva, 45, pls. 35—36, 38—40

(٢) راجع Giza and Rifeh 20/21, pls, 25 and 26

(٣) راجع Balabish, 8 ff, pls. 2—15

(٤) راجع Qau-Badari III, p. 5 pl. X

(٥) راجع Wainwright, Balabish, p. 17

حكم الهكسوس فى مصر والسودان

تحدثنا فى الجزء الرابع من مصر القديمة (ص ٥٤ — ١٩٨) عن الهكسوس وحكمهم فى مصر وما جلبوه من مدنية إلى وادى النيل غير أن البحوث الحديثة قد غيرت بعض النظريات الخاصة بهم ولذلك آثرنا أن نتحدث عن هؤلاء القوم هنا مقدمين آخر ما وصلت اليه الكشوف الحديثة وبخاصة البحث الذى وضعه الأستاذ « سيف زودربرج »[1] وإن كان كثير من آرائه لا يعتمد عليه لأنه مجرد نظريات ، إلى أن له فضلا عن ذلك فى بعض الأحيان منحى خاصاً فى النظر إلى المصريين القدامى على أنه لم يأت بشئ جديد مؤكد أكثر مما ذكرناه فى مقالنا السابق عن الهكسوس اللهم إلا أشياء طفيفة فى العلاقات الخارجية .

مقدمة[2] :

كانت مصر فى الأسرة الثانية عشرة أقوى دولة فى الشرق الأدنى أى فى خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد فكانت تسيطر على بلاد النوبة السفلى جيوش مصرية فى حين أنه فى بلاد النوبة العليا أى بلاد « كوش » كانت الوكالات أو المستودعات المصرية فى « كرمه » مزدهرة نامية فكانت مصر تجلب من هذه البلاد الجنوبية الذهب والسلع الأخرى الثمينة بكميات ضخمة ، وقد نجم عن كل من المكانة السياسية والتجارية التى احتلتها مصر فى هذه الأصقاع أن أخذت مصر تلعب دوراً خطيراً كذلك فى الشمال ، أى فى آسيا ، ولا أدل على ذلك من أن ملوك « ببلوص » (جبيل) فى سوريا كانوا على ما يظهر من أتباع الفرعون ، فقد كانوا يستعملون شارة يلبسونها من صنع مصرى ومن الجائز أنهم كانوا يعطرون عند تتويجهم بالمسوح من أوان تحمل اسم ملك مصرى[3] . ومن المحتمل أن بعض المدن السورية الأخرى مثل « رأس

---

(١) راجع J.E.A. vol. 37, p. 53

(٢) سنذكر هنا ما قاله « سيف زودربرج » واعتراضاتنا عليه .

(٣) راجع Montet, Byblos et L'Egypte, pls. 88 ff, 95 ff

شمرة » (« أوجاريت ») كانت تابعة لمصر سياسياً[1] ، وبعد سقوط الأسرة الثانية عشرة (١٧٧٥ ق . م .) مرت على البلاد فترة تقرب من جيل من الزمن كانت وحدة مصر فى خلالها قد تمزقت ، ولكن فى تلك الفترة كان يحكم البلاد عدة ملوك مؤقتين يعاصر بعضهم بعضاً[2] ، وعلى أية حال لم تلبث أن قامت مصر من عثرتها واسترجعت وحدتها السياسية وقوتها ، وهذا الضعف العارض الذى طرأ على مصر لم يغير من مكانتها السياسية فى الشرق الأدنى . وفى عهد ملوك الأسرة الثالثة عشرة وبخاصة فى حكم الملك « نفرحتب » وأخيه « سبكحتب » (١٧٦٠ — ١٧٥٠ ق.م) كانت الأحوال فى مصر فى غالبيتها كما كانت عليه فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، فقد وحدت مصر نفسها ثانية ، وفى بلاد النوبة السفلى دلت ظواهر الأحوال على أن كثيراً من المقابر الغنية الواقعة بالقرب من البلاد المحصنة تؤرخ بهذا العهد نفسه ، وفى « كرمه » الواقعة فى السودان تدل مدنية الأهالى على مقدار عظيم من الثراء الناتج عن التجارة مع مصر كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

وعلى أية حال فإن البراهين الأثرية توحى ببعض الاختلاف ، فقد ازداد الفخار الأجنبى فى العدد فى المقابر المصرية ومن ثم نجد ما يسمى نخار « تل اليهودية » منتشراً من أول بلدة « كرمه » فى الجنوب حتى بلاد سوريا فى الشمال . وهذا الفخار وغيره من السلع يعد شاهداً على قيام تجارة نشطة تشغل مساحة شاسعة كان من نتائجها أنها غيرت إلى حد ما صبغة المدنية المصرية وكسرت إلى حد ما قيود اشكالها وخاصيتها التى كانت تتميز بها فى العصور التى قبل ذلك العهد .

ففى الشمال كانت علاقات مصر التجارية بمدينة « ببلوص » (جبيل) لا تزال محفوظة فقد عثر فى « ببلوص » على نقش غاية فى الأهمية نشاهد فيه ملك « ببلوص »

---

(١) راجع Schaeffer, Ugaritica, I, 20 ff.

(٢) راجع Stock, Studien zur Geschichte und Archeologie der 13 bis 17 Dynastie Aegypten, Ag. Forsch. Heft 12 Glukstadt Hamburg 1942, p. 53.

المسمى « انتن » يقدم خضوعه لاسم الملك « نفرحتب » فرعون مصر[1] ، ومن ثم نعرف أن « انتن » قد عد نفسه تابعا لملك مصر . ومن المحتمل أن « انتن » هذا موحد بملك « ببلوص » المسمى « يانتن — خامو » الذى جاء ذكره فى سجلات بلدة « مارى » الشهيرة الآن[2] ، والمتون التى كشف عنها فى « مارى » تلقى ضوءاً جديداً على تاريخ الشرق الأدنى فى منتصف القرن الثامن عشر ق . م . فملك « أشور » المسمى « شماشى أداد الأول » حكم جزءاً كبيراً من « مسوبوتاميا » العليا ولكن ابنه المسمى « اشمى — داجان » لم يكن فى مقدوره المحافظة على قوة آشور السياسية ومن ثم خلصت « مارى » نفسها من نيرها . وقد وصف لنا بوضوح مركز « مارى » السياسى فى خطاب لحاكم « مارى » المسمى « زمرى ليم » وهاك الخطاب : « انه لا يوجد ملك يعد وحده الأقوى ؛ إذ يتبع « حورابى » ملك « بابل » عشرة أو خمسة عشر ملكا . ويدين بالطاعة مثل هذا العـــدد لملك « لارسا[3] » المسمى « رم — سن » ومثل هذا العدد يتبع « إبال — بى — ايل » ملك « أشنونا » ونفس هذا العدد يتبع « آموت — بى — أيل » ملك « قطنا » . وتبع عشرون ملكا « ياريم — ليم » ملك « ياخاد[4] » . على أن هذا التوازن الدولى بين تلك الممالك الصغيرة لم يمكث طويلا ، إذ نجد أن « حورابى » ملك « بابل » قد هزم « لارسا » و « مارى » ، ومن المحتمل أنه حكم لمدة قصيرة بلاد « آشور » ، ولكن لم تلبث أن انقضت قبيلة من الجبال الشرقية على السهل ، وأهلها هم القوم الذين يسمون « الكاسيين » ، وقد وطدوا حكمهم فى الجزء الشرقى من بلاد « بابل » .

وفى « آشور » نجد قوما آخرين أجانب من الشرق يدعون الحوريين قد أصبحوا تدريجا عاملا سياسيا قويا فى بلاد النهرين . ولما كان « الكاسيون » قد ثبتوا أقدامهم

---

(١) راجع Kemi, I, p. 90 ff.; of Stock, Ibid p. 59

(٢) راجع Albright, Bull. A.S.O.R. 99, 9 ff. وتقع مارى على أعالى نهر الفرات .

(٣) تقع لارسا على الجزء الأسفل من نهر الفرات .

(٤) راجع Dossin, Syria, 19, 117 f; cf. Smith, Alalach and Chronology, p. 11.

فى « بابل » فإن هذه القوة الجديدة الفاتحة قد اتجهت نحو الجنوب وسافر أفرادها غربا فاجتاحوا « الالاخ » عاصمة « ياخاد » الواقعة فى أعالى نهر الفرات ، ومن المحتمل أن هؤلاء الجدد هم الذين اجتاحوها ، وقد شاع فى « سوريا » عدم استقرار عام يرجع سببه إلى زحف الشعوب من الشرق[1] .

والآن يتساءل الانسان ماذا حدث فى مصر فى تلك الفترة ؟ الواقع أنه بعد حكم الأخوين « نفرحتب » و « سبكحتب » أخذت الحكومة المصرية فى التدهور نحو الانحلال ، ويلحظ هنا أن قوائم الملوك المتأخرة وكذلك الآثار المعاصرة تذكر عددا كبيرا جداً من صغار الملوك الذين يجب أن يكونوا قد حكموا فى عصر واحد . والواقع أن مصر قد صارت إلى حالة تشبه الفوضى ، وبذلك كانت فاكهة ناضجة لمن أراد أن يجنيها دون كبير عناء ، وفى هذا الوقت أخذ بعض الآسيويين يتسربون إلى الدلتا ، ولم يلبثوا أن مكنوا أنفسهم فى أرجائها حكاماً محليين ، ومن المحتمل أن سبب تسرب هؤلاء الآسيويين يرجع إلى اضطراب فى بلاد سوريا ، وقد ذكرت لنا قائمة «تورين» الخاصة بملوك مصر وهى التى يرجع عهدها إلى عصر الرعامسة[2] من بين الملوك العديدين الذين لم يحكموا إلا فترة وجيزة أسماء الملوك « عا — نا — تى » (عنتى) (= عنت — حر « عنا تحر ») على جعارين معاصرة ، وببنم (Bebnem) أو ببلم (Bblm) وهذان الاسمان يدلان على أنهما مصطبغان بصبغة آسيوية ، ومن المحتمل أنهما من أمثال ملوك الأسر التى كانت تحكم فى الدلتا ، وقد حكم الملك « خع نفر . رع . سبك . حتب » وهو أخو « نفرحتب » على أقل تقدير مدة ثمانى سنوات[3] أى حوالى (١٧٤٠ — ١٧٣٠ ق . م) وعلى حسب رأى الأثرى « شتوك[4] » نجد أن أخلاف

---

(١) راجع Smith, Ibid, p. 35

(٢) راجع Turin pap., col. 9. 30/1.

(٣) راجع F.I.F. A.O. 10, L, p. 33

(٤) راجع Ibid 60 ff,

هذه الأسرة كذلك حتى حكم الملك « مرحتب رع سبكحتب » قد حكموا كل مصر مما جعله يستنبط أنهم حكموا حتى عام ١٧١٠ ق . م . تقريباً .

على أن وجود جعران باسم « مر نفر رع — آس » [١] « فى تل اليهودية [٢] » ليس بالدليل على سلطان هذا الملك فى الدلتا ، وعلى ذلك فإن أول ملوك للهكسوس « عناتحر » وبنم أو (ببلم) الخ ، يمكن أن يكونوا قد وطدوا حكمهم فى الدلتا الشرقية حوالى ١٧٣٠ ق . م . وبعض ملوك هذا العهد العديدين الذين جاء ذكرهم فى ورقة « تورين » يمكن [٣] أن يقابلوا الملوك الذين يطلق عليهم ملوك « إكسيوس » (سخا) وهم ملوك الأسرة الرابعة العشرة الذين يؤرخون على ذلك بحوالى ١٧٣٠ — ١٧١٠ ق . م .

وهكذا نرى أن الأثرى « سيف زود ربرج » فى كل استنباطاته التى ذكرناها هنا لا يرتكز على رأى قاطع بل كل آرائه ترجع إلى الاحتمالات التى قد تصيب أو تخطئ .

وقد حكم هؤلاء الهكسوس مصر بعد انقضاء جيل على عهد حكم الملك « نفرحتب » أى قبل عام ١٧٠٠ ق . م . وقد أخذوا فى أيديهم السلطان على بلاد النوبة السفلى كما استحوذوا على التجارة فى « كرمه » فى بلاد « كوش » .

وليس لدينا مصدر يصف لنا كيفية استيلاء الهكسوس على السلطان فى البلاد إلا تاريخ مصر الذى كتبه « مانيتون » فى القرن الثانى قبل الميلاد أى حوالى ١٥٠٠ عام بعد وقوع هذا الحادث العظيم . ومن ثم نفهم أنه مصدر متأخر ، غير أنه مع ذلك مأخوذ عن وثائق مبكرة . وعلى أية حال فإنه من مميزات كل هذه المصادر المتأخرة الخاصة بالهكسوس أننا نجدها مطبوعة بطابع الدعاية ضد الأجانب الفاتحين ، والواقع أنه كلما كان المصدر حديثاً كانت محتوياته تنم عن العداء والبغضاء للهكسوس ،

(١) راجع Turin pap., 7,3

(٢) راجع Petrie, Hyksos and Isr., pl. 9, 116

(٣) راجع Turin ; Col. 8 and 9

وعلى ذلك يجب أن نذكر ذلك عندما نقرأ ما رواه « مانيتون » عن هؤلاء الغزاة[1] فاستمع لما يقول :

« إنه فى عهد « توتيمايوس » أو « تيمايوس » أصابتنا جائحة على حين غفلة لسبب لا أعرفه من إقليم الشرق فقد انقض غزاة من أصل غامض على أرضنا وقد استولوا علينا بالقوة الغاشمة بسهولة دون أن يضربوا ضربة واحدة . وبعد أن أخضعوا حكام البلاد أحرقوا بعد ذلك مدننا بدون رحمة ، وهدموا معابد الآلهة وعاملوا كل الأهالى بعدوان غاشم فقتلوا البعض وقادوا الآخرين من زوجات وأولاد أناس إلى العبودية ، وأخيراً نصبوا ملكا منهم يدعى « ساليتيس » (Salitis) وكان مقر حكمه فى « منف » وفرض الضرائب على أهل الوجهين القبلى والبحرى ، وكان دائما يترك خلفه حاميات فى أهم المواقع الاستراتيجية » .

ويحدثنا بعد ذلك « مانيتون » أن « ساليتيس » قد أقام حصنا فى « أواريس » فى الدلتا الشرقية وحكم بعده الملوك « بنون » (Bnon) « وأپاخان » (Apachan) و « أبوفيس » (Apophis) و « ياناس » (Yannas) و « أسيس » (Assis) (أو « أسث » Aseth أو « كرتوس » Kertos) وأخلافهم ، وكل سلالة هؤلاء الغزاة كانت تسمى « هكسوس » Hyksos .

والآن من هم الهكسوس ؟ والتعبير المصرى الدال على هؤلاء الحكام هو « حقاو — خاسوت » ومعناه حكام الممالك الأجنبية . وهذا التعبير كان على مايظهر التسمية المعتادة لمشايخ فى فلسطين وسوريا منذ بداية الأسرة الثانية عشرة . فمثلا نجد واحداً من هؤلاء المشايخ قد حضر إلى مصر ومعه سبعة وثلاثون أسيويا[2] حاملين معهم محاصيلهم إلى مصر كما هو مصور فى مقبرة من مقابر « بنى حسن » . وقد سمى فى النقش

(١) راجع Manetho, et W. G. Wadell, p. 79 ff

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٦٩ — ٢٧٠

الذى يتبع هذا المنظر « ابيشاى » حاكم أجنبى . وهذه الصورة يمكن أن تتخذ تفسيراً لهؤلاء الأسيويين الذين تسربوا إلى الدلتا حوالى نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، غير أنه ليس لدينا برهان لنعتبر هؤلاء « الحقاو — خاسوت » الذين ذكروا فى القرن العشرين أى قبل عهد الهكسوس بقرنين أو ثلاثة قرون هم نفس الهكسوس الذين أتوا متأخرين أو بمثابة عنصر أجنبى فى فلسطين بوصفهم فرسان أشراف يهاجمون البلاد المصرية من سوريا . والواقع أنه لم يصبح استعمال التعبير « حقاو خاسوت » دالا على لقب ملكى يطلق على حكام مصر إلا فيما بعد ويقصد به جماعة الأسيويين الذين حكموا مصر .

وهذا التعبير يوحى إلى نفوسنا أن الهكسوس كانوا جماعة صغيرة من الأسر الأجنبية لا أقواما عديدين لهم مدنية خاصة . والظاهر على حسب رواية « مانيتون » أن حكم الهكسوس كان لا يعنى إلا تغيير القواد السياسيين فى مصر ، وأنهم لم يكونوا قد وفدوا على البلاد غازين لها بجموع عديدة من عنصر أجنبى . وهذا الرأى يستند على براهين معاصرة كما يقول الأثرى « سيف زودربرج » : فيوجد عدد عظيم من المقابر من عصر الهكسوس فى مصر ، غير أنه لا يوجد فى أى مكان أدلة واضحة تحدثنا عن غزوة أجنبية من الشمال . حقا يوجد غالبا فخار أجنبى ، غير أن وجوده كان نتيجة الازدياد التدريجى لتدفق السلع الأجنبية وهذا ما يمكن ملاحظته من أول سقوط الأسرة الثانية عشرة وما بعدها ، هذا ولا يوجد فى أى مكان تغيير مفاجىء فى عادات الدفن . ولم ينسب إلا عدد محدود من المقابر فى « تل اليهودية » و « أبو صير الملق » و « قاو » و « سدمنت » و « دشاشة » إلى عهد الهكسوس (١) ، وعلى حسب رأى الأستاذ شارف (٢) يحتمل أن بعض الأجسام المصرية فى « أبو صير الملق » كانت من طراز سامى الأصل ، غير أن هذه النسبة غير مؤكدة ، وعلى أقل تقدير فإن هياكل أبو صير الملق تنسب إلى آخر عهد من حكم الهكسوس .

---

(١) راجع Wolf, Z.D. M.G., 83, 74 *f.*; Engberg. The Hyksos Reconsidered, p. 19; Stock, Ibid, p. 72.

(٢) راجع W.V, D.O,G., 49, 87 with Ref. to Muller, Ibid, 27, 308 *f.*

وكان فى الغالب ينسب عدد عظيم من الأشياء الأثرية وما شابهها الى عهد الهكسوس ، ومن هذه المادة قد استنبطت نتائج فيما يتعلق بمدنية قوم الهكسوس ووطنهم وتكوينهم من حيث السلالة[1] . وسنذكر هنا بعض هذه الاستنباطات وما يعترضها من حقائق فقد ذكر مرارا وتكرارا أن ما يسمى فخار «تل اليهودية» يجب أن يعتبر من منتجات الهكسوس ، وكما يقول العالم الأمريكى « انجبرج » يعد سندا لا يقدر بقيمة فى الكشف من احتلال الهكسوس للموقع[2] . وهذا فى اعتقاد بعض العلماء ليس له أى مبرر ، لأن من الخطر أن يستنبط الانسان قيام زحف سلالى من مجرد بعض طرز خاصة من الأوانى الفخارية إذا لم يكن هناك فى الوقت نفسه شئ من التغيير الهام فى عادات الدفن ؛ ومن الممكن البرهنة غالبا على أن التغير فى المواد الأثرية قد يكون سببه التجارة وإلا فما عساه أن يستنبطه أثرى فى المستقبل بهذه الطريقة من أوانى منزل مصرى حديث ؟ فقد يرى أن مواقد الغاز قد حلت محل المواقد الكبيرة المصنوعة من الفخار ، ومن ثم يرى الباحث أن قوما يستعملون مواقد الغاز قد غزوا مصر فى أوائل القرن العشرين بعد الميلاد ، هذا ولما كان بعض هذه الآلات يمكن نسبتها إلى الولايات المتحدة فإن هؤلاء القوم يكونون قد أتوا من أمريكا ومن جهة أخرى يلحظ أن وجود موقد « بريمس » يمكن أن يبرهن على زحف سلالة من السويد قد اختلطت بعنصر لا تينى ، وذلك بسبب وجود كتابة لا تينية على المواقد ، وهكذا من الأمثلة التى لا تدخل تحت حصر (غير أن هذا الرأى الذى أدلى به الأستاذ «سيف زودر برج» مردود عليه لأن الأمثلة الجديدة التى أوردها هنا كان منشؤها سهولة المواصلات بين الأمم وانتشارها فى كل العالم لا فى أماكن محصورة) .

وفضلا عن ذلك نجد أن طراز أباريق « تل اليهودية » الخاص كان يتطور تدريجاً فى فلسطين وسوريا وكان ظهوره هناك لا يشعر بتغير مفاجئ فى تقاليد الفخار[3] .

(١) راجع Winlock, The Rise and Fall of the Middlle Kingdom in Thebes, Chap. VIII.

(٢) راجع Engberg, Ibid, p. 18

(٣) راجع Albright Ann. A.S.O.R., 12, 17 ; 13, 79 ; A.J.A.. 36, 559

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأوانى كانت قد جلبت إلى مصر قبل دخول الهكسوس بزمن طويل وقد وجدت فى مقابر فى بلاد النوبة السفلى مؤرخة بزمن لم يكد يكون فيه الهكسوس قد وصلوا إلى مصر الوسطى . ومعظم ما يمكن أن يقال عن العلاقة بين الهكسوس وأباريق « تل اليهودية » هو أن الهكسوس على ما يظهر كانوا يميلون إليها ومن المحتمل أن عدداً عظيما منها قد استورد عند ما كان حكام الهكسوس يسيطرون على التجارة أكثر مما كانت فى أيدى حكومة مصرية أشد محافظة ، ويجب أن نؤكد هنا أن هذه الأباريق كانت تستعمل فى مصر بعد أن طرد الهكسوس المبغوضون من البلاد .

وينطبق هذا التدليل على أوان أخرى من الفخار قد أخطئ استعماله إذا صح أن نقول ذلك عند ما نريد البرهنة على أنه كان يوجد عنصر حورى بين الهكسوس . وهذا الفخار هو الذى يسمى الفخار ذا اللونين المصنوع بعجلة صانع الفخار ، وهو معروف من العهد المتوسط الثانى فى مصر ، وقد عثر عليه فى «أبو صير الملق» و« قاو » و«سدمنت»[1] وقد استعملت زينة مشابهة ، ولكن على أوان مختلفة فى «مسوبوتاميا» العليا حيث نجد جزءا من السكان يتكلم اللغة الحورانية ، ومن ثم كان هذا الطراز من الفخار يدعى أحيانا « الفخار الحورى » . ويمكن أن نلحظ أولا أنه حتى العلاقة التى بين الحورانيين وهذا الفخار الملون الخاص بمسوبوتاميا العليا — وهو الذى يسمى نخار « خابور » — لم تقرر بعد ، أما نخار الدولة الحورانية المتنى الأصلى فهو نخار نوزى مختلف تمام الاختلاف[2] . على أنه لا نخار « خابور » الحقيق ولا الفخار الذى يحتمل أنه « نوزى حورانى » قد وجد فى مصر بل كل ما عثر عليه فى مصر هو بعض

---

(١) راجع Engberg. p. cit. 19 Not.e 11

(٢) راجع ما كتب عن هذا الفخار الملون Marian Welker, Transact, Amer. Philos. Soc., N.S., 38, 185 *ff*.

قعاب عليها زينة تشبه الزينة التى على فخار « خابور » ولكنها من طراز آخر.[١]

وطراز فخار فلسطين ذى اللونين وهو الخاص بها قد وصل إلى قمته بعد عصر الهكسوس ، ويمكن أن يكون له صلة بأوانى العصر المتوسط الثانى التى عثر عليها فى مصر ؛ ومن المحتمل أنه قد تأثر بفخار شمالى سوريا ، وهو بدوره يمكن أن يكون قد اشتق من فخار « خابور » الحقيق ، وهو الذى بدوره ثانية يمكن أن يكون ذا صلة بالحورانيين ، وعلى ذلك نجد أن الطريق طويلة جداً لنسبة القعاب التى وجدت فى مصر إلى الحورانيين بوصفهم عنصراً جنسياً ، فتسمية هذا الفخار حورانى يعد فى رأى بعض العلماء تخمين له خطورته . وعلى فرض أنها كانت قعابا حورانية فإن ذلك لا يكفى بأية حال من الأحوال ليبرهن على أنه كان يوجد حورانيون بين الهكسوس ، وذلك لأن هذا الطراز من الفخار يمكن أن يكون قد وصل إلى مصر عن طريق التجارة .

ومن جهة أخرى يظهر أن النظرية القائلة بأن الهكسوس يوجد فيهم عناصر حورانية لا ترتكز على براهين لغوية لأن معظم الأسماء الهكسوسية سامية محضة والأسماء التى لا يمكن تفسيرها على هذا الأساس لا تكاد تكون حورانية . فمثلا كلمة «خيان»[٢] التى تعد فى العادة غير سامية قد قرنها الأثرى « دوسو » بالاسم العربى والقبطى حيان — على أن عدم وجود ألفاظ حورانية لا يعد دليلا على عدم احتلال القوم لمصر ، فلدينا الاحتلال الانجليزى لم يؤثر فى لغة القوم — هذا ونجد بعض الصفات فى فن النحت قد استنبطت بهذه المناسبة لتبرهن على وجود عنصر شرقى فى مدنية الهكسوس ، ومن أحسن الأمثلة فى هذا الصدد اللوحة المسماة لوحة « هورنبلاور » حيث نجد أن

(١) على أن ذلك لا يمكن أن يؤخذ دليلا على أن هؤلاء القوم قد جاءوا إلى مصر واستوطنوها ومعهم فخارهم الأصلى ثم قلده المصريون كما حدث فى « كرمه » فقد قلد القوم الفخار المصرى والأشياء المصرية على حسب طبيعتهم واتخذت طابعا خاصا .

(٢) راجع Labib, op. cit. 9; Dissaud R.H.R., 109, 116

الطائر المرسوم عليها يجب ألا يعتبر أنه نسر قد رسم رسماً رديئاً (وهو الطائر الذى يمثل الآلهة « نخبت » المصرية) بل يجب أن يعتبر أنه الطائر « امدوجود » (Imdugud) المسوبوتامى ، هذا فضلا عن أن النموذج الذى رسم فى أسفل اللوحة هو طراز مسو بوتامى لرسم الجبال[1] . ولا أنكر أن هذا التفسير ممكن كما لا أنكر المجاميع المضادة لذلك وهى التى تشاهد فيهـا شجرة الحياة على جعارين يمكن أن ترجع إلى تأثير من مسو بوتاميا ، ولكن لمـا كانت قد وجدت أختام من الأسرة الأولى البابلية فى « رأس شمرة » فإن هذه الصبغة الشرقية الأصل فى فن النحت يمكن أن تكون نتيجة اتصالات تجارية . ويبرهن على مثل هذه الاتصالات البعيدة المدى بوجود فخار قبرصى فى مصر مع أنه لم يحاول أى انسان أن يبرهن على وجود عنصر جنسى قبرصى بين الهكسوس .

وكذلك ظن البعض وجود عنصر آرى فى الهكسوس ويرتكز هذا الزعم على النظرية القائلة إن الهكسوس قد غزوا مصر بسهولة كبيرة لأنهم استعملوا العربات التى تجرها الخيل ، وهذه صناعة حربية يقال عنها إنها آرية ، وذلك لأن بعض الاصطلاحات الفنية المتعلقة بها يرجع أصلا إلى قوم الهنود الايرانيين . وهذه العربات فى الواقع قد أحدثت انقلاباً فى فنون الحرب . ولا يمكن أن نستطرد فى هذا المكان فنتكلم عن المسائل المعقدة الخاصة بتاريخ الحصان فى الشرق الأدنى بل يكفى أن نشير هنا إلى أن الحصان كان معروفا فى « مسو بوتاميا » منذ زمن طويل قبل أن نجد آثاراً هندية أيرانية[2] . ومن جهة أخرى ليس لدينا أى برهان على أن الهكسوس قد استعملوا الحصان حتى العهد المتأخر جداً من حكمهم فى مصر . وأحدث مصدر أدبى ذكر فيه الحصان هو المتن الذى يشير إلى طرد الهكسوس من مصر[3] . وقد وجد « بترى » فى « تل العجول » الواقع جنوب فلسطين مقابر غنية كانت فيها تدفن مع المتوفى

---

(١) راجع Stock, Ibid., p. 32

(٢) راجع Götze, Kleinasien, p. 72

(٣) راجع Urk., IV, p. 3

جياد وحمير ، وقد عد ذلك برهاناً قاطعا على أن الهكسوس من جهة كانوا يستعملون الحصان ، ومن جهة أخرى كانت هذه المقابر خاصة بالهكسوس[١] . ولكن هذه المقابر يرجع تاريخها إلى نهاية عهد الهكسوس ، ومن المحتمل إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة[٢]. والواقع أنه لم يوجد حصان واحد أو حتى عظمة حصان فى أى قبر من القبور العدة التى من عهد الهكسوس فى مصر ، هذا إلى أنه لم توجد صورة واحدة لحصان على الرغم من أن كل أنواع الحيوانات المختلفة قد صورت على الجعارين الخاصة بهذا العهد . ففى مناظر الصيد كان يمثل الصائد واقفا على قدميه[٣] وهذا ليس هو المتبع عادة فى الممالك التى كانت تجر فيها الخيل العربات ، وعلى ذلك نجد أن كل البراهين تدل على أن الهكسوس لم يستعملوا قط العربات الحربية إلا فى حروبهم الأخيرة التى شنوها على المصريين قبل أن يطردوا من البلاد . (يلحظ هنا أن سيتى الأول قد رسم واقفاً على قدميه وهو يصيد فى صحراء الجيزة مع أن العربات كانت هى العدة السائدة فى الصيد[٤]) .

ويقال كذلك إن الهكسوس قد جلبوا معهم طرازاً جديداً من الحصون فى الشرق الأدنى ، وهذه عبارة عن معسكر كبير جداً له جدار من الطين محاط بخندق . وقد قيل إن هذا الطراز من الحصون هو طراز طبيعى يقام فقط على السهول العظيمة مثل التى تجاور البحر الكسبي ، وعلى ذلك فإن موطن هؤلاء الهكسوس لا بد أن يبحث عنه فى هذه المساحات الشاسعة الأرجاء[٥] . ومعظم الحصون التى فى فلسطين يرجع تاريخها إلى عصر الهكسوس على الرغم من أن واحدة منها وهى « هازور » يقال إنها ترجع إلى زمن قبل ذلك ، وتاريخ الحصون الأخرى يحوم حوله الشك الكثير ،

---

(١) راجع Bissing, A.F.O.F., 11, 333, No. 61 and Otto Z.D.P.V. 61., 259 contra Petrie Ancient Gaza, I, p. 3. *f*, etc.

(٢) راجع Otto, Ibid.

(٣) راجع Newberry, Scarabs, Pls. 25, 26

(٤) راجع The Sphinx in the Light of Recent Excavations. p. 201, Fig. 42.

(٥) راجع Albright, J.P.O.S. 2, 122 *f.*; Journ. Soc. Or. Res. 10, 245 *ff.*

هذا إلى أن حصن « سيبار » (Sippar) قد استنبط من متن سومرى يذكر أن « جدار « سيبار » . . . كان مصنوعا من كتل عظيمة من الطين »[١] . وعلى أية حال فإن هذا طراز منتشر انتشاراً عظيما فى عهد الهكسوس ، ولكن — وهذا هو الأساس — لا يوجد مثال أكيد معروف لنا فى مصر وهى البلاد الوحيدة التى وطد فيها الهكسوس أقدامهم على وجه التأكيد بوصفهم عاملا سياسياً .

وقد فسر مراراً وتكراراً ان كل خرائب « تل اليهودية » وخرائب «هليو بوليس» كان من هذا النوع من الحصون غير أن المهندس المعمارى «ركه» كما يقول « سيف زودربرج » كان مصيباً عندما قرر بأنهما كانا على أغلب الظن أسس معبدين[٢] وفى رأيى أن هذا كلام فيه شك كبير لأنه لم توجد آثار تثبت ذلك .

وخلاصة القول كما يقول «سيف زودربرج» أن تحليل البراهين الأثرية قد أعطانا نتيجة عكسية ولكن فى الواقع تعاضد الرأى الذى ذكرناه آنفاً ، وهو أن حكم الهكسوس لم يكن إلا تغيير القواد السياسيين ، وأنه لم يكن غزوة قام بها سلالة من الناس بعدد عظيم من الجنود يستعملون آلات حربية متفوقة ولهم مدنية خاصة ، ومن جهة أخرى فإن الهكسوس كان لهم اتصال وثيق بآسيا ، ويظهر أنهم قد ساعدوا على إدخال تجديد من هذه البلاد أكثر من أخلافهم المصريين . والواقع أنهم عند نهاية حكمهم فى مصر كانوا قد أدخلوا عدة إصلاحات فى فنون الحرب سعيا منهم فى أن يحافظوا على قوتهم السياسية فى وجه المعارضة المصرية التى كانت تتزايد . فقد جلبوا أولا من آسيا العربات التى تجرها الخيل وطرزاً جديدة من الخناجر والسيوف والآلات المصنوعة من البرنز والقوس الأسيوى وهو القوس المركب . وهذا التطور الثقافى يتفق مع تواريخ الآثار الفعلية التى عثر عليها وهى الخاصة بهذه التجديدات فى مصر ،

(١) راجع Albright, Bull. A.S.O.R., 88, 33

(٢) راجع A.Z., 71, p. 107 *ff.*

وذلك لأنهـا لم تكن معروفة حتى نهـاية حكم الهكسوس ، وسنرى بعد مقدار اتصال الهكسوس بآسيا من الغنائم التى استولى عليها منهم « كاموس » .

والرأى القائل بأن الهكسوس لم يمثلوا فى مصر غزوة حقيقية قام بهـا أقوام أجانب يعضده التطورات التى حدثت فى بلاد النوبة وهى التى يمكن تأليفهـا ثانية من المتون والبراهين الأثرية [١] . ففى بلاد النوبة السفلى كانت هناك معارضة دائمة قوية للاحتلال المصرى ، وكان النوبيون هناك يراقبون مراقبة شديدة بوساطة حصون قوية مقامة فى الأماكن الآهلة بالسكان . وقد كان على الحكومة المصرية أن تكون صاحبة السلطان السياسى فى بلاد النوبة السفلى لأجل أن تحافظ على قيام تجارتها فى « كرمه » الواقعة فى الجنوب . أما فى « كرمه » فكان الموقف على العكس وذلك لأن الأهالى كانوا يجنون فوائد عظيمة من التجارة المصرية ، ولم يحاول المصريون قط أن يسيطروا على هذه البقعة من الأرض سياسيا ، ولكنهم فضلوا أن يكونوا على اتصال سلمى تجارى ، وقد ورث حكام الهكسوس هذه التجارة السلمية من المصريين فى « كرمه » ، وقد استمرت مزدهرة دون أى انقطـاع لمدة تقرب من قرن بعد أن استولى الهكسوس على السلطة فى مصر نفسها . ومن المحتمل أن أحد أواخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة فى الصعيد بل ربمـا هو الأخير ويدعى « ددوموس » وقد وحد بالملك « توتيمايوس » الذى ذكره المؤرخ « مانيتون » وهو الذى فى عهده تغلب الهكسوس على مصر على ما يقال ، قد وجد اسمه فى « كرمه » على ما يظن فى نقش مهشم [٢] . هذا وتوجد أسماء ملوك الهكسوس « شيشى » (= « أسيس » ؟ Ashis) و « ماعت أب رع » و « يعقوب — أيل » على طوابع أختام فى المستودع التجارى وهى بلا شك كانت مستعملة لختم الوثائق الرسمية [٣] . وهؤلاء الملوك الهكسوس كانوا ضمن أول طائفة من الحكام الأجانب فى مصر . ولدينـا براهين أثرية أخرى تظهر أن التجارة

(١) راجع Ägypten und Nubien, Chap. C.5 and D, and J.E.A., Vol. 35, p. 56

(٢) راجع Reisner, Kerma, I, p. 101

(٣) راجع Kerma, II, 75 f, Fig. 168

قد استمرت حتى ذلك العهد ، وهذا يعنى أن الحكام من أول « ددوموس » حتى هؤلاء الملوك الهكسوس لا بد أنهم كانوا قد حكموا بلاد النوبة السفلى والجزء الجنوبى من مصر العليا .

وإذا كان هناك قوم عديدون من الأجانب قد غزوا مصر وقضوا على الإدارة المصرية والقوة الحربيـة ونظام الحكومة المصرية فإن هذا التطور الذى حدث فى الجنوب يكون من الصعب جداً تفسيره .

ويمكن أن نميز بعد حكم صغار الملوك الهكسوس الذين لا أهمية لهم سياسيا فى الدلتا ، طائفتين من حكام الهكسوس : الطائفة الأولى هى التى يمكن أن نطلق عليها مع « مانيتون » ملوك الأسرة الخامسة عشرة ، وتحتوى على حسب قائمة الملوك التى دونت على ورقة « تورين » خمسة ملوك حكموا حوالى ١٠٨ سنة . وأسماء هؤلاء الملوك قد فقدت إلا الاسم الأخير وهو الذى يسمى فى هذه الورقة « خامودى » . وقد ذكر لنا « مانيتون » هذه الأسماء وهى « ساليتيس » ، «بنون » ، « أباخنان » « أبوفيس » ، « ياناس » ، « أثيس » (Athes) أو « كرتوس » . ونعرف كلا من « أبوفيس » و « يا ناس » من الآثار المعاصرة فى صورة « عاوسررع » « أبوفيس » و « ساوسرت رع » « خيـان » ؛ أما « أثيس » فيمكن أن يُوَحّد بالملك « شيشى » الذى نجـد اسمه غالبا على جعارين يمكن تأريخهـا من حيث الأسلوب بالنصف المبكر من حكم الهكسوس . وهذه الجعارين تتصل اتصالا وثيقا بالجعارين التى عليها اسم «ماعت إب رع» ويمكن أن يكون اسما آخر لنفس هذا الملك ومن المحتمل أن اسم حاكم الهكسوس «يعقوب — إيل» الذى نعرف اسمه من جعارين يتبع هذه الطائفة المبكرة من الملوك ، أو كان أول ملوك الطائفة الثانية ، هذا إذا حكمنا عليه من حيث الأسلوب وتوزيع جعـارينه ، وأخيرا يمكن أن يكون « خامودى » وكذلك « كرتوس » اسمين مختلفين لنفس الملك[1] . وليس لدينـا كبير شك فى الحقيقة

(١) راجع Stock, Ibid. p. 64 *ff.*

القائلة بأن هؤلاء الملوك مع احتمال استثناء « ساليتيس » ، « بنون » ، « أباخنان » قد حكموا كل مصر و بلاد النوبة السفلى كما يظهر لنا ذلك من توزيع الآثار التى وجدت فى أماكنها والتى تحمل أسماء هؤلاء الملوك .

أما الآثار التى عثر عليها فى « كرمه » فقد سبق ذكرها . هذا ونجد اسمى « أبو فيس » « عاوسررع » ، « خيان » على بعض قطع أحجار من بلدة الجبلين جنوبى «طيبة» أما الآثار الأخرى فمعظمها خفيفة الوزن ويمكن حملها كالجعارين وهذا ينطبق على كل الآثار التى عثر عليها فى فلسطين الجنوبية ، ومن المحتمل جدا أن هؤلاء الهكسوس قد حكموا هذه البقعة كذلك ، غير أن ذلك ليس مؤكداً تماما .

ومن البراهين التى استنبطت من هذا الاحتمال هو أنه لا يكاد يكون من المسلم به أن الهكسوس قد فتحوا مصر دون أن يكونوا قد تسلطوا على فلسطين من قبل ، ولكن إذا كان الهكسوس لم يفدوا على مصر بوصفهم فاتحين بل بوصفهم مهاجرين مسالمين مكنوا أنفسهم بمثابة ملوك صغار فى الدلتا الشرقية ، ومنها أفلحوا فى التغلب على صغار ملوك الوجه القبلى الذين كانوا لا يحكمون إلا مددا قليلة ، فإن هذا البرهان يصبح لا قيمة له . يضاف إلى ذلك أن وجود أسد عليه اسم الملك « خيان » قد أحضر إلى « بغداد » ، وأن غطاء من المرمر عليه اسم هذا الملك نفسه وقد وجد فى قصر « كنوسوس » فى « كريت » لا يبرهن على أى شئ عن القوة السياسية للهكسوس فى الشرق الأدنى[1] . ولكن يظهر واضحا من متن متأخر خاص بحروب التحرير لرفع نير الهكسوس أن بلدة « شاروهين » (يحتمل أن تكون « تل الفرعه») فى فلسطين الجنوبية كانت معقلا للهكسوس وقد فتحها « أحمس » ملك مصر ، بعد أن قام بحصار ناجح على بلدة « أواريس » عاصمة الهكسوس فى مصر . ومهما يكن من حقيقة بلدة « أواريس » فإن وقوعها فى الدلتا الشرقية يدل على أن الهكسوس كان لهم علاقة

---

(١) راجع Bissing, AFOF., 11, 327 ; Dussand RHR, 109, 116

وثيقة بفلسطين ومن المحتمل أنهم كانوا يحكمون الجزء الجنوبى منها . هذا وتدل الغنائم التى استولى عليها كاموس فى حربه مع الهكسوس على أنه كان له نفوذ فى فلسطين أو على الأقل اتصال وثيق [(١)] .

ولدينا أثر من « تانيس » يدلنا على التاريخ الذى تولى فيه الهكسوس الحكم فى الدلتا الشرقية وهذا الأثر هو ما يسمى لوحة الأربعمائة سنة . وكانت قد أقيمت فى عهد الفرعون « رعمسيس الثانى » وتحدثنا أن ملكى المستقبل « رعمسيس الأول » ومن بعده « سيتى الأول » قد احتفلا بعيد أربعمائة السنة لعبادة «ست» فى «تانيس» . ولا بد أن يكون ذلك قد حدث فى عهد الملك « حورمحب » عندما كان كل من « رعمسيس الأول » و « سيتى الأول » يخدم بوصفه ضابطا فى الجيش المصرى ، وقد حكم « حورمحب » من حوالى « ١٣٣٠ — ١٣٢٠ ق.م » على وجه التقريب . وعلى ذلك فإن عبادة الإله « ست » تكون قد جلبت إلى « تانيس » حوالى ١٧٣٠ — ١٧٢٠ ق . م . وهذا التاريخ يمكن أن يحدد بداية حكم الهكسوس فى الدلتا ، وذلك لأن مصادر أخرى تحدثنا أن الإله « ست » أو « سوتخ » كان الإله الرئيسى عند الهكسوس . وعبادة الإله « ست » كانت موجودة فى شرقى الدلتا منذ الدولة القديمة أى قبل عهد الهكسوس بزمن طويل ، ولكن الإله « ست » — « سوتخ » إله الهكسوس كان ذا صبغة أسيوية أكثر منها مصرية فكان بينه وبين الإله « بعل » أو الإله «رشب» أو الإله « تشوب » وكلهم آلهة حرب ، وجه شبه من حيث المنظر ؛ ولدينا جعران من عهد الهكسوس نرى عليه صورة « ست » من الطراز الذى مثل على اللوحة السالفة الذكر [(٢)] ، والثوب ولباس الرأس المحلى بقرنى الإله من الصفات الخاصة بالأسيويين ، ونجد فى المتون المتأخرة أن « أشتار — عشترت » (أو « عنات »)

---

(١) ذلك على حسب ما جاء فى نص اللوحة الجديدة التى كشف عنها الأستاذ لبيب حبشى بالأقصر .

(٢) راجع Ancient Egypt, 1933, 37, No. 6

كانت تعد زوج الإله « ست — بعل » وهذه الإلهة العارية الجسم تظهر كذلك مصورة على جعارين هكسوسية [١].

وعلى أية حال لابد أن نعد من سبيل الدعاية القصة التي من زمن الرعامسة وهي ورقة « ساليه » الشهيرة التي تحدثنا أن ملك الهكسوس لم يخدم أي إله آخر غير « سوتخ » محتقرا بذلك الإله « رع » المصري وكذلك قول الملكة « حتشبسوت » من الأسرة الثامنة عشرة أن الهكسوس قد حكموا بدون « رع » [٢]. والبرهان على عدم صحة هذا الزعم هو أن كثيرا من ملوك الهكسوس يحملون أسماء مركبة تركيبا مزجيا مع اسم الإله « رع » مثل « عظيمة قوة « رع » ، و « رع » هو سيد السيف » وفضلا عن ذلك نجد أن الملك «عاوسررع» « أبو فيس » يسمى « ابن جسم « رع » و « الصورة الحية « لرع » على الأرض » وهذه النعوت كتبت على لوحة يقول عنها الكاتب الملكي « أتيو » إنه تسلمها هدية من سيده الملك « أبو فيس » [٣]. وهذه الحقائق تدل بوضوح على أن حكام الهكسوس كانوا يعبدون الإله المصري « رع » كما كانوا يعبدون إلههم « سوتخ — بعل » .

وتدل شواهد الأحوال على أن الهكسوس كانوا يحترمون المدنية المصرية — على الرغم من تأكيد «حتشبسوت» العكس من ذلك — وبخاصة عندما نعلم أن الكتاب الرياضي الشهير الذي يرجع عهده للأسرة الثانية عشرة قد نقله الكاتب « أحمس » في السنة الثالثة والثلاثين من حكم نفس الملك « أبو فيس » السالف الذكر [٤].

وإذا حكمنا من الأسماء المصرية الصميمة لهؤلاء الكتبة وجدنا أن الهكسوس الأول قد استخدموا موظفين مصريين ، يضاف إلى ذلك أن استمرار تجارة مصر مع « كرمه » في بلاد « كوش » النائية بدون انقطاع عندما أخذ الهكسوس

(١) راجع Rev. D' Egyptol, I, 198, Figs. 1, 2

(٢) راجع Gardiner, J.E.A., Vol. 32, Pl. 6, 1, 38, pp. 48, 55

(٣) راجع Labib, op cit., p. 27

(٤) راجع Peet, The Rhind Math. pap., p. 2

مقاليد الأمور فى مصر ، كل ذلك يعضد الرأى القائل أن الهكسوس الأول قد اعتنقوا نظام الإدارة المصرية القديمة وكذلك استعانوا بالموظفين المصريين فى تيسير أمور الحكم ولا غرابة فى ذلك فإن المصرى كان يهضم أى فاتح لبلاده ويجعله يطبع بطابعها كما سنرى بعد :

هذا ونجد موزعا على نفس الرقعة التى كان يسيطر فيهـا الهكسوس فى مصر وغيرها جعارين عدة مثل جعارين الملك « شيشى » وكذلك من نفس أسلوبهـا باسم ولقب حامل الخاتم « حار » الذى لابد كان من أهم الموظفين الهكسوس حوالى نهـاية حكم طائفة حكام الهكسوس الأولى ، واسم « حار » على أغلب الظن يقرأ « حور » وهى كلمة سامية ومعناها شريف أو « حر » بالعبرية — وعلى ذلك فمن الجائز أن هذا الأجنبى كان له سلطان إدارى يمتد على كل مصر بمـا فى ذلك بلاد النوبة وجنوبى فلسطين . ولمـا كان من المحتمل أن « حار » هذا قد عاش فى عهد أحد أواخر ملوك الهكسوس الذى كان لايزال يحكم فى هذه البقعة فإنه ممـا يطيب لنـا أن نجمع بطريقة ما بين أنه أجنبى و بين المعارضة المتزايدة من جانب المصريين ضد الهكسوس . وإنه لمن الصعب القول أن تعيين مثل هذا الأجنبى فى وظيفة إدارية رئيسية كان من الأشياء التى أثارت الشعور المصرى على الهكسوس ، أو أن المعارضة المتزايدة قد حركت الهكسوس إلى الاعتماد على أناس من جنسهم أكثر من الاعتماد على المصريين الذين لم يكن من الممكن بعد الاعتماد عليهم ، وذلك بالنسبة لانتقاض المصريين عليهم وتحرك الشعور الوطنى فى وجه الحكم الأجنبى . ومهما يكن من أمر فإنه جاءت بعد هؤلاء الحكام العظام طائفة أخرى من الهكسوس حوالى ١٦١٠ ق . م . و يمكن أن نسميهم الأسرة السادسة عشرة وأسماء هؤلاء الملوك لم نجدها بعد مذكورة على آثار من بلاد النوبة والجزء الجنوبى من الوجه القبلى[1] بل نجدها مجموعة فى الجزء الشمالى من مصر وفى فلسطين الجنوبية ، و يميز هذا العصر بالشجار الذى نشب بين الهكسوس والمصريين ،

---

(١) راجع Stock, op. cit., 6g

وكما ذكرنا من قبل يظهر أن التجديد فى فنون الحروب الذى جلبه الهكسوس إلى مصر يمكن أن يؤرخ من الوجهة الأثرية بهذا العهد ، وذلك عندما كان موقف الهكسوس السياسى فى البلاد يهدده المصريون طلبا فى استقلال بلادهم وطرد الغاصب . ولدينا من هذا العهد أثر صغير غاية فى الأهمية عثر عليه فى مقبرة « بالعرابة المدفونة »(١) وهذا الأثر هو تمثال « بولهول » له رأس ملكى ووجه سامى . ويلحظ أنه يذبح بمخالبه مصرياً ، وإذا كان مصرى قد استولى على مثل هذا التمثال غنيمة ، فإنه على أغلب الظن كان يهشمه ويلقى به بعيداً لما فيه من إثارة الخاطر بدلا من أن يدفنه معه فى قبره ، على أن وجود هذا التمثال فى « العرابة » قد يدل على أن تاريخه يرجع إلى العهد الذى كان فيه الهكسوس لا يزالون يحكمون هذا الجزء من الوجه القبلى ، ولكن حدث ذلك عندما كان الشعور قد أصبح مريراً بين الهكسوس والمصريين .

وفى الوجه القبلى كان الملوك المحليون قد وصلوا فى هذا الوقت الى الحصول على استقلال ذاتى أخذ فى التزايد كل فى مملكته الصغيرة فى قلب مصر .

فنجد فى « طيبه » أنه قد ظهر أول ملوك الأسرة السابعة عشرة بألقابهم الملكية وادعوا أنهم الحكام الشرعيون لمصر ، غير أنهم لم يكادوا يحكمون أكثر من الرقعة المجاورة لطيبة ، ومن المحتمل أنه كان لزاما عليهم أن يدفعوا جزية للهكسوس فى الشمال . وأغلب الظن أنه كانت توجد أسرات حاكمة كثيرة محلية أخرى فى الوجه القبلى فى نفس الوقت ، غير أن نسل ملوك « طيبه » هم الذين طردوا الهكسوس فى النهاية بعد أن أصبح سلطانهم قويا .

والتأريخ المبكر للشجار الذى نشب بين الهكسوس والمصريين يحيطه الغموض ، والمصدر الرئيسى لذلك لدينا هو قصة من عهد « الرعامسة » أى أنها كتبت بعد وقوع الحادث بعدة قرون ، هذا فضلا عن أن متن القصة ممزق . وموضوع القصة هو شجار بين أحد ملوك الهكسوس يدعى «أبو فيس» وملك «طيبه» المسمى

---

(١) راجع Garstang, J. E. A. 14, p. 46 Pl. 7.

« سقنن رع » الذى كان سلفا للملك « كاموس » والملك « أحمس » وهما الملكان اللذان طردا الهكسوس فى نهاية الأمر[1] . هذا وسنرى أن اللوحة التى كشف عنها حديثا تقرب الى أذهاننا ماجاء فى هذه القصة كما سنرى بعد .

وتحدثنا الوثائق أن مصر كانت فى حالة وباء فى هذا العهد وكان الوباء فى بلد الأسيويين ، (يقصد أواريس) منذ أن كان الملك « ابو فيس » فى اواريس ، وكانت كل الأرض خاضعة له . وقد اتخذ الملك « ابو فيس » الإله « سوتخ » ربا له ، ولم يخدم أى إله آخر فى كل البلاد وقد أقام معبدا جميلا للاله «سوتخ» وعبد هذا الإله بنفس الطريقة التى عبد بها إله الشمس « رع حور أختى » .

وكان الملك « سقنن رع » من جهة أخرى حاكم « طيبة » ولم يمل إلى أى إله آخر فى كل البلاد إلا « آمون رع » ؛ والظاهر أنه أراد أن يهدئ من روع ملك الهكسوس فأكد له ولاءه ، ولكن مما يؤسف له أن نهاية هذه القصة فقدت ويحتمل أنه جاء فيها ذكر بعض انتصار للملك « سقنن رع » بطل القصة على الهكسوس . ولا نعلم أى « أبو فيس » قد أشير له فى القصة ، والواقع أنه يوجد ملكان باسم «أبو فيس» وهما «أبو فيس » «عاقن رع» و «أبو فيس» «نب خبش رع» . والأول نعرفه من النقوش المعاصرة فقد بنى معبداً (أو على الأقل جزءا من معبد) للاله «ست «صاحب» أواريس» ولما كان « أبو فيس » الذى ذكر فى القصة قد فعل مثل ذلك فإن عدو « سقنن رع » من المحتمل أن يكون «أبو فيس عاقن رع » وعلى أية حال سواء أكان «أبو فيس الأول» أو الثانى فإن اسمه كان مركبا تركيباً مزجيا مع اسم الآله « رع » وبذلك يكون من الذين قدسوا هذا الآله ، وهذه حقيقة تبرهن بوضوح على الجانب الذى كانت تتجه إليه الدعاية فى القصة .

وإنه لمن الصعب أن يصل الإنسان إلى لب الحقيقة فى هذه القصة المتأخرة جداً ، ـ

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٢٨ الخ

ولكن من السهل أن نفهم أن هذا الملك كان فى أواخر عهد «سقنن رع» لا يزال يدفع جزية لملك الهكسوس وأنه هو الملك الذى بدأ فى وضع المقاومة المنظمة لطرد الأجانب ، ومن المحتمل أن هذا المجهود الأول هو الذى أجبر الهكسوس على الاعتراف باستقلال حكام « طيبة » .

ونجد فى رأس الملك «سقنن رع» خمسة جروح مخيفة ، ولكن كما يقول كل من «جن» و « جاردنر » إن القول بأن هذه الجروح قد أصابته فى خلال معركة مع الهكسوس قول مغر معتمد على الحدس والتخمين[1] والمرجح صدق هذا القول ، وقد أشير بوضوح إلى هذا الموقف السياسى الدال على حكومة مستقلة فى مصر العليا فى متن من عهد خلف « سقنن رع » وهو عهد الملك « كاموس » . ولدينا روايتان عنه احداهما على لوحة معاصرة والرواية الثانية هى نسخة متأخرة بعض الشئ كتبت على لوحة من الخشب[2] . ومما يؤسف له أن نهاية القصة وجدت مهشمة فى كلا المتنين ؛ (ولكن لحسن الحظ كشف أخيراً عن لوحة ثانية هى بلا نزاع تكملة لحروب كاموس التى تحدث عنها فى لوحة كرنارفون) وهما مؤرخان بالسنة الثالثة من حكم « كاموس » وبعد صيغة التاريخ يستمر المتن قائلا : « الملك القوى فى « طيبه » « كاموس » معطى الحياة أبدياً كان ملكا محسناً وقد جعله « رع » ملكا حقيقياً وسلمه القوة بالحق المبين » .

« وقد تكلم جلالته فى قصره لمجلس الأشراف الذين كانوا فى حاشيته : « إلى أى مدى أدرك كنه قوتى هذه عندما أرى حاكما فى « أواريس » وآخر فى « كوش » وأنا أجلس (فى الحكم) مشتركا مع أسيوى ونوبى وكل واحد منهما مسئول عن جزئه من مصر هذه ؟ وذلك الذى يقاسمنى الأرض لا أجعله يمر فى ماء مصر حتى « منف » التى تتبع (فى الواقع) لمصر لأنه يملك « هليوبوليس » وانى سأصارعه وأبقر بطنه وان رغبتى هى تحرير مصر والقضاء على الآسيويين » .

---

(١) راجع J.E.A., 5, p. 48

(٢) راجع A.S., 39, p. 245 ; J.E.A., 3, p 95 ; 5, p. 45

وعندئذ قال عظماء مجلسه : « تأمل ان اقاليم الآسيويين يمتد حتى « قوص » ولقد أخرجوا ألسنتهم لنا حتى آخرها ، ولكننا فى أمان قابضين على نصيبنا من مصر «فالفنتين» قوية ، والأرض الوسطى معنا حتى «القوصية» ، والناس يزرعون لنا أحسن أرضهم ، وماشيتنا ترعى فى الدلتا ، والشعير يرسل لخنازيرنا ؛ وماشيتنا لم تغتصب ، وليس هناك هجوم على . . . وعلى ذلك . . . وأنه يستولى على أراضى الآسيويين ونحن مستولون على مصر ولكن كل من يأتى إلى أرضنا ويناهضنا عندئذ نناهضه » .

والكلام الذى يلى ذلك وهو للملك مهشم ، ولكن يمكن أن نفهم منه أنه قد أعلن « أنه سيطرد من سيشاطر الأرض معه » وأنه « سيسير شمالا ليقبض عليه والنجاح سيأتى والأرض قاطبة ستصفق للحاكم القوى فى داخل طيبه « كاموس » حامى مصر » [1] .

وعلى حسب رأى الأستاذ « دى بك » الذى يقول إنه من الموضوعات التقليدية ان الملك قبل اتخاذ قرار هام كان يتحدث مع عظماء بلاطه ، وأن هؤلاء بدورهم كانوا يعرضون عليه كل الصعوبات الخاصة بالأمر المقترح على الملك ناصحين إياه بألا يسعى فى هذا المشروع الصعب . ولكن حتى لو كان ما لدينا هنا هو حيلة أدبية لتبرز لنا قرار الملك وعمله الجرئ فإن ذلك لا يعنى أن كلمات العظماء تقدم لنا صورة كاذبة عن الموقف الحقيق ، إذ فى الواقع على عكس الأوصاف المتأخرة لحكم الهكسوس نجد أن كلام العظماء يقدم لنا صورة أحسن قبولا عن الموقف ؛ إذ يعترفون أن النوبيين لم يصبحوا بعد تحت حكم المصريين ، ولكن الحدود كانت محصنة تحصيناً جيداً عند «الفنتين» فلم يكن فى إمكان النوبيين أن يهددوا قطر « كاموس » . وكان الهكسوس لا يزالون يحكمون أجزاء كبيرة من « مصر » حتى « قوص » . ومع ذلك فإن هذا الوضع لا يخلو من الفوائد . فالهكسوس لم يعدوا بعد متوحشين قساة ظالمين — وهى الصورة المعتادة التى ورد ذكرها فى المصادر المتأخرة — بل إنه كان من الممكن أن يعاملهم الإنسان ويعيش معهم فى سلام . فأهل « طيبة » كان مسموحاً لهم أن يربوا

(١) أنظر بقية اللوحة فى مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٤٠ — ١٤١

الماشية فى الدلتا على الرغم من أن أرضها تابعة لاقليم الهكسوس ومع ذلك فلا يغتصب أحد ماشيتهم .

على أن هذا الموقف الذى ينم عن ميل متبادل بين المصريين والهكسوس ليس مجرد تعبير أدبى يقابل الفكرة المضادة التى كانت تخالج نفس الملك « كاموس » قبل أن يعلن الحرب على الهكسوس . على أن عدم وجود حقد فى صدور المصريين على هؤلاء الهكسوس يمكن أن نراه ممثلا فى نقش أثرى كثيرا ما حير العلماء الذين كانوا يعتمدون على الأوصاف العدائية للهكسوس فى المصادر المتأخرة ليبرهنوا على كره المصريين لهؤلاء الغزاة . وذلك أنه قد عثر فى قبر الملك « أمنحتب الأول » الذى مات بعد حوالى نصف قرن من عهد « كاموس » (حوالى نفس الوقت منذ أن نسخ على لوحة من الخشب نقش « كاموس ») على قطعة من إناء المرمر عليها اسم الملك « عاوسررع » « أبو فيس » وابنة الملك المسماة « حريت » ، والغريب أنه لم يوجد فى هذا النقش أية إشارة تدل على الكشط ، وعلى ذلك فإن وجود أثر نقش عليه اسم ملك من ملوك الهكسوس الذين كان مفروضا دائما أن المصريين يحقدون عليهم أشد الحقد فى مقبرة ملك مصرى يدل على أن الملوك المبكرين فى الأسرة الثامنة عشرة كان لهم رأى غير معاد للهكسوس إذا ما قورن بالرأى الذى نقرؤه فى المصادر المتأخرة عن هؤلاء القوم[١] .

ويلحظ أن الملك « كاموس » فى جوابه لرجال حاشيته لم يعتنق السبب الذى أشير إليه فى خطابه الأول وهو أن مواطنيه فى الوجه البحرى قد عوملوا معاملة سيئة على يد الهكسوس ولكنه يؤكد نقطة أخرى وهو أنه لا يمكنه أن يتحمل حاكما آخر يقاسمه أرض مصر . وسياسته على حسب التعابير الحديثة يمكن أن توصف بالكلمات التالية : « شعب واحد وبلاد واحدة وزعيم واحد » . (ويفهم من منطوق النقش أنه كان يعتبر مصر والسودان بلداً واحداً) .

---

(١) والواقع أن وجود هذه القطعة من النقش قد يدل فى آن واحد على أن الأثر الأصلى كان قد هشم لنسبته للهكسوس وبقيت هذه القطعة لتحدثنا عن أنه قد هشم لهذا السبب .

وعلى ذلك فإنه قد يكون من غير المؤكد أن المصريين فضلوا أن يدفعوا ضرائب « لكاموس » بدلا من دفعها للهكسوس . وتوجد ظروف خاصة يمكن أن تبرر هذه الشكوك . فالعدو الأول الذى هاجمه « كاموس » ، هو شخصية تدعى « تيتى » ابن « بيوبى » فى بلدة الحدود المسماة « نفروسى » . ومن المحتمل أن هذا كان مصريا إذا حكمنا عليه من اسمه ، وقد قيل عنه إنه قد حوّل « نفروسى » إلى عش للآسيويين ، وهذا تعبير يوحى بأنه مصرى قد انحاز إلى الهكسوس وبخاصة أن كلامه على ما يظهر يعد مناقضا لكلمات « كاموس » : « لقد وليت ظهرى للآسيويين الذين اعتدوا (؟) على مصر » . ويمكن أن نفهم أن صغار الملوك قد اختفوا عندما تسلم الطيبيون زمام الحكم ، ومن الجائز أنهم لم يسلموا دون مقاومة وأن بعضهم قد فضل الانضمام إلى الهكسوس الذين كانت قبضتهم على البلاد منحلة ، ويمكن استنباط ذلك من ظهور الأسرة السابعة عشرة نفسها . هذا هو رأى سيف زودربرج ، ولكن الواقع أن المصريين كانوا فى كل تاريخهم لا يفضلون حكم الأجنبى مهما كان رحيما وأنهم بلا شك كانوا يعملون على طرد الهكسوس من بلادهم وأن وجود خائن واحد لا يدل على قبولهم حكم الأجنبى .

ومهما يكن من أمر فإننا لا نكاد ننتظر من متن رسمى إشارات للنجاح أكثر وضوحا فى مثل هذه الأحوال مما ذكر ، ولكن الرواية الرسمية يجب بطبيعة الحال أن توحى بأن « كاموس » قد رحب به بحماس من الأهلين بوصفه المحرر لوطنهم ، وهذه هى الحالة التى يجب أن تسود فى أيامنا أيضاً .

وقد ذكر فى الوصف الأول المختصر للحروب جنود المزوى مرتين والظاهر أنهم قد لعبوا دورا هاما ، ونحن نعلم أن المزوى كانت قبيلة تسكن البقاع الواقعة جنوبى مصر ، وجنود المزوى الذين ذكروا فى متن « كاموس » كان يجب أن يكون بينهم صلة وبين المقابر التى تدعى المقابر القعبية التى وجدت موزعة فى هذا الوقت على مساحة تعادل

بالضبط الإقليم الذى كان يسيطر عليه « كاموس » وتظهر لنا محتويات هذه المقابر بوضوح أنها ملك لقبيلة حربية من بلاد النوبة والسودان وكان أهلها مجهزين بأسلحة مصرية ، وقد رسم على رأس ثور أحد هؤلاء المتوحشين الذين أتى بهم بوساطة الطيبيين لمساعدتهم على الهكسوس وهو حامى السلالة يرتدى قميصا ويحمل بلطة مصرية ومقلاعا[١] .

وكذلك لدينا صور معاصرة تقدم لنا فكرة عن منظر المحارب الهكسوسى ، فلدينا من عهد ملك الهكسوس المسمى « أبو فيس » «نب خبش رع» خنجر وجد فى مقبرة « بسقارة[٢] » ومن المحتمل أن هذا الملك كان مناهضا «لكاموس» . وقد وجد الخنجر فى قبر رجل سامى الجنس يدعى « عابد » وهو فى الأصل كان لسامى محارب آخر . كان سيده يتبع عظيما يدعى «نحمن» ، وكان «نحمن» ذا ملامح سامية وأسلحته التى كانت معه حربة وقوسا قصيرا مركبا وسيفا وخنجرا ويحتمل أنها كلها من طراز سامى . وطراز الخنجر نفسه بمقبضه المطعم يحتمل أن يكون طرازا أسيويا جديدا أيضا ، والواقع أنه من أقدم العينات المعروفة لهذا الطواز من الخناجر المتقنة البتارة[٣] وكذلك يظهر فى الزخرفة التى عليه الأثر الأسيوى ويمكن أن نقرنها مثلا بجعران من « يريحا » من فلسطين[٤] ولدينا فى هذه الزينة أسلوب سورى فلسطينى الأصل ، وكذلك يوجد نفس الفن فى الزينة فى مجوهرات سورية[٥] . وقد جاءت اللوحة التى كشفها الأستاذ لبيب حبشى مؤيدة لهذا الرأى كل التأييد كما سنرى بعد :

وهذه الصور تبرهن لنا بوضوح على أن الهكسوس كان لهم اتصال وثيق بآسيا ومن ثم أخذوا عنها قوتهم الفنية فى فنون الحروب خلال الحروب الفاصلة التى شنوها

---

(١) راجع Brunton, Mostagedda Pl. 76

(٢) راجع A.S., 7, pl. opp. p I16

(٣) راجع Winlock, op. cit., 159 *f.*; Petrie, Ancient Egypt, 1930, p. 97 *ff.*

(٤) راجع Rowe, Catal. of Egyp. Scarabs in the Palestine Arch. Mus., Pl. 2 : 69, p. 20

(٥) راجع Montet, Les Reliques de L'Art Syrien, p. 133 *ff.*

على المصريين الذين اعتمدوا بدورهم على أراضيهم الخلفية فى افريقيا . وهكذا نخرج بفكرة أن حروب التحرير هذه كانت حروبا بين آسيا وأفريقيا .

ولما كانت نهاية متن « كاموس » قد فقدت فقد بقينا لا نعرف إلى أى حد قد نجح المصريون فى طرد الهكسوس نحو الشمال إلى أن كشفت اللوحة التى أماط عنها اللثام الأستاذ لبيب حبشى فى صيف عام ١٩٥٤ هو والدكتور حماد فى معبد الكرنك [(١)] .

---

(١) وقد حدثنى عن هذا الكشف الأستاذ لبيب بما يأتى :

عند ما ندخل إلى صالة الأعمدة من مدخلها الغربى أو المدخل الرئيسى نجد تمثالين لرمسيس الثانى أحدهما على اليمين والآخر على الشمال وعندما كان الأستاذ لبيب حبشى كبير مفتشى آثار مصر العليا والدكتور حماد مدير الأعمال يعملان فى فحص القاعدة وجدا تحت التمثال الأخير بعض الأحجار المعاد استعمالها ومن ضمنها لوحة كبيرة ، اتضح أنها للملك كاموس آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة التى حكمت فى طيبه .

واللوحة من الحجر الجيرى وارتفاعها ٢٢٠ سم (كانت حوالى ٢٣٥ سم عند ما كانت كاملة) وعرضها ١١٠ سم وسمكها ٢٨ سم ولا ينقصها سوى جزء بسيط من أعلاها .

وعلى هذه اللوحة الشمس المجنحة فى أعلى ثم ٣٨ سطرا أفقيا تنتهى بسطر واحد رأسى وبجواره رسم لرئيس حاملى الأختام "Neshi" وهى تقص علينا شطرا من حرب الملك مع الملك أبوفيس ملك الهكسوس .

ولقد كان أول نص وصلنا عن هذا الحرب هو "Carnarvon Tablet No. 1" التى اكتشفت عام ١٩١٢ فى البر الغربى بطيبة ، وقد نظر إليها بعض العلماء على أنها قصة خيالية ، ونظر لها البعض الآخر وعلى رأسهم "Gardiner" على أنها قصة حقيقية منقولة عن لوحة بأحد معابد طيبه . ولقد صدق تخمينه عندما عثر المسيو شفرييه سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٥ على قطعتين من لوحة فى بناء الصرح الثالث من الكرنك ، اتضح أنها جزء من بدء لوحة للملك نفسه يقص علينا نفس القصة "Lecau, Ann, 39" .

كذلك أثبتت اللوحة المكشوفة حديثا تحت تمثال رمسيس الثانى نظرية جاردنر ، كما أتاحت لنا معرفة بعض التفاصيل عن صراع ملك مصر مع ملك الهكسوس الذى قصوه علينا فى لوحتين كاملتين مما لم يسبق عمله فى التحدث عن أى حرب أخرى أو أى عمل آخر .

ومن اللوحة الأولى وصلنا فقط حوالى السدس . أما اللوحة الثانية فقد وصلتنا لحسن الحظ سليمة ، ومن هاتين اللوحتين ومن لوح كارنارفون (وفيها فقط جزء من اللوحة الأولى) نستطيع أن نتابع أخبار هذا الصراع ، ففى اللوحة الأولى يتحدث الملك كيف أنه فى السنة الثالثة من حكمه جمع كبار رجاله ليحدثهم عن استيائه من أنه لا يحكم مصر كلها وأنه لابد محاورب الأجنبى فى شمال الوادى وبجنوبه فيحاولون أن يثنوه عن عزمه ولكن على غير جدوى ، ويذهب حتى نفروسى وينتصر على "Teti, son of Plopi" وهنا تنقطع اللوحة . ولكن من اللوحة الثانية نستطيع أن نتابع أحداث الحرب فنجد أن كاموس =

والواقع أن النصر النهائى قد أتى على يدى أخيه وخلفه « أحمس » وقد حدثنا ضابط بحرى يدعى « أحمس » بن « إبانا » أن « أواريس » قد سقطت بعد حصار طويل وأن « شاروهين » الواقعة فى فلسطين الجنوبية قد حوصرت بعد ذلك ثلاث سنوات وسقطت . ولا بد أن « شاروهين » هذه كانت معقلا فى فلسطين الجنوبية ويحتمل أنها موحدة ببلدة « تل الفرعة » وهى التى يسميها « بترى » « بيت بلث » (Beth Peleth) فى تقريره عن الحفائر فى هذه الجهة [1] . وبسقوط هذا الحصن أبعد الخطر من الشمال وكسرت شوكة الهكسوس على الأقل فى هذه الفترة ولا أدل على ذلك من أن « أحمس الأول » حوّل نظره الآن نحو الجنوب واستولى ثانية على بلاد النوبة السفلى حتى « بهين » عند الشلال الثانى . فاذا كان الهكسوس وقتئذ يؤلفون خطراً مداهما فى الشمال فان التوسع فى الجنوب لم يكن ممكنا .

= يذهب شمالا حيث يخرب بعض البلاد وحيث يشيع الرعب فى النفوس ، فهو يحدثنا كيف أن النساء أصبحن لا يستطعن أن يحملن وكيف أنهن كن ينظرن إليه من أسطح منازلهن أو من النوافذ كما تفعل صغار الحيوانات المفترسة عندما تنظر إلى المارين من مغاراتها . ويستمر فيحدثنا كيف استطاع أن يقبض على ٣٠٠ مركب محملة بالذهب والفضة وال lapis-lazuli, amethyst والزيت والشحم والعسل ، وكل نوع قيم من أخشاب الأشجار وكلها من منتجات بلاد "Retenow" (فلسطين) ثم يتحدث إلينا بعد ذلك كيف وفق للقبض على رسول ملك الهكسوس إلى ملك كوش الذى دعاه لمحاربة ملك مصر ليقتسما الأرض فيما بينهما ، فهو يقول له فى هذه الرسالة كيف تكون حاكما ولا يسمح لك بأن تعرفنى ... ألا ترى ماذا عمل ملك مصر ضدى ؟ فان الحاكم الذى فيها يوشك أن يتقدم نحو أرضى ولا يمكننى أن أهاجم بنفس الطريقة التى اتبعها معك؛ لقد أختار أرضين كى يهاجمهما ، أرضك وأرضى ، فقد شاء أن يخربهما : تعال وابحر شمالا وحدك فانى هنا ولن يستطيع أن يتغلب عليك فى مصر فلن أسمح له بمهاجمتك، ودعنا نقسم أرض مصر بيننا . فيأخذ الرسالة ، ولكنه يطلق الرسول ليحدث سيده عما فعله كاموس فى الأراضى المحتلة ، وينتهى كاموس من حديثه بأن يخبرنا بأنه بقى فى بلده "Qasa"(القيس مركز بنى مزار) ليمنع العصاة من التسلل وراء خطوطه ، وكيف أرسل حاملى الأقواس لتخريب الواحة البحرية ، وقد كانت ولا شك من مراكز الهكسوس الرئيسية وأخيرا كيف عاد إلى أسيوط وطيبه حيث خرج الناس من كل بلد يستقبلونه استقبال الفاتحين وليقدموا لأمون الكرنك القربات ، ثم كيف أقيمت هذه اللوحة بأمر الملك وباشراف "Neshi" المرسوم على اللوحة والذى أشرنا إليه فيما سبق .

ولا شك فى أن هذا الصراع الذى لم ينل فيه الملك انتصارا تاما قد مهد السبيل لخلفه الملك أحمس فى النجاح فى طرد الهكسوس نهائيا من البلاد .

(١) راجع Albright, The Archæology of Palestine and the Bible, 153, 187

وقد أخذ المصريون عن الهكسوس كثيراً من التجديد فى فنون الحرب الأسيوية ولم يلبثوا أن أصبحوا من أقوى الدول فى الشرق الأدنى وقد فتحوا كذلك دولة فى الشمال أيضا . وفى غضون الحملات المتأخرة فى آسيا تعلم المصريون أشياء جديدة من الفنون الجديدة فى الحرب التى أصبحت مميزة بها ، وذلك نتيجة لإدخال استعمال العربات التى تجرها الجياد استعمالا كاملا . ففى مصر وكذلك فى ممالك أخرى كانت الحروب تشن بوساطة جنود محترفين قد تعلموا حرفتهم منذ الطفولة ، وكانوا يقطعون الإقطاعات مقابل ذلك هبة من الفرعون ، وكانت هذه الاقطاعات تبقى فى الأسرة ما دام فرد من الأسرة يحارب فى جيش جلالته[1] .

وقد كان من نتيجة احتلال الهكسوس لمصر أنها غيرت عاداتها بالنسبة لفنون الحرب وبالنسبة لتفاصيل أخرى فنية كما غيرت أنظمتها الداخلية السياسية فبدأت مصر تدخل فى عهد يمكن أن يطلق عليه عصر الفروسية فى الشرق الأدنى .

---

(١) راجع Save Soderbergh, The Navy of the 18th Dynasty, p. 81

العلاقات بين العصر المتوسط الثانى

فى مصر وبلاد النوبة

لقد خيم على مصر منذ نهاية الأسرة الثانية عشرة عصر من أظلم عهود التاريخ المصرى فلم نعرف عن تتابع ترتيب ملوكه إلا الشئ القليل على وجه التحقيق» ، ولكن على الرغم من ذلك فإن التطور السياسى فى بلاد النوبة بما عثر عليه من النقوش والآثار التى وجدت فى مصر وفى بلاد النوبة السفلى و «كرمه» يمكن أن نبنى خطوطه الرئيسية . والأشياء الهامة التى يمكن الحكم بها على حالة بلاد النوبة السفلى هى ما عثر عليه فى حصون «الشلال الثانى» ، وذلك لأنها قد أقيمت حماية للحدود فى أماكن تكاد تكون قاحلة وبدونها كان لا يمكن لمصر أن تسيطر على بلاد النوبة السفلى ، ففى قلعة «ورنرتى» عثر على أسماء ملوك فى صورة طوابع أختام فى طبقات التربة وتؤرخ بالعهد الذى يلى الأسرة الثانية عشرة[١] ، وأحد هؤلاء الملوك يدعى «حور — خع — باو — سخم — رع — خو — تاوى امنمحات سبكحتب» وينسب لهذا الملك نفسه أربعة مقاييس للنيل نقشت فى «سمنة» واحد منها دونه المشرف على الجيش وقائد حصن «سمنة» المسمى «رن سنب»[٢] وفضلا عن ذلك ظهر اسمه على تمثال صغير مستخرج من «كرمه»[٣] .

وهذا الملك — لا كما ذكرت ورقة «تورين» : «حور خو تاوى» — لا بد أن يكون أول ملك حكم البلاد قاطبة بعد الأسرة الثانية عشرة[٤] .

وفى الوقت الذى تلا عهده تمزقت وحدة البلاد وحكم أجزاءها المتفرقة عدد

---

(١) راجع Bull. Boston, M.F.A, Vol. 28, p. 47 ff.; Sudan Notes and Records, 14,(1931)p. 1 ff

(٢) راجع Sethe, Lesestucke, p. 99

(٣) Kerma, II, p. 516 and p. 111

(٤) راجع Journal Asiatique Ser., 11, 6 (1915) 2, Ser. 11, 9 (1917), 194 f

من الملوك المحليين بعضهم معروف وبعضهم خامل الذكر ، فمن حكام الوجه القبلى نعرف ملكين آخرين عثر على اسميهما فى « وورنتى » أحدهما يسمى « حور سرى تاوى » ولم يعثر على اسمه إلا فى هذا المكان ، أما الملك الآخر فهو « حور زدى خبرو » وقد ظهر فى « العرابة المدفونة » باسم « حور ددوى خبرو . . . » .[1]

وحوالى نفس الوقت كان الملك « حور خو تاوى رع » باسمه ابن « رع » « وجاف » وهو الذى ذكرناه آنفاً على ما يظهر كان يحكم فقط الوجه القبلى : ومما جاء على تمثاله الذى عثر عليه فى « سمنة »[2] نعلم أن نقطة حراسة الحدود عند « الشلال الثانى » كانت لا تزال محافظاً عليها .

وفى هذا العهد الذى أصاب فيه مصر الضعف والتفكك نجد على الرغم من ذلك أن سلطانها كان لا يزال ممتداً على بلاد النوبة السفلى ، ثم لم تلبث أن استعادت وحدتها ثانية فى عهد الملكين « نفرحتب » وأخيه « نفررع سبكحتب » بوصفهما الحاملين لنهضة سياسية قوية فى البلاد ، وتدل الآثار الباقية على أنهما كانا يبسطان سلطانهما على كل البلاد . وقد وجد فى « جبيل » « ببلوص » نقش يدل على أن « نفرحتب » كان له نفوذ خارج الحدود المصرية[3] وقد جاء ذكر هذا الملك فى نقوش صخور فى بلاد النوبة عند « الشلال الأول » ، وكذلك ذكر على لوحة « بهين »[4] . أما أخوه « سبكحتب » فقد عثر له على تمثال فى جزيرة « أرقو » القريبة من « كرمه »[5] . ولما كان وجود هذا التمثال يدل على استمرار مستودع « كرمه » حتى عهد الهكسوس فإنه بالإضافة إلى التماثيل التى وجدت فى المقابر التلية الشكل تكون معاصرة ولم تنقل إلى هذا المكان فى العصر الكوشى[6] .

(١) راجع Rec. Trav., 22, 138; L.R., II, 84

(٢) راجع Gauthier, L.R., II, 151 h.i.

(٣) راجع Montet, Kemi I, 90 *ff.*, Fig. 8

(٤) راجع Buhen, p. 201, Pl. 74

(٥) راجع L.D., II, p. 151 h.i.

(٦) راجع A. J. S. L. (1908), p. 41 *ff.* : Drioton-Vandier, L'Egypt, p. 278

وهى على الأقل كآثار « كرمه » أو مائدة القربان التى وجدت كذلك باسم « سنوسرت الأول » تعتبر شاهداً على سيطرة سياسية مصرية على هذه البلاد ، وقد انقطعت عنا المصادر الأثرية الخاصة بعلاقة مصر بالجنوب تماما فى هذه الفترة ، وكل ما وصل إلينا من عهد الملك « خع نفر رع سبكحتب » هو نقش مهشم جداً ويحتوى على ما يظهر على إشارات إلى حرب على المزوى ؛ وكذلك على بلاد « واوات » ، غير أن هذه الاشارات مبهمة . هذا ويحتوى كتاب الاحصاء لشئون الحاشية[1] فى بلاط اللشت وهو المعروف بورقة « بولاق رقم ١٨ » — وقد كتبه كاتب يدعى « نفرحتب » عاش فى نفس هذا الوقت تقريبا — على معلومات عن توريد أفراد المزوى الذين أتوا إلى مصر بوصفهم عبيدا من بلاد « أوشق » . واسم هذه البلاد جاء ذكره كذلك فى كتاب « اللعنة[2] » بجانب اسم المزوى . هذا وليس لدينا أية وثيقة عن حرب عظيمة وقعت فى الجنوب . وهذان المصدران لم يذكرا لنا أى شئ تقريباً يدل على تغير فى الموقف السياسى للبلاد . حقاً لم تدلنا الآثار المكشوفة عن المحافظة على نقطة الحدود عند « الشلال الثانى » ، ولكن لدينا لوحة عثر عليها فى « بهين » فى مقبرة سليمة تدل على استمرار مستعمرة « بهين » فى يد المصريين . وعند ما تخطت السيادة المصرية عصر الضعف السابق لم يكن من المنتظر أن يحدث أى تغيير فى الاتحاد الذى حصلت عليه البلاد .

ومن ثم يظهر أن العصر الذى أتى بعد الأسرة الثانية عشرة كان عصر سلام فى الجنوب وكذلك تدل الآثار المكشوفة على وجود هذا الاتجاه السلمى . ونفهم من محتويات المقابر التى وجدت فى بلاد النوبة السفلى من هذا العصر على أن هذه البلاد كانت تتمتع بعصر ازدهار ، ويرجع أقدم هذه المقابر إلى أواخر الأسرة الثانية عشرة كما ترجع أخرى إلى عصر الهكسوس . والواقع أن تحديد تاريخ هذه المقابر بوجه عام

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٨٨

(٢) راجع Sethe, Achtung, etc.

يعد من الأمور الصعبة ، لأن المقابر التي لدينا هي مقابر أسر لم تفصل محتويات كل واحدة منها عن الأخرى إلا نادراً بسبب ما أصابها من نهب وتخريب في الأزمان القديمة .

ويمكن فقط في هذا العصر جمع الأواني الفخارية باعتبارها وحدة ثم جعل الزيادة المئوية لطراز معين من مجموعة أساسية خاصة بالدفن بمثابة نقطة ارتكاز لتأريخ تقريبي . ومن ثم نجد أن الأشكال الفخارية التي تطورت ببطء ثم بقي منها طرز خاصة هي التي تكون مميزة للعصور القديمة[1] .

وأسماء الملوك في هذا العصر قليلة ، وقد وجدت منقوشة كلها على جعارين قديمة مستعملة ثانية في مقابر أحدث عصر منها . ومن أجل ذلك يصعب استخلاص تاريخ محدد بوساطتها ، وبخاصة أن التطورات منذ أفول نجم الأسرة الثالثة عشرة حتى نهاية الأسرة الرابعة عشرة كانت قد ركدت[2] بدرجة عظيمة .

ويلاحظ أنه توجد جبانات مصرية من عهد الدولة الوسطى في « كوبان » و « عنيبة » و « بهين » وفي حصن « سمنة » و « شلفك » والأخيرتان منها لم تنشر محتوياتهما ، ولذلك لا يمكن تأريخهما بوجه التأكيد . وتقع الجبانات في المستعمرات الثلاث الكبيرة التي كان قد استولى عليها المصريون فعلا في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك مدّت مصر سلطانها حتى الحدود الجنوبية . والمقابر القديمة الخاصة بجبانات « كوبان » قد أرخها الأثري « فرث » بنهاية الأسرة الثانية عشرة وما بعدها[3] . وليس لدينا معيار تاريخي يقربنا من الحقيقة مثل أسماء الملوك التي على الجعارين . هذا إلى أن إعادة استعمال حجرات الدفن في عهد الدولة الحديثة قد وضعت أمامنا العقبات التي تعوقنا عن الوصول إلى رأي قاطع عن قدم القبر وتأريخه ، ومع ذلك فإن هذه

---

(١) راجع Peet, Cemeteries of Abydos, II, 70 and J.E.A ., 14, p. 204

(٢) راجع Save, Ibid, p. 12, Note 2

(٣) راجع Firth, III, p. 24

العقبة يمكن تلافيها لمـا يوجد بين فخار « تل اليهودية » وفخار « كرمه » من علاقة تجعلنا نعطيه تاريخا أحدث .

ونجد فى « عنيبة » على حسب ما نشر حوالى عشر مقابر تؤرخ بالنصف الثانى من الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثالثة عشرة والعصر المتوسط الثانى ، فى حين نجد عشرين مقبرة مؤرخة بالعهد المتوسط الثانى وبداية الأسرة الثـامنة عشرة . وهذا التأريخ فى تفصيله غير مؤكد كما أكد ذلك لنا الأستاذ «ستيندورف» ومع ذلك فليس هناك شك فى أن المستعمرات كانت مزدهرة فى العهد الذى تلا الأسرة الثانية عشرة . حقاً إن أسمـاء الملوك تكاد لا توجد فى هذا العهد ، ومن ثم فإنه من الصعب تحديد تاريخ للقبور القديمة . وعثر على جعران فى مقبرة من عهد الدولة الحديثة نقش عليه اسم ملك يدعى « سخمن رع »[1] ومن المحتمل أن هذا الملك وجد فى « كرمه » ويرجع عهده إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة أو عصر الهكسوس ولا بد أن نؤكد هنا أنه لم يعثر على أى شئ يمكن أن نستخلص منه تأريخا من عصر الهكسوس المتأخر . أما فى مقـابر « بهين » فلدينا بوجه خاص جبانة « K » التى لهـا أهمية خاصة عظيمة ، وذلك لأن موقعها داخل سور المدينة الذى أقيم على ما يظهر فى عهد « أحمس الأول » ممـا يجعلنا نؤرخها بالعصر الذى جاء قبل الأسرة الثامنة عشرة . وكذلك لدينا بعض مقابر ضمن جبانات أخرى « J.H » فى « بهين » يمكن تأريخها بعهد الدولة الوسطى والعهد المتوسط الثانى ، ولـكن نضرب عنها صفحا لعدم تأكدنا من تأريخها الحقيق .

ولمـا كان ينقصنا ترتيب الأوانى الجنازية على حسب طرز الدولة الحديثة فإنه لدينا من جهة أخرى أشياء باسم « امتحانات الثـالث » ، ولذلك أرخ الأثرى « ماك ايفر » القبر « K » بالأسرة الثانية عشرة فى « بهين »[2] وهذا التأريخ قد وافق عليه الأستاذ « ينكر »[3] وكذلك يقول إنه من المحتمل تأريخ بعض الدفنات فى هذه الجهة

(١) راجع Aniba, II, 99, No. C 2; 2, etc,
(٢) راجع Buhen, p. 185 *ff*.
(٣) راجع Tell-el-Yahudiya-Vasen, p. 82 *f*.

بعهد الهكسوس فى حين أن الأستاذ « ستيندورف » يؤرخ كل هذه المقابر باستثناء المقبرة رقم "K.8" بعصر الهكسوس .

والواقع أنه ليس لدينا إلا المقبرة "K.8" السليمة وهى التى وجد فيها لوحة الملك « نفرحتب » السالف الذكر، فقد أرخت تاريخا مؤكدا ، أى الأسرة الثالثة عشرة أو بعهد بعد ذلك بقليل فقد تكون اللوحة أقدم من الدفنة ، ولا أدل على ذلك من أنه قد وجد خاتم فى صورة جعران باسم « أمنمحات الثالث » مما يدل على استعمال شئ قديم ، ولذلك فإن القبر "K.13" الذى وجد فيه خرزة عليها اسم نفس هذا الملك ليس من المؤكد أن يؤرخ بالأسرة الثانية عشرة . أما الآثار الأخرى التى وجدت فى هذا القبر فلا يمكن تأريخها على وجه التأكيد ، وطراز الفخار ورقم واحد المنسوب إلى كرمه وهو القارورة العادية الخاصة بالدولة الوسطى والطراز رقم اثنين ويشمل الأطباق الخشنة المحزوزة وهى التى أكد الأستاذ « ينكر » أنها مميزة لفخار الدولة الوسطى ، فقد امتد زمن استعمالها إلى ما بعد هذا العهد ، فمثلا نجد الطراز رقم واحد فى المقبرة "K.8" كما نجد الطراز الأول والثانى فى المقبرة "K.10" بجانب فخار « تل اليهودية » (1) .

ولا يمكن أن نؤرخ على وجه التأكيد أية مقبرة بالأسرة الثانية عشرة ، وذلك لأن الجعارين التى وجدت فى هذه المقابر يظهر من طابعها أنها من عصر متأخر عن ذلك ، ويمتاز العصر المتوسط الثانى برسوم أشكال كبيرة مثل رقم ١٠٦٩٧ من المقبرة "K.18" ورقم ١٠٨٤٦ من المقبرة "K.14" وعليها اسم الملك « كار نفروى » وكذلك النموذج الذى على شمالى الاسم لا يمكن أن يكون طرازه مستعملا إلا بعد الأسرة الثانية عشرة والمقابر "K. 14" ، "K.18" ، "K.37" ، "K.83" التى وجدت فيها هذه الجعارين هى بلا شك من هذا العصر أيضا .

وهذا التأريخ لمقابر « بهين » لا تقتصر أهميته على هذا السبب ، وذلك لأنها برهنت

---

(1) راجع Save Soderbergh, Ibid, p. 123, Note 5

على استمرارها ، وكذلك ازدهار المستعمرة فى خلال الأسرة الثانية عشرة ، يضاف إلى ذلك أن التاريخ الذى وضعه الأستاذ «ينكر» بوجه عام للأسرة الثانية عشرة كان ليقابل تاريخا أعلى وضعه للأوانى التى وجدت هنا من أوانى «تل اليهودية» وكذلك ليكون بمثابة برهان على أنها مأخوذة من أصل نوبى .

والمقابر التى وجدت فيها هذه الأوانى لا يمكن أن تؤرخ إلا بالأسرة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وليس لدينا قطعة واحدة تفرض علينا تأريخها قبل الأسرة الثانية عشرة . .

وكل ماوجد فى «كرمه» من قطع الفخار المحزوز سبع قطع وأربع من الفخار العارى عن الزخرفة وهى بلا نزاع من مقابر على هيئة تل مستديرة ومؤرخة بالعهد الذى يلى الأسرة الثانية عشرة .

والبرهان الذى أورده الأستاذ «ينكر» على أن أوانى «تل اليهودية» من أصل نوبى قد أهمل بوجه عام[1] . والواقع أنه ليس لدينا شك فى أنها من الواردات الشمالية ، ويحتمل أنها من منطقة سوريا وفلسطين . وعلى حسب رأى «أوتو» كان العصر الذهبى هناك يقع حوالى ١٧٥٠ ق . م ويستمر حتى بداية عهد الهكسوس[2] ، وقد عاش إلى العهد الذى بعد عصر البرنز المتوسط الثانى[3] وهذا يقابل الدولة الحديثة ؛ وكذلك وجد فضلا عن ذلك فى مصر وبلاد النوبة ، ولكن يلحظ أن هذه الأوانى لم توجد بصورة قاطعة فى مصر فى مقابر الأسرة الثانية عشرة ، إذ ليس لدينا ما يثبت ذلك . وهذه الأوانى التى لا نعرف على الأقل أصلها النوبى — وهى على الأرجح ليست كذلك — لم يكن مرغوبا فيها بوجه خاص فى «كرمه» كما أنه لا يمكن

---

(١) راجع Sjoqvist, Problems of the Late Cypriote Bronze Age, p. 86, etc.

(٢) راجع Otto, Studien Zur Keramik der Mittleren Bronzezeit in Palästina (Zeitscher. d. Deutsch-Pälast. Vereins, Bd. 61 (1938), p. 168 ff.

(٣) راجع MBZ II b

وضعها بوجه عام فى ثقافة مجموعة "C" بل لا بد من وضعها فى العصر الذى يلى الأسرة الثانية عشرة ، كما أن المقابر التى وجدت فيها فى بلاد النوبة لا يمكن أن تؤرخ كذلك بعصر آخر . وكذلك المقبرة التلية الشكل رقم ٤ (K.IV) فى « كرمة » فإنها مثل المقابر الأخرى التى فى هذه الجهة التى وجدت فيها هذه الأوانى يرجع عهدها بلا شك إلى العصر الذى يلى الأسرة الثانية عشرة . وتبرهن أوانى « تل اليهودية » بدون أى شك على وجود علاقة ودية بين المستعمرة المصرية فى بلاد النوبة وأرض الوطن المصرية ، وليس هناك أى شئ يشبه تبعية إقليمية فى تطور هذه الأوانى ، فمن المحتمل إذاً أنه قد ورد إلى « بهين » أوان من سوريا وفلسطين وأعنى بذلك أوانى خاصة بالطعام من ذوات المقبض العمودى (وطراز رقم ٨ هو الذى له مقبض) هذا إلى الأطباق ذات القاعدة العالية[1] ، ولكننا لا نجد من هذه الأوانى ، وبخاصة البسيط منها ، قطعا مماثلة لا بوصفها قطع زينة ولا أطباقاً للتصدير .

ومن ثم نرى أن العصر الذى يلى الأسرة الثانية عشرة كان عند أهل الجنوب على الأرجح جداً عصر سلام ، وكانت فيه مصر صاحبة السيادة على الأقل حتى نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل حتى بداية عصر الهكسوس ولا أدل على ذلك مما قصه علينا « كاموس » من أن اقليم بلاد النوبة كان فى هذا العصر المبكر فى سلام عندما بدأ النضال فى أوائل الدولة الحديثة بين الهكسوس والمصريين ، وأن بلاد النوبة كانت محررة من السيادة المصرية .

فالقبور المصرية التى فى مستعمرات بلاد النوبة المصرية لا يمكن أن نحصل منها على نقطة ارتكاز للتاريخ بصفة مؤكدة ، وكذلك لا تقدم لنا الآثار التى عثر عليها فى الحصون أى معونة فى هذا الصدد ، لأن تاريخها فيه شك لوجود مبان من عصور مختلفة فيها . حقاً نجد تخريباً كبيراً قد حدث فى مبانى الحصون النوبية التى من هذا العصر ، ولكن يجب أن نستنبط من استمرار وجودها بحالة الحفظ التى هى عليه الآن

(١) راجع Otto, Ibid, p. 171

أنها لا تدل على حدوث فتح . وفضلا عن ذلك لا نظن أنها كانت مستعمرات منفصلة عن وطنها الأصلي إلا إذا كانت قد هوجمت وأخذت تفقد قوتها شيئاً فشيئاً حتى قضى عليها .

وفى « عنيبه » نجد بوجه خاص أن العلاقات فى هذه المناسبة هامة ، وذلك لأن الحصون على حسب ملحوظات الأثرى « شليفس » (Schleifs) ينبغى أن تكون باقية حتى عهد الدولة الحديثة[١] . والبرهان على استمرار المحافظة على أعمال الدفاع تقدمه لنا الاصلاحات العدة التى عملت فى المنحدرات التى فيها الحفر الجافة والتى يمكن رؤيتها فى كثير من الأماكن حتى الآن . ومع ذلك نفهم من كل الأماكن التى بقيت عليها الحفر بمقدار كاف أنها كانت فى وقت ما مثل كل الحفر مملوء ثلثها بالرمال والحصى ، وأنه قد شرع فى تجديد أساس لكل المنحدرات والأبراج ، ولم يكن ذلك بمثابة إصلاح بل بمثابة إقامة بناء من جديد لهذه الحفر ، ولذلك كان يعد عصر بناء سادس . والمنحدرات الجديدة بنيت بناء رديئا من أحجار خشنة القطع واستعمل فيها طمى النيل بكثرة بدلا من الملاط . وقد كانت تجدد المنحدرات بهذا النوع من الصناعة . وكانت المنحدرات الخارجية لا يعنى بها أكثر من سابقتها ، وذلك لأن الحافة الخارجية للحفر فى وقت التجديد كانت فى حالة سيئة .

وينبغى أن نقرر هنا بأنه فى حالة عدم التأكد من زمن إقامة الإصلاح والتجديد ، وكذلك إذا لم يتبع فن تجديد المنحدرات والأبراج وفن البناء المعتاد تماما ، فانها فى هذه الحالة تكون قد أقيمت بالأحجار الخشنة التى يستعمل فيها طمى النيل ملاطا مثل طراز مبانى ثقافة مجموعة[٢] "C" .

والآثار التى وجدت فى حصن عنيبة لا تحدثنا بشئ على وجه التأكيد ، كما أن فخارها لم ينشر بعد ، ومع ذلك فقد وجد هناك صورة امرأة عارية من العصر النوبى المتوسط[٣] وتكاد تنعدم هنا تماما الآثار القديمة ، ولم نجد إلا قطعة حجر من بناء من عمود نقش

(١) راجع Aniba, II, p. 16.

(٢) راجع Areika, p. 6 *f.* and Pl. 4

(٣) راجع Aniba, II, p. 30

عليها بحروف خشنة بالهيروغليفية اسم الملك «سنوسرت الأول» . من الدولة الوسطى[١] .
ومن ثم نفهم أن الجحرات كانت قد نظفت فى عهد الدولة الحديثة من القطع الأثرية القديمة .

وقد سارت الأسرة الثالثة عشرة فى طريقها بعد حكم الملكين « نفرحتب » وأخيه « سبكحتب » إلى الانحلال بسرعة وقد بدأ فى عهدها عصر الهكسوس . ففى الوجه القبلى كان موقف هؤلاء الحكام الأجانب غير واضح حقيقة ، ولكن يمكننا أن نحكم من الآثار التى عثر عليهـا فى « ابجبلين » على أنه يجب أن يكون لهم سلطان حقيق فى عهد الملكين « خيان » و « أبو فيس عاوسررع »[٢] ، والظاهر أن تقدم الهكسوس فى الوجه القبلى قد سبب سقوط الأسرة الثالثة عشرة .

وتدل طوابع الأختام فى « كرمه » على أن التجارة كانت مشرقة فى « كرمه » فى عهد الهكسوس ، بل كانت فضلا عن ذلك تجارة الجنوب تحت حماية حكام الهكسوس ؛ وبغير ذلك لا يمكننا أن نفسر وجود أسمـاء ملوك الهكسوس على طوابع أختام فى مستودع « كرمه » . ومن ذلك نستنبط أن هؤلاء الحكام ، على الأقل فى العصر الأول من حكمهم ، كان لهم سلطان حقيق فى الجنوب من مصر ؛ وإذا كانوا قد جعلوا مستودع « كرمه » تحت سلطانهم فإن بلاد النوبة السفلى كانت بطبيعة الحال فى قبضتهم . ولا نزاع فى أن كثيرا من الأختام التى وجدت فى المقابر المصرية ببلاد النوبة السفلى هى بكل تأكيد تابعة لعصر الهكسوس ، مع العلم أنه على حسب معلوماتنا حتى الآن تكاد لا توجد هناك أسمـاء هكسوسية . ولم يكن من المتصور قط أن يبقى مستودع « كرمه » مستمرا عندما كانت مراقبة أهالى بلاد النوبة السفلى قد انقطعت ، وكذلك خطوط المواصلات التجارية لم تكن بعد فى يد الحكومة المصرية ، والواقع أنه فى خلال العهد الأول من عصر الهكسوس قد أخذ الحاكم الأجنبى يحتل مكان

---

(١) راجع Aniba, II, p. 21

(٢) راجع Rec. Trav., 16, 42 ; 14, 26

الأسرة البائدة فى الجنوب ويقوم بدورها السياسى ، غير أن الحكومة المصرية فى هذا العهد لم تفقد كل سلطانها .

والظاهر أن الهكسوس لم يكن فى مقدورهم أن يمدوا سلطانهم مدة طويلة فى الوجه القبلى ، إذ أخذ صغار الحكام المختلفين فى البلاد يعارضون سلطان الهكسوس بشدة إلى أن أقام أهالى إقليم « طيبه » وأسسوا الأسرة السابعة عشرة التى احتلت مكانة ممتازة فى الصعيد ، وفى هذا الوقت كان الانحلال السياسى فى الهكسوس ، وكذلك بين صغار ملوك الأسرات فى الوجه القبلى قد أضعف سياسة مصر الخارجية بقوة ، وبذلك اضمحلت تجارتها مع الجنوب . وتدل الآثار التى وجدت فى « كرمه » فى هذا العهد على أن مستودع « كرمه » كان قد قضى عليه وأصبح خراباً ، وكذلك نجد أنه فى نفس الوقت تقريباً كانت مصر قد فقدت سلطانها على بلاد النوبة السفلى ، وذلك عندما أصبحت هذه المستعمرة لم يعد بعد مستعمروها يلقون العون الجدى من أرض الوطن وتركوا هم وحظهم .

وهذا التغير السياسى فى بلاد النوبة السفلى نشاهده فى المواد الأهلية التى عثر عليها هناك . وذلك أن وجود فخار « كرمه» فى ثقافة مجموعة " C " المتأخرة[١] . ووجود مقابر ردية من طراز مقابر « كرمه » الخالصة يعد دليلا واضحاً على انعدام وجود حواجز الحدود عند « الشلال الثانى » . ومما يؤسف له جدّ الأسف أن الآثار التى وجدت عن أواخر عهد تاريخ « كرمه » لم تنشر بعد ، غير أن إحدى الجبانات الحديثة فيها وجد أنها تحتوى على فخار يشبه فخار أواخر عهد ثقافة مجموعة[٢] " C " . وهذا دليل آخر على هذا الاتجاه .

وفى خلال كل الوقت الذى كانت فيه السيادة المصرية — كما أكدنا ذلك من قبل — قائمة ، كانت ثقافة مجموعة " C "عند المصرى من جهة أخرى كاسدة . وعندما

---

(١) راجع Aniba, I, 9; Emery-Kirwan, p. 504

(٢) راجع J.E.A., Vol. 25, p. 108

لوحظ أول نهوض جديد لثقافة مجموعة C المتأخرة وهى التى تتميز بالمقابر التلية الضخمة التى لها مقاصير مشيدة باللبنات وبها الأوانى الفخارية الجميلة المحزوزة المصور عليها نماذج ذات ألوان مختلفة ، فإن ذلك يجعلنا نرى فيها علامة على وجود معارضة متزايدة لمصرى الأقاليم المنعزل فى « كرمه » .

نجد فيما بعد قيام حركة تمصير للثقافة الوطنية فى بلاد النوبة السفلى واسعة النطاق وكان النوبى بلاشك فى هذا الوقت دائماً مستقلا عن مصر إلى أن انتهى به الأمر أن خلع عن نفسه تماما النير الأجنبى ، وهذا التطور الثقافى لا يكاد يرجع إلى حركة هجرة مصرية . والرأى القائل إن سيادة الهكسوس فى مصر قد أدت إلى هجرة عدد عظيم من المصريين إلى بلاد النوبة رأى خاطىء ، وذلك لأن الهكسوس الأول كان لهم فيما نرجح سلطان حقيق على بلاد النوبة ، فى حين أنه فيما بعد قد أخذت من جهة سلطة الهكسوس فى الوجه القبلى تختفى ، ومن جهة أخرى كان المصرى دائماً أكثر حرية ، وأخيراً قد أصبح سياسياً غير تابع لأحد .

وليس لدينا معلومات أكيدة من عهد الهكسوس المتأخر ولا من عهد الأسرة السابعة عشرة عن نشاط مصر السياسى فى الجنوب ، ومن ثم نفهم جلياً من قصة « كاموس » أن بلاد النوبة فى نهاية الأسرة السابعة عشرة كانت دائماً بلاداً حرة مستقلة يمكنها عقد المحالفات مع البلاد الأخرى ، يضاف إلى ذلك أنه قد عثر فى « بهين » على لوحة[1] تشمل على ما يظهر تاريخ حياة مصرى كان فى خدمة حاكم مستقل لبلاد «كوش» وهذه اللوحة من الأهمية بمكان لأنها تلق ضوءا جديدا على متون أخرى من نفس العصر . واللوحة محفوظة الآن بمتحف «الخرطوم» وأعلاها مستدير وزينتها تقليدية وكذلك النصف الأول من المتن ، الذى يحتوى على اثنى عشر سطراً ألفاظه تقليدية وهاك النص : «قربان يقدمه الملك لأوزير رب « بوصير » الإله العظيم رب العرابة ولحور رب البلاد الأجنبية ليقدما قربانا يحتوى على خبز وجعة وثيران ودواجن وكل شئ طيب

(١) راجع J.E.A. Vol., 35, p. 50 *ff.*

وطاهر مما يعيش عليه إله مما توجده السماء وتصنعه الأرض و يجلبه النيل بمثابة قرباته الطيبة لروح الموظف « كا » . إنه ابن بلته الذى يجعل اسمه يعيش (أى اسم الموظف) «ياح وسر» . يقول « إنى خادم شجاع لحاكم « كوش » إنى غسلت قدمى فى مياه « كوش » وأنا فى ركاب الحاكم « نزح » وقد عدت صحيحا معافى إلى أسرتى »

وهذه اللوحة السالفة تشبه لوحة « بهين » لصاحبها « سبدحر » وهى محفوظة الآن بمتحف «فلادلفيا»[1] وهاك ترجمتها : «قربان يقدمه الملك « لبتاح سكر » (أوزير) رب « بوصير » الإله العظيم سيد « العرابة » ولحور سبد «بهين» وملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خع كاورع» المبرأ والآلهة الذين فى «واوات» ليقدموا دعاء يحتوى على خبز وجعة وثيران ودواجن وأوانى مرمر وملابس (؟) وبخور ومسوح وقربان من الطعام وكل الأشياء الطيبة النقية . . . مما تعطيه السماء وتنتجه الأرض ويجلبه النيل قربات طيبه من الطعام لروح قائد «بهين» « سبدحر» العائش ثانية (المرحوم) . يقول لقد كنت قائدا شجاعا « لبهين » ولم يفعل قط قائد ما فعلته ، لقد بنيت معبد « حور سبد » صاحب «بهين» إرضاء لحاكم « كوش » .

وتدل شواهد الأحوال على أن نفس المقدمات التى استعملت فى تأريخ لوحة «الخرطوم » رقم ١٨ تنطبق كذلك على هذا المتن الأخير ، وعلى ذلك فإن لوحة «سبد حر » ينبغى أن تؤرخ على أغلب الظن بالعصر الذى يقع بين الأسرتين الثالثة عشرة والثامنة عشرة ، وفضلا عن ذلك فإن مركز حاكم « كوش » فى كل من المتنين يجعل تأريخهما بالعصر الذى كانت فيه بلاد النوبة حرة قبل إعادة فتح هذه البلاد ثانية على يد «أحمس الأول » هو أحسن تأريخ مقبول ؛ ففى كلا المتنين لدينا ترجمة حياة مصرى لنفسه خدم تحت إدارة حاكم « لكوش » مستقل ، فكان « سبد حر » مصريا كما تشير إلى ذلك لوحة «فلادلفيا» . والظاهر أن كل أقاربه كانوا يحملون أسماء مصرية طيبة

(١) راجع J.E.A., Vol. 35, p. 54, (Philadelphia 10984)

مثل «كا» (الثور) ، (وتوجد حتى الآن فى المعصرة مركز ميت غمر أسرة تدعى أسرة الفحل ، كما توجد أسرة تدعى أسرة العجيل بميت غمر) ومثل «ياح وسر» ، كما جاء فى لوحة «الخرطوم» رقم ١٨ ؛ ومن جهة أخرى يحدثنا الأثرى « جوتييه »[1] أن «سبدحر» كان قائداً لـ «بهين» بعد «ثورى»[2] الذى خدم هناك فى عهد الملك «أحمس» . ولم يقدم لنا « جوتييه » لتاريخه هذا دليلا ، ولكن يحتمل أنه يعتبر «ثورى» أول قائد بعد إعادة فتح بلاد السودان ، ولم يشك فى إمكانية أن يكون لحاكم « كوش » الوطنى قائد « لبهين » قبل تلك الفترة وأن مصريا أقام معبدا هناك بأمره .

وقد وجدت لوحة « سبدحر » فى المستوى الذى قيل عنه إنه مستوى الأسرة الثامنة عشرة بالقرب من المعبد الذى فى « بهين » غير أن ذلك لا يعنى بأية حال من الأحوال تأريخه بالاسرة الثامنة عشرة[3] .

ومن المحتمل أن الأسباب اللغوية لهذا التأريخ ليست براهين فاصلة . والواقع أنه يعد من المدهش أن حاكما كوشيا مستقلا يأخذ فى خدمته مصرياً بعد أن يكون النير المصرى قد خلع عن أعناق النوبيين منذ زمن قصير ، وأن يأمر مصرياً ببناء معبد فى « بهين » الحصن المصرى القديم ، ففى حالة « سبدحر » من المحتمل القول أن التعبير « حقات كاش » أى « حاكم كوش » يشير إلى الملك المصرى وهو الحاكم الحقيق لكوش بعد إعادة فتح بلاد النوبة ، غير أن هذا التفسير على أية حال مستحيل فيما يخص لوحة « الخرطوم » رقم ١٨ حيث نجد اسم الحاكم قد ذكر ، وهذه الحقيقة تبرهن بدون أى شك على أنه فى بعض الوقت كان الحاكم الوطنى لديه مصريون فى خدمته .

ومن المؤكد أن صغار الملوك الوطنيين كانوا يلعبون دوراً خاصاً فى إدارة بلاد

---

(١) راجع Rec. Trav., 39, p. 236

(٢) وقد كان ثورى هذا أول نائب للملك فى بلاد النوبة حمل لقب « ابن الملك » كما سنرى بعد .

(٣) راجع J. E. A, 35; ibid., 55 f.

النوبة حتى بعد إعادة فتح البلاد كما سنرى بعد ، ولكن هل من المقبول أنهم كانوا وقتئذ لهم مكانة كالتى نجدها فى المتنين السالفين ؟ وهل يمكن أن نزعم أنهم أرسلوا حملات بأنفسهم أو أن القائد المصرى لحصن « بهين » الذى يعد من أقوى الحصون المصرية والمراكز الإدارية كان مسئولا عندما كان يبنى معبداً للحاكم الوطنى لكوش لا نائب الملك وبوساطته لملك مصرى ؟ والواقع أن رجلا يخدم فى النوبة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان يفضل أن يبرهن على ولائه لسيده الأعلى المصرى وكان يضع متن لوحته بالطريقة التى صاغها رجل آخر فى « بهين »[1] أو كان يستعمل كلمة « الملك » أو « جلالته » بدلا من استعمال « حاكم كوش » فقط .

والواقع أن كلا من لوحة « الخرطوم » رقم ١٨ ولوحة « سبدحر » تؤرخ بالفترة المتأخرة جداً من العهد المتوسط الثانى وهذا هو التأريخ المقبول .

وعلى حسب هذين النقشين كانت « بهين » ضمن دائرة حكام « كوش » وكان أحدهم اسمه « نزح » . والحرية التى نالتها بلاد النوبة فى عهد هؤلاء الحكام لم تمكث أكثر من جيل أو جيلين .

وملوك الهكسوس العظام حتى عهد « شيشى » و « ماعت إب رع » و « يعقوب — إيل » الذين وجدت أسماؤهم على طوابع أختام فى « كرمه » يظهر أنهم حكموا حتى قبل عام ١٦٠٠ ق . م بقليل ، فى حين أن « أحمس » أعاد فتح بلاد النوبة السفلى فى النصف الأول من القرن السادس عشر . على أن الموقف السياسى كما نعلم قبل إعادة فتح بلاد النوبة قد وصف فى مخاطبة « كاموس » المشهورة لعظماء رجال بلاطه : « إلى أى حد أنا عالم بقوّتى هذه عندما يكون رئيس فى « أواريس » وآخر فى « كوش » وأنا أجلس هنا فى حلف مع أسيوى ونوبى ، وكل رجل قابض على قطعته من مصر هذه ؟ » هذا بالإضافة إلى ما جاء فى متن اللوحة المكشوفة حديثاً

---

(١) راجع Buhen, p. 90 *ff.*

مما يدل على استقلال « كوش » بوصفها دولة قائمة بذاتها بجوار مصر والهكسوس ،
ونفهم من ذلك وجود ثلاث ممالك كبيرة : مصر الشمالية تحت حكم ملك الهكسوس ،
ومصر العليا حتى « قوص » تحت حكم « كاموس » ، و « كوش » تحت حكم حاكم
نوبى . وكان جواب عظماء البلاط على سؤل الملك : « إن « الفنتين » قوية » يظهر
لنا أن الحدود الشمالية لبلاد النوبة فى هذه الحرب كانت عند « الشلال الأول » ، وعلى
ذلك فإنه من هذين المتنين بالإضافة إلى متنى لوحتى « بهين » يظهر أنه من الممكن
ان نستخلص أنه كان يحكم بلاد النوبة السفلى حاكم واحد . ومن المحتمل أن ذلك كان
ينطبق مؤقتاً بعد إعادة الفتح ، وذلك لأن لدينا متنا متأخرا من عهد «تحتمس الثانى»
يحدثنا بأن منطقة نفوذ حاكم « كوش » كانت مقسمة خمسة أقسام عملت فى عهد
« تحتمس الأول » ولكن فى هذا الوقت كان من المحتمل أن يستعمل كلمة « كوش »
فى معنى مختلف . وبالنسبة لقصر فترة تحرير بلاد النوبة بدرجة كبيرة فإنه من الجائز
أن حاكم «كوش» «نزح» السالف الذكر كان هو الذى أشير اليه فى متن الملك « كاموس »
والذى أرسل اليه ملك الهكسوس يطلب اليه التحالف على مصر كما أشرنا إلى ذلك
من قبل .

ويلاحظ أن العبارة التى فاه بها « كاموس » : « مصر هذه » بقدر ما تشير
إلى الاقليم المصرى فى بلاد النوبة لم تكن بأية حال فى غير محلها قط ، وذلك لأن
مجموعة C النوبية كانت فعلا قبل الأسرة الثامنة عشرة قد تمصرت لدرجة أن الأستاذ
« ريزنر » فى أول الأمر كان تحت تأثير أن مجموعة C كانت قد طردت على يد مهاجرين
مصريين من الذين كانوا قد هربوا من حكم الهكسوس فى مصر . وقد برهن
« ينكر »[1] على أن هذا التمصير كان تطوراً فى داخل مجموعة "C" ولم يكن سببه تغييراً
أساسياً فى التأليف السلالى لسكان بلاد النوبة السفلى وهذا التغير السريع يمكن تفسيره
جزئياً بحقيقة أن عدداً عظيما من النوبيين كانوا قد خدموا بوصفهم جنوداً مرتزقة

---

(١) راجع Ermenne, p, 37 *ff.*

فى جيش الأسرة السابعة عشرة فى مصر ثم عادوا إلى بلادهم كما ذكرنا ذلك فى غير هذا المكان . وعلى أية حال فإنه لا المزوى ولا قوم المدافن القعبية ، وهم الذين يمثلون هؤلاء الجنود المرتزقة فى متن « كاموس » وفى الآثار ، ليسوا على ما يظهر موحدين بقوم مجموعة "C" الذين عاشوا فى بلاد النوبة السفلى[١] .

ويلاحظ هنا أن متنى « بهين » اللذين قد حللناهما هنا يمكن أن تتخذ منهما عاملا آخر فى عملية تمصير بلاد النوبة ، وأعنى بذلك المصريين الذين كانوا فى خدمة النوبيين ، إذ أن بلاد النوبة حينما أصبحت حرة وصارت المدنية المصرية منتشرة هناك كان من الطبعى أن يُرَحَّب بالمصريين الذين يريدون أن يخدموا الحكام الأهليين ، وإذا كانت بلاد النوبة السفلى محكومة بحاكم واحد ميوله مع المصريين والمدنية المصرية فإن التغير السريع فى الميول كانت بطبيعة الأحوال أكثر سهولة لتفسير ذلك ، وفى هذه الأحوال يكون من الطبعى أن نبحث عن براهين تعزز ذلك فى فنون التراجم المعاصرة من أقصى جزء فى جنوبى مصر . ففى حين نجد لوحة « ثو » الأدفاوى التى نشرها « جاردنر »[٢] تحدثنا أنه عمل شماله عند « أوازيس » وجنوبه عند « كوش » — وبذلك حصر نفسه فى مصر نفسها — نجد أنه قد لا يكون من المستحيل أن « حاعنخف » الأدفاوى[٣] (وهو مصرى آخر) كان فى خدمة أحد صغار ملوك النوبة ثم عاد إلى مصر مع أسرته . والمقدمات التى انطبقت على تأريخ لوحتى « الخرطوم » رقم ١٨ ولوحة « سبدحر » هى التى تنطبق على لوحة « حاعنخف » ، وهذا على ما يظهر يدل على أن لوحة « أدفو » تنتمى إلى أواخر العهد المتوسط الثانى . وبما تلقيه اللوحتان الأخيرتان من ضوء فإن التفسير التالى الذى يرتكز معظمه على تحليل الأستاذ « جن » للفقرة الصعبة جداً الخاصة بحياة هذا الرجل فى هذا النقش يمكن قبوله وهاك الترجمة :

(١) راجع Gardiner, Onomastica 1, 78 ; II, 269
(٢) راجع J. E. A., 7, p. 100
(٣) راجع Gunn, A.S., 29, p. 5 *ff.*

« لقد كنت محاربا شجاعا وأحد الداخلين « إدفو » وقد نقلت زوجتى وأطفالى ومتاعى من جنوب « كوش» فى ثلاثة عشر يوما وقد عدت بذهب قدره ستة وعشرون دبنا والخادمة « وشع شنى » ؟ . ولم أترك شيئا منه لزوجة أخرى (أى على الرغم من هذه الثروة فإنى لم أتخذ لى زوجة أخرى) ولكن بدلا من ذلك اشتريت ذراعين من الأرض وكان(لزوجتى) «حور مينى»واحد منهما بمثابة عقار لها فى حين أن الذراع الآخر كان ملكى . واستحوذت على أرض مقدارها ذراع من الأرض قد أعطى للأطفال وعلى ذلك قد كوفئت على ست السنين التى خدمتها فى بلاد النوبة التى جاء منها الذهب الذى اشتريت به الأرض » .

وعلى ذلك نرى بصورة ما أن مخاطرة «سنوهيت » الشهيرة فى أوائل الدولة الوسطى كان لها مثيلتها فى الجنوب فى المدة القصيرة التى استقلت فيها بلاد النوبة قبل حلول عهد الأسرة الثامنة عشرة، ولكن شتان بين القصتين ، فقصة « سنوهيت » قطعة أدبية بارعة من الطراز الأول ، فى حين أن القصة التى نحن بصددها لاتخرج بقدر ما تصل إليه معلوماتنا عن قصة مقتضبة كتبت بلغة حوشية ونقوس خشنة يقف أمامها المترجم حائرا مترددا للوصول إلى سر غورها وإبراز معناها الأصلى .

حقا عثر فى « المدمود » على نقش للملك يدعى « سخم — رع — واز خعو — سبكمساف »[1] تدل شواهد الأحوال على أنه فى أغلب الظن من ملوك هذه الأسرة وقد جاء فى هذا الأثر ما يدل على أن السيادة المصرية فى بلادالنوبة السفلى قد استرجعت ثانية فقد جاء فى النص : « قهر الأونتيو وضرب « كوش الخاسئة » . ولكن من صيغة المنظر التقليدية — وهو يرجع إلى تقليد قديم — لايمكن أن نستخلص منه شيئا مؤكدا عن سياسة مصر فى جنوب الوادى . وعلى عكس ذلك تماما تدلنا الهجرة العظيمة التى قام بها أهل بلاد النوبة نحو مصر كما يظهر ذلك أمامنا فى المقابر القمبية ، وهذه الهجرة كان قوامها روابط الجوار السلمية . وعلى مثل هذه الصورة — كما أوضح الأستاذ «ينكر» —

(١) راجع Fouilles. Inst. Fr., VII, 96 F; IX, p. 7

نجد أن تمصير بلاد النوبة السفلى يمكن تفسيره من وجهة سيكولوجية : وذلك أن المصرى إذا دخل بلاد النوبة بوصفه سيداً أجنبيا شعر النوبى نحو سيده بالحقد والبغضاء ولكن عندما أصبحت السياسة فى بلاد النوبة غير تابعة لغيرها ، وكان فضلا عن ذلك عدد كبير من النوبيين يرحلون إلى مصر بوصفهم جنودا مرتزقة أصبح الذوق المصرى هو المتبع فى بلاد النوبة ، من ذلك أنه قد أصبح القوم فى بلاد النوبة يجهزون بتوابيت الدفن على غرار الذوق المصرى ، وكذلك جلبت الأوانى الفخارية المصرية وقلدت فى بلاد النوبة ، كما لبس القوم ملابس مصرية ، ومن المحتمل أن هذا السلوك قد بدأ به صغار الملوك النوبيين الذين رأوا أن يفعلوا ما يفعله زملاؤهم المصريون (١) .

وهذا الرأى الأخير يحبذه الأستاذ « ينكر » إذ ليس من المستحيل فى عهد الأسرة السابعة عشرة أن يحمل بعض الأمراء النوبيين الأحياء أسماء وألقابا مصرية . فقد عثر على جعران فى « أرمينى » نقش عليه كلمة « نتر » (إله) « أحمس — أنتف » وهذا يمكن أن يكون اسم أمير وطنى . وهذا الاسم ليس معروفا بين أسماء ملوك مصر . وكذلك نلحظ فى البرج النوبى الواقع فى بلدة « الريقة » (مركز الدر) بعض تقليد للمبانى المصرية المماثلة ، وذلك عندما نعلم أن هذا المبنى بوجه عام يحتوى على اعتبارات كثيرة أخرى هامة بالنسبة لهذا العهد .

وهذا المبنى مؤسسة كبيرة لا بأس بها إذ يبلغ طولها ثمانين مترا وعرضها خمسة وأربعين مترا والتصميم الأصلى مستطيل وعرض جدرانه الخارجية نحو مترين وهو يكون وحدة منفردة ، وتدل جدرانه المقامة من الحجر على أنه فى صورته يؤلف حصنا وهو بدون شك يمثل برج أمير وطنى (٢) . ولاشك فى أننا هنا أمام مؤسسة نوبية كما يدل على ذلك الفخار الذى وجد فيها وهو فخار مجموعة "C" العادى المختلط بقطع مصرية معتادة ، هذا فضلا عن صناعة البناء كلها وبخاصة الجدران المكونة من الواح

---

(١) وهذا نفس ما حدث فى بلاد لوبيا فى الأزمان القديمة عندما كانوا يتزيون بالزى المصرى .
(٢) راجع Maciver and Woolley, Areika, p. 5

الحجر المرتفعة يتخللها ملاط من غرين النيل وأحجار خشنة بمثابة حشو وجدرانها مغطاة بطبقة من الطين ، وهذا الفن من المبانى نصادف شبيهه فى مساكن الأهالى فى « وادى العرب »[1] .

وهذه المؤسسة التى كانت فى الأصل منفصلة وحدها قد حرقت جدرانها ، وأصبحت كأنها مبنى مزرعة . وقد أرخت هذه المؤسسة بعهد الدولة الوسطى ، وذلك بسبب وجود جعران باسم « تحتمس الثالث » فى حجرة بنيت فى عصر متأخر ولكن من جهة أخرى أكد الأستاذ « ينكر » وجود فخار من الدولة الوسطى فيها وبذلك أرخها بالعصر المتوسط الثانى[2] . وقد وجد فى حفرة فى الجدار الخارجى فى هذه المؤسسة ودائع أساس مؤلفة من عشرة ألواح من الفخار رسم عليها صورة رجل واقف وعلى رأسه ريشة نعام ويقبض بحبل على أسيراً كع[3] ، وهذه الآثار التى يمكن أن تتخذ لتحديد تأريخ إقامة المؤسسة لها أهمية . ولا يمكن هنا أن نعد هذه الآثار أنها آثار مصرية استعملت ثانية .

وقد وجد ما يشبه ذلك تماما فى « كوبان » وفى « بهين » ففى « كوبان » وجد ذلك فى أسفل طبقة بين المنزلين واحد واثنين بجوار طابع خاتم باسم « سنوسرت الثانى[4] » وفى « بهين » وجد هذا الشكل فى أسفل طبقة (L. Stratum) فى رقعة بين المعبدين تميز أن تأريخ هذا الشكل لم يكن من المستطاع .. وعلى الرغم من أن هذه الطبقة (L) تمثل الأسرة الثانية عشرة فإن من الجائز أن تكون حجارتها قد استعملت حشوا للمبنى فى الأسرة الثامنة عشرة . ولا يوجد غير اسم « تحتمس الثالث » اسم أى ملك آخر[5] . فعلى حسب رأى الحفار أرخت القطع بالأسرة الثامنة عشرة ، ولكن على حسب الآثار التى وجدت فى « كوبان » يمكن تأريخها بالأسرة الثانية عشرة وهذا على ما يظهر هو الاحتمال المرجح .

(١) راجع Emery—Kirwan, p. 106
(٢) راجع Junker, Ermenne, p. 35
(٣) راجع إلى أسفل على يمين Save, Ibid., 133, Fig. 12
(٤) راجع Emery—Kirwan, p. 55
(٥) راجع Buhen, ibid, p. 117

وعلى الرغم من أن «ماك إيفر» و«ولى» و«إورك بيتس» وكذلك «ينكر» يرون أن الصور الرئيسية فى «الريقة» لأمير نوبى فإن «ينكر» يرى فى الصورة الرئيسية التى وجدت فى «بهين» أنهـا لرئيس نوبى فى حين أن «ماك إيفر و«ولى» يريان أنها لمصرى .

هذا وتصادفنا صورة أخرى غير ما وجد فى الحصنين المصريين «كوبان» و«بهين» وهى على لوحة وجدت فى الصحراء الغربية على مسافة عشرين كيلو مترا جنوب غربى «أسوان» وقد كتب مع الصورة فقط تاريخ السنة الثامنة عشرة[1]، ولكن هذه الكتابة فى الواقع مصرية دون أى شك .

وليس لدينا شك فى أننا هنا أمام صورة مصرية فالرجل الواقف وهو المنتصر يجب أن يفسر بأنه مصرى ، ولكن كونه فى «الريقة» ومثل لابسا ريشة نعام على رأسه لا يمكن أن يقال إنه هنا من أصل نوبى لأن مثيله فى الصورة التى عثر عليها فى «بهين» و«كوبان» لا يلبس هذه الريشة . وهذا التفسير يظهر طبيعيا عند ما يفكر الإنسان فى أن الصورة فى «بهين» رقم ١٠٩٣٣ قد رسم فيها الشكل الرئيسى مثل الصورة الهيروغليفية التى تمثل الجندى ، وأن هذه الصورة الهيروغليفية كانت لا تزال فى عهد الأسرة الثامنة عشرة تمثل أحيانا فى صورة جندى[2] واقف . فإذا كان الشكل الرئيسى مصريا فلابد أن يكون الأسير عدوا للمصرى ، والعلامة التى مع العدو يمكن تحديد معناها بأية حال . ففى صورة «بهين» نجد العلامة هى علامة «أمنت» (الغرب) أو علامة تدل على صورة معزى . وفى «كوبان» نجد علامة «أمنت» وكذلك صورة المعزى أو الثور ، وفى القطعة المستخرجة من «الريقة» يحتمل وجود رسم معزى على الرغم من أن الرسم غير واضح[3] . ؟

فعلامة «أمنت» (الغرب) يمكن أن تفسر بأنها انتصار على البدو سكان الصحراء الغربية ، كما أن صورة الحيوان التى توجد فوق رأس الأسير يمكن أن تمثل عدوا ،

---

(١) راجع A.S., 38, p. 389 and Pl. LV., 3

(٢) راجع Urk., IV, p. 888

(٣) راجع Areika, p. 9

ويمكن أن تكون علامة هيروغليفية تدل على قوم أجانب أو تدل على معنى جغرافى ليس بمعروف لدينا ، وعلى ذلك يمكن أن تدل على نوع من الشارات التى يرمز بها للقبيلة . والآن نعرف أن الجزء الأعظم من أفراد مجموعة C كانوا يعيشون على رعى الماشية ولذلك نجد الثيران والماعز والغزلان كانت تلعب دورا هاما فى الشعائر الجنازية الخاصة بالقبائل النوبية ، ولا أدل على ذلك من القربان الذى كان يقدم من هذه الحيوانات ، هذا فضلا عن النماذج المصنوعة من الفخار التى تمثل حيوانات مودعة فى القبور وهى بلا شك تمثل صوراً سحرية ، ويضاف إلى كل ذلك صور بقرات وجدت على لوحات للأهالى[1] .

ومن هنا كانت الحيوانات التى وجدت مصورة على الواح الفخار فى الواقع شارات قبائل تدل على قبائل نوبية ، والصور التى مع هذه الشارات تفسر الانتصار على هؤلاء النوبيين[2] . على أن وجود مثل هذه الصور فى برج نوبى فى « الريقة » يمكن أن يتخذ دليلا مضادا للتفسير السابق ، ولكن الصورة فى تكوينها مصرية تماما ، ولا يمكن أن تكون بأية حال نسخة صنعت محلياً فى بلاد النوبة ، يمكن أن تكون صورة مصرية قد أعيد استعمالها ، وأن معناها الأصلى لم يفهمه صاحب البناء إلا نصف فهم ، أساء استعمالها لنفسه تقليداً للمصرى . ولدينا أمثلة من هذا التقليد الأعمى للمصرى دون فهم أى معنى له ما وجد من كتابات مصرية قديمة لا معنى لها فى مقابر أفراد من أهالى بلاد النوبة من هذا العهد ، وهذه الألواح الخزفية التى تظهر من شكلها أنها قطع مصرية أعيد استعمالها لا يمكن أن يعتمد عليها اعتماداً مباشراً فى استخلاص تاريخ المكان الذى وجدت فيه ، غير أن استعمالها كان فى الوقت الذى سبق تمصير مجموعة C مباشرة . أما عن وجود مؤسسة مثل التى كانت فى « الريقة » فإن الفكرة السياسية لها لا توجد إلا فى وقت يكون فيه النوبيون أحراراً أى فى وقت لم يكن المصرى فى قدرته أن يعوق أميراً من أهل البلاد

---

(١) راجع Aniba, I, 38

(٢) راجع Save, p. 184, Note 4

أن يؤسس لنفسه بيتاً وطيد الأركان . وعلى ذلك فإن انقلاب المؤسسة السابقة الذكر إلى مزرعة مفتوحة يعد إصلاحاً قام به المصرى بعد إعادة فتح البلاد مما يدل على أنه لم يعد يطيق رؤيته، ومن المحتمل أن هذا يدل على ما كان يسود البلاد من سلام وهدوء .

ومن المحتمل أنه كان يوجد فى بلاد النوبة السفلى مؤسسات أخرى من هذا النوع ، ولكن الذى كان فى « الريقة » هو المؤسسة الوحيدة الكبيرة الحجم التى نشرت . وقد جاء ذكر مختصر لمستعمرة على مسافة ٣٠٠ متر شمالى « عنيبه »(١) وكذلك من بقايا مبانى فى « مصمص » وهما يدلان على أنهما يشبهان مؤسسة « الريقة » ومع ذلك بقى مبهماً إذا كان كل منهما مستعمرة مفتوحة أم لا .

هذا ونجد أن المصرى فى الجزء الأخير من النصف الثانى من العهد المتوسط الثانى قد نزل عن الحدود الجنوبية عند « سمنة » وهى التى كانت تعتبر الحد الفاصل بين مصر والسودان ، وبذلك أصبح المرور عند هذه النقطة حراً ، ويدل على ذلك ما جاء فى لوحة « كاموس » إذ ذكر فيها أن الحد الفاصل بين مصر وبلاد النوبة هو الشلال الأول ، وعلى ذلك فإن الهجرة العظيمة التى كانت تتدفق من بلاد النوبة إلى مصر قد أصبحت منتظمة . ومقابر مجموعة C الموجودة « بالكوبانيه » ينسب الجزء الأعظم منها إلى عصر مبكر مما يوضح لنا بجلاء أن هذه البقعة القديمة التابعة للمقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى ، والتى يرجع أصل أهلها إلى قبيلة تنسب إلى بلاد النوبة السفلى لم تكن مفصولة بحدود بين البلدين ، ولم يكن هناك بأية حالة من الأحوال حد فاصل للهجرة . والواقع أنه كانت توجد مراقبة على هجرة النوبيين إلى مصر منذ عهد الدولة القديمة ، ولكن يلحظ أنه فى العصر المتوسط الثانى كانت هذه الهجرة لمصر واسعة النطاق بدرجة لم تعرف من قبل ، ففى العهود المبكرة نجد أن دفن النوبيين فى الأراضى المصرية يكاد يكون معدوماً ، وذلك لأن النوبى كان بعد الانتهاء من خدمته فى مصر يعود ليدفن فى موطنه الأصلى كما ذكرنا من قبل ،

(١) راجع Aniba, II, p. 35

ولكن نجد الآن فى الوجه القبلى جبانات نوبية ومستعمرات ، وهى التى تسمى ثقافة المقابر القعبية الشكل وتمتد فى البلاد المصرية حتى بلدة « ريفه » شمالا والأماكن الأثرية المعروفة التى وجد فيها آثار حتى الآن من هذا النوع هى :

(١) « ريفه »[1] .

(٢) « مستجدة »[2] وفى هذه البلدة وجد حتى الآن أكبر جبانة من هذا النوع ويبلغ عدد مقابرها سبعا ومائة هذا فضلا عن وجود مستعمرة .

(٣) « قاو »[3] وفيها سبع وثلاثون مقبرة ومستعمرة .

(٤) « العرابة »[4] وتوجد بها حفر قبور مسطحة وبها فخار من فخار « كرمه » .

(٥) « البلابيش »[5] وبها ٤٩ مقبرة .

(٦) « هو »[6] .

(٧) « بلاص »[7] .

(٨) « الخزام » لم تطبع نتائج الحفائر بعد .

(٩) « طيبه »[8] وقد وجد كل من الدكتور « هول » و « إيرتون » جبانة منهوبة بالقرب من « الكرنك » ووجد غير ذلك قطع فخار من مقابر قعبية شرقى معبد « الكرنك » .

---

(١) راجع Petrie, Gizeh and Rifeh

(٢) راجع Brunton, Mostagadda, p. 114 ff

(٣) راجع Brunton, Qau and Badari, III, p. 3

(٤) راجع L. AAA, 10, 33 ff.; J.E.A., Vol. 14 p. 46 f.

(٥) راجع Wainwright, Balabish

(٦) راجع Petrie, Diospolis Parva, p. 45 ff

(٧) راجع Arch. Survey of Nubia, Bull. No 4, p. 12 ; Reisner, Report, p. 6

(٨) راجع Weigall Report, p. 25

(١٠) « أرمنت »[١] ولم يتم طبع محتويات الحفائر بعد .

(١١) « الدير »[٢] عثر عليها الأثرى « سايس » ولم يتم طبع تقاريرها .

(١٢) « الكاب »[٣] .

(١٣) « أسنا »[٤] .

(١٤) ما بين « هيرا كنبوليس » و « الحصاية »[٥] لم يتم طبع تقاريرها .

(١٥) قبالة « دراو »[٦] لم يتم طبعها بعد .

وعلى الرغم من كل ما ذكرنا فإن معلوماتنا ليست كاملة وذلك لأن لدينا خمس جبانات فقط قد نشرت نشراً مفصلا وهى « ريفة » و « مستجدة » و « قاو » و « البلابيش » و « هو » ومع ذلك يمكننا أن نكوّن صورة لا بأس بها عن هؤلاء القوم . هذا ويمكن أن يجد القارئ وصفاً شافياً عن ثقافة هؤلاء القوم فيما نشر بوجه خاص فى الكتابين اللذين كتبا عن « البلابيش » و « مستجدة » . وسنقتصر هنا على ذكر بعض اعتبارات أساسية لنقاط هامة فى هذا الصدد .

ففيما يتعلق بتأريخ هذه المقابر يمكن وضع تأريخ أقصى وتأريخ أدنى بصورة مؤكدة ، وذلك لأن وضع بحث مفصل للتواريخ النسبية لهذه المقابر المحطمة المنهوبة لم يمكن الشروع فيه حتى الآن ، هذا بالإضافة لعدم نشر محتويات هذه المقابر نشراً علمياً مستفيضاً[٧] .

(١) راجع J.E.A., 23 , p. 118 ; Chronique D'Egypte, 12 (1937), p. 172

(٢) راجع Weigall Report, p. 25

(٣) راجع Ibid., p. 26

(٤) راجع A.S,8, p. 141 *f*. ; J.E.A., 14, p. 46 *f*

(٥) راجع A.S., 8, p. 137 *f*

(٦) راجع Weigall Report, p. 25

(٧) راجع Ermenne, p. 108 *ff*.

وتدل الأشياء المستعملة تمـاماً من عهد الأسرة الثانية عشرة وكذلك الفخار الذى من زمن العهد المتوسط على أن المقابر التى وجدت فيها يرجع عهدها إلى ما بعد الأسرة الثانية عشرة ، فى حين أن الخرز وكذلك الاختفاء التام لآثار من الدولة الحديثة فى العهد الذى قبل الأسرة الثامنة عشرة يبرهن على ذلك .

ولدينا بلطة عثر عليهـا فى « مستجدة » باسم ملك يظهر أنه قبل عصر الهكسوس وهو « نب ماعت رع »[١] هذا إلى جعران باسم ملك الهكسوس « شيشى » وآخر باسم حامل الخاتم المشهور « حار » الذى يذكر كثيراً فى العهد المتوسط الثانى وكلاهما وجد فى « ريفة »[٢] . ويضاف إلى ذلك من عهد الهكسوس تمثال بولهول المصنوع من سن الفيل الذى وجد فى « العرابة » والذى قلنا عنه إن ملامح وجهه سامية ، وقد مثل وهو ينشب مخالبه فى جسم أسير مصرى .

ومن ثم نفهم أن بداية الهجرة لا يمكن تحديدها على وجه التقريب . ولكن التبعية الجنسية لقوم المقابر القعبية يمكن أن تقدم لنا دليلا هاماً على معرفة هؤلاء القوم . فعلى حسب رأى كل من « ينكر »[٣] و « كروان »[٤] ليس لدينا هنا على ما يظن تطور فى مجموعة ثقافة C وحدها ، بل إنه مع قبيلة أخرى أيضاً . وثقافة المقابر القعبية تختلف بداهة عن ثقافة مجموعة C هذا إلى أن طراز المقابر القعبية قليل الوجود فى بلاد النوبة السفلى . وقد أضاف الأستاذ « ينكر » إلى هؤلاء القوم الأفراد الذين دفنوا فى الجبانة ٧ الواقعة فى منطقة الشلال[٥] والجبانتين رقم ١١٠ و ١١٣ فى كوبان ، وفى حين أنه لا توجد إلا بعض مقابر فى « الشلال » بينها وبين المقابر القعبية وجه شبه كبير ، نجد فى الجبانتين الأخريين وجه شبه يربطهما بدون شك بثقافة

---

(١) راجع Mostagadda, p. 117, 127, 131 ; L.R., II, 51 *f.*

(٢) راجع Gizeh and Rifeh, p. 21 ; comp. Kerma, I, 300 ; Anc. Egypt. Sup. (1935), p. 143

(٣) راجع Kubanieh-Nord, p. 32 *f* ; Tell-el-Yahudiya vasen

(٤) راجع J.E.A., Vol. 25, p. 108 *f.*

(٥) راجع Kubanieh-Nord, p. 30 *f.*

«كرمه» . وأسوار المعصم المصنوعة من لويحات من الصدف وهى التى قال عنها «ينكر» إنها رمز قبيلة لا يمكن البرهنة على كونها كذلك فى مقابر مجموعة C الخالصة[١] . وفى حين نجد أن «ينكر» قد ربط أهل المقابر القعبية بمقابر المجموعة المتوسطة التى بين مجموعة «كرمه» ومجموعة ثقافة C التى أضاف لها نخار «تل اليهودية» نجد أن «كروان» أشار إلى أنه من الممكن ربطها بالعصر الأخير «لكرمه» . وعلى أية حال فإنه طالما لم نعرف بعد الآثار المحلية التى بين «كرمه» والشلال الثانى ولم نعرف التطورات الأخيرة فى «كرمه» التى لم يتوصل اليها فإن هذا الموضوع سيبقى غامضا[٢] .

ولكن إذا أردنا أن نسلم بالزعم القائل إن أهل المقابر القعبية كان أصلهم من البقعة الواقعة جنوبى حدود «سمنة» ، فإن هجرتهم إلى مصر تكون أولا قد تلت محو حواجز الحدود التى عند الشلال الثانى ، ويشير إلى هذا الاتجاه كذلك انتشار هؤلاء القوم فى مصر حيث بلغ أقصاه فى الشمال على حسب ما جاء فى قصة «كاموس» إلى «قوص» وهى الحد السياسى بين مملكة الوجه القبلى التى تمثل بالأسرة السابعة عشرة وبين مملكة الهكسوس . وتدل الكشوف الأثرية على أننا أمام قبيلة محاربة[٣] ، وهذه القبيلة هى التى نوحدها بالجنود المرتزقة الذين جاء ذكرهم فى قصة «كاموس» باسم «مزوى» وعلى ذلك فإنا نكون هنا أمام جنود استخدمهم ملوك الأسرة السابعة عشرة فى حرب التحرير التى أشعلوا نارها على الهكسوس[٤] . ففى شمالى «قوص» فى الجهة الأخرى من الحدود الشمالية من مملكة الأسرة السابعة عشرة لم نجد قط أى أثر للمقابر القعبية البحتة ، وإذا كان قد حدث أن بعض أفراد من النوبيين قد تقدموا نحو الشمال ودخلوا على فرض فى خدمة الهكسوس فإنه لم تصلنا عن هؤلاء معلومات مؤكدة[٥] .

---

(١) راجع Firth, II, 139 ; Emery-Kirwan, p. 314, 323, 326

(٢) راجع Oric Bates, Harvard African Studies, 8, 17

(٣) راجع Balabish, p. 6

(٤) راجع Aniba, I, p. 9

(٥) راجع Save, p. 139

وإذا فكرنا من جهة الانتشار العظيم للمقابر القعبية فى الوجه القبلى ، ومن جهة أخرى ماذكر عن قصد عن الدور الذى لعبه جنود مزوى فى الحروب القصيرة نسبيا التى جاءت فى قصة « كاموس » فإنا لا نكون قد اشططنا كثيرا إذ ذهبنا إلى أن هؤلاء الجنود قد لعبوا دورا فاصلا فى تحرير مصر من نير الهكسوس ، وأنهم قبل كل شئ فى الحروب الأخيرة كانوا فقط يحاربون فى جانب المصريين . وهـذا ما أشارت إليه نقوش اللوحة الجديدة الخاصة بحروب كاموس التى شنها دفاعا عن نفسه على الهكسوس .

ولا نعرف شيئا على وجه التأكيد عن هؤلاء القوم من الوجهة الاجتماعية ، ولكن على حسب ما وجد من آثار ذهبية فى مقابرهم فى « مستجدة » وكذلك ما نجده من تخريب شامل لمقابرهم نفهم أن هؤلاء الجنود كانوا يكافئون مكافأة حسنة ، ولم يكونوا بأية حال من الأحوال فقراء[1] . ويلحظ أن شكل أسلحتهم كان مصريا محضا بوجه عام ، فقد وجدت فى مقابرهم بلط وخناجر وسهام وأغطية أصابع . وقد كانوا مثل نوبيى الدولة الحديثة على مايظن يستعملون مشاة خفافا وكما ذكرت لنا لوحة « كاموس » أن المزوى كانوا يستعملون جنود استطلاع .

وقد تمصر أهل المقابر القعبية تمـاما كما تمصر أهل مجموعة C فى بلاد النوبة السفلى ، ونجد فقط فى المقابر المتأخرة لهؤلاء القوم بعض أوانى نخار من صنع أجنبى أما باقى الأوانى فمصرية . وكذلك تلحظ نفس العملية فى المستعمرات من حيث الانتقال من الأكواخ المستديرة إلى المبانى ذات الأضلاع الأربعة[2] . وعلى هذا الأساس يكون من الواضح عدم وجود المقابر القعبية فى الدولة الحديثة ، ولكن على الرغم من صعوبة وجود برهان أثرى فإن أصحاب المقابر القعبية على أية حال بتمصيرهم تمـاما واختفائهم بوصفهم قوما مميزين قد انتهى دورهم السياسى فى التاريخ المصرى .

وكذلك فإنه ممـا لا شك فيه التسليم بتمصير قوم ثقافة مجموعة C الذين ساروا شوطا

(١) راجع Mostagadda, p. 122

(٢) راجع Qau and Badari, III, p. 41

بعيدا فى بلاد النوبة السفلى ، وأنهم فى خلال عهد التحرير قد أصبحوا تابعين ثقافيا لمصر بسبب ضعف مقاومتهم الداخلية لها ؛ فقد استعادت قوتها ووضعت لنفسها من جديد سياسة توسع وفتوح . وعلى ذلك فإن الطريق أمام إرجاع السيادة المصرية القديمة فى بلاد النوبة السفلى قد مهدت . وعلى العكس من ذلك فإن وحدة الثقافة العظيمة التى كانت بين أهل بلاد النوبة وأسيادهم المصريين الذين عادوا إلى بلادهم قد سهلت الأمر أكثر من قبل ، وبذلك أصبحت هذه البلاد قاعدة أكثر ملاءمة لتكوين امبراطورية مصرية عظيمة فى الجنوب من التى كانت فى عهد الدولة الوسطى .

الدولة الحديثة (١٥٨٠ – ١٠٩٠ ق . م)

العلاقات السياسية بين مصر وبلاد النوبة

« أحمس الأوّل » (١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق . م) :

أشرنا فيما سبق إلى أن بداية تحرير مصر من يد الأجنبي قد جاء ذكرها في قصة الملك « كاموس » بصورة واضحة وبخاصة في اللوحة التي كشف عنها حديثا بالكرنك . ففي خطابه لمجلس مستشاريه يقول : « إني أريد أن أعرف أين قوتي عندما يكون أمير في « أواريس » وآخر في « كوش » وأنا أجلس في وسطهما (أي متحداً مع الآسيويين والنوبيين) وكل واحد منهما يسيطر على نصيبه من مصر ويقاسمانني هذه الأرض » . وقد حاول أعضاء المجلس في جوابهم أن يهدئوا من روعه فأجابوه: « بأن الآسيويين لا يحكمون إلا إلى «قوص» ونحن نحكم ما لنا من مصر في سلام . و «الفنتين» قوية » . وبعبارة أخرى أنه على الرغم من أن بلاد النوبة قد استقلت فإن حدودنا الجنوبية في أمان ، وأنه لا خوف من زحف النوبيين على بلادنا ؛ لأن « الفنتين » كانت محصنة تحصينا قويا . وهذا الموقف السياسي يتفق مع الكشوف الأثرية التي أشرنا إليها من قبل في بلاد النوبة . ومما يجدر التسليم به كذلك أن جنود المزوى الذين جاء وصفهم في ساحة القتال بين المصريين والهكسوس في هذا المتن هم الذين عرفناهم في المقابر القعبية التي أسهبنا الكلام عنها في الفصل السابق ، هذا ويدل وجودهم في الجيش المصري على انتشار المقابر القعبية .

ولما كان الجزء الأعظم من قصة « كاموس » قد ضاع من لوحته على ما يظهر فإن اللوحة الثانية التي كشف عنها تحدثنا عن حروب « كاموس » مع الهكسوس وانتصاره عليهم مبدئيا . والواقع أن اسم « كاموس » قد وجد في نقش على حجر في بلدة

« توشكى » غير أن هذا النقش خاص على وجه التأكيد بعهد خلفه الملك « أحمس الأول » الذى وجد اسمه تحت اسمه مباشرة . ويلحظ هنا أن « أحمس » يحمل لقب « معطى الحياة » . وهذا يدل على أنه كان لا يزال عائشا عند كتابة هذا النقش ، غير أنه لا يجب أن نفهم هذا اللقب على هذا الوجه دائما ، وإذا فهمناه كذلك فإنه يعنى هنا أن الملكين كانا يحكمان بالاشتراك فى وقت واحد ، ولكن ليس لدينا ما يعزز هذا الرأى ويؤكده ، يضاف إلى ذلك أن الجعران الذى عثر عليه فى بلدة « قوص » وهو الذى نقش عليه اسم « واز — خبر — رع » (؟) لا يعنى أنه قد حدث تغلب على بلاد النوبة قبل عهد « أحمس الأول »[1] ويرجع السبب فى ذلك إلى أن سياسة طرد الآسيويين من مصر ، وهى السياسة التى وصفها « كاموس » — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — لم تكن قد حققت بعد فى أوائل حكم « أحمس الأول » لذلك لم يكن جائزا أن يقوم « أحمس » بعمل هجومى على الجنوب قبل أن يستولى على « أواريس » . عاصمة الهكسوس فى الشمال .

ويقص علينا « أحمس » بن « إبانا » فى وصف الحرب التى وقعت فى « أواريس » ما يأتى : « وقد وقعت الحرب فى مصر فى الجزء الواقع جنوب هذه المدينة وأحضرت أسيراً[2] . « وقد عارض كل من الأثرى « شيفر » والمؤرخ « أدوارد مير » وكذلك « برستد » و « زيته » وغيرهم بحق فى أن ذلك كان لا يعنى إخماد ثورة فى الوجه القبلى أو حملة على بلاد النوبة ، بل المقصود من عبارة « هذه المدينة » هو « أواريس » . وأن الغرض من العبارة فى المتن هو محاصرة ومحاربة جزء من « أواريس » ، إذ نجد مباشرة بعد وصف الحرب عبارة « جنوبى هذه المدينة » وقد جاء ما يأتى : « وقد استولى على « أواريس » ، ومن ذلك يظهر أن فتح بلاد النوبة لم يبدأ إلا بعد أن قضى على النفوذ الآسيوى كما تحدثنا بذلك صراحة فى نقوش « أحمس » بن « إبانا » فاستمع لما يقول :

---

(١) راجع L. A. A. A., 8, Pl. XVIII

(٢) راجع Urk., IV, 14

« وبعد أن ذبح جلالته منتيو آسيا صعد فى النيل نحو « خنت — حن — نفر » وهزم النوبيين وقد أوقع جلالته مذبحة عظيمة بينهم وقد أحضرت غنائم . . وبعد ذلك انحدر جلالته فى النيل وكان قلبه مملوءاً بالشجاعة والنصر الذى أحرزه على الجنوبيين والشماليين » .

وهذا النقش بعينه يصف هزيمة ثائرين ، واسما الثائرين هما « أيتيو » و « تيتى — عن » (= تيتى جميل) ، والأول منهما قيل عنه إنه أتى من الجنوب ، ولكن آلهة الوجه القبلى قد قبضوا عليه ، وقد وجده جلالته (يعنى احمس الأول) فى « تنتاع » وأحضره جلالته بمثابة أسير وكل أهله بمثابة غنيمة ، وأحضرت اثنين من المجا (مزوى) وهما اللذان استوليت عليهما من سفينة « أيتيو » . واسم المكان « تنتاع » ليس معروفاً لدينا ، ولكن الأستاذ « زيته » يظن أنه محطة بئر فى الصحراء ، غير أن رأيه لا يستند على برهان . هذا وليس بواضح من المتن أين حدثت هذه الثورة . أما التعبير « وآلهة الوجه القبلى قد قبضوا عليه » فيمكن أن يحدد مكان الثورة فى الوجه القبلى ، غير أن ذكر « أحمس » بن « أبانا » أنه استولى على اثنين من المزوى يحتمل أن يكون إشارة إلى أن الثورة قامت فى بلاد النوبة ويعزز ذلك ما ذكره « امنحتب الثالث » على لوحة « سمنة » أنه كان ضمن الغنائم التى استولى عليها فى « إبهت » مائة وعشرة من رجال المزوى ، يضاف إلى ذلك أننا نجد لقب المشرف على المزوى فى القبر رقم ٧٨ « بطيبة » (١) وهذا الموظف نلحظ من قرطيه الكبيرين فى الصورة أنه لم يكن مصرى الجنس فى ملامحه ، على الرغم من أنه يحمل اسماً مصريا هو وأخو صاحب المقبرة . ويشاهد خلف هذا الموظف رجل يجلب محصول الصيد ، من ذلك أرنب برى وبيضة نعام وريش نعام . ومما يؤسف له أن لدينا صورة جنود المزوى مهشمة فى « تل العمارنة » ولذلك لا يمكننا أن نؤكد إذا كانوا أجانب (٢) أم لا ، ولكن

---

(١) راجع Mem. Miss. Fr. V, 420, Pl. III

(٢) راجع Davies, El Amarna, III, Pl. 12

وجود جزء كبير من الجنود النوبيين لم يكن بالأمر غير العادى . وعلى ذلك لا يستغرب من وجود صور جنود المزوى وصور جنوبيين . وعلى الرغم من أن هذا المصدر لا يشير بوجه التأكيد إلى أن المزوى هم نوبيون حقيقيون إلا أنه مع ذلك على ما يظهر يشير إلى هذا الاتجاه . وبالإضافة إلى ما ذكرنا من أن « أيتيو » قد وفد من الجنوب فإنه من الجائز على أقل تقدير أن نفهم أن هذه كانت أول ثورة قامت فى بلاد النوبة السفلى وفى وادى نهر النيل كما يدل على ذلك ذكر سفينة الثائر « أيتيو » . ولا يمكننا أن نعرف من النقوش التى فى متناولنا إلى أى حد زحف « أحمس » بجيشه جنوبا ، وذلك لأن اسم « خنت — حن — نفر » لا يدل على الرقعة المفتوحة كما وضع ذلك « ستيندورف » بقوله : « حقا لا تدل على جزء صغير من بلاد النوبة » . وفضلا عن ذلك فإن هذا الاسم قد ظهر أولا فى الدولة الحديثة كما أوضحنا ذلك من قبل ، ولكن الآثار التى كشف عنها فى بلاد النوبة السفلى توحى بأن « أحمس » قد استولى على الأقل حتى ما بعد « بهين » . وعثر فى « كوبان » على مخروط جنازى عليه النقش التالى : « الإله الطيب « رع نب بحتى » (لقب « أحمس الأول ») معطى الحياة أبدياً ، إنه الكاهن الأول لآمون وحامل الخاتم « حورسات » ؛ يضاف إلى ذلك نقش على الصخر ذكرناه آنفاً فى « توشكى » وكذلك نقوش على أجزاء مبان من أقدم معبد عثر عليه فى « بهين » ، وقد وجد تحت أرضية معبد « أمنحتب الثانى »[1] أنه قد رسم على كوة باب الملك « أحمس الأول » والملكة « أعح حتب » أمام آلهة مختلفين ، ووجد كذلك رسم قربان لقائد حامية « بهين » المسمى « ثورى » . و « ثورى » هذا هو نفس « ثورى » الذى أصبح فيما بعد نائباً للملك[2] ، وليس لدينا أى شك فى أن هذا الأثر قد أقيم فى عهد هذا الملك . وقد كانت « بهين » على ذلك وهى سوق التجارة القديم قد عادت فى عهده إلى يد

---

(١) راجع Maciver and Woolley, Buhen, p. 86, Pl. 35

(٢) راجع Reisner, J. E. A., Vol. 6, p. 29

المصريين ، إذ من المحتمل ان الرقعة المحصنة هنا زاد فيها « أحمس » زيادة كبيرة . والواقع أن جدران الدولة الحديثة التي تلف حول الحصن القديم الذى يشغل مساحة كبيرة لا يمكن تأريخها على وجه التأكيد ، غير أن تأسيس معبد خارج سور الدولة الوسطى على يد « أحمس الأول » يدل على أن تحصينات الدولة الحديثة كان قد بدئ فى بنائها فى عهده فعلا .

ولما كانت الحالة السياسية فى بلاد النوبة السفلى المفتوحة حديثاً لم تكن حتى الآن فى حالة استقرار وسلام فإنه مما لا يكاد يسلم به أن هذا المعبد قد حفظ ببناء سور حوله[1] . ومن الجائز أن « أحمس الأول » قد زحف إلى جنوبى الشلال الثانى وذلك لأنه وجد فى حصن مقام على جزيرة « ساى » تمثال نقش عليه اسم هذا الملك ، ولكن من المحتمل فى الوقت نفسه أنه نقل إلى هذا المكان[2] . وفى عهد خلفه « أمنحتب الأول » تم إعادة فتح بلاد النوبة فقد قامت حملة إلى بلاد « كوش » لتوسيع حدود مصر[3] ، ومصدرنا الرئيسى من ذلك هو تاريخ حياة « أحمس » بن « أبانا » ، يضاف إلى ذلك عبارة قصيرة عن هذه الحملة جاءت فى نقوش مقبرة « أحمس بننخت » وقد وصفت هذه الحملة كما هى العادة فى المتون المصرية وصفاً مختصراً جداً . والواقع أننا لا نعرف شيئاً تقريباً عن هذه الحملة ، كما أن المتن لا يدلنا أين وقعت الحرب فاستمع لما يقول المتن : « إن جلالته هزم هذا النوبى فى وسط جيشه وقد أحضروا مكبلين دون استثناء ، أما الذين هربوا منهم فقد صرعوا على جنوبهم وصاروا كأن لم يغنوا بالأمس . . . وأهله وماشيته أسروا وقد أحضرت جلالته فى يومين من محطة البئر العليا » . وتدل شواهد الأحوال على أن نهاية الحرب على الأقل قد وقعت فى الصحراء وهذا يعنى أن نوبيي وادى النيل قد اقتفى أثرهم الفرعون حتى الصحراء ، أو أنه كان يحارب بدو الصحراء . هذا ولا نعلم أين تقع محطة

(١) راجع Buhen, p. 99

(٢) راجع J. E. A., Vol. 25, p, 142, Note

(٣) راجع Urk., IV, 7

« البئر العليا » التى على مسيرة يومين من مصر . فإذا لم يكن فى هذا التعبير مبالغة كما هى عادة المصرى فى تقدير المسافة فإنه لا بد أن يكون المقصود بالعدو هنا البدو الذين لم يكونوا قد أخضعوا بعد للحكم المصرى فى جهة بالقرب من « أسوان » ، وهؤلاء هم الذين كانوا يسكنون الصحراء الغربية بالقرب من واحتى « كركر » و « دنقل » أو هم من البدو مثل قبيلة البجا الذين يسكنون فى جبال الصحراء شرق وادى النيل . ويلاحظ هنا أن تسمية العدو باسم « أونتى — ستى » يمكن أن نستخلص منها شيئا وهو أن الاسم القديم « أونتيو » كان يطلق على القبائل الأجنبية المتوحشة أعداء مصر ، وعلى ذلك فإنه من الممكن كذلك أن يطلق على سكان النوبة فى وادى النيل كما شرحنا ذلك من قبل . هذا وقد وجد تمثال للملك أمنحتب الأول حديثا فى جزيرة « ساى » مما يدل صراحة على أنه قد تغلب على هذا الجزء من البلاد الكوشية وهذا الأثر محفوظ الآن بمتحف وادى حلفا عثر عليه الأثرى ثابت فى حفائره الحديثة فى جزيرة « ساى » .

أمنحتب الأول — (١٥٥٧ — ١٥٣٠ ق . م) :

ونعلم للمرة الأولى من الآثار أنه فى عهد الملك «أمنحتب الأول» قد أقيمت الحدود المصرية الجنوبية عند سمنه . وقد عثر فى «ورنرتى» وفى «سمنة» على نقوش لنائب الملك «ثورى» مؤرخة بالسنين السابعة والثامنة من حكم هذا الفرعون[1] ، وقد ذكر «أمنحتب الأول» : « بأنه رب الأرضين « زسر كارع » سيد التيجان « أمنحتب » صاحب أرض « كارى» «الإله الطيب»[2] . غير أن هذا النقش ، وهو للكاهن الأول لآمون المسمى «بنتا وسرت» كان بلا شك من عصر متأخر ، وعلى أية حال ليس لدينا برهان قاطع على أن « أمنحتب الأول » قد وصل فى زحفه حتى « كارى » الواقعة بالقرب من «نباتا» . ولكن وجود تمثال له فى جزيرة ساى حديثا قد يجعل من الجائز وصوله إلى هذه النقطة ولعل الحفائر الحديثة تحدثنا بشئ عن ذلك فى المستقبل القريب .

(١) راجع Urk., IV, 78

(٢) Urk., IV, 50

« تحتمس الأوّل »

(١٥٣٠ — ١٥٢٠ ق٠م)

والواقع أن الذى وسع نفوذ مصر الحقيق بدرجة أكثر مما وصلت إليه مصر فى عهد الدولة الوسطى هو الفرعون «تحتمس الأوّل» فى حملته الأولى على هذه البلاد ، والمصادر عن هذه الحملة لا بأس بها ويوجد لدينا فضلا عما جاء فى ترجمتى « أحمس » بن «أبانا» « وأحمس بننخت» لوحة أقامها «تحتمس الأول» عنوانا على انتصاره فى «تومبوس» على هذه البلاد وتقع جنوب الشلال الثالث ، يضاف إلى ذلك نقوش صغيرة وجدت فى نفس المكان ، وكذلك نقوش على صخور جزيرة « ساى » و « تنجور » وأخيراً ثلاثة نقوش عند الشلال الأول . ونجد كذلك أن الأسرى الذين أسروا فى هذه الحروب قد صوروا فى مقبرة العظيم « إننى » . وقد جاء ذكر بناء الحصون التى أقامها هذا الملك وأعمال أخرى له قام بها فى بلاد النوبة فى نقوش من عهد الملك « تحتمس الثانى » [1] . (١٥٣٠ — ١٥٢٠ ق م ؟) .

والوصف الوحيد الذى وصل الينا عن حروب هذا الفرعون هو ما قصه علينا « أحمس » بن « أبانا » فاستمع لما جاء فيه : « لقد رافقت ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبر كارع » المرحوم عندما زحف إلى « خنت — حن — نفر » ليعاقب الثورة التى قامت فى البلاد الأجنبية وليصدّ طغيان البلاد الأجنبية (أو ليصدّ هجمات البلاد الأجنبية أى الصحراء) . ولقد كنت شجاعا أمامه على الماء الردئ (الدوامات) عندما كان يجر الأسطول على مياه الشلال ، وكنت قد نصبت رئيساً

---

(١) راجع Urk., IV, 8, 36. 70, 78—90 and 139; Sai and Tangur Graffité A. J. S. L. (1908), p. 100, 104 *f.*

أعلى للبحارة . وقد عمل جلالته له الحياة والسلطان والصحة . . . . وقد سار جلالته من أجل ذلك غاضباً كالفهد ، وقد فوق جلالته سهمه الأول فسكن فى جسم عدوه . وقد فقد هذا العدو شجاعته أمام صله ، ووقعت هناك مذبحة فى لحظة عين وسيق قومه أسرى ، ثم سار جلالته منحدراً فى النيل عندما أصبحت كل الأراضى فى قبضته . أما هذا النوبى فقد علق مشنوقاً منكسا فى مقدمة سفينة جلالة الملك وأرسى سفنه فى الكرنك » .

ويدل ما جاء فى هذا المتن على أن سبب هذه الحملة كانت ثورة فى بلاد النوبة ، غير أنه من المشكوك فيه أن يكون مدلول هذا القول قد حدث حرفياً ، ولكن المظنون هو أن القبائل التى كانت تسكن جنوب الشلال الثانى وهو الإقليم الذى كان قد فتح منذ زمن قصير كانت تقوم بهجمات مهددة للأمن هناك ، ولدينا عامل آخر وهو رغبة المصريين فى أن تصبح البلاد الجنوبية التى كانوا يتعاملون معها فى عهد الدولة الوسطى فى قبضة أيديهم ليستولوا منها على المواد الغفل التى تنتجها بلاد السودان . وقد وقعت هذه الحملة فى السنة الثانية من عهد « تحتمس الأول » ، وقد عثر فى جزيرة « ساى » على نقش مدوّن على الصخر مؤرّخ بهذا التاريخ وهو « السنة الثانية من عهد « تحتمس الأوّل »» . وكذلك نقش آخر فى « تنجور » مؤرخ بنفس السنة جاء فيه : « صعد جلالته فى النيل ليهزم الكوشى الخاسئ عندما كان كاتب الجيش « أحمس » يحصى السفن » ؛ ومن ثم نفهم أن السفن كانت تجرى فى الشلالين الثانى والثالث أى فيما كان يسميه « أحمس » ابن « أبانا » « تاتبعيت » (ربما كان يقصد بذلك الانحناء العظيم الذى عند « أكور »؟) . وإذا كان ما جاء على نقش فى « تنجور » — وقراءته ليست مؤكدة — مؤرخاً بالشهر الأول من فصل الصيف السنة الثانية من عهد « تحتمس الأول » يعتبر صحيحاً[1] فإن عبور الشلال كان يحدث فى شهرى مايو ويونيه ، إذ فى هذا الوقت

---

(١) راجع Breasted, A. J. S. L. (1908), p. 104; P. S. B. A., 7, p. 121 and Sethe Untersuchungen I, 41

من السنة تبتدئ زيادة النيل وعندئذ تكون لدى المهاجم فترة مبكرة للهجوم فيمكنه أن يبقى على اليابسة بقدر المستطاع قبل أن تعوق الدوامات النيلية المتزايدة عودة السفن إلى أوطانها . ونعرف من النقوش أن الحملة وصلت حتى « تومبوس » و « أرقو » وأنها كانت موجودة هناك حوالى أكتوبر ، ومن جهة أخرى ليس لدينا ما يبرر القول بأن « تحتمس الأول » قد وصل إلى « نباتا » . ويرجع أقدم أثر وجد فى « كاوا »[1] إلى عهد الفرعون « امنحتب الثالث » ؛ ووجدت فى «نباتا» الواقعة فى جبل «برقل» لوحة « لتحتمس الثالث»[2] وهى على وجه التأكيد أول نقش وجد من عهد الأسرة الثامنة عشرة فى هذه الجهة .

ولكن نعلم من قبل أن فتح وادى « كرمه » كان يعنى خطوة فسيحة للأمام فى بناء الامبراطورية المصرية فى أفريقيا ، وبخاصة لأن ذلك الفتح قد تغلب على كل الصعوبات الحربية مما مهد الطريق للذين أتوا بعد من الفاتحين وساروا فى فتوحهم حتى الشلال الرابع . والواقع أن خط الدفاع الطبعى لأهل الجنوب قد اخترق وقد ذكر ما يفيد هذا المعنى تماماً « تحتمس الأول » فى نقوش « تومبوس » : « إنه هو الذى فتح الوديان وهى التى لم يعرفها الأجداد ، ولم يرها حامل التاج المزدوج من قبل ، وحدوده الجنوبية قد وصلت مباشرة حتى هذه الأرض[3] » . والواقع أن فتح منطقة « كرمه » كان له أهمية سياسية عظيمة لأننا نعرف من حفائر « ريزنر» أن المستعمرة الأهلية لمجموعة C فى « كرمه » قد امتدت حتى الأسرة الثامنة عشرة ، وأخلاف أمراء الدولة الوسطى فى « كرمه » هم الذين أصبحوا أعداء « تحتمس الأول » ، ولذلك فإن فتح هذا الاقليم يعد ضربة فى صميم نواة دائرة الثقافة السودانية .

---

(١) راجع J. E. A., Vol. 22, p. 200 Kalic *ff.*

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٠٦

(٣) راجع Urk., IV, 85 L. 11 *ff.*; Junker, Kubanieh Nord, p. 16, 21

ومما تنبغى ملاحظته هنا أن الأسرى الذين استولى عليهم « تحتمس » فى هذه الحملة وأحضرهم إلى مصر كما نشاهد ذلك فى الصور التى بقيت لنا فى مقبرة « إننى » لا تدل هيئتهم على أنهم زنوج بل هم من الجنس الحامى[١]، وهذا يتفق مع الرأى القائل بأن مستعمرة « كرمه » قد تغلب عليها « تحتمس الأول » ، لأنه قد وجد فى مقابرها العظيمة طراز من صور الزنوج غير أنهم ليسوا السائدين هناك[٢] . والواقع أن تصوير الزنوج لم يظهر فى الفن المصرى بكثرة إلا فيما بعد ، وقد يفسر ذلك بأن الحملات التى قام بها أخلاف «تحتمس الأول» قد أوغلت فى بلاد الزنوج أكثر من أن الزنوج قد زحفوا نحو الشمال ، وكذلك يلحظ أن اتجاه الزى الشائع فى الفن المصرى كان يميل إلى رسم الزنوج بتقاطيعهم الخاصة .

ولم تذكر لنا النقوش على وجه التأكيد إلا حملة واحدة قام بها «تحتمس الأول» على بلاد النوبة وهى التى أرخت بالسنة الثانية كما ذكرنا من قبل ، غير أن الأستاذ «زيته» قد سلم بوجود حملة أخرى مستنبطا ذلك من رسم هذا الملك فى نقشين صغيرين فى « تومبوس »[٣] وقد بنى ذلك من إضافة عبارة : « الذى يظهر مثل « رع » لاسمه » وهذه العبارة لم تظهر قط فى نقوشه فى السنين الأربع الأولى من حكمه ، وعلى ذلك فإن هذا النقش كان قد كتب بعد السنة الرابعة ، ومن ثم لا يجوز لنا أن نستخلص من ذلك قيام حملة ثانية ، لأن هذا النقش أولا يحتوى على نعوت عادية للملك مثل الذى يضرب « كوش » ، وثانيا فإنه من الجائز كذلك أن نقش «تومبوس» الكبير الذى أرخ بالسنة الثانية وقد جاء فيه نهر ذكر نهر الفرات الذى جاء ذكره فى حملة حدثت فيما بعد لم يكن قد كتب فى هذا التاريخ الذى أرخ به . ومن الواضح أن النقوش التى تدوّن بعد الموقعة لم تكن لتسجل الغزوات العابرة بالنسبة لأرض العدو بل كانت خاصة باستعمار الأرض المقهورة .

---

(١) راجع Junker, J. E. A., 7, 129 ; Wreszinski, Atlas I, 265

(٢) راجع Kerma, II, 556 ; 1. pp. 152, 215, 224, 314

(٣) راجع Urk., IV, ubersetzung, p. 46, Note 1

وليس لدينا ما يدل على أن « تحتمس الأول » قد أقام فى « تومبوس » حصنا عند الحدود الجنوبية الجديدة ليكون مركزاً لجنود الحامية ، إذ لم يعثر على آثار أكيدة فى منطقة « تومبوس » تثبت ذلك . ومن ثم لا ينبغى أن نستخلص شيئا من هذا القبيل من السطر العاشر من لوحة «تومبوس» ، إذ أن ما جاء فيها لا يخرج عن كونه استعارة تشبيهية وهى « أنه حصن لكل جيشه » . ونجد فى نقش لخلفه « تحتمس الثانى » عبارة صريحة تدل على أن « تحتمس الأول » أقام حصنا فى بلاد النوبة على الأقل فى المنطقة التى فتحت جديدا إذ يقول : « وقد كان الثوار على وشك أن يسرقوا المصريين ، وذهبوا للاستيلاء على قطعان الماشية التى كانت خلف الحصون التى أقامها والدكم فى حملته المظفرة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «تحتمس الأول» عاش مخلدا ، ليصد البلاد الأجنبية الثائرة[1] » . والحصن المنسوب هنا « لتحتمس الأول » ليس من السهل تحديد مكانه على وجه التأكيد ، إذ لا توجد هناك مبان تدل على ذلك ، ومن المحتمل أنه فى عهده أقيم حصن فى جزيرة « ساى » لأنه قيل فى نقش بناء مؤرخ بالسنة الخامسة والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » إن معبدا قديما مقاما من اللبنات قد بنى بدلا منه آخر بالحجر ، ولكن اسم « حتشبسوت » ذكر كذلك فى جزيرة « ساى » ، وعلى ذلك يرجع الموقع القديم إلى عهدها[2] .

هذا وقد قسمت بلاد النوبة فى عهد « تحتمس الأول » خمسة أقسام تحت إدارة أمراء نوبيين كان لهم نصيب[3] فى إدارة مقاطعات البلاد . والظاهر أن الملك قد حط رحاله بعد الحملة الأولى بسنة فى بلاد النوبة : « ففى اليوم الثانى والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف السنة الثالثة مر (الملك) فى الشلال الأول عندما هزم « كوش » الخاسئة وقد أمر بحفر قناة هناك وجدها مملوءة بالحجارة ولم يكن

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٤

(٢) راجع Urk., IV, 192 ; L. D., Text V, 226

(٣) راجع Save, p. 184 *ff.*

فى مقدور أية سفينة أن تسير فيها وقد أقلع فيها لأن قلبه كان فرحا بعد أن ذبح عدوه » . وهذا الاصلاح فى طريق التجارة فى الشلال الأول لم يكن بالشئ الجديد إذ نعرف أنه حدث منذ الدولة الوسطى . والآن لما أصبح من الضرورى أن تستولى مصر على الإدارة فى بلاد النوبة السفلى و بلاد كوش صار من الأمور الهامة حل مسألة المرور لضمان مرور كل السلع الآتية من السودان .

« تحتمس الثانى » ١٥٢٠ — ١٤٨٤ ق . م (ومعه حتشبسوت) .

وفى السنة الأولى من حكم « تحتمس الثانى » قامت فى شمالى بلاد كوش ثورة ، وكان الاقليم النوبى قد أصبح فعلا يشمل « كوش » و « واوات » وبذلك كان المقصود ببلاد « كوش » الاقليم الواقع جنوب الشلال الثانى ، ومن جهة أخرى لم تكن هذه الثورة كما كان المنتظر فى الاقليم المفتوح حديثاً جنوبى « سمنة » بل شبت فى بلاد النوبة السفلى . وتتلخص فى أن أحد الأمراء النوبيين قد حاول بسبب الضعف الذى أصاب البلاد من جراء تغير المتربع على العرش أن يفيد من هذه الفرصة ويحرر البلاد نفسها من النير المصرى . ومن المحتمل أن أطماع القائم بهذه الثورة لم تذهب إلى هذا الحد ، وأنه أراد بثورته هذه النهب لإثراء نفسه وحسب . ومن جهة أخرى يقول « زيته » إن هذه الثورة لها ارتباط وثيق بتغير الجالس على عرش ملك مصر[1] وأن « حتشبسوت » قد لعبت دوراً فى هذه الثورة ، وبخاصة إذا كانت كما يقال قد وقفت فى وجه زوجها « تحتمس الثانى » فعلا وعاملته معاملة الأسير ، وإذا كان هذا صحيحا كان لدينا لذلك مثيل فى التاريخ المصرى وأعنى المؤامرة التى حيكت ضد « رعمسيس الثالث » . وقد كانت بلاد النوبة عاملا قوياً فى الدسائس السياسية الداخلية التى حيكت ضده[2] . على أن نظرية الأستاذ « زيته » فيها شك ، إذ كان يتوقف كل الموضوع على فهم الارتباك الذى حدث بعد حكم « تحتمس الأول » وهو الارتباك

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٥

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٤٤

الخاص بمن يتولى العرش بعده . وهذه المسألة المعقدة لا يمكن الخوض فيها هنا أكثر مما تحدثنا به عنها فى عهد حكم « حتشبسوت »[١] وكل ما يمكن أن يقال هنا هو اتباع الرأى الذى أدلى به المؤرخ « أجرتون » ويشتمل على نظرية سهلة بسيطة الفهم . وسنترك جانبا نظرية « زيته » وكذلك نضرب صفحا عن علاقة ارتباك تولية عرش الملك بالثورة النوبية كما ذكرها « زيته » إذ فيها شك كبير[٢] .

هذا ولا نعرف إلى أى حد ذهب الأمير النوبى الثائر فى ثورته للتحرر من النير المصرى . ولكنا نعرف أن الثورة قد أخمدت وعاد النظام إلى نصابه . وتدل النقوش صراحة على أن الملك « تحتمس الثانى » لم يرافق هذه الحملة بنفسه كما جرت العادة مع ملوك مصر فى حروبهم . ونفهم من منطوق المتن أن الهزيمة كانت دامية والانتقام من الثائرين كان وحشيا[٣] .

حتشبسوت :

وقد مرت مدة طويلة بعد هذه الحملة التأديبية التى قام بها «تحتمس الثانى» قبل أن نسمع بحروب عظيمة فى بلاد النوبة . وتدل الأحوال على أنه فى عهد الملكة «حتشبسوت» التى تولت العرش بعد زوجها « تحتمس الثانى » قد سادت العلاقات السلمية فى كل أرجاء الامبراطورية المصرية ولدينا منظر فى الدير البحرى « نشاهد فيه الإله «ددون» إله بلاد النوبة يقود البلاد الجنوبية (خنت — حن — نفر) وكذلك يقود فى أسفل بلاد «ميو» إلى الملكة بوصفها بلادا (تابعة) ، غير أن هذا المنظر لايمكن أن يعد دليلا تاريخيا لحملة قامت بها الملكة على بلاد النوبة[٤] كما ظن ذلك الأثرى « نافيل » . يضاف إلى ذلك النقش المهشم الذى عثر عليه فى قبر « سنموت »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣٠٧

(٢) راجع The Thutmosid Succession (Studies in Anc, Oriental Civilisation) 8 ; Chicago Oriental Institute

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٥

(٤) راجع The Temple of Dier El Bahari, III, Text, p. 11, and Urk., IV, p. 315 *f.*

وهو الذى يتحدث فيه عن أعمال حربية فى بلاد النوبة لايمكن أن نستخلص منه برهانا قاطعا عن حروب قامت فى هذه البلاد فى عهد «حتشبسوت» ، ومن المحتمل أن هذا النقش كان خاصا بحياة « سنموت » قبل عهد الملكة « حتشبسوت » ، وكذلك يمكن أن تكون الفقرة التى جاءت فى لوحة «تحوتى» التى يتحدث[1] فيها عن فحص غنائم الملك فى «كوش» (؟) لا تمثل هنا إلا مجرد تعابير تقليدية . وفضلا عن ذلك فإن الفقرة الفاصلة التى يحتمل أن تكون قد ذكرت فيها « كوش » فى هذا النقش وجدت مهشمة جدا .

وكذلك عندما يقول الموظف « نبوحوى » فى ترجمته : « لقد أقصيت العدو الذى ثار على جلالته[2] » فإنه لم يستعمل هذا التعبير ليدل بأية حال من الأحوال على الموقف السياسى فى السودان . وعلى أية حال نلحظ من النقوش المدة التى اقتبست هنا أن هذا المتن هو الوحيد الذى قد يشير إلى حرب ومشروعات ضخمة لا إبهام فيها ؛ فمن المحتمل أن هذه الحرب كان المقصود منها مناوشات مع بدو الصحراء . هذا ولا تدل الحفائر التى عملت فى السودان على شئ مؤكد عن مد نفوذ مصر فى السودان فى عهد « حتشبسوت » ، وكذلك لم يعثر حتى الآن على لوحات أثرية من هذا العهد جنوبى جزيرة « ارقو » ، ومن جهة أخرى يمكن اعتبار وجود بعض أشكال زنوج فى مناظر لأهالى «بميو» وهم يقدمون الجزية فى معبد «الدير البحرى» بمثابة رمز على علاقة ودية مع الأقطار الجنوبية .

وقد أخبرنى الأستاذ لبيب حبشى أنه يوجد فى الجهة البحرية الشرقية من جبل تاجوج بجزيرة « سهيل » نقش للأمير الحاكم رئيس المالية « تى » يتكلم فيه عن الملكة حتشبسوت وكيف أنها هاجمت بلاد النوبة وانتصرت عليها . وهذا يعد

(١) راجع Urk. IV, 438 L 10

(٢) راجع A.Z., 36., 71

أول نص صريح عن حرب حقيقية للملكة حتشبسوت وكان « تى » هذا يحمل فضلا عن ذلك لقب المسجل للغنائم .

تحتمس الثالث (١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق . م) :

وكان أول ما قام به « تحتمس الثالث » بعد نهاية مشاريعه الحربية الضخمة فى آسيا أنه سار على رأس حملة إلى السودان . ويحدثنا نقش عند الشلال الثالث مؤرخ بالسنة الخامسة من حكمه بنفس الكلمات التى ذكرت فى نقش «تحتمس الأول» وهى أنه : « حفر قناة (أى القناة التى عند الشلال الأول) لأنه وجدها مملوءة بالأحجار » وبعد ذلك يقول إنه « قد ساح فيها فرح القلب بعد أن ذبح عدوه واسم هذه القناة هو « فتحت الطريق الجميلة لتحتمس الثالث » . هذا وكان لزاما على صيادى السمك فى « الفنتين » أن يكروها سنويا .

ونجد فى تواريخ « تحتمس الثالث » أن الجزية من « كوش » و « واوات » منذ ٣٢/٣١ من حكمه كانت تدفع لمصر وفضلا عن ذلك نقش هذا الفرعون على بوابته بمعبد«الكرنك» قوائم طويلة بأسماء أهالى الجنوب الذين انتصر عليهم[1] من « أونتيو — سيتى » و « خنت حن — نفر » وهم الذين ذبحهم جلالته عندما قام بمذبحة عظيمة فيهم حتى أصبح عددهم لا يحصى ، و « كل أهلها قد اقتيدوا إلى « طيبه » أسرى ليقوموا بالعمل اللازم لبيت والده « آمون رع » رب « الكرنك » ، وكل بلد أجنبي أصبح رعية لجلالته كما أراد والده « آمون » . » هذا ونعلم من اللوحة التى عثر عليها « ريزنر » فى جبل « برقل » للملك « تحتمس الثالث » أن النفوذ المصرى كان فعلا فى السنة السابعة والأربعين من حكم هذا الفرعون يمتد إلى هذه الجهة الواقعة تحت الشلال الرابع . ولا نزاع فى أن هذا الأثر لم يؤت به إلى جبل « برقل » كما يدل على ذلك متن النقش نفسه ، وكذلك المنظر الذى فى أعلى المتن إذ نجد فيه الملك يقدم « لآمون رع » رب الجبل المقدس (أى جبل برقل) الماء والخمر .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٦٨

وفى السطر الثالث والثلاثين من المتن يقول فى خطاب له « إن الناس (رمث أى المصريين) الذين فى الأرض الجنوبية وهم الذين فى الجبل المقدس الذى يسمى « عرش الأرضين » كانوا تحت حكم الناس (أى المصريين) عندما لم تكن معروفة بعد » ، ومن ثم نفهم أن اللوحة منذ كتبت ، كانت موجودة فى جبل « برقل » مما يدل على أن العلاقة بين مصر والسودان كانت من الأهمية بمكان . ونحن نعلم أن الحدود الجنوبية حتى « قرن الأرض » قد وصلت إلى هذه الجهة أو كما جاء فى فقرة أخرى : « لقد وصل خوف جلالته حتى الأرض الجنوبية » فالتعبير الأول قد استعمله « تحتمس الأول » فى صورة مشابهة فى لوحة الحدود التى أقامها فى « تومبوس » وكذلك فى « برقل » قيل ان الحدود تقع بالقرب من هذا المكان ، وهذا يتفق مع الوثائق الأثرية لأننا لم نجد جنوباً أى أثر فى مكانه الأصلى من عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة العشرين يثبت ذلك . هذا بالإضافة إلى أنه لدينا متن «من جبل برقل » يحدثنا عن وجود حصن ، وكذلك عن وجود معبد على مايظن فنقرأ فى إهداء اللوحة مايأتى : لقد عملها بمثابة أثره لوالده « آمون رع » رب عروش الأرضين (الكرنك أوجبل برقل) فى الحصن المسمى « شمع خاستيو » عندما اتخذه مأوى أبديا . . . « ولم ينسب أى معبد من المعابد التى كشف عنها على وجه التأكيد للملك « تحتمس الثالث » . ويقول «ريزنر» إنه من الجائز أن هذا الكلام يشير إلى المعبد الصغير (B 300) وإن تحتمس الثالث هو الذى أقامه . والواقع أن المعبد الأول قد أرخ بصورة قاطعة بحكم « تحتمس الرابع »[1] . والحصن المذكور هنا لايوجد فيه أى أثر يدل على مؤسسه . ولدينا فى النقوش وصف عن التغلب على هذه الأرض من « أرقو نحو جبل برقل » غير أنه مستتر[2] ، ولكن على الرغم من ذلك فإن هذا التوسع فى ممتلكات مصر ينسب إلى «تحتمس الثالث» . وليس لدينا دليل على ذلك لأن المادة المقتبسة لا ترتكز على أساس تاريخى متين ، ولكن مع ذلك نعرف أن الملك

(١) راجع A.Z., 66, p. 76

(٢) راجع السطر ٣٥ من النقش .

أو موظفيه فى عام سبعة وأربعين من حكم « تحتمس الثالث » كانوا يقومون بنشاط فى جبل برقل ، وإن هذا الملك فى العام الخمسين من حكمه قد عاد من رحلته فى الجنوب إلى مصر ، وهذا الرأى هو الطبعى جدا ، وفضلا عن ذلك نجد أن الآثار التى كشف عنها حتى الآن تتفق مع ذلك . ومن ثم نرى أن الامبراطورية المصرية قد أخذت صورتها الطبيعية فى الجنوب فى عهد هذا العاهل . وفى هذا المكان الذى وصلت إليه الحدود كان الشلال الرابع يعد نقطة الحدود التى كان من السهل حمايتها كما كان من غير الممكن التغلب عليها أيضاً .

وبذلك بقيت مستعمرة « نباتا » الواقعة بالقرب من جبل « برقل » مدة مائة سنة تقريبا مركز الحدود ، ولم يمد الفراعنة ملكهم بعد هذه النقطة قط ، وقد أصبحت محط تجارة ولعبت دورا هاما حيث كانت المحاصيل الجنوبية تصدّر منها إلى الأمبراطورية المصرية[١] .

أمنحتب الثانى (١٤٥٠ ق . م) :

كان آخر من وسع رقعة البلاد المصرية وثبت حدودها من الجهة الجنوبية هو الفرعون « تحتمس الثالث » ، وبذلك يعد عصره نهاية الفتح السياسى فى هذه الجهة ، ولذلك نجد أن الحملات التى قام بها الملوك الذين خلفوه لم تكن حملات لمد حدود مصر بل كانت حملات تأديبية فى وادى النيل على بدو الصحراء الذين كان لا غرض لهم إلا النهب والسلب من الأهالى الذين أخذوا يتمصرون بازدياد على مر الأيام .

وأول ملك قرن اسمه ببلاد السودان بعد « تحتمس الثالث » هو ابنه « أمنحتب الثانى » ، غير أنه ليست لدينا نقوش أو مناظر تحدثنا عن قيامه بمشاريع حربية فى هذه البلاد ، وكل ما نعرفه عنه هو ما جاء فى نقشين موحدين[٢] من حيث الألفاظ فقد جاء فيهما أن الملك بعد أن عاد من حملة فى آسيا قتل سبعة أمراء[٣] من أهل « تخسى »

(١) أقرن Schafer, Aethiop. Konigsinschr. (Nastasen), p. 33

(٢) راجع Amade Stele und Elephantine Stele Bibliotheque d'Etude, 10

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٦٨

وعلق ستة منهم على جدران «طيبة» فى حين أن السابع قد أرسل الى «نباتا» فى «تاستى» (بلاد النوبة) وعلق جسمه على جدرانها « لأجل أن يظهر انتصارات جلالته أبد الآبدين فى كل الأراضى وفى ممالك أرض السود ، ومنذ ذلك استولى على أهل الجنوب وغل أهل الشمال » .

وقد قص علينا فى نقش على قطعة خزف أحد موظفى الملك ويدعى « أمنحتب »[1] أنه أقام لوحة فى النهرين وأخرى فى « كاراى » ، وعلى ذلك فإن الأخيرة قد نصبت فى « نباتا » ومن ثم لا بد أن يبحث الانسان عن « كاراى » فى أقصى الجنوب . وهذه اللوحة الأخيرة لم يعثر عليها بعد فى جبل «برقل» ولكن عثر الأثرى « ريزنر » على أثر آخر من هذا العصر فى الحفائر التى قام بها فى هذه الجهة[2] . هذا وقد وجد لهذا الملك تمثالان صغيران فى « بن نجا » (وادى بانجع) الواقعة بين « الخرطوم » و «مروى»[3] ولاشك فى أنهما قد نقلا إلى هذا المكان ، وعلى ذلك ليس هناك أى أساس للرأى القائل إن سلطان مصر قد وصل فى عهد « أمنحتب الثانى » إلى ما بعد الشلال الرابع[4] .

وقد ترك « أمنحتب الثانى » آثارا عدة فى بلاد النوبة[5] .

« تحتمس الرابع » :

ولدينا من عهد الملك « تحتمس الرابع » وصف لحملة قام بها هذا الملك على بدو الصحراء[6] . ولكن مما يؤسف له أن تلك النقوش التى عثر عليها فى « كونوسو »

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٧٨

(٢) راجع A. Z., 66, 81

(٣) راجع L.D., III, p. 70

(٤) راجع Schafer, Aethiop. Konigsinschr. (Nastasen), p. 81

(٥) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٨٦

(٦) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٢٠

قد وصلت الينا رديئة الحفظ ولا يمكن فهمها فهماً تاماً[١] وقد جاء فيها بعد ذكر اسم الملك ما يأتي : « السنة الثامنة الشهر الثالث من فصل الزرع اليوم الأول عندما كان الملك في « طيبه » . . . وقدم لوالده « آمون » . . جاء رجل وقال لجلالته : « لقد نزل إلينا نوبي (من الهضبة الصحراوية ؟) في مكان ما في « واوات » وأنه دبر فتنة على مصر وجمع معه كل أجانب مصر المهاجرين والثائرين من الأراضي الأخرى » . وقد ذهب الملك إلى معبد « آمون » ودعا والده « آمون » أن يسديه النصح والمساعدة ، وبعد ذلك سافر نحو الجنوب ليضرب العدو في بلاد النوبة . . . » (ويأتي بعد ذلك قطعة مهشمة) « وكانت العربات في صفوف بجانبه وكانت جنوده المظفرة معا وبجانبهم المجندون ، والأسطول المجهز كان في ركابه ، وقد سافر جلالته نحو الجنوب مثل النجم الجبار (الجوزاء Orion) وقد أعمى أهل الجنوب (سكان الوجه القبلي) جماله ، وهلل الناس له وفرحت النسوة بالرسالة[٢] . وكل آلهة الوجه القبلي ساعدوه » وهكذا يتبع الوصف الخاص بالقضاء على العدو : « وقد اخترق الصحراء الشرقية لأنه سار في الطريق كأنه الفهد . . . وقد وجد كل الأعداء النوبيين مختبئين في وديانهم التي لا يعرفها الإنسان » . وما يأتي بعد ذلك من المتن قد هشم ولذلك لم نفهم منه شيئاً وقد تلف نحو اثني عشر سطراً تلفاً بالغاً لدرجة أنها على وجه عام لم تنشر ، ولكن ما تبقى منها يكفي للدلالة على أن الموضوع ينحصر في أن المتن كان الغرض منه التحدث عن حملة تأديبية على بدو الصحراء الشرقية .

ولدينا منظر خاص لنفس الحملة في نفس المكان[٣] فنشاهد فيه الملك وهو واقف أمام الإلهين « ددون » إله « تاستي » والإله « حور » سيد الصحراء

---

(١) راجع Rec. Trav., 15, 178 f

(٢) ولا يمكن الانسان أن يرى من هذا الوصف تجمع الجيش كما يظن « برستد » (Br., A.R., II § 828) وقد ترجم المتن بصورة أخرى مغايرة بعض الشئ .

(٣) راجع L. D., III, 69 e

الغربية[1] يضرب الأعداء . وقد أرخ بنفس التاريخ السابق ، وكذلك يلحظ أن المنظر الذى صور على الجدار الداخلى لصندوق عربة « تحتمس الرابع » يمثل هذه الموقعة[2] ففى الجزء الأعلى نشاهد الملك فى صورة « بولهول » يدوس ثلاثة من النوبيين ، وفى أسفل من ذلك صورة ستة أناس أجانب عادين نقش معهم اسم الأعداء المغلوبين وهم أهل « كوش » ، و « كاراى » ، و « ميو » ، و « أرم » ، و « جورسس » ، و « ترك » . وملابسهم غريبة بالنسبة لأهل الجنوب ، إذ يرتدى كل منهم قميصاً ذا ألوان ، و(شالا) على أحد الكتفين ، وقرطاً ضخما وأسورة معصم . ويلحظ أن بعضهم زنجى خالص . والأراضى التى ذكرت هنا فى أغلب الظن تقع فى السودان (ولا بد أن تكون « كاراى » بالقرب من « نياتا ») . وفى تواريخ « تحتمس الثالث » نجد أن جزية النوبة مقسمة بين « كوش » و « واوات » . و « أرم » تعد جزءاً من بلاد « كوش » وهى بلاد جزيتها من ضمن جزية « كوش »[3] ، ويلحظ أن « ترك » و« أرم » يذكران معاً ولا تقع الواحدة منهما بعيدة عن الأخرى ، ومن المشكوك فيه أن « أرم » هى « ألم » بلغة « الجلالا »[4] .

ومما يشير إلى عدم أهمية هذه الحملة من الناحية السياسية وعلى وجه عام إلى السياسة السلمية فى الجنوب أن هذا المنظر قد وضع فى الخلف بالنسبة لصور الحملة الأسيوية . ولدينا صورة مشابهة كذلك فى المنظر الذى على الجزء الداخلى لكرسى عثر عليه فى مقبرة « تحتمس الرابع » ولم يبق منه إلا قطعة[5] ؛ وخلافا لذلك لا نعلم إلا القليل عن هذه الحملة ، فلدينا نقش من غربى « طيبة » يبرهن على أن الأسرى قد سيقوا

---

(١) راجع Kees, Totenglauben, p. 28 *f.*; Rev. Egyptol. N.S., II, 25

(٢) راجع Wreszinski, Atlas II,3, Carter and Newberry, The Tmob of Thoutmosis, IV p 31*f.*

(٣) راجع Urk. IV, 708

(٤) راجع Rec. Trav. 8, 84 *ff* ; 10, 97 *ff* ; 21, 227

(٥) راجع The Tonb of Thoutmosis IV p. 21

إلى مستعمرة . ويقول كاهن أوّل للاله « أنوريس » إنه رافق الملك من « النهرين »[1] حتى « كاراى »[2] ، وكذلك لدينا نقش من « أمدا »[3] يحتوى بعض عبارات قد لا تمت بمعلومات عن حملة حربية .

أمنحتب الثالث (١٤٠٥ — ١٣٧٠ ق٠م) :

تدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن عهد الملك « أمنحتب الثالث » كان كله عهد سلام ومهادنة ولم تكد تحدث فيه حروب . ففى ممتلكاته الأسيوية لم يقم « أمنحتب » بأى مشروع حربى ، على الرغم من أن العلاقات بينه وبين هذه الممتلكات المصرية تقوم على ماله من حاميات فى مختلف جهات المستعمرات المصرية هناك ؛ أما فى « كوش » فلم يقم إلا بحملة واحدة[4] . والمصادر التى استقيت منها أخبار هذه الحملة هى : لوحتان ملكيتان على الصخور فى الطريق التى بين « أسوان » و « فيلة »[5] ، وكذلك لوحة لموظف[6] ، وكذلك لوحة « كونوسو »[7] . وتاريخ هذه الحملة كان فى « السنة الخامسة ، الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم الثانى ، عند ما كان يحتفل بيوم عيد تتويج الملك وفى الحال قام بحملته المظفرة » . وفى خلال السنة نفسها رجع النظام إلى نصابه .

أما لوحة « كونوسو » التى تحدث عن عودة الملك بعد ما انتصر فى حملته الأولى المظفرة فى بلاد « كوش » الخاسئة فانها تؤرخ دائما بالسنة الخامسة .

(١) راجع Petrie, Six Temples, Pl. I ; A.Z., 36, p. 84

(٢) راجع Br. Mus. No. 902 (Hierog. Texts, VIII, 8 Pl. IX)

(٣) راجع L.D. III, 69 *f.* ; Gauthier. Amada, p. 153

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٤ — ٥٧

(٥) راجع De Morgan Cat. I, 4, 5 ; L.D., III, 81 g, h

(٦) راجع L. D. Text IV 119

(٧) راجع L.D., III, 82 a ; Brugsch, Thesuarus, p. 12 18 *f.* De Morgan, Cat. I, 67 *f* ; Semneh Stele (B.M. No. 657, Hierog. Texts, VII, p. 21 *f* Pl. xx ; Merenptah Stele (Rec. Trav. 20, 42) ; Petrie Six Temples, Pl. X

ومن جهة أخرى تحتوى لوحة « سمنة » على الوصف المسهب للحملة وبدايتها مفقودة ، ولذلك لا نعلم ماذا ذكر فى السطر الثالث عن المقصود « بحصاد العدو فى «ابهت» » . ويأتى بعد ذلك ذكر استعراض جيش الفرعون الذى كان تحت إدارة ابن الملك صاحب « كوش» . فقد استعرضت جنود من قبائل من حصن « كوبان» وحصن «تاراى» . وقد بدأت الموقعة ولم يفلت رجل ولا امرأة ، وكانت «ابهت» فخورة لأنها كانت منتفخة الصدر ، ولكن هذا السيد قتلهم بنظرته المتوحشة الأسدية كما أمره بذلك والده « آمون الفاخر » . وفى ختام المتن تأتى قائمة الأسرى الذين غنمهم وخطاب قصير لنائب الملك « مرموسى »

ويلحظ أنه من الصعب تحديد مكان حصن «تاراى» من المتن ، ولا نعلم إذا كان يقع على مسافة ٣٢ « اترو »[١] شمال أو جنوب « كوبان » هذا فضلا عن أن طول المقياس « اترو » ليس معروفا لدينا . وكذلك لا يلق هذا المتن ضوءا كبيرا على موقع « ابهت » ، ولكن على حسب نقوش أخرى نفهم أن بدو صحراء النوبة كانوا هم العدو الرئيسى ففى نقوش « فيلة — أسوان » قيل عنهم « إن عين الملك كانت مثل عين الأسد المتوحش ، وهو الذى أنشب مخالبه فى « كوش » الخاسئة ، وهو الذى داس تحت قدميه عظماءهم فى وديانهم حتى أنهم تخبطوا فى دمائهم . . . » .

ويقول الملك فى لوحة « كونوسو » (من السطر السادس) : « إنه وضع حدوده حيث أراد حتى أعمدة السماء الأربعة ولوحة انتصاره إلى ما بعد « كيحوــحر » ويعنى بذلك هنا حتى نهاية الشمال[٢] ولم يقم بعمل مماثل لذلك ملك مصرى غير جلالته » . وعلى حسب النقوش التى أضيفت للمنظر ذكرت « كوش » الخاسئة و « أرم » و « ترك » ثم « ورشن (؟) » . ولا نعلم تماما إذا كانت كلمة كوش قد أريد بها معناها الضيق أى أنها تعنى الأرض التى جنوب الشلال الثانى أم أريد بها كل بلاد النوبة ،

---

(١) أترو = $1\frac{1}{2}$ كيلو مترا على وجه التقريب .

(٢) راجع Urk, IV, p. 808 L. 2.

وعلى أية حال لا بد أن نبحث عن كل من موقع « أرم » و « ترك » فى الجزء الجنوبى من إقليم بلاد النوبة . على أن ما كان يبديه الملك هنا من نشاط يظهر من المؤسسات التى أقامها فى « صلب » و « سدنجا » ومن المحتمل كذلك ما وجد له من أعمال فى « كاوا » ، وكذلك نعلم من نقش خاص بمبان[1] أن الملك أحضر ذهبا من « كاراى » إلى « مصر » فى حملته الأولى المظفرة عند ما هزمت « كوش » الخاسئة . على أن امتداد أعماله الحربية بعيداً إلى هذا الحد لدليل على أن الثورة قد أنشبت أظفارها فى كل إقليم « ابهت » فى الشمال حتى « نبـاتا » فى الجنوب وهو ما لا يكاد يسلم به ، بل الغالب أن الملك بهذه المناسبة قد قام بتفتيش فى هذا الإقليم .

وقد كتب « برستد » عن نقش وجد فى « بوبسطة »[2] من عهد « أمنحتب الثالث » وجد فيه دليلا عن حملة على هذه الأراضى الواقعة فى الجنوب الأقصى بعد « كاراى » على النيل (فوق « العطبرة ») وكما رأى « برستد » بحق أن هذه اللوحة كتبت فى عهد الدولة الحديثة . والبرهان الرئيسى لدى « برستد » أن النقش لا بد قد أضيف فى عهد « أمنحتب الثالث » . وهذه إشارة لم تلحظ حتى الآن عن عيد تتويج الملك وهى ذات أهمية بالنسبة لذكرى يوم تتويج الملك كما جاء فى لوحة « فيله — أسوان » .

والفقرة التى يقال إنهـا تحمل هذا المعنى تترجم كما يأتى : « وقمة جبل « حوا » عند ما طلع جلالته فى الأراضى العالية » . وهى كما ترى ليس فيها أية تورية ليوم تتويج هذا الفرعون[3] .

والتاريخ الوحيد للنقش هو الشهر الثالث لفصل الفيضان ، وقد وضع فى وسط الوصف المهشم للحملة إلى « حوا » ، وهو يذكرنـا يوم تتويج الملك فى لوحة « فيلة — أسوان » فى السنة الخامسة . وهذا التاريخ الذى وجد فى النقش الأخير

---

(١) راجع Rec. Trav., 20, 42 L. 23

(٢) راجع Naville, Bubastis, Pl. 34

(٣) Urk., I, p. III

لا يمكن أن يكون خاصا بعودة الحملة بل يقدم لنـا تاريخ الزمن — كما فى المتون المماثلة للملوك آخرين — الذى وصل فيه خبر قيام الثورة[١] . ولدينـا من جهة أخرى نقش آخر من بهين مؤرخ بالسنة الخامسة الشهر الأول من فصل الصيف يحتمل أنه من عهد حكم الملك « أمنحتب الثالث[٢] » وعلى ذلك يكون من المحتمل أنه قد نقش بمناسبة هذه الحملة . وتدل شواهد الأحوال على أن لوحة « فيلة — أسوان » لاتقدم لنـا التاريخ الذى وقعت فيه الواقعة كما يسلم بذلك « برستد[٣] » ؛ إذ أن ذلك غير محتمل من أساسه ، لأنه لايقدم لنـا وصفا معينا للوقعة ، بل ما جاء فيه هو فى الواقع عبارة عن أوصاف ونعوت . وإذا كان ينبغى لنـا أن نعتبر أن تاريخ الثورة قد جاء حقيقة فى اليوم الثانى من الشهر الثالث من فصل الفيضان فإنه لا بد أن تكون الثورة قد أقمعت فى مدى ثمـانية وعشرين يوما فى بلاد النوبة وأن يكون قد تقدم حتى «حوا» كما يقول «برستد» أى بعد الشلال الرابع وهذا غيرجائز بل أمر لا يمكن تنفيذه تقريبـا .

وكذلك فإن مؤسسة « حوا » غير معروفة لنا ومن المحتمل أنها هى التى ذكرت فى قائمة أهل الجنوب التى وضعها « تحتمس الثالث » باسم « حوعت — حريت » (رقم ٨٩)[٤] ، وهى ليس لهـا أية صلة ببلاد « بنت » ويمكن أن تكون واقعة فى أقصى الجنوب . وإذا سلمنا بالترتيب الذى وضع فى قائمة أهل الجنوب فإن « حوعت — حريت » من باب أولى يمكن أن تكون واقعة فى الصحراء الغربية بين « تحنو » (رقم ٨٨) و « نب نخب » (رقم ٩١) كما جاء فى القـائمة[٥] ، وعلى ذلك فإن العبارة : « وقد طلع جلالته من الأرض العالية » تتلاءم مع ذلك .

---

(١) راجع Urk., IV, 137 *f.*

(٢) راجع Buhen, p. 81

(٣) راجع Br., A.R., II, p. 388, Note

(٤) راجع Urk., IV, p. 800

(٥) راجع Holscher, Libyer und Agypter, p. 21

والواقع أن هذا المتن من الوجهة التاريخية لا يقدم لنا شيئاً يذكر ، إذ لا يمكننا أن نؤرخه على وجه التأكيد ، كما لا يمكننا أن نعرف شيئاً مؤكداً عن البلاد التى جاء ذكرها فيه .

« أمنحتب الرابع — أخناتون » (١٣٧٠ — ١٣٥٢ ق . م) :

لقد وجه « امنحتب الرابع » كل اهتمامه للمسائل الدينية السياسية الخاصة بمصر ، فلم يقم بأية حملة حربية فى المستعمرات المصرية الأسيوية حيث كانت الأحوال تدعو لذلك ولا فى الجنوب أيضاً . وفى عهده لم تضعف سلطة الحكومة المركزية فى المستعمرات النوبية بأية حال من الأحوال ، ولم تخرج أية بقعة من بقاع وادى النيل عن دائرة سلطان البلاط كما يدل على ذلك صراحة ماحدث من محو اسم الآله « آمون » وصور الآلهة فى كل أنحاء بلاد الوادى حتى جبل « برقل » ، وكذلك فإن اسم نائب الملك فى عهد « امنحتب الرابع » وهو « تحتمس » كان موجوداً حتى الحدود الجنوبية[1] ، يضاف إلى ذلك النشاط الذى أظهره هذا الفرعون فى البناء والتعمير فى الجنوب فإنه يعد بمثابة تطور فى العلاقات السلمية أكثر من ذى قبل . ففى « سسبى » التى أقام جدار مدينتها يوجد معبد صغير للاله « آتون »[2] ، وكذلك نشاهد مناظر فى المعبد الكبير وفى معبد « صلب » باسمه[3] وقد وجد فى « سدنجا » جعران باسم هذا الملك ، وتدل ظواهر الأحوال على أن بلدة « كاوا » القديمة قد أسست على مايظهر فى عهد « امنحتب الثالث » ، وقد سميت أولا « جم آتون » على ما يظن فى عهد « امنحتب الثالث » لا فى عهد «اخناتون» ثم سميت فى العهد الكوشى كما سنرى بعد باسم « جم باآتن »[4] . كل هذا يبرهن بوضوح على أن بلاد النوبة كان يسودها السلام

(١) راجع J.E.A., 6, p. 34

(٢) راجع J.E.A., 23, p. 143 *f.*

(٣) راجع A.J.S.L. (1908), p. 51 *ff.*

(٤) راجع Sudannotes and Records, 12, p. 87 *f.*

والنظام . وفى الوقت الذى نجد فيه فى المستعمرات الأسيوية أن العلاقات السياسية كانت فى حالة فوضى تامة فاننا لا نجد فى بلاد النوبة أى متن يحدثنا عن حملة حربية ضخمة لقمع أية ثورة هناك ، ولدينا له لوحة سيئة الحفظ من هذا العهد عثر عليها فى « بوهن »[1] تقول صراحة : « لم توجد أية ثورة فى هذا العهد » وكذلك تشمل قطعة أخرى من نفس اللوحة على ما يظهر قائمة جزية أو تعداد غنائم حروب ، والنقش مهشم لدرجة أنه لا يمكن للانسان أن يستخلص منه شيئاً . وهاك الكلمات التى يمكن قراءتها : « . . . مذبوح . . . اكاتيا (اقته) النوبيين أحياء ٩٠ (؟ + ؟) . . . زوجه ١٢ (؟) فيكون المجموع ١٥٥ (أو ٢٤٥) الذين كانوا تحت إمرته . . . ٢٢٥ مهرا (؟) (أو بقرة حلوب) ٣٣١ . وابن الملك صاحب كوش المشرف على الأراضى الأجنبية . . . » فالكلمة الأولى « مذبوح » يمكن أن تشير إلى موقعة حربية أيضاً ما دامت لا تشير إلى جزء من لقب الفرعون . و « اكتيا » تقع فى الصحراء شرقى « كوبان » ومن المحتمل أنها ذكرت بمناسبة حملة تأديبية على بدو الصحراء فى هذه الجهة ، وإنه لمن المهم أن نجد اسم « اكتيا » الذى لا يذكر كثيراً فى النقوش قد كرر فى نقش من نقوش « أمدا »[2] مرة أخرى .

هذا ولا يمكن أن نعد صور توريد الجزية من الجنوب بأية حال حملات حربية مظفرة ، وهذا ما يجب أن نتبعه فى حالة الواردات الآتية من الشمال أيضاً ، أما إن الفرعون « اخناتون » لم يقم بأية حملة فى آسيا فيدل على ذلك خطابات[3] « تل العمارنة » التى كان يرسلها الأمراء المخلصون يرجون فيها الفرعون أن يرسل جيشاً مصريا الى سوريا وفلسطين لمساعدتهم إذ لم نجد فيها ما يدل قط على إرسال أى جيش لشن حرب .

---

(١) راجع Buhen, p. 91 *f.*

(٢) راجع A S., 10, 122 *f.* and Gauth., D.G.,I, 110

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٣٦٧ الخ .

حور محب :

وفى العصر الذى تلا عهد « اخناتون » نجد أن « حور محب » قد لعب دوراً سياسيا عظيما وقد كان فى عهد حكم « توت عنخ آمون » هو القائد الحقيقى للسياسة الخارجية والسياسة الداخلية معا ، وقد قبض على زمام الحكم فى القطرين عدة سنين . « وقد حضر رجال البلاط منحنين أمام باب القصر وأمراء البلاد الأجنبية من الجنوب والشمال قد أتوا بأيديهم مرفوعة مادحين إياه كأنه إله وكل شئ يطلب عمله كان يعمل على حسب أمره »[1] . وقد قام « حور محب » بوصفه قائداً لحملة حربية على بلاد آسيا كما قام برحلة إلى بلاد النوبة . ويلحظ أن المادة الخاصة بالحكم على الحالة السياسية فى بلاد النوبة فى ذلك الوقت ، والفكرة المنطوية فى رحلة « حرمحب » إلى النوبة هى فى الواقع لا تخرج عن كونها فكرة عابرة .

ونستخلص من منظر فى مقبرة « حور محب » التى أقامها فى « منف » السلطة المهددة الأركان لحكومة مصر فى ذلك الوقت وهى التى نشاهدها ممثلة فى ممتلكاتها الأسيوية وما أصابها من ارتباك ، وهذه المناظر التى عثر عليها فى نقوش هذه المقبرة هى فى الواقع إيضاح مفيد لما جاء فى خطابات «تل العمارنة»[2] عن سوء الحال فى المستعمرات المصرية فنشاهد فى هذا المنظر « أناسا قد أتوا من كل حدب وصوب من آسيويين ولوبيين يتضرعون إلى الفرعون أن يسل سيفه البتار » فكان إذاً لزاما على الملك أن يقبض بجيشه على زمام الأمور وأن يخرج البلاد من الفوضى إلى النظام . وقد ذكرت هنا بلاد « كوش » فى جملة مهشمة وذلك فى خطاب « حور محب » إلى الموظفين المصريين وهى : « إن بعض الأجانب الذين لا يعرفون كيف ينبغى عليهم أن يعيشوا قد أتوا . . . الفرعون مثل ما فعل آباء آبائهم . . ويوجد لديكم الفرعون ليحرس حدوده . . . بضوئه . . . من بداية الجنوب من « كوش » . . . وكل أرض قد اجتثت مثل هذه . . . » .

(١) راجع Fluger and Die Amarna Zeit, p. 28

(٢) راجع A. Z., 38, p. 48

وفضلا عن ذلك لاحظ الأثرى « شيفر » فى فقرة المتضرعين للفرعون رسم زنجى وهذا بصرف النظر عن سائس الجواد المصور فى هذه الصورة وهو الشخص الذى لم يرسل لحيته . وتدل تقاطيع وجهه على أنه ليس بزنجى وليس فيه من الملامح ما يدل على أنه جنوبى الأصل ، إذ لا نجد فيه الميزات التى تميز ابن الجنوب وهو القرط الكبير وأسورة الساعد والريشة التى على الرأس ، هذا الى أن شعره المستعار الذى كان يحليه شريط عريض على الجبهة لا يعد بأية حال من الأحوال من الخواص التى يميز بها النوبى أو الزنجى . وفضلا عن ذلك فإنه يمكن التعرف عليه صراحة من كمه الطويل الضيق وهو الذى لا يكاد يوجد عند أهل بلاد الجنوب (١) . ويلاحظ أن النوبى والزنجى يلبسان بوجه عام تلفيعة عريضة فقط على الجزء الأعلى العريان من الجسم أو على ثوب مصرى واسع (٢) . وقد كان الزى المحبب فى ذلك العهد أن يصور المفتن أهل الجنوب بملامح خارجة عن حد المألوف بوصفهم زنوجا . ونشاهد فى ذلك صورة أخرى فى نفس المقبرة واضحة الرسم فنجد على قطعتين (٣) صفا من العبيد جالسين القرفصاء بملامح هزيلة تمثل الزنوج ، ولدينا قطعة حجر أخرى (٤) يظهر أنها كذلك من مقبرة «حورمحب» مثل عليها فرقة من الجنود نجد من بينهم بعض الجنوبيين يظهرون بلباس شعر قصير وملامح زنجية . وأخيرا لدينا قطعة حجر محفوظة بمتحف اللوفر (٥) تعد من المناظر المماثلة التى نحن بصددها وهى هامة بوجه خاص ، إذ نجد فيها ممثلا جنبا لجنب أسيويا ولوبيا وجنوبيا ، وهكذا كانوا فى الواقع كذلك يمثلون منظر السفراء الأجانب إذا كانوا فى الحقيقة يمثلون الأقوام المجاورين لمصر .

والواقع أن شواهد الأحوال لا تدل على أن العلاقات السائدة فى الجنوب كانت

(١) راجع Ermann-Ranke, Taf. 39

(٢) راجع Wreszinski, Atlas II, 3

(٣) راجع Eremann Ranke Taf. 39

(٤) راجع The Brooklyn Museum Quarterly, Vol. XIX (1932). No. 48 and p. 147 ff.

(٥) راجع Wreszinski, Atlas, II, 3 B b 4

تشبه التى فى الشمال ، وكذلك الرأى القائل بأنه كانت توجد اضطرابات فى كل مكان على حدود المملكة ، وأنه كانت تنبعث أصوات استغاثات من كل جانب لدرجة أن المملكة كانت مهددة عند حدودها الثلاثة أو على الأقل يوجد ما يكدر الصفو ، كل ذلك مشكوك فيه من كل الوجوه . وفضلا عن ذلك فإن الحالة فى البلاد تحدثنا على العكس من ذلك ، إذ فى عهد « توت عنخ آمون » قد أقيمت بلدة جديدة أو على الأقل أسس معبد فى « فرص » وخصص لعبادة الفرعون ، وقد كان النظام فى بلاد النوبة سائداً ، وعلى ذلك فإن رحلة « حور محب » فى بلاد النوبة كانت تمليها السياسة الداخلية . على أن المادة اللازمة للحكم على نوع المشروع الذى كان يقوم به فى رحلته هذه فى تلك البلاد ليست كافية لدينا إلى حد ما ، وأهم أثر لدينا عن ذلك هو قطعة نقش من مقبرة « حور محب »[1] نقرأ فيها ما يأتى : « أنه (أى « حور محب ») قد أرسل بوصفه مبعوث الملك إلى بعد ما يضيئه « آتون » (قرص الشمس) ليعود بعد أن يكون قد انتصر . . . دون أن تستطيع أية أرض أن تقف أمامه وقد استولى عليها فى لحظة عين وحده ، واسمه قد استوعب بيقظة . . . وقد سار (؟) نحو الشمال . وهناك ظهر جلالته على عرش تقديم الجزية ، وقد أحضرت الجزية من الجنوب ومن الشمال . وكان يقف بجانبها « حور محب » . . . » ويعلن « ادوردمير » اقتراحه بأن هذا النقش خاص بالصورة المفقودة من المنظر الخاص بالغنائم النوبية فى هذه المقبرة وان الصورة التى فى مقبرة « حوى » تنسب إلى نفس الاحتفال الذى أقيم فى مقبرة « حور محب » .

ولم يبق لنا من مقبرة « حور محب » فى منف إلا القطعة التى نحن بصددها[2] . هذا ويدل متن قطعة الاسكندرية التى من هذه المقبرة على أنه خاص بمنظر كان

---

(١) راجع Alexandria, Fragment. P.S.B.A., II, p. 424, comp. Ed. Meyer, p. 406 and Fluger ibid. p. 38 f. 55

(٢) راجع Helck., p. 83

مصوراً فيه جزية الشمال[1] ، ومن المحتمل أن القطعة التى فى متحف «بولونى» وهى التى تحدثنا عنها فيما سبق مع صورتها وكذلك قطعة «اللوفر» هما من هذا المنظر . وإذا كان ينبغى علينا أن ننسب منظر تقديم الجزية الذى فى مقبرة «حوى» إلى نفس الاحتفال الذى نحن بصدده فى مقبرة «حور محب» فإن ذلك بلا نزاع يكون دليلا على أن المنظر لا يمثل غنيمة حرب جاءت عن طريق موقعة حربية نشبت فى بلاد النوبة ، وذلك أنه لم يذكر قط فى مقبرة نائب الملك «حوى» أى حرب أو عصيان قام فى بلاد النوبة ، بل على العكس نجد فى صورة أخرى جمع الضرائب فى هدوء وسكينة[2] . وكذلك لا تمت قطعة «الاسكندرية» إلى غنيمة حرب بسبب بل هى خاصة بجزية كما يدل على ذلك مدلول الألفاظ المصرية القديمة التى وردت عليها ، ولا بد لقيام حملة حربية حقيقية من أن يكون سببها قيام ثورة ثم القضاء عليها والمادة التى لدينا ليس فيها ما يشير إلى ذلك فى السودان فى عهد قيادة «حور محب» .

يضاف إلى ذلك أن المنظر الذى على صندوق الملك «توت عنخ آمون» الذى نشاهد فيه هذا الملك فى عربة حربية مع طائفة من الجنود الزنوج مجدّلين لا يدل فى الواقع على موقعة حربية حقيقية لها علاقة بحملة قام بها القائد «حور محب» فى بلاد النوبة . وأخيراً فإن العبارة التى جاءت فى لوحة «الكرنك» وهى : «لقد ملأ بيوت أعماله بالعبيد والإماء وبالجزية من غنائم سيف جلالته» قد استعملت جملة تقليدية وليس لها بأية حال من الأحوال علاقة بمشروع حربى نوبى .

والأجدر إذاً أن تكون هذه الرحلة التى قام بها «حور محب» المدير لأمور الدولة رحلة تفتيش فى بلاد النوبة ليطمئن على إخلاص موظفيه فى عملهم فى بلاد النوبة والواقع أن بلاد النوبة بثروتها الغنية كانت تلعب دوراً هاماً فى سياسة مصر الداخلية

(١) راجع Fluger, ibid. p. 31

(٢) راجع Davies, The Tomb of Huy, Pls. XVI, XVII; Wreszinski, Atlas I, p. 162 ff

وبخاصة فى الأوقات المضطربة إذا كانت فى أوقات الحرب مليئة بالأحزاب الكبيرة ، فإذا كان نائب الملك وموظفوه وكذلك السيطرة على موارد المواد الغفل فى الجنوب وبخاصة مناجم الذهب العظيمة فى يد الفرعون فإن ذلك يكون سبباً فى الانتصار على عناصر الدسائس فى سياسة البلاد الداخلية والقبض على زمام الموقف كما سنرى ذلك بعد .

ولما اعتلى « حور محب » عرش البلاد قام بحملة حربية على بلاد « كوش » وهنا كذلك لا نعلم شيئا على وجه التقريب عن هذه الحملة ، ومن المحتمل أن هذه لم تكن إلا مجرد مظاهرة قام بها رجل أعلن نفسه ملكا على البلاد ولم يكن لديه سند شرعى يدعى به تولى الملك ، وقد صوّرت عودته إلى البلاد المصرية على صخور « السلسلة[1] » فنشاهد أمام الملك الذى كان محمولا فى محفة يسير خلفه الأسرى النوبيون والجنود المصريون وفى النقوش التابعة لهذا المنظر أن جلالته يعود من بلاد « كوش » بالغنائم التى أحرزها سيفه كما أمر به والده « آمون » . وكذلك نجد أن الموقعة هنا قد مثلت غير أن الصور قد هشمت لدرجة أنه لم يمكن التعرف على كيفية تأليفها ، ومن المحتمل أنها كانت على غرار تلك الموقعة التى شاهدناها مصورة على جدران عربة « تحتمس الرابع » . ونجد بعض التفاصيل ثانية فى الصور التى مثلت فيما بعد فى عهد « رعمسيس الثانى » و « رعمسيس الثالث[2] » ، وهذا هو الأثر الوحيد الذى لدينا نتخذه دليلا على حملة الملك هذه ، وعلى ذلك فإنه لا يمكن أن نحكم حكما صحيحاً أكيداً على أهمية هذه الحملة وما لها من قيمة سياسية .

وكذلك ليس لدينا معلومات عن الحملات الحربية التى قام بها الملوك الذين خلفوه من عهد الرعامسة . فنجد فى رسوم المناظر الكبيرة وفى النقوش المملوءة بالعبارات

---

(١) راجع L. D. III, p. 120, 121; Wreszinskix Atlas, II, 162 and Fluger, 6 وراجع كذلك مصر القديمة الجزء الخامس ص ٦٠٥

(٢) راجع Wreszinski Atlas II, 161

البراقة الأعمال الحربية التى قام بها الفرعون ، ولكن لا نكاد نجد مع كل ذلك ذكر تاريخ محدد أو مكان معين ، بل كل ما نجده هو ذكر بلاد دون أن يقال عنها شئ . وقد كانت العادة عند الفراعنة أن يمثل الفرعون منتصراً على أهالى الجنوب ، وأن النوبى مهزوم وقراه مخربة دون أن تقوم على وجه عام حملة حربية عظيمة على ما يظهر نحو الجنوب . والواقع إذاً أن المعلومات التى نستقيها من هذه المناظر تكاد تكون لا شئ ، ومع ذلك فإننا سنلقى نظرة خاطفة على ما لدينا من مادة عثر عليها فى هذا العهد .

« رعمسيس الأول » :

ففى نقش من السنة الثانية من عهد « رعمسيس الأول » وكذلك فى صورة منه يرجع تاريخها إلى السنة الأولى من عهد « سيتى الأول » قد قص علينا أن الملك قد أقام معبداً فى « بهين » وجهزه بكهنة وملأ بيت أعماله بالعبيد والإماء الذين أحضرهم جلالته غنيمة[1] . ففى لوحة « رعمسيس الأول» يقال صراحة إن الملك كان فى «منف» ونجد كذلك اسم « سيتى الأول » فى نهاية النقش دون أن يكون له أية علاقة بالمتن ويريد الأستاذ «برستد»[2] أن يرى فى ذلك احتمال أن « سيتى الأول » قد قام لوالده بحرب فى بلاد النوبة . ولكن النقوش لا تحدثنا بشئ من ذلك ، أى أن الأسرى كانوا من بلاد النوبة ، وفضلا عن ذلك فإن التعبيرات التى ذكرت فى المتن إن هى إلا تعابير كلامية ليس لها قيمة تاريخية تذكر فقد نعت « رعمسيس الأول » فى نقوش معبد « العرابة » بأنه « الثور القوى الذى ضرب النوبيين »[3] .

« سيتى الأول » :

ولدينا لوحة وجدت فى « العمارة غرب » مؤرخة بالسنة الرابعة أو الثامنة من عهد

(١) راجع Br., A.R., III § 74 ff. ; Louvre C. 57, and B.M. No. 1189

(٢) راجع Br., ibid. § 75

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٥٧

«سيتى الأول» تحدثنا أن هذا الملك قام بحملة حربية على إقليم « أرم »[١]، وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الحملة لم يكن لها أية أهمية ، وذلك لأننا لم نجد فى المناظر العدة فى معبد الدولة فى « الكرنك » التى تحدثنا عن حملاته فى آسيا ولو بيا صورة واحدة عن حروب له قام بها فى البلاد الجنوبية . والواقع أنه يوجد فقط منظران حيث نجد هذا الفرعون ممثلا وهو يضرب أمام « آمون » أهل الشمال وأهل الجنوب . والنقش الذى يتبع ذلك كما قال « برستد »[٢] هو نقش منتحل نصفه الأول ينسب إلى نقش بناء للفرعون « أمنحتب الثالث » والنصف الثانى مأخوذ من أنشودة النصر للفرعون «تحتمس الثالث» ، ولدينا فى نقوش معبد « وادى مياه » (الرديسية) منظران يمثلان ضرب العدو أمام الإله[٣]، واحد منهما يمثل أهل البلاد الشمالية والآخر يمثل أهل البلاد الجنوبية . غير أن صبغة النقوش التقليدية نجدها ظاهرة فى المتن التابع لهذا المنظر ؛ على الرغم من أن النقش الذى بجوار صورة الملك يقول صراحة « إنه هزم عظماء كوش الخاسئة وإن الإله آمون أمر الملك بقوله : « خذ سيفك أنت يأيها الملك القوى و« حور » الحى صاحب القوس لتهزم عظماء « كوش» ولتقطع رءوسهم » . وهكذا نطق « آمون » عندما قدم للملك الأراضى المأسورة : « إنى أعطيك الجنوب وكذلك الشمال مجتمعين تحت نعليك » . وكذلك الأراضى العشر التى ذكرت هنا بعد ليست بأية حال من الأحوال أراضى جنوبية كلية بل جاء بعد « كوش الخاسئة » قائمة تقليدية بأسماء أقوام الأقواس التسعة وهى التى وجدناها للمرة الأولى مذكورة فى مقابر عظماء القوم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة[٤]، وهى التى على وجه عام نجدها مرسومة تحت أقدام الفرعون على كرسى العرش ، وهؤلاء الأقوام هم نظريا الأقوام الخاضعون لحكم الفرعون . وعلى ذلك فإن هذه القائمة تكون لا معنى لها فى منظر

---

(١) راجع J.E.A., 25, 142

(٢) راجع Br. A.R. III § 113

(٣) راجع L.D., III, 139 a, 140 a, Bull. Instit Fr. 17, I *ff*

(٤) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١١٨

يصف هزيمة أهل الجنوب قبالة أهل الشمال ، وهذا مما يدل على أن الإنسان يجب أن يكون حذراً عندما يستنبط نتائجه التاريخية من مثل هذه المناظر أو من قوائم الأقوام الخاصة بهذا العصر .

« رعمسيس الثانى » :

ولدينا من عهد « رعمسيس الثانى » مادة غزيرة ولكنها على الرغم من غزارتها لا تقدم لنا شيئاً يذكر عن الحوادث التاريخية فى موضوعنا . فلا نجد فى المناظر العدة الدالة على حروب نوبية ما يمكن أن نستخلص منه تاريخاً معيناً أو مكاناً معروفاً وقعت فيه حروب بوجه عام .

والرسوم الخاصة بالمناظر الحربية نجدها فى ثلاثة معابد وهى « أبو سمبل » و « بيت الوالى » و « الدر »[١] .

ففى « أبو سمبل » مثل ضرب أحد ممثلى أهل الجنوب كما مثل موكب الظفر بعد النصر وسوق الأسرى[٢] ويلفت النظر فى النقوش التابعة للمنظر أنها تحدث عن أهل الشمال أيضاً ، فمثلا نجد مع موكب الظفر : « أنه (أى الملك) لهيب نار عندما تندلع دون أن يوجد ماء لاطفائها[٣] » وفى منظر الاستعراض نقرأ : « إحضار جزية بوساطة الإله الطيب (أى الملك) لوالده « آمون رع » بعد أن خرب الأراضى الأجنبية الثائرة وهزم النوبيين فى عقر دارهم وتشمل (الجزية) فضة وذهبا ولازوردا وفيروزجا وكل الأحجار الكريمة الفاخرة وهى التى أخذها بقوته ونصره على كل بلاد أجنبية » . والكتابة التى على الأسرى هى : « ان عظماء كوش الخاسئة أحضرهم جلالته بنصره من أرض كوش ليملأ بهم بيت أعمال والده الفاخر « آمون رع » سيد الكرنك . . » ونجد مثل هذه الجمل مع أسماء أخرى من أهل الشمال[٤] . وهذا

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٤١ — ٢٤٣

(٢) راجع Wreszinski, Atlas, II, 180, 171, 184 a; Br., A. R., III § 450 ff

(٣) راجع Wresz., Ibid, 181

(٤) راجع Wresz. Ibid, Pl. 179

مما يقلل من قيمتها بوصفها مصادر عن حملة حربية أو أنها نوع من المحاصيل الجنوبية التى غنمت فى ساحة القتال .

أما فى « بيت الوالى » فنجد تسلم جزية كبيرة ومنظر واقعة حربية[1] ، وهذا المنظر الأخير له نظيره فى « الدر[2] » ونشاهد فى هذا المنظر الملك يقبض وهو فى عربته على النوبيين الهاربين . وعلى اليسار من ذلك بلدة نوبية تحت شجر النخيل ونشاهد كذلك امرأة جالسة تنوح أمام كوخ وبجوارها راع معه قطيعه وجريح حمل إلى هذا المكان من موقعة القتال .

والواقع أن تأليف هذا المنظر قد أخذ عن مناظر مواقع قديمة ، وأكثر من ذلك نجد أن بعض تفاصيله قد صور فى مصادر قديمة[3] . وقد جاء مع منظر القرية النوبية ما يأتى : « كل عدو (؟) قال : « لا تجعل الأسد يخرجه من الوادى . . . . « رعمسيس الثانى » » ومعنى هذه العبارة نجده فى منظر موكب الظفر الخاص بالملك « حورمحب » فى « السلسلة » ففيه نقرأ مع رجل وامرأة نائمة على رجل أخذ فى الأسر : « آه أنتم أيها الأطفال الذين كانوا كبارا فى قلوبهم يا من نسوا ما قد قيل لهم من قبل لا تجعل الأسد يخرج ويدخل بلاد كوش[4] » .

ومن ثم نرى أنه ليس لدينا مصدر وثيق عن حملة حربية قام بها « رعمسيس » على بلاد النوبة وعلى ذلك فإن هذه المناظر التقليدية التى نجدها فى المعابد ليست ذات بال ولا يعتمد عليها[5] . هذا ولدينا كذلك لوحة[6] على صخور الطريق الممتدة بين «أسوان»

(١) راجع Wresz., Ibid, 165-168

(٢) راجع Wresz., Ibid, 168 a

(٣) راجع Jaquier, Fouilles à Saqqarah, La Monument Funerire de Pepi II, Tome. II, Le Temple, P. 14 ; comp. Kees, O.L.Z. (1941), p. 106

(٤) راجع Brmus., Hierog. Texts, VIII, p. 22 Pl. XX

(٥) راجع Roeder, Betel Wali, p. 161

(٦) راجع L.D., III, 1759

و « الفيلة » مؤرخة بالسنة الثانية الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم السادس والعشرين ، ولا يمكن أن يكون هذا التأريخ لحملة حربية لأن المتن لا يحتوى إلا على جمل عادية تشير إلى انتصار فى الشمال أيضا ، فإذا كان المتن يتناول فى الواقع موضوع حملة حربية معينة لجاء ذكرها صراحة فيه كما هو المنتظر .

والواقع أن كثيرا من الألقاب والنعوت التقليدية كانت لا معنى لها قط فى العلاقات السياسية الغابرة ، وذلك أنه عندما يفكر الانسان فى أن بلاد النوبة كانت إقليما مصريا اقتصاديا على جانب عظيم من الأهمية يدير شئونها موظفون من قبل الملك ولم يكن للأمراء المحليين بالتأكيد بعد إلا دور غير هام فى هذه الادارة ؛ يجد أنه لم يكن لهؤلاء الأمراء أية قوة يجابهون بها المصريين اللهم إلا بعض زعماء من قبائل البدو كانوا يقومون فى وجه المصالح المصرية ، وعلى ذلك فإنه لا ينبغى أن تكون الجمل التى ذكرت صورة تمثل السياسة المصرية فى الجنوب مثل : « الملك الثور القوى ضد كوش الخاسئة ، ومن خواره يخترق بلاد النوبة ، ومن حافره يدوس النوبيين ، ومن قرنه يخترقهم عند ما يستولى بقوته على « خنت — حن — نفر » ومن الفزع منه يصل إلى « كاراى » » أو « من يجعل أرض كوش لا شئ »[1] فكل هذه ليست إلا جملا جوفاء تقليدية .

وفى بلدة « العمارة القديمة »[2] عثر حديثا على مناظر فى داخل البوابة لها قيمتها الأثرية وهى من عهد « رعمسيس الثانى » فعلى الجدار الجنوبى نجد المنظر المبتذل الذى يمثل فيه « رعمسيس الثانى » يهجم بعربته على مجموع من النوبيين الذين فقدوا النظام فى صفوفهم ، وعلى الجدار الشمالى صورت عودة الفرعون منتصرا ففى نهاية الشرق يتقدم « رعمسيس الثانى » جنودا وهو ممتط عربته فى حين نشاهد خلفه من جهة الغرب على الباب الجانبى ثلاثة من أولاده هم « مرنبتاح » و « ستمويا »

(١) راجع Kuban Stele, l. 4; Abu Simbel Hymnes Ramses II, L.D., III, p. 195 a

(٢) راجع J.E.A., Vol. 35, p. 8

وثالث فقد اسمه يقودون أسرى نوبيين . ومع ذلك نجد متنا قصيرا مؤلفا من سطرين سجل فيه أن الحملة قد وجهت على أرض « أرم » النوبية وبه ما يزيد على سبعة آلاف أسير . وهذا المتن القصير تدل شواهده على أنه سجل تاريخي أصلى ، وعلى ذلك فإنه يعد أول سجل معروف لدينا عن حملة قام بها « رعمسيس الثانى » على بلاد « أرم » ؛ بل الواقع أن هذه الحملة تعد أول حملة حقيقية تاريخية لهذا الفرعون فى بلاد النوبة . ومن جهة أخرى قد كشف فى « العمارة » على سجل عن حملة قام بها « سيتى الأول » على بلاد « أرم »[1] .

الملك « مرنبتاح » :

وبعد عهد « رعمسيس الثانى » نجد أن التحدث عن المواقع الحربية قد أخذ فى النقصان ، ففى عهد « مرنبتاح » خلف « رعمسيس الثانى » نعرف فقط لوحة واحدة مهشمة فى « عمدا »[2] وهى تحدثنا عن إخماد ثورة فى « واوات » واللوحة لا يمكن ترجمتها لما فيها من تهشيم كثير . ويبتدئ المتن باسم الملك ونعوته المختلفة مثل « الإله الطيب » و « الأسد سيد خارو (سوريا) » و « الثور القوى ضد كوش » و « الذى يذبح بلاد مزوى » ، ثم يأخذ فى سرد الموضوع وهو يشبه تماما النقوش التى ذكرناها عن الثورة النوبية التى نشبت فى عهد « تحتمس الثانى »[3] والتى قامت فى عهد « تحتمس الرابع » وفى عهد « أمنحتب الثالث » فقد جاء فيها : « لقد أتى إنسان يقول لجلالته إن العدو من « واوات » (قد بدأ بثورة) » ، وبعد ذلك تأتى أشياء غامضة عن اللوبيين والرتنو ثم يأتى : « إن الأسد صاحب النظرة الوحشية قد أرسل لهيبا من فمه على أرض « واوات » (سطر ٦) » « وقد بحث عن العدو فى كل الأرض حتى لا يقوم مرة أخرى بثورة (١٠) » « ورجوع الأمن إلى نصابه ،

(١) راجع J.E.A., Vol. XXIII Pls. 13, 19 cf Pl 15, 1

(٢) راجع Rec. Trav. 18, p. 156 *f*; Gauthier, Amad, p. 187

(٣) راجع Urk., IV, 138

وقد قبض على الأراضى الأجنبية باسمه وجعل الأراضى فى سلام (يعيشون) ، وجعل مصر فرحة وجعلها فاخرة (سطر ١٣) » ، وإنه لمن المستحيل أن نستعمل هذا المتن الممزق من الوجهة التاريخية ليضع أمامنا حقائق جديدة ، وعلى أية حال فإنه يمكن أن نتصور أن هذه الثورة التى حدثت فى بلاد النوبة السفلى كان لها ارتباط بالحروب مع بلاد لوبيا التى قام بها هذا الفرعون على هذه البلاد[1] . وذلك أن اللوبيين عند ما كانوا يبحثون عن مساكن لهم وسبل للعيش قد منعهم « مرنبتاح » من الزحف شمالا ، على أنه ليس من المستحيل أن يكون بعض هؤلاء اللوبيين قد ولى وجهه نحو بلاد النوبة السفلى بدلا من التوجه جنوبا نحو الواحات . وسنظل فى شك من أمر هؤلاء القوم إذا كان وجود هذه الطائفة المهاجرة التى تمتاز ببياض بشرتها فى بلاد الأهالى الجنوبيين أو إذا كنا نفهم اسم المكان « تخنت » فى بلاد النوبة بمثابة رمز لتسرب أناس لوبيين فى عهد الدولة الحديثة[2] وحافظوا على اسمهم الأصلى .

« رعمسيس الثالث » :

وآخر أثر له علاقة بحملة حربية على بلاد النوبة يرجع عهده إلى عصر الفرعون « رعمسيس الثالث » ففى معبده الكبير الذى أقامه فى مدينة « هابو » نجد صور حرب نوبية قد مثلت فى ثلاثة مناظر وهى تشبه التى ذكرناها فى عهد « رعمسيس الثانى » . وخلافا لذلك نشاهد قائمة طويلة منقوشة بأسماء أهل الجنوب المغلوبين على الجانب الأمامى للبوابة الأولى من هذا المعبد .

هذا ولدينا صورة كما أشار الأثرى « أنتس » فى معبد « آمون » بالكرنك نقلها « رعمسيس الثالث » عن « رعمسيس الثانى » خاصة بسوق الأسرى على حسب ما جاء

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٣٥ الخ .
(٢) راجع Holscher, Ibid, p. 21 f

فى موقعة « قادش » ولكنها رسمت مختصرة مع حذف أجزاء منها[١] . وكذلك نجد أن المتن فى كل من النسختين موحد إلا لفظة « خيتا » التى ذكرت فى عهد « رعمسيس الثانى » فقد حل محلها اللفظة « قادش » وذلك أن مملكة « خيتا » كانت قد لعبت دورها واختفت من الوجود فى عهد « رعمسيس الثالث » .

وكذلك نجد صوراً نوبية مشابهة تماما فى مدينة «هابو » فالصورة الأولى التى تمثل الانتصار على النوبيين تشبه الصورة التى رسمها « رعمسيس الثانى » فى « بيت الوالى » وفى « الدر » ، وبتأليف موضوع الصورة وفيها الملك المهاجم فى عربته والجموع المجدلة من النوبيين المهزومين والقرية النوبية كل هذه قد بقيت كما هى ولم يتغير إلا بعض تفاصيل فردية مثل الراعى مع قطيعه فقد حذفت .

والمنظر الثانى ويمثل سوق الأسرى ونعرفه من قبل فى معبد « رعمسيس الثانى » فى « أبو سمبل » ثم المنظر النهائى ويمثل قيادة الأسرى أمام الإله «آمون » والإلهه « موت » وهذا يرجع أصله إلى تقليد قديم . وأخيراً نجد أن قائمة الأقوام الجنوبيين كما برهن « برستد » قد نقلت عن قوائم قديمة[٢] . وعلى ذلك لم يكن من باب المفاجأة أن نجد ثانية مع الملك الذى يقود الأسرى أمام « رع حوراختى » وهم مهزومون أنشودة النصر ، بل إن « سيتى الأول » كان فى الواقع قد نقلها فى زمنه من الأنشودة القديمة التى أنشئت فى عهد « امنحتب الثالث » مع إضافة بعض عناصر تتناسب مع الموقف[٣] .

وقد جاء فى ورقة « هاريس » الكبرى ذكر السوريين والنوبيين الذين غنم منهم

---

(١) راجع A.Z., 65, p. 26 *ff*

(٢) راجع Br. A.R. IV. § 138

(٣) راجع Medinet Habu, II Pl. 102

جلالته غنائم كثيرة[١] وكذلك لدينا لوحة من مدينة « هابو » تصف لنا سوق الأسرى النوبيين إلى مصر[٢].

غير أن كل هذه المصادر لا تكاد تكون لها قيمة تاريخية ولا يمكننا مرة واحدة أن نثبت على وجه التأكيد قيام حملة حربية نحو بلاد النوبة على حسب ما جاء بها . وفى ورقة « هاريس » الكبرى التاريخية لم نجد فى الفصل المخصص للأحداث التاريخية وهو الذى نجد كل أعمال الملك العظيمة قد ذكرت فيه أية إشارة إلى قيام حملة حربية على بلاد النوبة ، وهذا يعنى على كل حال أن « رعمسيس الثالث » لم يقم فى مدة حكمه بأى أعمال حربية فى الجنوب .

والواقع أن بلاد النوبة كانت من الآن لمدة طويلة لا تعد بلاداً أجنبية لها ثقافة مميزة بل كانت تعد جزءاً من المملكة المصرية مرتبطة بها ارتباطا وثيقا لدرجة أن شخصيتها من حيث الجنس والثقافة قد فقدت . وعلى الرغم من أنه على ما يظهر لم تقم أية مشاريع حربية فى هذه البقعة فإنها بقيت فى قبضة الحكومة المصرية ، وكذلك كان من المفهوم أنه فى عهد « رعمسيس الحادى عشر » كان نائب الملك فى « كوش » فى عهد الاضطرابات السياسية فى مصر مع جنوده النوبيين منحازاً للحكومة المنفية[٣] .

---

(١) راجع Ericksen, 75, I ff

(٢) راجع Wresz, Atlas II, 160

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٢٣ و ٥٥٠ و ٥٨٥

حكومة نائب الملك فى السودان

فى عهد الدولة الحديثة

مقدمة :

تناولنا فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة الحديث عن الادارة فى السودان[١] وكذلك الدور الذى كان يلعبه حاكم هذه البلاد الذى كان يلقب « ابن الملك » ثم لقب فيما بعد « ابن الملك صاحب كوش » . غير أن الموضوع على الرغم مما كتبه « ريزنر »[٢] وما كتبه من بعده « جوتييه »[٣] لا يزال ينقصه بعض نقاط وإضافات لابد من استيفائها . وقد لاحظ ذلك الأثرى « سيف زودربرج » فى كتابه عن مصر والنوبة[٤] . وفضلا عن ذلك فقد ظهرت مصادر أخرى فى هذا الصدد تحمل الينا حقائق جديدة ، ولذلك رأينا أن نبحث موضوع هؤلاء الحكام العظام ومن كانوا يعملون معهم لنصل إلى صورة واضحة عن نظام الحكم فى تلك الفترة من تاريخ السودان وعلاقته مع مصر .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٣ — ١٧٧

(٢) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 73 ff

(٣) راجع Rec. Trav., 39, p.182 ff

(٤) راجع Save, Agypten und Nubien, p. 175

نوّاب الملك فى الأسرة الثامنة عشرة

نائب الملك « ثورى »

دلت الآثار التى كشفت حتى الآن على أن أوّل نائب ملك معروف لدينا فى بلاد النوبة هو « ثورى » . والظاهر أن « ثورى » هذا كان فى بادئ الأمر قائد حصن « بهين » فى عهد الملك « أحمس الأوّل »(١) ، وفى عهد « أمنحتب الأوّل » عين نائب الفرعون وكان يحمل لقب ابن الملك صاحب الأقاليم الجنوبية ، وكان تعيينه فى السنة السابعة من حكم هذا الفرعون(٢) ، وفى السنة الثامنة من حكم نفس الملك نجده يحمل ألقابا أخرى(٣) نذكرها هنا وهى « الأمير الوراثى والحاكم وحامل الخاتم الملكى فى الأراضى الجنوبية . . . » وابن الملك .

وقد استمرت ولايته حتى عهد الملك « تحتمس الأول » ، وكان يحمل لقبا آخر وهو المشرف على البلاد الجنوبية(٤) . والظاهر أنه كان فى خدمة الملكة « حتشبسوت » ويحمل نفس الألقاب السالفة(٥) . ويحتمل أنه لم يكن يقوم بمهام وظيفته وقتئذ على الرغم من حمله ألقابها(٦) .

وقد أضاف « جوتييه » إلى المصادر السالفة الذكر التى جاء فيها ذكر هذا العظيم أربعة مصادر أخرى نذكرها على الترتيب(٧) :

---

(١) راجع Burhen ; Northern Temple doorway of Amasis I, two Inscriptions, p. 88

(٢) راجع American Journal of Sem. Lang. (1908), p. 108

(٣) راجع Urk., IV p. 78

(٤) راجع Urk., IV p. 79-81, Ibid p. 89-90

(٥) راجع West Silsileh, Cenotaph of the Vezier Weser; Griffith, in Proc. Soc. Bib. Arch., Vol. XII p. 104

(٦) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 29 note 1

(٧) راجع Rec. Trav, 39, p. 182 *f*

(١) **أولا :** وجد له متن منقوش على صخرة فى « أبوسمبل » فى الشمال من المعبد الصغير الذى نقل نقوشه « لبسيوس »[١] وهاك النص : « عمله كاتب المعبد ووالد الإله والمشرف على الماشية والأمير والكاهن الأول « أحمس » الملقب باسم « ثورى » صادق القول » . وتدل النقوش على أن الاسم « ثورى » الحقيق هو « أحمس » وذلك من آثار أخرى ، وأن اسم « ثورى » لم يكن إلا لقبا ينادى به كثيرا فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة .

(٢) أما المصدر الثانى فهو تمثال هام جدا من حجر الكوارتسيت الأحمر محفوظ الآن بالمتحف البريطانى[٢] . وهذا التمثال يمثل شخصا يدعى « تيتى » وعلى ظهر التمثال تحت النقش الأفق الخاص بتيتى ذكر ثلاثة أشخاص فى ثلاثة أسطر عمودية يسبق لقب كل منهم كلمة « ابن » ، وهؤلاء الأشخاص الثلاثة قد ذكروا على التوالى كما يأتى :

١ — كاتب الموائد المقدسة « لآمون » أحمس باتنا (؟) صادق القول (المرحوم) .

٢ — ابن الملك والمشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية « أحمس » — « ثورى » صادق القول (المرحوم) .

٣ — ابن الملك المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية « أحمس سا تنيت » (؟) صادق القول (المرحوم) .

ومن الواضح أن ثانى هؤلاء الأسماء هو نفس الكاهن « أحمس » « ثورى » الذى ذكر فى نقوش « أبو سمبل » السالفة . ومن المحتمل أن النقش الأخير لم يكن قد نقش بعد إلا فى عصر لم يكن فيه نائب الملك المستقبل لبلاد كوش قد عين قائد حصن « بهين » بل كان فقط يحمل لقبى كاهن ومشرف على الماشية فى منطقة

(١) راجع L. D. V Text. p. 168

(٢) راجع Hierog. Texts from the British Mus. V, p. 98 Pl. 25

« بهين » و « أبو سمبل » . ومن ثم يكون لدينا خطوة قديمة جداً ويحتمل أنها الأولى فى مجال تاريخ « ثورى » المدهش .

ولكن يوجد أمامنا سؤال كذلك ينجم عما جاء فى أربعة الأسطر التى على تمثال المتحف البريطانى السالف ، وأعنى بذلك صلة القرابة التى بين أربعة الأشخاص الذين ذكروا عليه فهل « أحمس باتنا » و « أحمس » « ثورى » و « أحمس ساتنيت » كان ثلاثتهم أولاد صاحب التمثال ؟ .

والواقع أن «تيتى» صاحب التمثال كان يسمى « تيتى » بن « باتنا » بن «أحمس» « ثورى » بن « أحمس ساتنيت » وبذلك كان المقصود أنه يشير إلى أربعة أجيال متتابعة ، غير أن الجواب المؤكد على هذا السؤال ليس من السهل الإدلاء به . وذلك أنه لو كان هذا الوضع صحيحاً لوضع الكاتب ضمير الغائب بعد كلمة ابن فى كل حالة وذكر كلمة « ابنه » . ومن المحتمل جداً — ولكن ليس مؤكداً — أن ضمير الغائب (ه) كان لا بد أن يكتب إذا كان الحفار قد أراد أن يميز أن هؤلاء الأشخاص الثلاثة هم أولاد « تيتى » . ولكن من جهة أخرى نجد على وجه التمثال الداخلى اسم ولد « لتيتى » مميز بكلمة « ابنه » بدلا من « ابن » . وهذا الاسم مهشم غير أن ما بقى منه يدل على أنه لا بد كان واحداً من ثلاث الشخصيات التى ذكرت فى الأسطر العمودية التى على ظهر التمثال السالف الذكر . فإذا كانت القراءة السالفة هى الصحيحة كان لدينا الجدول الصغير التالى لشجرة نسب هذه الأسرة :

الجد : « أحمس ساتنيت » — وقد كان يحمل لقب ابن الملك والمشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية .

|

« أحمس ثورى » — وقد كان يحمل لقب ابن الملك والمشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية .

|

« أحمس باتنا »

|

« تيتى »

وعلى ذلك فإن هـذا التمثال يرجع تأريخه فى هذه الحالة إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة أو بعد ما يقرب من ثلاثة أجيـال من عهد مؤسس هذه الأسرة « أحمس » ، وعلى الأخص لن يكون « ثورى » بعد هو الأول فى هذه الأسرة الذى كان يحمل من الوجهة التاريخية لقب « ابن الملك » و « المشرف على البلاد الأجنبية فى الجنوب » كما هو الرأى السائد بصفة عامة حتى الآن عند الأثريين ، بل الواقع أنه كان يسبقه فى حمل هذه الوظيفة والده المسمى « أحمس ساتنيت » . وهذا يجعلنا فى وضع جديد على أية حال بالنسبة للحقائق التاريخية التى فى متناولنا عن هذا العهد . فإذا وافقنا على التاريخ الذى حدده « ڤيل »[1] فهمنا أن « أمنحتب الأول » كان قبل العام السابع من حكمه وهو العام الذى نشاهد فيه أن « ثورى » كان فعلا يقوم بأعباء وظيفته قد حكم من ١٥٥٥ — ١٥٣٤ ق . م . وعلى ذلك فإن الدكتور « ريزنر » قد جعل تنصيبه فى هذه الوظيفة حوالى سنة ١٥٥٠ ق . م . كما ذكرنا من قبل . ومن ثم فإن والد « ثورى » كان فى إمكانه أن يقوم بأعبـاء وظيفة إدارة بلاد النوبة لأول مرة منذ خمس عشرة أو عشرين سنة قبل « ثورى » أى حوالى ١٥٦٨ — ١٥٦٣ ق. م . أى فى خلال حكم «أحمس الأول» (١٥٧٧ — ١٥٥٧ ق.م) . وعلى ذلك فإن الفضل يرجع كذلك إلى معيد نظام المملكة المصرية وقاهر الهكسوس ومؤسس الامبراطورية الطيبية الثانية فى وضع الفكرة الأولى التى أصبحت فيما بعد فى عهد أخلافه تعرف فى نظام الحكم « النيابة الملكية لبلاد كوش » أو بعبارة أخرى نائب الملك فى السودان . وقد وكل « أحمس » لابنه « أحمس ساتنيت » مأمورية تهدئة وإدارة بلاد النوبة . وكان على خلفه « أمنحتب الأول » بطبيعة الحال أن يعين ابن الحاكم السابق وهو « أحمس ثورى » وهو ابن أخيه ، وهو الذى كان قد شغل وظيفة قائد حصن « بهين » فى عهد الملك « أحمس الأول » .

ويمكن استخلاص حقائق أخرى هامة من تمثال « تيتى » هذا المحفوظ بالمتحف

---

(١) راجع Weill, La Fin du Moyen Empire Egyptiene p. 569

البريطانى فنجد أن الشخصيات الثلاث « أحمس ساتنيت » و « أحمس ثورى » و « أحمس باتنا » يشمل العنصر الأول من أسمائهم المركبة تركيباً مزجياً اسم « أحمس » وهو الاسم الذى يحمله مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . وقد خول لنا تفسير أصل الأسماء العدة التى على هذا النسق القول بأن هؤلاء الأشخاص الذين يحملون هذا الاسم قد ولدوا فى عهد الملك الفرعون « أحمس الأول » وهذا الاسم يعد فى نظرهم حامياً لهم . وهذه المحاولة لتفسير هذه التسمية محتملة كما نشاهد ذلك فى عصرنا ، إذ نجد أن معظم الذكور الذين ولدوا فى عهد محمد على قد سموا بهذا الاسم . ولكن نجد أنه من المؤكد من جهة أخرى أن هناك أسباباً أسرية قد لعبت هنا دوراً فى هذا التوزيع فى الأسماء ، ويمكن أن يكون ذلك وهو اسم الملك ، وأن كثيراً من بين عشرة الأشخاص الذين تبتدئ أسماؤهم المركبة باسم « أحمس » كانت توجد بينهم روابط دم أى أنهم كانوا أولاده أو أحفاده ، والغالب أن « أحمس ساتنيت » هو ابن فرعون ، وعلى ذلك فإن « أحمس ثورى » يعد حفيداً للأخير ، وعلى ذلك فإن لقب « ابن الملك » الذى كان ينسب بنظام لكل نواب الملك فى كوش من أولهم إلى آخرهم — وقد كان موضع حيرة وارتباك فى تفسيره — يرجع للمرة الأولى على الأقل لأصل ملكى أى أن « أحمس ساتنيت » كان ابن الملك المباشر الذى أنشئت فى عهده وظيفة المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية ، ومن المحتمل أنه كان قد ولد قبل تولية والده عرش الفراعنة ، ومن المحتمل أن والدته «تاثيت» ماتت قبل تولية زوجها عرش الملك ، ولذلك لم تصبح قط ملكة على أرض الكنانة . وابن أول نائب ملك فى الواقع يحمل هذا اللقب وهو « أحمس ثورى » كان حفيد الملك وكان كذلك يحمل لقب « ابن الملك » ومن ثم بحكم العادة والتقليد قد حشرت عبارة « ابن الملك » مع ألقابه الرسمية .

(٣) وثالثاً لدينا الجزء الأسفل من تمثال آخر مهشم مصنوع من الحجر الرملى وجد بالقرب من « كرمه » فى السودان وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطانى[1] ويحمل

(١) راجع A Guide to the Egyptian Gallaries, 1909 Sculptures, p. 182 No. 651

اسم « أحمس » الذى يدعى « ثورى » والذى يحمل لقب المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية . وقد ظن ناشر دليل المتحف البريطانى أن هذا الموظف قد عاش على ما يظن فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، فلم يعرف شخصيته أنه « ثورى » نائب الملك فى كوش المعروف ، والمتن المحفور على التمثال يحتوى على صلوات للاله « حور » صاحب « بهين » وهذه الخاصية مضافة إلى أن « ثورى » كان فى أول الأمر كاهنا فى اقليم « أبو سمبل » ثم قائداً لحصن « بهين » قبل أن يصبح نائب ملك لكوش قد يسمح لنا أن نستخلص أن أوّل مقر للمشرف على البلاد الأجنبية فى الجنوب كان فى منطقة « أبو سمبل » — و « وادى حلفا » بالقرب من الشلال الثانى ولم يكن الفرعون بعد قد تخطت سلطته هذه النقطة .

(٤) ورابعاً وأخيراً يمكن أن ننسب إلى نائب الملك « ثورى » جعرانين وقد نقش على كل منهما المتن التالى : ابن الملك « ثورى »[١] . وقد قال « نيوبرى » عن الجعران الأول إن صاحبه « ثورى » هو ابن الملك « تحتمس الأول » ويرتكز فى رأيه هذا على نقش فى جزيرة « سهيل »[٢] حيث نجد « ثورى » هذا نفسه قد لقب فقط بلقب « ابن الملك » وقد أرخ باليوم الثانى والعشرين من بشنس من السنة الثالثة من حكم « تحتمس الأول » . ولكنا نعلم الآن أن « ثورى » هذا لا يمكن أن يكون ابن « تحتمس الأول » لأنه كان فعلا فى عهد « أمنحتب الأول » والد هذا الملك مكلفاً بإدارة بلاد الجنوب ، والظاهر أنه كان ابن أخ « أمنحتب الأول » وابن عم « تحتمس الأول » .

هذه هى كل الآثار التى نعرفها حتى الآن عن «ثورى» نائب الملك فى بلاد النوبة .

أما عن اسم « ثورى » فنود أن نثبت وجود وجه قرابة بين اسمه الصوتى و بين

---

(١) راجع El Arabat, Pl. XXV, No. E 270 et p. 16, 36 et 43; Newberry, Scarabs p. 157 No. 35, et Pl. XXVI No 35, Tui-Re

(٢) راجع Rec. Trav., XIII, p. 202

الاسم المؤنث « تورس » الذى تحمله ملكة ، وهى كذلك كانت بنت « أحمس الأول » وهذا التقريب هو فى رأيى برهان آخر يعضد قرابة « ثورى » هذا للفرعون الأول من ملوك الأسرة الثامنة عشرة .

وتدل شواهد الأحوال على أن « ريزنر » قد رصد مدة قصيرة لعهد ولاية « ثورى » لإدارة السودان فإذا كان يشغل وظيفته هذه منذ السنة السابعة من حكم « أمنحتب الأول » وهذا مالا نشك فيه وإذا لم يكن قد ترك وظيفته فى السنة الثالثة فى عهد « تحتمس الأول » فإنه لابد قد بقى يحمل هذه الألقاب على الأقل مدة ست عشرة سنة أو سبع عشرة سنة لا اثنتى عشرة كما يقول « ريزنر » أى أنه بقى فى وظيفته أربع عشرة سنة فى عهد « أمنحتب الأول » الذى نعرف أنه حكم على أقل تقدير واحدة وعشرين سنة ، وسنتين أو ثلاثة فى عهد « تحتمس الأول » .

والواقع أننا لا نعرف شيئاً عن إدارة « ثورى » هذا ، غير أنه كان متوجا بالنجاح فى أعماله . ومما لاشك فيه أن « ثورى » قد تخلى عن عمله قبل موته ، وإذا كنا نراه لا يزال على قيد الحياة قبل موت الوزير « وسر » (أو « وسرآمون ») فى عهد الملكة « حتشبسوت » (١) . فمن المؤكد أنه فى هذا العهد بل ومنذ زمن طويل فعلا قد تخلى عن وظيفته التى تولاها من بعده ابن الملك « سنى » أما لقبا ابن الملك والمشرف على الأراضى الأجنبية الجنوبية اللذان نشاهدهما مدونين فى هذا القبر فكانا ذوى صبغة فخرية محضة وحسب .

ابن الملك « سنى »

شغل « سنى » وظيفة « ابن الملك » فى عهد كل من الملكين « تحتمس الأول » و « الثانى » ولكن يظهر أنه قد شغل وظائف أخرى قبل تنصيبه فى هذه الوظيفة ، ففى عهد « أحمس الأول » كان (٢) يشغل وظيفة المشرف على ... » وفى عهد الفرعون

(١) راجع L.D, III, 25 bis

(٢) راجع Urk., IV, p. 39-41

« أمنحتب الأول » كان يشغل الوظائف التالية : المشرف على مخازن غلال « آمون » ومدير الأعمال فى الكرنك[١] .

وفى عهد « تحتمس الأول » تولى منصب « ابن الملك » والمشرف على البلاد الجنوبية فى نفس النقش السالف ، وفى نقش آخر وجد فى معبد « قمة »[٢] نجده يحمل الألقاب التالية : حاكم المدينة الجنوبية (طيبة) والمشرف على مخازن غلال الإله آمون ، و « ابن الملك » و « المشرف على الأراضى الجنوبية » . وقد نسب « ريزنر »[٣] إلى ابن الملك « سنى » مدة حكم طويلة أى ما يقرب من ستين سنة كان يشغل منها حوالى خمس وثلاثين سنة على رأس إدارة بلاد النوبة . ويرى « جوتييه » أن نيابة « سنى » لبلاد السودان قد امتدت حتى السنة السابعة عشرة على الأقل من عهد « تحتمس الثالث » و « حتشبسوت » معا ، ولكن من جهة أخرى يرى أن بداية هذه النيابة كانت خمس سنين قبل التاريخ الذى حدده « ريزنر » الذى جعل بداية ولايته ١٥٣٧ ق . م ونهايته ١٥٠٣ ق . م ، وعلى أية حال فإن مسألة التاريخ المحضة لا تزال تحتاج إلى تحقيق لأن تواريخ هذا العصر مرتبكة جداً بسبب الخلافات الأسرية فى بيت الملك ، ومهما يكن من أمر فإن الأستاذ « ريزنر » قد نسب بحق إلى « سنى » نقش معبد « سمنة » ، وهو الذى ترجمه وعلق عليه « برستد » وقال عنه إنه يرجع إلى عهد « ثورى »[٤] ، وهذا النقش يحتوى على ترجمة حياته كاملة ، غير أنه ممزق ، ونعرف منه أنه كان ، كما ذكرنا من قبل ، قد عينه « تحتمس الأول » ليحل محل « ثورى » فى بلاد النوبة وخلع عليه نفس الألقاب التى كان يحملها سلفه .

وفى عهد « تحتمس الثالث » نجد أن « سنى » يضيف إلى ألقابه السالفة لقب

---

(١) راجع Ibid

(٢) راجع Urk., IV, p. 142

(٣) راجع Sudan Notes and Records, I, p. 225

(٤) راجع Br., A.R., I, § 61-62

عمدة المدينة الجنوبية، أى « طيبة »، وهذا اللقب وجد على عتب باب معبد « قمة » الذى زينه من جديد « تحتمس الثانى »[١] .

أما النقش الذى ضمن نقوش « قمة » على الصخر وهو الذى نقله « برستد »[٢] فقد شوهد فيما تبقى منه اسم « نحى » وهو نائب آخر وهذا هو رأى « ريزنر » ، أما « جوتييه » فقد رأى فيه بقية اسم « سنى » ، والرأى الأول لايتفق مع الواقع[٣] . وقد أضاف « جوتييه » إلى المصادر التى ذكرت هنا عن « سنى » نقشين جاء فيهما اسمه ولكنهما وجدا مهشمين ، ويحتمل أن « تحتمس الثالث » هو الذى فعل بهما ذلك . ولكن يمكن على أية حال فهم ما جاء فيهما تقريبا .

فالنقش الأول مؤرخ بالسابع من بثونه السنة الثانية من حكم « تحتمس الثالث » وهو منحوت على بجدران أقدم جزء من معبد «سمنة» على الجدار الخارجى[٤] وفى السطر الثانى من هذا النقش جاء فيه ذكر لقب « حامل خاتم الملك » و « السمير الوحيد » و « ابن الملك » و « المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية » ، ثم نجد بعد ذلك الاسم مهشما . وقد ظن « برستد » أن هذا النقش خاص بالنائب « ثورى » . وقال « ريزنر » إنه النائب « نحى »[٥] والظاهر أن « زيته » هو الذى صححه بحق وقال عنه إنه « سنى » الذى تقع مدة حكمة بين « ثورى » و «نحى» ، وإن كان قد عاد فيما بعد وقرأ الاسم « نحى » بدلا من « سنى »[٦] .

ويوجد فى المتحف البريطانى قطعة من تمثال من الجرانيت الرمادى من « وادى حلفا »[٧] وقد نقش عليه اسم نائب ملك لبلاد النوبة ، ويظهر أنه كان يعمل

---

(١) راجع Sethe, Untersuch., I, p. 78

(٢) راجع The American Journal of Sometic Lang. and Lit. (1908), p. 105

(٣) راجع Save, Ibid, p. 175 note 8

(٤) راجع L.D., III, Pl. 55 a and Urk., IV, p. 198

(٥) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 3

(٦) راجع Urk., IV. p 985-6

(٧) راجع Hierog. Texts from Egypt. Stelae Br. Mus.. Vol. V. p. 10 Pl. 35

فى عهد الملكة « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » ولكن الاسم كان قد كشط عن قصد وكذلك كشط اسم الملكة . وألقاب هذا الموظف هى « الشريف » و « الأمير الوراثى » و « حامل خاتم الملك » و « السمير الوحيد » و « عينا الملك » و « أذنا سيد الأرضين » و « مالىء قلب الإله الطيب فى النوبة (؟) بالتمام » و « فم الملك فى بلاد النوبة » و « المشرف على بلاد الجنوب » و « رئيس رخيت (عامة الشعب) » و « ابن الملك » و « المشرف على البلاد الأجنبية فى الجنوب . . » .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الاسم المهشم هو اسم « سنى » تقريبا ، وأنه قد أصاب اسمه من التهشيم والمحو ما أصاب اسم سيدته « حتشبسوت » على يد « تحتمس الثالث » بعد موتهـا ، أى أن ذلك قد حدث ما بين السنة السابعة عشرة والسنة العشرين من حكم « تحتمس الثالث » . والواقع أن الملكة كانت لا تزال تشارك « تحتمس الثالث » السلطة . وفى السنة العشرين كان خلف « سنى » وهو « نحى » يزاول عمله نائباً للملك فى بلاد النوبة وقد برهن بقوة الأستاذ « ريزنر » على أن إحلال « نحى » محل « سنى » محتمل تمـاماً إذا كان قد حدث فى السنة الثانية من عهد « تحتمس الثالث » ، وأنه على العكس إذا كان « سنى » قد عاد ثانية نائب ملك بعد ذلك بزمن فى المدة التى بين السادسة والثامنة من حكم « تحتمس الثالث » فإنه كان لا يكتفى فقط بمحو اسم « نحى » فى كل مكان يجده ، بل كان على وجه خاص يعيد اسمه فى كل مكان حذفه منه « نحى » . ولكن على العكس ما قرره « ريزنر » الذى استنبط من هذه الملاحظة الصائبة الخاصة باختفاء اسم « سنى » منذ السنة الثانية نهـائياً من حكم « تحتمس الثالث » يقول « جوتييه » إنه يميل إلى مدّ زمن ولايته إلى وقت موت الملكة « حتشبسوت » حاميته ، وأن نيابة « نحى » لم تبتدئ إلا بعد السنة السابعة عشرة من عهد « تحتمس الثالث » ما بين السنة السابعة عشرة والسنة العشرين من حكم « تحتمس الثالث » .

ابن الملك « أنبنى »

إن « انبنى » هذا قد تضاربت الأقوال فى توليته نيابة بلاد كوش . فيقول « جوتييه » فى ملاحظته عنه[١] : لقد حذف « ريزنر » عن قصد من قائمة أسماء نواب بلاد « أثيوبيا » الفرد الذى يدعى « انبنى » وهو الذى وضعه كاتب فهرس كتاب « برستد » خطأ بين أسماء نواب بلاد النوبة[٢] وتمثاله موجود بالمتحف البريطانى[٣] وقد أظهر أنه كان يلقب « ابن الملك » و « رئيس الرماة » و « المشرف على أسلحة الملك » ، ولكنه لم يكن قط يحمل لقب « المشرف على البلاد الأجنبية بالجنوب[٤] » . ومن جهة أخرى فإنه من الجائز أن لقب « ابن الملك » لا يدل قط هنا على بنوة ملكية حقيقية ، وفى هذه الحالة أكون قد ارتكبت خطأ فى حذف هذا الأمير من كتابى الخاص بأسماء الملوك وقد ذكره كل من « لبسيوس[٥] » و « بركش » و « بوريان » و « بدج » فى كتبهم . و تمثال « انبنى » كان قد منحه إياه « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث[٦] » . و إذا كان فعلا « انبنى » ابن ملك فإنه من المحتمل جداً أنه ابن « تحتمس الثالث » . هذا ما قاله « ريزنر » ووافقه عليه « جوتييه » .

ولكن نجد أن « سيف زودربرج[٧] » يقول خلافاً لذلك فاستمع إليه : « فى العهد المشترك للملك « تحتمس الثالث » والملكة « حتشبسوت » نعرف « ابن ملك » و « رئيس الرماة » للملك اسمه « انبنى » وأنه ليس من المستحيل أن هذا كان نائب الملك لبلاد كوش فإن اسمه هو الذى ينبغى أن يكون فى نقوش « توميوس » بدلا

(١) راجع Rec. Trav., 39, p. 189 Note 1

(٢) راجع Br., A.R., Vol. V, p. 58

(٣) راجع Br. op. cit. Vol. II, § 213 and p. 86 note c

(٤) راجع A Guide, Br. Mus. 1909, sculpture, p. 109, No 374

(٥) راجع [Lepsuis, Pl, XXV, No 348

(٦) راجع Maspero, Proc. S.B.A., Vol. XIV, p. 178

(٧) راجع Save, Ibid, p. 175

من « نحى »[١]. وذلك أنه بعد كتابة هذا النقش بقليل وضع « نحى » اسمه بدلا منه »[٢].

ابن الملك « نحى »

تدل شواهد الأحوال على أن « نحى » كان يشغل وظيفة نائب الملك فى « كوش » فى عهد الفرعون «تحتمس الثالث» حتى السنة الثانية والخمسين من حكم هذا الفرعون، ومن المحتمل أنه بقى فى وظيفته هذه حتى موت هذا الفرعون . أما عن بداية توليته هذا المنصب فإن « ريزنر » يقول إنه يرجع إلى السنة الأولى أوالثانية من حكم نفس هذا الفرعون متجاهلا بذلك وجود نائب الملك « انبنى » . ولما كان «تحتمس الثالث » قد حكم ما يقرب من ٥٣ سنة — هذا إذا كان « نحى » قد بدأت ولايته فى السنة الثانية وكان لا يزال يزاول عمله فى السنة الثانية والخمسين من حكم « تحتمس » — فإن ولايته لا تكون قد استمرت أقل من خمسين سنة . ويقول « جوتييه »[٣] إن « ريزنر » لا يعترف له إلا بولاية قدرها ٤٧ سنة أى من ١٥٠٠ حتى ١٤٥٣ ق . م . ويستمر جوتييه قائلا : وقدسنحت لى الفرصة أن ألحظ فيما يخص نائب الملك « سنى » أنه من غير المحتمل كثيراً أنه قد حل محله مرة أولى « نحى » فى السنة الثانية ومرة ثانية فى تاريخ غير محدود ، ولكن يقع ما بين السنة الثامنة والسنة العشرين،وقدذهبت إلى أن أمدنيابة « سنى » يقع فى عهد متوسط بين اختفاء الملكة « حتشبسوت » وأول ذكر تاريخ مؤكدلولاية خلفه « نحى » على بلاد النوبة ، أى ما بين السنة السابعة عشرة والسنة العشرين من حكم « تحتمس الثالث » عندما أصبح ملكا منفرداً بالعرش . وعلى ذلك فإن مجال خدمة « نحى » تكون قد امتدت مدة اثنتين وثلاثين سنة على أقل تقدير (من السنة العشرين إلى السنة الثانية والخمسين)

---

(١) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 175

(٢) راجع ما كتب عنه Save, Ibid, p. 208

(٣) راجع Save, Ibid, p. 18 a

أو سبع وثلاثين سنة على أكثر تقدير (من السنة السابعة عشرة إلى الرابعة والخمسين) وهو التاريخ الذى توفى فيه « تحتمس الثالث » . والواقع أن ذكر « نحى » فى أقدم جزء من معبد «سمنة» مرتين ، يدل على أن واحدة منهما مشكوك فيها[١] ، لأن الأستاذ « زيته » ظن أنه يمكنه أن يقرأ اسم « سنى » بدلا من «نحى» فى المرة الأخرى[٢] وقد أضيف بعد نفى أو موت « سنى » على غرار ما كان يفعله « تحتمس الثالث » غالباً عندما يضع بدلا من اسم « تحتمس الثانى » و « حتشبسوت » اسمه هو .

ومما قد يستحسن أن نلحظ هنا (فضلا عما سبق) أن ذكر « نحى » فى السنة العشرين من عهد « تحتمس الثالث » غير مؤكد . إذ الواقع ان اسم « ابن الملك المشرف على البلاد الأجنبية للجنوب » الذى نقله « برستد » للمرة الأولى[٣] من نقوش صخرة فى جزيرة « تومبوس » قد قرأه « برستد » باسم « آنى » . وهذا الاسم الذى وجد فى النقوش مرتين كان مهشما عمداً فى المرتين . وقد رفض « ريزنر » قراءة الاسم بلفظة « أنى » ويقول إنه من الجائز أن الاسم يقرأ « نحى »[٤] .

وقد جمع الأستاذ « ريزنر » كل ما كتب عن « نحى » وألقابه[٥] وذكر لنا بوجه خاص « جبلة ابريم » التى تشمل تاريخ السنة الثانية والخمسين من حكم الملك « تحتمس الثالث » وجاء فيها اسم النائب « نحى » كما جاء فى « جبلة الليسيه » حيث يوجد متن مؤرخ بالسنة الواحدة والخمسين فلم يذكر قط اسم « نحى »[٦] . وقد خلط « فيدمان » بصورة غريبة بين اسم « الليسيه » واسم « السلسلة » وأظن أنه يوجد

---

(١) راجع Reisner, Ibid, p.

(٢) راجع Ibid

(٣) راجع The American Journ. of Sem, Lang, and Lit. (1908), p. 47-48

(٤) راجع Rec. Trav. Ibid, p. 190

(٥) راجع J.E.A., 6, p. 30-31

(٦) راجع L.D., III, 45 e ; Sethe, Urk., IV, p. 810-813

فى صخرة من صخور « السلسلة » قبر « نحى » نائب الملك فى بلاد الجنوب[1] . والحقيقة أننا نجهل أين يوجد قبر « نحى »[2] ، ومع ذلك فإنه فى وقت ما كان معروفاً وسلب ما كان فيه ، وذلك لأن تابوت هذا الأمير لا يزال محفوظاً فى متحف « برلين » . وهرمه الصغير الجنازى موجود بمتحف « فلورنسا » . هذا ويجيز لنا ما كشفه « بترى » فى « طيبه » خلف معبد الرمسيوم من تماثيل جنازية صغيرة مصنوعة من الخشب باسم « نحى »[3] أن نذهب إلى أن هذا الوالى قد دفن فى جبانة « طيبه » ولم يدفن بعيداً عن سيده « تحتمس الثالث » فى بلاد النوبة ، ومن المحتمل أنه دفن على المنحدر الشرقى لتل « قرنة مرعى » حيث قد عرف هناك كذلك مقابر أخرى لنواب ملوك من الأسرة الثامنة عشرة مثل « مرى موسى » و « حوى » .

والآثار العدة التى وجدناها باسم « نحى » تدل على أنه كان يقوم بوظائف أخرى غير وظيفة نائب الملك فى بلاد النوبة ، ويحتمل أنه كان يقوم بها قبل تولية هذه الوظيفة ، وإن كان ذلك غير مؤكد . فمثلا نجد أنه كان يحمل لقب « حامل الخاتم الملكى » و « السمير الوحيد » و « الحاجب الأول للملك » و « مرتل آمون » و « المشرف على الإدارة القضائية » ، وكان من جهة أخرى يدعى « الأمير الوراثى » و « الحاكم » و « حظى الملك الممتاز » و « ثقة الملك فى بلاد النوبة » . ومن ثم نفهم ان « نحى » هذا كان شخصية عظيمة جداً وأنه كان يستحق كل ما أغدقه عليه « تحتمس الثالث » من امتيازات وما حباه به من مكانة عالية . والواقع أنه يرجع إلى مهارته فى مدّ فتوح مصر فى بلاد السودان ، كما يرجع الفضل إلى إدارته الحازمة أن بقيت الأقطار المفتوحة موالية للفرعون مما سهل عليه أن يلتفت إلى مدّ حدود امبراطوريته فى الشمال من بلاده ، أى فى سوريا ومسوبوتاميا .

---

(١) راجع Wiedmann, Gesch. der 18 dyn., p. 65 and Agypt. Gesch., p. 362, and note 17

(٢) راجع Br., A.R., II, p. 26 note 1

(٣) راجع Petrie, Six Temples at Thebes, Pl. II no 1 ; Urk., IV, p. 983

ولا نزاع فى أن « نحى » يعد أول حاكم قد هدأ البلاد الجنوبية فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولكن على الرغم مما قاله الأثرى « بدج »[١] فإن « نحى » لم يكن يحمل بعد لقب « أمير كوش » .

وأخيراً نذكر هنا تمثالا لهذا الحاكم عثر عليه الأثرى « نافيل » فى معبد الأسرة الحادية عشرة « بالدير البحرى » ، وهو تمثال جنازى ضاع رأسه وقد نقش على كتفيه طغراء الملك « تحتمس الثالث » وقد نقش عليه اسم « نحى » بلقب « ابن الملك » و « المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية » .

ويتساءل « سيف زودربرج »[٢] إذا كان نائب الملك « نحى »[٣] الذى كشف له عن آثار فى « عنيبه »[٤] وكذلك الذى يوجد له تمثال فى متحف القاهرة هو نفس « نحى » الذى جاء ذكره فى نقوش « تومبوس » التى يرجع عهدها للسنة العشرين من حكم « تحتمس الثالث » .

والواقع أنه عثر فى أحد مبانى « عنيبه » على عدة أجزاء من هذا المبنى منها أعتاب أبواب وصدغ باب كتب عليه النقش التالى : « الأمير الوراثى والحاكم وحامل الخاتم الملكى للوجه البحرى والعظيم فى بيت الفرعون للوجه القبلى والعظيم عند ملك الوجه البحرى ومحبوب حور وسيد القصر والمتعالى مع خُلق من الكبرياء ابن الملك والمشرف على الأراضى الجنوبية « نحى » الذى يحيا ثانية » . هذا فضلا عن أنه يحمل فى هذه النقوش ألقاباً أخرى منها المشرف على المخازن الخ .

أما التمثال الذى فى متحف القاهرة لهذا النائب فيظهر أنه لم ينشر قط حتى قام بنشره الأستاذ « نيوبرى »[١] . وعلى الرغم من أن رأسه قد ضاع فإنه تمثال جميل من عهد

---

(١) راجع Budge, The Egyptian Sudan. I, p. 573

(٢) راجع Save, Agypten und Nubien, p. 175

(٣) راجع Reisner, 3

(٤) راجع Aniba, II, 34 *f*

(٥) راجع J.E.A., Vol. 19, p. 53 *ff*

الدولة الحديثة ويمثل «نحى» راكعا على قاعدة مستطيلة ممسكا أمامه صناجات ضخمة ممثلة في هيئة رأس «حتحور» وقد نقش في المحراب الذى فوق الصناجة لقب «تحتمس الثالث» وعلى مقدمة الصناجة نقش الإله الطيب رب الأرضين «منخبررع» بن رع «تحتمس» حاكم طيبة محبوب الإلهة «ساتت» ربة بلاد النوبة معطى الحياة أبديا. وعلى ظهر التمثال نقش يذكر ألقاب «نحى» ووظائفه. وعلى قاعدة التمثال نقشان يحتوى كل منهما على صيغة قربان وتضرع وألقاب «نحى» ووظائفه المعتادة. وكل دلائل الأحوال تدل على أنه هو نفس «نحى» الذى تحدث عنه.

ابن الملك «وسرساتت»

الظاهر أن هذا النائب قد خلف مباشرة النائب السابق «نحى» إما في نهاية السنة الثانية والخمسين من حكم «تحتمس الثالث» أو في يوم تتويج «أمنحتب الثانى» ابن «تحتمس». وقد ذهب «ريزنر» إلى أن مدة ولاية «وسرساتت» مكثت ثلاثا وثلاثين سنة[1] (١٤٥٣ — ١٤٢٠ ق.م. ؟)، غير أن هذا التقرير يظهر مستحيلا بوجه خاص إذا رفضنا معه أن مدة حكم «وسرساتت» قد امتدت إلى ما بعد حكم «أمنحتب الثانى». وذلك لأن الرقم الذى وضعه «مانيتون» لحكم هذا الملك وهو خمس وعشرون سنة وعشرة أشهر يعتبر رقما عاليا أكثر من اللازم، وذلك لأننا لا نعرف تاريخا على الآثار لهذا الملك حتى الآن أكثر من السنة الخامسة. هذا إلى أن ما جاء على مسلة «اللتران» الموجودة الآن برومة يتنافى تماما مع الرأى القائل إن الملك حكم أكثر من سبع سنوات[2]. وإذا سلمنا أن «وسرساتت» — وهو المحتمل — قد استمر في مزاولة وظائفه في بلاد النوبة في عهد خلف «أمنحتب الثانى» وهو «تحتمس الرابع»، فإنه يمكننا أن نحدد زمن ولايته بحوالى ٢٣ سنة. وذلك لأن «تحتمس الرابع» لم يمكث على عرش الملك مدة طويلة، إذ تقدر بحوالى

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 32

(٢) راجع L.R., II, 276 n. 3

ثمانى أو تسع سنين . هذا مع العلم بأن « ريزنر » قد اعترف بنفسه أن عمل « وسر ساتت » قد انتهى فى عهد حياة « تحتمس الرابع » ؛ وعلى ذلك فإن مدة ولاية هذا النائب على أكثر تقدير تكون قد مكثت سنتين فى عهد « تحتمس الثالث » يضاف إلى ذلك سبع سنوات فى عهد « أمنحتب الثانى » وسبع سنوات أو ثمان فى عهد « تحتمس الرابع » فيكون المجموع ست عشرة أو سبع عشرة سنة فقط لكل مدة ولايته على وجه التقريب .

وقد ذكر لنا « ريزنر » ثلاثة آثار لهذا النائب فى عهد كل من « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الرابع » (أى فى صخرة « ابريم » وجزيرة « سهيل » وتمثال بهين (وادى حلفا) المحفوظ بالمتحف البريطانى)[1] ، ولكن لدينا نقش آخر على صخر جزيرة « سهيل »[2] : جاء فيه ابن الملك المشرف على البلادالأجنبية الجنوبية « ساتت » ، حيث يجب أن نصلح الاسم باضافة « وسر » قبل « ساتت » فيصبح الاسم « وسر ساتت » .

ومن جهة أخرى نشر الأثرى « شاسينا » تمثالا جنازيا باسم هذا الوالى[3] وقد جاء على هذا التمثال النقش التالى : «ابن الملك والغلام (مملوك) والمشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية » . ولقب « الغلام » (أى الذى تربى فى القصر) يظهر أنه يبرهن على أن نائب الملك « وسر ساتت » لم يكن ابن ملك على الرغم من أنه كان يدعى ابن ملك ، بل كان قد سمح له منذ نعومة أظفاره أن يتردد على القصر المخصص للأطفال الملكيين وأن يندمج فى حياتهم . ومع كل ذلك فإنا نجد أن « مورية » كان لا يزال يعتقد فى أن « وسر ساتت » كان ابن ملك حقيق وهو قول خاطئ[4] .

---

(١) راجع J.E.A., 6, p. 32

(٢) راجع Monuments divers, Mariette, Pl. 71, No. 25

(٣) راجع Bull. de L'Instit. Francais d'Arch., X, p. 161

(٤) راجع Rev. Egyp. Nouv. Serie., T, I, p. 23 note 5

ابن الملك « أمنحتب »

ليس لدينا عن هذا النائب إلا نقش واحد على صخور جزيرة « سهيل »[(١)] ، وقد ظن «جوتييه» أن «أمنحتب» هذا فى بادئ الأمر هو نفس «حورى — أمنحتب» . وقد قدم لنا « ريزنر »[(٢)] البرهان الرئيسى للتمييز بين هذا النائب « أمنحتب » وبين « حورى » الذى يسمى كذلك « أمنحتب » ، وذلك لأن لقب « حامل المروحة على يمين الملك » يظهر بانتظام فى ألقاب « نائب بلاد كوش » من أول ولاية النائب « مرى موسى » فى عهد « أمنحتب الثالث » ، وإذا لم يكن هذا اللقب منقوشاً كتابة فإنه كان يستدل عليه بوجود المروحة فى الصورة ، والواقع أن ألقاب «أمنحتب» الذى نحن بصدده على الرغم من كثرتها فى نقش « سهيل » ، وهو المصدر الوحيد كما قلنا عن هذا النائب حتى الآن ، لا يوجد بينها لقب « حامل المروحة » . ومن جهة أخرى فإن الشخصية الممثلة فى الصورة لا تحمل المروحة بل تحمل علامة الصولجان « سخم » موضوعة على الكتف اليسرى للنائب ، ومن ثم نعلم أن « أمنحتب » قد جاء قبل « مرى موسى » . ولما كان الأخير قد ظهر فى السنة الخامسة من حكم « أمنحتب الثالث » وجب علينا الاعتراف بأن النائب « أمنحتب » هو سلفه المباشر وأنه حكم فى السنين الأولى من عهد « أمنحتب الثالث » بل من الجائز فى السنين الأخيرة من عهد « تحتمس الرابع » . ويقول « ريزنر » إن هيئته تختلف اختلافاً بيناً عن هيئة نواب الملك الآخرين الذين كانوا يحملون المروحة من أول ولاية « مرى موسى » .

وعلى ذلك فإذا كان الناشرون لنقش « سهيل » قد أصابوا بوضعهم فى اليد اليسرى للنائب « أمنحتب » الصولجان « سخم » لا المروحة ، فإنه من المحتمل جداً

(١) راجع De Morgan, Cat. des Mon., Vol. I, P. 92 note 108 ; and L.D., Text. IV. P. 125 n. 5 a

(٢) راجع J.E.A., 6, p. 132.

أن نضع هذه الشخصية بين « وسرساتت » وبين « مرى موسى » فى سلسلة نواب كوش ، وإنه يكون أول واحد من هؤلاء النواب الذين لقبوا عن قصد « ابن الملك صاحب كوش» ، وهو اللقب الذى سيعرف به كل أخلافه من هذه السلسلة حتى آخر واحد منهم وهو نائب الملك « أوسركون عنخ » فى عهد الأسرة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين (؟) . ولم نعثر على هذا اللقب حتى الآن إلا من أول عهد « مرى موسى » ، غير أن ظهوره ينبغى أن يرجع إلى نهاية عهد « تحتمس الرابع » ، وإنه من الجائز كما اقترح « ريزنر » أن لقب « ابن الملك صاحب كوش » كان قد أعطى نائب الملك « أمنحتب » ليميزه من الوارث وقتئذ للعرش الذى كان يسمى « ابن الملك » ويدعى كذلك « أمنحتب » وهو « أمنحتب الثالث » فيما بعد .

أما عن مدة نيابة « أمنحتب » هذا فقد حددها « ريزنر » بعشر سنين ، وهذا على ما يظهر غير مؤكد . وذلك لأنه إذا كان « وسرساتت » قد شغل محله آخر عند تولى « تحتمس الرابع » العرش ، فإن « أمنحتب » كان قد خدم مدة ثمانى سنين فى عهد « تحتمس الرابع » وأربع سنين (فى عهد « أمنحتب الثالث » فى السنة الخامسة التى كان قد خلفه فيها « مرى موسى ») أى مدة اثنتى عشرة سنة . أما إذا كان من رجال عهد « أمنحتب الثالث » فإن مدة ولايته تكون قد مكثت أكثر من ذلك أربع سنين . ومن المحتمل جداً تحديد مدة ولاية « أمنحتب » ما بين هاتين المدتين أى بين أربع سنين واثنتى عشرة سنة .

وأخيراً نجد أمامنا سؤالا كما هى الحال مع النائب « وسرساتت » وهو : هل ترك لنا فى جزيرة « سهيل » ذكر اسمه مرة أو مرتين ؟ حقا لم يذكر الأستاذ « ريزنر » إلا متناً واحداً . غير أنه لدينا متن آخر على الصخر[1] ، وفى هذا المتن نجد ألقاب هذا النائب كاملة وهى : « المشرف على مواشى « آمون » و « المشرف على أعمال البناء فى مصر العليا ومصر السفلى » ، و « ملاحظ اصطبل جلالته » ،

(1) راجع Mariette, Moumemts divers, Pl. 70, No. II

« ابن الملك صاحب كوش » ، و « المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية » و « بطل الفرعون » و « الممدوح من الإله الطيب وكاتب الملك » « أمنحتب » .(١)

ابن الملك « مرى موسى »

كان « مرى موسى » هو النائب العظيم الذى عاصر الفرعون « أمنحتب الثالث » وقد بدأ عهد ولايته فى السنة الخامسة من عهد هذا الفرعون كما نشاهد ذلك على لوحة عثر عليها إلى « سمنة » وهى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى وتبحث فى إخماد ثورة قامت بها بلاد « أبهات » فى بلاد النوبة(٢) . وتاريخ هذه اللوحة قد اختفى ، وليس من المؤكد أن الحقائق التى تحدث عنها قد حدثت فى السنة الخامسة(٣) . أما عن مدة نيابة « مرى موسى » فقد حددها الأستاذ « ريزنر » بأربعين سنة (١٤١٠ — ١٣٧٠ ق . م .) وبذلك قد أمدها حتى السنة الثانية من حكم خلف « أمنحتب الثالث » أى « أخناتون » ، غير أننا لا نعرف شيئاً البتة عن هذا الموضوع ، والواقع أننا هنا فى عالم الحدس والتخمين ، فلا يمكن الجزم فى هذا الأمر بأية حال من الأحوال .

ولكن المهم هنا فى موضوع « مرى موسى » هو ما يخص ألقابه فقد لقب مرتين المشرف على البلاد الأجنبية فى كل طولها (أى فى كل امتدادها)(٤) غير أن هذا الطول لم يعين ونحن نجهل إلى أى امتداد فى الجنوب وصل الإيغال المصرى وسلطان نائب الملك .

---

(١) راجع A.Z., 59

(٢) راجع Reisner, op. cit., p. 33a

(٣) راجع Guide, Br. Mus., (1909) p. 234 No. 411 حيث قد ذكر تاريخ السنة الخامسة عن الثورة التى قامت هناك .

(٤) راجع Petrie, A Season in Egypt, Pl.X N.274; De Morgan, Cat. des Mon. et Inscr, T. I p. 27, No. 204 ; Reisner, op. cit., p. 33 e

ونجده قد ضم إلى لقبه « نائب الملك صاحب كوش » لقب « حامل المروحة على يمين الملك » وسنجد أن هذا اللقب سيحمله كل من تولى نيابة بلاد السودان بعده وهذا اللقب نجده على أربعة آثار وهى :

(١) لوحة نقشت على صخرة جزيرة « تومبوس »[١] .

(٢) تابوت « مرى موسى » المحفوظ بالمتحف البريطانى[٢] .

(٣) لوحة « اسوان » المحفوظة بمتحف القاهرة[٣] .

(٤) تمثال صغير بمتحف « فيينا »[٤] .

ولدينا آثار جنازية للنائب « مرى موسى » خلافاً للمخاريط الجنازية التى وجدت فى « قرنة مرعى » « بطيبه » الغربية وهى التى وجدت بجوار قبره الذى كان معروفاً فى القرن السابق ، غير أنه لم يعثر عليه ثانية . ونخص بالذكر من هذه الآثار المصادر التالية[٥] :

(١) لوحة فى مجموعة المعهد الفرنسى بالقاهرة[٦] وقد جاء عليها « ابن الملك صاحب كوش « مرى موسى » » .

(٢) لوحة بالمتحف البريطانى[٧] وقد جاء عليها « الكاتب الذى ينسب إلى معم (عنيبه) يناجى روح نائب الملك « مرى موسى » ويتوجه إلى « أوزير » دعاء ليعطى الأخير القربان الجنازية » .

---

(١) راجع L.D., Texte V., p. 244

(٢) راجع L.R., II, p. 338, No. 20

(٣) راجع Rec. Trav., XIV, p. 27

(٤) راجع Rec. Trav., XII, p. I-2 ; Reisner, op. cit, p. 34 m

(٥) راجع Wiedmann, Actes du VI congres des Orientalisten 1883 à Leyde, 4 e partie, p. 145 ; Bull Inst. D'arch. Orientale de Caire T. XVI, p. 167-169

(٦) راجع Gauthier, Bull. Inst. T. XII (1916) p. 134-135,

(٧) راجع Br. Mus. Guide, (1909), Sculpture, p. 143 No. 504 [860]

وقد عثر « الكسندر فارى » على قطعتين من الحجر عليهما نقوش لابن الملك صاحب كوش « مرى موسى » فى الحجرة الثانية من مقبرة « حوى » رقم ٤٠ فى « قرنة مرعى » .

والأولى قطعة من لوحة مثل عليها « مرى موسى » يتعبد للآله « أوزير » كما يدل على ذلك النقش التالى الذى وجد فوق رأسه : « التعبد لأوزير والسجود أمام « وننفر » من « ابن الملك صاحب كوش » « مرى موسى » .

والقطعة الثانية عليها عمود من النقش الغائر نقش عليها : « (المشرف) على بلاد الجنوب « مرى موسى » يقول . . . . » .

وعلى الرغم من أن هذين النقشين لا يقدّمان لنا معلومات جديدة إلا أن مكان وجودهما له أهمية . وتدل شواهد الأحوال على أنهما كانا فى مقبرة « مرى موسى » التى كانت معروفة كما قلنا فى القرن السالف لأن تابوته قد استخرجه « هاريس »[(١)] من قبره ومن المحتمل أنه يوجد بجوار « حوى » . وقد قدم « جوتييه » برهاناً قوياً على وجوده فى هذا المكان وأعنى بذلك الكشف عن عدد عظيم من المخاريط الجنازية « لمرى موسى » هذا فى كل المساحة التى تحت مقبرة ابن الملك صاحب كوش « حوى »[(٢)] .

هذا وقد عثر « باريز »[(٣)] على تابوت ثالث لهذا النائب فى مقبرة « بقرنة مرعى » ، مما يدل دلالة واضحة على أنه قد دفن فى هذه المقبرة ، يضاف إلى ذلك أن خبيئة « الدير البحرى » قد عثر فيها على آنية أحشاء له من المرمر ، وهذا يدل على أن مقبرة هذا النائب قد نهبت فى عهد الفراعنة ، وأن ما تبقى منها قد وضع

---

(١) راجع Gauthier, L.R,. II, p. 338, 10 note, 1

(٢) راجع A.S., 33, p. 33

(٣) راجع A.S., XL, p. 567; XLV p. 1 *ff*

فى خبيئة « الدير البحرى » وتقع هذه المقبرة[1] فى الجنوب من مقصورة نائب الملك « حوى » المشهور وهو أحد أخلاف « مرى موسى » فى هذه الوظيفة . وقد جمع الأستاذ « فارى » نقوش توابيت هذا النائب ونشرها[2] ونستخلص منها الألقاب التـالية :

(١) ابن الملك صاحب كوش .

(٢) حامل المروحة على يمين الفرعون .

(٣) المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية الجبلية .

(٤) المشرف على جبال الذهب لآمون .

(٥) المشرف على الحيوانات ذات القرون لآمون .

(٦) المشرف على أعمال آمون .

ابن الملك « تحتمس »

يرجع الفضل إلى الأستاذ « ريزنر » فى معرفة شخصية ابن الملك صاحب كوش المسمى « تحتمس » وقد بقى دون أن يدوّن فى أية قائمة من قوائم أبناء الملوك صاحب كوش إلى أن كشف عن حقيقته « ريزنر »[3] وقد ظن بعض علماء الآثار أنه كان ابن « تحتمس الرابع »[4] وعندما قرأ « ريزنر » الطغراء التى مع النقش وعرف أنها للفرعون « أمنحتب الرابع » أظهر بذلك أن « تحتمس » هذا كان يقوم بوظيفة نائب الملك فى عهد الفرعون « أمنحتب الرابع » أو بعبارة أخرى فى عهد « أخناتون » .

(١) راجع A.S., 40, p. 567 *ff*

(٢) راجع A.S., 45, p. I *ff*

(٣) راجع Rèisner, J.E.A., Vol. 6, p. 33-34

(٤) راجع Petrte, Hist. of Egypt, II, p. 170

والآثار التى تنسب « لتحتمس » هذا أربعة غير نقش فى جزيرة « سهيل » ، وهذه الآثار هى :

(١) نقش « أمنمأبت » على واجهة كهف « لتحتمس الثالث » فى « الليسيه » .

(٢) لوحة « أمنحتب الرابع » ولم تحفظ جيداً وقد وجدت فى المعبد الواقع شمالى « بهين » (وادى حلفا) .

(٣) نقش آخر ممزق على صخور جزيرة « سهيل » .

(٤) تمثال صغير « لتحتمس » هذا وجده « ريزنر » فى المعبد الكبير رقم ٥٠٠ الخاص بجبل « برقل » .(١)

هذه هى الآثار الخمسة التى جاء عليها اسم « تحتمس » هذا . ونلحظ من بينها أن الأثرين الأخيرين ممزقان ، وتقدم لنا قائمة تامة بألقاب « تحتمس » .

وأهم هذه الآثار النقش الأول وهو نقش مثلث كتب على وجهة كهف « تحتمس الثالث » فى « الليسيه » (Ellesieh) دوّنه شخص يدعى « أمنمأبت » ابن « روتى » (؟) ويشير إلى ثلاث خطوات متتالية من مجال حياته بوصفه موظفاً تابعاً لابن الملك صاحب كوش ، فكان فى أول الأمر كاتب مراسلات ابن الملك « مرى موسى » ثم كاتم سر ومشرفاً على الأعمال . . . فى بيت ابن الملك «تحتمس» وأخيراً نائب كوش لابن الملك « حوى » . (إمنحتب) .

والواقع أننا إذا أردنا أن نتتبع حرفياً تأليف هذا النقش فإن ابن الملك « مرى موسى » كان يشغل مكانة وسطا بين ابن الملك « تحتمس » ونائب الملك « حوى » أى أن « تحتمس » يجب أن يوضع فى ترتيب نيابة « كوش » قبل « مرى موسى »

---

(١) راجع J.E.A., Vol. 4, p. 216

لا بين « مرى موسى » و « حوى » ، ولكننا قد شاهدنا أنه ليس هناك مكان خال لابن ملك لكوش قبل « مرى موسى » بل قد ظهر على العكس فراغ بين « مرى موسى » نائب الملك فى عهد « أمنحتب الثالث » و « حوى » الذى كان نائب الملك فى عهد « توت عنخ آمون » . والواقع أن وجود اسم « تحتمس » تحت طغراء « أخناتون » على نقش صخر جزيرة « سهيل » مضافاً إلى ذلك ضرورة سد الفراغ الذى بين ابن الملك « لأمنحتب الثالث » وابن الملك « لتوت عنخ آمون » يعطينا الحق تماماً فى أن نقبل الترتيب الذى وضعه « ريزنر » وبخاصة لأن ترتيب الوظائف التى تقلب فيها « أمنابت » تحت رياسة النائبين « مرى موسى » و « تحتمس » لم يكن ظاهراً كما أراد « ريزنر » أن يفهمه .

أما عن مدة نيابة « تحتمس » وتاريخها فلا نعرف عنهما شيئاً على وجه التأكيد ، فمثله فى ذلك كسابقه وقد حدد « ريزنر » تاريخ نيابته باثنتى عشرة سنة وجعله من ١٣٧٠ — ١٣٥٨ ق . م . ومن ذلك نفهم أن « تحتمس » قد بقى فى وظيفته إلى ما بعد الثورة الدينية التى حدثت فى السنة السادسة من عهد « أخناتون » وهذا ما لا نعرفه قط ، ومن جهة أخرى هل عاش تحتمس بعد عهد أخناتون وهل كان يعمل فى وظيفته فى عهد « سمنخ كارع » ؟ قد يجوز ذلك لأن قبر خلفه « حوى » يظهر لنا أن صاحبه كان قد تولى مهام وظيفته فى عهد « توت عنخ آمون » الذى أعاد عبادة « آمون » . وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن نيابة « تحتمس » قد استمرت فى أثناء مدة حكم كل من « أخناتون » و « سمنخ كارع » أى أكثر مما قدرها « ريزنر » .

ابن الملك « حوى »

نصب « حوى » نائباً للملك فى بلاد كوش فى عهد الفرعون « توت عنخ آمون » الخلف الثانى للفرعون « أخناتون » ولكن التاريخ الذى عين فيه ليس معروفاً لنا ،

ولم يكن «حوى» نائباً فى عهد الملك « آى » خلف «توت عنخ آمون» ، ومن المحتمل جداً أن مدة نيابته لم تمكث أكثر من سبع سنين أى مدة حكم «توت عنخ آمون » القصيرة ، وأهم أثر استقينا منه معلوماتنا عن هذا النائب هو قبره الذى عثر عليه فى « قرنة مرعى » حيث دفن [١] . وقد تحدثنا عن هذا القبر فى غير هذا المكان [٢] . وفى هذا القبر نجد مصوّرا الاحتفال بتنصيب « حوى » فى وظيفته النوبية الرفيعة على يد الملك « توت عنخ آمون » ، ونعلم من النقوش أن حدود البلاد التى كان يديرها تمتد من « نخبيت » (الكاب الحالية) شمالا حتى « نباتا » (اقليم جبل برقل) جنوباً . وكان يدعى « حوى » كذلك « أمنحتب » وهذا الاسم لم يرد على أى أثر آخر من آثار نائب الملك . ونجد فى قبره الألقاب التالية : « ابن الملك صاحب كوش » و « المشرف على الأراضى الجنوبية » و « حامل المروحة على يمين الفرعون » و « الأمير الوراثى » و « الحاكم والكاهن مرى نتر » و « رسول الملك لكل أرض » و « كاتب الملك » و « السمير الوحيد » .

هذا وقد وجد له آثار عدة فى جهات مختلفة منها قطعة من تمثال حقير من الحجر الرملى فى معبد « أمنحتب الثالث » « بالكاب » وعليه اسمه [٣] وكذلك وجد له فى جزيرة « سهيل » نقش على الصخر [٤] ، ويلحظ هنا أن اسم « توت عنخ آمون » قد محى على ما يظهر فى عهد «آى » أو فى عهد « حور محب » وقد وضع « رعمسيس الثانى » اسمه مكان اسم « توت عنخ آمون » . هذا وقد وجد اسمه كذلك فى جزيرة « سهيل » [٥] وقد كتب « رعمسيس الثانى » اسمه على اسمه وأخيراً نجد اسمه فى كل من « بيجه » و « الليسيه » [٦] .

(١) راجع Davies, Tomb of Houi

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٨ — ١٦٩ ، ٤٤٠ — ٤٤٢

(٣) راجع L.D. Text, IV, p. 42

(٤) راجع De Morgan, Cat. des Mon., Vol. I, p.84 No. 8

(٥) راجع De Morgan, Cat. Op. Cit., p. 96 n. 153

(٦) راجع Reisner, Ibid, p. 35

ومن الجائز توحيد « حوى » المسمى « أمنحتب » هذا باسم « امنحتب » المسمى « حوى » الذى نجده على لوحة « اللوفر » C.72 . ومن جهة أخرى ليس هناك من شك فى أن « حوى » نائب الملك ليس له أية علاقة بالموظف « حوى » الذى جاء ذكره فى المقبرة رقم واحد فى «تل العمارنة» ولا بالشخصيات التى جاء ذكرها فى لوحات « تل العمارنة » وهم « خاى » ، « خايا » أو « خييا » [(١)] .

ابن الملك باسر (الأول)

حاول الأستاذ « ريزنر » أن يثبت أن نائب كوش « باسر » لم يكن بينه وبين الملك « حورمحب » علاقة مباشرة [(٢)] ، ولكن على الرغم من عدم وجود هذا الدليل القاطع فإن من حقنا أن نجعل مدة ولاية « باسر » تمتد إلى ما بعد مدة حكم الملك « آى » القصيرة الأمد أى إلى حكمى « حورمحب » و « رعمسيس الأول » اللذين لم يحكما بدورهما إلا مدة وجيزة ، بل من المحتمل كذلك أن مدة نيابته استمرت إلى السنين الأولى من عهد « سيتى الأول » حيث نجد أن ابنه « أمنأبت » قد خلفه فى ولاية بلاد النوبة .

ولكن إذا كانت لوحة « جبل الشمس » الشمالية الواقعة فى مركز « أده » فى جنوبى « أبو سمبل » تبرهن على أن « باسر » كان نائب الملك فى كوش فى عهد الفرعون « آى » [(٣)] فإنه يظهر من المؤكد أن الطغراء التى نقلها « شمبليون » للمرة الأولى فى الكهف الصغير لنفس « باسر » ، وهو الذى حفر على مسافة بعض أمتار جنوب لوحته هو طغراء التتويج للملك « حورمحب » [(٤)] وليست بأية حال من الأحوال طغراء « رعمسيس الثانى » ، وذلك أن شمبليون قد خلط بين الطغراءين اللتين وُحّد

---

(١) راجع Rec. Trav., 36, p. 197

(٢) راجع J.E.A., Vol. 6, p.36-38

(٣) راجع L.R., III, p.376, et note 2 ; Reisner, op. cit., p. 36a

(٤) راجع Reisner, Ibid, p. 36 b

عنصراهما الثانيان . والواقع أن هذا الخلط يمكن تفسيره إلى حد ما ، وذلك لأن طغراء « حورمحب » نادرتا الوجود فى الإقليم النوبى إذا ما قرنتا بطغراءى « رعمسيس الثانى » المنتشرتى الوجود . وقد حقق « جوتييه » قراءة هذه الطغراء فى زيارة له إلى هذه الجهة[1] . وقد اعترف بذلك « ريزنر » فى حاشية له[2] .

وقد كان « باسر » نائبا على بلاد النوبة مدة أربع عشرة سنة على أقل تقدير تقع فى عهد كل من الملك « آى » و « حورمحب » و « رعمسيس الأول » ، ومن المحتمل أنه حكم أكثر من هذه المدة ، هذا إذا كان قد دخل الخدمة فى عهد « توت عنخ آمون » . وإذا كان ابنه « أمنأبت » لم يخلفه فى هذا العمل الهام إلا فى السنين الأولى من حكم الفرعون « سيتى الأول » . وليست هناك أى ضرورة أو سبب مقبول إلى التمسك بأنه حكم مدة خمس وثلاثين سنة كما يقول « ريزنر » (أى من ١٣٥٠ — ١٣١٥ ق . م .) .

وقد وضع لنا الأستاذ « ريزنر » قائمة واضحة ممعنى بها عن الآثار التى حفظت لنا ذكريات هذا الوالى وإن كانت على أية حالة قليلة بعض الشئ[3] .

وليس لدينا ما نقوله هنا عن الأثرين الأولين وهما اللوحة ونقش كهف « جبل الشمس » أكثر مما سبق . أما نقوش صخر « جزيرة سهيل » فقد وصفت « باسر » بأنه الأمير الوراثى والحاكم والعظيم على رأس الناس . ويلحظ هنا أن « مسبرو » قد وحد « باسر » هذا خطأ بآخر يدعى بنفس الاسم ، غير أنه عاش فى عهد « رعمسيس الثانى »[4] . وقد مثل « باسر » واقفاً وبيده اليسرى المروحة

---

(١) راجع Rec. Trav., T. 39, p. 199

(٢) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 37 note 1

(٣) راجع Reisner, Ibid, p. 36-37

(٤) راجع Rec. Trav., 39, p. 199

وهي رمز الشرف لحامل المروحة على يمين الفرعون ، وهو اللقب الذي ذكر على كهف « جبل الشمس » .

ووجد له كذلك نقش على صخر يقع على الطريق من « أسوان » إلى « الفيلة » ، والواقع أنه أثر لولده نائب الملك في كوش المسمى « أمنأبت » الذي أعلن فيه أنه ابن نائب الملك « باسر » .

ولم يرد في المصادر التي ذكرها « ريزنر » اللوحة C. 22 المحفوظة بمتحف « جيميه » بباريس باسم ابن الملك « باورسب » (؟) وفي رواية أخرى « باسر » . وهذه اللوحة قد نشرها أولا « ڤيدمان »[1] ، وقد نشرها ثانية الأستاذ « موريه »[2] ، ويظن جوتييه أن ما لدينا هو لوحة لنائب الملك في كوش في عهد كل من الملكين « آي » و « حورمحب » ، وأنه قد خصص اسمه والعلامة الدالة على الأجنبي مشيراً بذلك إلى احتمال أنه كان من أصل نوبي (؟) . وقد خلط « ڤيدمان »[3] « باسر » هذا والد « امنأبت » « بباسر » آخر صاحب مقبرة في جبانة « طيبة »[4] وكان ضمن ألقابه عمدة « طيبة » في عهد « سيتي الأول » و « رعمسيس الثاني » ، ولكنه لا يشترك بالتأكيد مع نائب الملك « باسر » الذي عاش في عهد كل من الملك « آي » و « حورمحب » إلا في الاسم[5] .

ويلاحظ هنا أن نائب الملك « باسر » الأول قد وضعه « ڤيل » خطأً[6] في قائمة وزراء الدولة الحديثة وذلك بسبب قراءة خاطئة نقلها « لبسيوس » من كهف

---

(١) راجع Proceedings S.B.A., Vol. XIV, p. 332

(٢) راجع Cat. de la Galerie Egypt. du Musee Guimet, p. 47-48, Pl. XX

(٣) راجع Aegyp. Gesch., p. 429

(٤) راجع Brugsch, Rec. de Monum., T. II, Pl. 65 No. 6 and p.75

(٥) راجع Arthur Weil, Die Veziere, p. 89 § 18

(٦) راجع Ibid, p.87 No. 15

« جبل الشمس » السابق ، ولكن القراءة الصحيحة هي : « حامل المروحة على يمين الفرعون » بدلا من قراءتها « وزير » .

أما الألقاب التي كان يحملها « باسر » في النقوش فهي : « ابن الملك صاحب كوش والمشرف على أراضي « آمون » في « تاستي » والأمير الوراثي والحاكم ، والأمير على رأس الناس والممدوح من سيده « آمون » .

ابن الملك « أمنمأبت »

تحدثنا عن هذا الوالي في مناسبات عدة في الأجزاء السابقة من مصر القديمة[1] .

وحدثنا الأثري « جوتييه » عن مدة نيابة « أمنمأبت »[2] .

وقد جعل « ريزنر » مدة نيابة « أمنمأبت » في عهد كل من « سيتي الأول » و « رعمسيس الثاني » وقد قال إن مدة حكمه في بلاد النوبة هي حوالي خمس وعشرين سنة ، ولكن هذه المدة تظهر طويلة بصورة غريبة جداً فإذا اعترفنا أنه خلف والده « باسر » منذ حكم « رعمسيس الأول » (وهذا ما نجهله كلية) الذي لم يحكم إلا مدة قليلة جداً لا تزيد عن سنتين فإنه كان يلزم « لأمنمأبت » ليشغل وظيفته مدة خمس وعشرين سنة بوصفه الحاكم الأعلى في الجنوب أن يكون حكم « سيتي الأول » قد استمر أكثر من عشرين سنة ، والواقع أن « ريزنر » نفسه قد رفض في نهاية تعليقه على هذا الموضوع قبول مدة حكم طويلة مثل هذه للفرعون « سيتي الأول » . غير أن البحوث الحديثة تميل إلى إثبات هذا الرأي ، وذلك لأن « سيتي الأول » قد أشرك معه ابنه « رعمسيس الثاني » في الحكم أكثر من عشر سنوات . وقد بحثت هذا الموضوع بالتفصيل في الجزء السادس من هذه الموسوعة[3] وذلك على ضوء طرق

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٩ والجزء السادس ص ١٥٩ و ص ٢٠٣

(٢) راجع Rec. Trav., 39, p. 201

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ١٩٨ — ٢١٣

النقش التى كان يستعملها « رعمسيس الثانى » فى نقش معابده ومبانيه ، والألقاب التى اتخذها لنفسه كذلك فى أطوار طرز النقش الأربعة التى استعملها كما هو مفصل فى مكانه ، إذ نجد أنه قد استعمل النقش الغائر فى معابده بصورة شاملة . وسأضع هنا أمام القارئ ما حدث فى الطور الرابع من أطوار حياته من حيث النقش[1] مما يسهل على القارئ فهم تعاقب ولاية « إيونى » بعد « أمنمأبت » مباشرة وأنهما لم يحكما بلاد النوبة فى وقت واحد :

« نجد أن « رعمسيس » حفر نقوشا جديدة من الطراز الغائر فقط واستعمل اللقب « وسر ماعت رع ستبن رع » ويجب أن نضع الطورين الثالث والرابع فى فترة انفراده بالحكم ومن الجائز أنهما كانا يتداخلان تاريخيا » .

ومن أهم الشواهد التى تبرهن لنا على صحة اشتراك « رعمسيس الثانى » مع «سيتى الأول » ما نجده محفوراً حفراً غائراً على جدران معبد « بيت الوالى » الواقع فى منتصف الطريق بين الشلال الأول والشلال الثانى ، وكله منحوت فى الصخر فنشاهد منظر جزية بلاد النوبة يقدمها للفرعون طائفة من وجهاء المصريين ومن بينهم ولده الأكبر المسمى « آمون حرو نمف » الذى مات قبل إتمام نقش هذا المنظر ، وكذلك « أمنمأبت » الذى كان يحمل لقب نائب الملك فى بلاد النوبة ، وقد أشار الأستاذ « ريزنر » فى دراسة نواب الفرعون فى بلاد النوبة إلى أن ابن الملك صاحب كوش « امنمأبت » بن « باسر » شغل هذه الوظيفة نحو عشرين سنة قضى معظمها فى خدمة « سيتى الأول » ، وأنه قد مثل بلقبه نائب الملك فى منظر « بيت الوالى » الذى يقدم فيه الجزية ، وقد أخذ بعد ذلك « ريزنر » يقول : « إنه كان يوجد ابن ملك صاحب كوش يدعى « أيونى » ممثلا على جدران معبد « وادى مياه » أو « وادى عباد » وهو المعروف عند الأثريين بمعبد « الرديسية » ومعه نقوش ذكر فيها «سيتى الأول» ، وأنه كان لا يزال على قيد الحياة ، وأن « أيونى » هذا نفسه قد مثل ثانية بوصفه

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٠٣

ابن الملك صاحب كوش على لوحة منقوشة فى الصخر تقع شمالى معبد « أبو سمبل » الصغير فى عهد « رعمسيس الثانى » ، ثم يقرر بعد ذلك الأستاذ « ريزنر » أنه لم يكن فى مقدوره أن يجد بين نواب الملوك فى كوش مثالا واحداً لنائبين حكما فى وقت واحد فى بلاد النوبة مدة أربعة القرون التى أمكنه خلالها بحث تاريخ هذه الوظيفة ، وبذلك يقرر « ريزنر » أنه إذا كان « امنأبت » نائبا للملك فى بلاد كوش فى عهد كل من « سيتى الأول » و « رعمسيس الثانى » فمن الواضح جداً أن يكون « أيونى » قد خلف « امنأبت » فى مدة اشتراك الملك « سيتى الأول » مع ابنه فى حكم البلاد[1] .
ولما كان « امنأبت » وقد ظهر ممثلا فى النقش الذى فى « بيت الوالى » (وهو الذى كان قد نحت مدة الطور الثانى عندما كان «رعمسيس» يستعمل لقب «وسر ماعت رع») فلاشك فى أن هذا اللقب القصير كان من مميزات عهد اشتراك الملكين فى الحكم ، وإذا كان « سيتى » على قيد الحياة عندما زين معبد « بيت الوالى » فإن الحملات الحربية التى شنها على سوريا واوبيا وبلاد النوبة (وهى الممثلة على جدرانه) قد حدثت فى عهد اشتراك الوالد والابن فى حكم البلاد ، ولذلك يمكن العدول عن التفسير الذى ذكره « برستد » وهو الذى يقول فيه : « إن « رعمسيس الثانى » قد أقحم صورته فى نقوش حروب «سيتى الأول» التى حفرها على جدران معبد « الكرنك » إذ الواقع أن « رعمسيس » قد أضاف صورته لاشتراكه فعلا فى بعض الحملات ، ومن المحتمل أنه كان — كما جاء على لوحة « كوبان » — رئيس الجيش عندما كان طفلا فى العاشرة من عمره » .

هذا وقد دل البحث على أن « رعمسيس الثانى » لم ينفرد بالحكم إلا فى السنة العشرين من حكمه ومن جهة أخرى نعلم أن « سيتى الأول » قد حكم منفرداً نحو عشر سنين ، ومن ثم نفهم أن تقدير مدة حكم « امنأبت » فى السودان بنحو عشرين سنة ليس فيها مبالغة .

(١) راجع J.E.A., 6, p. 39-40

والآثار التى جمعها « ريزنر » خاصة بهذا النائب عددها تسعة[1] وكلها فى المنطقة التى ما بين « أسوان » حتى الشلال الثانى تقريبا وينحصر تاريخها فى عهدى « سيتى الأول » و « رعمسيس الثانى » .

هذا ويوجد فى متحف مدينة « بون » من أعمال ألمانيا على نهر الرين لوحة جنازية مشطورة شطرين[2] جاء فيها : « ابن الملك صاحب كوش ومدير البيت وعمدة المدينة والمشرف على بيتى الفضة لرب الأرضين » . والاسم قد وجد بعد ذلك مهشما ، ولا نعلم لأى سبب نسب ناشر هذه اللوحة إلى « أمنأبت » بن « باسر » من عهد « رعمسيس الثانى » . وعلى أية حال فإن الألقاب التى على اللوحة لها أهمية عظيمة إذ نعلم منها أن نائب كوش يمكن أن يكون ذا مكانة عظيمة قبل توليته نيابة بلاد كوش مثل « المشرف على مالية البلاد للفرعون » و « عمدة المدينة (طيبه) » و « المشرف على ضياع الملك (بيته) » وهذه الألقاب تبرهن لنا على أن الفرعون كان ينتخب حكام بلاد كوش دون تمييز من كل أصناف الموظفين النابهين .

على أن الألقاب التى وجدناها للنائب « أمنأبت » وهى المستخلصة من نقوشه لم توجد بينها هذه الألقاب التى جاءت على لوحة مدينة « بون » وهاك ألقابه من آثاره التى ذكرها « ريزنر »[3] : « سائق العربة الأول لجلالته » ابن الملك « أمنأبت » ابن « ابن الملك » « باسر » ، و « حامل المروحة على يمين الفرعون » و « حاكم البلاد الجنوبية » .

---

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 40-41

(٢) راجع Weidmann and Portner, Aegyptische Grabsteine und Denksteine aus Verscheid-enen Sammlungen (Band III p. 21 No. 18 a and b) Pl. VII .

(٣) راجع Reisner, Ibid, p. 30-39

ابن الملك « إيونى »

لم يذكر لنا « ريزنر » عن آثار هذا النائب الذى خلف « أمنأبت » إلا مصدرين وهما لوحة « وادى عباد » واللوحة التى فى شمال معبد « أبوسمبل الصغير »[١] وقد أضيفت بعد ذلك ثلاثة آثار أخرى : أولها على واجهة معبد « أبو سمبل » الصغير حيث نشاهد « إيونى » على ما يظهر قد مثل بوصفه هو الواضع لهذه الوثيقة ، وكان على رأس قائمة من أولاد « رعمسيس الثانى » وكلهم قد نعتوا بكلمة « صادق القول »[٢] (أى أنهم قد ماتوا) . أما الأثر الثانى فهو لوحة عثر عليها فى المكان السابق وهى التى نقلها ونشرها أولا « شمبليون »[٣] ثم كشف عنها « برستد »[٤] وجاء لقب « أيونى » عليها : ابن الملك صاحب كوش « أيونى » من أهالى «أهناسية المدينة» .

وأخيراً نشر « دارسى » لوحة عثر عليها فى « العرابة المدفونة »[٥] باسم فرد يدعى أيونى ، ومن ألقاب هذا الرجل نعلم على أغلب الظن أنه هو نفس « إيونى » نائب بلاد كوش الذى نحن بصدده الآن . وهاك الألقاب التى يحملها فى هذه اللوحة : « المشرف على البلاد الأجنبية فى الإقليم الأجنبى لجنوب وابن الملك فى النوبة (تاستى) ، ومدير الأعمال فى طيبه وعظيم بلاد المزوى . ويلاحظ أن النقش الذى على الصخر القريب من معبد « وادى مياه »[٦] يلقب فيه « إيونى » كذلك عظيم « المزوى » ، وفى الوقت نفسه كان يلقب ابن الملك فى « كوش » ، فى حين أنه فى لوحة « العرابة » التى يدعى « دارسى » أنها بعد نقوش « وادى مياه »

---

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 39

(٢) راجع Bull. de l'Instit. Fr. D'Arch. Orient. du Caire, T. XVII p. 38

(٣) راجع Monum. d'Egypte et de la Nubie, Pl. IV No.2

(٤) راجع The American Journal of Semitic Lang. (1906), p. 28 fig. 18 et p.29 fig. 19

(٥) راجع A.S., XX, p. 129 ff

(٦) راجع L.D., III, 138

ونقوش « أسوان » و « أبو سمبل » قد حل محل اللقب الأخير لقب ابن الملك فى النوبة (تاستى) .

ونجد أنه فى هذه اللوحة لم يحمل اللقب العادى الذى كان يحمله نواب كوش وهو « ابن الملك صاحب بلاد كوش » . وقد فسرت هذه الظاهرة بتفسيرات مختلفة منها أنه كان قد غضب عليه الملك ، ومهما يكن من أمر فإن « إيونى » هو النائب الوحيد المعروف لنا الذى حاز لقب « ابن الملك فى النوبة » حتى الآن ، ولا يبعد أن هذا اللقب الجديد لا يخرج عن أنه مرادف للقب ابن الملك صاحب كوش . وعلى أية حال فإن لوحة « العرابة » تعد من هذه الناحية من الأهمية بمكان .

وليس هناك من شك فى أن « إيونى » قد خلف « أمنمأبت » فى نيابة بلاد كوش وأنهما لم يحكما فى وقت واحد[١] .

ابن الملك « حقا نخت »

عدد الأستاذ « ريزنر » الآثار التى جاء عليها اسم نائب الملك « حقا نخت » وهى سبعة وكلها فى بلاد النوبة[٢] ، وأهم هذه الآثار التمثال الذى وجد فى مجموعة « فلبور »[٣] واللوحة المنحوتة فى الصخر فى جنوبى معبد « أبو سمبل » الكبير[٤] ، يضاف إلى ذلك أن الأستاذ « ريزنر » قد صحح وكمل الألقاب الممزقة الخاصة بهذا النائب ، كما وجدت على نقش محفور فى صخور الطريق ما بين « أسوان » و « الفيلة » ، وفى هذه الألقاب نجد لقباً هاماً لهذا النائب وهو « رسول الملك (رعمسيس الثانى) فى كل البلاد » ، أما احتمال نسبة نقشين آخرين له من نقوش القائمة الخاصة بآثار هذا النائب كما ذكر

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٩ — ١٧٠
(٢) راجع Reisner, J.E.A., Vol. 6, p. 40-42
(٣) راجع A.S., III, (1902) p. 240-241
(٤) راجع L.D., III, p. 195 ; T. V, p. 165

« ريزنر » فإنه لا يرتكز على أساس مقنع ويحتمل أنهما لنائب آخر من عهد « رعمسيس الثانى » .[١]

وقد عثر حديثاً على عتب باب فى « العمارة غرب » جاء عليه اسم « حقا نخت » من عهد « رعمسيس الثانى » وأن مهدى هذا العتب هو « نائب رب الأرضين » « حاتياى » . ويقول « فرمان » الذى قام بأعمال الحفر فى « العمارة غرب » وكشفها على حسب طبقات آثارها إنه من الجائز إذا أن الطبقة الثالثة يمكن نسبتها إلى عهد نيابة « حقا نخت » وأن « حاتياى » يحتمل أن يكون الحاكم المحلى للمنطقة . وتاريخ مدة نيابة « حقا نخت » بالضبط ليست معروفة ، ولكن من المقرر أنه كان يقوم بأعمال وظيفته فى السنين الأولى من حكم « رعمسيس الثانى »[٢] وتدل شواهد الأحوال على أن « العمارة غرب » كانت مقر الحاكم منذ عهد « سيتى الأول » الذى يقال إنه هو المؤسس لها[٣] .

وأخيراً إذا سلمنا أن نائب الملك المجهول الاسم على لوحة « كوبان »[٤] هو « حقا نخت » كما اقترح ذلك « ريزنر »[٥] فإنه ينبغى علينا أن نعترف بأنه كان الخلف المباشر لنائب الملك « إيونى » ، وأنه قد كان فعلا يشغل هـذه الوظيفة فى السنة الثالثة من عهد « رعمسيس الثانى » عندما انفرد بالحكم . ويقرر له «جوتييه» مدة عشرين عاماً فى نيابة بلاد كوش[٦] مع كل تحفظ .

أما ألقابه كما نستخلصها من آثاره فهى « ابن الملك صاحب كوش ، والمشرف

---

(١) راجع Reisner, Ibid, f and g.
(٢) راجع J.E.A., Vol. 34, p. 9
(٣) راجع Ibid, p. 9
(٤) راجع L. D., Texte Vol. V, p. 60
(٥) راجع J. E. A., Ibid, p. 45
(٦) راجع Rec. Trav., 38, p 208

على البلاد الجنوبية وحامل المروحة على يمين الملك ، ورسول الملك لكل أرض ، والأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الملك وسار القلب وشاهد الصدق ونحو سيده ومن يذهب حينما يرسل ومن فيه الرضا بسبب امتيازه » .

ابن الملك « باسر (الثانى) »

يدل ما لدينا من آثار لنائب الملك « باسر الثانى » الذى عاصر الملك « رعمسيس الثانى » على أنه لا توجد له أية نقوش فى « أسوان » كما جاء ذكر ذلك فى بعض المصادر[1] . والآثار التى تركها لنا أربعة على حسب ما جاء فى مقال « ريزنر »[2] ثلاثة منها فى «أبو سمبل» والرابع هو الأثر الذى تركته لنا أسرة « أمنابت » المحفوظ الآن فى متحف « نابلى » وقد تحدثنا عنه طويلا فى الجزء السادس من هذا المؤلف[3] .

يضاف إلى هذه القائمة تمثال راكع من الحجر الرملى محفوظ الآن بالمتحف البريطانى ويمثل نائب الملك هذا قابضا على مائدة قربان مستديرة يعلوها رأس الكبش الذى يمثل الإله « آمون »[4] والصلوات التى عليه هى باسم ابن الملك صاحب كوش « باسر » ويبرهن ذكر اسم « آمون رع » فى بيت « رعمسيس » بين الآلهة التى توجه لهم هذه الصلوات على أن المقصود هنا هو « باسر الثانى » المعاصر للفرعون « رعمسيس الثانى » ، وهو الذى قد نقش طغراءه على العمود الذى يستند عليه التمثال . والتمثال المذكور كان ضمن مجموعة « بلزونى — صولت » القديمة وعلى ذلك يكون قد عثر عليه ما بين عامى ١٨١٥ و ١٨٢٠ م فى بلاد النوبة ويحتمل بجوار أحد المعابد العدة التى أقامها « رعمسيس الثانى » هناك .

(١) راجع Konigsbuch, Lepsius, no. 471 Pl. XXXV; Livre des Rois de Brugsch et Bouriant no. 494. p. 77

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 41

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٥١٣ وراجع Brugsch, Thesaurus, p. 593

(٤) راجع Guide to the Egyptian Galleries (1909), p. 246 no. 604 = Ibid, Sculpture, p. 166—167

ويجب أن نفهم هنا أن الوزير « باسر الثانى » ليس هو بعينه « باسر الثانى » نائب الملك فى كوش وذلك لأن الأول هو ابن « نبنترو » فى حين أن والد الآخر هو « منوس »[(١)] .

ولا نعلم على وجه التأكيد الفترة التى كان نائبا فيها فى عهد « رعمسيس الثانى » الطويل ، والمحتمل أنه كان فى الجزء الأول من حكم هذا الفرعون وقبل السنة الثامنة والثلاثين التى وجدنا فيها أن « ستاو » كان يشغل هذه الوظيفة فعلا ، هذا ولا نعرف المدة التى قضاها نائبا لكوش .

وقد وجد فضلا عن ذلك لوحتان لنائب الملك « باسر الثانى » فى « أبو سمبل »[(٢)] .

والألقاب التى كان يحملها هذا النائب هى : ابن الملك صاحب كوش ، والمشرف على البلاد الأجنبية وكاتب الملك « باسر » بن « منوس » .

ابن الملك « ستاو »

وجدت لنائب الملك « ستاو » آثار عدة فى مختلف بقاع بلاد النوبة منها تسع وثائق غير مؤرخة وعشرون مؤرخة بعهد « رعمسيس الثانى »[(٣)] . وهذه الوثائق المؤرخة تحتوى على معلومات مرتبة ترتيبا تاريخيا من الطراز الأول . والواقع أنه كان قد قام بمهام منصبه فى العام الثامن والثلاثين من عهد « رعمسيس الثانى » كما يدل على ذلك اللوحة المزدوجة المنقوشة على الصخور الواقعة فى جنوبى المعبد الكبير « بأبو سمبل »[(٤)] .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٤٦٢

(٢) راجع A. S., p. 49 ff

(٣) راجع J. E. A., Vol. 6, p. 41—43

(٤) راجع L. D., III, 195 b—c = Text V, p. 167; Breasted, the American Journal of Semetic Languages (1906), p. 26

هذا ونجد من جهة أخرى أنه كان لا يزال يقوم بمهام منصبه فى السنة الثالثة والستين من حكم هذا الفرعون[(١)] أى فى نهاية حكمه الذى وصل الى سبعة وستين عاماً . ومما تطيب الإشارة اليه هنا أن الرقم ٦٣ الذى اقترحه « ويجول » غير مؤكد كما لمح لذلك « ريزنر[(٢)] » أما السنة الرابعة والأربعون التى نقلها «جوتييه» عن اللوحة التاسعة من « وادى السبوع » فليس فيها شك[(٣)] .

وفيما يخص نقش جزيرة «ساى» الذى أشار اليه « برستد[(٤)] » فإنه يقرر أن « ستاو » يحمل فيه من بين ألقابه لقب « المشرف على بلاد الذهب لآمون » ويعلن أن هذا اللقب قد جاء مؤكداً لنظريته التى تقول بوجود بلاد نوبية خاصة بذهب « آمون » منذ بداية الأسرة التاسعة عشرة . ويطيب لنا أن ندحض هذا التأكيد بأن نذكر أن أوّل نائب لبلاد كوش حمل لقب المشرف على بلاد الذهب « لآمون » هو « مرى موسى » الذى عاش فى عهد « أمنحتب الثالث » أى قبل عهد « رعمسيس الثانى» بنحو قرن من الزمان . وعلى أية حال فإن هذا اللقب كان معروفاً فى نقوش « ستاو » قبل أن يعثر عليه « برستد » فى المثال الذى جاء فى نقوش جزيرة « ساى » .

ونذكر هنا أن لوحة « أبو سمبل[(٥)] » تنحصر أهميتها فى أنها تبرهن لنا على أن نواب الملوك فى كوش كان يمكنهم أن يجمعوا بين الوظائف الدينية ووظيفتهم الأصلية إذ كان النائب هو « المشرف على الكهنة » كذلك ، والألقاب الدنيوية يظهر أنها ليست للنائب « ستاو » على وجه التأكيد على رأى « لبسيوس[(٦)] » وإن كان « ريزنر » يرى أنها حقا له .

(١) راجع Weigall, Report on the Antiq. of Lower Nubia, p. 113 Pl. LXIV. no 7

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 42 e

(٣) راجع A. S., XI, p. 84 Pl. IV

(٤) راجع The American Journ. of Sem. Lang. (1908), p. 98—100

(٥) راجع Rec. Trav., Tom. 39, p. 210

(٦) راجع L. D., Text V, p. 165

والتمثال الثانى الذى ينسب إلى « ستاو » عثر عليه فى « جرف حسين » وهو محفوظ الآن بمتحف « برلين »[١] وقد جاء عليه بعض ألقاب لم يذكرها الأستاذ « ريزنر » مثال ذلك : « المشرف على أملاك المدينة (طيبة) والمشرف على الممالك الأجنبية للذهب » .

هذا وقد جاء ذكر « ستاو » على بعض آثار لم يأت ذكرها فيما أورده الأستاذ « ريزنر » من آثار لهذا النائب[٢] :

(أولا) يوجد بالمتحف البريطانى منظر بالحفر الغائر على الحجر الرملى[٣] عثر عليه فى « وادى حلفا » وقد مثل فيه « ستاو » يتعبد للآلهه « رنوتت » وإلى الطغراء الأولى « لرعمسيس الثانى » ، و « رنوتت » هى إلهة الحصاد وتمثل غالباً فى صورة ثعبان .

(ثانياً) نعلم أن « ستاو » لم يصلح الكوة الجنوبية لباب الدخول فى معبد « عمدا » بل من المحتمل كذلك على الرغم من أن اسمه لم يذكر أنه هو الذى أنشأ الأنشودة التى يتعبد فيها « رعمسيس الثانى » للآله « رع حور أختى » ، وهى التى نقشت على العمود الأول من اليمين لقاعة العمد[٤] .

وقد تحدث « لبسيوس[٥] » عن وجود لوحة كبيرة منحوتة فى الصخر على مسافة بضع دقائق من معبد « وادى السبوع » غير أنها مهشمة جداً وقد جاء فيها ذكر اسم « ستاو » .

---

(١) راجع Roeder, Aegypt. Inschr. aus der Konig. Museen Zur Berlin, II, p. 78

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 41—43

(٣) راجع Brit. Mus. Guide, (1909) p. 246 No. 608, and Ibid, Sculpture, p. 168

(٤) راجع Gauthier, La Temple d'Amada, p. 136

(٥) راجع L. D., Texte, V, p. 89—90

وكذلك شاهد « لبسيوس » فى عام ١٨٤٢ م[1] نقشا باسم ابن الملك صاحب كوش « ستاو » .

هذا ويوجد غير التمثال الذى وجد فى معبد « جرف حسين » الذى ذكرناه فيما سلف تمثال آخر فى متحف « برلين » نقش عليه « ابن الملك صاحب كوش » وفى رواية أخرى « الابن الملكى » « ستاو » بدون لقب آخر وقد مثل قابضاً فى يده على محراب صغير يحتوى على صورة « أوزير »[2] .

وأخيراً يوجد فى متحف « كالفيه » (Calvet) فى « أفنيون » (Avignon) بفرنسا لوحة جميلة مستديرة من أعلى باسم : « ابن الملك صاحب كوش ، والمشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية وحامل المروحة على يمين الملك والكاتب الملكى « ستاو » المرحوم . وقد قدمها له الكاهن الأول « لرعمسيس الثانى » « عت تن » وخادم ابن الملك « باواخرد »[3] . وهذه اللوحة على ما يظهر من بلدة « باك » فى بلاد النوبة وإلهها هو « حور » الذى كتب له دعاء . والظاهر أن هذه اللوحة كانت قدمت لكل من « رعمسيس الثانى » ونائبه فى بلاد كوش « ستاو » بعد وفاتهما .

وخلاصة القول أن « ستاو » يعد من أعظم النواب الذين حكموا بلاد النوبة فى عهد « رعمسيس الثانى » ومن أطولهم مدة إذ بقى فى وظيفته على ما يظن أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، وكان يحمل الألقاب التالية كما نستخلص ذلك من نقوشه التى تربى عن خمسة وثلاثين وهاك معظمها : الأمير الوراثى والحاكم ، وابن الملك صاحب كوش ، والمشرف على البلاد الأجنبية للجنوب ، وكاتب الملك والمشرف على أرض الذهب لآمون وعمدة المدينة (طيبه ؟) والمشرف على أرض الذهب لرب الأرضين وحامل المروحة على يمين الفرعون والمشرف على الخزانة وقائد عيد آمون

---

(١) راجع Ibid, Texte, V, p. 391

(٢) راجع Roeder, Aegypt. Insch., II, p. 56—57 No. 2287

(٣) راجع Rec. Trav., T. XXXXV (1912), p. 184—187 No. XX

ومدير البيت العظيم لآمون والمشرف على أراضى الذهب ؟ ورئيس الكهنة (. . .) ومدير القصر وغير ذلك من الألقاب التى ذكرناها من قبل .

ابن الملك « مس — سوى »[1]

وجد للنائب « مس سوى » عدة آثار مؤرخة بعهد الملوك « مرنبتاح » و « أمنمس » ثم « سيتى الثانى » وكلها فى بلاد النوبة نذكر منها ما وجد على الطريق بين « أسوان » و « الفيلة » وفى « بيت الوالى » و « عمدا » و « اكشه » الواقعة بين « سره » و « فرص » و « بيجة »[2] . وقد أظهر « ريزنر »[3] استحالة وضع نيابة « مس سوى » بين نواب الملك « رعمسيس الثانى » أو على الأقل وضعه قبل « ستاو » أى قبل السنين الأخيرة من حكم هذا الفرعون ، ونحن نجهل تماما بقاء « ستاو » حياً بعد عام ٦٣ من عهد « رعمسيس الثانى » كما لا نعلم كذلك أنه كان لا يزال يشغل مهام وظيفته بعد تولية « مرنبتاح » بن « رعمسيس الثانى » ، أو إذا كان قد حل محله « مس سوى » فى عهد حياة « رعمسيس الثانى » .

وقد قدر مدة حكمه « ريزنر » بست عشرة سنة (١٢٢٥ — ١٢٠٩ ق . م .) أى أنه يظن أنه شغل وظيفته فى عهد ثلاثة ملوك متتالين وهم « مرنبتاح » (ثمانى سنين) و « آمنمس » (سنة واحدة؟) و « سيتى الثانى » (ست سنوات) ولكن إذا اتضح فيما بعد أنه كان يقوم بمهام وظيفته يوما فى السنين الأخيرة من عهد « رعمسيس الثانى » فإن حكمه يمكن أن يكون قد بقى على أقل تقدير مدة عشرين سنة .

والمصادر الثمانية التى ذكرها « ريزنر » عن الآثار المنسوبة لهذا النائب تكاد

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٧١

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 47

(٣) راجع Ibid, p. 45

تكون كل ما وجد له من آثار حتى الآن ، وقد تحدث « جوتييه » ثانية[1] مشيراً إلى بعض هفوات ارتكبها « ريزنر » لا تكاد تذكر .

والألقاب التي كان يحملها « مس سوى » هي : « ابن الملك صاحب كوش والمشرف على الأراضي الجنوبية ، وحامل المروحة على يمين الملك وكاتب الملك وحامل المروحة والصولجان على يمين الفرعون « مس سوى » المختار لأرض الجنوب » .

ابن الملك « سيتي »

تدل الآثار التي في متناولنا على أن نائب الملك « سيتي » الذي خلف « مس سوى » في حكم بلاد النوبة كانت مدته قصيرة ، إذ بدأ حكمه في السنة الأولى من عهد الملك « سبتاح » وقد خلفه في السنة السادسة من حكم نفس الفرعون نائب الملك « حورى الأول » . وقد جاء ذكر اسمه على خمسة آثار مؤرخة بالسنة الأولى والثالثة من عهد الملك « سبتاح » . فقد ذكر على الجدار الجنوبي من معبد « أبو سمبل » في نقش رسول الملك المسمى « رخبحتوف » عندما أتى سيده ليثبت ابن الملك صاحب كوش « سيتي » في مكانه[2] ، وكذلك وجد اسمه في نفس المعبد على الجدار الشمالي[3] ويحتمل أنه يؤرخ بالسنة الأولى أيضا ، وفي هذا النقش نجده يحمل ألقابا كثيرة هي : الأمير الوراثي والحاكم وابن الملك صاحب كوش ، والمشرف على أراضي الذهب لآمون ، وحامل المروحة على يمين الفرعون . والكاتب الملكي لخطابات الفرعون ، والرئيس الأول في الاصطبل ، وعينا ملك الوجه القبلي ، وأذنا ملك الوجه البحري ، والكاهن الأكبر لإله القمر « تحوت » ، والمشرف

(١) راجع Rec. Trav., 39, p. 214

(٢) راجع Br., A. R., III, § 642

(٣) راجع A. S., X, p. 132

على الخزانة ، والمشرف على خطابات الفرعون فى محكمة قصر « رعمسيس مرى آمون » فى البلاط .

وفى معبد « بهين » وجد نقش مؤرخ بالسنة الأولى من عهد هذا الفرعون فى معبد الملكة « حتشبسوت » على العمود السادس ، وهو متن كتبه « نفر حور » رسول الفرعون « عند ما أتى بالمكافآت لموظفى بلاد النوبة « تاستى » وليحضر ابن الملك صاحب كوش فى رحلته الأولى[1] » .

وكذلك نجد نقشاً مؤرخاً بالسنة الثالثة فى جزيرة « سهيل[2] » جاء فيه بعض ألقاب « سيتى » هذا .

وأخيراً وجد له نقش على صخور الطريق المؤدية من « أسوان » إلى « فيلة » جاء فيه غير الألقاب التى ذكرناها من قبل « مدير البيت العظيم » ، وقد مثل فى هذا النقش النائب « سيتى » وهو يتعبد أمام الملك الذى يقف خلفه مدير الخزانة «باى»[3] .

ابن الملك « حورى الأول »

لم يوجد لنائب الملك « حورى الأول » حتى الآن إلا ثلاثة آثار جاء فيها اسمه وكلها من بلدة « بهين » (وادى حلفا) . ويقول « ريزنر » إنه حكم مدة ثلاث وعشرين سنة (١٢٠٣ — ١١٨٠ ق . م .) ، وهذه المدة تقابل السنة السادسة من حكم الملك « سبتاح » مضافاً إلى ذلك حكم الملك « ستنخت » القصير وفترة غير معينة من عهد حكم الفرعون « رعمسيس الثالث » الذى حكم حوالى ٣٢ سنة . ومن جهة أخرى يظهر أن هذا التقدير فى مجموعه لا يقرب من الحقيقة ، ولكن الواقع أنه ليس لدينا نقطة نرتكز عليها فيما إذا كان « حورى الأول » قد انقطع عن عمله

---

(١) راجع Randall—Maciver, Buhen, p. 25 ; and Br., A. R., III, § 643

(٢) راجع Br., A. R., III, § 646

(٣) راجع Br., A. R., III, § 647 ; L. D., Texte, IV, p. 120

فى عهد « رعمسيس الثالث » وفى أى سنة من حكمه تم ذلك ؟ وكل ما نعلمه فى هذا الموضوع هو ما أدلى به « فرمان »(١) عند ما كان يتحدث عن نتائج حفائره فى « العمارة غرب » إذ يقول فى صدد الكلام عن نواب الفراعنة فى هذا العهد : « وأخيراً قد وصلنا إلى إلقاء ضوء جديد على الترتيب والعلاقات الأسرية الخاصة بنواب بلاد النوبة التابعين لعصر الرعامسة . و بالنسبة لنواب الملوك يمكن تلخيص النتائج الرئيسية كما يأتى : (١) أن « حورى » بن « كاماع » الذى يعد « حورى الأول » على حسب رأى « ريزنر » ، كان يشغل هذه الوظيفة فى عهد « ستنخت » ، والمحتمل أنه قد خلفه . (٢) « حورى الثانى » الذى ظهر على لوحتى السنة الخامسة(٢) والسنة الحادية عشرة من حكم « رعمسيس الثالث » . ومما سبق نفهم أن « حورى » لم يكن يعد يشغل عمله فى السنة الخامسة من عهد « رعمسيس الثالث » وعلى ذلك فلن تتجاوز مدة نيابته خمس عشرة سنة بل أقل من ذلك .

ويقول « ريزنر » إنه متأكد من أن نائب الملك « حورى » الذى خلف «سيتى» كان هو نفسه الذى يشغل وظيفة « رسول ملكى » وأنه قد ترك فى معبد « حتشبسوت » فى « بهين » نقشاً مؤرخاً بالسنة الثالثة من عهد الملك « سبتاح »(٣) ، وكذلك نجد أن « فلندرز بترى »(٤) لقب « حورى » قائد ورسول الملك « سبتاح » فى « وادى حلفا » فى السنة الثالثة ، ورقاه إلى رتبة أمير « كوش » فى السنة السادسة . ونقش « بهين » المشار إليه هنا نقله نقلا صحيحا الأستاذ « ستيندورف » وعنه أخذ « برستد »(٥) . و « حورى » هذا هو ابن رجل يدعى « كاماع » وقد كان ضمن رجال إدارة اصطبل الملك المعظم « سيتى مرنبتاح » الذى وحده « ريزنر » بـ « سيتى الأول » ، فى حين أن المقصود هنا هو « سيتى الثانى »

(١) راجع J. E. A., Vol. 25, p. 143

(٢) راجع Ibid, Pl. XV, 2

(٣) راجع Reisner, Ibid, 48 a

(٤) راجع Petrie, Hist., III, p. 133

(٥) راجع A. R., Vol. III, § 645

كما يدل على ذلك طغراؤه ، ومن المحتمل أن « حورى » هذا ابن « كاماع » الذى كان يشغل وظيفة الرسول الأول للملك « سبتاح » فى السنة الثالثة من حكمه قد أصبح ما بين السنة الثالثة والسنة السادسة نائب بلاد كوش ، وبذلك تكون مدة ولايته أقل مما قدرناه من قبل ، غير أنه ليس لدينا أى برهان لتوحيد هاتين الشخصيتين .

وقبل أن نذكر ألقاب هذا النائب يجب أن نلفت النظر إلى نقش صخرى على نفس معبد « بهين » لم يذكره « ريزنر » وقد ظهر فيه مع طغراءى الملك « سبتاح » شخصية تحمل لقب « حامل المروحة على يمين الملك ورسول الملك فى سوريا وكوش » . واسم هذه الشخصية قد اختفى من النقش[1] . ويظن « مسبرو » أنه يمكننا أن نؤرخ هذا النقش بالسنة السادسة من عهد « سبتاح » مثل نقش « وباخو » ابن نائب الملك « حورى » ، وإذا كان هذا الزعم صحيحاً فإن واضع هذا النقش ينبغى أن يكون ابن نائب الملك « وبخسنو » .

وهذا الشخص لم يخلف والده « حورى » فى وظيفة نائب الملك فى كوش ، بل الظاهر أنه كان له أخاً أكبر على ما يظن يحمل نفس الاسم وهو « حورى الثانى » ، وهو الذى خلف والده نائباً للملك فى كوش .

أما الألقاب التى كان يحملها « حورى الأول » فهى : « سائق العربة الأول بجلالته ورسول الملك لكل أرض ، والذى يجلس الرؤساء فى أماكنهم والذى يرضى سيده « حورى » بن « كاماع » صادق القول وهو التابع لاصطبل « سيتى الأول » الخاص بالبلاط ، وابن الملك صاحب كوش » .

ابن الملك « حورى الثانى »

ذكرنا من قبل أن « حورى الثانى » هو ابن « حورى الأول » وقد جاء اسمه مع الملك « رعمسيس الثالث » فى لوحتين : الأولى مؤرخة بالسنة الخامسة ، والثانية

(١) راجع Sayce, Rec. Trav., T. XVII, p. 161 No. 8

مؤرخة بالسنة الحادية عشرة من حكم هذا الفرعون ، وبذلك لم نعد فى لبس من جهة تحديد عهد نيابة « حورى الثانى » وهو الذى وضع أمام عهده « ريزنر » علامة استفهام[١] ، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد استمر فى حكم بلاد كوش حتى نهاية عهد « رعمسيس الثالث » على ما يظهر والجزء الأول من عهد « رعمسيس الرابع[٢] » . ومن المؤكد أنه لم يحكم حتى نهاية عهد « رعمسيس الرابع » ، وذلك لأنه لدينا البرهان القاطع على أنه قد خلفه ابنه «باسر الثالث» الذى لم يذكره « ريزنر » فى قائمة نواب كوش . وعلى ذلك فإن الأثر الوحيد الذى ذكره « ريزنر » مؤرخاً لهذا النائب هو النقش الذى يظهر فيه فى معبد « حتشبسوت » ببلدة « بهين[٣] » ممسكا بيده مروحة وصولجاناً وكتب معه : «ابن الملك صاحب كوش «حورى» نجل ابن الملك «حورى» ، أما النقشان الآخران اللذان لم يؤرخا فقد يجوز أنهما من عهد « رعمسيس الثالث » أو من عهد « رعمسيس الرابع » ولا يمكن تمييز اسم « حورى الثانى » فيهما على وجه التأكيد .

«أباسر الثالث »

لم يذكر الأستاذ « ريزنر » فى قائمة نواب « كوش » ابن الملك « باسر الثالث » ولكن قد جاء ذكره فى نقش على صخر فى « وادى حلفا » فقد نقل الأستاذ « سايس » هذا النقش عام ١٨٩٥م[٤] وقد قال عنه « سايس » إنه ممحو جداً ولا يكاد يقرأ وهو يشمل صلاة للاله «حور » صاحب « بهين » لروح . . . ابن الملك صاحب كوش « باسر » ابن ابن الملك صاحب كوش «حورى » . وعصر هذا النقش قد وضع تماما بذكر طغراءى الملك « رعمسيس الثالث[٥] » . وهذه الحقائق تتفق مع ما نعرف من قبل

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 50

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 50 (a)

(٣) راجع Randall—Maciver, Buhen, p. 24 Pl. 11

(٤) راجع Sayce, Rec. Trav., T. XVII, p. 163 No. 14

(٥) راجع L. R., III, p. 182 & XVII, note 2

فقد كان « حورى الثانى » نائبا فى عهد « رعمسيس الثالث » ويحتمل كذلك فى الجزء الأول من عهد « رعمسيس الرابع » . وابنه « باسر الثالث » خلفه بطبيعة الحال فى نيابة كوش فى عهد هذا الفرعون الأخير ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون « باسر » هذا (لا « حورى الثانى » كما يظن « ريزنر ») هو والد نائب الملك « ونتاوات » المعاصر « لرعمسيس الخامس » غير أن ذلك الظن خاطئ من أساسه كما سنرى بعد .

وتدل شواهد الأحوال على أن نيابة « باسر » لم تكن طويلة .

نائب الملك صاحب كوش « سا أزيس »

عثر الأستاذ « فرمان » على نقش يفهم منه أن « سا أزيس » كان نائب الملك فى بلاد كوش فى عهد الملك « رعمسيس السادس » ولا نعلم عنه شيئا أكثر من هذا[1] .

النائب « نحرحر »

والظاهر أنه قد خلف الأخير نائب آخر يدعى « نحرحر » وقد عاش فى عهد كل من « رعمسيس السابع » و « الثامن » وهو والد « ونوات » الذى يحتمل أنه هو « ونتاوات » الذى ذكره « ريزنر » وقد عاصر « رعمسيس التاسع » .

النائب « ونتاوات » أو « ونوات »

ومما سبق نعلم أن « ونتاوات » لم يكن ابن « حورى الثانى » وأنه لم يخلفه فى ولاية كوش بل جاء قبله « سا أزيس » و « نحرحر » والأخير هو والد « ونتاوات » وقد عاصر « ونتاوات » الفرعون « رعمسيس التاسع » على حسب ما ذكره « فرمان »[2] .

والآن يتساءل الإنسان عن هذا النائب هل هو نفس الشخصية التى كانت تلقب « المشرف على اصطبلات جلالته » ؟ وقد أجاب الأستاذ « ريزنر » بالإثبات

(١) راجع J. E. A., Vol. 25, p. 143

(٢) راجع J. E. A., Vol. 25, p. 143

ويشاركه فى ذلك « جوتييه » وبخاصة إذا رجعنا إلى لوحة « سمنة » المحفوظة بالمتحف المصرى وهى التى ذكرها « ليبلين » فى قاموسه الخاص بأسماء الأعلام الهيروغليفية[١] ، وكذلك إذا ترجمنا المتن كما يأتى : « ابن الملك صاحب كوش المشرف الأوّل على اصطبلات البلاط لدى جلالته « ونتاوات » » .

وهذا النائب كان يقوم بأعباء وظائف أخرى منها وظيفة الكاهن الأكبر لآمون رعمسيس ، والكاهن الأكبر « لآمون خنوم واست » ، ولم نستطع أن نجد السبب الذى من أجله يقول « ريزنر » إنه قد منح وظائفه الدينية بعد أن فقد وظيفة نائب كوش ، وليس لدينا أية إشارة تخول لنا حق القول بأنه كان قد أبعد عن وظيفته المالية ؛ وهى نيابة بلاد كوش ومنح بدلا منها وظائف كهانة . ومن ألقابه كذلك « المشرف على أرض الذهب لآمون رع ملك الآلهة الكاهن فاتح الباب (أى باب قدس الأقداس) ، ورئيس بيت آمون فى « خنوم واست » والآثار التى وجدت لهذا النائب عددها خمسة وقد تحدث عنها « ريزنر »[٢] .

ابن الملك « رعمسيس نخت »

يقول الأستاذ « فرمان »[٣] إنه عثر على عارضة باب من الحجر عليها طغراء « رعمسيس السادس » ، وصورة واسم « رعمسيس نخت » نائب كوش ثم عاد وقال ثانية عند الحديث عن نواب النوبة إن نائب كوش « رعمسيس نخت » يظهر على المدخل مع طغراء « رعمسيس السادس » ولكن من الممكن ألا يكون معاصراً له ، وذلك لأنه على ما يظهر قد وجد اسمه ثانية مع « رعمسيس الحادى عشر » (إلا إذا كان نائب ملك آخر يحمل نفس الاسم) .

(١) راجع Lieblein, Dic. du noms Hierog, T. II, No. 2114

(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 50 f

(٣) راجع J. E. A., 25, p. 140, 148

هذا ومن جهة أخرى نجد أن « ريزنر »[١] يقول إنه حكم حوالى عشرين سنة فى عهد « رعمسيس التاسع » وأنه عثر له على نقش فى معبد « حتشبسوت » على صخر من عهد الملك « سبتاح »[٢] ويحمل فى هذا النقش الألقاب التالية : ابن الملك والمشرف على الأراضى (؟) وحامل المروحة على يمين الملك ، وكاتب الملك . ثم يقول إنه لا يوجد برهان يربط هذا النائب « رعمسيس نخت » بأى موظف آخر بهذا الاسم عاش فى الأسرة العشرين ، وبخاصة بالكاهن الأكبر « رعمسيس نخت » .

أما « جوتييه » فيقول إنه ليس لديه ما يضيفه على ما قاله « ريزنر » بالنسبة لهذا النائب الذى كان على أغلب الظن يقوم بأعباء وظيفته فى عهد «رعمسيس التاسع» ومن بعده « رعمسيس العاشر » . وعلى أية حال يجوز أن نتعرف عليه فى «ابن الملك صاحب كوش » الذى لم يذكر اسمه وهو الذى كان قد أحضر أمامه بعض الأفراد المتهمين بالسرقة فى المقابر الملكية « بطيبه » كما جاء فى ورقة « ماير »[٣] .

ومما سبق يمكننا أن نستخلص النتيجة التالية وهى أن « رعمسيس نخت » هذا كان يعيش فى عهد الملك « رعمسيس الحادى عشر » الذى مكث على العرش مدة طويلة كما دلت على ذلك البحوث الحديثة وكما أثبتنا ذلك فى الجزء الثامن من هذه الموسوعة ، وكما أكد لنا « فرمان » بوجود أثر عليه اسمه من عهد « رعمسيس الحادى عشر » . ومن الجائز كذلك أنه عاش فى عهد « رعمسيس العاشر » الذى لم يعمر طويلا ، أما قول « جوتييه » و « ريزنر » إن « رعمسيس نخت » عاش فى عهد الملك « رعمسيس التاسع » فقول لا يرتكز على أى أساس أمام الكشوف الحديثة .

---

(١) راجع J. E. A., 6, p. 5

(٢) راجع Randall—Maciver, Buhen, p. 44

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٤٣٨ الخ .

نائب الملك « بانحسى »

عاش نائب كوش « بانحسى » فى عهد الفرعون « رعمسيس الحادى[1] عشر » وقد لعب دوراً هاماً فى حرب التحرير أو عصر النهضة الذى تحدثنا عنه طويلا فى الجزء الثامن . ومعنى كلمة « بانحسى » هو « العبد » أو الأسود وتدل شواهد الأحوال على أنه كان من بلاد النوبة وأن الملك قد انتخبه ليقوم بهذه الوظيفة إرضاء لأهل بلاده الذين كانوا وقتها على وشك الانفصال من مصر .

وقد جاء اسمه على بعض أوراق البردى ، وفى معبد « بهين[2] » . ويحمل الألقاب التالية : « حامل المروحة على يمين الملك وكاتب الملك ، وقائد الجيش والمشرف على مخزن الغلال ابن الملك صاحب كوش والمشرف على الأراضى الجنوبية والرئيس العظيم للخزانة والأمير الوراثى والحاكم ومدير بيت « آمون » .

نائب الملك « حريحور »

تحدثنا باسهاب عن « حريحور » قبل توليته عرش الملك فى مصر القديمة الجزء الثامن من ص ٦٠٢ الخ .

نائب الملك « بيعنخى »

كذلك تحدثنا عنه باسهاب فى الجزء الثامن من هذه الموسوعة ص ٦٥٧

نائبة الملك « نسخنسو »

وهى زوج الفرعون « بينوزم الثانى[3] » ويلاحظ أنها المرأة الوحيدة التى حملت هذا اللقب فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٥٠ ، ٥٨٠
(٢) راجع Reisner, Ibid, p. 51
(٣) راجع كذلك مصر القديمة الجزء الثامن ص ٧٧١ الخ .

ويجب أن تلفت النظر هنا إلى أن الانقلاب السياسى الذى حدث فى أواخر الأسرة العشرين قد انتهى باعتناق سياسة أصبحت بمقتضاها الإدارات الهامة متجمعة فى يد وارث العرش فنجد أن « حريحور » قد عين ابنه « بيعنخى » الكاهن الأكبر « لآمون رع » والمشرف على الغلال ونائب كوش والقائد الأعلى للجيش ، وقد كان هو نفسه يتولى هذه الوظائف فى عهد « رعمسيس الحادى عشر » ، وكانت كل شواهد الأحوال تدل على أنه كان وارثه للعرش . وقد كان هذا هو الحل الوحيد المنطق للمصاعب الداخلية التى سببتها دسائس طبقة الموظفين البيروقراطية وطبقة الكهنة الأغنياء فى حكومة كانت ميولها مع الحكم الدينى . أما المصائب التى حلت بالبلاد فترجع لأسباب أخرى . وقد كان هذا المبدأ سليما لدرجة أنه عندما استولى اللوبيون على « طيبة » استمروا فى السير على نفس السياسة التى كانت قد أصبحت تقليدية أى تقليد أمراء من البيت المالك ليكونوا على رأس الإدارات الحكومية .

فبعد « بيعنخى » لم نجد واحداً من الأمراء مثل الكهنة العظام « بينوزم الأول » و « ماساهرتا » و « منخبررع » و « بينوزم الثانى » يحمل لقب « ابن الملك صاحب كوش » . وحتى عند ما استولى « إوبوت » الابن الأصغر للملك « شيشنق الأول » وظيفة الكاهن الأكبر « لآمون رع » والقائد الأعلى للجيش لم يحمل هذا اللقب المهمل كما لم يحمله أحد غيره من أسلافه . ولم يجدد هذا اللقب بصفة قاطعة على وجه التأكيد إلا مرة واحدة كما شاهدنا من قبل فى حالة « نسخنسو » زوج الملك « بينوزم الثانى » وذلك لإشباع غرور هذه السيدة . والواقع أنها أعطيته بصفة فخرية لأنه لم يكن فى مقدورها أن تناله بحق الوراثة . على أن عدم استعمال لقب « ابن الملك صاحب كوش » لا يعد على أية حال برهانا على أن وظائف نائب الملك قد انقطع استعمالها كما يظهر للانسان لأول وهلة ، إذ الواقع أنه تمشيا مع السياسة المتبعة للادارات الكبيرة كانت حكومة « كوش » لا بد أن تكون فى يد أكبر أولاد حاكم « طيبة »

وفى عهد اللوبيين كانت فى يد واحد من الأمراء . ومن البدهى أن لقب « ابن الملك صاحب كوش » فى نظر واحد من هؤلاء الذين كانوا فعلا أولاد ملوك لا قيمة له تذكر بالنسبة للقب الموروث .

ولدينا نقطة أخرى قد يكون لها بعض الأثر فى ترك « بينوزم الأول » لهذا اللقب وهى أن والده « بيعنخى » كان سياسياً تابعا للملك « تانيس » . وبعد ذلك كان ولدا « بينوزم » وهما « ماساهرتا » و « منخبررع » ابنى ملكين بالولادة . وعلى ذلك فإن لقب « ابن الملك صاحب كوش » يمكن أن يكون قد أسقط دون أى تغيير فى العلاقات بين كوش ومصر وبدون أى انقطاع فى الإدارة المصرية للأراضى الجنوبية .

والعلاقات التى بين كوش ومصر ما بين سنة ١١٠٠ إلى ٧٥٠ ق . م . قليلة نادرة وكلها ذات صبغة غير مباشرة . فمثلا نجد أن « بينوزم الأول » (أو الثانى) قد ترك نقشا على الصخر فى جزيرة « سهيل » (١) ، والظاهر أنه قد نقشه هو عند ما كان قائد الجيش الأعلى للجنوب والشمال ، وكان قد أضاف لنفسه لقب الكاهن الأكبر فيما بعد وقد سجل « منخبر رع » لقبه الكاهن الأعظم ابن الملك « بينوزم » على صخرة فى « بيجة » (٢) . وسجل « شيشنق الأول » اسمه فى نقوش الكرنك حيث يحدثنا أنه ضرب « أيون — ستى » (٣) أتباع « آمون » ، وصانع (أرض) « تانحسى » و . . . جزية « أرض سوريا » (٤) . ونجد فى عهد « شيشنق الثانى » فى تواريخ الكهنة العظام (٥) أن الذهب الجميل قد ذكر مرتين . وفى جبل « برقل » كان أحدث أثر مؤرخ وجد فيه من عهد الأسرة العشرين هو قطعة من تمثال صغير باسم « رعمسيس

(١) راجع De Morgan, Cat. des Mon., Vol. I, p. 94, 189

(٢) راجع L. R., III, p. 266

(٣) راجع Br., A. R., Vol. IV, § 714 -719

(٤) راجع Ibid, § 724

(٥) راجع Ibid, § 770

التاسع » وثانى أثر عثر عليه عند أهرام « نورى » هو قطعة من آنية من المرمر مكتوبة (١) . . . القائد الأعلى « باشدن باست » صادق القول ابن رب الأرضين « شيشنق » « مرى آمون . . . » ويقول « ريزنر » إن هذا الأمير هو بلا نزاع نفس الأمير ابن « شيشنق » الذى كتب عنه « بلران »(١) ، وقد وجد اسمه فى نقش فى الكرنك ومعه اسم الملك « بدوباست الأول » . ويعلق على ذلك « بلران » بقوله إن « باشدن باست » يظهر أنه قد حكم فى منطقة « طيبة » تحت سيادة « بدوباست » . وقد كانت مكانته هذه هى التى جعلته كذلك ، وبهذه الصفة أقام بوابة عظيمة من الحجر الرملى بعد أن وجدها آيلة للسقوط ، ويظهر أنها كانت البوابة العاشرة .

ومن الواضح أن « بدوباست » كان ابن « شيشنق الثانى » أو « الثالث » الذى جعله « برستد » خلف « شيشنق الثانى » ، ونستخلص من قطعة الأثر التى وجدت فى خرائب « نورى » أن حاكم إقليم « طيبة » كان يضم بلاد كوش إلى أملاكه . ويظن « ريزنر » أن « باشدن باست » كان والد « كشتا » وهو الذى بوساطته ادعى كل من « كشتا » و « بيعنخى » ملك « طيبة » غير أن ذلك لا يرتكز على حقائق مكتوبة .

والواقع أن ما لدينا من آثار عن هذا الموضوع ضئيل ، غير أنه توجد ظروف أخرى تجعل من المعقول استخلاص أن كوش قد بقيت خاضعة لمصر ومنها أن كوش كانت فى هذه الفترة قد وصلت إلى درجة جعلتها ممصرة فى خلال مدة النواب المصريين التى بلغت نحو أربعة قرون ونصف قرن تقريبا . ويقال إن « رعمسيس التاسع » قد وجدت له آثار فى «نباتا » ولم يكن لدى الرعامسة صعوبة فى القبض على زمام الأمور فى كوش إذ كانت بلاد كوش من كل الوجوه جزءاً من مصر .

---

(١) راجع A. S., XIV, p. 14 & 39

يضاف إلى ذلك أن كوش كانت تظهر ممصرة كما يدل على ذلك الآثار التي كشف عنها في مقابر ملوك كوش أي في المدة التي من حوالي عام ٧٢٠ ق . م . حتى عام ٥٠٠ ق . م .

وتدل حركة الاستقلال التي قامت بها بلاد كوش في عهد « كشتا » أنها لم تكن إلا جزءاً من حركة عامة بدأت تظهر في مصر كلها حوالي عام ٧٥٠ ق . م . وذلك أن صغار الحكام من اللوبيين في المقاطعات كانوا آخذين في أسباب الاستقلال وكان الجم الغفير منهم من أصل لوبي . وإذا لم يكن لدينا براهين أخرى فإنه قد يكون من الطبيعي أن نستخلص أن « كشتا » كان أحد هؤلاء الحكام المحليين الذين هم من دم لوبي وكان من نصيبه حكم بلاد كوش ، وقد دلت الآثار على أنه كان يوجد قبله زعيم آخر يحكم كوش كما سيأتي بعد ، وخلافا لما ذكرنا نلحظ أن المادة التاريخية الأصلية عن هذا العصر (١١٠٠ — ٧٥٠ ق . م) ضئيلة جداً ، هذا إلى أن عدم وجود نقوش خاصة ببلاد كوش ليس بالأمر الغريب وبخاصة عندما نعلم أن البلاد كانت خاضعة مستكينة للحكم المصري .

وإذا استخلصنا مما سبق أن حكومة بلاد كوش بوصفها إقليا تابعا لمصر كانت مستمرة خلال الأسر من الواحدة والعشرين إلى الثالثة والعشرين فإن السياسة العامة لحكام « طيبة » — سواء أكانت على يد المصريين أم اللوبيين — تبرر الزعم القائل إن ممثل ملك مصر في كوش كان أحد الأمراء . وكانت الألقاب الرئيسية التي يحملها هؤلاء الأمراء هي الكاهن الأكبر « لآمون رع » والقائد الأول العظيم للجيش » . وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء بوصفه القائد الأعلى للجيش في قبضة يده زمام كل القوات في بلاد كوش ، أما بوصفه الكاهن الأكبر لآمون رع فلا بد أنه كان له علاقة وثيقة بمعابد آمون حتى « نباتا » ، غير أنه لم يوجد لقب خاص يشمل حكومة هذه الأرض ، ومن الممكن بطبيعة الحال أن العمل الهام كان في ذلك الوقت هو جمع الضرائب التي كانت تحت سلطان إدارات « طيبة » ، وأن البلاد

. . .

كانت محكومة بحكام الإقطاع الذين كان معظمهم من المصريين ، و إن الرسل وموظفى الخزانة كانوا يرسلون من وقت لآخر ، وأن النظام كان محفوظا بوساطة القائد الأعلى للجيش وضباطه .

وعلى أية حال فإن « بيعنخى » بن « حريحور » كان آخر رجل معروف لدينا يحمل لقب « ابن الملك صاحب كوش » وإن كان « جوتييه » يرى أن « أوسركون — عنخ » كان يحمل هذا اللقب بصورة قاطعة ، وأنه ينسب إلى الأسرة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين ، أى فى القرن التاسع أو القرن الثامن قبل الميلاد ، وذلك من نقش حفر على الجزء الأسفل من تمثال محفوظ الآن فى المعهد الفرنسى الأثرى الشرقى بالقاهرة[1] ، وقد جاء عليه « الشريف والأمير حامل الحصير » (؟) ابن الملك (ولا يوجد على التمثال عبارة صاحب كوش) المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية ، والمشرف على ضيعة (آمون) . ونلحظ أن الأستاذ « ريزنر » لم يذكر هذا العظيم فى قائمة نواب الفراعنة لكوش بل ذكره فى قائمة الأسماء التى فيها شك ، وذلك لأنه لم تذكر معه عبارة « صاحب كوش » صراحة . وعلى أية حال فإن هذا العصر من تاريخ مصر وكوش غير معروف لنا بصورة واضحة ، وعلى ذلك ينبغى علينا أن نكون على حذر فى استخلاص نتائجنا ، إذ من المحتمل جداً أن « أوسركون عنخ » كان يقوم بأعباء هذه الوظيفة فعلا فى عهد ملوك « بوبسطه » أى أنه كان نائباً للملك على بلاد كوش ، ولذلك يرى « جوتييه » أنه ليس هناك مانع من وضعه فى قائمة نواب الفراعنة إلى أن يظهر برهان يدحض ذلك .

---

(١) راجع Bull-Inst. Frainçaise D'Archeol. Orient. T. XII, p. 188

منطقة نفوذ نائب الملك

كانت منطقة الأراضى التى يسيطر عليها نفوذ نائب الملك تختلف باختلاف الأزمان بعض الشئ . وقد ذكر لنا بوضوح امتداد رقعة نفوذه فى نقوش مقبرة « حوى » حيث جاء فيها صراحة : « لقد عهدت إليك بوظيفة نائب الملك فى كوش من أول « نخن » حتى ما بعد « كارى » وسيكون تحت إدارتك من « نخن » إلى ما بعد « نسوت تاوى » (جبل برقل) » . ويتفق مع ذلك على ما يظهر نقش « إحورميني » تماما[1] . وهذا الأمير صاحب « نخن » كان موكلا إليه جمع الضرائب فى « واوات » فيقول : « لقد أمضيت سنين عدة أمير بلدة « نخن » وأحضرت جزيتها لرب الأرضين ولقد مدحت على ذلك ولم يؤخذ على شئ . ووصلت إلى سن الشيخوخة فى « واوات » لأنى ملأت قلب سيدى وجاءت بجزية أرض « واوات » منحدرا فى النهر كل سنة إلى الملك ، وقد ذهبت إلى هناك بوصفى رجلا أمينا ، ولم أوصف بأنى مذنب فى أخذ فضلة (شئ فائض) » .

ومما يؤسف له أن اللوحة التى جاء عليها هذا النقش ليست مؤرخة ولكن من أسلوب كتابتها واسم صاحبها يمكن أن تؤرخ بأوائل الأسرة الثامنة عشرة . ويسلم « ريزنر » أن هذا الرجل لا بد أن يقع تأريخه ما بين عهد « أحمس الأول » والسنة السابعة من حكم « أمنحتب الأول » عند ما كان « ثورى » يشغل وظيفة نائب الملك ، ولكن ذلك حدث قبل أن يقوم نائب الملك بالعمل فى وظيفته . وإذا كان « جوتييه » على حق فى أن « ثورى » لم يكن أول من شغل وظيفة نائب الملك بل كان خلفا « لأحمس » بن « تائيب » الذى لا نعرف عنه شيئا فإن الأخير لم يشغل بأية حال وظيفة نائب الملك فى عهد « أحمس الأول » بل يمكن أن يكون قد نصب فى هذه الوظيفة فى خلال السنين السبع الأولى من حكم « أمنحتب الأول » .

---

(١) راجع Urk., IV, 76 *f*; Sethe, Ubersetzung, p. 4

وعلى ذلك فإن نشاط « حورميني » في بلاد النوبة السفلى كان قبل ذلك ، ولم يمتد حتى السنة السابعة من حكم « أمنحتب الأول » . على أن ذكر « واوات » وحدها وإغفال ذكر « كوش » يتفق تماما مع العلاقات السياسية ، لأنه إلى هذا العهد على ما يظهر لم يكن قد فتح في بلاد النوبة إلا إلى منطقة الشلال الثاني ، وإذا كان ينبغي علينا أن نسلم بأن منصب « حورميني » في بلاد النوبة السفلى كان بمثابة نوع من النيابة فإنه لا ينتج من ذلك بلا شك أن رقعة نفوذه كانت تمتد كما يقول « ريزنر »[1] وكذلك « إدوارد مير »[2] من أول الشلال الثاني حتى « نخن » ، بل يظهر أنها كانت تمتد إلى أكثر من ذلك ، إذ أن نفوذه حسب نص المتن كان يمتد إلى ما بعد بلاد النوبة وذلك لأنه وصف نشاطه في « نخن » ثم أعقب ذلك وصف نشاطه في بلاد النوبة السفلى على حدة .

وليس لدينا مصادر عن تحديد امتداد الرقعة التي كان يحكمها نائب كوش حتى عهد « توت عنخ آمون » . فقبل حياة نائب كوش « حوى » كانت أقصى حدود المقاطعات المصرية الجنوبية متصلة بأراضي الحكومة النوبية .

ولدينا نقش مهشم في معبد « سمنة » لنائب الملك « نحى » الذي كان سلطانه يمتد إلى ما بعد « نخن » على ما يظهر ، وإذا كانت الفجوات الناقصة التي ملأها الأستاذ « زيته » صحيحة في هذا النقش فإن ترجمته تكون كما يأتي[3] : « ولفتة أخرى طيبة من الملك نحوى هي : أن هذا الملك الطيب قد نصب محبوبه ابن ملك ومشرفاً على البلاد الجنوبية حتى نهاية الجنوب لهذه الأرض مبتدئاً من « نخن » ليحضر أتاواتها كل سنة » ، غير أن المتن مهشم جداً لدرجة أن التصحيح الذي عمله « زيته » لا يمكن الأخذ به بصفة مؤكدة ، هذا على الرغم من صعوبة إيجاد حل آخر. ومع ذلك فإنه لدينا بعض اعتراضات على الرأي القائل بأن رقعة النفوذ الإداري كانت

---

(١) راجع J.E.A., Vol. 6, p. 78

(٢) راجع Ed. Meyer, Alt. II, 1, p. 8 (Anm. I)

(٣) راجع Urk., IV, 988

تمتد فعلا من أول الأمر حتى « نخن » ، إذ نجد فى مقبرة « رخ مى رع » نقشا (١) يبين لنا أن العمد والموظفين الآخرين فى الوجه القبلى من أول « الفنتين » وحصن « بيجه » كانوا يوردون للوزير أتاواتهم لأنهم كانوا تابعين للأقليم الذى يسيطر عليه ، ولكن « رخ مى رع » لم يكن وزيراً للملك « تحتمس الثالث » قبل العام الثامن والعشرين من حكمه ؛ والظاهر أن الإتاوة الخاصة بنقوش « نحى » كانت خاصة بالعهد الذى كان فيه سلطانه ممتداً على بلاد النوبة عند ما كان نائب الملك ، وذلك على أكثر تقدير فى العام الثالث والعشرين من حكم هذا الفرعون ، وعلى ذلك فإن هذين المتنين كما أصلحهما « زيته » لا يتفقان معا . والواقع أن هذا البرهان لا يدل إلا على أول امتداد جاء متأخرا لسلطان نائب الملك ، فقد كان المقصود منه أن تمتد سلطة ابن الملك صاحب كوش حتى « نخن » ، كما أكد ذلك الأستاذ « كيس » لأجل أن تكون مناجم الذهب تحت إدارة نائب الملك (٢) ، وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المناجم فى عهد « تحتمس الأول » لم تكن تحت إدارة نائب الملك بل كانت تحت سلطان « باحيرى » الأمير الذى كان مسيطراً على جزء من البلاد من أول الكاب حتى « اسنا » فكانت إدارته تمتد من « الكاب » حتى « اسنا » و « الجبلين » (٣) . وفضلا عن ذلك كان يلقب هذا النائب المشرف على حقول مصر العليا ، ونجد فى قبره منظراً يتسلم فيه الذهب من رؤساء أهل الجبل وهو الذهب الذى كان يستخرج من الجهات الواقعة شرقى « أدفو » (٤) .

ولا نعلم إذا كان ابن الملك صاحب « نخبت » (٥) له نفس السلطان الذى كان للعظيم « باحيرى » لأن النقوش التى فى متناولنا لا تسمح لنا بالفصل فى هذا الموضوع .

---

(١) راجع Urk., IV, 1120 *ff*

(٢) راجع Kulturgesh, p. 340

(٣) راجع A.Z., 63, 153 *f.*

(٤) راجع Urk., IV, 125 *f.*

(٥) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١٥٢

وكان أول ظهور لقب المشرف على أرض الذهب لآمون قبل عهد « تحتمس الرابع » ، وقد حمله فى عهد خلفه « أمنحتب الثالث » نائب الملك وهذا ما يؤكد قيامه بإدارة مناجم الذهب ، وهو ما يتفق مع الرأى القائل بأنه ضم إلى نفوذه المناجم التى كانت شرقى « أدفو » . هذا ولا نجد قبل عهد « أمنحتب الثالث » — بصرف النظر عن نقوش المقابر فى « طيبة » ونقوش جنازية أخرى لا تمت بأى نشاط إلى هذه الوظيفة — أى أثر لنائب ملك شمالى « أسوان » . ونجد فيما بعد فى « وادى مياه » (الرديسية) نقشا لنائب الملك « مرى موسى » فى عهد « أمنحتب الثالث » وكذلك لوحة نائب الملك « إيونى » فى عهد « سيتى الأول » و « رعمسيس الثانى » ؛ وفضلا عن ذلك وجد فى « الكاب » قطعة من تمثال لنائبى الملك « حوى » و « ستاو »[1] كما وجد للأخير نقش فى « الكاب » أيضا[2] ، وكذلك قطعة عليها نقش لنائب ملك اسمه ضاع ، ولكن لا يمكن مما جاء فى نقوشه[3] (ابن الملك صاحب كوش) أن نضعه قبل « أمنحتب الثالث » لأن هذا اللقب لم يظهر قبل عهد هذا الفرعون .

وكل هذه المصادر تدل على أن منطقة نفوذ نائب الملك فى عهد « أمنحتب الثالث » وكذلك فى عهد الرعامسة كانت تمتد حتى « نخن » ، غير أنه لا يمكن أن نعرف إلى أى زمن استمرت هذه الحالة على وجه التأكيد ، ويتوقف ذلك قبل كل شئ على قراءة نقش النائب « نحى » ، وإذا ألقينا ظهريا التصحيحات التى عملها الأستاذ « زيته » التى ذكرناها فيما سلف فإنه يكون من المسلم به أن دائرة نفوذ نائب الملك فى الوقت الذى يقع بين حكم « تحتمس الثالث » و « توت عنخ آمون » ومن المحتمل منذ عهد « أمنحتب الثالث » كانت تمتد إلى ما بعد « نخن » وهذا ما يتفق تمام الاتفاق مع الكشوف الأخرى . ومن جهة ثانية نجد أن المناظر التى فى مقبرتى « رخ مى رع » و « باحيرى » صعبة التفسير ، يضاف إلى ذلك ما حدث من أن

(١) راجع L. D., Texte IV, p. 42

(٢) راجع L. D., Texte IV, p 38

(٣) راجع A.S. 37 p. 7; Chronique D'Egypte, 12, 138; Comp. Reisner, J.E.A., Vol. 6, p. 78

سلطان نائب الملك لم يكن قبل عهد « أمنحتب الثالث » يمتد إلى ما بعد « نخن » حسب نقوش مدونة ومن المحتمل أن ذلك جاء عن طريق الصدفة .

ولقد كان نائب الملك بوصفه أعلى موظف هو المسئول قبل كل فرد عن توريد جزية إقليم النوبة ، تلك الجزية التى كان يتوقف عليها عظمة الفرعون وسلطانه ، إذ كانت تعد أكبر مصدر هام لمصر . ولا نزاع فى أن هذه الأتاوة كانت تتطلب إدارة فنية حازمة من النائب ، ومع ذلك فإننا لم نجد من بين كل النواب الذين عينهم الفراعنة فى هذا المنصب الخطير من كان صاحب قدرة خاصة فى الادارة ، فقد وجدنا كثيراً منهم كان يشغل قبل أن يتولى هذا المنصب وظيفة مدير الاصطبل الملكى أو سائقا أول لعربة الفرعون أو فارسا مثل « مرى موسى » الذى شغل وظيفة نائب الملك فى عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » . ومثل النائب « بانحسى » فيما بعد وهو الذى على ما يظن كان يدير شئون جيشه (1) .

وتدل شواهد الأحوال على أن نائب الملك كان ينتخب من دائرة المقربين لدى الفرعون ، وذلك ليوثقوا العلاقة بين بلاد النوبة وبين بيت الملك ، وكذلك ليكون الملك على ثقة من أن الموظفين النوبيين مخلصون . هذا ولم يكن لكل نائب ملك مجال حياة مرسوم ، بل كان الملك ينتخب النائب على حسب قدرته ومعرفته للوظيفة التى كان ينتخب لشغلها . فمن الجائز كما يظهر أن كل موظف كبير يبرهن على أنه أقدر من غيره فى جمع الضرائب كان ينتخب لشغل وظيفة نائب الملك العالية . وتدل ظواهر الأمور على أنه كان حراً فى وظيفته وليس مسئولا أمام أحد غير الملك ، وإذ كانت جزية بلاد النوبة تورد إلى مصر نفسها أحيانا بوساطة موظف آخر ويشرف عليها فإن ذلك كان لا يعنى بأية حال من الأحوال أن نائب الملك كان تحت إدارة هذا الموظف أو أنه مسئول أمامه .

(1) راجع Save, p. 181 n. 4

والواقع أن النائب كان مسئولا أمام الفرعون عن إحضار الجزية شخصيا . وتدل النقوش على أن هذه الجزية كانت تقدم أمام الفرعون فى أغلب الأحيان باحتفال كما يفهم ذلك من المناظر التى عثر عليها خاصة بذلك ، فقد كانت الأتاوة تكدس أكواما أمام الفرعون الجالس على عرشه ويشاهد نائب الفرعون الذى أحضرها واقفا على رأس الموظفين والأهالى الذين يحملون إتاوات أخرى[1] ، وكانت الجزية بعد ذلك تسلم للموظفين المختصين فى مصر بذلك مثل مدير الخزانة أو إلى موظف آخر من رجال القصر الملكى . ويلحظ بهذه المناسبة أن أمثال هؤلاء الموظفين كانوا بطبيعة الحال لا يرسمون فى مقابرهم إلا الدور الذى يقومون به وهم فى خدمة نائب الملك وحسب .

وكان يسيطر نائب الملك على طائفة كبيرة من الموظفين يستطيع بمعونتهم تأدية أعماله وواجباته وأهم واحد بين هؤلاء الموظفين هو قائد جيش الرماة لكوش ، وهو الذى كان على رأس الجنود الذين فى خدمة نائب الملك ، هذا بالإضافة إلى وكيلين للنائب يقوم واحد منهما على إدارة بلاد «واوات» والآخر على إدارة بلاد كوش . وكان إقليم « واوات » وقتئذ يمتد من « أسوان » حتى الشلال الثانى والإقليم الثانى يمتد من الشلال الثانى حتى الشلال الرابع تقريبا . على أن التزامات كل موظف من هؤلاء بالنسبة للآخرين وتحديد نفوذه تماما يصعب معرفتها ، إذ لم تكن علاقة الموظفين بعضهم ببعض فى بلاد النوبة كما نجدها فى البلاد المصرية[2] . ويمكن توضيح ذلك من منظر توريد جزية نوبية يوردها « حوى » نائب الفرعون « توت عنخ آمون » ، فلم نجد مثلا كاتب الذهب وحده بل وجد رئيس اصطبل ، ولم يكن من المنتظر أن نجد الأخير فى مثل هذا المنظر[3] . وفضلا عن ثلاثة الموظفين الكبار الذين ذكرناهم هنا يوجد عدد عظيم من صغار الموظفين . وتدل شواهد الأحوال على أن الادارة كانت فى تكوينها

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٨

(٢) راجع Kees, Kulturgesch., 208 *ff.*

(٣) راجع Davies, The Tomb of Huy, Pl. 16 *f.*

كالإدارة المصرية نفسها فى تلك الفترة . وقد جمع الأستاذ « ريزنر » قائمة بأسماء هؤلاء الموظفين وأضاف عليها « جوتييه » بعض أسماء كما ورد كذلك بعض أسماء فى كتاب « عنيبه » الجزء الثانى الذى وضعه الأستاذ « ستيندورف » . وعلى الرغم من أن هذه القوائم ليست كاملة فإنها تقدم لنا صورة عن نظام هذا الحكم المركب[1] ويعتقد الأستاذ « ريزنر » أن طائفة الموظفين الذين كان فى أيديهم إدارة بلاد كوش كانوا فى تكوينهم كأولئك الذين كانوا يقومون بالإدارة فى الحكومة المصرية نفسها . والواقع أن الإنسان لا يرى لأول وهلة أى اعتراض على هذا الرأى وقد ذكرنا من بين هؤلاء الموظفين الوكيلين للنائب ورئيس الرماة لكوش أو بعبارة أخرى المشرف على رماة كوش . وقد وضع « ريزنر » قائمة بأسماء ثلاثة عشر شخصا عرفوا بأنهم كانوا يحملون هذا اللقب ولم نجد واحداً منهم قد رقى إلى مرتبة نائب كوش ، والواقع أن حامل هذا اللقب كان قائداً للقوات الحربية التى كانت تحت تصرف نائب الملك لأجل حفظ النظام فى كوش ، ويجب أن نشير هنا إلى أن كل المشرفين على الرماة لم يكونوا حتما فى خدمة بلاد كوش بل كان نفس اللقب على ما يظهر يوجد فى مصر[2] . والألقاب الأخرى هى :

(١) الخادم (السامع للنداء) ابن الملك صاحب كوش : أى الذى يسمع ليجيب نداءات أى أوامر ابن الملك صاحب كوش . وهذا اللقب يتصل بالألقاب العدة التى تنعت بالسامعين[3] ، وليس هناك ما يدعو لجعله موحداً كما يقول « ريزنر » باللقب « خادم سيد الأرضين (الفرعون) » ؛ ومن المحتمل أن لقب « الخادم (السامع للنداء) » كان يستعمل للأحياء كما كان يستعمل للروح بعد الموت (؟) .

---

(١) راجع Reisner, Ibid. p. 86 *f*; Gauth., Rec Trav., 39, 232 *ff*; Aniba II p. 248

(٢) راجع Rec. Trav., 40, p. 232

(٣) راجع Bull. Instit., T. XIII, p. 164—7

(٢) سائق عربة ابن الملك : ورد هذا اللقب غير أن اسم حامله ليس معروفا ولذلك فإنه من الصعب تحديد معنى عبارة «ابن الملك» هنا . هل هو صاحب كوش أو ابن الملك وحسب ولذلك فإن هذا اللقب قد وضع هنا بتحفظ شديد .

(٣) المشرف على مجدفى نائب الملك .

(٤) كاتب نائب الملك (كاتم السر) : و بمناسبة هذا اللقب يطيب لنا هنا أن نلحظ أنه بعد انقضاء عهد نواب الملك المصريين لكوش عند ما نالت البلاد استقلالها التام تحت حكم الملوك الوطنيين فى « نباتا » أولا ثم فى « مروى » فيما بعد يظهر أنه كان قد حل محله لقب آخر وهو « رئيس الكتبة لملك كوش »[1] أو مجرد لقب الكاتب الملكى لكوش .

(٥) كاتب حساب الذهب لنائب الملك : وقد كان مكلفاً بجمع وتسجيل كل كميات المعدن النفيس الذى كان ينبغى أن يرسل إلى « طيبة » بصفة جزية على يد نائب الملك .

(٦) كاتب جنود ابن الملك .

(٧) كاتب مخزن غلال ابن الملك .

والواقع أن هذين اللقبين الأخيرين لم يتبعا بعبارة ابن الملك فى النقوش الأصلية ولكن شواهد الأحوال تدل على أنهما كانا تابعين له .

(٨) كاتب المراسلات لابن الملك « مرى موسى » : وهذا اللقب كان يحمله شخصان معاصران وهما « أمنابت »[2] و « حوى » (وهو الذى بدوره أصبح

---

(١) راجع فى معبد « الدكة » Thesaurus, p. 1023 & 1030

(٢) راجع L.D., Texte. V, p. 115

فيما بعد نائب الملك) ، وهو يعادل فى الإدارة المصرية كاتب المراسلات للفرعون[1] ، وكان يحمله مثلا « سيتى » قبل أن يصير نائب الملك لكوش .

(٩) مندوب ابن الملك ؟ ؟

(١٠) المشرف على أعمال . . . للملك : هذا اللقب الذى يحمله شخص يدعى « أمنابت » وجد غير كامل[2] .

(١١) المشرف على الحيوان : هذا اللقب قد ذكر فى مقبرة « حوى »[3] وحامله شخص ينبغى أن تكون مهمته مشابهة لكاتب حساب الذهب السالف الذكر ، وذلك لأنه كان موكلا بجمع كمية الحيوان اللازمة سنويا من أهالى كوش للفرعون وأن يسهر على توريدها فعلا فى الوقت المحدد للوظفين المصريين .

(١٢) كاتب مائدة كوش : وهذا اللقب يقابل فى كوش المستقلة كاتب الملك لمائدة سيد الأرضين (الفرعون) فى مصر . وهذا الموظف على ما يظهر كان مكلفا بتوريد الأشياء اللازمة لمائدة الإله أو الملك أو نائب الملك أو حاكم الاقطاع[4] .

(١٣) المشرف على مدن كوش : ومن المحتمل أن الموظف الذى كان يحمل هذا اللقب كان بمثابة مدير البلديات الكبيرة فى كوش وكان متصلا بالادارة المركزية .

(١٤) المشرف على كهنة كل الآلهة : هذا اللقب ليس له حتما علاقة ببلاد كوش إذا كان مصدرنا الوحيد هو لوحة « وادى السبوع » ، ولكن يظهر أنه توجد لوحة أخرى يدل ما جاء فيها على أن هذا اللقب خاص بنائب كوش[5] .

(١) راجع A.S., X, p. 132

(٢) راجع L.D., Texte, V, p. 115

(٣) راجع Thesaurus, p. 1137, 1140

(٤) راجع Rec. Trav., T. 39, p. 234

(٥) راجع Gauth., Ibid, p. 234

(١٥) كاتب القربان لكل الآلهة : وهذا اللقب كسابقه من الألقاب الدينية .

(١٦) كاتب المالية لرب الأرضين فى « تاستى » (النوبة) .

(١٧) الحاكم (الرئيسى) .

(١٨) رئيس مركز .

(١٩) قائد الجبل : هذا اللقب يدل على وظيفة من طراز حربى . وحامل هذا اللقب كان موكلا به حراسة الأمن فى الأقاليم الصحراوية ، وكذلك كان عليه أن يحمى المدن والحقول التى فى الوادى من الغارات التى كانت تقوم بها قبائل البدو المغيرة الذين يجولون فى الصحارى المجاورة . وقد كانت تقام محاط صغيرة فى هذه الصحارى لردع هذه القبائل . وكان القائد مكلفا الإشراف على واحدة أو أكثر من هذه المحاط ، ونحن نعلم أن « ثورى» الذى كان ثانى من تقلد منصب نائب الملك كان يحمل لقب « قائد المكان الحربى » « بهن » وهى بلدة « وادى حلفا » الحالية تقريباً .

ونلحظ أنه من بين هذه الألقاب التى جمعها « ريزنر » عن إدارة بلاد كوش بعض الألقاب على ما يظن لا تمت بسبب لهذه الإدارة وفى آن واحد نجد أن بعض الألقاب التى لها علاقة مباشرة بحكومة كوش تركت ولم يذكرها « ريزنر » منها :

(١) التابع لمعام (عنيبة) وهو لقب غامض (ويحتمل أنه يعنى الملحق ببلدة « معام ») .

(٢) المشرف على الخزانة المزدوجة لرب الأرضين فى « معام »[١] .

---

(١) راجع L.D., III, 231 a

(٣) وقد وجد فى بلاد النوبة موظفون من طراز حربى يحملون لقب قواد ؟ « تاستى » (النوبة) .

(٤) وجد فى بردية رقم ٨٥٣٢ بمتحف « برلين »[1] خطاب لرئيس الرماة المسمى « شدس خنسو » لفرد يحمل لقب « فلاح كوش » أى جندى من عساكر كوش وهو مجند مرتزق كوشى . وهذا اللقب يعنى على حسب رأى « سبيجلبرج » فلاحا بسيطا يقوم بفلاحة الأرض فى مسقط رأسه فى وقت السلم ولا يمكن أن يقبل جنديا إلا فى ظروف خاصة أى عند قيام حرب أو ثورة فى البلاد .

وعلى أية حال فإن البردية من عصر متأخر عندما كانت وظيفة نائب كوش لا وجود لها .

والواقع أن حالة هؤلاء الموظفين كانت هى نفس حالة الموظفين المصريين العادية فى عهد الرعامسة ، وكانت الأحوال فى السودان بسبب ذلك معقدة حتى أنه عندما كان الفرعون يريد أمراً معلوماً أرسل له رجلا مجهزاً بسلطات خاصة منعاً من الاحتكاك بولاة الأمور هنالك ، وكان على الفرعون أن يزود رسوله بخطاب من عنده لنائب الملك ليتعاون مع رسوله فى قضاء ما جاء لأجله . ولدينا مثال على ذلك وهو ما حدث فى عهد الملك « رعمسيس التاسع » عندما أرسل خطاباً لنائب الملك « بانحسى » ليتعاون مع رسوله فى المأمورية التى كلف بها[2] .

وكان معظم هؤلاء الموظفين الذين يعملون فى بلاد النوبة من المصريين ، ولكن كان بينهم نوبيون متمصرون ، وذلك على الرغم من أنهم قد تسموا بأسماء مصرية ، وكان لا يمكن التفرقة بينهم وبين المصريين الحقيقيين ولدينا أمير من « معام »

(١) راجع A Z, III, p. 108—9

(٢) راجع Plyete—Rosso, Papryus de Turin, Pl. 66 f.; Moller, Hierat. وكذلك راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٥١ Lesestucke, III, b. Br., A.R., IV, § 595 ff.

(عنيبة) يدعى « حقا — نفر »[١] . ومع ذلك فإن موظفاً فى « بهين » يدعى « امنمحات » يقول صراحة إنه ابن الأمير صاحب « تحخت رسو »[٢] وأخوه هو كاتب الملك « تحوتحتب » فى « سرة » . وأرض « تحخت » قد ذكرت فى نقش ، ومن المحتمل أنها تقع فى هذه الجهة[٣] . وهذا الاسم وجد مرة أخرى فى لوحة فى « الفنتين »[٤] .

وبجانب نظام الوظائف هذا كان يقوم الأمراء النوبيون الذين يوجدون فى بقاع مختلفة بتمثيل دورهم[٥] ، فمثلا نجد فى عهد الملك « توت عنخ آمون » كيف أن أمير « معام » (عنيبة) والأمراء الآخرين من « واوات » يظهرون على رأس أتباعهم فى البلاط الفرعونى عند تقديم الجزية ، وكذلك فى مقبرة « أى — مى — سبا » الذى عاش فى عهد الفرعون « رعمسيس التاسع » نجد صورة مماثلة مما يدل بلا نزاع على أن مقبرة « أى — مى — سبا » مغتصبة ، وأن مناظر هذا القبر لابد أن تنسب إلى عصر قبل الذى نسبت إليه[٦] . وكذلك نجد أن هؤلاء الأمراء يذكرون كثيراً فى النقوش فى عهد « الرعامسة » ، غير أن ذلك لابد أن يعد من باب التقليد[٧] ، وبخاصة فى عهد « رعمسيس الثالث »[٨] . ولا نعرف عن الدور الذى كان يلعبه هؤلاء الأمراء النوبيون إلا القليل ، وقد رأينا من قبل أن « تحتمس الأول » قسم بلاد النوبة خمسة أقسام ووضع على رأس كل قسم منها أميراً نوبياً . ومن ثم نرى أن المصرى كان يجرى وراء الإبقاء على هذه العلاقة . فكان الأمير الذى يظهر الولاء للفرعون يبقى على ما يظهر فى وظيفته على شرط أن يقدم ما عليه من جزية ، وكانوا بطبيعة الحال

---

(١) راجع Junker, Ermenne, p. 37

(٢) راجع Buhen, p. 110 comp. 109, 112

(٣) راجع L.A.A.A., 8, Pl. XXIX, 4, & p. 100

(٤) راجع Dic. Geog. II, 28

(٥) راجع Junker Ermenne, p. 100

(٦) راجع Porter & Moss, I, p. 94

(٧) راجع فى عهد « رعمسيس الثانى » مثلا Wresz., Atlas, II, 180

(٨) راجع L.D., III, p. 209 a

تحت سلطان ابن الملك صاحب كوش ونائبيه فيراقبونهم مراقبة حازمة . وقد كان كل أمير منهم يسعى للحصول على استقلاله السياسى يصيبه القهر والكبت ، وبناله الضيم والعسف . ومع ذلك فإن هؤلاء الأمراء كان لا يزال فى أيديهم بعض نفوذ سياسى معلوم ، وهم الذين كانوا يعدون القوة المغيرة التى تقوم بالثورات فى بلاد النوبة وكان لهم أحياناً اتصال بقبائل النوبة الأحرار .

وقد جاء فى قائمة جزية « سوريا » فى تواريخ « تحتمس الثالث »[١] ما يأتى : « وقد أحضر أولاد الأمير وإخوته ليكونوا فى الحصن فى مصر ، وعند ما كان يموت أمير من هؤلاء كان جلالته يجعل ابنه يأخذ مكانه » . وفى عهد « رعمسيس الثالث » قيل إن اللوبيين قد سيقوا إلى مصر ووضعوا فى حصون وبذلك سمعوا لغة الناس (أى المصريين) من أتباع الملك وكان هذا سبباً فى أن تختفى لغتهم وعلى ذلك نسوا لسانهم[٢]. وعلى الرغم من أن المثال الأخير لا يعنى أولاد الأمراء فإن المصدرين فى جملتهما يبرهنان بوضوح على أن الغرض من نقل أولاد الأمراء هو أن يكونوا بمثابة رهينة فى مصر وأن يُربوا تربية مصرية ليكونوا تابعين للفرعون فى بلادهم .

ونجد مثل هذا فى بلاد النوبة إذ كثيرا ما يذكر أن أولاد أمراء النوبيين قد سيقوا إلى مصر ، مثال ذلك ما جاء فى مقبرة « رخ — مى — رع » وغيرها[٣] فنجد بالضبط هناك نوبيين قد وضعوا فى الحصون[٤] وكانوا كذلك ينشئون فى البلاط كما يدل على ذلك لقب أمير من معام يدعى « حقا — نفر » فقد نعت على نقش صخر فى « توشكى » صانع أحذية الملك والغلام (أى المملوك[٥]) وهو موحد بالأمير صاحب معام الذى يحمل نفس الاسم ، وهو الذى ظهر فى مقبرة « حوى » فى منظر توريد

---

(١) راجع Urk., IV, 690

(٢) راجع L.D., III, 218 c comp. Grapow, Abb. Ak. Wiss, 1940 phil. hist Kl, Nr., 12, p. 49

(٣) راجع Wresz., I, 335—7 ; Urk., IV, 1102 ; Ibid IV, 708 etc.

(٤) راجع Bauinschrift., Amenophis, III, p. 28 f ; Rec. Trav., 20, 43; Petrie, Six Temples Pl. I ; A.Z., 36, 84 ; 37, 89 f

(٥) راجع Weigall, Report, p. 126

الجزية بوصفه نوبيا[1] . وهؤلاء الغلمان (المماليك) كانوا ينشئون مع الأمراء ، وكانوا يحملون هذا اللقب وهم كبار فى السن ، وحتى عند ما يكون الواحد منهم متقلداً أعلى وظيفة فى الدولة فمثلا كان يسمى « وسرساتت » نائب الملك دائماً باسم الغلام أو المملوك ، والظاهر أنه كان نوبى المنبت ولكنه قد تولى عملا من أعظم الأعمال فى الدولة . وتدل تنشئة أولاد الأمراء فى البلاط مع رؤسائهم فى المستقبل على أن المصرى لم يكن مسلكه فى بلاد النوبة مسلك سياسة السلب والنهب بل كان يعيش معهم عيشة سلام ووئام . ولم يحاول المصرى قط أن يفنى النوبى ويقضى عليه ، إذ لم نجد أبداً أنه أبعد أسرة أمراء وطنيين ، وقد كان ذلك من الأمور التى يسهل على المصرى إتيانها .

(١) راجع Davies, The Tomb of Huy, p. 213 Pl. 27, Wresz., Atlas, I, 100; Reisner, J.E.A., 6, p. 87 & Aniba, II, p. 250 *f*.

العلاقات بين مصر وكوش

فى عهد الدولة الحديثة

لا نزاع فى أنه كان من نتائج ضم بلاد النوبة ثانية وتنظيمها من جديد على حسب الأنظمة المصرية من حيث الحكم والادارة هجرة كثير من المصريين إلى الأقاليم النوبية . وذلك لأنه كان لا بد أن يكون الموظفون الأول الذين عليهم أن يدربوا أهل تلك البلاد على طريقة الإدارة المصرية من المصريين المدربين على النظم الإدارية فى مصر . ويوضح صحة تفضيل الموظفين المدربين على غيرهم فى أن جمع الضرائب وكذلك المهام الإدارية الأخرى فى بلاد النوبة السفلى قبل إنشاء وظيفة نائب الملك كانت قد أسندت إلى أمير « الكاب » المسمى « حورميني » وهو الذى نقل بهذا السبب على ما يظهر إلى بلاد النوبة السفلى ؛ ومما يلفت النظر كذلك أنه قد دفن على ما يظهر فى موطنه الأصلى بمصر[1] ؛ وكان يوجد حتما بجانب موظفى الإدارة الذين كانوا فى الوقت نفسه كهنة ؛ عدد عظيم من الضباط والجنود اللازمين للحاميات ؛ وكان معظم هؤلاء فى بادئ الأمر من المصريين الذين يرسلون إلى بلاد النوبة وقد رفض الأستاذ « ينكر » بحق النظرية التى وضعها كل من « ريزنر » و « فرث » وهى القائلة إنه فى عهد الهكسوس فعلا ، وكذلك بعد فتح البلاد ثانية قد حدثت غزوة من المصريين لبلاد النوبة السفلى فغمرتها بالمصريين ؛ وكان من جرائها أن احتلت البلاد وقضى على مجموعة C . وعندما أصبحت الإدارة تسير نحو التمصير أكثر فأكثر على مر الأيام ، وأصبح الأمراء الوطنيون لا وجود لهم قد صار من غير الضرورى نتيجة لذلك عمل أى تغيير فى السكان ، وغاية ما فى الأمر أن عدد الجنود المصريين والموظفين والكهنة قد كثر ، وهؤلاء هم الذين كانوا قد سكنوا البلاد وأقاموا فيها مستعمرات لأنفسهم كما دلت على ذلك الحفائر التى قام بها «ستيندورف» فى «عنيبة»[2]

(١) راجع Urk., IV, 76

(٢) راجع Ermenne, p. 37 *ff*

...

غير أن هذه المؤسسات على ما يظن كانت منحصرة فى مراكز الإدارة الحكومية فى حين أن القرى والمساكن الأخرى كان يقطنها النوبيون الأصليون .

هذا وقد أظهر كذلك الأستاذ « ستيندورف »[1] ما أكده « ينكر » أنه على مايظهر قد دفن كثير من النوبيين المتمصرين كذلك فى جبانات الدولة الحديثة مع المصريين فى « عنيبة » و « بهين » اللتين تعدان مركزين حكوميين والواقع أننا نعلم أن الأهالى النوبيين كانوا يعملون بوصفهم موظفين مصريين ، ولكن لا تزال الدرجة التى وصلوا إليها فى تمصرهم هذا مبهمة .

وقد رأينا من قبل أن تمصير النوبيين قد خطا خطوات واسعة فى العهد المتوسط الثانى تقريبا ، وعلى ذلك فإن هذا النمو فى التمصير الذى نراه فى عهد الدولة الحديثة لم يكن إلا خطوة إلى الأمام فى الطريق التى شقت من قبل . وقد كان هذا التقدم فى الثقافة المصرية الذى نتج عن ذوق الأهالى فى العهد المتوسط الثانى دون التسليم بحدوث هجرة مصرية ظاهرا مما يجعلنا نعتقد فى عدم انتقال عدد عظيم من المستعمرين المصريين فى عهد الدولة الحديثة إلى بلاد النوبة وبخاصة أنه كان لزاما على الطبقة العليا من الموظفين الذين كان عددهم عظيما أن يسيروا بسرعة نحو التمصير ، وأخيراً نجد أن فكرة إعادة فتح أعمال تنجيم الذهب وقد جلبت جما غفيراً من المستعمرين ، كان من الصعب ربطها مع أحوال العمل . والواقع أنه لدينا كل الأسباب للتسليم بأن استخراج الذهب من الصحراء الواقعة شرقى بلاد النوبة كان احتكارا حكوميا ، وعلى ذلك فإن استخراج الأهالى للذهب فى هذه الجهة كان أمراً محظورا قطعا . حقا تنقصنا المصادر الصريحة عن استخراج الحكومة للذهب فى جبال « وادى العلاقى » ؛ ولكن إذا كنا فى شك من هذا فيجب علينا إذاً أن نتطلب من باب أولى مصادر أكيدة لكل كيان نظام الحكومة المصرية لمعارضة ذلك . والظاهر أنه قيل عن

---

(١) راجع Aniba, II, p. 39

أعمال مناجم الذهب الواقعة شرق « أدفو » فى نقوش « الرديسية » أن استخراج الذهب كان مصرحا به للحكومة أو للمعابد[1].

وقد وصفت لنا وعورة الوصول إلى البقعة التى فيها مناجم الذهب وما كان يلاقيه الناس الذين كانوا يكلفون العمل فى هذه المناجم فى لوحة « كوبان » كما يأتى[2]: « أما أقليم « أكيتا » فقد قال عنه ابن الملك صاحب كوش أمام جلالته: « إنه كان ينقصه المـاء بهذه الكيفية فقد ماتوا (رواده) عطشا فيه وكل ملك قبلك رغب فى فتح بئر هناك لم يصب نجاحا ؛ وقد حاول ذلك الملك « من ماعت رع » (سيتى الأول) وأمر بحفر بئر عمقها عشرون ومائة ذراع ولكنها نبذت على الطريق ، لأن المـاء لم ينبع فيها »

ومما له أهمية بالغة فى هذه المناسبة صيغة اليمين التى تجدها فى نقش « مس » الذى أقسم به الرجال فيقول الواحد : « إذا كذبت فلتقطع أنفى وأذناى وأنفى أنا إلى بلاد كوش»[3] ، وكانت النسوة تعقدن اليمين هكذا: «إذا كذبت فليلق بها فى مكان بين الخدم خلف البيت الذى كانت فيه ذات يوم سيدة»[4] . وهذه الموازنة تدل صراحة على أن المنفيين من البلاد كانوا يرسلون عبيداً إلى بلاد النوبة و يعاملون معاملة المجرمين حيث يقومون بالأعمال الشاقة و يؤيد كره المصرى أحيانا لبلاد النوبة أن المصريين الذين كانوا يشغلون وظائف عالية حتى بعد تمصير بلاد النوبة تمصيراً تاما كانوا لا يدفنون إلا فى مصر ، وعلى ذلك نجد أن كل نواب الملك فى كوش قد دفنوا فى مصر على الرغم من أنهم كانوا حكام السودان ، وحتى نجد قبر « حورى الثانى » كان فى «بوبسطة» على الرغم من أن « حورى الأول » والده كان نائب ملك ، أى أن

---

(١) راجع L. D., III, 140 c. L. 2 *f*

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٣٣

(٣) راجع Gardiner, The Inscription of Mes, Nr. 22 N, 28 ; Untersuchungen, IV, 3

(٤) راجع Gardiner. Ibid. p. 22

« حورى الثانى » قد أمضى مدة طويلة من حياته فى بلاد النوبة حتى كاد يصبح من أهلها ، ومع ذلك دفن فى مصر . ولدينا « أوستراكون » من عهد الرعامسة تحدثنا عن فرد يندب حظه لوجوده فى بلاد كوش مما يؤكد رغبة كل مصرى فى الدفن فى مصر . على أن ذلك لا يعنى أن المصرى كان يكره السودان بل الواقع أنه كان يحب أن يكون دائماً فى بلاده ويدفن فيها ولا يريد الاغتراب فى أى بلدة .

وعلى أية حال فإن الظواهر الأثرية لا تقدم لنا فرقا بين النوبى والمصرى ، وعلى ذلك فإنه ليس لدينا برهان محس على قيام هجرة مصرية . ومن ثم لا نكون قد حدنا عن جادة الصواب إذا قلنا إنه قد حدث انتقال مصريين إلى بلاد النوبة مثل الموظفين وغيرهم ، وقد كان ذلك من الضرورات التى حتمتها الأحوال السياسية ، وذلك مثل استيراد عدد عظيم من الأيدى العاملة الأجنبية إلى مصر مما يبرهن بوضوح على أنه كان فى تلك البلاد الأجنبية ازدياد فى عدد السكان

وقد كان من الضرورى لاحتلال بلاد كوش احتلالا عسكريا أن تقام فيها الحصون والأماكن المحصنة التى كانت تلعب دوراً هاما . ففى بلاد النوبة السفلى أعيد استعمال حصون الدولة الوسطى ، وقد كان من الضرورى إعادة إصلاح كثير منها وإن كانت الجدران الخارجية فى غالب الأحيان يمكن الإفادة منها ، ونذكر من الحصون القديمة « الفنتين » و « بيجه » اللذين جاء ذكرهما فى مقبرة « رخ — مى — رع »(١) وقد جاء فى ورقة شكوى من عهد « رعمسيس الخامس » أن كاهنا للاله « خنوم » فى « الفنتين » قد باع بدون حق عجل « أبيس »(٢) الى رجل من المزوى فى قلعه « بيجه » وكذلك جاء ذكر حصن فى نفس الورقة قد انتهك حرمته نفس الكاهن ، ويحتمل أنه حصن « الفنتين » ، وكذلك حصن « أكور » إذا كان ما وجد فيه من فخار قد أرخ تأريخا صحيحا يرجع تاريخه الى الدولة الحديثة ، وفيما بعد نجد أن هذه الحصون

---

(١) راجع Urk., IV, 1129, 1122

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ١٤١ وكذلك راجع J. E. A., 10, p. 120

قد أخذت تفقد أهميتها تماما ثم خطت خطوات سريعة نحو تهدئة الأحوال فى البلاد حتى أن حصن «كوبان» قد قام بما كان يؤديه كل من الحصنين من حراسة . والظاهر أنه كانت قد أسست مستعمرة كبيرة مكشوفة على الشاطىء الغربى الخصيب غير المحصن قبالة «كوبان» فى «الدكة» ؛ وعلى أية حال ليس لدينا ما يدل عليها إلا الجبانة التى وجدت هناك[1] والمعبد الموجود فى هذه البقعة تاريخه متأخر جدا عن العصر الذى نحن بصدده ، غير أن تأسيسه قد يرجع إلى الدولة الحديثة .

وقد برهنت الحفائر التى قام بها «أمرى — كروان» على أن حصن «كوبان» كان مستعملا فى عهد الدولة الحديثة . وعصر البناء الأول فيه (D) يحتمل أنه كان فى عهد «سيتى الأول» وكذلك نجد أن «رعمسيس العاشر» قد أقام معبدا هناك (F) . وكذلك أنشئت هنا بالقرب من الحصن مباشرة فى عهد الدولة الحديثة بعد تهدئة الأحوال فى البلاد مدينة مفتوحة . وقد وجدت نواة الحصن فى مكانها وقد استعملت بمثابة خزانة[2] ، وكذلك نجد هذا التطور فى «عنيبة» فنشاهد أولا أن حصن الدولة الوسطى قد تطور بناؤه الى مدينة كبيرة محصنة كما أقيمت كذلك مدينة أمامية خارج الحصون[3] .

وفى «فرص» نجد أن مبانى الدولة الحديثة ليست ملاصقة لمبانى الحصن القديم ، فلم تكن كما يظن الأستاذ «جريفث» على فرع النيل بل بعيداً عنه شرقاً عند فرع النيل الرئيسى ، وقد أقام هنا «حتشبسوت» و «تحتمس الثالث» و «توت عنخ آمون» ويحتمل كذلك «رعمسيس الثانى» معابد ، غير أن المؤسسة المثبتة التى أقيمت فى عهد الدولة الحديثة فى «فرص» قد وصل إلينا معلومات عنها من النقوش التى تركها لنا «سوى» فى مقبرته التى يرجع تاريخها إلى عهد «توت عنخ آمون» .

---

(١) راجع Firth, II, p. 141 f

(٢) راجع L. D., I, III; L. D., V, 69; Firth, III, 238.

(٣) راجع Anthe, II, p. 17 ff

والحصن الذى كان موقعه فى الأصل معبد « ثوت عنخ آمون » ليس له وجود الآن[١] .

ولا نعرف عن تاريخ « سمرة » شيئاً على وجه التأكيد ، ولكن المقابر والنقوش التى وجدت هناك تدل على أن هذا المكان كان معموراً فى عهد الدولة الحديثة[٢] .

وتدل الحفائر التى قام بها « ماك أيفر » على أن « بهين » كانت كذلك مدينة مزدهرة فى عهد الدولة الحديثة ، وهنا نجد كذلك أن موضع الحصن الذى من عهد الدولة الوسطى قد وسع وكذلك ضوعفت أسواره[٣] ، ومن المحتمل أنه قد أقيم حصن جديد على جزيرة[٤] .

ومن جهة أخرى نجد أن حصون الشلال القديمة أصبحت منذ باكورة الدولة الحديثة لا قيمة لها حربياً ، وذلك بعد تقدم « تحتمس الأول » فى الفتح حتى « أرقو » على أقل تقدير ، وعلى ذلك نجد أن حصن «شالفك» على ما يظهر لم يكن مستعملا إلا فى عهد الدولة الوسطى[٥] .

وكان يقام فى بعض هذه الحصون مثل « ورنرتى » و « سمنة » و « قمة » فى عهد الدولة الحديثة معابد لإقامة الشعائر الدينية بما يلزمها من الكهنة والخدم الذين كانوا يقيمون فيها ، ومن المحتمل أن البيت الذى يقع فى الجزء الجنوبى من جزيرة « ورنرتى » وهو الذى قد أقيم خارج التحصينات ينسب إلى عهد الدولة الحديثة . ويلحظ أن « سمنة » كانت على ما يظهر دائماً مستعملة حصناً ، على الرغم من أن جدرانها الخارجية لم تكبر أو أعيد بناؤها ، فى حين نجد أن حصن « قمة » على ما يظهر كان يسكنه موظفو المعبد الذى أقيم هناك لعبادة الإلهين « ختوم »

---

(١) راجع L.A.A.A., 8, 83 ff; Davies P. pl. XIV f

(٢) راجع L. A. A. A., 8, 97 ff

(٣) راجع Buhen, p. 6, 119 ff

(٤) راجع Buhen, p. 7

(٥) راجع Bull- Bostom, M. F. A., 29, 70

و « سنوسرت الثالث » ، وتدل ظواهر الأحوال على أنه لم يكن له فائدة حربية عظيمة .

والواقع أن الأعمال الحربية بعد نقل الحدود إلى الجنوب قد جعلت مستلزمات الدفاع تنتقل إلى حصون أخرى أقيمت فى البلاد التى فتحت جديداً على ما يظن منذ « تحتمس الأول » . وهذه الحصون لم تكن مهمتها الدفاع ضد أهالى الجنوب وحسب ، وذلك لأن الأرض التى تقع بين « وادى حلفا » و « كرمة » كانت مهددة بوجه خاص من الغرب من جهة واحة « سليمة » ، وعلى ذلك نجد أن معظم أماكن الحصون تقع هنا على الشاطئ الغربى[١] . ولم تكن وظيفة هذه الحصون قاصرة على الدفاع بل كانت على ما يظن معدة لتكون مكان هجوم على أهالى الصحراء المغيرين أو لتهدئة قبائل البدو ، وبذلك فقط كان يمكن تتبع العدو والقضاء عليه فى عقر داره ، وفضلا عن ذلك كانت هذه الحصون تعتبر عائقاً أمام قبائل البدو ، ومانعة من أن يثبت العدو قدمه فى أى مكان ، حتى لا تقطع المواصلات بالجزء الجنوبى من بلاد كوش .

فنعرف من بين الأماكن المحصنة فى هذه الرقعة خلافا لجزيرة « ساى » حتى الآن « العمارة غرب[٢] » و « سدنجا[٣] » و « سسبى[٤] » و « صلب[٥] » ولم يكشف عن الحصن الأخير ، وتحصيناته على ذلك ليست معروفة على وجه التأكيد . ونعلم أن هذا المكان كان محصنا مما جاء من ذكر اسم الحصن الذى يدعى « خع مماعت » فى نقوش المعبد القائم هناك ، وكذلك من بقايا الآثار التى عثر عليها فى جبل « برقل[٦] » .

(١) راجع Reisner, Kerma II, 545 f

(٢) راجع J. E. A., Vol. 24, 154 ff; 25, 139 ff, 34,1 ; comp. L. D., V. 235 f

(٣) راجع L. D., V 228 ff ; A. J. S. L., 1908, p. 96 f

(٤) راجع J. E. A., 23, p. 145 ff; 24, 151 ff; comp. L. D., V, 243 f; A. J. S. L, (1908), 51 f.

(٥) راجع L. D., V, 231 ff, A. T. S. 4. (1908), 83 f

(٦) راجع L. R., II, 314

ونستخلص أهمية « صلب » هذه من المنظر الذى نشاهده فى مقبرة « حوى » وقد كان أمير « خع مماعت » أى حاكم « صلب » وكان ممثلا واقفا بجانب وكيل بلاد « واوات » ووكيل بلاد « كوش » لاستقبال نائب الملك فى « فرعون »(١)؛ وكذلك كانت تعد « سدنجا » بموقعها الاستراتيجى من الأماكن الهامة وكانت تسمى حصن « تى »(٢).

وفى الجنوب على مسافة كبيرة تقع بلدة « كاوا » وهى التى على ما يظن قد أسسها « أمنحتب الثالث » وهى المدينة المعروفة باسم « جمأتون »(٣) وقد قامت حفائر عظيمة هنا وظهرت نتائجها وسنتحدث عنها فيما بعد عند الكلام على الملك « تهرقا »؛ وأخيراً تقع فى نهاية الحدود الجنوبية عند جبل « برقل » المقدس مدينة « نباتا » المحصنة والمدينة نفسها بما فيها من حصون لم يعثر عليها بعد، بل كل ما كشف عنه هو المعبد ويرجع أقدم ما كشف فيه إلى عهد « تحتمس الثالث » أو « الرابع »(٤)، ومع ذلك نعلم من النقوش أن « نباتا » كانت مدينة محصنة فقد صلب « أمنحتب الثانى » عدوا أسيويا على قمة جدران « نباتا »(٥) وكذلك نجد فى صيغة الإهداء فى لوحة جبل « برقل » التى من عهد « تحتمس الثالث » — التى عملت على حسب النموذج القديم — اسم الحصن وهو حصن « سما خاستيو » (موت الأراضى الأجنبية)(٦). ويمكن الإنسان معرفة أهميتها الاستراتيجية من الفقرة التالية (سطر ٣٩) : « إن الخوف من جلالتى قد بلغ حتى الأراضى الجنوبية . ولم توجد أية طريق تعترضنى وأنه (آمون) قد أخضع لى كل الأرض » . وكانت « نباتا » سدا للدولة

---

(١) راجع Davies, The Tomb of Huy, Pl. 14

(٢) راجع A. J. S. L., (1908), p. 98

(٣) راجع J. E. A., 22, p. 199 *ff*

(٤) راجع A. Z., 66, 76 *ff*

(٥) راجع Ibid, 156

(٦) راجع A.Z., 69, p. 26

ضد الجنوب ، ومن أجل ذلك قامت بالدور الذى كان يقوم به حصن « سمنة » فى عهد الدولة الوسطى عند ما كانت حدود مصر لا تتجاوز الشلال الثانى ، يضاف إلى ذلك أن موقعها كان أكثر ملاءمة من موقع حصن « سمنة » . ويوجد (فضلا عما ذكرنا من أماكن محصنة) مدن ومعابد فى بلاد النوبة فنجد مذكوراً على لوحة « سمنة » التى من عهد « أمنحتب الثالث » حصن « ثاراى » الذى لم يعرف موقعه بعد[1] . وفى عهد « تحتمس الرابع » نعرف اسم قائد حصن فى أرض « واوات » اسمه « نبى »[2] ، وكذلك فى منشور « نورى » الذى سنه « سيتى الأول » نجد قراراً خاصا بالأسطول الذى أتى من بلاد كوش بالجزية لأجل معبد « العرابة » جاء فيه : « وفضلا عن ذلك قرر جلالته سنّ قوانين لأسطول جزية بلاد كوش التابع لبيت « من ماعت رع » لمنع أى مشرف حصن يكون على حصن « سيتى مرنبتاح » الذى فى « تخمت » (مكان غير معروف موقعه) أن يستولى على ذهب أو جلود أو أى نوع من جزية حصن الخ » . وأخيراً ذكر لنا « رعمسيس الثالث » فى معبده بمدينة «هابو» أنه بنى حصونا فى مصر وبلاد النوبة وآسيا[3] . والواقع أن هذا الملك لم يترك لنا أى بناء معروف على وجه التأكيد فى بلاد النوبة . وقد ذكر فى ورقة « هاريس » الأولى[4] أن « رعمسيس الثالث » قد أقام معبدا لآمون فى بلاد النوبة .

ومن ثم نرى أنه فى حالات كثيرة نعرف المعابد التى أقيمت — كما هى الحالة فى «نباتا» — فى حين أن الأماكن التابعة لها هذه المعابد قد اختفت أو لم يكشف عنها بعد . ويمكن أن نحكم — حسب ما نشاهده فى مصر — أن المعابد الكبيرة كانت فى غالب الأحيان محاطة بجدران عظيمة (مثال ذلك معبد مدينة « هابو ») ، ولم تكن هذه الجدران تقام لمجرد الزينة بل كانت تقام للمحافظة على كنوز المعبد وثروته

(١) راجع S.O.S., 159

(٢) راجع J.E.A., 13, p. 208

(٣) راجع Chicago Oriental Instit., Medinet Habu III, Pl. 138 L 40

(٤) راجع ص ٨ سطر ٣ من مصر القديمة الجزء السابع .

من النهب والسلب وبخاصة فى عهد التدهور الذى حدث فيه تعدى الأهلين وقيام ثورات من جانب العمال للحصول على حقوقهم بالقوة ؛ ومثل هذه الحالة نشاهدها فى عاصمة البلاد « طيبة »[1] . ولم تكن الحالة أحسن فى أى مكان آخر فى مصر فى تلك الفترة . وإذا كانت الحالة قد بلغت إلى هذا الحد فى مصر فإلى أى حد كانت قد وصلت فى بلاد النوبة ؟ ! إن معابد النوبة التى كانت تقام فى أماكن يسكنها أجانب وحيث كانت تشب من وقت لآخر الثورات كان يوجد هناك من الأسباب القوية مايحمل على إقامة الأسوار المتينة حولها . وعلى ذلك كانت بلا شك مؤسسات المعابد التى لها أهمية اقتصادية إما أن تحاط بجدار خاص لحمايتها أو تقام فى وسط مدينة محصنة ، وينبغى أن نعد من هذا الطراز معبد « عمدا » . حقاً لم يبق إلا المعبد فى هذه الجهة ، ولكن يلحظ أن جوانبه الخارجية ليست مزينة[2] فيظهر أنه قد بنيت حولها حجرات للمؤن وهى التى من جهتها كانت محمية بسور خارجى . ومن المحتمل أنه كانت توجد حول المعبد بلدة تسمى « خرب نب » يحميها الإله « سنوسرت الثالث » الذى كان مقدساً هناك[3] ، ويعزو « جوتييه » هذا الاسم إلى عهد الأسرة الثانية عشرة (وفى هذا بالتأكيد شك كبير) . والبقعة التى حول « عمدا » كانت منذ أقدم العهود مركزاً آهلا بالسكان كما تدل على ذلك المقابر العدة التى يرجع عهدها إلى عهد الأسر المبكرة حتى عهد الدولة الحديثة كما يدل على ذلك القرى النوبية فى الريقة ، والأخيرة يرجع تأريخ سكناها على الأقل إلى عهد « تحتمس الثالث » . والظاهر أنها قد حولت فى عهد الدولة الحديثة إلى مزرعة مفتوحة[4] . ومعبد « عمدا » الحالى قد بدئ بناؤه فى عهد « تحتمس الثالث » ، وتم بناؤه فى عهد كل من « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الرابع » ، وقد بقى مستعملا على أقل تقدير حتى عهد

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٣٢٠ و Kees, Kulturgesch, p. 169

(٢) راجع Gauthier, Amada, 191

(٣) راجع Gauthier, Ibid, XIX, XXVI & 154 ; L. D, III, p. 69

(٤) راجع Save, Ibid, p. 131

الرعامسة كما تدل على ذلك النقوش التي نقشت فيه فيما بعد .

وكانت المعابد التي في هذه الأماكن المحصنة أي معابد المدن وغالباً ماتكون مقامة بالقرب من أراض خصبة ومراكز آهلة بالسكان ، تلعب دوراً جدياً بوصفها مركزاً للحياة الاقتصادية للاقليم ، ويصعب أن نحكم إلى أى حد كان ينطبق ذلك على المعابد المنحوتة في الصخر وبخاصة أنه في عهد «رعمسيس الثاني» قد أقيمت معابد من هذا الطراز (مثال ذلك معابد «بيت الوالى» و «جرف حسين» و «السبوع» و « الدر » وكذلك المعبدان اللذان في « أبو سمبل ») . وفضلا عن ذلك أقيم في عهد هذا الملك معبد صغير في « اكشه » ومن المحتمل في « فرص » . ويعتبر النشاط المعماري الذي قام في عصره رمزا لازدهار اقتصادي في ذلك العهد [1] .

على أن ذلك يعد مناقضاً بصورة غريبة بالنسبة للعدد الصغير من المقابر التي وجدت حتى الآن في هذه الجهة وهي المقابر التي قد أرخت على وجه التأكيد بعصر الرعامسة . ومن أجل ذلك سلم الأثرى « فرث » [2] أن بلاد النوبة كادت في ذلك الوقت تكون غير مسكونة ، وكانت الزراعة تكاد تكون معدومة لسبب عدم وجود سبل الري . وعلى ذلك فإن هذه المعابد قد أقيمت رمزا لصلاح الفرعون وعظمته . ومن المحتمل أنها كانت تعد بمثابة محاط للتجارة في الجزء الجنوبي من السودان [3] ولكن هذا الرأى يحتاج إلى تصحيح كما سنرى بعد .

وقد كان اختيار المكان لهذه المعابد الصخرية بطبيعة الحال على حسب المساحة المطلوبة ففى الغالب يكون المعبد في أصله امتداداً لكوة يحفرها الإنسان في الصخر تكون بمثابة نواة صالحة لذلك (مثال ذلك معبد قصر « ابريم ») . وعلى وجه عام كان المعبد يقع بجوار مدينة أو مكان آهل بالسكان . فقد ذكر لنا أحد النقوش في

(١) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt; II, 1, p. 495 f

(٢) راجع Firth III, 38; comp. Aniba, I, 11

(٣) راجع Firth, II, p. 21

مقبرة « بلنوت » فى « عنيبة »[١] اسم مكان فى معبد « الدر »[٢] ، وعلى مسافة مائة متر من هذا المعبد تقع جبانة من عهد الدولة الحديثة ، وتشمل كذلك مقبرة محفورة فى الصخر من عهد الأسرة التاسعة عشرة[٣] . وفى « بيت الوالى » نجد مدينة وبجوارها معبد منحوت فى الصخر من عصر واحد ، ولكن لم تصلنا عن ذلك معلومات أكيدة ، وبالقرب من معبد « بيت الوالى » نجد معبد « كلبشة » الذى يحتمل أنه قد أسس فى عهد « أمنحتب الثانى »[٤] . ولكن من المحتمل جداً مع ذلك أن بلدة « تاليس » الواقعة فى هذه البقعة لا تمثل مؤسسة جديدة فى زمن متأخر بل قد ترجع إلى عهد الدولة الحديثة ، أما « جرف حسين » فيقع فى مركز آهل بالسكان[٥] وهو يشمل كذلك « أبو سمبل » ، فمن الجائز أن المكان المذكور هناك باسم « امن — هرى — اب » وخصص بعلامة البلد ، إما أن يكون من سلسلة الحصون القريبة من هناك وإما أن يدل على وجود مدينة محصنة . وقد وجدت جبانة هناك يظهر أن كهنة معبد الرعامسة قد أسسوها بالقرب منه[٦] . وكذلك فى معبد « وادى السبوع » نجد مقابر من عهد الدولة الحديثة أمكن أن تؤرخ واحدة منها أو أكثر بعصر الرعامسة[٧] .

ومع ذلك فمن الصعب جداً أن نصل من عدد المقابر التى حفظت لنا بوجه الصدفة إلى النتائج النهائية عن طبقات السكان ، إلا إذا فحص وادى النيل من « أسوان » حتى بعد « فرص » فحصا أساسيا . ففى « فرص » حيث يوجد مكان من عهد الدولة الحديثة على وجه التأكيد ، لم يعثر فيه إلا على عدد ضئيل جداً

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٢٧٤

(٢) راجع L.D., III, 229 c; Aniba II, Taf. 101. L, 1 *f*; Br., A. R, IV, § 479

(٣) راجع Emery-Kirwan, Cemy, 184, p. 209

(٤) راجع Gauthier, La Temple de Kalabescheb, p. 218

(٥) راجع Firth, I. 79

(٦) راجع Emery-Kirwan, Cem., 217, p. 478

(٧) راجع Emery-Kirwau, Cem., 150 & 152, p. 70 *f*, 103 *f*, 521

من المقابر خاص بالدولة الحديثة[1] . وفى الغالب يكون من الصعب جداً أن يصل الإنسان من البقايا التى على السطح العلوى من الأرض إلى المكان الذى توجد فيه المقابر[2] ويستحق الحفر فيه . وفضلا عن ذلك توجد جبانات عديدة من عهد الدولة الحديثة فى بلاد النوبة ، وهذه إما أن تكون منهوبة تماما أو فقيرة فى محتوياتها التى يمكن أن تؤرخ بها حتى أنه قد يصبح من المستحيل أن نعرف النسبة المئوية من القبور التى فيها من عهد الرعامسة على وجه التأكيد . وعلى أية حال نجد أن الجبانات المجاورة للمراكز الكبيرة وهى « كوبان » و « عنيبة » و « بهين » يصل تاريخها إلى عهد الرعامسة ، وفضلا عن ذلك نجد مقابر من هذا العهد فى « الشلال » وفى معبد « دبود » وفى « بوجاع » و « جرف حسين » و « كشتمنة » وعلى مسافة كيلو متر ونصف من معبد « عمدا » وفى « توماس » وكذلك بين « مصمص » و « توشكى » . فمثلا تقع فى « البقع » و « دبود » المقابر على حافة الجبل وهذه مغطاة برمل نقله الهواء . وكذلك توجد مساحات شاسعة أخرى وبخاصة المغطاه منها بالرمال فى بلاد النوبة لم يجر فيها البحث تقريبا ، ففى « وادى السبوع » على ما يظهر عدد من المقابر أكثر مما كشفه « أمرى — كروان » لم يحفر بعد ، وعلى ذلك فمن الجائز كذلك أنه توجد مقابر كثيرة من عهد الرعامسة فى حافة الجبل وفى النصف الأعلى من خزان « أسوان » الذى غطته المياه لم يكشف عنه حتى الآن . وتبرهن لنا المادة المحفوظة لدينا على أن بلاد النوبة السفلى لم تكن بأية حال من الأحوال أرضا صحراوية كما سلم بذلك « فرث » من جانبه ، فى حين أنه خلافا لذلك قد ذكرت أماكن ومقاطعات خصبة فى بلاد النوبة السفلى فى نقش من « القرنة » من عهد « رعمسيس الثانى »[3] .

والدليل على أن الزراعة لم تنقطع فى بلاد النوبة السفلى ما تحدثنا به النقوش هناك فقد عدد لنا « بننوت » فى قبره الموجود فى « عنيبة » أبعاد الأراضى التى أوقفت

---

(١) راجع L.A.A.A., 8, 84

(٢) راجع Woolley, Digging up in the Past, Pelican Book, p. 27

(٣) Piehl, Inscriptions Hierog., I, p. 145 A

هناك على عبادة تمثال الفرعون « رعمسيس السادس »[1] وهذا المتن يدل على وجود أرض مزروعة بالقرب من « عنيبة » وقد جاء ذكر « الدر » في هذه النقوش ولابد أن الأرض المقصودة هنا هي قطعة الأرض الواقعة في بقعة « عنيبة » والواقع أنه لا توجد هنا أرض زراعية خصبة مثمرة أخرى يمكن أن يكون دخلها مخصصاً لعبادة « رعمسيس السادس » .

ولم يقتصر المتن على ذكر حقول بل كذلك ذكر حقول كتان ويحتمل كذلك حدائق[2] . يضاف إلى ذلك نقشان من عهد « رعمسيس الثانى » وجدا بين معبدى « أبو سمبل » وهما خاصان بوقف أرض لمعبد خاص « بفرص » فى هذه الحالة[3] ، وبجانب ذلك ذكر حقلان واحد منهما خاص بالملك والثانى ملك أفراد من الشعب ، وقد لاحظ هنا « جوتييه » أنه لدينا أراض زراعية خصبة فى بلاد النوبة السفلى أكثر مما كان يظن . والواقع أنه فى عهد « تحتمس الثالث » كانت الحبوب ترسل من بلاد النوبة إلى مصر كما سنرى بعد[4] . ومما يبرهن لنا على أن كل بلاد النوبة فى عهد الرعامسة كانت بلادا غنية نسبياً وأن الزراعة كانت تلعب دوراً هاماً ما جاء فى منشور « نورى » حيث نجد فيه فقرة (سطر ٣٩) وهى : « إن مستخدمى المعابد التى فى كوش قد حسبوا كما يأتى[5] : فالرجال والسيدات وحراس الحقول والرسل ومربو النحل وعمال الحقول وبستانيو الكروم والبستانى والنواتى (؟) . . . وتجارو البلاد الأجنبية (؟) وعمال مناجم الذهب والموانى . وكذلك ذكر فى قرار العقوبات : « إن خارق القانون يجب أن يصبح عاملا فى الحقل للمعبد وتصبح أسرته عبيداً للمعبد » .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٢٧٤

(٢) راجع Holscher, Libyer und Agypter, p. 21 *f*

(٣) A.S., 36, p. 49 *ff*

(٤) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt., II, I, p 530

(٥) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٨٩

ولدينا من العصر المتأخر رسالة لكاهن الإله « خنسو » فى « طيبة » أرسلت لمزارعه النوبى ، ومع حاملها معلومات عن حالة الأرض[1] ، وإذا كان هذا المزارع يسكن فى مصر كانت هذه الرسالة دليلا هاماً على استعمال عمـال أجانب فى المزارع المصرية ، أما إذا كان المزارع (وهذا هو الرأى الأكثر احتمالا) ساكناً فى بلاد النوبة فإنه يكون لدينا برهان لا يقل أهمية على استمرار الأحوال كما كانت فى عهد الرعامسة وذلك فى وقت لم يبق لنا فيه أى قبر محفوظ ، هذا بالإضافة إلى أن كل المصادر الأخرى عن بلاد النوبة قد لزمت الصمت التام عن هذا الموضوع .

آلهة بلاد النوبة

وقد تناول الأستاذ « كيس » الحديث عن الآلهة الذين كانوا يعبدون فى معابد بلاد النوبة وذلك من منظر صغير ، غير أنه غاية فى الأهمية[2] . وثالوث الآلهة المعروف الذى كان يعبد فى جهة الشلال الأول وهم « خنوم » و « ساتت » و « عنقت » — ويحتمل أن الآلهتين من أصل نوبى — يصادفنا فى عهد الدولة الحديثة فى مناظر الشلال الثانى فى « بهين » . فنجد أن « ساتت » و « عنقت » تقومان بدورهما الهـام هنا باسم سيدتى « الفنتين » الجنوبية[3] ، وكذلك نجدهما بنفس اللقب فى معبد « فرص »[4] ، وممـا تطيب الإشارة إليه أن ثالوث الشلال كان يعبد فى جبل « دوشة » حيث نجد صخوراً منحدرة تظهر فى النيل[5] ، وكذلك نجد هذا الثالوث يظهر فى معابد بلاد النوبة فنجد الإله « خنوم » فى « جرف حسين » و « الدر » و « أبو سمبل »

---

(١) راجع A.Z., 53, p. 107 *ff*; Rec. Trav., 39, p. 230

(٢) راجع Kees, Kulturgesch., p. 349 *f*

(٣) راجع Buhen, p. 41, 55, 61, 66, 71, 73 ; (Sates), 54, 67 (Anukis)

(٤) راجع L.A.A.A., 8, 9 u

(٥) راجع L.D., Texte V, p. 230

و « صلب » ، غير أنه لا يظهر بوصفه الإله الرئيسى كما هى الحال فى « قمة »[١] ، وكذلك كانت الآلهة الرئيسية فى المعابد النوبية هى آلهة الدولة فى مصر فكان « آمون رع » مثلا فى « نباتا » هو الإله الرئيسى وكذلك فى « أبو سمبل » كان « آمون رع » يسمى سيد عرش الأرضين والذى يسكن الجبل المقدس فى « نباتا » والإله العظيم سيد السماوات . ونجد الآلهة الذين كانوا يسمون باسم « حور » فى « واوات » يلعبون دوراً هاماً فى بلاد النوبة السفلى . فقد كان الإله « ددون » منذ عصر الأهرام يظهر بمثابة سيد « تاستى »[٢] ، وفى عهد الدولة الحديثة كان يعبد بجوار « سنوسرت الثالث » بوصفه إله « سمنة » الرئيسى وهو بالنسبة لأقدم كتابة ، وعلى الرغم من رسمه دائماً فى صورة إنسان برأس حيوان ، كان إله صقر قديم ، وعلى ذلك فمن الجائز أن كل الآلهة المختلفين الذين كانوا يرسمون فى شكل صقور قد اشتقوا منه[٣] ، ومن المحتمل أن ذلك قد حدث لتتساوى مكانته بالإله « حور » . فالإله « حور » رب « تاستى » مثلا يمكن أن تميزه على ذلك من الآلهة « حور » أرباب « تاستى »[٤] ، وأهم هؤلاء الآلهة المسمين باسم « حور » هم « حور » سيد « بهين » و « حور » سيد « معام » و « حور » سيد « باكى » ، ونجد أنهم خلافاً للأماكن الرئيسية التى كانوا يعبدون فيها وهى « بهين » و « معام » و « عنيبة » و « باكى » (كوبان) كانوا يقدسون فى كل معابد بلاد النوبة السفلى » بل نصادف عبادتهم كذلك فى السودان[٥] . وفضلا عن ذلك ظهر « حور » آخر يدعى « حور » اسيد « محا »[٦] وفى « أبو سمبل » وفى معبد « حور محب » المنحوت فى

(١) راجع Gerf Husein, L.D., V, 56; L. D., III, 178 a; Blackmann, Derr, Pl. 8, 50; Abu Simbel, L. D. III, 183 b; Soleb, A.J.S.L.(1908), 95. Kummel p. 134 note 4

(٢) راجع Hury Pl. 38

(٣) راجع Kees, Ibid., comp. Kultlegende und Urgesbhichichtel (nachr. Wiss Gottingen phil. hist. Kl. 1930, Nr. 3) p. 351 f.

(٤) راجع Urk., IV, p. 574

(٥) راجع Save, p, 202 note 3

(٦) راجع Abahuda, L. D., V, 177

الصخر فى « أبا هودا » وفى النقوش الصخرية فى « جبل الشمس » وكلاهما بجوار « أبو سمبل »[1] وكذلك فى معبد « وادى السبوع »[2] . وأهم معبد لعبادة الصقر يوجد فى « أبو سمبل » حيث نشاهد لوحة خارج المعبد الكبير ذكر عليها أن معبده لملايين السنين فى جبل « مجا » قد حفر له[3] . وفى معبد « أبو سمبل » الصغير تقدس الآلهة « حتحور » سيدة « أبشك » وقد أهدى لها معبد منحوت فى الصخر فى « فرص » ومن أجل ذلك قد وحد الأثرى « جرفث » بلدة « فرص » ببلدة « أبشك » وهو بلا نزاع رأى لا يعتد به[4] . ومن جهة أخرى نجد أن الأثرى « كيس » قال إن « أبشك » هو اسم « أبو سمبل »[5] .

ومما يطيب ذكره هنا أن عبادة الحاكم أو الفرعون كانت تلعب دوراً عظيما ، وكانت هذه العبادة مباشرة خلافاً لما كان فى مصر إذ كانت عبادة الآلهة مرتبطة بالأحوال السياسية . فعندما قدس « تحتمس الثالث » الملك « سنوسرت الثالث » — وهو الملك الذى عمل أكثر ما يمكن عمله لمصر — بوصفه الإله الخاص لبلاد النوبة دل ذلك على منهاج سياسى كما هى الحال غالباً فى بناء ديانة الدولة . ومن المحتمل أن هذا العمل لم يكن تجديداً من جانب « تحتمس الثالث » بل كان إحياءً للماضى ، وذلك لأنه قد وجدت طوابع أختام فى « ورنرتى » باسم « سنوسرت الثالث » من بعد عهد الأسرة الثانية عشرة ، ومن أجل ذلك يعتقد « ريزنر » أن « تحتمس الثالث » لم يأت بجديد بل أحيا الماضى[6] . وبهذه الوجهة يمكن أن نفسر بوضوح أن « سمنة » و « ورنرتى » كانتا من الأماكن الهامة لعبادة هذا الإله .

---

(١) راجع Weigall, Report, p. 142; J. E. A. 6, p. 36 f.
(٢) راجع Gauthier, Ouadi Es. Sabua, p. 30
(٣) راجع Champ, Mon. I, X, 2
(٤) راجع L.A.A.A., 8, p. 88
(٥) راجع Kees, Kultur., p. 350
(٦) راجع Sudan Notes and Records, 14, p. 10

وسنذكر هنا على سبيل المثال صيغة لوحة الحدود للملك « سنوسرت الثالث » حيث يقول هذا الملك : « . . . لقد أقمت صورة لى عند الحدود وهى التى عملتها أنا وجعلتها تقام وعلى ذلك ينبغى أن تخدمها أبديا وتحارب من أجلها » . فهذه العبادة للمصرى فى بلاد النوبة كانت على صورة ما بمثابة عهد على أن يناصر دائما الحكومة الرئيسية كما كانت للسكان بمثابة تحذير وتهديد . وقد بقيت هذه العبادة ما بقيت الأوقاف الخاصة بها » ولكن عندما توطدت العلاقات بين البلدين أخذت عبادة هذا الملك تنسى ، فنجد صورة فى « توشكى » تمثل رجلا يظهر أنه نوبى ممثل فى هيئة صياد وهو يتعبد أمام الآلهة « رشب » و « حور » صاحب « معام » و « سنوسرت الثالث » ويقدم لهم قربانا .

وخلافا « لسمنة » نصادف « سنوسرت الثالث » بوصفه إلها فى « عمدا » و « الليسيه » و « جبل الشمس » و « بهين » و « جبل دوشة » [1] .

وكذلك نجد « تحتمس الثالث » نفسه كان يقدس فى بلاد النوبة كما كانت الحال فى مصر [2] . وقد ظهر فى « سرة » بوصفه الآله العظيم القاطن فى « تحخت » [3] .

وقد خطا « أمنحتب الثالث » خطوة إلى الأمام فقد أسس فى « صلب » عبادة لصورته الحية على الأرض « نب ماعت رع » [4] ،وقد أقام لزوجته المؤلهة معبداً فى « سدنجا » [5] . على أن عبادة « أمنحتب الثالث » لم تكن مقتصرة كلية على بلاد النوبة بل كان كذلك يعبد فى مصر وبخاصة فى « طيبة » . وقد أهدى معبداً لصورته الحية فى مصر [6] . وفى حين نجد أن « أمنحتب الثالث » كان يقدس فى مصر بلقبه

(1) راجع L.D., III, 47 a ; Buhen, p. 41
(2) راجع Murray, Saqqara Mastaba, 1, Loab, Gnrab p. *f* Pl. 15 *f*
(3) راجع L.A.A.A., 8 p. 100
(4) راجع L.D., III, p. 85 a ; comp. Ed. Meyer, Gesch. Alt., 2, II. 1, p. 429
(5) راجع L.D. III, 82 e-h
(6) راجع Varille, A.S., 34, 99, Chronique d'Egypte 10, 322*f*

« حاكم الحكام » بوصفه إلهاً نجده فى معبد « صلب » يلقب « نب ماعت رع » سيد « تاستى » القاطن فى حصن « خع ممـاعت » أى أنه كان قد اتخذ صبغة عالمية فى عبادته ، فلم يكن إلهاً محلياً كالآلهة الأخرى بل كان أكثر من ذلك يعد إلهاً حامياً لكل بلاد النوبة . وقد ظهر فى المدينة التى أسسها لنفسه لهذا الغرض أى « صلب » ، ولا نعلم إذا كان الغرض الذى كان يرمى إليه هذا الملك بعمله هذا هو أن يقوى من سلطانه السياسى فى بلاد النوبة أو كان الغرض حب الظهور الذى كان يبحث وراءه « أمنحتب الثالث » ، وذلك لأن عبادة الملوك لم تكن مقصورة عليه فى بلاد النوبة ، هذا ولم يقف أثر « أمنحتب الثالث » فى هذا الاتجاه الكثيرون من أخلافه . فمن هؤلاء الذين قفوه « توت عنخ آمون » الذى على ما يظهر أله نفسه مدة حياته فى « فرص »[1] . ومن الأشخاص الذين نشاهدهم فى صور مقبرة « حوى » نائب هذا الفرعون فى « فرص » « (سحتب نترو) » الكاهن الأول للملك « نب خبرورع » « توت عنخ آمون » القاطن فى « فرص » المسمى « خعى » ، وفضلا عن ذلك نجد أن أخ « حوى » كان يعمل كاهناً ثانياً للملك «توت عنخ آمون» القاطن فى قلعة « فرص » ، هذا بالإضافة إلى كاهنين مطهرين « لتوت عنخ آمون » القاطن فى « فرص » ، وكذلك لقب « توت عنخ آمون » على قطعة حجر منقوشة من معبد « فرص » « نب خبرورع » القاطن فى « فرص » (أى معبد «فرص») ابن «رع » « توت عنخ آمون»[2] . وهذا النعت « القاطن فى » لا يستعمل إلا مع الآلهة عندما تصف مكاناً . وهؤلاء الآلهة المشار إليهم هم الذين يقدسون فى معبد بجوار الإله الرئيسى ، ولا يقع معبدهم الرئيسى فى المكان المذكور[3] .

ومما يلفت النظر هنا فى هذا الصدد أن الملك الوحيد الذى اعتنق ثانية عادة

---

(١) راجع L.A.A.A., 8, 93

(٢) راجع L.A.A.A., 8, Pl. 27

(٣) راجع W.B., III, 138

تأليه نفسه فى الأزمان التى تلت هو « رعمسيس الثانى »[1] فنجد أن هذا الفرعون لم يقتصر على أن يقيم لنفسه معابد عدة بل تعدى ذلك إلى اغتصاب آثار كثيرة من آثار أسلافه ونسبها لنفسه فنجد أنه قد ترك صوره فى معابد « السبوع » و « جرف حسين » و « أبو سمبل » و « اكشة » كما عبد هو تمثال نفسه .

وهنا نجد أن الإله هو صورته (أى صورة رعمسيس) الحية على الأرض ، وكما جاء فى « اكشة » صورته الحية فى بلاد النوبة[2]؛ وفى حين نجده فى معبد « وادى السبوع » و « جرف حسين » يسمى : « رعمسيس الثانى » فى معبد « آمون » وبذلك لم يكن الإله الرئيسى فى المعبد فإنه فى معبد « اكشه » كان هو الإله الرئيسى . وهذه العبادة لا تختلف عن العبادة فى عهد « امنحتب الثالث » بأية حال من الأحوال ، فنجد هنا كما نجد فى عهد « أمنحتب » أن الملك المؤله قد مثل كالإله « خنسو » فيكون واحداً من الثالوث الطيبى — « آمون » و « موت » و « خنسو »[3] — ولم يقتصر تأليه « رعمسيس الثانى » على بلاد النوبة بل نجده كذلك فى مصر فى المستعمرة الحربية « هربيط » حيث نجد الملك فى صورة إله الحرب « منتو » ولا نجد هنا أى فرق خاص عما وجدناه عليه فى بلاد النوبة ، غير أن هذه الصورة من العبادة كانت أقوى بكثير فى بلاد النوبة عما هى عليه فى مصر ، ولا غرابة فى ذلك فإن بلاد النوبة كانت موطناً خصباً لهذا النوع من تقديس الحكام وتأليههم .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٤٦٨

(٢) راجع Rec. Trav., 17, 193

(٣) راجع Ed. Meyer, Gesch., II, 1. 329; A.Z., 70. p. 47 *ff*

حالة بلاد النوبة الاقتصادية

فى عهد الدولة الحديثة

تنحصر المصادر التى يمكن الاعتماد عليها عن الحالة الاقتصادية بين بلاد النوبة ومصر فيما نجده مذكورا من تعداد المحاصيل الجنوبية على الآثار الحكومية والنقوش العادية من جهة ، وما نجده ممثلا من جزية وبخاصة فى مناظر المقابر الخاصة من جهة أخرى . ومما يؤسف له أن القوائم الرسمية لم تصل إلينا حتى الآن . والواقع أن النقوش التى نجدها على المبانى الحكومية لا تقدم لنا صورة حقيقية عن قوائم الجزية الفعلية ، إذ نجد مرتين فى تواريخ « تحتمس الثالث » أن الجزية لم يذكر عنها شئ هام ، وعلى ذلك لا يمكننا إلا أن نعطى فكرة عامة عن الجزية . ويلحظ عادة أن المحاصيل المختلفة كانت تدون دون ذكر عددها ، هذا فضلا عن أنها كانت ترسم دون نقش مفسر لها ، من أجل ذلك لم نستطع فى كثير من الأحوال تحديد الغرض من ذكرها . والواقع أن المناظر الخاصة بتوريد الجزية كانت تسير على نهج واحد ، وذلك أنه كانت تصور أمام الملك كومة أنيقة التنظيم من السلع ، ويقف الموظف الخاص بتقديمها أمام الفرعون ليقدم حسابه ويرى خلف الجزية المكدسة أمراء البلاد الذين كانوا يوردون هذه الجزية راكعين ، وكان هؤلاء الأمراء يميزون عن رعاياهم الذين كانوا يرتدون قمصانا قصيرة حاملين على أكتافهم منتجات بلادهم بملابسهم الثمينة وزينتهم الفاخرة . وقد جادت الصدف بطريق الاستثناء أن كتب على أحد مناظر الجزية من عهد « أمنحتب الثانى »[1] فى معبد قصر أبريم تعداد المحاصيل ، وقد وردت الكميات فى صور رجال محملين ، وهذا ما يدل عليه منطوق الصورة . وهذا الإحصاء لا يعد بحال من الأحوال إحصاء رسميا ، والمتن الخاص بذلك تصعب قراءته فى بعض نواحيه ، هذا إلى أن الأرقام بسبب تهشم

---

(١) راجع Save, Agypten und Nubien p 206 note 2; and p. 175 note 8.

النقش لم يمكن التأكد منها ، فنجد بعد ذكر اسم الملك ما يأتى : « لقد ظهر جلالته فى « طيبة » على العرش » . وهذا يدل صراحة على أن توريد الجزية وهى التى ذكرت فى المتن بكلمة « إنو » قد جاءت من البلاد الجنوبية كما كان يحدث عادة فى عاصمة الملك و يأتى بعد مديح رجال البلاط والجيش للملك القائمة التالية عن الجزية الموردة :

قائمة حاملى هذه الجزية

٢٠٠	من الرجال محملين بـ		
١٥٠	«	«	بالذهب (؟) .
٢٠٠	«	«	بمـادة حمـاجت
٢٥٠	«	«	بسن الفيل (أو ٣٤٠ر١٦٠ر٧٠ ؟) .
١٠٠٠	«	«	بالأبنوس .
٢٠٠	«	«	بكل رائحة حلوة من أرض الجنوب .
٥٠	«	«	بخشب (؟) . . (أو ٣٤ رجل) .
١٠	«	«	بفهود حية .
٢٠	«	«	بكلاب صيد .
٤٠٠	«	«	بثيران من نوع « أوا » ونوع « ونجو » .
٢٦٥٧ (؟) أو ٢٦٤٩ (؟)	مجموع الحاملين لهذه الجزية .		

هذا ولدينا نقش آخر وهو نوع ثان من القوائم الخاصة بمحاصيل الجنوب لم ينشر إلا ترجمته ، وقد وجد مكتوبا على صخرة فى « تومبوس » وأرخ بالسنة العشرين من عهد الفرعون « تحتمس الثالث » ، وقد دون فيه مقادير الجزية من الأشياء الثمينة المختلفة الأنواع من « كوش » ، ويرجع الفضل فى جمعها إلى مقدرة نائب الملك ومهارته . وهذا المتن المهشم نورده هنا على حسب نسخة الأستاذ « ريزنر » : « السنة العشرون الإله الطيب الذى يهزم المعتدى . . . (وأعد البناء) و بيت

والده ، وبذلك أعطاه القوة (؟) . . . منخبر رع . . . (قربان يقدمه الملك قربانا لآمون سيد عرش الأرضين وتاسوع الآلهة فى بلاد النوبة ؛ وعلى ذلك أعطوا الشجاعة واليقظة . . . الحياة والسلطان والصحة والفطنة ، وكذلك الحظوة عند الملك وكل شئ جميل وطاهر لروح ابن الملك ، والمشرف على البلاد الأجنبية « انبنى (؟) » . . . ممتازا لسيده والذى . . . ويملأ بيت سيده (الملك) مع . . . خنمت ، وسن الفيل والأبنوس وخشب « تيشبس » وجلود الفهود وخسيت ، وبخور « المزوى » والأشياء الطريفة من كوش وهى التى يجلبها إلى قصر رب الأرضين ، وهو الذى يدخل فيه ممدوحا ويخرج محبوبا ابن الملك « انبنى (؟) »[1] ونجد المحاصيل التى ذكرت هنا قد جاء ذكرها فى إحصاء المحاصيل العجيبة التى كانت ترد من بلاد « بنت » وكل الأعشاب الجميلة التى كانت تأتى من أرض الإله فى معبد « حتشبسوت » بالدير البحرى . فنجد هناك بعد ذكر المحاصيل العطرية خشب الأبنوس وسن الفيل النقى والذهب الأخضر من « عمو » ، « وتيشبس » و « خسيت » و « إهمت » والعطور والكحل ونوعين من القردة وكلاب صيد وجلود فهود وأناسا من أهل « بنت »[2] ؛ هذا ولدينا إحصاء قصير مشابه للسابق نقش على لوحة جنازية من عهد الأسرة التاسعة عشرة[3] وهو : « وجعل النوبيين يأتون إليه بجزية من الذهب فى . . . وخشب الأبنوس وسن الفيل وخنمت ونشمت وجلد الفهد لأجل أن تصبح الآثار التى فى معابد كل الآلهة أكثر عددا » .

وتقدم لنا كل هذه المتون بما جاء فيها من مقادير الحاصلات صورة ناقصة مبهمة عن الدور الذى كانت تقوم به بلاد النوبة فى الحياة المصرية الاقتصادية . ولا يمكننا أن نذكر هنا على وجه التأكيد ازدياد الأهمية الاقتصادية وبخاصة إذا فهمنا أن الحالة السياسية كانت قد توطدت وظهر مفعول النظام الإدارى الجديد بوضوح .

---

(١) راجع Save, Ibid, p. 207-208

(٢) راجع Urk., IV, 329

(٣) راجع Kairo, W.b., Nr. 375 (أى نقل هذا المصدر عن بطاقات قاموس برلين)

الذهب : وكان الذهب هو أهم محصول فى بلاد النوبة كما كانت الحال من قبل فى عهد الدولة الوسطى . ونجد للمرة الأولى الآن أنه قد حددت مقادير معلومة فى عهد الدولة الحديثة لكل عام كانت ترسل سنوياً لمصر جزية . فنجد فى تواريخ « تحتمس الثالث » أن هذه المقادير كانت معروفة من بعد السنة الواحدة والثلاثين من حكمه ، وعلى الرغم من أن كثيراً من متون هذه الاحصاءات قد وجد مهشما فإننا بوساطة ما بقى منها يمكننا أن نكوّن صورة عن أهمية مناجم الذهب المختلفة . وتنتظم الضرائب النوبية من الذهب قسمين : الضرائب التى كانت تجبى من « كوش » والضرائب التى كانت تجمع من « واوات » وذلك على حسب تقسيم البلاد إدارياً قسمين ، فالكمية الكبرى كانت تجبى من بلاد « واوات » وهو الإقليم الذى يقع بين الشلال الأول والثانى بما فى ذلك طرقه الصحراوية التى تشمل على مناجم للذهب غنية فى « وادى العلاق » شرقى « كوبان » والاحصاء الذى بقى لدينا من مناجم « واوات » هو :

السنة الرابعة والثلاثون = ٢٥٥٤ دبنا = ٢٣٢,٤ كيلو جراما[(١)] .
السنة الثامنة والثلاثون = ٢٨٤٤ دبنا = ٢٥٨,٨ كيلو جراما[(٢)] .
السنة الواحدة والأربعون = ٣١٤٤,٣[(٣)] دبنا = ٢٨٦,١ كيلو جراما[(٤)] .
السنة الثانية والأربعون = ٢٣٧٤,١ دبنا = ٢١٦ كيلو جراما[(٥)] .

والمحصول السنوى من بلاد « كوش » أقل بكثير من محصول بلاد « واوات » ويرجع السبب فى ذلك إلى أن مناجم الذهب كان الوصول إليها صعبا هناك ، هذا إلى أن طرق النقل إلى مصر كانت أطول ؛ ويلحظ أن كثيراً من الذهب الذى كان يستخرج من الإقليم الواقع فى الجنوب الشرقى من الشلال الثانى لم يكن يستخرجه المصرى ، بل كان يقوم بتعدينه الأهالى من النوبيين وكانوا يدفعونه

(١) راجع Urk., IV, 709
(٢) راجع Urk., IV, 721
(٣) يلحظ هنا أن الكسر الذى يأتى بعد الدبن يساوى قدت فهو هنا ثلاث قدات ، والدبن يحتوى على عشرة قدات . ووزن الدبن يساوى حوالى ٩١ جراما أو ما يساوى أكثر من ١٤٠٠ حبه .
(٤) راجع Urk., IV, 728
(٥) راجع Urk., IV, 734

جزية لمصر . والذهب الذى كان يدفع جزية لمصر على حسب ما جاء فى تواريخ « تحتمس الثالث » من إدارة بلاد « كوش » هو :

السنة الثالثة والثلاثون : ١٥٥,٢ دبنا = ١٤,١ كيلو جراماً .[١]
السنة الرابعة والثلاثون : ٣٠٠ دبنا = ٢٧,٣ كيلوا جرماً .[٢]
السنة السابعة والثلاثون : ٧٠,١ دبنا = ٦,٤ كيلو جراماً .[٣]
السنة الثامنة والثلاثون : ١٠٠ دبنا = ٩,١ كيلو جراماً .[٤]
السنة الواحدة والأربعون : ١٩٥,٢ دبنا = ١٧,٨ كيلو جراماً .[٥]

ولدينا إحصاءات أخرى عن الجزية ذات أهمية من عهد « تحتمس الثالث » فنعلم أن الإله « آمون » معبود الدولة كان يحصل على مقدار ٦١٣⅘ دبنا من الذهب أى ما يعادل حوالى ٥٥,٨ كيلو جراماً فى هيئة سبائك وحلقات هدية[٦] ، وقد أهدى مرة أخرى ٣٦٦٩٢ دبنا أى ما يساوى ٣٣٣٨,٩٦ كيلو جراماً[٧] ، وفى مرة ثالثة نجده يتسلم أكثر من ١٥٢١٠٤,١٥ دبنا = ١٣٨٤١,٥ كيلوجراماً[٨] ، ويلاحظ أن كميات الذهب الثلاث لم تأت كلها من بلاد النوبة ، وذلك لأن مناجم الذهب الواقعة شرقى « قفط » كانت كذلك تستغل ، هذا فضلا عن أنه كان يأتى من الحملات الآسيوية غنائم من الذهب ومعظمه كان فى الأصل من مصر[٩] .

ومن هذه المصادر المختلفة للذهب يظهر لنا أن الذهب النوبى كان يلعب الدور

---

(١) راجع Urk., IV, 702
(٢) راجع Urk., IV, 708
(٣) راجع Urk., IV, 715
(٤) راجع Urk , IV 720
(٥) راجع Urk., IV, 727
(٦) راجع Urk IV, p. 630
(٧) راجع Urk., IV, p 626
(٨) راجع Urk. IV, p. 630
(٩) راجع Urk., IV, 666, 686 (100 dbn), 699 (45 dbn 9/10 kdt), 705, 706 (55 6 dbn)

الأهم فى مالية البلاد . ولكن مما يؤسف له أنه ليس لدينا إحصاءات يمكننا بها أن نحدد أرقامها على وجه التأكيد ، ومع ذلك فقد قدر ذهب الجزية الذى كان يورد من رعايا الإله « آمون » فى عهد « رعمسيس الثالث » من ذهب « قفط » بحوالى ٦١,٣ دبنا فقط فى حين أن كمية الذهب التى كانت تورد من « كوش » (يعنى كل بلاد النوبة) ٢٩٠,٨ ١/٨ دبنا[1] ، يضاف إلى ذلك ٢١٧,٥ دبنا من الذهب الجميل[2] ، ولم ينعت بهذا الوصف بسبب البلاد التى أتى منها بل على ما يظن سمى بالجميل لنقاوته[3] .

ونجد خلافاً لما جاء ذكره بوجه خاص فى تواريخ « تحتمس الثالث » عن ذهب « واوات » و « كوش » أنه قد جاء فى المتون المصرية ذكر بلاد أخرى يأتى منها الذهب . وعلى الرغم من أننا لا نعرف مواقع هذه البلاد بالضبط فإن كثيراً منها يقع فى الجنوب من منطقة « وادى العلاق » و « أم بناردى » . ونجد فيما يسمى قائمة ذهب « رعمسيس الثانى »[4] المنقوشة فى معبد « الأقصر » على الجدارين اللذين يؤلفان الزاوية الجنوبية لردهة « رعمسيس الثانى » ، سلسلة من شخصيات تمثل الجبال والواحات التى أحضروا منها الذهب لهذا الفرعون . ففى حين نجد محاصيل يحملها أناس تتألف من الأحجار الكريمة والفضة ، نجد من جهة أخرى أن الذهب الذى كان يحضر من الجنوب يفوقها قيمة . ويأتى بعد الذهب الذى كان يستخرج من مجارى المياه ذكر أماكن يستخرج منها الذهب بكميات كبيرة نخص بالذكر منها « نبسوت تاوى » (أى جبل برقل) ، وهذا الجبل يوجد فيه الذهب والأحجار الكريمة ، وجبل « عمو » وجبال « كوش » وجبل « خاست » فى تاستى (بلاد النوبة) وجبل « خنت — حن — نفر » ثم نقرأ بعد ذلك ثلاثة أسماء مهشمة فى المتن : جبل « يابت نحرى حب » ؟ والجبل المقدس (زووعب) وجبل « ادفو » وجبل « قفط » ؛ وقد ذكر الجبل الأخير مرة أخرى بأنه يوجد فيه الأحجار الكريمة ، وكذلك كان يجلب

(١) راجع Erichsen pap. Harris I, 12 a 6 *ff*

(٢) راجع ما جاء فى وصف الذهب وأسمائه فى Budge, The Egyptian Sudan, II, p. 336

(٣) راجع Chassinat, Bull. Inst. Fr. I, 78 *ff*

(٤) راجع Daressy, Rec. Trav., 16, 51; 23, p. 68 *f*

من أرض الآلهة ، ثم يأتي بعد ذلك الواحات والأراضي الشمالية ، هذا ولم يأت لنا بجديد إحصاء آخر مماثل للسابق يرجع عهده إلى زمن « رعمسيس الثالث » من مدينة « هابو »[1] فقد جاء فيه سبع حقائب معها التفسير التالي : « ذهب من كوش وذهب جبل مقداره ألف دبن وذهب جبل ، وذهب من الماء مقداره ألف دبن ، وذهب من صحراء « أدفو » وذهب من « أمبوس » (كوم أمبو) وذهب من « قفط » . ويلاحظ أن هذه الأماكن ليست مرتبة ترتيباً جغرافيا ، ولا زلنا نتساءل إلى أي حد تمثل هذه المعلومات أماكن مختلفة يوجد فيها معدن الذهب . فالذهب الذي يستخرج من الماء هو نفس الذهب المائي في قائمة « الأقصر » الخاصة « برعمسيس الثاني » . والذهب الذي ذكر في قائمة « الأقصر »[2] بأنه أحضر من جبل « برقل » نجد كذلك ما يؤكده في نقوش عهد « أمنحتب الثالث » ، إذ نعلم أنه قد أحضر ذهبا في حملته الأولى من « كاراى » إلى مصر ، وكذلك ذهب « عمو » قد جاء ذكره في وثائق أخرى[3] ، وكذلك ذكر الذهب الأخضر فإنه من بلاد « عمو » في حملة « بنت » التي أرسلتها « حتشبسوت » إلى هذه البلاد ، ويشير إلى أنها بلاد في أقصى الجنوب ، ويحتمل أنها خارجة عن دائرة إدارة بلاد النوبة . ويأتي من إقليم بلاد النوبة من جهة أخرى الذهب الذي أحضره أمرا بلاد ميو و « ارم » للملكة « حتشبسوت »[4] ، وفضلا عن ذلك الذهب الذي أتى من « ميو » . وملامح أهل « الميو » تدل على تقاطيع زنجية . وذكرت في تواريخ « تحتمس الثالث » « إرم » ضمن دائرة الإدارة الكوشية[5] . أما الجبل الطاهر (زو — وعب) الذي جاء ذكره في قائمة « رعمسيس الثاني » فيجب أن نبحث عن مكانه في جهة الشمال لا في جبل « برقل » الذي ذكر من قبل . وقد جاء كذلك ذكر « الجبل الطاهر » .

---

(١) راجع Lepsuis, Die Metalle (abh. Konigl. Ak. Wiss. Berlin, 1871) p. 35

(٢) راجع Budge, The Egyptian Sudan, II, p. 336

(٣) راجع Gauth, Dic. Geog. I, 143

(٤) راجع Urk, IV, 333; Naville, The Temple of Dier el Bahari, III, Pl. 76

(٥) راجع Urk. IV, p. 708

فى « أبو سمبل » وقد وضع فى مصور « تورين »[١] الذى ذكر فيه أماكن مناجم الذهب فى جهة الحمامات ، ومن ثم نفهم أن المصرى كان يستغل هذا الإقليم الواسع الذى يمتد من « الحمامات » فى الشمال حتى السودان فى الجنوب . والواقع أن تقدير كميات الذهب بحسابنا الحديث لا يقدم لنا نسبة أكيدة . وذلك لأننا لا نعرف حتى الآن القيمة الشرائية للذهب فى هذا العهد على وجه التأكيد . وعلى أية حال يجب أن يكون محصول الذهب من هذه البلاد فوق المعتاد ، وأنه وضع مصر فى مكانة ممتازة من حيث التجارة فى العالم القديم . وكان الذهب يجلب إلى مصر غفلا أو مصنوعاً فى حلقات أو قضبان ولم نجد صناعة محلية للذهب فى مصر إلا فى النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وما نجده من الذهب مذكوراً فى عهد « تحتمس الثالث » هدايا مقدسة مثل موائد القربان والموازين والقلائد وحلى « وزا » وعقود « منيت » (الخاصة بالآلهة « حتحور ») المصنوعة من السام وهى التى كان يتسلمها جلالة الملك من الأراضى الجنوبية جزية سنوية ليست محاصيل تجارية وإنما تشير إلى ذهب الجزية الذى كانت تصنع منه هذه الأشياء[٢] .

وكانت بلاد النوبة على وجه عام تورد فى هذا العهد المواد الغفل وبخاصة تلك التى كانت ترسم بداهة فى المناظر حيث كانت توضع محاصيل الشمال والجنوب الواحدة مقابلة للأخرى فى الصورة، ففى مقبرة « امنموسى »[٣] مثلا صور أهل الشمال يحضرون الأوانى الفنية ومواد التجارة الأخرى ، فى حين كان أهل الجنوب يحضرون حلقات من الذهب وحقائب وخشب أبنوس الخ ، ونجد كذلك فى مقبرة « رخ مى رع » أن الصناعة اليدوية النوبية قد مثلت فيما يقدم من جزية فى صور بعض أوان خاصة

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٩٩

(٢) راجع Sethe, Urk. IV, p. 871

(٣) راجع Wresz., Atlas I, 285, J.E.A., 26, Pl. 23 *f*

بالمثونة هذا إلى قاعدة إناء . ونجد للمرة الأولى فى « عهد تل العمارنة » تمثيل محاصيل من صنع الأيدى تتألف منها الجزية النوبية فمن ذلك نشاهد زهريات فاخرة[1] وكراسى[2] ودروعاً وأقواساً[3] .

وأثمن ما سبق الصورة التى وجدت فى مقبرة « حوى » إذ نجد ضمن مواد الجزية كنانات وأقواساً ، ونجد فيما يقدم للملك سهاماً ودروعاً منها اثنتان موشاتان بصور بارزة وكراسى ذات ظهور ومن غير ظهور وأسرة ومساند رأس وعربة بعمود فى صورة تمثال عبد ومحفة ومائدة زينة لها قاعدة ومسند قدم ، ومروحة من ريش النعام . ويقول الأستاذ « ينكر[4] » فى هذا الصدد : « والآن بعد نتائج الحفائر التى أجريت فى « كرمة » نجد أن الحضارة هناك كانت متأثرة فى كثير من الأشياء بالحضارة المصرية ، ولكن المدنية هناك كانت فى لبها سودانية أصيلة ، ومن ثم أصبح فى مقدورنا أن نفهم بصورة أحسن بقية الثقافة النوبية . وتضع أمامنا الجزية التى صورت فى مقبرة « حوى » فكرة التبادل ، وما كانت عليه اليد العاملة النوبية من مهارة فى ذلك العهد . أما فكرة أن النوبيين لم يكونوا إلا موردين للمواد الغفل ، وأن الصناع المصريين هم الذين كانوا يصنعون الكراسى والمساند وغيرها فقد أصبحت فكرة لا قيمة لها بعد الكشف عن ثقافه « كرمة » وما وجد فيها من صناعات غاية فى الاتقان » .

وهذا الرأى الذى أدلى به « ينكر » يمكن قبوله وبخاصة بعد أن وجدنا أن المحاصيل قد صنعت بأيدى صناع نوبيين ؛ هذا إلى الأشياء التى عثر عليها فى مقابر نوبية من عهد الدولة الحديثة وبخاصة التى من صنع أهالى النوبة أنفسهم ، ولكن من جهة

---

(١) راجع El Amarna; II, 38 ; III 35 ; comp' Wresz., Atlas I, 224 ; II, 167 ; Davies The Tomb of Kenamun Pl. 14, Tomb of Hury.

(٢) راجع El Amarna Ibid

(٣) راجع El Amarna II, 38

(٤) راجع Iunker, Ermenne, p. 57.

أخرى نجد حسب نتائج الحفائر التى عملت فى مصر ، وكذلك على حسب النقوش والمناظر أن هذه المحاصيل لم تصدّر بمقادير كبيرة . ولا بد أن نبرز هنا أن الصناعة المحلية فى « كرمة » كانت متأثرة بالصناعات المصرية وأنه بعد تدهور التجارة حدث رد فعل قوى ، فقد أخذت المحاصيل المصرية التى من صنع « كرمة » مثل التطعيم بالعظم والميكا[1] فى الاختفاء شيئا فشيئا ولم توجد فى مقابر النوبة التى من العصور المتأخرة بوجه عام . وحتى صناعة أوانى الفخار (بكت) الخاصة بثقافة « كرمة » دلت صناعتها على أنها انحطت من حيث الاتقان والدقة .

وكانت الأشياء المصرية فى بلاد النوبة السفلى فى العهد المتوسط الثانى تقليدا كبيراً للأشياء المصرية التى تعد الطراز المحبب . ولا شك فى أن إعادة فتح بلاد النوبة على يد مصريين قد رفع من شأن دقة الصناعة اليدوية فى النوبة وبخاصة عندما تعلم أن هؤلا قد تعلموا بدون شك دقة الصناعة اليدوية عن مصريين ، ومن المحتمل أن ذلك التأثر قد حدث بعد مدّ حدود النفوذ المصرى حتى الشلال الرابع ، غير أنه كان أقوى فى بلاد النوبة السفلى . ومما تطيب ملاحظته فى هذه المناسبة ما وجدناه فى المنظر الذى فى مقبرة « حوى » أمام وفوق الأمراء والناس الذين من « واوات » من أشياء فنية مصورة فى حين كانت الأشياء التى تقدمها بلاد كوش لا تشمل إلا المواد الغفل . والواقع أن « واوات » فضلا عن ذلك هى أقرب جزء من بلاد النوبة إلى مصر حيث كان يسكن كبار الحكام الذين يميل ذوقهم الرفيع إلى المنتجات الدقيقة ، ولذلك كانوا يسعون فى تحسين الصناعات المحلية عند السكان . ومما يطيب ذكره هنا كذلك أن الصناعات اليدوية للمنتجات النوبية قد ظهرت للمرة الأولى فى المناظر التى من عهد « تل العمارنة » مما يدل على أن نوعها وذوقها كانا من طراز مصرى ؛ وأن المصرى قد صدّرها إلى وطنه ، غير أن هذه المحاصيل النوبية لم يكن لها قط أية أهمية على ما يظهر للمصرى . هذا إلى أنها كانت تظهر من وقت لآخر فى المناظر

(١) راجع Junker. Studies presented to Griffith, p. 297 *ff*

التى تصور الجزية[1] ؛ ولذلك نجد فى رسالة من عهد الرعامسة مفصلة عن الجزية أنه لم يذكر غير تجهيز الذين أرسلوا إلا الأوانى الذهبية فقط[2] ، ولكن من جهة أخرى نعلم أنه بدون شك قد مثلت أشياء كثيرة مصنوعة من مواد غفل نوبية . وفضلا عن الأشياء المصنوعة من الذهب التى ذكرناها فيا سبق من عهده « تحتمس الثالث » جاء ذكر عربة كبيرة من خشب السنط من بلاد كوش مشغولة بالذهب[3] من عهد « حتشبسوت » ، ويلفت النظر ما جاء فى لوحة « جبل برقل » التى أقامها « تحتمس الثالث » إذ ذكر فيها توريد أشياء من خشب كوش . وقد عمل نجارتها جنود كوشيون عديدون هناك . وكذلك كان يورد فى عهد الرعامسة من بلاد النوبة بوجه خاص مواد غفل فقد جاء فى خطاب لنائب الملك « بانحسى » ما يأتى[4] : « وينبغى عليك أن توجه عنايتك لهذه المحفة الخاصة بهذه الآلهة ؛ ويجب أن تعتنى بها و تضعها فى سفينة ويجب أن تعمل على أن يحضرها أمامه إلى المكان الذى فيه الفرعون و ينبغى أن تحضر له حجر « حرست » وحجر « خنمت » إلى المكان الذى فيه الفرعون لأجل أن يزاول العمل فيها عمال المصنع » . ومن ثم نفهم أن الأعمال الخشنة كانت تعمل فى بلاد النوبة فى حين كانت الأعمال الدقيقة تنجز فى مصر .

هذا ونشاهد فى المناظر بجانب السلات والأوانى المملوءة بالذهب بوصفها جزية بلاد النوبة بعض المواد المعدنية والنباتية الملونة بالألوان الحمراء والخضراء والزرقاء فى هيئة كتل ، ولكن غالبا ما ينقصنا المتن المفسر لهذه الأشياء ، ومع ذلك قد لا تساعدنا المتون المفسرة لأن معنى الكلمات غالبا ما يكون غامضا فلا يحدد لنا معنى .

فالمادة الحمراء فى مقبرة « رخ مى رع » تدعى « حماچت »[5] وقد ظهرت

---

(١) فى « بيت الوالى » نشاهد دروعا وأقواس وكراسى ومراوح راجع Wresz, Atlas, II, 167 f

(٢) راجع Gardiner, Late Eg. Misce. p. 119 L 5, 11

(٣) راجع Urk, IV, p. 457

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٥١

(٥) راجع Urk., IV, p. 1099

كذلك هذه الكلمة فى قائمة جزية « لأ منحتب الثانى » وكذلك لدينا بعض سلات فيها كتل حمراء فى مناظر مقبرة « حوى » وكتب عليها كلمة « خنمت » ؛ هذا وتذكر هذه المادة فى النقوش بأنها حاصلات من بلاد النوبة وذلك فى أحوال ليست بالقليلة[١]. ومن المحتمل أنها تدل على حجر الكرنلين ؛ غير أن المصرى القديم كان لديه أحجار حمراء أخرى مثل العقيق والهمتيت والامتست واليشب ، وهذه الأنواع يمكن أن تدل على أن مثل هذه الكتل المصورة فى هذه السلات وكذلك مادة « ديدى » التى وجدناها فى إحدى رسائل عهد الرعامسة بمثابة مادة من مواد الجزية كانت ملونة باللون الأحمر ومن الجائز أنها مادة معدنية أو همتيت[٢].

ومن المواد الخضراء لدينا حجر الأمزون أى الفلدسبار الأخضر[٣]، واليشب الأخضر والفيروز الأخضر والتوتية وحجر الزيتون . ومن جهة أخرى نجد فى مقبرة « رخ مى رع » اسم « شسمت » بجانب اسم مفكت على آنية فيها كتل خضراء ، وكلمة « مفكت » الأخضر تعنى الفيروز ، وكان ضمن المحاصيل النوبية فى الدولة الوسطى ، وكذلك مادة « نشمت » وهى فلدسبار أبيض أزرق معروف لدينا بأنه مادة زرقاء نوبية الأصل[٤]. وقد جاء فى النقوش ذكر عدة أنواع من الأحجار النوبية ، ففى ورقة « هاريس » الكبرى ذكر الحجر « محى » بأنه يوجد فى « واوات[٥] » وقد جاء ذكره بجانب اللازورد الحقيق والفيروز (مفكات) . هذا وقد ورد فى الخطاب السالف الذكر الخاص بالجزية أسماء مواد غير مفهومة منها حجر حق (كرنالين ؟) والبلاور الصخرى (إرقبس[٦]) . هذا وقد جاء ذكر حجر « ستى » و « قمى » . وحجر

---

(١) راجع Tombos, Inschrift Thutmosis III (Save, p. 208) ; Kairo Wb. Nr. 375 ; Gardiner Late Eg. mesc. p. 119 ; Moller, Hierat. Lese. III b. 1

(٢) راجع Dawson, The Substance called Didi (Jouual of Royal Asiatic Society Iuly 1927 p. 497 ff ومصر القديمة الجزء الثانى ص ١٧٥

(٣) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ١٧٤

(٤) راجع Kairo, Wb. Nr. 375 ; Wb. II, 339

(٥) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٤٠٨ (ص ٦٢ ب سطر ١٤ من ورقة هاريس) .

(٦) راجع Wb., I, 116

« متى » قد جاء ذكره كذلك فى نصوص مقبرة « رخ مى رع » وفى مقبرة « بو مرع » بمثابة كونهما محتويات أوان[1] ، ومن الجائز أن هذه الأحجار كانت تستعمل ألوانا معدنية ؛ ونعرف من جهة أخرى أن « تحيت » هو القطران أو الصمغ وكان يستعمل لونا أيضاً[2] . ونجد فى الخطاب الذى أرسله الفرعون « رعمسيس الحادى عشر » إلى نائب كوش وهو الخاص بصنع محفة ، خلافاً لما جاء فيه من ذكر حجر « خنمت » اسم زهرة « كاتا » وأزهار زرقاء ، وهذه على حسب سياق المعنى العام للكلام لا بد أن تكون من أسماء الأصباغ[3] .

هذا ويتصل بأسماء المحاصيل النباتية التى جاء ذكرها فى ورقة « إيرس » بمثابة محاصيل بلاد « المزوى » كلمة « خسايت » وهى التى ذكرت كذلك ضمن حاصلات الجنوب . ويأتى ذكرها غالبا مع الزيوت والعطور[4] ونجدها كذلك مذكورة فى نقوش « تومبوس » التى من عهد « تحتمس الثالث » بجانب عطور بلاد المزوى . ونجد هذه المادة مخصصة بمخصص الخشب كذلك فى نقوش حملة « حتشبسوت » إلى بلاد « بنت »[5] ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كانت مادة « خسايت » موحدة مع مادة « شبسى » التى جاء ذكرها فى رسالة الرعامسة الخاصة بالضرائب[6] ، وكذلك مع مادة « شسيت » التى تأتى من كوش على الرغم من بعض الاختلاف فى كتابة كل منها ، ومع ذلك فهذا ليس من المستحيل لما نلحظه فى كتابة الاسم بأشكال عدة[7] .

وقد جاء ذكر العطور النوبية (البخور) منذ عهد ظهور نقوش الأهرام أى منذ الأسرة الخامسة فنجد فضلا عن التعبير « بخور المزوى » التعبير : « كل رائحة جميلة

(١) راجع Wresz.,Atlas, I, 148; Davies, Tomb of Puymre at Thebes Pl. 43

(٢) راجع Rec. Trav., 39, p. 24

(٣) راجع Wb, V, 39 ; A.Z., 23, 67; Urk. IV, 329, 346.

(٤) راجع Wb., III, p. 400

(٥) راجع Urk., IV, p. 329

(٦) راجع Rec. Trav., 22, 104 *f* ff.

(٧) راجع Wb., III, Ibid, p. 244, 332

من بلاد الجنوب » ، وقد ورد ذلك فى قائمة جزية « أمنحتب الثانى » وكذلك نجد فى نقش مهشم جداً عند الشلال الأول التعبير التالى : « كل رائحة حلوة من . . . الأراضى الأجنبية » ، ومن المحتمل أن المقصود هنا فى الجزء المهشم هى أرض المزوى ، ولكن من الممكن أن تكون أرض « بنت » التى كانت تعدّ المصدر الأصلى للروائح العطرية ، غير أن ذلك ليس مؤكداً [١] ، وعلى أية حال ينبغى أن يكون كثير من السلات والأوعية التى نجدها ممثلة فى مناظر الجزية النوبية هى التى كانت تورد بمثابة مادة العطور ، وذلك لأن المصرى كان يستولى على هذا المحصول الثمين من بلاد النوبة .

وكان كل من خشب الأبنوس وسن الفيل الذى يورد لمصر من بلاد النوبة منذ الدولة القديمة يتدفق على مصر فى عهد الدولة الحديثة بكثرة ، فنجد ذكر هاتين المـادتين يرد فى النقوش جنبا لجنب وذلك لأنهما كانتا تستعملان فى التطعيم وفى صناعة الخشب معا ، وكان الجزء الأعظم منهما يأتى من نفس الاقليم ويورد إلى مصر ، يضاف إلى ذلك أن سن الفيل كان يورد من بلاد آسيا ، هذا إلى أن المصرى كان يستعمل سن فرس البحر بدلا من العاج ؛ وعلى أية حال فإن معظم كميات سن الفيل التى كانت تستعمل فى مصر كان يؤتى بهـا من السودان . هذا ولا نعرف إلى أى حد كان يوجد سن الفيل والأبنوس فى الشمال ، وعلى ذلك لا يمكننا أن نحكم إذا كانت هذه المنتجات تأتى عن طريق تجارى غير مباشر من أقاليم تقع جنوبى الحدود المصرية أو كانت تأتى مباشرة من إقليم بلاد النوبة . وهاتان المـادتان كانتا تجلبان فى صورة ساذجة . فكان العاج يجلب أسناناً وخشب الأبنوس يجلب كتلا وهذا ما لاحظه الرحالة « بورخرت » فى القرن المنصرم فى « شندى » .

وفى تواريخ حروب « تحتمس الثالث » نرى أن العاج والأبنوس كانا يوردان بوجه عام بصفتهما جزية فقط من « كوش » ، وذلك على عكس « واوات » ، ولكن

(١) راجع De Morgan, Cat. I, p. 126

يحتمل ذلك فى السنة الواحدة والأربعين وكذلك على حسب رأى « زيته » فى السنة الثانية والأربعين فقد ذكر كل من هذين المحصولين ضمن محاصيل بلاد النوبة السفلى ، وخلافا لذلك نجد أنهما يذكران بوجه عام بمناسبة الأقطار التى أتيا منها فى الأصل مثل بلاد النوبة السفلى وبلاد الجنوب ، وكذلك بلاد « أثرو » فى « كوش » التى جاء ذكرها مرة واحدة[1] .

ولم يكن خشب الأبنوس هو المادة الوحيدة التى كانت ترسل من الجنوب بل كانت ترسل كذلك مواد غفل أخرى ، وبخاصة خشب السفن المعد للتركيب ، وأوفى متن لدينا يحدثنا عن ذلك لوحة « برقل » التى أقامها « تحتمس الثالث » فى « نباتا » حيث يقول[2] : « كان يتجر هناك (فى « واوات ») لبيت الملك له الحياة والسلطان والصحة كل سنة سفن « خمتى » (نوع من السفن) وسفن نقل بعدد كبير أكثر من حاميات رجال البحر ، هذا فضلا عن الضرائب التى كان يحضرها النوبى ، وهى التى تحتوى على عاج وأبنوس ، وكان يجلب إلى محفات من « كوش » مع كتل من خشب الدوم ، وأشياء من الخشب لا حصر لها من خشب السنط من أرض الجنوب ، وكان يقطعها جنودى فى « كوش » وكانوا كثيرين هناك . . . وكثيراً من سفن النقل من خشب الدوم ، وهى التى استعملها جلالتى كثيراً » .

ومن الجائز كذلك أن ما نجده مذكوراً فى قوائم الجزية فى تواريخ « تحتمس الثالث » من السفن المحملة بالمحاصيل من السودان كل سنة كان يصنع هناك ويقدم بوصفه جزية . ونجد مثل ذلك فى مناظر مقبرة « حوى » حيث نشاهد أسطولا من سفن النقل ، وكذلك كانت الحال فى رسالة الضرائب[3] حيث يقول المتن :

---

(١) راجع Urk., IV, p. 947, 950

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٠٦ الخ .

(٣) راجع Gardiner, Late Eg. Misc., p, 118 and Translation in Tomb of Huy, p. 28.

« وعند ما يصل إليك كتابى ينبغى عليك أن تنظم الجزية بالتفصيل بما فى ذلك ثيران (أوا) والماشية الصغيرة (جا) والماشية (ونجو) والغزلان والماعز وطير (إبيس) والنعام وسفنها الواسعة وسفن النقل وسفن « كا — ار » على أن تكون على استعداد مع نواتيها ، وأن تكون الحاميات على أهبة الرحيل » . وقد جاء ذكر مثل هذا الأسطول فى منشور « نورى » (١) . وليس من المؤكد لدينا أنه كانت تبنى كل عام سفن جديدة لنقل الجزية ثم تستعمل فى مصر بعد ذلك لأغراض أخرى ، ولكن لدينا مثال مؤكد عن ذلك فى لوحة « جبل برقل » ، فقد كان فى عهد الدولة الحديثة يفضل صناعة سفن كاملة بدلا من توريد خشب لصنعها فى مصر ، ويشبه ذلك بالضبط ما كان يورد من أشياء أخرى من الخشب وبخاصة الأنواع الثمينة من الخشب مثل الأبنوس .

هذا ولدينا نوع آخر من الواردات من الجنوب نجده مذكوراً فى جزية النوبة وأعنى بذلك ريش النعام وبيضه . والنعامة كانت توجد كذلك فى الصحراء الشرقية وغربى مصر ولم ينقطع مورد هذه المادة إلا فى القرن الأخير . وقد وجدت مروحة فى مقبرة « توت عنخ آمون » مثل على مقبضها منظر صيد قام به الملك فى « عين شمس » (٢) . هذا ونجد أن « منخبر رع سنب » الكاهن الأكبر لآمون وحامل خاتم الوجه البحرى يتسلم ذهباً من صحراء « قفط » . وذهباً من بلاد كوش بمثابة جزية سنوية ، وكان يتسلم فى نفس المناسبة من المشرف على الصيد الذى يقف بجوار رئيس شرطة المزوى لمنطقة « قفط » والمشرف على أرض الذهب فى « قفط » ريش نعام وبيض نعام ولابد أن مصدرهما بطبيعة الحال كان صحراء « قفط » .

ولكن يظهر أن ما وُجد من هذه المادة فى الجهات المجاورة لمصر لم يكن كافياً لسد حاجة البلاد المصرية . ولذلك كان يجلب محصول ريش النعام من الخارج

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٨٨

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٤٥٢

بكثرة ، وذلك لأن ريش النعام كان يستعمل حلية فى لباس الرأس وفى صنع المراوح ، وكان يستعمل عند قبائل الجنوب بكثرة ، وكذلك كان يستعمله اللوبيون على الأقل حلية فى ملابس الرأس عند الأمراء . أما فى مصر فكان الطلب عليه كثيراً لعمل المراوح .

ومن جهة أخرى كان بيض النعام يستعمل لصنع الخرز منذ أقدم العهود[1] حتى الأسرة الثامنة عشرة بكثرة ، ولكن يلحظ أنه قد اختفى فى الأسرة الثامنة عشرة ثم أخذ يظهر شيئاً فشيئاً فى عهد الأسرة التاسعة عشرة وبقى مستعملا بعد ذلك حتى الأسرة الثانية والعشرين . ونلحظ اختفاء خرز بيض النعام بانقطاع توريد بيض النعام فى تلك الفترة . ووجد فى مقبرة « بالعرابة » تؤرخ بعصر ما بين الأسرة الحادية عشرة والثانية عشرة آنية مصنوعة من بيض النعام لها فوهة من الحجر مركبة عليها ، غير أن مثل هذه الأوانى لا يوجد مثيلها فى آثار الأسرة الثامنة عشرة . وقد عثر فى مقابر الثقافة الميسينية التى من هذا العهد أى الأسرة الثامنة عشرة على قطع زينة مشغولة مركبة على معدن ومزينة بقطع قشر بيض النعام . وهذا البيض كان لا يأتى إلا من أفريقيا . وهكذا نستنبط أن الرابطة التى كانت تربط مصر بالإقليم المسينى الكريتى فى ذلك العهد كانت قائمة على أساس حسن ، وعلى ذلك فلا شك فى أن هذا البيض قد ورد من مصر . ولم يكن قشر بيض النعام يحتل أية مكانة ملحوظة فى مصر من جهة ، ومن جهة أخرى نجد أنه كان يمثل سلعة هامة فى تجارة الأراضى الشمالية ، وعلى ذلك يمكن قبول الرأى القائل إن الجزء الأعظم من واردات بيض النعام كان يأتى من الجنوب لأجل أن يصدر ثانية إلى الشمال . وليس من شك فى أن البيض فى مصر كان طعاماً محبباً ، ولكن فى هذه الحالة كان قشر البيض له استعمال واسع النطاق ، وفى الواقع كان يعد بوجه عام من مواد التصدير الهامة[2] .

---

(١) راجع Balabish, p. 22

(٢) راجع ما كتبه إيفانس عن هذا الموضوع Evans, the Palace of Minos, II, p. 765.

ومن المواد التي لاتخلو منها السلع التي كانت تقدم جزية للفرعون الفهود وجلودها. وكانت جلود هذا الحيوان تورد إلى مصر منذ الدولة القديمة. ويلحظ أنه عند ما تكون جزية «كوش» منفصلة عن جزية «واوات» في المناظر، كما يشاهد ذلك في جزية تواريخ «تحتمس الثالث»، نجد أن هذه الجلود تكون ظاهرة في جزية «كوش» وحدها. أما الجهات التي تأتي منها هذه الأشياء كبلاد «نميو» و «أرم» و «ميو» فإنها بلا شك كانت تابعة لإدارة بلاد «كوش»[1]. هذا ولا بأس من الأخذ بالرأى القائل إن توريد هذه الأشياء له ارتباط باتساع الاستعمار وبالنشاط الزراعى وتربية الحيوان في بلاد النوبة السفلى على الرغم من كل ما يحيط ذلك من شكوك.

والواقع أن جلد الفهد في الدولة الحديثة كما كان من قبل يستعمل بوصفه نوعا من الملبس لدى الكهنة للزينة[2]. ومن المعلوم أن الجلد لا يمكن حفظه بحالة جيدة في المقابر وكان لا يستعمله إلا الرجال بخاصة في أحوال فردية، ولذلك كان يستعمل بدلا منه جلد الماعز أحيانا[3]. هذا وكان الفهد الحي يستعمل أحيانا للفرجة وأحيانا يدرب على الصيد والقنص[4].

وكان كذلك من واردات السودان الزرافات، والقردة من جهات الجنوب ويلحظ أن القردة المستوردة كانت مختلفة الألوان منها ما هو رمادى بوجه أحمر وأحيانا كانت تورد نسانيس ذات شعر كثيف، وقد وجدت ممثلة في مناظر الأعياد[5] ومناظر أخرى منزلية، وهذا الاستعمال قد صادفناه في عهد الدولة القديمة[6]. أما توريد

---

(١) راجع Urk. IV,p. 949 *f*

(٢) راجع Kees, Kulturgesch., p. 71 *f*

(٣) راجع Lucas, Anc. Mat. p. 38

(٤) راجع Kees, Ibid, p. 56, 124

(٥) راجع Wresz., Atlas, I, 123, 389; The Egyptian Expedition, Metrop. Museum 1928/9 p. 43 ; Boussac, La Singe dans l'Egypte Anc. (La Science au XX Siecle 3 anneé, p. 116-119.)

(٦) راجع Davies, Shiekh Said Pl. 4 ; Die Mastaba des Gemnikai I, Pl. 23

الزرافات الحية فلم يحدث إلا فى عهد الدولة الحديثة ، فى حين أننا نشاهد قبل ذلك أن ذيل الزرافة كان من المحاصيل التى تورد إلى مصر من الجنوب . وكان هذا الحيوان فى عهد الدولة الحديثة يعد ضمن الجزية التى تأتى من كوش عند ما كانت محاصيلها منفصلة عن محاصيل « واوات » كما نشاهد ذلك فى مقبرة « حوى »(١) . وقد شوهد للمرة الأولى رسم الزرافة فى نقوش طريق « وناس » من عهد الدولة القديمة . وكانت كلاب الصيد التى تستعمل فى مصر تورد جزية من بلاد النوبة ، فنشاهد فى منظر فى معبد قصر « ابريم » عشرين رجلا يقودون كلابا ضمن قائمة الجزية . وكذلك تصادفنا الكلاب فى المناظر الخاصة بقوائم الجزية . ومما يدل على حب المصرى الشديد الذى يكنه لهذا الحيوان أنه كان يحنطه ويدفنه بجواره(٢) .

الماشية : ومن الأمور الاقتصادية الهامة توريد الماشية لمصر بوصفها غنائم حرب(٣) ، ولكن على وجه عام كانت تأتى إلى مصر ضمن الجزية(٤) ونخص بالذكر الثيران وكذلك الغزال المسمن أو المعلوف(٥) . والواقع أن المناظر التى نجدها على الآثار لا تقدم لنا إلا نماذج من المحاصيل المختلفة ، فلا ننتظر منها أن تعبر عن مقدار الجزية ، ويدل على ذلك إحصاء الجزية الذى عثرنا عليه مدونا . فنجد مثلا أن الاحصاء الذى وجد فى نقوش قصر « أبريم » يذكر لنا أربعمائة رجل معهم ماشية من نوع الثيران الذى يدعى « أوا » وماشية « ونجو » وتقدم لنا الاحصاء التالى :

كوش

السنة ٣١/٣٠ ثيران « أوا » و « ونجو » = ٢٣٠,١١٣ المجموع = ٣٤٣(٦)

---

(١) راجع Davies, The Tomb of Huy, p, 213, note 4

(٢) راجع Davies, The Tomb of Siptah, p. 17 ; Chronique d'Egypte 14, p. 79

(٣) راجع Urk. IV, p. 7

(٤) راجع Urk., IV, p. 695 ff; Ibid, p. 743, 1099; Wresz Atlas I, 337 ; 148, 160.247 ; II, 168.

(٥) راجع Kees,, Kulturgesch., p. 21

(٦) راجع Urk. IV, p. 695

السنة ٣٣ ثيران « أوا » و « ونچو » = ٣٠٥,١١٤ المجموع = ٤١٩ (١)

السنة ٣٤ « « « = ١٧٠,١٠٥ « = ٢٧٥ (٢)

السنة ٣٥و٣٦ غير موجودتين والسنة ٣٧ ضاعت أرقامها .

السنة ٣٨ الثيران « أوا » و « ونچو » = ١٨٥,١١١ المجموع = ٣٠٦ (٣)

السنة ٣٩ ثيران « أوا » . . . والسنة الأربعون لم تذكر والسنة الواحدة والأربعون ثيران « أوا » . . . والسنة الثانية والأربعون مهشمة .

واوات

السنة ٣١/٣٢ ثيران « أوا » و « ونچو » ٦١,٣١ المجموع = ٩٢ (٤)

السنة ٣٣ ثيران « أوا » و « ونچو » ٦٠,٤٤ المجموع = ١٠٤ (٥)

السنة ٣٤ ضاعت أعدادها والسنتان ٣٥,٣٦ هشمتا

السنة ٣٧ ثيران « أوا » و « ونچو » . . . . . المجموع = ٩٤ (٦)

السنة ٣٨ ثيران « أوا » و « ونچو » ٧٧ . . . . (٧)

السنة ٣٩ ثيران « أوا » و « ونچو » ٥٤,٣٥ المجموع = ٨٩ (٨)

السنة ٤٠ لم تذكر

السنة ٤١ ثيران « أوا » و « ونچو » ٧٩,٣٥ المجموع = ١١٤ (٩)

السنة ٤٢ (مهشمة)

---

(١) راجع Urk. IV, p. 702

(٢) راجع Urk. IV, p. 708

(٣) راجع Urk. IV, 720

(٤) راجع Urk. IV, 696

(٥) راجع Urk. IV, 703

(٦) راجع Urk. IV, 716

(٧) راجع Urk. IV, 721

(٨) راجع Urk. IV, 625

(٩) راجع Urk. IV, 728

فى « واوات » ونجد فى الحالتين اللتين حفظت لنا فيهما الجزية السنوية أن العدد الذى ورد من « كوش » كان أكبر بكثير من « واوات » (فى السنة ٣١/٣٢ : ٣٤٣ يقابله ٩٢ وفى السنة ٣٣ : ٤١٩ مقابل ١٠٤ وفى سنة ٣٨ : ٣٠٦ مقابل ٧٧) .

ولا نستطيع أن نرجع ذلك إلى نشاط فى تربية الماشية حدث فى كوش أو إلى سبب آخر ؛ ومع ذلك فإن فى هذا الإقليم الشاسع لابد أن يكون معدل عدد الحيوان فيه على ما يظهر عظيما من حيث النسبة المئوية . وعلى أية حال فإن نقطة الارتكاز فى هذه المحاصيل كانت تقع فى الجزء الجنوبى من الإقليم السودانى .

هذا ولا يمكن أن نضع هنا موازنة لهذه الأعداد ، والمعلومات التى ذكرها لنا أمير مقاطعة « الكاب » المسمى « رننى » هى ضريبة الماشية التى كان ملزما بدفعها فيقول إنه ورّد ١٢٢ من البقر و ١٠٠ من الضأن و ١٢٠٠ من الماعز و ١٥٠٠ من الخنازير . وإنه لمن الصعب أن تكون هذه الأعداد هى التى تمثل المجموع الكلى بل هى فى الواقع تمثل نسبة مئوية من الجزية أى جزية مقاطعة « الكاب »[1] ؛ ومن ثم نفهم أن جزية بلاد النوبة بالنسبة لذلك ضئيلة ، ويرجع ذلك بلاشك إلى صعوبة طرق النقل ، هذا إذا أريد نقل كل الضريبة إلى مصر . ولا علم لنا إذا كان ذلك هو الواقع ، وبخاصة عند ما نشاهد فى المناظر التى فى مقبرة « حوى » أن الثيران كانت تنقل فى سفن خاصة إلى مصر ؛ فلابد أن جزءاً كبيراً من هذه الجزية كان يبقى فى بلاد النوبة نفسها لاستعمال الدولة ، وكان موظفو الحكومة يستولون عليها كما كان بعضها يقدم للمعابد هناك قربانا منذورة . أما الماشية التى كانت تبقى بعد ذلك — ولابد أنها كانت من نوع جيد مثالى يستحق التربية للانتاج — فكانت على ما يظهر ترسل إلى الفرعون ، وغالبا ما كانت تزين هذه الحيوانات لأجل

---

(١) راجع Kees Kulturgesch., p. 24 note 6

الاستعراض فكانت قرونها تزين بأيد ويرسم فى وسطها رأس زنجى وأحيانا كان يرسم شكل أقليم بأكمله بين قرنيه .

الحبوب : كانت مصر معروفة فى كل الأزمان القديمة بأنها مخزن غلال لبلاد البحر الأبيض المتوسط ففى عهد « مرنبتاح » مثلا أرسلت حبوبا لبلاد «خيتا » [1] لتخفيف وطأة القحط الذى حدث فيها ؛ لم يكن إذاً من المنتظر أن يرسل اليها غلال من وقت لآخر من بلاد السودان . ومع ذلك فقد حدث ذلك فى عهد « تحتمس الثالث » فنجد فى تاريخ هذا الفرعون حالة واحدة ضمن كل القوائم السنوية للجزية أن القمح كان يأتى من « واوات » منذ السنة الثامنة والثلاثين من حكمه ، وكذلك من بلاد كوش ، ولكن من جهة أخرى لا نعرف شيئاً عن ذلك الموضوع خلافاً لما ذكر فى تواريخ « تحتمس الثالث » على وجه التقريب . ويشاهد فى منظر من مقبرة « خعمحات » [2] فى نقوش محصول الدخل من بلاد كوش حتى حدود بلاد النهرين أن « خعمحات » يتلو على « امنحتب الثالث » مقدار المحصول [3] ، وكذلك نشاهد فى مقبرة « سن أعح » الذى عاش فى عهد « حتشبسوت » أن الجزية التى مثلت من كوش هى على حسب قول الأستاذ « زيته » [4] كان معظمها مواد غذائية ، ولكن فى قوائم الجزية وفى المناظر لا توجد الحنطة بوصفها جزية نوبية . هذا ونستخلص مما ذكر فى معبد « سمنة » عن شعير الوجه القبلى وشعير بلاد « واوات » الذى كان يقدم للاله « خنوم » أنه فى الإقليم النوبى كانت أنواع الحبوب منظمة كما كانت الحال فى مصر .

أسرى الحروب : لم تكن الحروب فى الأزمان القديمة مجرد غزو بلاد العدو ونهبها بل كان الغازى يستولى فى الغالب على أسرى الحرب ليكونوا عبيداً له . من أجل

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء ٦ ص ٢ و Ed. Mayer, Gesch. Alt. 2 II, 1. p. 158

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٢٨

(٣) راجع L.D. III, 77 C

(٤) راجع Urk. IV, 512

ذلك كان يجلب إلى مصر من كل حرب تنشب فى الجنوب عدد عظيم أو ضئيل من الأسرى على حسب الأحوال ، وكانوا يستعملون فى مرافق الحياة الاقتصادية باضطراد . وقد ذكر لنا « أحمس » بن « أبانا » فى وصفه للحروب فى بلاد النوبة استيلاءه على أسرى[1] وهذا ما نجده فى كل الحروب النوبية تقريباً . وقد ذكرت لنا حروب « تحتمس الثالث » أن هؤلاء العبيد كان يؤتى بهم من الجنوب لا بوصفهم أسرى حرب بل بوصفهم جزءاً من الجزية ، وقد ذكر لنا فى جهات متفرقة فى النقوش عدد هؤلاء العبيد ، فذكر لنا « أحمس » بن « أبانا » الذى كان يعد موظفاً صغيراً نسبياً تسعة عبيد وعشر إماء ، وكذلك ذكر لنا فى تواريخ « تحتمس الثالث » بمثابة جزية ما يأتى :

كوش

السنة	٣١ / ٣٢	المجموع	٦[2]
السنة	٣٣	»	١٣٤[3]
السنة	٣٤	»	٦٤[4]
السنة	٣٥,٣٦	مهشمة أعدادهما .	
السنة	٣٧	المجموع	١٠[5]
السنة	٣٨	»	٣٦[6]
السنة	٣٩	»	١٠١[7]

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٤٣
(٢) راجع Urk. IV, p. 695
(٣) راجع Urk. IV p. 702
(٤) راجع Urk. IV, p. 708
(٥) راجع Urk. IV, p. 715
(٦) راجع Urk IV, p. 720
(٧) راجع Urk. IV, p. 725

السنة	٤٠	المجموع	٢١ [1]
السنة	٤٢	مهشمة	
		المجموع	٣٧٢

واوات

السنة	٣١ / ٣٢	المجموع	٥ [2]
السنة	٣٣	»	٢٠ [3]
السنة	٣٤	»	١٠ [4]
السنة	٣٥,٣٦	مهشمة	
السنة	٣٧	المجموع	٣٤ [5]
السنة	٣٨	»	١٦ [6]
السنة	٣٩	مهشمة	
السنة	٤١	المجموع	صفر [7]
السنة	٤٢	مهشمة	
		المجموع	٨٥

ومن الجائز أنه بعد مراعاة الأماكن المهشمة والأعداد الناقصة أن يرتفع عدد العبيد إلى حوالى ١٢٥٠ عبداً فى مدة إحدى عشرة سنة . وإذا قرنّا هذا العدد بما كان يؤتى به من عبيد من بلاد سوريا أسرى حرب فإن هذه الفرق النوبية

(١) راجع Urk., IV, p. 728
(٢) راجع Urk., IV, p. 696
(٣) راجع Urk., VI, p. 703
(٤) راجع Urk., IV, p. 709
(٥) راجع Urk., IV, p. 716
(٦) راجع Urk., IV, p. 721
(٧) راجع Urk., IV, p. 728

لم تكن كثيرة نسبياً . فقد ذكر فى تواريخ « تحتمس الثالث » ما مجموعة أكثر من ٦٤٣٠ أسيراً من سوريا ، هذا بغض النظر عن الأعداد المهشمة والناقصة . وفى الإحدى عشرة سنة الأخيرة التى نعرف جزيتها من بلاد النوبة يلحظ أن مقدار ما يجبى من سوريا فى تلك المدة يزيد بمقدار ٢٩٩٠ فى نفس المدة ، ومما يؤسف له أنه فى إحصاء مماثل خاص بأوقاف لآمون فى آسيا وبلاد النوبة قد ذكر فيه عدد الأسرى الذين أتى بهم من سوريا فقط وهو ١٥٨٨ أسيراً . ولم يصل إلينا ما أتى به من بلاد النوبة .

ومما تطيب الإشارة إليه فى هذه المناسبة التعابير التى كان يوجهها « آمون » للملك فاستمع إليها : « إنى قدت لك نوبيين بعشرات الآلاف والآلاف والآسيويين بمئات الآلاف من الأسرى » وهذا النطق الالهى فى الواقع يعد غاية فى الأهمية إذ جاء فيه عدد النوبيين أقل من الذى ذكر لآسيا ، ومن ثم نفهم أن نقطة الارتكاز الهامة فى السياسة الخارجية فى عهد « تحتمس الثالث » كانت فى الشمال أى فى آسيا .

ومن جهة أخرى نجد أن عدد العبيد الأسرى فى « كوش » كان أكبر منه فى « واوات » والسبب فى ذلك طبعى ، وذلك أن « كوش » تؤلف الإقليم الأكبر من بلاد النوبة ، ومن جهة أخرى نجد كما دون فى أمر فى خطاب خاص بالضرائب التى ينبغى أن يرسلها أهل « أرم » و « ترك » . وأهل « ترك » هم من قبيلة ممتازة من قبائل الجنوب[1] . ومما يؤسف له أن تفاصيل الخطاب غامضة . هذا وتقدم لنا لوحة « سمنة » الخاصة بعهد « تحتمس الثالث » قائمة من الغنائم التى غنمت فى « أبهت » وتنحصر أهميتها فيما تذكره من أعداد ومن تقسيم الأسرى أنواعاً مختلفة .

---

(١) راجع Gardiner, Late Eg. Misc., p. 119

قائمة بالغنائم التى غنمها جلالته فى « أبهت »

نوبيون أحياء		١٥٠
مجى (مزاوى)		١١٠
نوبيات		٢٥٠
خادمات من النوبيين		٥٥
أطفالهم		١٧٥
	المجموع	٧٤٠
أيديهم [1]		٣١٢
	المجموع	١٠٥٢

ويلاحظ فى هذه القائمة التى تبحث فى حصر غنائم الحروب أنها لا تقدم لنا صورة عن مقدار ما كان يورد من فرق العبيد سنوياً ، ومع ذلك فإن قوائم الجزية الخاصة بتواريخ « تحتمس الثالث » ، وكذلك التى تتبع المناظر تدل على نفس الأنواع من العبيد الأسرى ، فيذكر أولا فى كل حالة عبيد وإماء ، ويلحظ فى الصور الخاصة بالجزية النوبية النساء مع أطفالهن بجانب الرجال الذين يحملون مختلف محاصيل الجنوب ، وكانت الإماء اللائى يوردن يستعملن بطبيعة الحال فى بعض الأشغال وبخاصة فى الغزل والنسيج . وخلافاً لذلك كن يعملن فى المؤسسات العمالية للعبيد .

وغالباً ما كان يوجد بين هؤلاء الأطفال الأسرى أولاد الأمراء الذين كانوا يجلبون إلى مصر بصفة رهائن وينشئون فيها تنشئة خاصة . ولكن من جهة أخرى نفهم أن كل تجار الرقيق يجلبونهم صغار السن ويبيعونهم وكانوا فى هذا السن المبكرة يسهل تعليمهم لأغراض معينة وبطرق معينة ، ومن ثم يكون خروجهم على السيد الجديد قليل الاحتمال [2] .

(١) كان المحارب يقطع يد الجندى الذى قتله ويقدمها دليلا على أنه قهرعدوا وبقدر عدد الأيدى يكون مقدار ما قهره من أعداء .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥١٠

وتذكر لنا حوليات الملوك كذلك ذكوراً نوبيين كانوا يعملون « تابعين » ويمكن تفسير كلمة « تابعين » بوساطة متن من عهد « رعمسيس الثالث » حيث يقول : « إن أهل الجنوب قد أحضروا إلى مصر وهناك كانوا يستعملون فى حمل الدروع وسوق العربات وأتباعا وحاملى مراوح فى ركاب الفرعون[1] ، والظاهر أن هؤلاء الصبية كانوا فتياناً ويتمتعون بقسط وافر من القوة والجمال كالمماليك فى العهد الإسلامى فى مصر ، وقد اختيروا لهذا السبب . والعدد القليل الذى جاء ذكره فى تواريخ « تحتمس الثالث » لا بد أنه كان خيرة العبيد أو الأسرى الذين كانوا يرسلون إلى مصر ، أما غير هؤلاء النخبة فكانوا يستعملون فى الأقاليم . وعلى أية حال تعوزنا المعلومات الدالة على أن هؤلاء العبيد الذين أرسلوا إلى مصر غير أسرى الحرب كانوا من بلاد النوبة .

ويذكر لنا منشور « نورى » عبيداً كان يملكها معبد « العرابة » فى بلاد النوبة[2] وكذلك ذكرت مؤسسات الأسرى التى كانت فى مصر بأنها لم تكن قاصرة على هذا الإقليم من رقعة الدولة ، وذلك لأنه ذكر لنا فى نقش ضرب اثنين من اللوبيين من الأسرى فى « أبو سمبل » ، وهذا النقش قيل فيه عن « رعمسيس الثانى » ما يأتى : « وهو الذى أحضر أهل بلاد النوبة نحو الشمال وأحضر الآسيويين بلاد النوبة ونقل البدو نحو الغرب وجعل التحنو (اللوبيين) يسكنون فى الجبال وملأ الحصون التى بناها بالغنائم التى استولى عليها بسيفه الجبار[3] » . وكان الفرعون يختار من هؤلاء العبيد الذين استولى عليهم من بلاد النوبة فرقة ترسل إلى مصر ، وعلى الرغم من ذلك فإنه ليس ببعيد أنه كانت توجد تجارة رقيق مزدهرة وكان النوبيون أنفسهم لهم عبيد يدفعون منهم جزية للفرعون ، كما كانت الأشياء الأخرى ترسل إلى مصر . وهؤلاء

---

(١) راجع L.D. III, 218 c; comp., Rec. Trav., 27, p. 35; and p. 231

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٦٢

(٣) راجع Wresz., Atlas, II, p. 182

العبيد كان يتألف منهم أحط طبقة فى مجتمع تلك البلاد . وعلى ذلك فإنه فى حين كنا نرى الأمراء يضطرون إلى تو ريد أبنائهم ، فإنه كان من الجائز إرسال عبيد إلى مصر من بين النو بيين الأحرار .

وتدل شواهد الأحوال على أن استخدام النوبى ومكانته الاجتماعية فى مصر كانتا واحدة . ومما هو جدير بالإشارة هنا أولا الأهمية الاقتصادية التى كان يمثلها العامل الوطنى الذى لم يكن حراً فى مصر فى عهد الدولة الحديثة حيث نجد أنه حتى المالك الصغير والراعى كانا يشتغلان مع العبيد الذين كانوا يجلبون من الجنوب .

وتقدم لنا واردات أفريقيا الكثيرة المختلفة والنشاط العظيم الذى وجدناه فى بلاد النو بة صورة صحيحة عن الأهمية الاقتصادية الخارقة لحد المألوف التى كانت للستعمرات المصرية فى جنوب الوادى . حقاً إن الكشوف المستقبلة قد توسع دائرة هذه الصورة فى بعض نواحيها ، ولكن ما لدينا من معلومات الآن ينبغى أن يضع أمامنا المواد الموردة من هذه الجهات بدون أى نقص ، فنعلم أن المصرى أصبح يستغل ثروة السودان على حسب نظامها الجديد الذى عمل فى عهد الدولة الحديثة فصار يسيطر على تلك البلاد حتى الشلال الرابع على قاعدة الاستيلاء على المواد الغفل اللازمة له والضرور ية لتجارته مع الأقاليم الثقافيه الشمالية .

وعلى ذلك نرى أن المصرى بضمه هذه البلاد الجنو بية أصبح فى يده ما يسيطر به على احتكار التجارة التى كانت هامة للبلاد الشمالية ، يضاف إلى ذلك المبادلات التجارية المصرية بالمحاصيل الثمينة مثل الذهب والمحاصيل الخاصة بافريقيا مثل سن الفيل وخشب الأبنوس ومنتجات النعام ، أى ريشها و بيضها ، ومن ثم أصبحت لمصر مكانة ممتازة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط ، لا بفضل محاصيلها الخاصة وحسب ، بل كذلك بالدور الفاصل الذى كانت تقوم به موارد الثروة الغنية التى كانت تستولى عليها من بلاد النوبة .

اختلاط النوبيين بالمصريين

فى عهد الدولة الحديثة

كان النوبى منذ أقدم العهود ينزح إلى البلاد المصرية ويعمل فيها كادحاً بطرق مختلفة ، غير أن هذا النزوح كان محدوداً لدرجة عظيمة فلم يكن النوبى يرغب فى أن يدفن فى مصر كما كان المصرى يرهب أن يوارى جثمانه فى أى بلد أجنبى . وقد ظلت الحال كذلك حتى عهد الدولة الحديثة عند ما أصبحت بلاد السودان تكاد تكون جزءاً لا يتجزأ من مصر ، وقد حدث أنه فى أوائل عهد الدولة الحديثة عند ما أرادت مصر أن تسترد سلطانها فى بلاد النوبة أن أخذ الفراعنة يسوقون أسرى الحرب الأجانب والعبيد إلى مصر ويستغلون الرجال منهم فى زرع الأرض وغسل الذهب أما النساء فكن يعملن غازلات أو ناسجات ، هذا وكان هؤلاء العبيد من جهة أخرى يستعملون فى مناجم الذهب ، فمن ذلك نعلم أن أفراداً كانوا يؤجرون عبيدهم لهذا الغرض [١] . وكانت الحكومة تفيد من ذلك بجمع ضريبة السماح بإيجار هؤلاء العبيد .

ونشاهد الاستغلال الخاص للعبيد النوبيين بصورة ظاهرة فى تخديمهم فى البيوت كما كانت الحال فى عهد الدولة القديمة ، وكما هى الحال فى مصر الحديثة ، إذ نشاهد معظم خدم البيوتات الكبيرة من النوبيين . ولدينا من هذا العهد قصيدة غزل تتحدث عن خادم المحبوبة التى كانت من أصل نوبى فاستمع لما جاء فيها بالنسبة لهذه النوبية [٢] فيقول المحب : آه لو كنت الجارية تابعتها ! حقاً كنت أرى لون كل جسمها . هذا وكان « لمريت رع » وهى زوج رجل عظيم فى عهد الملك « آى » خادمتان

---

(١) راجع A.Z., 43, 17; P.S.B.A., 30, 272 *ff*; comp. Kees, Kulturgesch. p. 48

(٢) راجع Muller, Die Liebespoesie der Alten Agyp. (Lps. 1899), 43; Bull. Inst. Fr. 14, 243 A.S., 17, p. 109

نوبيتان[١] على أن ظهور النوبى فى ركاب سيده فى خلال نزهته فى عربته وغير ذلك من الخدمات لدليل على أن هذه كانت عادة منتشرة بين الملوك كما كانت بين علية القوم[٢]؛ وكان النوبى يستخدم بوصفه خادماً خاصاً رشيقاً لحمل المروحة لسيده[٣]. ونجد فى أحد المصادر نوبيا كان يشتغل بحاراً فى مصر[٤]. ولكن كان أكثر خدمة النوبى فى الجندية والشرطة؛ وظهر استخدامه فى هذه الأعمال منذ الدولة القديمة. وقد ذكرنا من قبل ما قام به فى حرب تحرير مصر من نير استعباد الهكسوس. وكان النوبى بوجه عام يستعمل فى فرقة الرماة كما كان يستعمل جندياً يحمل الدرع ويسوق العربة كما يدلنا على ذلك نقش من عهد الرعامسة[٥]، وقد كان لتغلب الأزياء التى كانت تتأثر بالفن صفة بارزة فى تغيير ملابس النوبى فى العصور المختلفة. ففى عهد «حتشبسوت» نجد نقشاً تفسيرياً على صورة تمثل نقل مسلة فيه العبارة التالية: «شبان (جنود) من «خنت — حن — نفر» بجانب جنود من المصريين»، ونشاهد جميع من فى هذه الصورة يلبسون ملابس مصرية وهم مسلحون بالفئوس أو البلطة وبعصا رماية. وليس هناك فرق بين المصرى والنوبى فلم نجد الفرق الذى كان يميز به عادة النوبى وهو تسليحه بعصا الرماية[٦]. وهذا النوع من السلاح نجد مسلحاً به جندياً نوبياً فى مقبرة «ثنى» كاتب المجندين حيث نجده يرتدى قميصا مصريا ومع ذلك فإنه كان يلبس فضلا عن ذلك الريشة التى تميز النوبى فى لباس رأسه، يضاف إلى ذلك أننا نجد جنود رئيس الشرطة «محو» فى «تل العمارنة» من عهد «أخناتون» يلبسون قمصانا مصرية ويختلطون بالمصريين[٧]، ونجد أمثال هؤلاء كذلك فى رجال الشرطة

(١) راجع Davies, The Tomb of Neferhotep, p. 26, Pl. 15

(٢) راجع Davie, Ibid, p. 23 Pl. 18 ; Pap. A nstasi IV, 3,5 *f*; Gardiner, Late Eg. Misc. p. 37

(٣) راجع Pap. Anastasi, IV, 16, 55 ; Gardiner, Ibid, p. 52 ; A.Z., 14, 75; L.D. III, 218 c; Davies, The Tomb of Kenamon Pl, 20 *f*, p. 32; Wresz Atlas, II, 14.

(٤) راجع Mem. Miss. Fr., 5, 551

(٥) راجع L.D. III, 218.C

(٦) راجع Naville, The Temple of Deir el Bahari VI, 155

(٧) راجع El Amarn a, IV Pl. 19 *ff*

التابعين لرئيس الشرطة « نب آمن »[1] . هذا ونعلم أن الجنود الأسيويين واللوبيين والنوبيين الذين يعملون حرسا للفرعون نفسه كانت ملابسهم خاصة بهم . وعلى ذلك نجد أن النوبى لا يختلف كثيراً عن المصريين الآخرين بل كان يلبس أحيانا ملابس مصرية خالصة . وقد ظل يلبس قميصا طويلا له هدابة من الأمام كما كانت الحال فى العهد الإهناسى .

ومن مميزات ملابسه كذلك الوشاح الذى كان يتشح به على كتفه والقرط الكبير الذى كان يتحلى به ور يشة النعامة التى كان يضعها فى شعره المجعد . وقد صوّر فى « تل العمارنة » نوبى يلبس قيصا من الجلد . وهذا اللباس نشاهده ثانية فى عهد « توت عنخ آمون »[2] كما نشاهده فى عهد الرعامسة[3] . ويشمل رجال الشرطة فى مصر عدداً كبيراً من أهالى الجنوب وقد سموا « المزوى » على الرغم من وجود مصريين بينهم وهؤلاء الجنود نجدهم فى أمهات المدن مثل « منف » و « قفط » و « طيبة » . ولم يكن عملهم قاصراً على حفظ النظام والأمن بل كان لهم كذلك نشاط فى جمع الرديف والضرائب[4] . وقد وجدنا فى نقوش رئيس شرطة « طيبة الغربية » أنه فضلا عن عمله كان مكلفا بجمع أموال ضياع الملك[5] . وغالبا ما يكون رئيس الشرطة من جنود الفرعون القدامى مثل « نب آمن » السابق الذكر ، ولكن رئيس الشرطة ، كان له مجال آخر معروف ؛ فقد كان أولا من خدم الملك المقربين ويسير أمام خيله ويخدمها ، وبعد أن يظهر إخلاصه فى هذا العمل كان يرقى شرطيا فى طيبة الغربية وفيما بعد يصبح رئيس شرطة . وبالنظر لأن هذا المجال كان يرقى فى مدارجه غالبا رجل نوبى الطراز فإنه قد يكون من المحتمل هنا أن يكون هذا النظام خاصا بالجنوبيين (راجع ما كتب عن رجال المزوى فيما سبق) .

(١) راجع Davies, The Tomb of Two Officials of Thutmosis IV. Pl. 27

(٢) راجع Bissing. [Bruckmann] Denkmaler Taf. 84.

(٣) راجع Wresz., Atlas, II. 128, 135, 185

(٤) راجع Kees, Kulturgesch., p. 47

(٥) راجع Thompson (Gardiner), Theban Ostraca, p. 16 g. ff

ونصادف نوبيين فى مصر مقسمين طوائف عرفوا بأنهم حرس للملك[١]. ففى عهد « أمنحتب الثانى » نجد رجلا يدعى « نخت » يحمل لقب المشرف على النوبيين « لثوركوش » والأخير هو بالتأكيد فى هذه الحالة اسم طائفة نوبية صحيحة. وقد لقب نفسه فضلا عن ذلك حامل العلم لهذه الفرقة نفسها ولقب المشرف على النوبيين ، هذا وقد جاء ذكره فى منشور « نورى » وهو وحامل المروحة هناك فى درجة واحدة . أما فرقة المزوى فى تل العمارنة فهى على الرغم من كل الظواهر ليست من أصل نوبى فى حين أننا نشاهد فى فرقة مصورة فى مقبرة « حور محب » بعض السود[٢]. وحامل علم هذه الفرقة مصرى الجنس ، ومن المسلم به بوجه خاص أن مقدم هؤلاء الجنود بصفة عامة ليس نوبى الأصل .

وكذلك قد اندمجت فى الجيش المصرى فرق نوبية فنجد فى خطابات « تل العمارنة » أن حكام آسيا من أتباع الفرعون المخلصين كانوا يرجونه فى أن يرسل إليهم فرقة من جنود « كاش وملوخا » والمقصود هنا بلا نزاع فرقة جنود من أهل كوش[٣]. ومما يسترعى النظر هنا أنه فى حين نجد أن قوم « ملوخا » قد ذكروا هنا بوجه خاص مع جنود آخرين من مصر وأنهم لم يظهروا قط بوصفهم أعداء بل أتباع الفرعون فلا بد أن تكون الحال كذلك مع « كاش » ، ولكن من جهة أخرى قد جاء ذكر كلمة « كاش » لتدل على الكاشيين[٤] (Kossaer) ولذلك تجب الحيطة على الرغم من أنه ليس بمستحيل أن الجنود النوبيين قد استغلوا الفوضى للقيام بثورة ، هذا إذا سلمنا مع الأستاذ « ينكر » بأن النوبيين كانوا فعلا موجودين فى الأرض الآسيوية

---

(١) راجع Helek, Der Einfluss der Militarfuehrer. p. 57 f

(٢) راجع The Brooklyn Mus. Quarterly, Vol. 19 (1932) Nr. 4. comp. p. 150

(٣) راجع Ed. Meyer, Gesch. Alt. 2 II, 1 p. 137 ; Junker, Tell el Yahudiye Vasen, 123; J.E.A., Vol. 6 p. 89 ; 7, p. 80 ff ; Weber in Knudtzon, Die El Amarna-Tafeln. p. 1100 f ; 1154 f,

(٤) جاء ذكر قوم « كوشو » فى متون اللعنة التى نشرها « بوزنر » خاصة بعهد الدولة الوسطى مرتين وهم قوم أسيويون . راجع Posner, Princes et pays etc, p. 88

وقتئذ ، غير أن ذلك فيه شك كبير[١]. ولكن الرجاء الذى نجده فى خطابات «تل العمارنة» من جانب أتباع الملك ليرسل إليهم رجال حامية من جنود «ملوخا» ليحموهم على حسب العادة التى كان يسير عليها أجداده من قبل وهى إرسال نجدات إلى آسيا ، يعد دليلا قاطعا على أن هؤلاء الجنود كانوا يستعملون فى هذه الجهات من قبل ، هذا وقد ظهر هؤلاء الجنود النوبيون كذلك فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فى جزيرة «كريت» فنجدهم ممثلين على جدران قصر «كنوسوس»[٢] .

و كذلك ظهر فى عهد الرعامسة نوبيون فى الجيش المصرى بين الجنود الأجانب ، و إن كان عدد اللوبيين يفوق عددهم دائماً فى الجيش المصرى . فلدينا بردية من عهد الرعامسة[٣] تذكر جيشاً مؤلفاً من ١٩٠٠ مصرى و ٥٢٠ من الشردانيين و ١٦٠٠ من الكهك و ١٠٠ من المشوش و ٨٨٠ من النوبيين . وكذلك تدلنا المناظر الباقية على وجود هؤلاء الجنود النوبيين[٤] . وأخيراً نشاهد فرقاً نوبية فى عصر الاضطرابات التى حدثت فى عهد نهاية الأسرة العشرين تحت إمرة نائب الملك «بانحسى»[٥] .

وتدل شواهد الأحوال على أن المصريين كانوا ينظرون إلى هؤلاء النوبيين نظرة الأكثرية القوية إلى الأقلية الضعيفة ، فنشاهد فى المناظر التى تمثل العدو المقهور أن الملك كان يقود النوبيين أمام الإله ليذبحهم . ولا نزاع فى أن التقاليد القديمة كانت تلعب دوراً فى مثل هذه المناظر ، وعلى ذلك لا نعلم على وجه التأكيد إذا

---

(١) راجع Save, Ibid, p. 234

(٢) راجع Evans, The Palace of Minos II, p. 756 *f*

(٣) راجع Pap. Anastasi I, 17, 4 *ff*; (Gardiner, Eg. Hieratic Texts I, 58 وكذلك راجع الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٣٨٨

(٤) راجع Wresz., Atlas, II, 128, 135, 185

(٥) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٣٧ و ٦٠٥

كان هذا الاحتفال بإحضار الأسرى أمام الإله فى عهد الدولة الحديثة كان واقعياً أم مجرد تقليد والرأى الأخير هو الأرجح [١].

وكذلك مما يدل على امتهان النوبيين الدور الذى كان يلعبه النوبى فى احتفال « شعيره جرتكنو » وكذلك قطع رأس حيوان الضحية مما وجدناه ممثلا فى منظر هام فى مقبرة « منتوحر خبشفس » [٢] مما يدل على هذا الاتجاه . فعلى اليمين نشاهد فى هذا المنظر رجلين يحملان جرارة (يظهر أنها « جرارة تكنو ») واثنين آخرين يلقيان بآلة خاصة فى حفرة، والكتابة المفسرة لهذا المنظر هى : « الجر إلى الاعدام » وعلى اليسار من هذا المنظر نشاهد نوبيين مضطجعين على جنبيهما منزملين إلا أيديهما فانها كانت طليقة، ويتبع ذلك منظران آخران متشابهان معهما رجلان يحمل كل واحد علامة خاصة وأحدهما نوبى يتدلى من رقبته خيط فيه حلقتان ولا نعلم إذا كان ذلك المنظر تذكارياً أو يمثل تضحية فعلية . وعلى أية حال فإن المنظر يشهد على طريقة معاملة بعض الطغاة للنوبى ، وهذا يكفى لإظهار أن المصرى القديم كان يعتبر أحياناً النوبى كالحيوان يقدم ضحية عند إقامة الشعائر الجنازية . ومن هذا القبيل لدينا أمثلة عدة مصورة تدل على وضاعة النوبى فى عين المصرى ، ولم يكن هذا قاصراً على المناظر الأثرية الكبيرة بل كذلك نجده فى الأشياء الصغيرة الفنية [٣] ، وفضلا عن ذلك ما كان ينظم من مبارزة بين المصريين والأجانب المختلفين التى لم يكن القصد منها فقط التسلية والرياضة بل كانت تقام على وجه خاص لأجل أن نظهر عظمة المصرى وحقارة الأجنبى [٤] . وهذا الاحتقار والامتهان نجدهما فى متن من متون عصر الرعامسة حيث

---

(١) راجع : Bissing Bruckmann, Denkmaler, Text Zu. Taf. 33 ; Wresz. Atlas II,184 a Sphins 3, p. 129 *ff*

(٢) راجع Mem. Miss., Fr., 5,fig. 7

(٣) راجع Holscher, Medinet Habu, Pl. 19 (Morgenland 24), Wresz, Atlas II, 3; Carter, The Tomb of Tut Ankh Amon I, Pl 70 ; A.S. 4, 41; and Pl. 6; J.E.A. 4, 22, Pl. 20, 2 ; (Ancient Egypt 1921) p. 13 and Pl. I

(٤) راجع Wilson, J.E.A., 17, 211 *ff*

يقول المدرس لتلميذ قذر ما يأتى : إنك مثل متكلم أجنبى (تتلعثم فى الكلام) نوبى عند ما يأتى بالجزية[1] . وكذلك لدينا وثيقة من عهد الأسرة العشرين تكشف لنا عن موقف مماثل للنوبى من حيث امتهان مركزه . وذلك أن رجلا تزوج من اثنتين[2] وأراد أن يعمل مع زوجته الثانية تسوية قانونية طيبة وقد استفسر أولاده الذين من زوجته الأولى فيما إذا كان له أى حق فى ادعاء هذه الملكية المعينة ، وقد أجابهم الوزير الذى كان يحقق القضية على سؤالهم قائلا : إن متاعه هو ملكه وله الحق أن يتصرف فيه كما يشاء ، وحتى إذا لم تكن زوجته ، بل كانت مجرد سورية أو نوبية يحبها وأعطاها متاعه فهل ينبغى أن يتعارض ذلك مع ما فعله ؟ .

ولو صح أن النوبى يحتل مكانة حقيرة وأنه ينظر إليه بغير عين الرضا فإن ذلك لا يعنى أنه كان يهضم حقه فى إرث أو وصية . والواقع أن مكانة العبيد الاجتماعية فى مصر قد وضحت لنا من وثائق أخرى . على أنه لا بد أن نفهم أن العبيد لم يكونوا يستعملون فى أحط الأعمال ، بل على العكس نجد أن « توت عنخ آمون » كان يستعمل عبيداً وإماء فى أعمال راقية كمغنين ومغنيات وراقصين وراقصات ، وكذلك كانوا يوظفون كهنة مطهرين ، ومن ثم نرى أنهم كانوا بلا شك يتولون وظائف اجتماعية لا بأس بها[3] كالمصرى .

هذا ولا نجد عائقا قانونيا يحول دون تحرير الخادمات الإماء فى البيوت ، ولدينا متن من عهد « رعمسيس الحادى عشر » يحدثنا عن تبنى أمة محررة[4] ، وقد جاء ذلك فى وثيقة عن المرأة المتبناة بوصفها وارثة لزوجها الذى تبناها فى مدة حياته ليحفظ ثروته . والوصية غريبة فى بابها وقد شرحناها شرحا مسهبا فى الجزء الثامن ،

---

(١) راجع Gardiner, Late Eg. Misc. p. 85, PSBA, 87. p, 121

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٧٧ الخ

(٣) راجع Kees, Kultur geseh. p. 260, and Helck, Der Einfluss etc, p. 9 amm. I.

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٨٤ والمتن الخاص بذلك J.E.A. Vol. 26, p. 33 ff

ونجد ما للعبيد من حقوق اجتماعية وقضائية فى المتن الذى أشرنا إليه سابقا الخاص بموضوع الزوجة الثانية وما أشير فيه من حقوق العبيد .

ولا يتسرب للذهن أن هذه الحقوق كانت قد ظهرت متأخرة فقط فى عهد الرعامسة بل الواقع أنها كانت موجودة من قبل ولا أدل على ذلك من أن أمة نوبية تدعى « مراقا شاتى » قد ظهرت بوصفها شاهدة فى عقد إيجار من عهد الأسرة الثامنة عشرة[١] .

هذا ولدينا مثال آخر عن نوبية فى مكانة أرقى وقبرها فى « القرنة » ومن المؤكد أنه يرجع إلى عهد الأسرة السابعة عشرة[٢] وهذا القبر نسبيا كان غنيا من حيث ما أودع فيه من أثاث جنازى ، وتدل محتوياته على اتصاله بثقافة « كرمة » اتصالا واضحا بخاصة . فنجد فيه مثلا الأوانى الموضوعة فى شباك وهذه من مميزات مقابر « كرمة »[٣] هذا إلى المخدات ذات القاعدة الطويلة فانها كانت من الطرز السائدة فى مقابر كرمة بصورة عظيمة ، وهذه قد وجدت كذلك فى مصر[٤] ، وكذلك يشير وجود حجر المسن فى هذه المقبرة وهو الذى يوجد فى بلاد النوبة بكثرة[٥] إلى هذا الاتجاه ، وعلى ذلك يميل الإنسان إلى التسليم بأن هذا القبر هو لامرأة من الجنوب كانت إما حرة مع أسرتها ، أو كانت قد جاءت إلى مصر بوصفها أمة ثم أصبحت زوجة أو حظية لأحد عظماء البلاد المصرية ، وقد جهز لها زوجها قبرا ودفنة حسنة على حسب الطريقة النوبية . ومما سبق يتضح أن المصرى كان يشتد أحيانا فى معاملة النوبى ولكنه فى معظم الأحيان كان يعامله معاملة الند للند .

(١) راجع A. Z., 43, 27 Pap. A,12.

(٢) راجع ; Petrie, Qurneh p. 6 *ff* and Pl. 22 *ff* comp. Junker Toscke, p. 56, 59 Anm. 3,77 Kerma II, 232

(٣) راجع Kerma II, p. 301 *ff*

(٤) راجع Kerma II, 232 and 236 *ff* and Carnarvon-Carter, Five years Explorations at Thebes Pl. 68, 69 ; Sedment I, pl. XV 18 etc.

(٥) راجع Junker, Toscke. p 77

الجنود النوبيون :

وتدل الأحوال على أن معظم الجنود النوبيين كانوا أحرارا وكذلك الجنود النوبيون الذين وجدوا مدفونين فى المقابر القعبية أو المستديرة فى مصر فكانوا أحرارا كذلك فى هذا العهد . وعلى ذلك فإن جنود المزوى الذين ساعدوا فى حرب التحرير كان موقفهم مشابها لهؤلاء ، وكذلك يخيل إلى أن الجنود النوبيين الذين كانوا فى آسيا وكذلك الذين كانوا فى « كريت » قد جاءوا إلى هذه الجهات أحرارا[١] ؛ وأخيرا نعلم من نقوش عصر الرعامسة المتأخر أن الجنود النوبيين كان لهم عبيد[٢] وهذا ما يتفق مع الجنود الأحرار وحدهم .

ويظهر من كل الأمثلة السابقة أن النوبى فى مصر وكذلك فى إقليم السودان نفسه كانت لديه الفرصة ليرقى إلى مراتب عالية فى الدولة المصرية .

ومن المفهوم أنه لم يكن من المنتظر وجود مجاميع أثرية لها طابع سودانى كالتى وجدت فى قبر « القرنة » السابق وبخاصة بعد الخطوات الواسعة التى خطتها البلاد نحو التمصير ، وعلى ذلك فإن السواد الأعظم من هؤلاء النوبيين قد أصبحوا مجهولين لدينا .

ومع ذلك فإنه لدينا حالات يحتمل أن نسلم فيها بأننا أمام أفراد نوبيين يشغلون وظائف عالية . فمثلا مقبرة « ماى — حر — برى » التى يرجع تاريخها إلى عهد الملكة « حتشبسوت » وقد تحدث لنا عنها « ريزنر » فقال إنه لاحظ فى الجثة أن عظمتى الصدغين كانتا ناتئتين غير أنه لم يفحص الجسم فحصا علميا ، وفى حين نجد أن « ريزنر » يقول عن صاحب الجثة أنه نوبى قد اختلط دمه بالدم الزنجى تماما فإن « دارسى » يصف الجثة كما يأتى[٣] : إن هيئة الجثة تذكرنا كثيرا بصور

---

(١) راجع Save, p. 234

(٢) راجع Kees, Ḥerihor, p. 8

(٣) راجع Daressy. Fouilles de la Valleé des Rois 1898-1899— Cat Gen. Mus (1902) p. 60

الذى بين « أدفو » و « أسوان » حيث نجد أن اختلاط المصريين بالنوبيين ينتج عنه هذا الطراز من الناس الملون باللون الغامق دون أن يكون من أصل زنجى . ويلحظ أن شعر هذا الرجل قد ظهر بمظهر شعر الزنجى بعض الشئ غير أنه شعر مستعار ، ولذلك فإنه لا يقدم لنا شيئا جوهريا عن أصله . ومع ذلك فإن صورته كما صورت على البردى الجنازى تدل على أنه من أصل أجنبى . والصورة التى نشرت له لا نعرف منها شيئا كثيرا ، وقد وصفها لنا « دارسى » كما يأتى : « إن المتوفى الملقب بالغلام « ماى حر برى » طرازه زنجى وجلده أسمر جدا وشعره مجعد » . ولا يدل لباسه المصرى على أى شئ بالنسبة للسلالة البشرية التى ينتمى اليها .

ويضاف إلى المميزات السلالية لهذا الرجل ميزة أثرية وأعنى بذلك التشابه العظيم الذى نجده بين الأشياء المصنوعة من الجلد التى وجدت فى قبره بالأشياء التى وجدت فى كرمة ، فالملابس المصنوعة من الجلد التى مثل عليها نماذج غاية فى دقة الفن نجد مثيلاتها فى « كرمة » وإن كانت فى تفاصيلها أبسط . فقد وجد طوق كلب له مثيله فى الصنعة فى « كرمة »[1] ، يضاف إلى ذلك نموذج حزام منظوم بالخرز فقد وجد نظيره فى مجموعة ثقافة C[2] .

وكل هذه الأشياء توحى بالتسليم أن « ماى — حر — برى » كان نوبياً ، وكذلك لا تتعارض ألقابه مع هذا الرأى فنجده قد لقب فى مقبرته الغلام حامل المروحة على يمين رب الأرضين صاحب الحظوة عند الإله الطيب والتابع الذى يقفو خطوات ملك الوجه القبلى فى البلاد الجنوبية والشمالية[3] . وعلى حسب ذلك يمكننا تأليف مجال حياته الحكومية فيما يلى . فنحن نعلم أن أولاد الأمراء النوبيين كانوا بوصفهم

---

(١) راجع Kerma, II, 19

(٢) راجع Aniba, I, p. 45

(٣) راجع Daressy, Ibid, p. 54

غلماناً ينشئون مع أمراء البيت المالك وأولاد عظماء القوم فى بلاط الفرعون كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقد كان من المحتم عليه بعد تنشئته كذلك أن يكون من خدام الفرعون الشخصيين فى بادئ مجال حياته الحكومية ثم يرتقى إلى درجة أعلى فيلقب حامل المروحة على يمين الفرعون ، وهذا اللقب الذى وضع هنا للمرة الأولى على رأى « ريزنر » كان لقب وظيفة ذات قيمة بسبب اتصالها الوثيق بالفرعون ، هذا وقد صار هذا اللقب بمثابة لقب فخرى لموظفى القصر فى عهد «أمنحتب الثانى» وذلك عند ما أصبحت صيغة اللقب ثابتة وهى : « حامل المروحة على يمين الملك » . وفى عهد « امنحتب الثالث » كان هذا اللقب يمنح لنائب الملك صاحب كوش ، ومن ثم أصبح لقب شرف تقليدياً يحمله حامل هذه الوظيفة الأخيرة ، وكذلك كانت نفس الحالة مع لقب « التابع للملك فى سفراته فى الجنوب والشمال » و « تابع سيد الأرضين » . وبهذه المكانة التى بلغها « ماى — حر — برى » بحظوة الفرعون له أقام مقبرته الغنية بمحتوياتها فى « وادى الملوك » وهذه ميزة نادرة فى هذا العهد ومنها نفهم أنه كان لا بد يشغل حقاً وظائف عليا كثيرة لم يمكن استخلاصها تماما مما بقى لنا من محتويات قبره .

هذا ولدينا أمثلة يحوم حول صحتها بعض الشك[1] عن نوبيين كانوا يشغلون وظائف عالية . فمن المحتمل مثلا أن كاتب المجندين « ثنى » كان من هذا الصنف[2] وهو الذى عاش فى عهد « تحتمس الثالث » وختم حياته الحكومية فى عهد الفرعون « تحتمس الرابع » . و «ثنى» هذا على حسب رأى الأستاذ «زيتة» قد مثل فى قبره فى صورة رجل يشبه البشاريين الحاليين ، ومن الجائز كذلك أن أخاه صاحب المقبرة رقم ٧٨

---

(١) والظاهر أن الرأى السائد كان عدم استخدام صغار النوبيين فى الوظائف الكبيرة بل كانوا بقدر المستطاع يبعدون من مثل هذه الوظائف ولا أدل على ذلك من الخطاب الذى أرسله « أمنحتب الثانى » إلى ابن الملك حاكم كوش المسمى « وسرساتت » يحذره فيه من إسناد وظائف كبيرة إلى صغار النوبيين إلا عند الضرورة . وراجع J.N.E.S., XIV, I, p. 25 .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣٩٧

بطيبة الغربية وهو الذى كان يحمل لقب المشرف على المزوى (مجا) وصور متحلياً بقرط كبير كان كذلك من أصل أجنبي أى نوبى ، ومن المحتمل أن كلا من « ثنى » وأخيه كان مصرياً ويقود جنوداً أجنبية ويلبس ملابس كملابسهم أيضاً .

هذا وقد ذهب « جوتييه » مما وجده على لوحة فى متحف « جيميه » (Stela Nr. C. 12) فى نقش ابن الملك « باسر » (النوبى ؟) إلى أن نائب الملك « باسر » الذى عاش فى عهد كل من « آى » و « حور محب » كان نوبيا[1] . غير أن هذا النقش الذى يشك فى قراءته لا يمكن الاعتماد عليه فى الأخذ بهذا الرأى .

وقد ظهر فى عهد الرعامسة مدير بيت للملكة يدعى « نختمين » وهو نوبى الأصل وقبره الذى فى « بقع » قد نشره الأثرى هرمان وقد تحدث عن أصل هذا الرجل كما يأتى[2] :

كان « نختمين » الذى تقلد هذه الوظيفة مرتبطا بوساطتها ببلاط « طيبة » . ويمكن تفسير دفنه فى بلاد النوبة بأنها كانت مسقط رأسه وقد يدل على ذلك تعبير فى صيغة الدفن إذ جاء فيها : « إنك فى قبرك الذى أقمته فى بلدتك بأمر السيد » . غير أن ذلك ليس له أهمية فاصلة لأن هذا تعبير كلامى وعام نجده فى أحوال كثيرة ولكن الدفن فى بلاد النوبة بدلا من مصر ، وبخاصة فى حالة موظف صاحب وظيفة عالية مثل نائب الملك فى كوش ، يعد من الأمور المدهشة الغريبة ، ومما يلفت النظر فى هذه الحالة أن لدينا هنا رجلا صاحب لقب عال يدفن فى « بقع » ولم يدفن فى إحدى المدن الهامة فى السودان مثل « عنيبة » أو « بهين » ومن أجل ذلك فإننا لانخطئ إذا سلمنا أن « نختمين » كان على ما يظهر نوبيا من أهالى بقع نفسها .

هذا ويمكن لنفس الأسباب أن نعتبر نائب الملك « بانحسى » الذى عاش فى عهد

(١) راجع Rec. Trav., 39, 700

(٢) راجع Mitt. D. Inst., 6, 23

« رعمسيس الحادى عشر » من أصل نوبى لأن قبره وجد فى « عنيبة »[1] فى حين أن كل أسلافه على قدر ما نعلم قد دفنوا فى مصر . ومن جهة أخرى فإن اسمه « بانحسى »[2] الذى يعنى النوبى لايقدم برهانا مؤكدا لأن هذا الاسم كان يتسمى به كثير من المصريين وعلى أية حال فإنه كان يتقلد وظائف الدولة العالية واحد من رجال الأقاليم التابعة للدولة فى عهد الرعامسة المتدهور . هذا فضلا عن أنه يصادفنا سائقون لعربة الملك قد وصلوا إلى أعلى الرتب الهامة فى وظائف الحكومة منذ عهد « مرنبتاح » من عصر الأسرة التاسعة عشرة .

وهؤلاء هم من أهالى الأقاليم التابعة للدولة من كل صنف ، وكذلك كان منهم بالفعل من كان نوبى الأصل ، وعلى الرغم من أن النوبيين فى مصر لم يكونوا على قدم المساواة مع المصريين وعلى الرغم من أن المصرى كان ينظر إلى النوبى نظرة الأعلى إلى الأدنى فإن مجال النوبى قد هيأ له فرصا واسعة أمكنه بها أن يتصل بالملك مباشرة ويصل إلى أعلى مراتب الدولة وبخاصة أنه لم يقم أمامه أى عائق قانونى . ولا يمكننا القول بصفة قاطعة إذا كان النوبيون قد وصلوا إلى هذه المراتب بطريق الاستثناء أو إذا كان هذا أمراً كثير الحدوث وبخاصة فى العهد المتأخر من تاريخ البلاد . والأرجح أن النوبى كان يتولى هذه الوظائف فى حالات كثيرة وبخاصة بعد أن أصبح متمصرا تماما ولا فرق بينه وبين المصرى نفسه فى كل الأحوال .

---

(١) راجع Aniba, II, p. 241

(٢) راجع J.E.A., Vol. 14, p. 68 note 2

علاقات بلاد النـــوبة

بسياسة مصر الداخلية

لاشك فى أن المنازعات السياسية الداخلية فى مصر فى عهد الدولة الحديثة كانت قائمة على قدم وساق منذ قام الخلاف على تولية الملك بعد « تحتمس الأول » وبخاصة أنه قد حدث فى تلك الفترة أن الوارثة الشرعية لعرش البلاد كانت « حتشبسوت » ابنته، وقد كان لها على ما يظهر حزب يشايعها فى البلاد وآخر يناهضها، غير أن الوثائق التاريخية لم تدلنا قط على أن أهل السودان كانوا يشايعون حزبا دون آخر، كما لم نجد فى مصر أن حزبا كان يتطلع إلى بلاد السودان بما فيها من خيرات وما تحوى من قوة حربية ليضمها إلى جانبه . والواقع أن ظاهرة الأحزاب فى السودان لم تبرز فى تلك الفترة كما وجدناها فى الامبراطورية الرومانية فى عهدها المتأخر فى الأقاليم التى كانت تحت سيطرتها، فقد كان هناك حزب القيصر والحزب المعادى للقيصر. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الاتجاه قد ظهر فى مصر فى عهد الرعامسة المتأخر عند ما وجدنا أن نائب الفرعون كان شبه حر وأنه كان يتحاز بقوته إلى الحزب الذى يميل إليه (١) .

والواقع أنه فى عهد الأسرة الثامنة عشرة لم تكن توجد لدينا وثائق تبرهن على النظرية القائلة إن بلاد النوبة قد لعبت دوراً هاماً بوصفها عاملا قوياً فى سياسة البلاد الداخلية ، وعلى ذلك فإن نظرية الأستاذ « زيته » التى منها نفهم أن « حتشبسوت » قد طلبت المساعدة للوصول إلى مطامعها السياسية فى عهد زوجها « تحتمس الثانى » من أمراء بلاد النوبة يجب غض النظر عنها (٢) . ومن جهة أخرى يجوز أن رحلة « حور محب » فى بلاد النوبة قبل توليته عرش الملك كان لها علاقة بالسياسة الداخلية ، فمن الجائز أن الشجار الغامض الذى قام بين « حور محب »

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٤١

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢٩٥

الذى كان القائد الأعلى للجيش والوصى على العرش فى عهد « توت عنخ آمون » وبين مناهضه « آى » الذى كان مسيطراً على السلطة فى « طيبة » ، قد جعل الأول يفكر فى رحلة إلى بلاد النوبة ليضم إلى جانبه كبار موظفى الدولة حتى إذا جاء الوقت المناسب ضرب ضربته وقفز إلى عرش الملك . ومن ثم نجد أن « حور محب » عند ما تولى عرش الملك قد عمل على توطيد مكانة البلاد السياسية من جديد وقضى على كل المفاسد التى كانت منتشرة فى طول البلاد وعرضها ، وكانت رحلته إلى بلاد النوبة بعد توليته العرش لنفس الغرض ، كما نقرأ ذلك فى منشور إصلاحه العظيم . وقد كان من أهم ما تصبو إليه نفسه أكثر من أى ملك آخر أن تكون الأحوال فى بلاد النوبة هادئة وأن يكون الموظفون هناك على ولاء للجالس على العرش ، وعلى ذلك لا يكون هناك مجال للحزب المعارض ليكون له قدم راسخة ، ومن ثم لا يكون فى بلاد النوبة أية حروب تطعنه من الخلف وتعوق سير الإصلاح الذى كان يقوم به فى مصر .

أما ثانى عهد نجد فيه شجاراً سياسياً داخلياً عظيما فى مصر فقد كان فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة ، إذ كان قد خلف الفرعون « مرنبتاح » سلسلة من الملوك الذين اغتصبوا عرش البلاد وهؤلاء لا يزال لدينا بعض الشك فى ترتيب توليهم الملك[1] ، وعلى أية حال ظهرت بلاد النوبة فى هذا العهد بوصفها عاملا قوياً فى سياسة البلاد الداخلية وما حيك فيها من دسائس . فنجد أن الملك « رعمسيس سبتاح » قد قام برحلة إلى بلاد النوبة فى السنة الأولى من حكمه لينصب نائب الملك « سيتى » فى وظيفته « نائب كوش »[2] . ولا نعلم إلى أى حد سار هذا الملك فى رحلته فى بلاد النوبة ، غير أن شواهد الأحوال تدل على أنه لم يذهب إلى أكثر من « بهين » . هذا وقد أرسل الملك فى نفس السنة رسوله « نفر حور » بالهدايا[3] وهاك النقش :

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٢٠٣ — ٢٠٦
(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٢٤٩
(٣) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٢٥٠ وكذلك L.D., III, 202 b .

« السنة الأولى من حكم الإله الطيب « رعمسيس سبتاح » معطى الحياة . الثناء لحضرتك ياحور سيد « بهين » ، ليته يمنح الحياة والسعادة والصحة ، والقدرة على الخدمة والحظوة والحب روح رسول الملك فى كل الأراضى الأجنبية ، وكاهن إله القمر (تحوت) الكاتب (المسمى) « نفر حور » بن « نفر حور » كاتب سجلات الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) عند ما حضر بمكافآت لموظفى النوبة وليقود ابن الملك صاحب « كوش » فى رحلته الأولى » . هذا ولدينا نقش من السنة الثالثة من حكم هذا الفرعون يشير إلى ضرائب « كوش »[1] تركه هناك رئيس الرماة وهو من الأهمية بمكان وهاك النقش » حامل المروحة على يمين الملك ، وكاتب الفرعون والمشرف على المالية ، وكاتب ديوان الملك لرسائل الفرعون ومدير القصر فى « برآمون » « بياى » لقد أتى ليتسلم جزية أرض « كوش » . وهذا القائد كان له أهمية عظيمة كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل .

ونفهم من مضمون النقش السالف الذكر أن الملك قد أرسل رجلا ممن يثق بهم ليحمل له الضرائب من كوش التى كان يوردها فى العادة نائب الملك لعاصمة الملك . ويرجع السبب فى ذلك أن الملك كان فى ذلك الوقت المضطرب لا يتسلم الضرائب بصورة منتظمة ، ولذلك أرسل أحد خدامه المخلصين وهو رجل حربى ليحمل له الجزية خوفا من أن يضع بعض الذين لم يكونوا على ولاء له العراقيل فى سبيل إحضارها . ولا نزاع فى أن النقشين الأخيرين الخاصين باحضار الضرائب بوساطة مبعوثين من الملك يكشفان عن حالة عدم الاستقرار فى بلاد النوبة .

وإذا سلمنا مع الأثرى «أمرى» أنه كان يوجد ملك ثالث باسم «سيتى» قد اعتلى العرش بعد « مرنبتاح سبتاح » فإنه من المحتمل أن يكون موحدا « بسيتى » الذى كان نائبا على كوش ، وهو الذى خلف « رعمسيس سبتاح » على العرش[2] . والواقع

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٥١ Randall Maciver, Buhen, p. 25 Pl. II .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٢٠٤ عن الآراء المختلفة فى ترتيب ملوك أواخر الأسرة التاسعة عشرة .

أن الترتيب الذى اقترحه « أمرى » يحمل بدون شك كثيرا من المتناقضات فى المادة التى لدينا ، وذلك بوجود ملك يدعى « سيتى » قبل « سبتاح »[1] وآخر بنفس الاسم بعده . ومع ذلك يبقى وجه الغرابة فى أن ملكين باسم « سيتى » لم يفصل حكمهما إلا بمدة قليلة ، وأن نائب الملك « حورى » الذى خلف « سيتى » فى ولاية كوش كان فعلا فى السنة السادسة من حكم الملك « مرنبتاح سبتاح » يشغل هذه الوظيفة وعلى ذلك يكون « سيتى » قد ترك وظيفته بوصفه نائبا للملك فى زمن معلوم قبل اعتلاء العرش . وعلى الرغم من أن الموضوع لا يزال فى حاجة إلى إيضاح فإنه مع ذلك من الممكن أن يكون هناك فعلا نائب ملك من بلاد النوبة قد اعتلى العرش وهذا ما يتفق مع الأهمية السياسية المتزايدة لبلاد النوبة ، وهذا ما شاهدناه فى العهد السابق المباشر. ومن جهة أخرى يجوز أن من قال عنه « أمرى » أنه « سيتى الثالث » يمكن أن يكون موحدا « بسيتى الثانى » الذى يرجح أنه قد عاد إلى الملك ثانية بعد ترك الملك للفرعون « رعمسيس سبتاح » مدة ثم أبعده ثانية ، وبعد ذلك تزوج من أرملة مرنبتاح سبتاح « توسرت » فى مدة توليه عرش الملك للمرة الثانية .

وعلى حسب كل ذلك لم يكن من الأمور المفاجئة أن تقوم مؤامرة على « رعمسيس الثالث » وان الحزب المعارض للفرعون قد وجد سندا فى بلاد النوبة للوصول إلى غرضه ، وقد شرحنا ظروف هذه المؤامرة شرحا مستفيضا فى الجزء السابع من تاريخ مصر القديمة[2] . والدور الذى لعبته بلاد النوبة هو أن قائد الرماة فى بلاد النوبة كان له أخت فى حريم « رعمسيس الثالث » وكانت فى جانب المتآمرين على الملك . وفى المحاكمة التى أمر بها « رعمسيس الرابع » بعد موت والده وهى التى تصف لنا المتآمرين نجد أن قائد الرماة المسمى « بين مواست » (ومعنى الاسم « الخبيث فى طيبة ») ، (ولا نعلم إذا كان هذا القائد هو نفس القائد المسمى

---

(١) راجع ما كتبه السير الن جاردنر عن قبر الملكة توسرت J.E.A. Vol. 40 p. 40 ff .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٤٠ .

« باكنآمون » المعروف فى بهين أم لا) ، ويلاحظ هنا أن الاسم الأول لهذا القائد لم يكن إلا اسمـا مستعارا نودى به لسوء فعلته . والظاهر أن أخت هذا القائد كان بينها وبين رئيس مكتب « باكنآمون » صلة فأرسلت معه خطابا لأخيها تحضه فيه على الثورة وبث العصيان فى بلاد النوبة على الملك . وقد لبى الأخ هذا النداء ولـكنه قبض عليه وقدم للمحاكمة ووجد مذنبا ، ولا نزاع فى أن انضمام قائد الجيش النوبى للمؤامرة معناه خروج كل بلاد النوبة على حاكم البلاد الشرعى ، وقد كان خطر ذلك أعظم بكثير ممـا لو كان المتآمرون متصلين بقائد الجنود فى مصر ، وذلك لأنه لا يمكن أن تقوم حركة دون أن يكتشف أمرها ، وهذا على عكس ما كان يحدث بعيدا فى إقليم بلاد النوبة حيث يمكن الانسان أن يراقب كل الأخبار الذاهبة إلى مصر ، وعلى ذلك فإن من الممكن نشر أى مشروع من وراء ظهر الحـكومة بكل هدوء وسكينة دون علم بمـا يجرى فى بلاد كوش .

ولم يكن نائب بلاد كوش من جهة أخرى ضمن المتهمين ، ونحن نعلم أن نائب الملك الذى كان فى عهد « رعمسيس الثالث » هو « حورى الثانى » وقد ظل يشغل هذه الوظيفة فى عهد « رعمسيس الرابع » . وهذا يدل على أن هذا النائب قد ظل موالياً للحاكم الشرعى وأن المتآمرين لم يصيبوا نجاحاً كبيراً ، ولا أدل على ذلك من أن « رعمسيس الرابع » قد أفلح فى تنصيب نفسه ملـكا على البلاد .

وفى عهد آخر ملك فى الأسرة العشرين تمزقت مصر شيعاً ، وقد تحدثنا عن ذلك بإسهاب فى الجزء الثامن (1) .

وخلاصة القول فى ذلك أنه قامت ثورة ما بين السنة الثانية عشرة والخامسة عشرة من عهد « رعمسيس الحادى عشر » فى مصر وتولى فى خلالهـا « أمنحتب » رياسة كهنة « آمون » فى مدينة « طيبة » وقد اشترك فيها الأجانب واللوبيون بخاصة وقد كان نائب الملك « بانحسى » على اتصال وثيق مع الوجه القبلى ، وتدل شواهد

(1) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٥٢٣ – ٥٣٣ و ٦٠٢ — ٦١٨

الأحوال على أنه حارب أسرة اللوبيين التى كانت وقتئذ فى دور التكوين ، وقد وقعت الحرب فى جهة « كينو بوليس — هارتارى » التى تقع على مقربة من « هيرا كليو بوليس » (اهناسيه المدينة) وكان « بانحسى » نائب الملك فى كوش والقائد الأعلى للجيش هو المعيد حقاً للنظام فى « طيبه » ، على أنه بعد انتهاء هذه الثورة لم يعد « أمنحتب » إلى وظيفته ، إذ الظاهر أنه كان قد مات عندما رجع الأمن إلى نصابه ، ولكن الذى تولى مكانه وخلفه فيها « حريحور » . والظاهر أن الملك قد أفاد من هذه الثورة إذ أبعد رئيس الكهنة صاحب السلطان العظيم وبذلك تغلب نائب الملك لكوش وشيعته عليه ، أما « حريحور » فقد كان بمثابة أحد الضباط التابعين لنائب الملك « بانحسى » يقود جيش الوجه القبلى فكان فى وظيفته هذه يلعب نفس الدور الذى كان يلعبه يوماً ما « رعمسيس الأول » قبل تولى الحكم تحت قيادة « حور محب » . والواقع الذى لا مراء فيه أن « حريحور » لم يكن يشغل وظيفة كاهن أكبر فى عهد هذا الملك بل إنه ارتفع إلى هذه الوظيفة السامية فى ظل حماية الجنود النوبيين التابعين لنائب الملك « بانحسى » . وقد ظل نائب الملك فى وظيفته هذه بعد نهاية هذه الحروب وعاد إلى بلاد النوبة مقر عمله . وبعد العام السابع عشر من عهد الملك « رعمسيس الحادى عشر » حل « حريحور » محل « بانحسى » فى وظيفة نائب الملك فى كوش وفى الوقت نفسه قبض على مقاليد وظيفة الوزير فى « طيبة » وبذلك أصبح بمثابة الحاكم الحقيقى للوجه القبلى وبلاد النوبة . وقد أصبح « حريحور » بوصفه الكاهن الأكبر « لآمون » المسيطر على كل ثروة معابد الإله « آمون » كما كان بوصفه وزيراً يسيطر على كل إدارة الوجه القبلى ، ومن جهة أخرى فإنه بوصفه نائب الملك فى كوش كان فى مقدوره أن يحمى نفسه من أى ثورة تقوم عليه بمساعدة الجنود النوبيين . ومما يلفت النظر أنه أبقى فى يده وظيفة نائب الملك ونزل لفرد آخر يدعى « نب ماعت رع نخت » عن وظيفة وزير بعد السنة التاسعة عشرة من حكم « رعمسيس الحادى عشر » . وعندما تولى « حريحور » عرش الملك أى بعد وفاة الفرعون « رعمسيس الحادى عشر »

نزل عن وظائفه لابنه « بيعنخى » أو بعبارة أخرى ورثها إياه [1] .

وبعد نهاية الدولة الحديثة كانت الأحوال السياسية فى الجنوب فى ظلمة حالكة وكذلك نجد نفس الغموض فى عصر ما قبل ظهور الأسرة الكوشية التى برزت على مسرح التاريخ فى الربع الأول من القرن الثامن قبل الميلاد . ولكن عندما زحف « بيعنخى » الذى يعد أول حاكم عظيم من الجنوب واستولى على مصر التى كانت قوتها السياسية والثقافية قد انحطت فإنه قد جعل من نفسه بطل مصر الحقيق الذى عمل على نشر معتقداتها الحقيقية ، وبذلك كان ينفذ خطة رسمها لنفسه وهى نفس الخطة التى سارت فيها نهضة عصر الرعامسة المتأخر حيث نجد بلاد النوبة المحصرة قد ظهرت فى سياسة مصر الداخلية بوصفها عاملا قويا بارزا .

ومنذ تولت الأسرة الكوشية (أو الأثيوبية) زمام الأمور فى مصر دخلت مصر فى طور جديد من أطوار حياتها السياسية إذ اختفى فراعنتها وراء الستار فترة من الزمن برز خلالها سلالة ملوك كوش ولعبوا دورا فى إنعاش بلادهم وتوحيد القطرين الشقيقين تحت لواء واحد يحمله ملوك « نباتا » فى الجنوب .

---

(1) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٦٦

الفتح السودانى لمصر

نظرة عامة فى تاريخ الكشوف الأثرية

عن أصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

تحدثنا فيما سبق عن الأطوار التى مرت على العلاقات بين مصر و بلاد النوبة منذ أقدم العهود حتى دخل أهل السودان فاتحين مصر فى القرن الثامن قبل الميلاد. وكان كل ما نعرفه عن الأسرة الفاتحة بعض أسماء ملوكها دون أن نعرف شيئاً عن أصلهم أو موقع ملكهم فى بلاد كوش ، وقد بقيت الحال كذلك إلى أن قامت الحفائر العلمية فى بداية هذا القرن على يد الأثرى العظيم الأستاذ « ريزنر » فأماط اللثام عن بعض معميات هذا الموضوع وقد قفاه بعض العلماء فى البحث والتنقيب فأضافوا بعض معلومات جديدة هامة عن أصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية .

وقد كان أول عمل وصل إليه الأستاذ « ريزنر » هو الكشف عن ست جبانات ملكية تقع كلها فى محيطين عظيمين وهما محيط مدينة « نباتا » ومحيط مدينة « مروى » وتقعان على النيل ، الأولى أقيمت أسفل الشلال الرابع والثانية فى أعلى الشلال الخامس وينسب لكل منهما ثلاث جبانات و يمكن تحديدها بالنسبة للأخيرة .

وكانت مدينة « نباتا » القديمة عاصمة بلاد كوش فى خلال عهد ثقافتها العتيقة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمعبد « آمون » العظيم الذى يقع عند سفح حافة صخرة بارزة من جبل « برقل » تعرف « بالجبل المقدس » فى المتون المصرية القديمة «زووعسب»(1) ويقع هذا الجبل بالقرب من بلدة « كريمة » القريبة من الشلال الرابع . على أن تحديد الموقع الإدارى لبلدة « نباتا » لم يعرف حتى الآن على وجه التأكيد ، غير أنه

(1) راجع Gauth., Dic. Geogr., Tom. 6. p. 115

لدينا براهين تشير إلى أنه كان يقع فى ربوع مدينة « مروى » أو بالقرب منها (ويجب ألا نخلط هنا بين مدينة « مروى » هذه وسميتها الواقعة على مسافة أربعة أميال فى انحدار النيل أسفل جبل « برقل » وتقع على الشاطئ الشرقى للنهر وتدعى الآن « مروى الجديدة »).

والجبانات الملكية الثلاث الواقعة فى منطقة « نباتا » هى :

(١) جبانة « الكورو » وتقع على مسافة ميل غربى النيل وعلى مسافة عشرة أميال شمالى جبل « برقل » .

(٢) وجبانة « نورى » وتقع على مسافة ميل جنوب النيل وعلى مسافة ستة أميال جنوبى جبل « برقل » .

(٣) و « برقل » حيث توجد مجموعتان صغيرتان من الأهرام وتقع بالقرب من جبل « برقل » فى الجنوب والغرب .

وكانت مدينة « مروى القديمة » تعد المركز الإدارى لبلاد كوش فى عهد ثقافتها المتأخر وتسمى الثقافة المروية وهى تقع على الشاطئ الشرقى للنيل على خط عرض ١٦°,٥٥َ,١٥ً شمالا وخط طول ٣٣°,٤٢َ,٣٠ً شرقا وعلى مسافة ٢١٣ كيلو مترا بالسكة الحديد شمال الخرطوم ، وتشغل الآن قرية البجراوية جزءاً من المدينة القديمة . وأهم أثر فيها الآن معبد « آمون » [٢] . هذا وقد قامت بعثة جامعة «هارفرد» بحفر ثلاث جبانات فى « مروى » وتقع كلها شرقى المدينة .

وأهم هذه الجبانات الواقعة فى محيط « نباتا » هى جبانة « الكورو »

---

(١) راجع Griffith, Excavations at Sanam in Liverpool Annal of Archeology and Anthropology, IX (1922) p. 77-124, X. (1923) p. 71-171.

(٢) راجع John Garstang, Meroe, The City of the Ethiopean (Oxford, 1911) ; and Liverpool Annals of Archeology III (1910) p. 57-70 ; ; IV p. 45-71; V (1912) p. 73-83 ; VI (1913) p. 1-21 VII (1914) p. 1-24.

التي كشف فيها عن أهرام أربعة ملوك من فراعنة الأسرة الخامسة والعشرين ، وقد كان لهذا الكشف دوى عظيم فى الأوساط الأثرية ، إذ لم يكن من المتوقع أن يعثر على قبور ملوك هذه الأسرة فى تلك المنطقة وبخاصة بعد أن كشف « ريزنر » فى عام ١٩١٧ عن مقبرة الملك « تهرقا » فى جبانة « نورى » الواقعة على المشارف الجنوبية لمدينة « نباتا » .

وهذه الأهرام الأربعة للملوك الآتين : « بيعنخى » و « شبكا » و « شبتاكا » ثم « تانوتآمون » . وبهذا الكشف الجديد أصبح معروفا لدينا مقابر أربعة من الملوك الذين حكموا مصر وكوش . وهؤلاء هم المعروفون بملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، هذا إلى الكشف عن قبر جدهم العظيم « كشتا » فاتح مصر . وكان المفروض قبل هذا الكشف أن كلا من الملكين « شبكا » و « شبتاكا » قد عاش فى مصر ودفن فيها ، ولكن قد أصبح من الواضح الآن أن موطن الأسرة الخامسة والعشرين القوية السلطان هو بلدة « الكورو » التى كانت تعد مقرهم الرئيسى . والواقع أنه فى هذا المكان وطدت الأسرة أركان حكمها فى كوش قبل عهد « بيعنخى » بأجيال ، ومن هذه البلدة النائية أخذ ملوكها يفتحون ويحكمون مملكتهم العظيمة التى امتدت شهرتها إلى كل أنحاء العالم القديم المتمدين فقد كان يقوم من « الكورو » السعاة رجال البريد حاملين الرسائل باسم ملك كوش إلى عواصم غربى آسيا ، والواقع أنه عثر فى السجلات الملكية فى « نينوه » عاصمة « آشور » على طابع خاتم من الطين باسم الملك « شبكا » منذ عدة سنين ؛ ومن المحتمل أن هذا الطابع كان جزءا من رسالة الملك « شبكا » إلى عاهل « آشور » « سرجون الثانى » ، كما أنه يحتمل أن الرسالة كانت رداً على خطاب قد أحضر إلى « نباتا » ، ومن الجائز أنه لا يزال مدفونا حتى الآن فى إحدى المبانى الخربة من زمن العاصمة القديمة ، وتنتظر معول الحفار لإماطة اللثام عنها . ومن الغريب أنه قبل الكشف عن هذه المقابر الملكية فى « الكورو » كان علماء الآثار يقولون بوجود أربعة ملوك باسم « بيعنخى »

أو أكثر كما قالوا بوجود ملكين باسم « كشتا » وكلهم حكموا مصر . وهذا القول الذى لم يكن يرتكز على أساس أثرى قد وضع له حد بعد الكشف عن مقابر « الكورو » ؛ فقد دلت الآثار على أنه لم يوجد إلا ملك واحد باسم « كشتا » وآخر باسم « بيعنخى » على أغلب الظن . هذا وقد أضافت لنا الكشوف بعض التقدم بإماطة اللثام عن تاريخ العصر الذى يقع بين آخر نائب ملك لمصر فى كوش وحكم الملك « كشتا » .

والخطوة الرئيسية فى الموضوع الذى نتحدث عنه هى الكشف عن الأصل اللوبى لأول أسرة كوشية ملكية . ولما كانت النتائج التى وصلنا إليها قد استنبطت من الآثار التى كشفت عنها أعمال الحفر فى هذه الجهة فإنه من الضروريات الهامة أن نفسر سلسلة الحقائق التى أسفرت عنها الحفائر .

الجبانة الملكية فى « الكورو » :

فى الواقع أن جبانة « الكورو » هى أقدم الجبانات الكوشية الملكية كما أنها أقلها حفظا من جهة المبانى التى تعلو قبورها وذلك لأن أحجارها قد نهبت بصورة بشعة واتخذت مادة لإقامة المبانى الحديثة للسكان المجاورين لهذه الجبانة لدرجة أنهم فى كثير من الأحيان لم يتركوا بعض الأحجار لتدل على المبانى العلوية للقبر ، هذا إلى أنه لم تترك حجرة دفن واحدة سليمة ، ومع ذلك فإن الأهمية التاريخية لهذه الجبانة عظيمة جدا وما بقى فيها من مواد أثرية كان عظيما . والواقع أن حفائر « الكورو » قد وضعت الأساس لفهم تطور مبانى القبر الملكى النباتى ، هذا بالاضافة إلى الأشياء المصنوعة التى وضعت مع المتوفى فإنها قد سهلت موضوع التاريخ فى الجبانات الأخرى التى من العصر الكوشى .

وإن أهم ما يلفت النظر فى جبانة « الكورو » أنها تقدم لنا العناصر الهامة التى نجد مثلها فى جبانة « نورى » ، وأعنى بذلك أن المقابر فيها كانت من الطراز الهرمى الذى له طريق ذات سلم ، واتجاه المبنى كان نحو الغرب (على الشاطئ الأيسر

للنيل) ، ثم فصل مقابر الملكات عن مقابر الملوك . وعلى الرغم من هذا التوافق فإنه توجد فروق عظيمة بين الجبانتين . فالجبانة التى فى « نورى » كان قد أسسها الملك « تهرقا » ويقع قبره الهرمى الشكل فى أجمل موقع فيها ، إذ يقع على أعلى جزء من الهضبة التى فيها الجبانة وهى على شكل حدوة فى الجهة الشرقية . أما مقابر الملوك الذين خلفوه على عرش كوش فقد أقيمت على طول قمة الهضبة حتى نهاية الجزء الغربى منها حيث أقيم قبر الملك « نستاسن » من أواخر ملوك هذه الأسرة فى أخفض وأردأ مكان بالنسبة للمقابر الأخرى .

أما الملكات فقد دفنّ على كل من جانبى هرم « تهرقا » وخلفه . أما فى « الكورو » فإننا نجد على أية حالة أن الرقعة الرئيسية التى أقيمت عليها مقابر الملوك الأربعة تقع على هضبة من الحجر الرملى بين واديين فى حين أن المساحات التى تقع فى الشمال والجنوب من هذين الواديين قد أقيم عليها مقابر الملكات . ويلاحظ أنه فى « نورى » كان الموقع الرئيسى يحتله هرم الملك « تهرقا » مؤسس الجبانة ، ولكن فى « الكورو » نلحظ أن الموقع الرئيسى أو بعبارة أخرى موقع قبر المؤسس للجبانة كان يحتله قبر خاص على هيئة تل . وبعد ذلك نجد الخمسة عشر موقعا التى تلى هذا القبر قد شغلت بسلسلة مقابر كان حجمها يزداد على التوالى كما كانت مبانيها تمتاز بجمالها وإتقانها على التوالى أيضا . ثم يلى ذلك المقابر الملكية الأربع وقد أقيمت فى أحقر أربعة مواضع فى الجبانة ، ولا غرابة فى ذلك إذ كانت آخر مقابر فى جبانة استعملت باستمرار منذ بضعة أجيال قبل موت « بيعنخى » ولذلك لم يبق منها غير مشغول إلا الأماكن الحقيرة .

وتقع رقعة الجبانة الرئيسية فى « الكورو » بين واديين وتأخذ فى الارتفاع شيئا فشيئا نحو الصحراء حتى يبلغ علوها حوالى ثمانين ومائتى متر . وفى النهاية الشرقية من هذه الجبانة جبل صغير أقيم فى قمته قبر على هيئة تل مستدير مؤلف من أحجار صغيرة خشنة وحجرة دفن مغطاة ببناء على شكل تل وهى عبارة عن بئر

مستطيلة مساحتها ثلاثة أمتار وعشرون سنتيمترا وعرضها متر وسبعون سنتيمترا وعمقها متران وخمسون سنتيمترا ويتجه هذا القبر من الشمال إلى الجنوب وله سلم على الجانب الغربي وحجرة الدفن في الجهة الشرقية في قعر البئر . وهذه الحجرة قد سدت بإقامة جدار خشن البناء من اللبنات وقد رمز لهذه المقبرة « بالكورو » رقم واحد .

وبالقياس للمقبرة رقم ٢ في « الكورو » نعلم أن المتوفى كان مضطجعا على جانبه الأيمن بركبتيه المطويتين بعض الشيء ورأسه نحو الشمال ووجهه متجه نحو الغرب . وتوجد حول هذا القبر في منخفض من سفح الجبل ثلاثة مدافن متشابهة . وأسفل من ذلك من جهة الغرب أقيم قبر آخر على هيئة تل كذلك ، غير أن منظره الخارجي أحسن من المقابر السابقة وهو الذي رمز له « بالكورو » رقم ١٩ . وهذا القبر يشبه المقابر التي في المستوى الأعلى منه في كل أسسه ، ولكنه يمتاز بأنه قد كسي بأحجار رملية محكمة البناء أقيمت حول التل المؤلف من أحجار صغيرة وقد زيد فيه بعض إضافات نخص بالذكر منها مزارا أو مقصورة في الجهة الغربية وسورا من الحجر الرملي على هيئة حدوة الحصان وهذه تعد ظاهرة جديدة في هذه المقابر . هذا وقد أقيم على صخرة خارجة من الهضبة في الجنوب من « الكورو » رقم ١٩ مقبرة أخرى مكسوة بالأحجار (وهي « الكورو » رقم ٦) على غرار المقبرة رقم ١٩ ، (والمقبرة رقم ٦ هي للملكة « أرتي » ابنة « بيعنخي » كما سنرى بعد) .

هذا وقد أقيم أمام المقبرة رقم ١٩ صف من المصاطب عددها ثمان وتخترق الهضبة من الوادي الجنوبي إلى الوادي الشمالي وتحمل على حسب ترقيم الأستاذ « ريزنر » الأرقام التالية ١٤ ، ١٣ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٢٣ ، ٨ ، ٧ . ويوجد أمام المسافة التي بين المقبرتين ٨ ، ٧ مصطبة تاسعة وهي التي تحمل رقم « الكورو » ٢٠ وهي صغيرة جداً ، وبدهي أنها تابعة « للكورو » رقم ٨ . وأقدم هذه المصاطب هما « الكورو » رقمي ١٤ و ١٣ وقد أقيمتا في الجنوب والشمال من مدخل السور الذي على شكل الحدوة الخاص « بالكورو » رقم ١٩ . وذلك بطريقة أدت إلى ترك

مكان خال للدخول من جهة الغرب . وكان الجدار المسور للمقبرة رقم ١٣ قد أقيم مرتكزاً على الجدار المسور للمقبرة رقم ١٩ على هيئة تل وعلى ذلك أصبح من الواضح أن كلا من المصطبتين ١٤ ، ١٣ أحدث عهداً من المصطبة رقم ١٩ بل بنيتا عند ما كانت القربان التى كانت تقدم لصاحب المقبرة رقم ١٩ لا تزال قائمة .

ولدينا برهان آخر عن الصلة الوثيقة التى بين هاتين المصطبتين والمقابر التلية الشكل التى أقدم منها وهو أن المقبرة رقم ١٤ يظهر أنها قد وضع تصميمها على أن تكون مقبرة تلية ثم حولت فيما بعد إلى مصطبة ويمكن رؤية التل المؤلف من أحجار صغيرة فى داخل مبنى المصطبة . وإذا استثنينا هذا نجد أن كل المصاطب حتى « الكورو » رقم ٩ كانت من طراز واحد وأن حفر الدفن كانت بالضبط مثل حفر دفن المقابر التلية وبنفس اتجاهها . أما المبنى الذى كان مقاماً فوق حجرة الدفن فهو عبارة عن قطعة مربعة جوانبها عمودية ويبلغ ارتفاعها حوالى متر وعشرين سنتيمتراً أو أكثر ، غير أن شكل قمة المبنى لم يمكن التأكد من هيئته . ويوجد فى الجهة الغربية مقصورة أو مزار مبنى ، وحول الكل سور مستطيل قمته مستديرة . هذا ونجد من حيث الوضع أن المصطبتين التاليتين للمقبرة التاسعة وهما ٢٣ ، ٢٠ على الرغم من أنهما مثل المصاطب القديمة فى كل صفاتها إلا أن لكل منهما حفرة دفن بسيطة تتجه من الشمال إلى الجنوب . والمصاطب الأخيرة كانت بداهة هى ٨ و٧ و ٢٠ بهذا الترتيب . ويلاحظ أن المصطبتين الكبيرتين ٨ ، ٧ [1] مشابهتان فى تصميمهما لمصاطب الدولة القديمة المصرية ولها حفرة دفن مفتوحة مثل المقبرتين رقم ٢٣ ، ٢١ غير أنهما تختلفان فى نقطتين : أولاهما : كانت المصطبة مبنية من أحجار صغيرة والمقصورة والجدار المسور شيدا من جديد بأحجار ضخمة حسب الطراز الذى بنى به قبر الملك « شبتاكا » ، وثانيتهما : كانت حجرة الدفن تتجه من الشرق إلى الغرب وهو الاتجاه الذى نجده فى مقابر ملوك كوش من هذا العهد وما بعده .

---

(١) يحتمل أنه قبر الملك « كشتا » .

والمقابر التى تأتى بعد هذه من حيث الطراز ومن حيث الزمن مقابر الملكات التى من عهد الفرعون « بيعنخى » وقد أرخت بنقوش وآثار مادية وجدت فيها . ويلحظ أنها ليست فى نفس الرقعة الرئيسية التى أقيمت فيها المقابر التى تحدثنا عنها ، بل وجدنا واحدة منها فى الرقعة الشمالية وهى المقبرة رقم ٢٢ كما وجدنا خمسا فى الرقعة الجنوبية (من رقم ٥١ إلى ٥٥) ويلفت النظر أن البناء العلوى الذى فوق هذه المقابر الست قد هدم تماما ، غير أن أماكن الدفن كانت أماكن الدفن فى المقبرتين ٨ ، ٧ وقد ذكرنا هذه المقابر هنا لأن حفر الدفن كانت مسقفة بقبوة خارجة وعلى ذلك يمكن أن نستنبط أن حفر الدفن المفتوحة (وهى ٢٣ ، ٢٢ ، ٨ ، ٧) كانت مسقفة بنفس الطريقة .

هذا ونجد فى الرقعة الرئيسية أن المقبرة التى تلى المصاطب هى مقبرة الملك « بيعنخى » وتقع على مسافة حوالى عشرة أمتار ، أمام صف المصاطب فى الجزء الأسفل الذى بين المقبرتين العاشرة والحادية عشرة وهى من نفس طراز المقابر التى لها حفرة وسقفها مقبب خارج ؛ غير أنه قد ظهر فيها نقطة جديدة حتمتها الزيادة الكبيرة التى أضيفت فى حجم المقبرة وعمقها ، فقد بلغت مساحة حجرة الدفن ٥٫٥٠ أمتار × ٣٫٥ أمتار × ٥٫٥ أمتار عمقا فى حين أن أكبر الحفر السابقة وهى « الكورو » رقم ٨ قد بلغت مساحتها ٣٫٥٠ × ٢٫٥ × ٣ من الأمتار عمقا ، هذا وكانت الخارجة مؤلفة من أحجار أكبر حجما رصت رصا متقنا . أما فى حالة حجرات الدفن فى المقابر القديمة فكان لا بد أن الخارجة أقيمت بعد الدفن ؛ وذلك لأن حجرة الدفن لم يكن لها مدخل . ويلفت النظر فى مقبرة « بيعنخى » أن عمق حجرة الدفن وحجم الأحجار التى بنيت بها الخارجة قد جعلت المومية والقربان فى خطر ، ولكن لتقليل هذا الخطر عمل سلم خشن صغير قطع فى الصخر من جهة الغرب يؤدى إلى النهاية الغربية من حفرة الدفن بوساطة باب مقطوع فى الصخر . ومن ثم نفهم أنه لأسباب عملية محضة قد حولت حجرة الدفن البسيطة إلى حجرة دفن لها سلم .

وكان قبر « بيعنخى » هو الأول من سلسلة طويلة من المقابر الملكية ذات السلالم التى أقيمت فى بلاد كوش[1] .

ومما يؤسف له أنه لا يمكننا الجزم مما تبقى إذا كان البناء العلوى الذى أقيم على حجرة الدفن قد اتخذ شكل مصطبة أو هرم مثل المقابر الملكية التى بنيت بعد هذا القبر ، وعلى أية حال فإن البناء العلوى المربع كان فوق السقف ذى الخارجة مباشرة فى حين أن المزار الملاصق له فى الجهة الغربية لا بد أن يكون قد بنى بعد الدفن على الردم الذى ملأ السلم وبذلك كان أساس المزار ضعيفا جدا ولا بد أنه قد هبط بعد أول مطر غزير فسبب تداعيا جزئيا فى الجدران .

أما مقبرة الملك « شبكا » (Ku. 15) فكانت مقامة على مسافة عشرين مترا جنوب مقبرة « بيعنخى » وأمام المصطبة رقم ١٤ التى لم يعثر على اسم صاحبها وهى فى الواقع أقل المصاطب أهمية فى هذا الصف ويحتمل أنها أقدمها .

وتدل مبانى مقبرة الملك « شبكا » على تقدم محس عن مبانى مقبرة « بيعنخى » ولكن تصميمهما الأساسى واحد فنجد أن حجرة الدفن فى مقبرة « شبكا » لم تظل بعد حفرة فى صورة حجرة بل أصبحت حجرة منحوتة فى الصخر الصلب ولها سقف مقطوع كذلك فى الصخر مقبب على غرار سقف « بيعنخى » . هذا إلى أن السلم صار أجمل صنعا بدرجة كبيرة وأكثر عمقا وينزل حتى باب حجرة الدفن ؛ وكذلك نجد أن نقطة الضعف فى تأسيس المزار على الردم قد تلوفيت بطريقة كان لها أثر فى تطور القبر الملكى فى كوش فى المستقبل ؛ فلم يترك السلم مكشوفا فى كل امتداده حتى باب حجرة الدفن ، بل نجد أن الدرجات الست الأخيرة كانت مقطوعة فيما يشبه النفق بحفرها فى الصخر ولم يكن له عارضتا باب عند المدخل وقد أقيم على هذا النفق المزار وبذلك أصبح يرتكز على صخرة . أما البناء المربع الذى كان يقام على حجرة الدفن فقد اتخذ شكلا هرميا يغطيها كلها .

(١) راجع El Kurru, I, p. 17

أما المكان الذى يقع فى شمالى مقبرة « بيعنخى » وهو الذى يقابل فى موقعه هرم « شبكا » فكان موضعه مباشرة أمام المصطبة التى تعد أحدث وأهم مصاطب الصف . ولا نعلم إذا كان الملك « شبتاكا » صاحب هذا القبر قد انتخب مكانه خلف المقبرة رقم ٨ (ويحتمل أنه قبر الملك « كشتا ») احتراما لهذه المصاطب أو بسبب رداءة نوع الحجر فى هذا المكان ، ويدل إعادة بناء المقبرة رقم ٨ على يد بنائى مقبرة « شبتاكا » على أنها كانت ذات أهمية عظيمة فى نفس هذا الملك . ويدل بناء قبر « شبتاكا » على تقدم جديد فى فن العمارة إذ نجد السلم ينتهى عند بداية الممر الذى حوّل إلى دهليز له سقف أفقى وسطح منبسط . وعند القمة ينزل السلم من الجنوب بمقدار تسع درجات قبل أن يتحول إلى الشرق بزاوية مستقيمة ، وقد عمل ذلك لتلافى التعدى على الجانب الشرقى من سور المقبرة رقم ٨ ، هذا ويلفت النظر بصورة بارزة أن حجرة الدفن كان سقفها مقبباً وخارجا عن سقف حجرة دفن « بيعنخى » ولكنها كانت أكبر مساحة إذ تبلغ مساحتها ٨ أمتار فى أكثر من خمسة أمتار وما يقرب من ستة أمتار فى العمق . ويظهر أن سبب هذا التغير كشف تشقق فى أم الصخر مما جعل قطع سقفه مهدداً بالخطر .

ويأتى بعد ذلك فى الترتيب التاريخى هرم « نورى الأول » وهو قبر « تهرقا » خلف « شبتاكا » . و « تهرقا » هذا هو أحد أبناء « بيعنخى » كما سنرى بعد من أميرة تدعى « آبار » والظاهر أنها كانت ابنة الملك « كشتا » ، ولا نعلم السبب الذى دعا « تهرقا » هذا إلى إقامة مقبرته فى « نورى » ، ومن الجائز أن السبب يرجع إلى خليط من الغرور الانسانى والأحقاد الأسرية ، وقد يكون فى ذلك مثله كمثل « زدفرع » أحد ملوك الأسرة الرابعة عندما بنى هرمه فى « أبو رواش » بدلا من منطقة أهرام الجيزة[1] ، ولكن من الواضح من جهة أخرى أنه لم تكن فى « الكورو »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٢٩٥ الخ وقد دلت الكشوف الأثرية الحديثة على أن حكم هذا الملك قد جاوز الحادية عشرة كما يشاهد ذلك من الكتابات بالمداد الأحمر التى وجدت على الأحجار التى تغطى المركب الشمسية المكشوفة حديثا . ومع ذلك فإن هذا التاريخ مشكوك فيه .

مساحة كافية فى جبانة الملوك لإقامة هرمه الضخم نسبيا ، إذ يبلغ ارتفاعه حوالى اثنين وخمسين متراً مربعا ، وهذا الهرم الذى يدل على زهو صاحبه يحوى عدداً من الحجرات والدهاليز التى أحكم نظامها تحت الأرض مما جعل منظره لأول وهلة يختلف عن المقابر الملكية التى سبقته ، ولكن عند فحصه بدقة ظهر أن تصميمه الأصلى لا يختلف كثيراً عن مقبرة « شبتاكا » سلفه . فنجد هنا السلم أمام حجرة الدفن المربعة التى قسمت ثلاثة ممرات بعمد مقطوعة فى الصخر ، ولكن الدهليز الأفقى الذى على هيئة نفق قد حول إلى حجرة استقبال صغيرة لها عارضتا باب معشقتان ، يضاف إلى ذلك أن مقبرتى الملكتين اللتين فى « نورى » وهما اللتان لابد قد أقيمتا فى عهد « تهرقا » ويحملان رقمى ٣٥ ، ٣٦ تدعى أولاهما « آبار » والثانية « أتخباسكن » وتحتوى كل منهما على حجرتين بسيطتين ، والميزة الخاصة لهذا القبر الذى يحوى حجرتين وسلما هو وجود ثلاث أو أربع درجات تؤدى من حجرة الاستقبال إلى حجرة الدفن .

وقد خلف « تهرقا » فى الحكم الملك « تانوتآمون » بن الملك « شبتاكا »[1] وقد عاد هذا العاهل إلى « الكورو » حيث أقام قبره هناك . ففى جبانتها المزدحمة انتخب موقعاً يرتكز على الجانب الجنوبى لهرم جده « شبكا » وقد أفلح فى بناء هرم صغير له حشره بين هرم جده « شبكا » وبين الوادى الجنوبى . والواقع أنه كانت توجد مساحة تتسع لمثل هذا الهرم الصغير بين مقبرة « بيعنخى » وهرم « شبكا » ولكن الظاهر أنه لم يكن من المستحب لديه إقامة مبانى المصاطب القديمة الهامة أى أمام المقبرتين رقمى ١١ ، ١٣ واسما صاحبيهما مجهولان[2] .

ويلاحظ أن مقبرة « تهرقا » تعد صورة مطابقة للتصميم الأصلى الذى نشاهد أنه قد نفذ فى أقدم مقبرتين للملكتين فى « نورى » وتتألف كل منهما من سلم وحجرة استقبال صغيرة وثلاث درجات وحجرة دفن كبيرة مستطيلة الشكل . ونجد قبل عهد

---

(١) راجع El Kurru, 16 fig. 212 Pl. XVII A

(١) راجع El Kurru. 11. Fig. 17 a , Pl. XIV B. p. 49 ; Ibid 13, Fig 18 a Pl. XVA, p.51

« تانوتآمون » مقبرتين من هذا الطراز أقيمتا للملكتين « خنسا » و « تابيرى »
كما يبرهن على ذلك التماثيل المجيبة التى وجدت لهما فى الساحة الشمالية فى « الكورو » .
والملكة الأولى وهى « خنسا » بنت « كشتا » وزوج « بيعنخى » وأخته والثانية
وهى « تابيرى » زوج « بيعنخى » وأخته أيضاً . وقد أصبح هذا الطراز من الهرم
الذى يحتوى على حجرتين وسلم من هذا العهد هو الطراز التقليدى لأهرام الملكات .
وقد استعمل هذا الطراز فيما بعد بوصفه أقل نوع لدفن الملوك الذين كانوا يدفنون
لأى سبب دفناً متواضعاً .

وقد أقام « اتلانرسا » خلف « تانوتآمون » فى « نورى » (نورى ٢٠) مقبرة
من هذا الطراز الذى يشمل حجرتين ولكن يلحظ أن حجرة الاستقبال وحجرة الدفن
كانتا على مستوى واحد . والتغير الوحيد الذى نلحظه فى مقبرته كان بلا شك سببه
الفقر ، ولكنه قد قلد فى مقابر الملكات بعد موته .

وتولى الملك بعد « اتلانرسا » الملك « سنكامنسكن » (نورى ٣) وكان ملكا
ثريا قويا ومن عظماء الملوك الذين أقاموا مبانى كبيرة فى معابد جبل « برقل » . وكان
حبه للترف ظاهرا فى كل نواحى قبره ، وإذا استثنينا الملك « بيعنخى » فإنه يعد
الملك الوحيد الذى وجدنا فى قبره تماثيل مجيبة من الحجر عملها لنفسه وهو كذلك
الملك الوحيد بلا استثناء الذى استعمل الصل الملكى فى تماثيله المجيبة . وهرمه يعد
أكبر هرم أقيم بين أهرام الملوك الذين سبقوه عدا هرم «تهرقا» الذى يبلغ حجمه حوالى
ثمانية وعشرين مترا مربعا وقد قلده كل عظماء الملوك ممن خلفوه إلى أن قلل الملك
« أمانيامتبارقا » الحجم التقليدى للهرم وجعله حوالى ستة وعشرين مترا وستين سنتيمترا
ولم يكن من المدهش إذا أنه أدخل أول توسيع فى التصميم القديم الذى كان يحتوى
على حجرتين تحت الأرض . فقد خالف « تهرقا » الذى كبر ووسع حجرة الدفن باستعمال
العمد ، وقد أضاف « سنكامنسكن » حجرة ثالثة بين حجرة الاستقبال وحجرة الدفن ،
وهذه الحجرة كانت واسعة أكثر من اللازم بالنسبة لطولها وتقع على طول محور القبر.

وقد كانت هى وحجرة الدفن نفسها تظهران فى تصميمهما مشابهتين لمزار القربان الذى كان يعمل فى المقابر المصرية المنحوتة فى الصخر . وقد استعملت الجدران لينقش عليها المتون الجنازية التى تسمى الاعترافات بعدم ارتكاب ذنوب وهى جزء من كتاب الموتى ، وتشمل الفصل الخامس والعشرين منه[1] . ويلاحظ أنه ليكون مبنى الهرم فوق حجرة الدفن تماما قد أقيم الهرم إلى الشرق قليلا وبذلك تركت مسافة بين وجهة المزار والنهاية الشرقية للسلم . وهذا الطراز من الهرم الذى كان يتألف من ثلاث حجرات وسلم قد اتخذه الملوك الذين خلفوا « سنكا منسكن » نموذجاً لإقامة مقابرهم وبذلك أصبح تقليداً للملوك الذين حكموا مدة طويلة .

وقد ظل هذا الطراز من الهرم مستعملا مع بعض تغييرات طفيفة حتى القرن الأول قبل الميلاد وهو الطراز الذى وجدناه فيما بعد فى بلدة « مروى » .

ومن ثم يمكن تتبع التطورات الطبيعية للهرم الذى يتألف من ثلاث حجرات وسلم وذلك من أول المقبرة التلية الشكل القديمة فى « الكورو » وهى التى تطورت إلى مقبرة تلية الشكل مكسوة بالحجر ثم إلى المصطبة القديمة المعروفة فى عهد الدولة القديمة . وبعد ذلك تطورت الأخيرة إلى مقبرة بها حفرة للدفن ثم تحولت هذه المصطبة إلى مقبرة ذات حفرة وسلم وهى التى ابتدعها « بيعنخى » ثم تطورت الأخيرة إلى هرم أقامه « شبكا » له حجرة واحدة وسلم ، وقد حذا حذوه « شبتاكا » ثم إلى هرم له حجرتان وسلم ابتدعه « تهرقا » وقفا أثره كل من « تانوتآمون » و « اتلانرسا » وأخيراً قبر « سنكا منسكن » وهو القبر الهرمى الأول الذى أصبح طرازه تقليداً متبعاً . هذا ونجد أن التغير فى اتجاه القبر من شمال — جنوب إلى شرق — غرب الذى حدث فى المصاطب التى لها آبار للدفن كان سببه على ما يظن تأثيراً مصرياً . أما التغيرات الأخرى فيرجع أصلها إلى حب الزهو المتزايد الذى سببته القوة المتزايدة

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٢٢٣ حتى ٢٥٠

وقد اتخذت لاعتبارات تكاد تكون كلها عملية وإذا تدبرنا العرض الذى لخصناه من أعمال الحفر التى قامت فى المناطق الأثرية فى السودان وبخاصة فى « الكورو » و « نورى » وجبل « برقل » هذا بالإضافة إلى الآثار التى كشفت عنها أعمال الحفر سواء أكانت منقوشة أم غير منقوشة اتضح أن « الكورو » كانت جبانة أسرية أسسها الرجل الذى دفن فى المقبرة رقم ١ « بالكورو » وهى التى على قمة الجبل[1] وأن الملوك « بيعنخى » و « شبكا » و « شبتاكا » و « تانوتآمون » كانوا آخر ملوك من هذه الأسرة دفنوا فى هذه الجبانة ، ومن ثم يحق لنا أن نسمى القبور الستة عشر التى عثر عليها فى هذه الجهة مقابر أجداد « بيعنخى » . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنه لم يعثر على جثة ملك واحد من هؤلاء الملوك فى أثناء أعمال الحفر التى عملت فى مقابرهم ، هذا إذا استثنينا أجزاء من جمجمة الملك « شبتاكا[2] » وسنتحدث عنها فيما بعد ، ومع ذلك فإنه من الممكن أن نحدد على وجه التأكيد اسم أحد الأجداد وأصل سلالة الأسرة وما كانت عليه ملوكها من قوة ، والحالة التى تقلبت فيها مصائرهم .

ويجب أن نشير هنا أولا إلى أنه لم توجد أية مدافن معاصرة للمقابر التلية الشكل أو المصاطب بين مقابر الملكات فى المساحة الشمالية أو الجنوبية أو فى داخل محور طوله خمسة أميال . والظاهر أن هذا الفصل بين مقابر الأناث ومقابر الذكور يرجع إلى عهد الملك « بيعنخى » . وقد عثر على عظام آدمية يحتمل أنها لأنثى فى إحدى المصاطب[3]، ولكن يحتمل مع ذلك أنها من مقبرة أخرى ويحتمل أنها المقبرة رقم عشرة[4] . ويجب أن نستنبط أن مقابر الأجداد كانت تشمل نساء ورجالا على السواء . وعلى ذلك نجد أن الست عشرة مقبرة تمثل أقل من ستة عشر جيلا ، ومن الممكن أن نقسم

(١) راجع El Kurru I, p 12

(٢) راجع El Kurru, I, p. 67

(٣) راجع El Kurru. p 49

(٤) راجع El Kurru, p. 48

مجموعة هذه المقابر على أسس أثرية ستة أجيال ، والجيل الأخير منها تمثله المصاطب رقم ٨ و ٧ و ٢٠ ، هذا ويلاحظ أن المقبرة رقم ٨ هى أهم المجموعة وأقدمها (ويحتمل أنها للملك « كشتا » كما ذكرنا من قبل[1]) . وعلى هذا الزعم يكون سلف « بيعنخى » من ملوك كوش هو الملك « كشتا » والد « بيعنخى » وعلى ذلك فمن الجائز أن المقبرة رقم ٨ هى للملك « كشتا » والمقبرة رقم ٧ هى لزوجته الأولى « بباتما » والدة الملكة « بكاستر » ومن المحتمل أنها والدة « بيعنخى » نفسه وأخيه « شبكا » .

وإذا فرضنا ستة أجيال للأجداد (والجيل يقدر بثلاثين عاما) فإن مجموع عمرهم يكون حوالى ثمانين ومائة سنة ، وإذا فرضنا خمسة أجيال فقط وهو أقل تقدير فإن المدة تكون خمسين ومائة سنة . وإذا أخذنا عام ٧٤٠ ق . م . بداية لحكم « بيعنخى » فإن هذين يقدمان لنا تاريخا بين ٩٢٠ و ٨٩٠ ق . م . لشباب الرجل الذى دفن فى مقبرة « الكورو » رقم واحد . وهذا التاريخ يقع فى دائرة حكم « شيشنق الأول » و « أوسركون الأول » و « تاكيلوت الأول » وهؤلاء هم باكورة ملوك اللوبيين فى مصر وهذا وهو التاريخ الذى وضعه « ريزنر[2] » لجبانة « الكورو » . ولكن من جهة أخرى نجد « دوس دنهام » يبتدع تاريخا آخر ، يختلف بعض الشئ عن التاريخ الذى اقترحه « ريزنر[4] » حيث يقول إن العصر الرئيسى الذى استعملت فيه جبانة « الكورو » يشمل اثنى عشر جيلا تمثل السبعة الأخيرة منها مقابر أعضاء الأسرة المالكة من أول الملك « كشتا » حتى الملك « اتلانرسا » . والظاهر أنه قبل عصر الجيل الذى عاش فيه « كشتا » قد عاش خمسة أجيال من أجداده لهم مقابر . وإذا فرضنا أن كل جيل يقدر بعشرين سنة فإنه من الممكن وضع أقدم هذه المقابر الخاصة بأجداد « كشتا » (أى المقبرة رقم واحد) حوالى عام ٨٦٠ ق . م .

---

(١) راجع El Kurru, p. 46

(٢) راجع Sudan Notes and Records Vol. II, p. 245-6

(٣) راجع Dows Dunham, The Royal Cemeteries of Kush, El Kurru p. 2 *ff*

وقد نسب إلى هذه الأجيال الخمسة (على أساس التطورات التى حدثت فى الدفن ومبانى القبر) ثلاث عشرة مقبرة . ولم نعثر فى أثناء الحفر على أى اسم من أسماء أصحاب هذه المقابر الخاصة بهؤلاء الأجداد .

ولكن عند ما نبتدئ فى تاريخ ملوك « نباتا » تصبح الأحوال أحسن إذ يمكن معرفة أسماء أصحاب المقابر بما وجد فيها من نقوش ، وهاك قائمة مرتبة ترتيباً تاريخيا وتشمل الاثنى عشر جيلا للأجداد والعصر الملكى النباتى فى « الكورو » مع التاريخ المقدر لكل جيل ، وكذلك الأسماء وصلة النسب عند ما توجد :

الجيل	التاريخ	رقم المقبرة وصلة النسب
(١)	حوالى ٨٦٠—٨٤٠ق.م	المقبرة رقم ١ ، ٤ ، ٥ التلية الشكل } لم توجد أسماء أصحابها
(٢)	٨٤٠ — ٨٢٠ ق . م	المقبرة رقم ٦ ، ١٩
(٣)	٨٢٠ — ٨٠٠ ق . م	المقبرة رقم ١٣ ، ١٤ } لم تعرف أسماء أصحابها
(٤)	٨٠٠ — ٧٨٠ ق . م	المقبرة رقم ٢ ، ٩ ، ١٠ ، ١١
(٥)	٧٨٠ — ٧٦٠ ق . م	المقبرة رقم ٢١ ، ٢٣
(٦)	٧٦٠ — ٧٥١ ق م	المقبرة رقم ٨ ويحتمل أنها للملك « كشتا » .
(٧)	٧٥١ — ٧٤٦ ق . م	المقبرة رقم ١٧ صاحبها الملك « بيعنخى » ابن الملك « كشتا » .
		المقبرة رقم ٧ يحتمل أنها للملكة « بباتما » زوج الملك « كشتا » وأخته .
		المقبرة رقم ٢٠ لم يعرف اسم صاحبها .
		المقبرة رقم ٢٢ لم يعرف اسم صاحبها .
		المقبرة رقم ٥٣ صاحبتها الملكة « تابيرى » زوج « بيعنخى » وبنت « ألارا » .

الجيل	التاريخ	رقم المقبرة وصلة النسب
		المقبرة رقم ٥٤ يحتمل أنها للملكة « بكساتر » زوج « بيعنخى » و بنت « كشتا » .
		المقبرة رقم ٥٥ يحتمل أنها لملكة .
		المقبرة رقم ٢٢١ — ٢٢٤ لخيل « بيعنخى » .
(٨)	٧١٦ — ٧٠١ ق . م	المقبرة رقم ١٥ صاحبها الملك « شبكا » بن « كشتا » وأخو « بيعنخى » .
		المقبرة رقم ٦٢ لملكة .
		المقبرة رقم ٧١ يحتمل أنها لملكة .
		المقبرة رقم ٢٠١ — ٢٠٨ خيل « شبكا » .
(٩)	٧٠١ — ٦٩٠ ق . م	المقبرة رقم ١٨ صاحبها الملك « شبتاكا » بن « بيعنخى » .
		المقبرة رقم ٧٢ يحتمل أنها لملكة .
		المقبرة رقم ٢٠٩ — ٢١٦ خيل « شبتاكا » .
(١٠)	٦٩٠ — ٦٦٤ ق . م	الملك « تهرقا » دفن فى « نورى » فى المقبرة رقم واحد وهو ابن « بيعنخى » .
		المقبرة رقم ٣ « بالكورو » للملكة « تابارا » أى ابنة الملك « بيعنخى » وزوجة « تهرقا » .
		المقبرة رقم ٤ للملكة « خنسا » ابنة الملك « كشتا » وزوج الملك « بيعنخى » .
(١١)	٦٦٤ — ٦٥٣ ق . م	المقبرة رقم ١٦ « بالكورو » للملك « تانوتآمون » ابن « شبتاكا » .
		المقبرة رقم ٥ للملكة « قالهاتا » زوج « شبتاكا » وأم « تانوتآمون » .

الجيل	التاريخ	رقم المقبرة وصلة النسب
		المقبرة رقم ٦ يحتمل أنها للملكة « أرتى » ويحتمل أنها موحدة باسم « بيعنخى أرتى » ابنة بيعنخى وزوج «شبتاكا» وإذا كان هذا التوحيد صحيحا فإنها تكون قد تزوجت من « تانوتآمون » بمثابة زوجة ثانية .
		المقبرة رقم ٢١٧ — ٢٢٠ خيل الملك « تانوتآمون »
(١٢)	٦٥٣ — ٦٤٣ ق . م	الملك « اتلانرسا » دفن فى « نورى » (المقبرة ٢٠) وهو ابن « تهرقا » .
(٢٤)		المقبرة رقم واحد « بالكورو » وهى لملك لم يعرف وهو من عصر « نباتا » المتأخر .
		المقبرة رقم ٢ « بالكورو » وهى لملكة لم يحقق اسمها بعد وتعاصر المقبرة رقم واحد بالكورو.

أما الحقائق الأثرية الأخرى عن هذه الجبانة فهى كما يأتى :

(١) يلاحظ أن المقابر التلية الشكل رقم ١ ، ٥ ، ٢ ، ١٩ كانت تحتوى على صوان وحجر الخلدكون مستعملة رءوس سهام من طرز لوبية معروفة[1] .

(٢) يضاف إلى ذلك أن المدافن التلية كانت تحتوى على كمية وفيرة من الذهب ، فعلى الرغم من النهب المريع وجد فى مقبرة « الكورو » رقم واحد حبات من الذهب يعادل وزنها ثمانية وثلاثين جنيها انجليزيا قد سقطت من اللصوص ، وكان يوجد كذلك ذهب كثير فى مقبرتين من المقابر الأخرى يشمل تمثالا من الذهب الصلب طوله ثلاثة سنتيمترات وقطعة من الذهب منقوشة من أحد وجهيها بمتن سحرى باللغة المصرية القديمة .

(١) راجع Oric Bates, The Eastern Libgans, p. 145-146

(٣) يلحظ أن الأشياء التي وجدت فى المقابر التلية وفى المصاطب تشمل قطعاً من أوانى المرمر اللطيف وأوانى الفخار المطلى المزخرفة من صنع مصرى .

(٤) وجد فى إحدى مقابر الملكات من أزواج « بيعنخى » لوحة باسم الملكة « تابرى » وقد سميت فى هذه اللوحة « الزوجة الملكية العظيمة الممتازة بجلالته « بيعنخى » معطى الحياة ابنة « ألارا » وابنة « كاسقا » والزعيمة العظيمة للتمحو (اللوبيون الجنوبيون) .

(٥) وقد علمنا فيما سبق[1] أنه فى خلال القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد كانت هناك حركة هجرة من القبائل اللوبية إلى وادى النيل وقد استوطنوا هناك بوصفهم جنوداً مرتزقة حتى قويت شوكتهم فى عهد ملوك الأسرتين العشرين والواحدة والعشرين وكوّنوا لأنفسهم ممتلكات فى الدلتا ومصر الوسطى وأسسوا عدداً من الأسر المحلية التي كانت تابعة اسماً لملك مصر .:

وقد كان المؤسس الأول هو « يويو واوا » الذى اتخذ « اهناسية المدينة » مقراً له كما فصلنا القول فى ذلك من قبل[2] ، وقد قوى سلطانهم فى البلاد إلى أن أسس واحد منهم وهو « شيشنق الأول » الأسرة الثانية والعشرين ، وقد ظل اللوبيون يحكمون البلاد المصرية حوالى قرنين من الزمان ، ولكن فى نهاية هذه المدة أخذ حكمهم فى التدهور وانقسمت البلاد مقاطعات أو ولايات صغيرة مستقلة كما كان يحدث ذلك إثر أى انحطاط داخلى ، وقد انتهز هذه الفرصة الملك « كشتا » الكوشى وغزا مصر العليا وأخذ بزمام الأمور فى « طيبة » وضمن لابنته « امنردس » الأولى وراثة وظيفة المتعبدة الإلهية التي كانت تشغلها وقتئذ « شبنوبت » الأولى ابنة الملك « أوسركون الثالث » ، وهذه الوظيفة كانت موجودة من قبل ولكنا نجد الآن أن حاملتها حذفت

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٧٥ الخ .
(٢) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١٠٦ الخ .

بطبيعة الحال ويقال إن هذا التغير قد قام به « أوسركون الثالث » صاحب السلطان في البلاد عند ما تولى عرش الملك فلم يسمح لأحد من أولاده أو غيرهم أن يتولى مركز رياسة كهنة آمون وهو مركز كما هو معلوم غاية فى الأهمية وكان فى يد صاحبه سلطة ضخمة فى طيبة وما جاورها مما كان يؤدى فى غالب الأحيان إلى إضعاف سلطة الفرعون بدرجة عظيمة ، وفى نهاية الأمر انتزع الملك منه ، ومن أجل ذلك ألغى « أوسركون الثالث » وظيفة الكاهن الأكبر لآمون على مايظهر وأحل محلها وظيفة « المتعبدة الإلهية » التى تولت شئونها سلسلة من هؤلاء النسوة بوصفهم كاهنات عظيات ، وأولى من تولين شئون هذه الوظيفة ابنة « أوسركون الثالث » المسماه « شبنوبت » وهى التى أجبرها الملك « كشتا » الكوشى عندما دخل «طيبة» واستولى عليها على أن تتبنى ابنته « امنردس » . وكان غرضه من ذلك أن يجعل السلطة الدينية تنتقل من الأسرة المالكة إلى أسرته كما سنشرح ذلك فيما بعد فى فصل خاص، غير أن شواهد الأحوال تدل على أن وظيفة الكاهن الأول لم تلغ فى عهد الحكم الكوشى ، أى فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين كما سنرى بعد ، بل بقيت ، ولكن كانت أهميتها ضئيلة وسلطان حاملها يكاد يكون منعدماً بجانب « المتعبدة الإلهية » .

وبعد « كشتا » تولى ابنه « بيعنخى » الملك واستولى على الوجه البحرى ومصر الوسطى ، ومن ثم انتقل ملك مصر إلى أسرة كوش الحاكمة وأصبحت تحكم كل مصر والسودان . ومن الحقائق التى سردناها هنا يمكن بناء تاريخ الأسرة التى دفن أفرادها فى جبانة « الكورو » ففى حين كان اللوبيون الشماليون يدخلون مصر السفلى كان اللوبيون الجنوبيون أى التمحو يزحفون على وادى النيل فى كوش آتين بلاشك من طريق الواحات القديمة التى استعملها فى خلال السنين القلائل الأخيرة العرب الذين كانوا يهاجمون مديرية دنقلة .

ومن المحتمل أنه فى عهد « شيشنق الأول » أو بعده بقليل جاء الزعيم اللوبى الذى دفن فى المقبرة التلية الشكل رقم واحد فى جبانة « الكورو » وهى التى تحدثنا عنها

فيما سبق ، وهناك وضع رحاله وأسس لنفسه ضيعة في بلدة « الكورو » القريبة من « نباتا » . ويدل ما بقي من محتويات قبره على أنه كان صاحب ثروة ضخمة وذلك كما قلنا لأن قبره كان يحوى ذهبا وسلعا كثيرة من مصر . والواقع أن الثروة الرئيسية لبلاد كوش الفقيرة في الأراضي الزراعية والمراعي نسبيا ، تنحصر في منتجات مناجم الذهب التي كانت تزخر بها بلاد النوبة السفلى وما تحصل عليه من طرق التجارة بين مصر والجنوب عامة . والمرجح أن هذا الزعيم الذي كان لابد صاحب كلمة هو وأسرته في « الكورو » قد استولى في الحال على كل السلطة التي كانت في يدى نائب كوش المصرى وأصبح كسائر الزعماء اللوبيين في وادى النيل وقتئذ تابعا اسميا لملك مصر اللوبي الأصل ، وإذا لم تكن الحال كذلك في عهد هذا الزعيم فإن نيابة كوش لابد قد انتقلت إلى الجيل الثالث من أسرته . ويدل التطور الذي وجدناه في مقابر هذه الأسرة على أن أعظم نمو في سلطانها قد حدث في الأجيال الثلاثة الأولى من تاريخها ، وبعد ذلك لم نلحظ هذا التقدم إلا في الجيل السادس ، وذلك لأننا لم نجد تقدما محسا في تطور المصاطب من أول الجيل الثالث حتى الخامس . والظاهر أن هذه الأسرة كانت قد حصلت على السيطرة في بلاد كوش ثم تمهلت بعد ذلك قبل الزحف على مصر فقد وجدنا في مقصورة المقبرة رقم ٩ حجرا فرديا مثل عليه جزء من منظر من النهاية الشرقية للجدار الجنوبي . وهذا الجزء من المنظر حفظ لنا الجزء الأعلى من الوجه والرأس لرجل يلبس خوذة حرب وهذا الوجه في سيماه ليس مصريا والخوذة التي كان يلبسها من المعدن بدهيا ولها ثقب في قمة الجبهة وشريط يتدلى من الخلف وجزء بارز في القمة يحتمل أنه كان لحمل الريشة .

ومهما يكن اللقب الذي كان يحمله هؤلاء الزعماء أصحاب هذه المصاطب في « الكورو » فإنه من المحتمل أن هذه الخوذة كانت تؤلف جزءاً من مميزات مركزهم بوصفهم حكام « كوش » أو بعبارة أخرى كانت رمزاً من الرموز التي يمتازون بها عن غيرهم .

ولا نزاع فى أن « كشتا » (صاحب المقبرة رقم ٨ « بالكورو ») هو الذى قد بدأ الزحف على مصر . ولاشك فى أنه كان فى أعين الجيل التالى له يعد رجل الأسرة العظيم فقد كان يحمل لقب « ملك » . وعثر فى « الفنتين » على نقش يحمل فيه لقب الملك وهو « وسرماعت رع » وقد مكن سيادته فى مصر حتى « طيبة » حيث جعل ابنة « أوسركون الثالث » التى كانت « المتعبدة الإلهية » فى « طيبة » أو بعبارة أخرى الحاكمة المطلقة فى « طيبة » تتبنى ابنته « امنردس » لتكون خلفاً لها فى ملك « طيبة » غير أنه ليس من الواضح لدينا الآن إذا كان « كشتا » قد كسب لنفسه ملك مصر العليا بحدّ السيف أو بالمعاهدة والتزاوج مع الأسرة الحاكمة ، ولا غرابة فى ذلك لأن تاريخ الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين على الرغم مما بذلناه من بحث وتنقيب لا يزال يحيطه الغموض بعض الشئ ، وإنه من الواضح تماماً أن الزمن الذى سلم به لحكم هاتين الأسرتين اللوبيتين هو عادة أطول مما يجب أن يكون .

ولا نزاع فى أن « كشتا » كان معاصراً « لأوسركون الثالث » و « تاكيلوت الثالث » اللذين حكما معاً [1] ولكن فى « نباتا » لم نجد إلا اسماً واحداً له اتصال بالأسرة الثالثة والعشرين وهو القائد « باشدت باست » بن « شيشنق الرابع » (ابن « بامى ») وكان « باشدت باست » هذا معاصراً للملك « باديباست الأول » سلف « أوسركون الثالث » . ومن ثم كان من الجيل الذى كان قبل « كشتا » . وقد عثر على قطعة من إناء من المرمر نقش عليها اسمه فى « نورى » وقد أحدث وجودها فى هذه البلدة بعض الظن بأنه كان متصلا بصلة الزواج بالأسرة اللوبية التى فى « الكورو » ، وعلى ذلك فمن الجائز كما يقول « ريزنر » أن ادعاء الكوشيين لعرش « طيبة » كان مبنياً على هذا الزعم أو ما يماثله . والواقع أن هذا مجرد فرض .

ومهما تكن الأحوال التى أدت إلى تولى « كشتا » ملك الوجه القبلى فإن ابنه

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٠٤

« بيعنخي » قد استولى على الوجه البحري ومصر الوسطى بحدّ السيف وأن وراثة ملك أسرة الزعيم اللوبي « يويوواوا » اللوبي قد انتقلت إلى الأسرة اللوبية المنحدرة من الزعيم اللوبي الذي أقام قرية على تل « الكورو » وقد أصبح جبانة يدفن فيها عظماء أفراد الأسرة المالكة .

وبلاد كوش التي كانت منذ زمن بعيد متمصرة تماما أصبحت الإقليم المسيطر على مصر وصارت « نباتا » عاصمة ملوك كوش ومصر .

وقد ذكر « مانيتون » نقلا عن « أفريكانوس » و « يوزيب » أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين المصرية أو الكوشية هم « شبكا » و « شبتاكا » و « تهرقا » وقد أضاف المؤرخون المحدثون إلى هؤلاء الملوك « تانوتآمون » بوصفه ابن « شبكا » ، ولكن لم يأت ذكر « بيعنخي » أو « كشتا » . والواقع أن المعلومات عن هذين الملكين كانت ضئيلة لدرجة أن بعض الكتاب اعتقدوا بوجود ملكين باسم « كشتا » وكذلك اعتقدوا بوجود أربعة ملوك باسم « بيعنخي » ويقول البعض إنه يظهر من المؤكد وجود ملكين باسم « بيعنخي » وذلك لوجود اسمى تتويج لاسم « بيعنخي » وهما « بيعنخي » « وسرماعت رع » و « بيعنخي سنفر رع » . وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً إلى أن قام « ريزنر » بأعمال الحفر في « الكورو » وكان من نتائجها الجزم بأن كل المقابر الملكية الكوشية قد كشف عنها ووجد أن سلسلة طرز المقابر والتماثيل العجيبة والأشياء الأخرى مستمرة ومتتابعة في نموها وتطورها دون أي فاصل ، ومن ثم ثبت أنه ليس هناك أي مكان لوجود أية مقبرة ملكية أخرى بين « كشتا » وسلسلة مقابر الملوك المتصلة في تواليها عرش الملك في كوش ، وهذا الفاصل قد بدأ في « نوري » بإقامة مقبرة الملك « سنكامنسكن » وإذاً لا يمكن في مثل هذه الأحوال وجود اسم ملك آخر يدعى « بيعنخي » ومن ثم تكون النتيجة المحتومة هي أن « بيعنخي » كان يحمل لقبي تتويج على الرغم من أن ملوك مصر في العادة لا يحملون إلا لقب تتويج واحد .

وهذه النتيجة يعضدها حقيقتان واحدة منهما معروفة منذ زمن طويل والأخرى كشف عنها حديثا فى « الكورو » ففى بلدة « أتريب » (بنها الحالية) عثر على قطعة حجر عليها اسم التتويج للملك « شبكا » وهو « نفر كارع » . وقد وجد أن هذا اللقب متبادل مع اسم آخر وهو « واح — اب — رع » كما وجد كذلك منقوشا على قلادة فى مقبرة جواد فى جبانة « الكورو » . وفى هذه الجبانة عثر على مقابر جياد كثيرة وفيها اسم التتويج للملك «شبتا كا » وهو «دد كارع» متبادلا مع اسم « من خبررع » . ففى الحالة الأخيرة نجد أنه يكاد يكون من المستحيل عدم استنباط أن لقبى «زد كارع» و « من خبررع » هما اسما تتويج للملك « شبتا كا » ومن ثم يظهر أنه كان لكل من ثلاثة الملوك اسمان للتتويج ، ومن المحتمل أن أحد هذين الاسمين كان خاصا بعرش مصر والثانى كان خاصا بعرش بلاد كوش ، ومن الجائز أنه قد حدث ذلك جهلا من « بيعنخى » بالصيغة الرسمية للألقاب المصرية ، فقد كان كل من « كشتا » و « بيعنخى » مرتبطا بآراء أسرته الإقليمية التى أتى منها . وكان « تهرقا » هو أول ملك عاش مدة تذكر فى البلاد المصرية ، إذ أنه فى الواقع كان أول من أتيحت له فرصة الظهور وإظهار الأبهة والعظمة فى مصر بما كان لدى أسرته من ممتلكات غنية شاسعة . ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن « كشتا » لم يترك لنفسه إلا سجلا واحداً باسم تتويجه وهو « ماعت رع » وأن « بيعنخى » قد استعمل اسمى تتويج مختلفين وفى آن واحد نجده يكتب اسمه الحورى أحياناً « سحتب تايف » وأحياناً يكتبه « كاتاويف » ومرة أخرى « كانخت خعمو أست » ، وكذلك دونه مرة « حتبنوتف » ولا عجب فى ذلك فقد كان فخوراً متكبراً بفتوحه كما يدل على ذلك نقوش لوحته العظيمة كما سنرى بعد ، ولذلك فإنه كان قادراً على تحدى خرق التقاليد حتى لو كان يلفت نظره الكاتب للخطأ الذى يرتكبه فى هذه الناحية ، ولا نظن أنه كان يوجد كاتب مصرى عنده من الشجاعة ما يجعله ينوه لملك مثل « بيعنخى » عن غلطة كهذه [1] .

(١) وهذا التغير فى أسماء بيعنخى هو الذى جعل بعض الأثريين لا يزال مصمما على وجود أكثر من بيعنخى واحد وسنترك ذلك للكشوف التى تأتى بعد .

وذكر « مانيتون » أن « بوكوريس » (بكنرف) هو الملك الوحيد الذى تتألف منه الأسرة الرابعة والعشرون ثم أضاف أن « بوكوريس » هذا قد أخذ أسيراً وأحرق حياً على يد الملك « شبكا » ، ولكن المؤرخين الأحداث يميلون إلى ضم ملك آخر اسمه « تفنخت » إلى الأسرة الرابعة والعشرين وهو الذى هزمه « بيعنخى » وكذلك يضمون إليهما ملوكا آخرين ممن وضعهم «مانيتون» فى الأسرة السادسة والعشرين .

ومن المتفق عليه الآن أن الأسرة السادسة والعشرين المانيتونية إن هى إلا الاستمرار لملوك الأسرة الرابعة والعشرين ، وأن الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية كانت معاصرة للأسرة الرابعة والعشرين . وإذا اتخذنا الاحتلال الكوشى أساساً لحكم البلاد فإن الأسرة الرابعة والعشرين لم يكن لها فى الواقع وجود . والواقع أن كلا من « كشتا » و « بيعنخى » قد تولى حكم مصر مباشرة من الأسرة الثالثة والعشرين والثانية والعشرين المنحلتين أو بعبارة أخرى تولت زمام الحكم فى البلاد أسرة لوبية أخرى وقد كان أخلاف كل من « كشتا » و « بيعنخى » هم الحكام الحقيقيون المعترف بهم فى البلاد المصرية إلى أن هزم « آشوربانيبال » ملك « آشور » ملك مصر « تانوتآمون » ، وبعد فترة حكم فيها الآشوريون البلاد قام « بسمتيك » أول مؤسس للأسرة السادسة والعشرين وطرد الأشوريين من بلاد مصر وظفر بها من جديد طفرة عظيمة كانت الأخيرة .

وهاك ملوك الأسرة الخامسة والعشرين على حسب نتائج الكشوف الحديثة وصلة نسب بعضهم ببعض حتى يمكن القارئ تتبع الحوادث عند التكلم عن كل منهم على حدة .

١ — « آلارا » :

يحتمل أن « آلارا » هو الزعيم أو الملك (؟) جد الأسرة الكوشية ولم يعرف قبره حتى الآن ومن المحتمل أنه الأخ الأكبر للملك « كشتا » وقد جاء ذكر « آلارا »

هذا في عدة مصادر[1] وزوجة هذا الزعيم وأخته هي « كاسقا » وقبرها غير معروف وكانت تدعى ملكة وهي أخت الملك « كشتا » و « بباتما » وأم « تابيري » وتبنت « آبار » .

٢ — « كشتا » :

هذا الملك لم يعرف قبره وقد ذهب « ريزنر » إلى أنه هو القبر رقم ٨ في جبانة « الكورو » ويحتمل أنه أخو « آلارا » السالف الذكر ، و « كشتا » هو والد الملك « بيعنخي » وكذلك والد الملك « شبكا » . وقد نقش اسم الملك « كشتا » هذا على قطعة من الخزف المطلي عثر عليها في « الكورو »[2] . وقد تزوج « كشتا » من « بباتما » التي تبنت « بكساتر » ولم يعرف قبرها للآن ، ويظن « ريزنر » أنه القبر رقم ٧ في جبانة « الكورو » وقد وجد اسم كشتا على التمثال رقم ١٩٨ ٤٢ ، وكذلك نقش على مصراع باب بالعرابة .

٣ — الملك « بيعنخي » :

دفن هذا الفرعون في « الكورو » وقبره يحمل رقم ١٧ وهو ابن الملك « كشتا » والأخ الأكبر للملك « شبكا » وقد وجد اسمه على عدة آثار[5] . ويقول « جوتييه » إنه يوجد عدة ملوك يحملون هذا الاسم في حين أن « ريزنر » يقول إنه لا يوجد إلا « بيعنخي » واحد وقد أوضحنا الأسباب التي أدت إلى هذا الزعم .

---

(١) راجع Kawa Stela IV, L.17 [a b]. Kawa ; Tabiry Stela in Khartoum No. 1901 [5a] Stela VI, L. 22 [55, c] Kawa Inscr. IX, L. 54 [5d].

(٢) راجع El Kurru, I, 19-3-537 [34a] ; L.R. IV, 5 ff

(٣) راجع L. R. IV, 8, [53a]

(٤) راجع Ibid 10 [53 b]

(٥) راجع L.R. IV passim.

أزواج « بيعنخى » : تزوج « بيعنخى » من عدة نساء وهن :

(١) « تابيرى » هى ابنة « آلارا » و « كاسقا »[1] وقد دفنت مع زوجها فى « الكورو » فى القبر رقم ٥٣

(٢) « بكساتر » زوجه الثانية وقبرها مجهول غير أن « ريزنر » يقول إنه القبر رقم ٥٤ « بالكورو » وهى بنت الملك « كشتا » وقد تبنت « بباتما » وهى زوج « بيعنخى » وأخته .

(٣) « أبار » زوج « بيعنخى » وأخته وابنة « كشتا » وهى التى أنجبت له « تهرقا » الذى تولى ملك مصر فيما بعد ويقترح « ريزنر » أنها دفنت فى « نورى » بالقبر رقم ٣٥[2] وتحمل الألقاب : الأم الملكية والأخت الملكية .

(٤) «خنسا» زوج « بيعنخى » وأخته وابنة الملك « كشتا » وقبرها فى « الكورو » رقم ٤ وقد دفنت فى عهد الملك « تهرقا » .

(٥) « نفرو ككشتا » وجد اسم هذه الملكة بوصفها زوج الفرعون « بيعنخى » على تمثال مجيب [52a] وقد دفنت فى القبر رقم ٥٢ « بالكورو » ويلحظ أنه لم يذكر لها أية صلة نسب بالفرعون زوجها .

أولاد « بيعنخى » : أنجب « بيعنخى » عدة أولاد ذكور وإناث من هؤلاء الزوجات ، أما أولاده الذكور فهم : « شبتاكا » و « تهرقا » وقد أصبح كل منهما فيما بعد ملكا على البلاد ثم « خاليبوت » وقد وجد اسمه على لوحة عثر عليها

---

(١) راجع Stela from El Kurru 53 in Khartoum No 1901 [72]

(٢) راجع Kawa Stela V [11a] Temple 300 = L.D. V, p-37

فى « برقل » رقم ٧٠ وقبره لم يعرف بعد[1] . أما أولاده الإناث فهنّ :

(١) « أرتى » وقبرها غير معروف ويذهب « ريزنر » إلى أنهـا دفنت فى « الكورو » بالمقبرة رقم ٦ ، وقد تزوجت من أخيها « شبتاكا » رابع ملوك هذه الأسرة[2] ويحتمل أنها هى نفس المرأة التى تحمل اسم « بيعنخى — أرتى » التى جاء ذكرها فى لوحة الحكم كما سنذكر ذلك بعد .

(٢) « قالهـاتا » وقبرها فى « الكورو » رقم ٥ وقد تزوجت من أخيهـا « شبتاكا » ومن المحتمل أنها أم الملك « تانوتآمون » الذى أصبح ملكا فيما بعد .

(٣) « تكاهاتامانى » جاء ذكر هذه الأميرة على جدران حجرة دفنها وعلى تمثال مجيب [63b] .

(٤) « ناپاراى » (Naparaye) وهى ملكة دفنت فى « الكورو » بالمقبرة رقم ٣ وهى ابنة « بيعنخى » وزوج « تهرقا » وأخته[3] .

(٥) « تابكناآمون » وهى ابنة « بيعنخى » ويحتمل أنها زوجة « تهرقا » وقبرها غير معروف[4] .

٤ — الملك « شبكا » :

دفن هذا الملك فى « الكورو » بالمقبرة رقم ١٥ وهو ابن الملك « كشتا » والأخ الأصغر للملك « بيعنخى » . وقد وجد اسمه على قطعة من الجرانيت الرمادى من مائدة قربان[5] .

---

(١) راجع A.Z., 70, p. 35 [350[

(٢) راجع Cairo Stat., 49157, A.S.25, p.29

(٣) راجع Alapaster Gffering Stone 19-3-588 Khartoum No. 1911 [48a]

(٤) راجع Cairo Statue 49157 from Karnak (A.S.24, p. 25 ff [71])

(٥) راجع Alter ex Chapal 19-2-673 [68a] Shawabti [78 b] Gold Band ex Mummy 19-3-223 Inscribed Ivory 19-3.231 [68d] ; L R. IV,131 [68e]

أولاده : (١) الأمير « حورمأخت » ولم يعرف قبره وهو ابنه الأكبر وقد وجد اسمه على تمثال بمتحف القاهرة[١] .

(٢) الأميرة « استنخبت » ابنة « شبكا » وجد اسمها على تمثال بجيب[٢] .

٥ — الملك « شبتاكا » :

دفن هذا الملك فى « الكورو » فى هرمه رقم ١٨ وهو ابن « بيعنخى » . وجد اسمه على تمثال بجيب[٣] . ووجد له لقب آخر وهو « منخبرع » مع لقب « زدكارع » فى النقوش التى وجدت فى مقابر خيله « بالكورو[٤] » وقد تزوج من اختيه « أرتى » و « قالماتا » .

أولاده الذكور : وابنه « تانوتآمون » الذى أصبح ملكا فيما بعد وهو ابن الملكة « قالماتا » وابنته « بيعنخى — أرتى » وقد تزوجت على ما يظن من أخيها « تانوتآمون » ولم يعرف قبرها ، وقد جاء ذكرها على لوحة الحلم[٥] . ومن الجائز أن الاسم رقم ١٦ أو ٥٨ هما لفرد واحد ، أى أن « أرتى » و « بيعنخى — أرتى » واحد ، وإذا كان ذلك هو الواقع فإن « أرتى » تكون زوج « شبتاكا » وأخته وقد تزوجت بعد مماته من ابن أخيها « تانوتآمون » .

٦ — الملك « تهرقا » :

دفن هذا الملك فى « نورى » بالقبر رقم (١) وهو ابن « بيعنخى » وأمه هى « أبار » . وجد اسمه على تمثال بجيب وكذلك على أوانى الأحشاء المحفوظة الآن

---

(١) راجع Cairo : 42207 [27] ; A.S; XXV p. 26, and Ibid, 30

(٢) راجع El Amrah and Abydos, 97 Pls. 37 [26]

(٣) راجع L.R. IV, p.29

(٤) راجع M.F.A. Boston, Photoen p. 33

(٥) راجع Urk. III, p. 59; and A.S. 25, 25, *ff*

بمتحف « بوستون » كما وجد اسمه على تمثال من الجرانيت من معبد « جبل برقل » رقم ٥٠٠ وهو موجود الآن بمتحف « مروى »[١] وقد نقش عليه ألقابه الملكية واسمه[٢] .

٧ — الملك « تانوتآمون » :

دفن هذا الملك فى جبانة « الكورو » رقم[٣] ١٦ وهو ابن الملك « شبتاكا » وأمه « قالهاتا » ووجد اسمه على تمثال مجيب [76a] ، وعلى إناء أحشاء[٤] فى « الكورو » كما وجد له تمثالان من الجرانيت فى معبد جبل « برقل » رقم ٥٠٠ وهما الآن بمتحف « بوستون » ومتحف « مروى » رقم[٥] ١٧ وله لوحة قربان فى متحف « بوستون » [76a] وبعض قطع من معبد « صنم »[٦] . وقد كتب فى معبد « صنم » اسما « نبتى » و « حور الذهبى » ويحتمل أنهما للملك « تانوتآمون » .

---

(١) راجع Merowe Museum, No. 11. Khartoum No 1841 [74c]

(٢) راجع L.R. IV. p. 31 ff

(٣) راجع El Kurru, No. 16, p. 60

(٤) راجع (19-3324)

(٥) راجع Khartoum, Nr. 1846 [76c]

(٦) راجع Ann, Arch. and Anthrop. p. 9 Pl. 26, 13

نظرة عامة

عن الحالة الدولية فى هذا العهد

هذه لمحة عاجلة عن أصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين من الوجهة الأثرية وسنحاول هنا بعد ذلك أن نذكر ما نعرفه عن ملوك هذه الأسرة وعلاقتهم بمصر وما جاورها من الأمم بقدر ما تسمح به الآثار معتمدين فى ذلك على المصادر الأصلية ، ولكن قبل أن نتناول تاريخ هؤلاء الملوك بالبحث والاستقصاء يجب أن نلقى نظرة عامة عن أحوال الشرق فى هذه الفترة وعلاقة مصر به وما آلت إليه أرض الكنانة فى نهاية عهد اللوبيين فى مصر وقيام دولة لوبية أخرى من الجنوب لاحتلالها فنقول :

امتدت رقعة الدولة المصرية فى عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة فى آسيا وأفريقيا حتى وصلت إلى أعالى دجلة والفرات شمالا وحتى الشلال الرابع جنوبا ، ولكن لم تلبث أن طرأ عليها الوهن واستولى عليها الضعف وانتابها الانحلال حتى انكمشت فى عقر دارها ولم يبق لها من أملاكها الشاسعة خارج حدودها إلا سيطرة اسمية على بلاد كوش . والواقع أن سكان أقاليم امبراطوريتها فى غرب آسيا لم تستعمر قط استعمارا حقيقيا بالمصريين ولم تتأثر تأثراً فعليا بالثقافة المصرية . والواقع أن الضعف الحربى الذى بدا على مصر فى عهد الاضطرابات الداخلية التى ميزت عصر « أخناتون » ونهاية الأسرة الثامنة عشرة قد مهد السبيل إلى قيام دولة قوية أخرى فى آسيا وبخاصة دولة « خيتا » التى كان لها كتابة هيروغليفية خاصة تحدثنا عنها عند الكلام على مملكة « خيتا » ، وقد حاول « رعمسيس الثانى » بشق الأنفس القضاء على هذه الدولة الفتية فلم يفلح واضطر فى آخر الأمر لعقد محالفة صداقة[1]

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٨٥ الخ

ولكن فى ذلك الوقت كانت دولة فتية أخرى قد أخذت تظهر فى الأفق وبدأت قوتها تزداد وخطرها يعظم حتى أصبحت تعد فى طليعة الدول العظام، تلك هى دولة «آشور» التى كانت فى بادئ أمرها دولة صغيرة ثم مستعمرة بابلية . وكانت «آشور» فى بداية العصر الذى نحن بصدده لا تزال منهمكة فى حروبها مع مملكة «بابل» وبلاد «خيتا» والبلاد الواقعة على حدودها . وهذه الحروب التى كانت قائمة على حدود آشور الشمالية والشرقية من جهة وضعف مصر ووهنها الحربى من جهة أخرى قد أخلت سبيل بلاد فلسطين وسوريا مدة من تدخل الدول العظمى التى كانت تتطلع إليها ، ومن ثم نشأت تلك المملكة الصغيرة التى كان لها مكانة ممتازة فى تاريخ العالم المسيحى بما تركه أهلها من سجلات ، وأعنى بذلك بلاد «يهوذا» و «إسرائيل» . ففى تلك البقعة ظهر «داود» و «سليمان» ملك «أورشليم» و «عمرى» و «آخاب» ملك «السامرة» و «حيرام» ملك «صور» و «ابن هداد» صاحب «دمشق» وكل هؤلاء كانوا يقفون فى الطليعة بوصفهم رجالا عظماء فى الأشعار التى كتبها لنا كهنة العبرانيين ويرجع الفضل فى استقلالهم إلى انشغال الدول المجاورة وبخاصة بلاد «مسوبوتاميا» ومصر بحروبها وإصلاح شئونها المرتبكة وقتئذ .

غير أن معظم هذه الممالك الصغيرة كان مصيرها إلى الزوال على أيدى الأشوريين عندما بدءوا يشنون حروبهم لنشر سلطان بلادهم على كل بقاع العالم المتمدين فى تلك الحقبة من الزمن ، هذا إلى أن البقية الباقية منها قضى عليها كل من «كلديا» و «بابل» وهما الدولتان اللتان ورثتا امبراطورية «آشور» ، وفى الوقت نفسه كانت هذه الدويلات الصغيرة تعيش بوصفها وحدات سياسية ذات ثقافات متقاربة جدا . والواقع أن أهل «دمشق» و «فينيقيا» والاسرائيليين كانوا كلهم من أعضاء سلالة واحدة وهى السلالة السامية . وتدل تواريخهم على أنهم لم يتطبعوا بالطابع المصرى بعمق ، ولكن من جهة أخرى نجد أن بلاد كوش كانت وقتئذ جزءا لا ينفصل عن مصر من حيث الثقافة والادارة ، بل والدين نفسه ، وكان يفصلها عن التأثير

الآسيوى أرض الكنانة نفسها . وقد بقيت بلاد كوش لمصر لأنها كانت جزءا من مملكة النيل العظيمة وليست ببلد أجنبي عنها قط طوال عصور التاريخ تقريبا .

وقد قلنا فى غير هذا المكان[1] أن « حريحور » أول ملوك الأسرة الواحدة والعشرين كان الكاهن الأكبر « لآمون » والقائد الأعلى للجيش ونائب الملك فى « كوش » فى عهد الملك « رعمسيس الحادى عشر » آخر ملوك الرعامسة ، وقد وصل بعد جمع السلطة الحربية والإدارية فى يده إلى تولى عرش ملك مصر ، وقد استطاع أن يوطد سلطانه فى البلاد بطريقة سهلة وذلك بجعل الوظائف العالية التى كان يسيطر بها أصحابها على موارد البلاد الرئيسية فى يد ابنه « بيعنخى »[2] وقد أصبحت هذه السياسة تقليدية عند أمراء « طيبة » والواقع أنه قد أوجد فى مصر حكما مشتركا سهل توارث العرش ، غير أن هذا الإجراء جاء متأخراً جداً لينجى كل مملكة « طيبة » إذ قد ظهرت فى ذلك الوقت أسرة ملكية فى « تانيس » قبضت على زمام الأمور فى كل البلاد بصفة شرعية ، غير أنه من وقت لآخر كانت وظيفة الكاهن الأكبر يتولاها أمير « طيبة » وقد تحدثنا فى الجزء الثامن عن تفاصيل وراثة العرش والتزاوج بين أسرة « طيبة » وأسرة « تانيس » وهى لاتهم المطلع على تاريخ مصر بصفة عامة ، كما أنها لاتهم قط الباحث فى تاريخ كوش . ولكن من جهة أخرى نجد أنها من حيث التطورات الاجتماعية والدينية يشارك فيها السودانى المتمصر المصرى كل المشاركة . وتمتاز الحياة القومية فى كل من مصر وكوش بأنها مركبة تماما ومعقدة إلى حد بعيد فنجد ظاهراً أن الأحفال البراقة التى كانت تقام فى البلاط الملكى لا تزال تمثل حول شخص الملك المقدس ، وكانت المعابد الفاخرة والقصور الشامخة التى أقيمت فى الماضى فى عهد نضارة الامبراطورية وعزتها مزدحمة بالكهنة والموظفين المهيمنين والمتطلعين للوصول إلى المراتب العليا والثراء الوفير ، كل ذلك كان يؤلف جزءاً من نظام معقد كان لابد

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٦٠٢

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٦٥٧

من بقائه مهما كانت الأحوال لأنه كان تقليداً عتيقاً لا يمكن التخلى عنه . وقد سجل لنا التاريخ الحادث تلو الحادث فى كل من المعبد وديوان الحكومة عن نظم عتيقة يرجع استمرارها لا لأنها تقدم بوجه خاص خدمات عامة للجتمع ، بل للنفعة الشخصية المشتركة التى تربط جماعة كبيرة من الناس المتعلمين الأذكياء بعضهم ببعض وذلك محافظة على بقاء كيانهم . وفى هذه الحالة نجد أن المنفعة الشخصية تتطلب مقداراً محدوداً من المقدرة على حفظ النظام فى جمع الضرائب وفى المحافظة على قدسية الملك والآلهة ، وهكذا كانت الحال فى مصر تلك السنين ، غير أن العدالة فى هذه الفترة كانت مجرد سياسة كما كانت الادارة لاتخرج عن كونها تمثيلا ممسوخا لحكومة صالحة بالمعنى الذى نفهمه فى عصرنا ، تكتب قوانينها على الورق ، وتتلى ألفاظها ولكن لا يعمل بها .

وقد ظهر الحكم الفاسد الذى وضعه جماعة من الموظفين المصريين فى كل ناحية من نواحى الادارات الحكومية ، فنجد صغار الموظفين فى تلك الفترة يسرقون حظائر الدجاج وبرك السمك التابعة للعبد ، كما نجد عمال الجبانة ينهبون بطرق منظمة سافرة مقابر الملوك والملكات التى كانت تزخر بالحلى والأثاث الفاخر فى « طيبة » نفسها على مرأى من الحراس ، بل بالاشتراك معهم ، وبعلم كبير الكهنة نفسه ، وإنا لفى شك من وجود أى نوع من أنواع الحيل والمكر والخداع والتدليس والسرقة والفساد والرشوة والظلم لم يكن شائعا يرتكبه كبار الموظفين والكهنة على السواء ، ونحن نعلم من المحاولة التى قام بها « حورمحب » لتطهير نظام الادارة القديم الفاسد أنه حتى فى هذا الوقت لم يكن فى البلاد مستوى عال من الأخلاق فعلا ، ولكن فى ذلك الوقت الذى نحن بصدده كان المبدأ الوحيد الشائع فى طول البلاد وعرضها هو أن المصلحة العامة ليست إلا الدخل الخاص لكل فرد .

على أن أعمال السوء كانت بطبيعة الحال تعد جريمة يحاكم عليها على حسب ماجاءت به الكتابات الدينية التقليدية غير أنها كانت حبراً على ورق . مثال ذلك ما جاء

فى الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى وهو سرد الآثام التى كان المتوفى ينفى عن نفسه ارتكابها عند ما يقف بين يدى إلهه ليحاسب على أعماله فى الحياة الدنيا . والواقع أن عدم الاكتراث بنفس هذه المبادئ الدينية التى اعترف بها أتباعها كان باديا للعيان ؛ يضاف إلى ذلك أن ما كانت تنطوى عليه نفس المصرى وقتئذ من احتقار ماجن لقوة الإله كان باديا فى كل أعماله وأفعاله ولا أدل على ذلك من أن المصرى كان ينهب قبر مليكه الذى يعده إلها بل أبشع من ذلك أنه كان يسرق متاع المعبد وحلى الإله ، وهذا التضاد الصارخ قد يفسر بأحد أمرين ، إما بالجحود والكفر والإلحاد ، وهذا ليس ببعيد فى مثل هذه الأوقات التى ساد فيها الفقر والجوع ، وإما بالاعتقاد الشائع فى هذا الوقت فى قوة الأعمال الاحتفالية وما كان ينطق به المشعوذون من كلمات لتضليل الآلهة للحصول على غفران لكل جريمة يمكن ارتكابها كصكوك الغفران التى حاربها « مارتين لوثر » . والواقع أن نفى المتوفى أمام الإله يوم الحساب ارتكاب الآثام التى ذكرت فى الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى كان يعد قطعة من السحر أحكمت كلماتها وكان الغرض منها فرض محاكمة صالحة للمتوفى ، فكان هذا الفصل فى الحق تعويذة سحرية يمكن للمحق وللظالم على السواء الحصول عليها ؛ وكان كل فرد لديه نسخة من هذه الآثام التى دونت بصيغة النفى يمكنه أن يعرف بها أسماء الآلهة القائمين على حساب المتوفى يوم القيامة ، ومن الواضح أنه منذ عهد متون الأهرام كان قوة مفعول معرفة الاسم من مبادئ السحر المصرى وكان الرجل القوى هو الذى يعرف كل أسماء الآلهة ، ولا أدل على ذلك من قصة « أزيس » والإله « رع » عندما سيطرت عليه بمعرفة اسمه الخفى[1] .

وعلى ذلك فإن هذا العصر هو الذى كانت فيه المتون السحرية تجلب السعادة فى الحياة الآخرة وقد بلغت هذه المتون أعظم تطور وانتشار . وهى نفس المتون

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ١١٢

التي يضمها ما سمى حديثا كتاب « الموتى » وترجع نواته إلى عهود سحيقة فى القدم ، وقد دونت هذه المتون فى أوراق بردية خاصة كانت تدفن مع المتوفى ، كما نقش بعض أجزاء منها على جدران المقابر وعلى توابيت الموتى وعلى جعارين القلب وعلى التماثيل المجيبة[1] وعلى أوان منوعة وتعاويذ عدة مختلفة أشكالها . وكان جعران القلب يوزن فى كفة وريشة العدالة فى كفة أخرى بدلا من القلب الأصلى . أما التماثيل المجيبة فكانت تعمل من أجل العمل اليومى الذى كان يؤديه المتوفى فى حقول عالم الآخرة للاله . وعلى أية حال نلحظ أن هذه الأشياء كان يحصل عليها بالدرس المضنى الذى كان يقوم به الكاهن الكاتب أو كانت تشترى من هؤلاء الكتاب الذين خصصوا أنفسهم لهذه الحرفة وأمثال هؤلاء فى أيامنا هم أفراد تلك الفئة الذين يكتبون الأحجبة والتعاويذ ويبيعونها للعامة وحتى للخاصة لقضاء حاجاتهم ولتكون حرزاً لهم من الشرور والمصائب . هذا وكان السحر الذى فى يد الرجل المعدم فى أغلب الأحيان بطبيعة الحال من نوع رخيص ناقص وعلى ذلك كانت النتيجة التى يحصل عليها من هذه التعاويذ الناقصة فى عالم الآخرة ليعيش هناك مخلداً كانت من نوع رخيص نسبياً فقد وجدنا أن بعض موميات فقراء القوم ذات منظر مفزع للغاية إذ كانت عظامها مختلطة ببعض عظام أفراد آخرين ، والمدهش أن ما نقص من بعضها كمل ببعض خرق لتأخذ شكل مومية ومعها نقوش وكتابات لم تراع فيها أى عناية أو دقة ، ولكن سواء أكان الرجل غنياً أم فقيراً فإن قوة الكلمات السحرية والشعائر التى كانت تقام هى التى كان يعتمد عليها لأجل البقاء فى الحياة الآخرة . ومن ثم نفهم مقدار ما كان للمتون السحرية من أثر فى نفوس القوم ، كذلك نفهم لماذا وضعت مع المتوفى أحيانا إضمامات من البردى غاية فى الروعة والجمال والتنسيق الفنى البديع الذي يصور لنا الحياة فى عالم الآخرة التى كانت تعد فى الواقع صورة من عالم الدنيا فى أبهج مناظرها .

---

(١) الفصل السادس بوجه خاص كان يكتب على التماثيل المجيبة .

أما عن الحياة اليومية العادية فنجد أن الفكرة التى كانت تسيطر على الخلق الشخصى ساذجة كذلك فى بابها ، والمادة التى لدينا عن هذا الموضوع ليست غزيرة كالتى وجدناها فى الأفكار والآراء الخاصة بعالم الآخرة والأبدية . ومع ذلك لدينا بعض متون قليلة تكشف لنا القناع عن معتقدات الطبقة المتوسطة وطبقة العمال الفقيرة الحال[1] وهى نفس ما نشاهده فى أيامنا هذه فى مصر الحديثة تنطوى على أفكار بدائية أساسها الاعتقاد فى الموجودات الخارقة لحدّ المألوف ، وعلى أية حال كان من البدهى لأى عقل بشرى مهما ضؤل أن يفهم أن الأعمال الشريرة كان لا يعاقب عليها فى هذه الدنيا ، وكان إغضاب مخلوق خارق للعادة يعد عملا خطيراً ، ولكن مثل هذه الآثام التى كان معظمها خاصا بالشعائر الدينية مثل لمس محراب بأيد نجسة كان من الصعب تجنب ارتكابها وإذا حدثت كان على المذنب أو الفرد الذى وقع ضحية غضب الإله عليه أن يقدم قربانا أو ما شابه ذلك تكفيراً عن السيئة التى ارتكبها .

وإذا حولنا نظرنا إلى المعتقدات اللاهوتية عند الطبقة العليا من الكتاب وجدنا تفسيرا لأصل الخليقة والعلاقات التى بين الإله والعالم السفلى وكلها تشبه من وجوه كثيرة معتقدات كهنة « بابل » وقد وصل إلينا بعضها فى « التوراة » فى « سفر التكوين » وهذه المعتقدات تحتاج إلى شرح عميق ، كما نجد ذلك فى الشروح التى وضعها علماء اللاهوت عند العبرانيين والمسيحيين والمسلمين فى العصور المختلفة . ولكن بالموازنة نجد أن معرفة فقهاء المصريين كانت أغنى فى تفاصيلها ، ولكن أسس معتقداتهم بالنسبة للحياة والموت كانت معتقدات عامة الشعب ، ولم تكن الآلهة كما يتصورهم المصريون يختلفون عن الناس كثيراً ، ولدينا قصة نقشت على جدران مقبرة كل من الملك «سيتى الأول» و «رعمسيس الثالث»[2] وعنوانها «هلاك الإنسانية» وملخصها أن الإله « رع العظيم » قد صار مسنا وأخذ بنو الإنسان يتراخون فى احترامه

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الثانى ص ١٤٢ الخ .
(٢) راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٧١

وبدأوا يلعنون اسمه بجمع مجلسا من الآلهة وأمرهم بالحضور فى هدوء خوف أن يسمعهم الناس ، وقد نصح الآلهة « رع » أن يرسل « حتحور » لتهلك بنى البشر ففزع الناس وهربوا إلى الصحراء فتعقبتهم « حتحور » وعملت فيهم التذبيح مدة يوم فأحدثت بذلك ضحايا لا تعد ، حتى أن شفقة « رع » استيقظت من هول هذا الذبح ، على أنه لم يكن فى مقدوره إعادة كلمة القوة التى كان يتميز بها ، وعلى ذلك دبر حيلة على « حتحور » وذلك أنه حصل على كمية وفيرة من الجعة ولونها بعصير نبات أحمر لتظهر بلون الدم وصنع منها بركة فى المكان الذى تخرج إليه « حتحور » فى اليوم التالى لذبح الناس ، ولكن « حتحور » قد جذبت بالبركة التى كان لونها كلون الدم ووقفت تعجب بجمال وجهها فى مرآة سطح البركة وشربت منها حتى ثملت لدرجة أنها نسيت غرضها الأصلى وبهذه الحيلة منع الفناء الكلى لبنى البشر على يد الإله العظيم الذى نطق بكلمة القوة ثم ندم على الأمر الذى أصدره .

ولا غرابة إذاً مع تداول مثل هذه الأفكار والمعتقدات أن نجد أهمية كبرى لأوامر الآلهة التى كانت تعطى بطريق الوحى وتؤدى بوساطة إشارات ظاهرة يصدرها الإله فى المعابد الكبيرة وهى الإشارات التى كان يقوم باختراعها وتأديتها الكهنة مستعملين تمثال الإله من وراء حجاب . ومن الأمثلة الصارخة فى هذا الصدد ما حكى عن الكاهن « منخبررع » وهو الذى أصبح ملكا على مصر فيما بعد (١) ، وما أوحى به الإله له فقد قضى على الثورة وأعاد النظام إلى نصابه بوساطة الوحى .

هذه كانت حالة مصر فى بداية العصر الذى نحن بصدده وكل هذه المعتقدات والعادات كانت منتشرة فى كل البلاد حتى نهاية حدود بلاد كوش . « فآمون رع » صاحب « الكرنك » كان هو نفس « آمون رع » صاحب « برقل » وما كان يأتيه الكهنة فى « طيبة » من فعال وأعمال كان يأتيه إخوانهم الكهنة فى « نباتا » عاصمة ملك كوش .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٧٢٥

والحادث العظيم السياسى هو استيلاء اللوبيين على عرش مصر حوالى سنة ٩٤٥ ق . م . فكانت الجنود المرتزقة الأجانب يعملون فى الجيش المصرى منذ عهد « رعمسيس الثانى » وجنود المزوى وغيرهم من رجال القبائل النوبية كانوا يعملون فى جيش الفرعون وحرسه منذ عهد الدولة القديمة[1] . وفى عهد الأسرتين العشرين والواحدة والعشرين أصبحت الحكومة المصرية تعتمد بوجه خاص على الجنود اللوبيين ، وعلى الرغم من أن كلا من « مرنبتاح » و « رعمسيس الثالث » قد صدّ اللوبيين عند محاولتهم غزو مصر واستيطانها فإن هؤلاء القوم قد نجحوا فى التسرب شيئاً فشيئاً إلى الوجه البحرى بأعداد كثيرة من أسرهم وقد استوطنوا هناك وتمصروا بسرعة ، وحوالى بداية الأسرة الواحدة والعشرين أصبح « ماوستا » بن « يويو واوا » كاهن الإله « حرسفيس (حرشف) » رب « أهناسية المدينة » وأسس له ملكا هناك ويعتقد « ريزنر » أن هذا الكاهن هو جد ملوك الأسرة الأولى الكوشية . وقد ظل نسله يتولون وظيفة كاهن الإله « حرسفيس » مدة أربعة أجيال فى « أهناسية المدينة » وبعد ذلك أصبح « نمروت » الذى يمثل الجيل السادس لهذه الأسرة يلقب « الرئيس الأعلى العظيم » ثم استولى بعده ابنه « شيشنق » على عرش مصر وأصبح يدعى « شيشنق الأول » فرعون مصر ، وتدل شواهد الأحوال على الرغم من غموض تاريخ هذه الأسرة فى بادئ أمرها كما أوضحنا ذلك من قبل[2] على أنها استولت على مقاليد الأمور فى مقاطعة « أهناسية المدينة » وأن « نمروت » قد أمدّ سلطانه على كل الدلتا ومهد الطريق « لشيشنق » لاعتلاء عرش الملك دون أية معارضة تذكر فكان مثل هذه الأسرة فى ذلك كمثل المماليك حينما استولوا على مصر من ملوك الدولة الأيوبية دون حرب أو قتال وقد كان « شيشنق » يقود بطبيعة الحال قوة عظيمة من قبيلته الشجعان وغيرهم من الجنود الذين كانوا تحت إمرته .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٤٧٩ الخ .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٨٢

والواقع أن اللوبيين الذين تمصروا قد أدخلوا حيوية جديدة فى مختلف الشئون المصرية فى داخل البلاد وخارجها ، ويقال إن « شيشنق الأول » الذى جاء ذكره فى « التوراة »[1] قد عقد معاهدة مع « سليمان » وأنه خرب « أورشليم » فى السنة الخامسة من حكم « رحبعام » بن « سليمان » . ونقوشه فى الكرنك تبرهن على أنه قام بحملة مظفرة فى فلسطين وقد عثر بعث جامعة « هرفارد » فى فلسطين فى ساحة قصر « أخاب » فى « السامرة » على إناء مهشم من المرمر عليه اسم « أوسركون الثانى » وهو أحد أخلاف « شيشنق الأول »[2] ومن المحتمل أن هذا الإناء كان هدية مصرية إلى ملك « يهوذا » ومن ثم نعلم أن العلاقات بين اللوبيين و « أخاب » كانت على ما يظهر علاقة ود ومصافاة ، غير أننا لم نجد ما يشير إلى مناهض لمصر فى ذلك الوقت .

والظاهر أن الشئون الداخلية فى مصر لم تتأثر كثيراً بالسيادة اللوبية ، وقد تحدثنا باسهاب عن ذلك فى الجزء التاسع من هذا المؤلف ولذلك فليس من الضرورى هنا أن نتحدث عن توالى الملك فى أيدى ملوك هذه الأسرة .

وخلاصة القول إن « شيشنق الأول » زوج ابنه « أوسركون الأول » ولى عهده من ابنة « بسوسنس » آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين وجعل ابنه الأصغر الكاهن الأكبر لآمون . ومن المحتمل أنه كان وقتئذ يقوم بعمل نائب كوش ومن المحتمل كذلك أن أخلافه الذين خلفوه فى وظيفه الكاهن الأكبر « لآمون » كانوا كذلك يقومون بأعمال وظيفة نائب كوش ، غير أننا لا نكاد نعرف شيئاً هاماً عن بلاد كوش وأحوالها فى هذه الفترة اللهم إلا ما جاء عن ذكر الجزية وبعض مناوشات دونت فى نقوش ملؤها المفاخرة والزهو تركها لنا الفراعنة فى تلك الفترة . ويمكن القول أننا لا نكون قد تورطنا فى أخطاء إذا قلنا إن بلاد كوش كانت تؤلف

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١١٤

(٢) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٢٣١

جزءاً من النظام المصرى فى ذلك الوقت وأنها كانت تشاطرها أحوالها على الرغم من أن ما لدينا من وثائق لا يتحدث عن ذلك صراحة . وحوالى عام ٧٥٠ ق . م أى بعد تولى « شيشنق الأول » ملك مصر بمائتى سنة أو بعد مضى حوالى ثلثمائة سنة عن آخر إشارة هامة عن بلاد كوش فى النقوش المصرية ظهرت هذه البلاد مرة أخرى فى السجلات المصرية ، لا بوصفها إقليما تابعاً لمصر ، بل بوصفها مركزاً لمملكة مستقلة كانت مدينة « طيبة » تعد آخر حدودها الشمالية . ومما يؤسف له أن البحوث التاريخية لم تصل حتى الآن إلى إماطة اللثام عن أصل هذه المملكة على وجه التأكيد . وعلى أية حال نلحظ أن الحيوية الأولى التى وجدناها فى الأسرة اللوبية التى أسسها « شيشنق » قد أخذت تضعف وانقسمت البلاد على بعضها وأصبح كل أمير لوبى يحكم حكما مستقلا فى الجزء الذى كان يسيطر عليه هو وجيشه من البلاد ولا يربطه بالفرعون إلا دفع الضرائب وسيادة اسمية ، وهؤلاء الحكام قد سموا أنفسهم فى نهاية الأمر ملوكا وقد استقل بعضهم فعلا عن الفرعون .

ولا بد أنه فى مثل هذه الأحوال قد حدث أحد أمرين ، فإما أن يكون اللوبيون الذين كانوا فى جبل « برقل » قد انتهزوا هذه الفرصة وانقضوا على مصر بجيش عظيم على رأسه « كشتا » واستولى على « طيبة » واتخذها عاصمة لملكه ، أو يجوز أن الأمير اللوبى الذى كان تحت إمرته جيش كوش قد جعل نفسه بحالة ما مستقلا عن مصر فى هذه الأصقاع . ويظن « ريزنر » أن هذا الرجل هو القائد الأعلى ابن الملك « شيشنق الثالث » وقد عثر له فى « نورى » على نقش باسمه « باشدت باست » ، والظاهر أنه لم يحمل قط لقب الملك ولكن الرجل الذى حمل لقب ملك مصر كان غيره ، إذ دلت الكشوف الحديثة على أن رأس أسرة كوش كان يدعى « ألارا » . وعلى أية حال لا يزال موضوع الفاتح الأول لمصر من الجنوب من الموضوعات الغامضة لأننا وجدنا « كشتا » على عرش « طيبة » دون أى إشارة لقيامه بأية حروب أو ما يشير إلى أية حروب فى عهده قط . والغريب المدهش فى أمر هذا الملك أننا لم نعثر له على أثر منفرداً كما سنرى بعد إلا نادراً جداً .

ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

الأسرة الكوشية

الملك « كشتا » (٧٦٠ — ٧٥١ ق . م .)

ماعت رع　　كشتا

ذكرنا من قبل فى مواضع عدّة أنه من المحتمل جداً أن يكون الملك « كشتا » قد دفن فى المقبرة رقم ٨ التى عثر عليها فى جبانة بلدة « الكورو » التى كانت تعد الجبانة الملكية لملوك كوش. وهذه المقبرة هى عبارة عن مصطبة ضخمة وتبلغ مساحتها ١٢ × ٩,٧٥ مترا ولها سور مقام من الحجر الرملى الذى لايزال بعضه محفوظا حتى الآن ومزارها (أو مقصورتها) مبنى كذلك بالحجر الرملى ، وقد وجدت حجرة الدفن منهوبة ولم يبق من أثاثها إلا قطعة من آنية من المرمر وأخرى من الخزف الأزرق المطلى وثالثة من الخزف أيضا من تعويذة « منات » (وهو عقد كانت تلبسه مغنيات الإلهة « حتحور »)[١] وله مفعول سحرى ومدلول دينى معلوم .

ومن المحتمل أن « ألارا » الزعيم وهو الملك الأول لهذه الأسرة هو أخو « كشتا » الأكبر ، وقد جاء ذكر « ألارا » هذا على لوحة « تابيرى » الموجودة الآن بمتحف « الخرطوم » وعلى ثلاث لوحات عثر عليها فى « كاوا » من عهد الملك « تهرقا » (وهى رقم ٤ و ٦ و ٩) وعلى لوحة « نستاسن »[٢] . والملك « كشتا » هو والد كل من الملكين « بيعنخى » و « شبكا » وقد وجد اسمه على قطعة خزف مطلى فى « الكورو » بالقبر رقم واحد[٣] .

(١) راجع Porter and Moss, Vol. 8, p. 196; El Kurru, pp. 46-47

(٢) راجع Nastasen Stela (Berlin 2268) Urkunden III, 137 *ff.*

(٣) راجع J.E.A. Vol. XXXV, Pl. XV [34 a.b] ; El Kurru I, 19-3-537 [34 a]; L.R. IV, p. 5 *ff.* [34 b.]

ومن المحتمل أن « كشتا » هذا هو الذى أقام معبد « برقل » رقم ٨٠٠ ب (B 800) ، وهذا المعبد قد أعيد بناؤه فى عهد الملك «امتالقا » فى العهد المروى[١] ويقول الدكتور « ريزنر » بعد فحص المبانى فى هذا المعبد : والظاهر من الفحص السابق أن المعبد (B 800 first) قد أقيم قبل عهد الملك «تهرقا »[٢] وأن المبنى الأساسى الذى تجمع حوله المعبد الكبير كان قد أقيم فى عهد قبل « بيعنخى » واستخلص أن الذى أقام الحجرات الأصلية (B 803-807) هو الملك «كشتا » سلف « بيعنخى » المباشر .

ويلحظ أنه قبل الكشف على جبانات أسرة كوش لم يكن يعرف إلا القليل عن هذا الملك ، وحتى هذا القليل كان فيه خلط، فمن ذلك أن « جوتييه »[٣] يقول إن هذا الملك على ما يظهر كان مشتركا مع « بيعنخى » فى ملك مصر ومن الجائز أنه بعد موت الأخير كان يحكم بلاد النوبة . وهذه النقطة مشكوك فى صحتها لأنه حتى الآن لم يعثر على أى أثر للملك « كشتا » فى بلاد النوبة ، هذا على أن الرأى الذى أدلى به فيما بعد الأثرى بليت[٤] وهو أن « كشتا » حكم فى بلاد النوبة فقط رأى خاطئ . ويستمر « جوتييه » قائلا : إنه من المحتمل أن « كشتا » هو ابن « بيعنخى » ولكننا لا نعلم شيئاً عن هذه الصلة . أما « برستد » فقد عكس الموضوع وعدّ « كشتا » والد « بيعنخى » وهو رأى خاطئ فى الحقيقة لأنه نتج من خلط فى اسمى ملكين يحمل كل منهما اسم « بيعنخى » . ومن مثل هذه الأقوال نعرف كيف كانت الأفكار متبلبلة غير مستقرة عن حقيقة ترتيب ملوك كوش وصلة بعضهم ببعض، والواقع أن رأى « برستد » كذلك رأى خاطئ ، ولم يكن يوجد إلا ملك واحد باسم « بيعنخى » يحمل اسمى تتويج فى آن واحد كما ذكرنا من قبل . ويعتقد الأستاذ « سايس » أن اسم « كشتا » معناه الكوشى (أى نسبة لبلاد كوش[٥]) .

---

(١) راجع J.E.A. Vol. VI p. 347-259; Porter and Moss 8 b. 212 ff

(٢) لم توجد فى المعبد ودائع أساس .

(٣) راجع L.R. IV, p. 5

(٤) راجع A.Z.,XIV, p. 50

(٥) راجع Sayce, Moroe (1911) p. 3.

ومما يلفت النظر هنا أن الآثار التى ذكر عليها اسم « كشتا » بمفرده نادرة جداً إذ فى غالب الأحيان نجده مذكوراً مع أولاده وبخاصة مع ابنته « امنردس » فى معبد « أوزير » بالكرنك وهى التى حفظت لنا اسمه ، وتدل الأحوال حتى الآن على أن « كشتا » هذا لم يقم بدور هام فى التاريخ المصرى إلا تولية ابنته فى منصب متعبدة إلهية بعد وفاة « شبنوبت » ابنة « أوسركون الثالث » كما سنرى بعد ، أما من حيث الأعمال الحربية أو غيرها فلم نعثر له على شئ فى « طيبة » ولا فى غيرها قط .

وأهم الآثار التى وجد عليها اسمه هى[1] :

قطعة[2] من لوحة مستدير أعلاها مصنوعة من الجرانيت عثر عليها « مسبرو » فى « الفنتين » بالقرب من بوابة « الإسكندر » المصنوعة من الجرانيت ، واللوحة على ما يظهر كانت صغيرة ونجد على الجزء الأعلى الباقى منها قرص الشمس المجنح يتدلى منه الصل الملكى على اليسار وله جناح واحد ، وعلى اليمين نجد صورة العين السليمة ، وفى أسفل هذا المنظر كان يوجد فى الأصل على اليمين الإله « خنوم — رع » رب « الشلال » ولكن لم يبق من صورته إلا جزء صغير ، والإلهة « ساتت » سيدة « الفنتين » . ولم يبق من صورتها شئ قط ، ويقدم لها الملك على ما يظهر مذبحاً عليه نار ، ولم يبق من صورة الملك إلا الرأس الذى يرتدى (تقية) محلاة بصل ملكى واحد ، وقد صوّر المثال الملك بأنف أفطس وذقن غائرة وشفتين غليظتين بارزتين ، وبالاختصار نلحظ فى صورته أنه قد مثل فى هيئة شبه زنجى وهو يشبه كثيراً صورة «تهرقا» الذى نشاهد وجهه فى الرأس المصنوع من الجرانيت الأسود المحفوظ الآن بالمتحف المصرى كما سنرى بعد .

(١) راجع Revue D'Egyptologie Tom. 8 p. 215 *ff* حيث نجد قائمة بأسماء الآثار التى وجد عليها اسم هذا الفرعون .

(٢) راجع A.S.,X. p. 9-10

ويقول « مسبرو » إنه لم يعثر على لقب « كشتا » : « مام رع » الذى نقش على هذه اللوحة فى نقوش أخرى غيرها ، ولكن يحتمل أن يكون هذا اللقب قد كتب بإهمال وأن المقصود هو « ماعت رع » . هذا ولما لم يكن لدينا دليل على وجود ملك آخر يدعى « كشتا » فإن هذا الملك الذى على لوحتنا هذه هو « كشتا » الذى محيت طغراءاته كثيراً على الآثار ، وإذا استثنينا ما جاء على هذه اللوحة وما جاء على قطعة الخزف المطلى نجد أن اسمه لم يذكر بمفرده بل مع أحد أولاده وبخاصة ابنته « امنردس » الزوجة الإلهية أو المتعبدة الإلهية .

أسرة (كشتا) :

تدل شواهد الأحوال على أن زوجة « كشتا » التى تدعى « بياتما » قد دفنت معه فى نفس جبانة « الكورو » فى المقبرة رقم ٧ ، غير أن البراهين القاطعة على ذلك تعوزنا[1] وهى فى الوقت نفسه أخته وقد تبنت « بكسا تر » ابنة « كشتا » .

وقد أنجب « كشتا » وزوجه ولدين هما « بيعنخى » و « شبكا » وقد صار كل منهما فيما بعد ملكا على مصر والسودان .

أما بناته فهنّ :

(١) « آبار » وقد تزوجت من أخيها « بيعنخى » وأنجبت له « تهرقا »[2] .

(٢) «خنسا» وقد دفنت فى « الكورو » بالمقبرة رقم ٤ وقد تزوجت من أخيها « بيعنخى » ودفنها « تهرقا » وعثر لهذه الملكة على مائدة قربان من الجرانيت فى سلم قبرها وهى محفوظة الآن بمتحف « بوسطن » ، وكذلك وجد لها مائدة قربان فى حجرة الدفن كما وجد لها عدة أوان من المرمر وكلها منقوش عليه طغراءات مزدوجة

---

(١) راجع El Kurru No. 7, p. 44

(٢) راجع Kawa Stela V, Barkal Temple 300; L.D. V, Pl. 7c; J.E.A. Vol. XXXV, p. 141

وألقاب مختلفة ، هذا بالإضافة إلى ثور من حجر ستياتيت محفوظ فى « متحف بوستون » وطست من الفضة أيضاً[1] .

(٣) الملكة « بكساتر » : تزوجت من أخيها الملك « بيعنخى » ولم يحقق موضع قبرها حتى الآن ويذهب « ريزنر » إلى أنه القبر رقم ٥٤ فى الجبانة « الكورو » وقد تبنتها الملكة « بياتما » .

(٤) المتعبدة الإلهية « امنردس » : وتسمى فى التاريخ « امنردس الأولى » ابنة « كشتا » واسمها مصرى صريح ويمكن البرهنة على ذلك من مصادر مختلفة بصفة قاطعة . والمتون التى تثبت ذلك قد جمعها « جوتييه » فى كتاب الملوك[2] . وعند استيلاء « كشتا » على عرش ملك مصر أجبر المتعبدة الإلهية « شبنوبت » ابنة « أوسركون الثالث » على أن تتبنى ابنته « امنردس » لتخلفها بعد موتها فى هذا المنصب العظيم الذى كان يعادل منصب الكاهن الأكبر الذى اختفى مؤقتا منذ أن تولت « شبنوبت » هذا المنصب فى عهد والدها « أوسركون الثالث » والبراهين الدالة على أن « شبنوبت » قد تبنتها هى و « شبنوبت الثانية » وكذلك البراهين الدالة على التبنيات التى أتت بعد ذلك هى التى نشرها « بلجران » وفحصها « أرمان »[3] . ويعد الأستاذ « أرمان » أول من برهن على أن كل الصلات الزوجية المزعومة بالنسبة لهؤلاء الأميرات اللاتى ذكرن فى لوحة التبنى يجب أن تلغى ولا يلتفت إليها قط لأنها خاطئة كما سنرى بعد . وعلى ذلك فإن « شبنوبت الأولى » ابنة « أوسركون الثالث » و « تنتسا » على الرغم من أنها ذكرت بأنها أم « امنردس » فإنها فى الواقع لم تكن أمها الحقيقية ولم تكن قط يوما من الأيام زوج الملك « كشتا » كما ادعى ذلك

(١) راجع El Kurru, 4, p. 30; J.E.A Vol. XXXV, p. 144

(٢) راجع L.R., IV p. 5. 6, 7

(٣) راجع A.Z.. 35, p. 28-29

« جوتييه » وقد قرر ذلك من قبل الأثرى « بلجران » عند ما نشر لوحة التبنى[1] .
وقد بقى هذا الزعم الخاطئ قائماً يؤخذ به حتى عهد قريب[2] . ومما يدحض هذا الرأى بدهيا أنه لا « شبنوبت الأولى » ولا أية واحدة من أخلافها اللائى تبنين كاهنات لآمون كنّ يحملن لقب الزوجة الملكية أو الأم الملكية ، وذلك بدلا من لقب زوج الإله أو الابنة الإلهية ، كما كان يحدث أحيانا ، أو لقب المتعبدة الإلهية وهو اللقب الذى كانت تحمله دائماً . غير أن ذلك لا ينطبق على المتعبدات الإلهيات اللائى سبقتهن ، ولدينا استثناء ظاهر فى المتعبدة الإلهية التى تدعى « ماعت كارع موتحب » ابنة « بسوسنس » التى كان لها طفل فعلا وقد كان مثلها كمثل المتعبدات الإلهيات لم تحمل لقب « زوج الملك » ، والواقع أنها لم تتزوج ولكن « جوتييه » يذكر[3] أنها كانت الزوجة الملكية للفرعون « بينوزم الأول » ويرجع السبب فى هذا الخطأ إلى أن لقبها « دعية الملكة » قد ترجم خطأ بلقب « الملكة العظيمة » والواقع أن الملكة زوج « بينوزم الأول » هى « حنت تاوى » التى كانت تحمل لقب الأم التى تبنت المتعبدة الإلهية « لآمون » . ومما يلفت النظر هنا أنه على الرغم من أنها كانت تلقب المتعبدة الإلهية فإن أمها التى تبنتها لم تكن كذلك ، وقد يرجع السبب فى هذا إلى أن اللقب والفكرة كانا جديدين .

ونعلم من جهة أخرى أن « ماعت كارع موتحب » قد ماتت مع طفلها الذى وضعته ولم يعرف اسمه وكان موتها بعد الوضع مباشرة ، وقد دفن الاثنان فى تابوت واحد[4] ، وإذا كان قد حرّم حقيقة على المتعبدات الإلهيات الاختلاط الجنسى أو بعبارة أخرى الزواج فإن السبب فى الموت العاجل الذى أصاب هذه الأم وطفلها يظهر بدهيا ولا يحتاج إلى تفسير أو بعبارة أخرى أنها انتحرت بعد الوضع .

(١) راجع L.R., IV, p. 8

(٢) راجع Frank Knight. Nile and Jordan (1921) p. 290; Sir Armand Ruffer Proc. Royal Soc. Med., (1920) p. 12

(٣) راجع L.R. III, p. 282

(٤) راجع Elliot Smith, Royal Mummies, No. 610, 88-89; Momies Royales, p. 77

هذا ونعلم أن أم « امنردس الأولى » وزوج « كشتا » الوحيدة هى « بياتمـا » وقد جاء ذكر اسمها على تمثال مهشم « لامنردس الأولى » كما ذكرنا من قبل . وقد ذكر عليه الكلمات التالية : « زوج الإله وابنة الملك « كشتا » المبرأ والمتعبدة الإلهية « امنردس » المبرأة وأمها المتعبدة الإلهية « شبنوبت » المبرأة وقد وضعتها زوج الملك « بياتمـا » المبرأة[1] . وفى هذا المتن نجد أن كلمة « أمها » يجب أن تشير فقط إلى صلة التبنى وحسب فى حين أن كلمة « وضعتها » تشير إلى الأم الحقيقية .

وقد وجدت « لأ منردس » آثار كثيرة نذكر منها ما يأتى :

(١) وجد اسمها مع اسم والدها « كشتا » على نقش دوّن على صخرة فى جهة الشلال الأول جنوبى « أسوان[2] » .

(٢) ووجد لهـا لوحة فى مدينة « هابو » عليها اسمها واسم والدها « كشتا » واللوحة محفوظة بالمتحف المصرى الآن[3] وهى مستديرة من أعلى ومصنوعة من الحجر الرملى وارتفاعها ٥١ سنتيمتراً وعرضها ٣٫٨٥ سنتيمتر ورسم على الجزء الأعلى منها قرص الشمس وفى أسفل اللوحة من الجهة اليمنى كتب : « المتعبدة الإلهية «شبنوبت» » ، وقد مثلت واقفة تحرك صناجتين أمام ثلاثة آلهة وتلبس ثوباً فضفاضاً شفيفاً وترتدى شعراً مستعاراً محلى بصل ملكى وشريط متدل . وقد وضع على تاج بصل قرنان طويلان يحيطان بقرص الشمس الموضوع أمام ريشتين عاليتين . والالهة هم « آمون رع » حارس « طيبة » ومثل ماشياً ومعه النقش التالى : « كلام معطى الحياة والفلاح » . وكذلك نجد نفس النقش أمام الإلهة « موت صين رع » ثم الإله « خنسو » ؛ وفى أسفل نجد النقش التالى : « آمون رع » صانع الحياة وحارس

---

(١) راجع A.S., 10, p 111

(٢) راجع Petrie, a Season in Egypt, p. 12 Pl. IX and No 263; De Morgan, Cat. de Mon. and Inscr. De l'Egypte Ant. Tom. I, 38 Nr. 164.

(٣) راجع Legrain, A.S., Tom. IX, p. 277

« طيبة » الذى يعطى كل الحياة والفلاح للتعبدة الإلهية « أمتردس » ابنة الملك « كشتا » . أهديت بوساطة مغنية حريم « آمون » (المسماة) « نب تهيت محيت » ابنة الرئيس العظيم للوبيين المسمى « عنخ حور » وأمه « تاتخب » .

ويقول « بلجران » إنه على الرغم من قصر هذا المتن فإنه يحتوى على بعض نقاط هامة يجب التنويه عنها :

(١) تدل شواهد الأحوال على أنه كانت توجد قاعدة متبعة فى المراسيم المصرية لا استثناء فيها إلا النذر اليسير جداً وهى أن الملك الحاكم كان دائماً يرسم فى المناظر أولا أمام الإله فى الأحفال الرسمية وتأتى خلفه عادة الملكة ثم الأتباع ، وليس لدينا شواذ عن هذه القاعدة إذا استثنينا الملكة « حتشبسوت » فى أن نجد الملكة زوج الملك تحتل هذه المكانة الأولى أمام الإله أو الآلهة بدلا من الملك . وحتى عند ما يكون الملك غائباً كما هى الحال فى اللوحة التى نتحدث عنها كان يجب أن تحتل الملكة هذه المكانة فى الصورة بدلا من « شبنوبت » كما تقتضيه المراسيم . والواقع أن الملك « كشتا » قد ذكر فى هذا المتن ، ومع ذلك لم نجده ممثلا فى اللوحة قبل « شبنوبت » ولا خلفها . هذا ونجد كذلك صورة الملك « أوسركون الثالث » بن « أزيس » فى معبد « أوزير » حاكم الأبدية موضوعة خلف صورة ابنته «شبنوبت» ، ونعلم كذلك من لوحة الأميرة « عنخلس نفرت اب رع » أن لقب المتعبدة الإلهية كان أعلى درجة من لقب الكاهن الأكبر « لآمون » . وعلى أية حال فإن المثال الذى ذكرناه هنا الدال على تقدم المتعبدة الإلهية على الملك فى مراسيم معبد « أوزير حاكم الأبدية » وكذلك المثال الذى نحن بصدده فى لوحتنا يكفيان للبرهنة على أن هذه المتعبدة الإلهية أو على الأقل « شبنوبت » كانت تحتل مكانة أكبر من وظيفة الملك نفسه فى « طيبة » ، ومن الجائز أن يعترض على ذلك بأن « كشتا » كان قد توفى وأنها كانت وصية عند ما كتبت هذه اللوحة ، ولكن هذا الاعتراض باطل لأنه كان له وارث وهو ابنه « بيعنخى » وكان يحمل لقب الملك ، على أن ذلك لا يمنع

من القول أنه فى معبد « أوزير حاكم الأبدية» الموجود «بالكرنك» يشاهد «أوسركون الثالث » الحى واقفاً وراء ابنته « شبنوبت » التى كانت تحمل لقب الزوجة الملكية « لآمون » أى أنها كانت واقفة أمام شخصية تحمل ألقاب ملك مصر ، ومن ثم نستنبط أن لقب الزوجة الإلهية « لآمون » وكذلك لقب المتعبدة الإلهية ولقب « يد الإله » كانت ألقاباً تجعل للمرأة التى تحملها الأفضلية على الفرعون نفسه .

وهذه الميزة تصبح ظاهرة لمن يدرس الحقائق والأعمال الخاصة بالأميرة « شبنوبت الأولى » ، إذ تدل الأحوال على أنها كانت الرئيسة المعترف بها من حيث السلطة الدينية أو الروحية فى « طيبة » وذلك على غرار سلطة البابا الفعلية فقد كان ينحنى أمام سلطانها الفراعنة وقتئذ وكانت سياستهم أن يعينوا إحدى بناتهم لتسلم هذه السلطة العظيمة . ولكن كان انتظار تولى مثل هذه الوظيفة قد يدوم وقتاً طويلا وأحياناً كان الانتظار بدون جدوى ، وذلك أن « عنخنس نفرت أب رع » مثلا قد انتظرت موت « نيتوكريس »(1) مدة إحدى عشرة سنة وأن « امنردس » الثانية ابنة « تهرقا » قد حرمت تولى هذه الوظيفة على يد نفس « نيتوكريس » هذه(2) .

وعلى أية حال فإن سلطان هؤلاء الزوجات الإلهيات « لآمون » كان روحياً أكثر من أى شئ وذلك لأننا نراهن دائماً مصحوبات بمدير بيت عظيم . وتدل النقوش على أنه كان فى يد هذا المدير العظيم للبيت زمام الأمور فى كل إقليم « طيبة » بمفرده باسم المتعبدة الإلهية وباسم الفرعون الذى كان يحكم فى زمنه وهو الذى نشاهد غالباً طغراءه على المبانى كما نشاهد طغراء الزوجة الإلهية الحاكمة كذلك معه .

وأظن أن « سترابون »(3) قد حدّد لنا كل ذلك عند ما أخبرنا أن «أراتوتسين» يتحدّث عن جزيرة أخرى تقع فى أعلى « مروى » وأنها ستحتل بنسل هؤلاء المصريين

---

(1) راجع A.S.,V, p. 84 ff

(2) راجع A.Z.,XXXV, p. 18

(3) راجع Strabon, XVII, 1

الهاربين وهم الفارون من جيش « بسمتيك » الذين يسميهم الأهالى « سمبريت » ولذلك قيل عنهم الأجانب وهم السكان الذين كانت السلطة الملكية عندهم فى يد امرأة كانت تعترف هى نفسها بسلطان ملك مروى .

ولا نشك فى أن هذا القول لا يبعد عن الحقيقة على الأقل بعدالهجرة إلى بلاد كوش (أثيوبيا) وذلك أن الملكة أو بعبارة أدق زوج « آمون » الإلهية كانت تعترف بسلطان ملك كوش العظيم الذى منحها إقليما من الأرض ، وعلى ذلك فهى بصورة ما تابعة له ومضيفته ، ولكن لا نظن أنها كانت كذلك فى « طيبة » حيث نجد كما قلنا من قبل أن « شبنوبت » الزوجة الإلهية كان لها الأسبقية على الملك « أوسركون » الذى كان فيما سبق الكاهن الأول « لآمون » أى أنه كان أقل درجة من درجتها .

ويلحظ أن « شبنوبت » التى نشاهدها فى منظر اللوحة التى نحن بصددها ترتدى فى معبد « أوزير حاكم الأبدية » بالكرنك نفس الملابس التى ترتديها فى اللوحة التى تحدث عنها ؛ فهى تتحلى بالصل الملكى ويحتمل أن سبب ذلك لا يرجع إلى أنها أميرة ملكية وابنة « أوسركون الثالث » وابنة الملكة « كاراثيت » ولكن بوصفها زوج الإله « آمون » . وعلى أية حال فإن هذه النقطة من المراسيم الفرعونية[1] ستبقى غير واضحة دائما ، وذلك لأن « شبنو بت » والزوجات الإلهيات اللائى خلفنها كن من دم ملكى ، وفضلا عن ذلك كن يتسمين بالزوجات الإلهيات اللائى كن يشغلن الوظيفة فعلا . وهذه الأسباب قد أعطتهن الحق فعلا فى التحلى بالصل الملكى مفضلات ذلك على النسر الذى كانت تتحلى به الملكات .

(٣) ووجد لأمنردس حديثا تمثال من الجرانيت الرمادى[2] طوله متر عثر عليه ملقى على وجهه مستعملا أسكفه وقد مثلت عليه الملكة « أمنردس » واقفة على قاعدة

(١) أى تقديم الزوجة الالهية فى المراسيم على الملك .
(٢) راجع A.S., LI, p. 456

مرتدية ثوبا يفصل أعضاء جسمها وبيدها اليمنى منديل وفى اليسرى دررة وترتدى على رأسها التاج الذى تلبسه عادة الزوجات الإلهيات ويتألف من ساق عليه قرص الشمس بين قرنين مستندين على ريشتين ولها شعر مستعار مزين بنقاب وتتحلى باسورة وعقود حول رقبتها والتمثال يستند على لوحة نقش عليها ما يأتى : « الأميرة صاحبة الحظوة العظيمة والمديح المستفاض وربة الرشاقة والحلاوة والحب سيدة كل ما يحيط به «آمون» وسيدة التاج ذى الريشتين وجميلة اليدين بصناجتيها عند ما تهدى الأب « آمون رع » ، والتى تنشد المدائح وتحضر الإله الى مكانه ، وتتحد مع الحكم الإلهى ، بنت « آمون » محبوبته التى يلذ بها قلبه ، نطق : كل شئ يعمل لها بقدر ما يحبها أى ابنة الملك (. . . .) المرأة واليد الإلهية « أمنردس » المرأة عملته (أى هذا الأثر) ابنتها التى صنعته لأجلها الزوجة الإلهية « شبنوبت » لأجل أن نجعل اسمها ثابتا فى بيت « آمون سرمديا » . ونرى من هذا النقش أنه قد أهدى ، للاميرة « أمنردس » بعد موتها من ابنتها « شبنوبت » التمثال الذى نحن بصدده ، وقد كشف فعلا لهؤلاء الزوجات الإلهيات عن عدة تماثيل معظمها كبير الحجم . وتمثال « أمنردس » الذى نحن بصدده الآن تمثال جميل المنظر صناعته متقنة جدا وليس فى النقوش ما يدل على أن صاحبته كانت فى « الكرنك » فى الأصل أو فى « الأقصر » وإن كان ذكر « بيت آمون » يشير إلى أنه كان فى معبد « الكرنك » ، كما يدل على ذلك الآثار الحديثة التى كشف عنها الأثرى ر بيشون .

هذا ونجد فى « الكرنك » المبانى التالية جاء عليها ذكرها :

(١) مقصورة فى الشمال الشرقى لقاعة الأعياد التى أقامها « تحتمس الثالث » .

(٢) مقصورة فى معبد الإله « منتو » [١] وقد وجد فيها تمثال جميل مصنوع من المرمر ومجموعة تماثيل مثلت فيها مع الإله « آمون » [٢] . هذا إلى آثار أخرى جاء عليها اسمها [٣] .

(١) راجع Cairo Museum, 565

(٢) راجع Cairo Museum 42199; Porter and Moss, p. 69,5 and 97

(٣) راجع Revue D'Egyptologie, Tom. 8, p. 215 *ff*

العلاقة بين السياسة والدين فى الدولة
فى أثنـاء تلك الفترة

مقـــدمة :

ذكرنا من قبل أن المتعبدة الإلهية أو كاهنة الإله آمون العظمى كانت صاحبة سلطان روحى قبل كل شئ وأن الإدارة الدنيوية لكل أمورها فى أقليم طيبة كانت فى يد المدير العظيم للبيت ، وهذه الوظيفة كان لهـا مكانة هامة فى البلاط الفرعونى منذ الأسرة الثامنة عشرة ، فكان صاحبها يسيطر على كل أملاك الفرعون الخاصة ، بل أحيانا كانت تتعدى سلطته ذلك فيطغى على سلطات كبار موظفى الدولة[1] وهو فى الواقع يشبه ما كان موجوداً فى مصر فى عهد الطغيان حديثا . فكثيراً ما كان مدير الخاصة الملكية أو رئيس الديوان الملكى يتدخل فى كثير من أمور الدولة . وقد عثر على مجاميع من التماثيل لبعض هؤلاء المديرين العظام لأملاك المتعبدات الإلهيات وما جاء على هذه التماثيل من نقوش يقدم لنـا صورة واضحة عما كان لهم من نفوذ وسلطان ، ومن جهة أخرى تكشف لنا تماثيلهم عن صفحة جديدة فى نهضة الفن التى بدأت فى هذا العهد وكان غرضها الرجوع إلى القديم وبخاصة العهد الذى ازدهر فيه الفن المصرى .

الزوجة الإلهية أو المتعبدة الإلهية أو يد الإله :

ولكن قبل أن نتحدث هنا عن المديرين العظام للبيت فى تلك الفترة ، ينبغى علينا أن نذكر كلمة عن الزوجة الإلهية « لآمون » فى هذا العهد الذى نحن بصدده خلافا لمـا ذكرناه من قبل عنها[2] .

والواقع أنه كتب كثيراً عن الأميرات اللائى كن يحملن لقب زوجات الإله وطبيعة

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٢١

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٦٢٧

وظيفتهن وقد أصبحت الآن معروفة . وعلى أية حال فإنه على الرغم من أن الكشوف الحديثة التى قام بها « ريزنر » فى « نباتا » و « مروى » قد وضعت ترتيب ملوك كوش على أساس شبه متين كما رأينا من قبل ، وبذلك أزالت عدة فروض خاطئة عن شخصية هؤلاء الملوك ، فإنه لا تزال تذكر بعض أخطاء قديمة فى هذا الصدد فى الكتب الحديثة وعلى ذلك يمكن أن ندلى بالموجز الآتى عن هؤلاء الزوجات الإلهيات .

كانت « شبنوبت الأولى » ابنة « أوسركون الثالث » فى وقت الفتح الكوشى لمصر تشغل وظيفة الزوجة الإلهية « لآمون طيبة » ، ولكن لا بد من الملاحظة هنا أن « أوسركون الثالث » هذا كان له ابنتان تدعى كل منهما باسم « شبنوبت » . ولكن إحداهما أصبحت الزوجة الإلهية ، ومن ثم حدث ارتباك لا فائدة منه عندما كانت تدعى الأخرى « شبنوبت الثانية » كما حدث كثيراً . ومن ثم اعتقد أن « شبنوبت الأولى » سبقتها فى الوظيفة وهذا خطأ .

والزعم السائد هو أن « بيعنخى » قد أجبر « شبنوبت » على أن تتبنى « أمنردس » ابنة « كشتا » والده وأن تكون خليفتها فى هذه الوظيفة ، وقد وقعت هذه الحادثة فى عهد فتح « بيعنخى » للبلاد المصرية حوالى عام ٧٢٠ ق . م . وقد عزا بعض الأثريين هذا التبنى الاجبارى للملك « كشتا » نفسه لا للملك « بيعنخى » (١) وآخر من اتبع الرأى الأخير هو « دوس دنهام » (٢) وعلى أية حال لا يوجد دليل مادى يعزز أحد الرأيين . والمتن الوحيد الذى يشير إلى تاريخ التبنى هو المتن الذى عثر عليه فى « وادى جاسوس » وهو الذى جاء فيه أن السنة التاسعة عشرة من عهد « شبنوبت » تقابل السنة الثالثة عشرة من عهد تبنيها للزوجة الإلهية « أمنردس » (٣) . ومن ذلك نعلم

---

(١) راجع A.S., VII, p. 48; Hall, Cambridge Anc. Hist., III. p. 268

(٢) راجع A.J.A.L. (1646) p.385

(٣) راجع Schweinfurth and Erman, Alte Baureste und Hieroglyphische Insch. im Wadi Gasus (Abhandlungen Berlin Akad [1885], 11.

أن « شبنوبت الأولى » كانت تشغل وظيفة الزوجة الإلهية مدة ست سنوات قبل تبني « امنردس » وأن الأميرتين قد حكمتا على أقل تقدير نحو ثلاث عشرة سنة معاً .

هذا ونعلم من آثار « أمنردس » الكثيرة أنها كانت ابنة الملك « كشتا » وأخت الملك « شبكا » ، وكذلك أخت الملك « بيعنخي »[1] . ولم يصل إلينا تاريخ تولي « أمنردس » وظيفتها ، كما لم يصل إلينا تاريخ نهاية حكمها ، أي أن مدة توليها الملك بعد « شبنوبت الأولى » ليست معروفة لدينا . هذا ولا نعرف كذلك حتى الآن السنة التي تبنت فيها « شبنوبت الثانية » ابنة أخيها « بيعنخي » وكل ما يمكن الادلاء به هو أن جزءاً من حكمها يتفق مع جزء من حكم « شبكا » إذ نجد في نقوش « وادي الحمامات » السنة الثانية عشرة من حكم « شبكا » وقد وجدت طغراؤها مع طغرائه[2] ، والظاهر أنها ماتت إما في عهد الملك « تهرقا » أو قبله وقد وجدت « شبنوبت الثانية » ممثلة مع « تهرقا » في معبد « أوزير » بالكرنك بوصفها لا تزال على قيد الحياة ، في حين أن « أمنردس » مثلت بوصفها في عالم الآخرة[3] . وتعد في العادة أخت هذا الفرعون وبنت « بيعنخي » ، وكانت « شبنوبت الثانية » تشغل وظيفتها في عهدي الملكين « تهرقا » و « تانوت آمون » والجزء الأول من عهد « بسماتيك الأول » حتى السنة التاسعة من حكم هذا الفرعون الأخير (٦٥٤ ق . م)[4] وقد ماتت قبل السنة السادسة والعشرين من حكم « بسمتيك » . ويمكن استنباط ذلك من نقوش مدير البيت العظيم « إبا » (Iba) إذ نجد على تمثاله المحفوظ بالمتحف المصري[5] سرد الوظائف التي كان يشغلها في عهد « نيتوكريس » ، وكذلك يتحدث عن ترقيته إلى وظيفة مدير البيت العظيم في السنة السادسة والعشرين من عهد الملك

(١) راجع J.E.A. Vol. 35, p. 147

(٢) راجع L.D., V, I; Mariette, Karnak, Pl. 450

(٣) راجع Legrain, Rec. Trav. XXIV, p. 202-10 ; A.S. IV, (1904) p. 181-182

(٤) راجع Adoption Stela of Nitocris, A.Z. XXXV, p. 16 ff

(٥) راجع Journal D'Entree No 36158; A.S., V p.94 ff

« بسمتيك الأول » . وواضح من المتن ومن نقوش قبره فى « طيبه »[١] أن الزوجة الإلهية التى كان هو المدير العظيم لبيتها هى « نيتوكريس » أو بعبارة أخرى كانت « شبنوبت » قد ماتت وقتئذ .

وقد تبنت « نيتوكريس » ابنة « بسمتيك الأول » فى السنة السادسة والعشرين من حكمه . أما « أمنردس الثانية » التى لا نعرف عنها شيئاً يذكر فهى ابنة « تهرقا » وقد تبنتها أولا « شبنوبت الثانية » ثم خلعت ونصب مكانها « نيتوكريس » وهى لا تعنينا هنا لأنها لم تتول هذه الوظيفة قط .

وقد امتد حكم « نيتوكريس » طوال حكم « بسمتيك الأول » وحكم الملك « نكاو » ثم « بسمتيك الثانى » . وقد تبنت « عنخنس نفرت أب رع » ابنة « بسماتيك الثانى » فى السنة الأولى من حكم هذا الفرعون حوالى ٥٩٣ ق . م . وماتت فى السنة الرابعة من حكم الملك « أبريز» ٥٨٤ ق . م[٢] . وقد شغلت « عنخنس نفرت أب رع » هذه الوظيفة مدة تعادل مدة سابقتها وهى آخر من ظهر مع « بسمتيك الثالث » فى الرسوم فى سنة الفتح الفارسى ٥٢٥ ق . م . فى معبد « أوزير» بالكرنك[٣] .

وقد حكمت هذه الزوجات الإلهيات الأربع اللائى عشن فى العهدين الكوشى والصاوى ما يقرب من مائتى سنة ، وقد تولى فى عهد هؤلاء الزوجات الإلهيات أو المتعبدات الإلهيات وظيفة المدير العظيم للبيت سبعة رجال كانوا يقومون بإدارة شئون ملكهن ، وقد حكم فى نفس المدة أحد عشر ملكا على عرش مصر بالتوالى . وأول هؤلاء المديرين العظام لبيت الزوجة الإلهية هو : « حاروا » .

---

(١) راجع Thebes Nr. 36

(٢) راجع A.S., V, p. 84 *ff*

(٣) راجع A.S., VI, p. 131

مدير البيت العظيم حاروا :

جاء ذكر هذا المدير العظيم على ثمانية التماثيل التى عثر عليها له بأنه كان يدير بيت الزوجة الإلهية كما ذكر عليها ألقابه الأخرى ، غير أنه لم يذكر اسم الملك الذى كان عائشاً فى عهده[1] ومن المحتمل أنه فى عهد توليه منصب المدير العظيم لبيت الزوجة الإلهية « أمنردس » قد شاهد حفل تبنيها للزوجة الإلهية « شبنوبت الثانية » وبما أنه لم يذكر لنا هذا الحادث فمن المحتمل أنه لم يكن يشغل وظيفته هذه بعد وأن « أخآمون رو » كان قد حل محله فى إدارة بيت المتعبدة الإلهية وسنتحدث عنه فيما بعد .

وتعد تماثيل حاروا مدير البيت العظيم للمتعبدة الإلهية «أمنردس» من الأهمية بمكان من وجوه عدة وبخاصة من الوجهة الفنية إذ نجد أن بعضها يعبر تعبيراً صادقاً غير عادى فى الفن المصرى . والواقع أن الأسلوب الذى ابتدعه الفنان فى نحتها يعد فريداً فى بابه فهو يدل على أن المثال الذى نحتها كان من مدرسة تميل إلى تمثيل الأشياء على حقيقتها دون مراعاة إخراج صورة جميلة أو عمل تحسين فيها مهما كانت قبيحة فى الأصل كما سنرى هنا التماثيل الأربعة التى أخرجها لنا هذا الفنان المجهول الاسم. وتدل شواهد الأحوال على أن الاختلافات الدقيقة التى نتجت من فحص هذه التماثيل لم تكن عن تقصير من المفتن ، بل لأن هذه التماثيل قد نقلت صورها فى أزمان متفاوتة العهد ، أى فى فترات مختلفة من مجال حياة هذا الرجل العظيم . والواقع أننا لا نرى فى تماثيله صورة كلاسيكية مثالية روعى فيها أن تكون جميلة بل نجد صوراً حقيقية لم يسع فى إبرازها المثال وراء الجمال بل وراء الحقيقة بعينها ، إذ نجد أنه قد مثله بخدين متدلين وفم مكشر عن أنياب وبطن ذى تجاعيد مكدسة بالشحم وصدر ذى ثديين عظيمين لا فرق بينهما وبين ثديى المرأة . ويذكرنا رأسه الكبير وصدره الضخم بتمثال يقرب تاريخه من تاريخ التماثيل التى نحن بصددها وهذا التمثال هو

(١) راجع Gunn and Engeback, The Statues of Harwa B.I.F.A.O. XXX (1931) 791-815 and Ibid, XXXV, p. 143

لفرد يدعى « أريجاديجان » الذى عثر عليه فى خبيئة الكرنك (Nr. 38218)[1] وهو من الجرانيت الأسود وقد مثل برأس أصلع و بطن ضخم وثديين ضخمين كثديي المرأة ، وهو يشبه المرأة فى صورته حتى أنه كان من المتعذر معرفة إن كان ذكراً أو أنثى لولا ما ذكر معه من ألقاب تدل على أن التمثال لرجل ، فقد كان يلقب الأمير الوراثى وقريب الملك ومحبوبه « اريجاديجان » وهذا العظيم يظهر أنه كان ذا صلة بملوك كوش فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين ، وعلى الرغم من أنه وجد مع تماثيل « حاروا » فى مكان واحد فإن الأثرى « مسبرو » لم يقرنه به ، ولكن الواقع أن كل من « حاروا » و « اريجاديجان » يعد من عهد واحد ومعاصرين لما بينهما من تشابه من جهة الفن ، هذا فضلا عن أنه يوجد تشابه فى الجسم وعلى ذلك فهما من أصل سودانى واحد . ولا بد أن الفتح الكوشى لمصر قد جلب معه إلى « طيبة » — وهذا أمر طبعى — عدداً عظيما من مواطنى الحكام الجدد ولذلك نرجح أن كلا منهما من أصل سودانى . ويلفت النظر أن اسم « حاروا » لا يوجد كثيراً فى أسماء الأعلام المصرية ، ومع ذلك يمكننا أن نذكر أربعة أشخاص بهذا الاسم عاشوا فى نفس الوقت الذى عاش فيه « حاروا »[2] .

وقبر « حاروا » هذا معروف تماماً فى « طيبة » غير أنه مهشم ، وقد عثر « بلجران » على بعض تماثيل فى خبيئة الكرنك لم تنشر ومجموع التماثيل التى وجدت له حتى الآن سبعة وقد نشرها الأستاذ « جن » (Gunn) وعلق عليها كل من الأستاذ « كوتر » والأثرى « ريدر » . وسنحاول هنا أن نصف هذه التماثيل بصورة موجزة ونترجم نقوشها ثم نقدم لمحة عن أهميتها وبخاصة أنها من عصر غامض لا يعرف القارئ العادى بوجه عام عنه إلا القليل وإن كانت الكشوف الحديثة قد أظهرت كثيراً مما يلقى الضوء على هذا العهد[3] .

---

(١) راجع Melanges Maspero, A Sudanese of the Saite Period, p. 373

(٢) راجع B.I.O.F.A., XXXV, p. 146

(٣) راجع Caire, Journal D'Entree Nr. 3786

(١) التمثال الأول : محفوظ بالمتحف المصرى وهو يمثل « حاروا » قاعدا وهو مصنوع من الحجر الأخضر الصخرى المتحول وارتفاعه ٤٥ سنتيمترا ورأسه مكسور وهو يمثل « حاروا » بجسم ضخم كما هى الحال فى تماثيله الأخرى . وقد حاول المثال أن يجعل محياه صورة ناطقة طبق الأصل . ويلحظ أن الأنف قد كسر أما الشفتان فمدلاتان ومن المحتمل أن ذلك يرجع إلى فقد الأسنان ، ويسود على الوجه طابع الهدوء وملامح الشفقة مما يتفق مع صفاته التى ذكرت فى المتن الذى نقش على التمثال .

المتن : نجد على جانبى صدر التمثال صورة للاله « أوزير » ومعها الكلمات التالية : « المدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية » . هذا ونقش على الجزء الأعلى من الذراع : يد الإله الموحومة « امنردس » . ونقش على الكتاب الذى يحمله ما يأتى : يا « أوزير » الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد المحبوب ، والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية وقريب الملك الحقيقى المحبوب المبرأ « حاروا » قربان يقدمه الملك ليمنحك فى كل أماكنك وفى كل مراتبك والتمتع بنفس الحياة بعد الموت ولتصير روحا ويصير قلبك شابا مغمورا بالطعام ولتتمتع بالنبيذ ولتأخذ من اللحوم كل ما ترغب ولتصير منعما فى السماء وقويا على الأرض ولتعبد « رع » بين المبجلين لديه وليكون لك فمك ولسانك اللذان يرشدانك والرياح الأربعة لأنفك ولتأخذ الأشكال (التى تروق فى عينك) ولتكون مائشا بالسحر مع « أنوبيس » ومع « أوزير » ومع « الجبانه الغربية » .

ونقش على ظهر التمثال متن مهشم تبقى منه ما يأتى : « ... آلاف ... آلاف من النسيج والعطور .. (الأشياء) التى ينشرح بها الإله لأجل روح الأمير الوراثى والحاكم « حاروا » .

ونقش على أسفل العمود الذى يرتكز عليه التمثال ما يأتى : « الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد المحبوب والصديق الحميم

المحبوب من سيده ومن فضّله الملك على أقرانه ، ومن يشق الطريق والمنعم عليه وعظيم العظماء وأشرف الشرفاء والموظف على رأس الموظفين ومن يصغى الملك لكلامه فى اليوم الذى يقاد اليه فيه المديرون ، ومدير القصر المبرأ « حاروا » .

(٢) التمثال الثانى : يوجد فى المتحف المصرى وهو بدون رأس وقد مثل قاعداً وهو مصنوع من الجرانيت الرمادى وارتفاعه ٤٤ سنتيمتراً وعثر عليه فى خبيئة الكرنك(١) وهاك المتون التى نقشت عليه :

المتن المنقوش على البردية المطوية أمام « حاروا » : الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد المحبوب والمدير العظيم لبيت زوج الإله المبرأ « حاروا » يقول : إن من سيمد يده إلى (؟) بقربان يقدمه الملك ، وإن من يدعو لروحى بسبب شفقة قلبى سيكون أسن بلده ، وأكثر الناس تبجيلا فى مقاطعته وذلك لأنى رب المحبة وإنسان حبه عظيم ، ورجل أخلاق وموهوب بالرقة وصائد صيد عظيم من الطيور البرية والسمك ، ورجل ميسور جداً يطعم فقراء مقاطعته. ولقد قضيت الشيخوخة . . . فى وإنى لم أخاصم المجرم . وإنى فى حظوة كبيرة عند الملك ، ومكانتى بارزة فى بيت سيدتى . وإنى لم أغتب أحداً آخر ولم أضر فاعل خير ، وقد علمنى قلبى أن أكون لطيفاً وقادنى إلى الفضيلة وقد تكلمت الصدق وعملت الحق ، وإنى أعلم يوم الوصول (أى يعلم يوم الوصول إلى عالم الآخرة حيث يحاسب هناك) . وإنى لم أفعل شيئاً مسيئاً وليس لى ذنب أمام الآلهة وعندما يكون الانسان قد عمل (طيباً) فإن الناس تعمل له (طيباً) ومن . . . ما هو قديم فهو باق (؟) المبجل عند رب السماء المبرأ « حاروا » .

النقوش التى على السطح العلوى للقاعدة : المكرم عند « يد الإله » المبرأة « أمنردس » وحظيها الحقيقى الذى اختارته ، والذى يعمل ما تريده يومياً ،

---

(١) راجع Journal D'Entree No. 63711

والذى يشق طريقه إليها ، وبذلك فإنه مبجل ، والذى يفعل له ما هو حق دون معارضة حضرتها ، وبذلك تصبح سعيدة بما ترغب فيه ؛ وانه رفيق حقيق لفك من قيد وإخراج من قد غمر فى حضرة سيدته ، وانه واحد يتكلم طيباً ويبلغ حقاً وأن لذته الرئيسية أن يجعل مدن « آمون » ممكنة . وأنه مبجل عند رب السماء المبرأ « حاروا » سيد الاحترام ابن المبرأ القاضى « بديموت » .

ونقش حول القاعدة : قربان يقدمه الملك للآلهة « موت » ربة السماء وعين رع التى فى وجهه . ليقدم مئونة جنازية لروح قريب الملك « حاروا » المبجل حقاً ابن المبرأ القاضى « بديموت » سيد التبجيل من أنجبته ربة البيت المبرأة « نست ورثت » ، قربان يقدمه الملك للاله « خنسو » الواحد العظيم الخارج من المحيط الأزلى لأجل أن يمنح النسيم العليل من ريح الشمال الذى يخرج منه لأن « حاروا » والمبجل حقاً . . الخ .

(٣) التمثال الثالث : محفوظ بالمتحف المصرى[(١)] . وهذا التمثال بدون رأس وقد مثل « حاروا » قاعداً وهو مصنوع من الجرانيت الأسود وارتفاعه ٦٣ سنتيمترا عثر عليه فى خبيئة الكرنك وقد نقش على كتفه الأيمن طغراء غير أنها محيت وعلى كتفه الأيسر نقش طغراء « امنردس » .

النقش الذى على البردية المطوية : المبجل عند « آمون » رب تيجان الأرضين والأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية والمسيطر على كل وظائفها المقدسة . المبرأ « حاروا » يقول « أنتم يأيها الكهنة والكهنة آباء الآلهة والكهنة المرتلون والكهنة المؤقتون لمعبد « آمون » وكل الذين يدخلون فى معبد « آمون » ليقيموا شعائر صالحة إن الحكم الفاخر سيعيش لكم وسيثبتكم لنفسه (؟) على حسب ما تقولون ، قرباناً

---

(١) راجع Journal D'Entree Nr 36930

يقدمه الملك من خبز وجعة وثيران وأوز وكل شئ طيب طاهر مما يعيش منه الإله لأجل . . « حاروا » ولروحه ، إن حي حلو فى قلوبكم ، ومديحى معكم فقدموا قرباناً لى لأنى المحبوب من سيده والحظى عند الإله ، وإنى شريف تماما مجهز بمدائحه ، وإنسان محبوب من مدينته وممدوح فى مقاطعته رحيم بالعظيم (؟) . . . وإنسان يتكلم جميلا ويقرر كل حسن . . . طيب . وإن نفس فمك مفيد للصامت . وهو ليس بالشئ الذى يصير به الإنسان متعباً وأن من يحيي ذكرى المبرأ « حاروا » فإنه يكون مؤدياً ما يحبه « آمون » رب السماء .

النقش الذى على ظهر التمثال : « قربان يقدمه الملك لآمون رب الأرضين الذى يخترق السماء كل يوم باستمرار ليقدم خبزاً وجعة وثيرانا وأوزاً وكل شئ طيب وطاهر مما يخرج يومياً على مائدته فى عيد الشهر وعيد نصف الشهر وكل يوم عيد سرمدياً لروح من هو فى حظوة « آمون » رب السماء وقريب الملك الحقيقى ومحبوب سيده والممدوح من سيدته والذى يفعل ما يحبونه يومياً المدير العظيم لبيت يد الإله « حاروا » بن المبرأ « نست ورشت » .

(٤) التمثال الرابع[1] : لم يبق من هذا التمثال إلا جذعه وهو مصنوع من الجرانيت الأسود وارتفاعه ٥٣ سنتيمترا عثر عليه فى « طيبة » وعلى الرغم من تهشيم الاسم فإن كل الدلائل توحى بأنه للمدير العظيم للبيت «حاروا» . وقد نقش على قميصه من أسفل : « المقرب عند الملك والأمير الوراثى والحاكم وقريب الملك الحقيقى ومحبوبه والذى يعمل ما . . . . يرغب فيه » . ونقش على الظهر : « . . . الإله العظيم رب « العرابة » ليته يمنحه مئونة جنازية من خبز وجعة وثيران وكتان ونسيج وعطور وكل الأشياء الطيبة مما يعيش منه الإله . . . ، . . . رب الأرض المقدسة ، ليته يمنح دفنا جميلا فى الجبانة الغربية الطيبة العظيمة بمثابة رجل مبجل » .

(١) راجع Cairo Cat. Gen. No. 902

(٥) التمثال الخامس[١] : يبلغ ارتفاع هذا التمثال حوالى ٠,١٧٥ متراً وهو مصنوع من الجرانيت الأخضر أو الديوريت ولايعرف المصدر الذى أتى منه ، ويشاهد فيه أن « حاروا » يرتدى ثوبا إبكمين قصيرين وهو يجلس بصورة غير عادية ظهره متجه نحو لوحة منقوشة ممسكا بصورتى إلهتين وهما « حتحور » و « تفنوت » ومن المحتمل أن « امنردس » قد مثلت فى صورتى هاتين الإلهتين ، وبخاصة عند ما نعلم أن اسمها قد نقش بين صورتى هاتين الإلهتين هذا إلى أن كلا منهما يلبس الصل الملكى . ويدل منظر التمثال الجانبي على أن صاحبه رخو سمين ، غير أن ثوبا يغطى جسمه حتى الرقبة ، وبذلك غطى طيات الشحم التى نشاهدها فى تماثيله التى فى متحف القاهرة ، ووجه هذا التمثال أعرض من وجه التمثال رقم واحد[٢] ولكن نشاهد فيه طول الرأس وفرطحته غير مألوفين .

النقوش : نقش على الصدر بين صورتى الإلهتين ما يأتى : « يد الإله المبرأة « امنردس » . ونقش على الجانب الأيمن من القاعدة : « عمله الحظى « حاروا » لأجل الخادم (يقصد نفسه) الذى ليس ببعيد من سيده » .

وعلى الجانب الأيسر من القاعدة نقش : عمله الحظى « حاروا » ابن « بديموت » . ونقش على اللوحة التى خلف التمثال ما يأتى : « يايد الإله يا « امنردس » المبرأة إن أختك « إزيس » تأتى إليك فرحة بحبك وإنها تشاهدك وإنها تصد (؟) قدميك وإنها تحميك من الغرق وإنها تمنحك الهواء لأنفك حتى تعيشى وإنها تفتح حنجرتك ، وإنك لن تموتى أبدا يأيتها المتعبدة الإلهية يا « امنردس » ابنة الملك « كشتا » المبرأ » .

(٦) التمثال السادس : يوجد هذا التمثال بمتحف اللوفر[٣] وهو مصنوع

---

(١) راجع British Mus. Stat. Nr. 32555

(٢) راجع Cairo Mus. No 37386

(٣) راجع Louvre Nr. A. 84

من الديوريت وارتفاعه ستون سنتيمترا عثر عليه فى « طيبه » وهو من التماثيل التى على هيئة حزمه ويظهر عليه علامات الترهل ووجهه من طراز أوجه تماثيل العصر الصاوى التقليدية ومتون هذا التمثال بينها وبين متون التمثال السابع أوجه شبه كبيرة .

(٧) التمثال السابع : محفوظ الآن بمتحف « برلين »[1] وهو من الجرانيت الأسود ويبلغ ارتفاعه ٠,٤٨٧ متراً ومن طراز التماثيل الشائعة فى هذا العهد أى مثل فى صورة رجل قاعدا القرفصاء وملفوفا فى ملابسه ولا يظهر من جسمه إلا الرأس .

النقوش : وهاك ما جاء على التمثال السادس من نقوش فعلى الكتف الأيمن : « زوج الإله ويد الإله « امنردس » المبرأة والنقش المقابل لذلك على التمثال السابع » يد الإله « امنردس » المبرأة .

ونقش على الجزء الأمامى من التمثال السادس ما يأتى : « الأمير الوراثى والحاكم ، قريب الملك والصديق الحميم لسيدته خارج أرضها ، وحافظ تاج متعبدة الإله وكاهن « أنوبيس » المحنط لزوج الإله وكاهن يد الإله المرحومة « امنردس » فى بيت زوجها والمشرف على بيت الروح لكهنة الروح وكاهن « أوزير » معطى الحياة ، والذى يدخل أولا ويخرج آخراً ، ومن تحدث إليه سيدته عندما تكون وحدها ، ورئيس الخدم (سنرم عش) للتعبدة الإلهية « حاروا » المبرأ يقول : « إن كل من يدخل ليعمل قرابين وليؤدى خدمة كاهن الشهر ، فإن الإله الفاخر سيعيش لك وإنك ستكون طاهراً له على حسب ما ستقول قربان، يقدمه الملك ، ألف من الخبز والجعة والفطائر والثيران بعد أن يكون الإله قد أخذ كفايته لقريب الملك « حاروا » ولروحه لأنى شريف طيب محلى بمدائحه ، وإنسان تعرف الأرضان فضائله ، وإنى لست قاسياً ، فإنى منجى الغريق ومرقاة لمن فى الهاوية والمبجل « حاروا » المرحوم » .

النقش الذى على الجانب الأيمن من التمثال السادس : « من يجله الملك

(١) راجع Berlin Nr. 8163

والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية المحبوب حقا وقريب الملك والمشرف على خدام المتعبدة الإلهية لآمون « حاروا » المرحوم يقول : « أنتم يأيها الكهنة والكهنة أباء الآلهة والكهنة المرتلون إن كل واحد منكم سيمر بهذا التمثال — ذلك الروح الذى فى « طيبه » (؟) والإله الفاخر الذى يشرف على حريمه سيعيش من أجلكم على حسب ما تقولون : ألفا من الخبز وألفا من الجعة وألفا من الفطائر وكل الأشياء الطيبة لأجل روح المبجل المرحوم « حاروا » لأننى شريف وينبغى على الانسان أن يعمل له شيئاً ، وإنى قوى القلب حتى نهاية الحياة ، وإنى إنسان محبوب من مدينته وممدوح من مقاطعته ورحيم القلب لمدنه . ولقد عملت ما تحبه الناس وكل ماتمدحه الآلهة . وإنى إنسان مبجل حقا ، لاعيب فيه ، يعطى الجوعان خبزاً والعريان لباساً ، ويقضى على الألم ويزيل المصيبة ، ويدفن المبجلين ويساعد المسن ويقصى حزن المعوز . . . . . ولقد عملت هذه الأشياء عالما بوزنها ، ليت المكافأة عليها تكون عند الآخرين هى البقاء فى فم الناس دون أن تفنى أبديا والذكرى الحسنة بعد مرور السنين وأن يكون نفسى فى أفواهكم مفيداً للصامت (أى المتوفى) ولا يكلف شيئاً من متاعكم » .

وعلى الجهة اليسرى : « الأمير الوراثى والحاكم المبجل عند سيدته وصاحب الحظوة عند سيدته حلو الفم حسن الكلام للكبير والصغير والذى يقدم النصيحة للخجل عند ما يكون حظه سيئا ، والذى يقوم شاهده ليتكلم (؟) رحيم اليد مطعماً كل الناس ، ومرضياً من لا شئ عنده بما ينقصه ، قريب الملك ورئيس خدم المتعبدة الإلهية « حاروا » ابن الكاتب « بديموت » يقول : إنى أتحدث إليكم يامن تأتون فى المستقبل بوصفكم مخلوقات جدد فى ملايين السنين . إن سيدتى قد جعلتنى عظيما عندما كنت صبيا صغيراً وقد رفعت مكانتى عندما كنت طفلا وقد أرسلنى الملك فى بعوث وأنا شاب . وحور سيد الأرضين ميزنى ، وكل بعث أرسلنى فيه جلالته أنجزته تماما ، ولم أقل كذبا قط عنها ، وإنى لم أسرق أحدا وإنى

لم أرتكب ذنبا وإنى لم أذم أحدا أمامهم وقد ذهبت إلى الحضرة لأفك المغلول ولأخلص الرجل الفاضل وأعطيت من لا شئ عنده أشياء وأغنيت اليتيم فى مدينتى لتبق روحى بسبب رحمة قلبى » .

النقوش التى على ظهر التمثال : قربان يقدمه الملك « لآمون رع » وللالهة « موت » ربة السماء وللاله « خنسو نفرحتب » ليقدموا قربانا جنازيا وكل أشياء طيبة وطاهرة مما يعيش عليها الإله فى الأعياد الشهرية ونصف الشهرية وكل عيد لروح المبجل عند آلهة « طيبة » وصاحب الحظوات ، ومن حبه منتشر ومن نعاؤه سببت حبه ، ومن أعطى المحتاج طعاما وفارغ اليد مئونة ، والمحروم ملاذ ، رئيس خدم المتعبدة الإلهية المبرأ « حاروا » .

نقوش التمثال السابع : لا تختلف نصوص هذا التمثال كثيراً عن نقوش التمثال السادس وهاك الترجمة :

على الكتف اليمنى : الكاهنة يد الإله « امنردس » المبرأة .

على الكتف اليسرى : الكاهنة يد الإله ربة الأرضين « امنردس » المبرأة .

على الجزء الأمامى : الأمير الوراثى والحاكم حامل خاتم الوجه البحرى قريب الملك الحقيق ومحبوبه وحافظ تاج الزوجة الإلهية ، ومن هو عند قدمى الملك فى الحريم الملكى وكاهن « أنوبيس » المحنط التابع لزوج الإله « امنردس » المبرأ وكاهن بيت روحها والمشرف على خدم بيت الروح وكاهن « أوزير » معطى الحياة والمدير العظيم للبيت « حاروا » ابن الكاهن « بديموت » المبرأ يقول : « أنتم يأيها الكهنة والكهنة أباء الآلهة والكهنة المطهرون والكهنة المرتلون وكل الذين يدخلون معبد « آمون » صاحب « الكرنك » ليقيموا الشعائر الصالحة لعمل القربان وللقيام بخدمة الكهانة الشهرية ، إن الإله الفاخر سيعيش من أجلكم وإنكم ستكونون مطهرين له ، وإنه سيجعلكم ثابتين فى حظوته طالما تقولون قربانا يقدمه الملك : ألف

من الخبز والجعة والفطائر والثيران وأوانى المرمر والملابس والبخور والعطور وكل شىء جميل طاهر ، وستقولون ذلك بعد أن يكون الإله قد أخذ كفايته منها ، لأجل قريب الملك « حاروا » ولأجل روحه لأنى شريف طيب مزين بالمدائح ، وإنسان تعرف الأرضان فضائله وإنى لست قاسياً بل إنى عائمة نجاة للغريق وسلم لمن فى الدوامة وإنسان يتكلم فى صالح المصاب وينقذ اليائس ويساعد المظلوم بكلماته الممتازة عند الملك « حاروا » .

النقوش التى على الجانب الأيمن : المبجل عند الملك والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية والكاهن المحنط « لأنوبيس » التابع لزوج الإله وقريب الملك الحقيقى ومحبوبه ورئيس عمال الجبانة للتعبدة الإلهية « لآمون » « حاروا » يقول : يأيها الكهنة والكهنة آباء الإله والكاهن المطهر والكهنة المؤقتون لكل معبد « آمون » إن كل واحد سيمر بهذا التمثال . فإن ذلك الروح الذى فى « طيبة » وذلك الإله الفاخر الذى يشرف على حريمه سيعيش من أجلكم طالما تقولون ألفاً من الخبز والجعة والفطائر وكل الأشياء الطيبة لأجل روح المبجل عند يد الإله قريب الملك « حاروا » المبرأ : صاحب الشرف ! لأنى شريف ويعمل له الانسان أشياء وإنى رجل فاضل جداً وكامل فى حياته ، وإنى محبوب مدينته وممدوح مقاطعته وشفيق على مدنه ، ولقد عملت ما يحبه الناس وما تمدحه الآلهة ، وكنت إنساناً مبجلا لا عيب فيه وأعطيت الجائع خبزاً والعريان كساء ، وإنى إنسان يقضى على الألم ويزيل المصائب ويدفن المبجلين ويجد المسن ويكشف الضر عن البائس وظل للطفل ومساعد للأرمل ويمنح الوظيفة لمن فى مهده . ولقد فعلت هذه الأشياء عالما بأهميتها (أى وزنت أهميتها) والمكافأة عليها من رب الأشياء وهو البقاء فى فم الناس دون نسيان أبداً وذكرى حسنة فى السنين المقبلة . إن نفس أفواهكم مفيد للصامت (المتوفى) ولا يكلف شيئاً من أملاككم (؟ ؟) دع الخبز لسيدة القرابين[1] والطعام

(١) هذه الجملة صعبة الترجمة لحد بعيد فى الاصل .

لإلهم وتنعيم الروح وهو مجود ذكر اسمه . وأنه المبجل عند سيده المبرأ « حاروا » لم يرتح من العمل فى المعبد والذى . . . المعبد . . . الذى يجنى . وأن روح الرجل المنعم تذكر لأعماله الطيبة فى المعبد .

على الجانب الأيسر من التمثال : الأمير الوراثى والحاكم المبجل عند سيده والمحظوظ عند سيدته حلو الفم شهى الكلام ، شفيق على الكبار والصغار ، ومن يقدم النصيحة للخجل عند ما يكون حظه سيئاً ، ومن شهاده يقفون ليتكلموا (؟) رحيم اليد ، وممون كل الناس ، ومن يرضى من لاشئ عنده بما يحتاج اليه ، تشريفاتى يد الإله وقريب الملك « حاروا » يقول : « إنى أتحدث اليكم يا من ستأتون فى المستقبل مخلوقات مستحدثة فى ملايين السنين . إن سيدتى قد جعلتنى عظيما وأنا لم أزل ولداً صغيراً ، ورفعت مكانتى وأنا لا أزال طفلا وأرسلنى الملوك فى بعوث وأنا شاب . وكنت مميزاً فى القصر وكل بعث أرسلنى فيه جلالته نفذته تماماً ولم أخبر كذباً عنه . ولا يوجد إنسان سرقته ولم أرتكب خطيئة ، ولم أغتنب واحداً أمامهما وذهبت فى الحضرة لأفك من فى الأغلال وأخلص الرجل الفاضل . وقد أعطيت أشياء لمن لا شئ عنده بسبب إنعامى ولأجل أن تبقى روحى لشفقة قلبى : « حاروا » .

النقش الذى على ظهر التمثال : قربان يقدمه الملك للاله « منتو » رب « طيبة » ليمنح طعاما جنازيا من الخبز والجعة والفطير والثيران والدجاج وأوانى المرمر والنسيج والبخور والزيوت وكل الأشياء الطيبة التى يعيش منها الإله والتى تقدمها السماء وتخرجها الأرض ويأتى بها النيل من مائدة رب الأبدية فى أعياد الشهر ونصف الشهر وعيد « تحوت » وفى كل عيد وكل يوم لروح من هو مبجل عند « منتو » رب « طيبة » قريب الملك الحقيق ومحبوبه « حاروا » .

التمثال الثامن[1] : يبلغ ارتفاعه أربعين سنتيمترا وهو مصنوع من حجر الشيست

(١) راجع British Museum Stat. No. 5506

الأخضر والتمثال ملفوف فى عباءة وقاعد القرفصاء ويشبه فى شكله التمثال السادس الذى تحدثنا عنه فيما سبق .

النقوش : نقش على مقدمة التمثال المتن التالى : « يأيها المشرف العظيم على . . . والأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى السمير الوحيد المحبوب وحارس تاج يد الإآله وقريب الملك « حاروا » اقلب نفسك على جانبك الأيسر ، وضع نفسك على جانبك الأيمن ، فإن الإآله « جب » (إآله الأرض) قد فتح لك عينيك ، وإن الإآله « أنوبيس » قد مد ركبتيك لك ، وإن قلبك الذى من أمك فتح لك ، وهيئ قلبك الخاص بجسمك ، وإن روحك يذهب إلى السماء وجسمك فى الأرض ، وإنك تدخل على الإله دون أن تطرد ، وإنك تخرج دون أن تبعد ، وإن « حور » قد تعرف على والده فيك وإنه قد عدل بين الآلهة ، والإله « سيا » يذكر عند الإآله « شو » (؟) وفضائلك تعظمك ، ليت لجسمك خبزا ولحنجرتك ماء ، ولأنفك هواء نقيا . أنت يا من يبجله « آمون » رب السماء والمتعبدة الإلهية « امنردس » ، والذى يعمل ما ترغب فيه سيدته حتى يشق طريقه إلى سيدته ، والشفيق حقا ومن لا عيب فيه « حاروا » صاحب التبجيل .

ونقش على الجانب الأيمن : المبجل عند إله مدينته والممدوح لدى سيدته المبرأ « حاروا » والمقرب يقول « إنى أتكلم اليكم أنتم يا أحياء كلكم وكل من سيأتى بعد إلى الوجود . إنى أحذركم بشدة . تذكروا روحى عندما تمر السنون فإنى صديق حقيق لفك المغلول وفم المحتاج بسبب استقامته عندما يكون سيئ الحظ (؟) وإنى طعام المحروم ومئونة المحتاج وإنى إنسان طيب للذين ينعمون باستذكاره ، وإنسان مجيئه مرغوب فيه بالنسبة لكل عمل مستحب . ولقد خلصت المغرق ، وإنى نيل عال غلته طيبة تملأ الارض وإنى قمح فاخر لمدينتى وقد حميت المسن وأعطيت الأرمل المنح ، ومددت يدى لمن حزنه عميق ، وإن من يذكر روحى سيذكر فى المستقبل ومن لا يذكرها سيموت ، بوساطة المقرب حقا المبرأ

« حاروا » صاحب الشرف الذى أنجبته ربة البيت « نست ورثت » .

ما نقش على الجانب الأيسر : « الأمير الوراثى والحاكم . . . المبجل لدى « آمون » رب السماء « حاروا » يقول : « أنتم يا كل الناس (؟) الذين يدخلون والذين يخرجون مارين بى كل يوم أعطونى حياة من هواء نطقكم (؟) اعطونى أشياءكم كما ساعدتكم بأشياء . . بالسعادة . . . أنا . . . هذا المكان ، وعلى ذلك فإن هؤلاء الذين فيها سيتسلمون السرور ، والكهنة صلوا للاله من أجلى : والكهنة المرتلون احتفلوا بطيبتى وكل رجل من بينهم يقود (؟) . . . الكهنة المؤقتون للعابد يقتسمون أشياء (؟) والمسنون فى عيد فى صحبة الشباب . . . شهد ، وكل فم مفعم بالاحتفال بروح ، سخى اليد ورحيم القلب ، وإنى أطعمت الجائع وكسوت العريان ، وأسكت الضحك فى حضرة كل متظلم ، وإنى سبقت بشكاياته ، وأزلت مصيبة المظلوم ، وإن مكافأة الطيبة ليس مضرا لأنها ستفيدك فى السنين المقبلة » . (أن أى المكافأة على الشئ الطيب لا يضر بل سيشفع فيما بعد) .

النقوش التى على ظهر التمثال : (الأسطر الأربعة الأولى قد فقدت) : (قربان يقدمه الملك ؟ . . .) ألف من . . . ألف من البخور والعطور والف من كل شئ طيب وطاهر مما يعيش منه الإله . . . وستقول طبقاً لذلك إنى أريك . . . بعد أن يكون الإله قد أخذ كفايته منه ، لأجل روح من هو مبجل عند إله هذه المدينة المبرأ « حاروا » صاحب الشرف ، وذلك لإنى حقا رجل مبجل خال من الشر سخى اليد . . . وإن البقاء فى الذكرى لأفيد للروح أكثر من القربان (أى القربان الذى تقدم لها) والمكافأة منى هو ما سأفعله لكم . وان من لا يقول . . . وانه مبجل عند « آمون » رب السماء : « حاروا » الذى وضعته « نست ورثت » .

هذا وقد وجد للمدير العظيم للبيت « حاروا » بعض تماثيل مجيبة فى « المدمود » بعيدا عن قبره وقد كتب عليها الفصل السادس من كتاب الموتى كالمعتاد [(١)] .

(١) راجع B.I.F.A.O. Tom. XXXIV p. 129

تعليق : هذه هى متون تماثيل « حاروا » ومنها يمكن أن نستخلص شيئاً عن حياته وأخلاقه . وعلى أية حال تظهر أمامنا عدة نقط صغيرة يمكن أن نذكرها عنه وعن عصره ، فالوظائف التى شغلها « حاروا » معظمها وظائف إدارية وليس من بينها وظائف دينية إلا وظيفتا الكاهن المحنط لزوج الإله وكاهن الإله « أوزير » ويظهر أن « حاروا » لم يشغل وظيفة ما من وظائف كهنة « آمون » ، ومن الجائز جداً أن وظائف الكهانة كانت فى عشيرة أو طبقة خاصة كما ذكر ذلك « هردوت » عن هذا العصر[1] ، ولذلك لم يكن فى مقدور « حاروا » على الرغم من مركزه ونفوذه الإدارى أن يكون له نصيب فيها . وتدل النقوش أن والد « حاروا » كان مجرد كاتب لأن لقبه الآخر الذى كان يحمله وهو لقب « قاض » ليس إلا لقب شرف وحسب وبخاصة عند ما كان ينعت به والد رجل من كبار موظفى الدولة ، وهو يكاد يقابل فى عهدنا فلان بن الشيخ فلان أو ابن المحترم فلان .

وتدل العلاقة الوثيقة التى تربط « حاروا » بشئون المتعبدة الإلهية وكذلك شغله وظيفة المشرف على الحريم هذا إلى عدم وجود ولد له يخلد اسمه ، ومن الجائز أنه كان خصياً ، وإن لم يكن لدينا سبب يقطع بصحة ذلك ، لأن المصريين القدامى لم يكونوا على ما يظهر يستعملون الخصيان فى منازلهم على الرغم من أن بعض الكتاب كان يعتقد أن عزيز مصر الذى اشترى يوسف كان خصيا كما ذكر الكاتب « توماس مان » فى روايته المشهورة (Joseph the Provider) وكذلك قد أشير إلى ذلك فى القرآن من طرف خفى عند ما قال العزيز لزوجه « أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » .

ولم تكن وظائف «حاروا» بالنسبة للملكة والحريم توجب على الإنسان أن يكون أعزب ، فنجد مثلا أن « شيشنق » الذى كان يحمل لقب المدير العظيم لبيت المتعبدة

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٨٢ الخ . . .

الإلهية كان ابن رجل يدعى « بدينيت » الذى كان بدوره يحمل نفس الوظيفة[1] ، وفضلا عن ذلك كان « وسرحات » الذى عاش فى عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » يحمل لقب المشرف على الحريم الملكى وكان له زوجة تدعى « مايا[2] » . والواقع أن عدم ذكر والد «حاروا» لا يعنى أى شئ قط وإن ذلك قد يكون أمراً شاذا وليس بالقاعدة فى الحالة التى نحن بصددها . أما موضوع وجود لحية له أو انعدامها فى تماثيله فى هذا العهد فكان يتوقف على ذوق الحفار ومزاجه . وأخيراً فإن ما فى تماثيل « حاروا » من خصائص جسمية غريبة قد ترجع فى أغلب الظن إلى تقدمه فى السن لا لأى سبب آخر ، وبخاصة إذا راعينا سجلاته الطويلة . وقبر « حاروا » فى طيبة الغربية (رقم ٣٧) وهو من أكبر المقابر فى هذه الجهة ، وقد كشف عن جزء منه وجدرانه غاية فى الجمال غير أنها أصبحت فى حالة يرثى لها من الخراب وتحتاج إلى درس طويل ليتمكن الإنسان من استخلاص شئ من نقوشه وبعضها على ما يظهر يشبه التى على تماثيله .

---

(١) راجع A.S., VI, p. 181

(٢) راجع A.S., IV, p. 178

المدير العظيم للبيت أخأمون رو

وغيره من المديرين العظام لبيت المتعبدة الإلهية فى هذا العهد

عثر لهذا العظيم على سبعة تماثيل نقش على اثنين منها اسم « امنردس » مع اسم « شبنوبت الثانية » التى كانت تحكم « طيبة » وقته ، وبالإضافة لذلك نجد أن « أخأمون رو » قد ذكر على الأقل معه اسم ملك من الملوك الذين عاصرهم وهو « تانوتآمون » ، يضاف إلى ذلك بعض آثار لها علاقة به نخص بالذكر منها بعض قطع عثر عليها فى الكرنك وقبره وتمثال أحد أجداده المسمى « باكنبتاح » وسنتحدث عنها بعد التحدث على تماثيله ، هذا ونعرف من المديرين العظام لبيت المتعبدة الإلهية الذين عاصروا « نيتوكريس » ثلاثة وهم «إبا» و « پابس » و « بادى حورنسو » وقد أصبح « إبا » المدير العظيم فى السنة السادسة والعشرين من حكم « بسمتيك » وفى هذا الوقت كانت « شبنوبت » قد ماتت ، غير أننا لا نعرف إذا كان تنصيبه يتفق مع تولى « نيتوكريس » الحكم أم لا ، ومن المحتمل أن « نيتوكريس » كانت فى الحكم فعلا منذ بضع سنين ، وفى هذه الحالة يكون لها مدير عظيم آخر لبيتها .

أما مدير البيت العظيم « پابس » فعلى أغلب الظن كان خلف « إبا » لأنه يكرر فى قبره الوظائف التى شغلها فى عهد كل من « نيتوكريس » و « بسمتيك » فى حين أن « شبنوبت » لم تظهر فى نقوشه إلا فى حالات النسب بوصفها أم « نيتوكريس » المتوفاه ، ولكن « إبا » من جهة أخرى كان فى خدمة « شبنوبت الثانية » قبل أن يكون موظفا فى بلاط « نيتوكريس » لأنه يذكر لنا أنه كان ممن شاهدوا أسرار يد الإله « شبنوبت » كما كان صاحب حظوة عند المتعبدة الإلهية «شبنوبت» المبرأة[1] .
وسنتحدث عن هؤلاء المديرين كل فى مكانه .

---

(١) راجع Scheil, La Tombe D'Aba

« باديحورنسو » : كان « باديحورنسو » ثالث ثلاثة المديرين العظام للبيت فى عهد « نيتوكريس »[١] ولدينا كذلك من عهد المتعبدة الإلهية «عنخنس نفر أب رع» مديران عظيمان لبيتها وهما « بادى نيت » ثم « شيشنق » وكان الأول والد الثانى . وعهد خدمة « شيشنق » طويل ، ولدينا له وثائق يعتمد عليها تدل على أنه قد تسلم مهام وظيفته فى عهد الملك « أبريز »[٢] وظل يمارس عمله حتى عهد الملك «بسمتيك الثالث»[٣] فنجد فى لوحة التبنى للمتعبدة «عنخنس نفرت إب رع» أنه قد مثل عليها هذه المتعبدة والملك « أبريز » و « شيشنق »[٤] وكذلك نجد فى منظر « بالكرنك » هذه المتعبدة الإلهية و « شيشنق » ممثلين[٥] ، أما والد « بادنيت » فلا نعلم عنه إلا القليل وقبره فى « طيبة » (Thebes No 197) وقد نسب هذا القبر كل من الأستاذ « جاردنر » والأثرى « ويجول » إلى عهد « بسمتيك الثانى »[٦] وهذا التاريخ خاطىء فى رأى « جرفث » إذ ينسب القبر إلى عهد « أحمس الثانى »[٧] ، هذا وقد أخطأ نفس «جرفث» فى قوله إنه لا توجد آثار من عهد المتعبدة الإلهية «عنخنس نفر أب رع» قبل عهد « أماسيس » (أحمس الثانى) إذ قد نسى أهم أثر فى عهدها وأعنى بذلك لوحة التبنى[٨] . ومنها نعلم أن هذه الأميرة قد أصبحت زوج الإله فى السنة الرابعة من عهد « أبريز » وأنه فى عهد هذا الملك أصبح « شيشنق » المدير العظيم لبيتها ، وعلى ذلك كانت المدة التى شغل فيها والده وظيفة المدير العظيم للبيت قصيرة ، ومن ذلك نفهم أن التاريخ الذى وضعه « جرفث » لمقبرة « بادى نيت » غير مقبول ، هذا ولا يفوتنا

(١) راجع Daressy, Stat. de Divinités Nr. 38372, Rec.des Cones Funeraires Mem. Miss. Fr. Arch. Tom. VIII N. 218

(٢) « حعع إب رع » و « أح أب رع » راجع L.R. III, p. 104

(٣) راجع A.S., V, p. 84

(٤) راجع L.D. III, p. 274 (o)

(٥) راجع A.S., VI, p. 131

(٦) راجع Gardiner and Weigall, Topographical Catalogue

(٧) راجع J.E.A. Vol. III p. 196

(٨) راجع A.S., V, p.84

أن نذكر هنا أن التأريخ الذى وضعه كل من « جاردنر » و « ويجول » لذلك أى عهد « بسمتيك » غير صحيح بالنسبة للدير العظيم للبيت « شيشنق » .

وعلى أية حال نعرف مواقع خمس مقابر من ثمان المقابر الخاصة بالمديرين العظام لبيت المتعبدات الإلهيات والقبر الذى لم يكشف عنه بعد هو قبر « بادى — حور — نسو » .

وتدل شواهد الأحوال على أن قبر «أخآمون رو» —وقد عرف حديثا— مخرب ، غير أن مالدينا من تماثيل له محفوظة تحمل نقوشا هامة تمكننا من أن نستعرض هنا حياته بشئ من التفصيل ، والواقع أن نقوشه تقدم لنا معلومات غاية فى الأهمية مما يضيف لنا معلومات كثيرة تنقصنا عن العهد الكوشى .

وسنحاول فيما يلى وصف تماثيله السبعة وقرنها بتماثيل « حاروا » من حيث الشكل والمتون :

(١) وجد « لاخأمون رو » تمثال فى مدينة « هابو » فى أثناء البعثة التى قام بها « هلشر »[1] وهو يمثله قاعداً القرفصاء فى صورة لفة وهو مصنوع من الجرانيت الرمادى وارتفاعه ثلاثون سنتيمتراً وهشم جزء كبير من جسمه .

وعلى الرغم من ذلك نشاهد فيه الخصائص التى تميز التماثيل التى صنعت فى هيئة لفة (بقجة) فى هذا العصر وما قبله بقليل وهى التى نشاهدها بوضوح على هيئة مكعب قد أغفل فيه نحت كل جزء من أجزاء الجسم فنجد مثلا أن الرقبة فى التمثال لا وجود لها وترتكز ذقنه مباشرة على جسمه المكعب وظهر التمثال وجانباه قد مثلت على صورة مربعات منحنية الحناء بسيطاً جداً . وقد مثل جزء من اليد اليمنى يكفى للدلالة على أن اليدين قد مثلتا بصورة حقيقية جداً فى حين أن الذراعين لم يمثلا قط .

---

(١) راجع Holscher, Oriental Instit. Nr. 14284 Pl. IX (Chicago)

(٢) والتمثال الثانى محفوظ بمتحف « شيكاغو » بأمريكا الشمالية[1] وهذا التمثال كسابقه على هيئة لفة وهو صغير الحجم ويبلغ ارتفاعه ثمانية وعشرين سنتيمتراً وجسمه مهشم كالسابق وهو يشبهه فى كثير من الوجوه وبخاصة فى الشعر المستعار والأذنين ، ونقش عليه كذلك طغراء « أمنردس » و « شبنوبت » كما فى التمثال السابق أما الوجه فقد أصلح بعد تهشيمه .

(٣) التمثال الثالث : موجود « بمتحف اللوفر »[2] . وقد مثل فى صورة لفة أو بقجة كذلك وصنع من الجرانيت الأسود المعرق ويبلغ ارتفاعه ٤٥ سنتيمترا . عثر عليه فى « طيبة » وأسلوب صناعته يختلف كثيرا عن تمثال « شيكاغو » إذ نلحظ فيه الرأس مرفوعا وبذلك أصبح كل من الرقبة والذقن ظاهراً من الشكل المكعب الذى صور فيه الجسم . هذا وتبرز الذراعان والقدمان من الكعب أيضاً ، هذا إلى تفاصيل فى شكل الظهر والجانبين ، والشعر المستعار مخطط ومسبل خلف الأذنين والوجه عريض تبدو عليه السمنة .

(٤) التمثال الرابع : موجود بمتحف « اللوفر »[3] وقد مثل واقفاً وهو مصنوع من الجرانيت الأسود وارتفاعه ستة وأربعون سنتيمتراً وشعره المستعار ناعم مرسل ويرتدى ثوباً طويلا ونقش على صدره العريان متن وكذلك على العمود الخلفى الذى يرتكز عليه التمثال وعلى ثلاثة من جوانبه نقوش .

والتمثال الخامس[4] : محفوظ بالمتحف المصرى وهو مصنوع من الجرانيت الرمادى وارتفاعه خمسون سنتيمتراً عثر عليه فى خبيئة « الكرنك » ويشبه وصفه تمثال

---

(١) راجع Chicago Natural History Museum Nr. 31717 Pl. X.

(٢) راجع Louvre A. 85

(٣) راجع Louvre, E. 13106

(٤) راجع Cairo Journal D'Entree, Nr. 37346 = Cachette Karnak No: 471

« حاروا » الذى تحدثنا عنه فياسبق[1] وقد مثل جالساً القرفصاء فى صورة غير منظمة حيث نجد الساق اليمنى قد مثلت محاذية الأرض فى حين أن الساق اليسرى قد مثلت واقفة .
ويلحظ أن « آخامون رو » كان أصلع مثل « حاروا » ويلبس قميصاً قصيراً يغطى ركبتيه ومغطى بالنقوش ودوّن على ذراعه اليسرى طغراء المتعبدة الإلهية « شبنو بت » وعلى ذراعه اليسرى طغراء الملك « تانوتآمون[2] » .

(٦) التمثال السادس[3] : موجود بالمتحف المصرى وهو ممثل فى هيئة لفة وقد صنع من الجرانيت الرمادى وعثر عليه فى خبيئة « الكرنك » ، وارتفاعه واحد وخمسون سنتيمتراً وهو يشبه تمثال « اللوفر » السالف الذكر[4] .

(٧) التمثال السابع : محفوظ كذلك بالمتحف المصرى[5] وهو ممثل كذلك على هيئة لفة مكعبة ومصنوع من الجرانيت الرمادى وارتفاعه خمسون سنتيمتراً عثر عليه فى خبيئة « الكرنك » ونقش على واجهته خمسة أسطر كما نقش على ظهره متنان .

ومجموعة التماثيل السبعة التى تتألف منها تماثيل « آخامون رو » تشبه مجموعة تماثيل « حاروا » وتماثيل « آخامون رو » تشبه كثيراً تماثيل « بتأمونوفيس » صاحب المقبرة الضخمة رقم ٣٨ فى مقابر « طيبة » والمعتقد أن حياة « بتآمونوفيس » هذا تقع فى السنين الأخيرة من عهد الأسرة الخامسة والعشرين والجزء المبكر من الأسرة السادسة والعشرين[6] . وقرن تماثيل هؤلاء الشخصيات الثلاث يفصح لنا عن معلومات هامة عن فن هذا العصر ، ويمكن القول هنا أن كلا منهم قد استعمل

---

(١) راجع Y. 37386
(٢) راجع A.S. VII, 190 ; Rec. Trav. XXVII, p. 80
(٣) راجع Caire Journal D'Entree, Nr. 39321
(٤) راجع Louvre A. 85
(٥) راجع Caire Journal D'Entree No. 37872
(٦) راجع A.S. Tom. XXXVII p. 219 and Anthes, A.Z. LXXIII, p. 25 ; A.Z. LXXIV, p.2

فى صنع تماثيله الأوضاع الثلاثة التى كانت شائعة فى هذا العهد على وجه عام وهى نحت التمثال على هيئة لفة أو على هيئة كاتب جالس القرفصاء بقميص قصير وبدون شعر مستعار ، وأخيراً رسم التمثال واقفاً بشعره المستعار التقليدى وثوبه الطويل . ويلحظ أن كلا من « حاروا » و « آخامون رو » قد مثل فى وضع الكاتب العادى بدلا من الوضع الجالس القرفصاء غير المنظم الذى كان شائعاً فى تلك الفترة .

ونجد فضلا عن الروابط الفنية فى أسلوب الصناعة التى نجدها بين تماثيل « حاروا » و « وآخامون رو » روابط أخرى من جهة استعارة المتون وتشابهها . فنجد مثلا فى التمثال رقم واحد أن المتن الذى نقش على الجزء الأمامى منه هو صورة مطابقة تماماً للنقوش التى دونت على الجزء الأمامى من تمثال « برلين » رقم ٧ ، على أن هذا المتن هو الوحيد الذى وجد فى نقوش كل من هذين المديرين العظيمين لبيت المتعبدة الإلهية ، وكذلك نجد أن المتن الذى على الجانب الأيمن لتمثال « آخامون رو » رقم واحد هو نفس النقش الذى على الجانب الأيسر لتمثال « حاروا » رقم ٧ وكذلك على التمثال رقم ٦

وهاك ترجمة النقوش التى دونت على تماثيل «أخامون رو» :

(١) التمثال رقم (١) :

على الكتف اليمنى : يد الإله « امنردس » .

على الكتف اليسرى : المتعبدة الإلهية « شبنوبت » .

على الجزء الأمامى : (مهشم ونقل من تمثال « حاروا ») يقول : يأيها الكهنة والكهنة آباء الآلهة ، والكهنة المطهرون وكل الذين يذهبون إلى معبد « آمون » بالكرنك ليقوموا بالشعائر الدينية وليقدموا قرباناً وليقوموا بالخدمة الشهرية إن الإله الفاخر سيجعلكم تبقون فى حظوته طالما تقولون : « قرباناً يقدمه الملك :

ألف من الخبز والجعة والفطائر والثيران والدجاج وأوانى المرمر والملابس والبخور والعطور وكل شئ طيب طاهر — ستقولون ذلك — بعد أن يكون الإله قد أخذ منه كفايته . لأجل سمير الملك « آخامون رو » ولأجل روحه لأنى شريف مجهز بكراماته و إنسان تعرف الأرضان فضائله وملجأ للنفس وعوامة نجاة للغريق وسلم لمن فى الهاوية » .

على الجانب الأيمن : (مهشم ونقل بعضه عن تمثال « حاروا ») : (١) سمير الملك الحقيق (٢) . . . يقول إنى أتحدث إليكم أنتم الذين ستأتون فى المستقبل بمثابة مخلوقات جديدة فى ملايين السنين ، إن سيدتى قد جعلتنى عظيما عندما كنت ولداً صغيراً ورفعت من درجتى عند ما كنت لا أزال طفلا ، وأرسلنى الملك فى بعوث وأنا شاب وميزنى « حور » رب القصر وكل بعث أرسلنى فيه أنجزته تماما » .

على الجانب الأيسر : النقوش هنا ليست موحدة مع نقوش « حاروا » ومهشمة وعلى أية حال لا تزال توجد بعض صيغ مشهورة وهى : « (١) . . . ليته يمنح المشاركة فى القربان الذى يوضع على مائدة السيد (٣) . . . اتباع (٤) . . . الأرواح المنعمة (٥) . . . الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد (٦) . . . والذى يدخل أولا ويخرج آخرا (٧) والموظف الذى على رأس الناس ، ورئيس خدم الجبانة (٨) للتعبدة الإلهية . والعظيم فى وظائفه والكبير فى درجته . . . » .

وعلى ظهر التمثال : « قربان يقدمه الملك « لآمون رع » المشرف على حريمه وعلى الآلهة الذين يسكنون فى . . . (٢) ألف من الخبز والجعة والفطائر والثيران والدجاج وأوانى المرمر والملابس والبخور والعطور وكل شئ جميل طاهر مما يعيش منه الإله . . . (٣) رئيس خدام الجبانة لزوج الإله « اخامون رو » بن . . . » .

(٢) التمثال الثانى :

على الكتف اليمنى : يد الإله « امنردس » .

على الكتف اليسرى : المتعبدة الإلهية « شبنوبت » العائشة .

على الجزء الأمامى من التمثال : (فقد الجزء الأول والأخير من النقوش ولم يبق إلا أجزاء ومن خمسة أسطر) : (١) ... ثيران ودجاج وأوان من المرمر وملابس ... (٢) ... حاكم ... (٣) ... لسيده (٤) ... المدير العظيم لبيت زوج الإله (٥) ... وضعته السيدة ... » .

ونقش على ظهر التمثال : (١) إله المدينة للأمير الوراثى والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى . . . (٢) الصديق المخلص الذى يحبه المدير العظيم لبيت زوج الإله . . . (٣) وقد وضع خلفه وأمامه » .

(٣) التمثال الثالث :

نقش فى الجزء المقدم من التمثال : « من فى حظوة يد الإله « امنردس » المرحومة والتشريفاتى وسمير الملك « اخآمون رو » ذو الشرف يقول : يأيها الأحياء الذين على الأرض والكهنة المطهرون العظام والكهنة خدام الإله وكل إنسان يمر على إنكم ستبقون على الأرض وستعطون وظائفكم أولادكم إذا قلتم : قربانا يقدمه الملك ، ألفا من الخبز والجعة والثيران والأوز وكل شئ جميل طاهر حلو مما يعيش عليه الإله لروح التشريفاتى زوج الإله « شبنوبت » العائشة « اخآمون رو » ، وان نفس الحياة مفيد للروح المنعمة ولن يصبح الإنسان متعباً به والإنسان شفيق القلب يكون الإله شفيقاً عليه وأن الذى يفعل الخير يفعل له الخير والعمل الصالح أثر باق » .

على ظهر التمثال : قربان يقدمه الملك « لآمون رع » رب « الكرنك » لأجل أن يمنح ألفاً من الخبز والجعة والثيران والدجاج وأوانى المرمر والملابس

والبخور والعطور وألفاً من كل شئ طيب طاهر لروح المبجل وصاحب الملك وتشريفاتى زوج الإله « آخامون رو » المبرأ الذى أنجبته « مرسى خنسو » المرحومة » .

(٤) التمثال الرابع :

النقش الذى على قميصه : « من فى حظوة «خنسو » فى «طيبة نفرحتب» المدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية وصديق الملك « آخامون رو » .

النقش الذى على عمود ظهر التمثال من اليمين : « قربان يقدمه الملك « لآمون » رب السماء ليتك تمنح المشاركة فى القربان اليومى على مائدتك للمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية وليت الشمس تضئ على وجهه « آخامون رو » المبرأ » .

على العمود من الجهة اليسرى : « قربان يقدمه الملك « لمنتو » رب « طيبة » ليتك تمنح شم رائحة المر لمدير القصر للمتعبدة الإلهية « اخنآمون رو » المبرأ بن كاهن « آمون » فى « الكرنك » « بانب إرى » المبرأ » .

على ظهر العمود : « قربان يقدمه الملك للاله «خنسو » فى «طيبة نفرحتب» لأجل أن يعمل له كل قربان المأكولات اللازمة فى كل عيد أى لأجل روح مدير القصر للتعبدة الإلهية « آخامون رو » .

« قربان يقدمه الملك للاله « خنسو وتحى » (لقب للاله « خنسو ») لأجل أن يمنح الخروج من القبر ورؤية الشمس عند الفجر للأمير الوراثى والحاكم والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية « آخامون رو » .

« قربان يقدمه الملك «لخنسو با — أر — سخر نفر» (منجز مشروعه الطيب = لقب للاله « خنسو » (١)) ليخترق السماء فى سلام : سمير الملك « آخامون رو » بن كاهن « آمون » « بالكرنك » « بانب إرى » .

(١) راجع عن هذا اللقب B.I.F.A.O., XXXIV, p. 75

(٥) التمثال الخامس[1] :

إن أهم ما يلفت النظر فى متون هذا التمثال هو وضع اسم الزوجة الإلهية « شبنوبت » واسم الملك « تانوتآمون » جنباً لجنب على الجزء الأعلى من ذراعى التمثال . والنقوش التى على قميص التمثال تمدد لنا ألقاب «آخآمون رو » وترجو من الأحياء أن يقرءوا صيغة القربان عند المرور على قبره وهذا الرجاء موجه لطبقات الكهنة المختلفين الذين يقومون بأحفال القربان فى معبد « آمون » . كما جاء على تمثال « حاروا » والتماثيل الأخرى « لآخآمون رو » نفسه . أما المتنان اللذان على عمود التمثال فتكررت ألقابه فيهما وقد أضيف للألقاب التى ذكرت على مقدمة التمثال لقب السمير الحقيق للملك ، كما أضيف اسم والده « بانب إرى » على مقدمة التمثال وظهره .

التمثال السادس[2] : تحتوى متون هذا التمثال على اسم «آخآمون رو » وألقابه ومناقبه المعروفة وكذلك على اسم والده ووظيفته .

هاك النقوش التى عليه :

نقش على مقدمته أربعة أسطر جاء فيها : المقرب من آمون سيد السماء ، الشريف والأمير وحامل خاتم الملك والسمير الوحيد والعزيز ، ورئيس خدم المتعبدة الإلهية « آخآمون رو » المرحوم ابن كاهن آمون فى الكرنك « بكيرى » .

ونقش على العمود الذى خلف التمثال ما يأتى :

المقرب لدى الملك ، الشريف والأمير الذى يعمل ما يحبه سيده خلال كل يوم والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية « آخآمون رو » المرحوم ابن كاهن آمون فى الكرنك « بكيرى » .

---

(١) راجع Caire J. 37346

(٢) راجع Caire, No., 37321

(٧) التمثال السابع[1] : نقش على مقدمة هذا التمثال صلوات «لآمون رع» ليمنح القربات التى تخرج على مائدة الإله فى أيام الأعياد للمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية والمدير لكل الوظائف المقدسة ورئيس خدام الجبانة للمتعبدة الآلهية المسمى « أخآمون رو » المبرأ . وقائمة الألقاب التى على ظهر التمثال تنتهى باسم والده وليس فيها من جديد .

هذا ولم نجد لقب «المدير لكل الوظائف المقدسة» الذى كان يحمله « أخآمون رو » على هذا التمثال فى تماثيله الأخرى ، وهذا اللقب كان يحمله كذلك « حاروا » سابقه على تمثاله رقم ٣

وهاك ترجمة النقوش التى على هذا التمثال :

على مقدمة التمثال نقش خمسة أسطر جاء فيها : قربان لآمون رع سيد تيجان الأرضين ، ليته يعطى كل ما يخرج على مائدة القربان الخاصة بسيد الأبدية فى عيد الشهر وعيد نصف الشهر وعيد « واج » وعيد « تحوت » وفى كل عيد لكل يوم للمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية ، والمدير لكل وظيفة إلهية ، ورئيس خدم المتعبدة الإلهية « أخآمون رو » .

ونقش على العمود الذى خلف التمثال سطران جاء فيهما : « المقرب من آمون سيد السماء ، الشريف والأمير والسمير الوحيد ، والعزيز ، والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية والمعروف لدى الملك « أخآمون رو » ابن كاهن آمون « بكيرى » .

(٨) حوض من الجرانيت[2] : كتب اسم « أخآمون رو » كذلك على حوض من الجرانيت الوردى محفوظ بمتحف القاهرة ، عثر عليه فى عام ١٨٩٧ م . فى مدينة «هابو» . وقد زينت إحدى واجهتيه الكبيرتين بطغراءين كبيرتين تعلوهما علامة

---

(١) راجع Caire JE., Nr. 37872

(٢) راجع Caire J.E.,31885

السماء ، وكذلك زينت واجهتاه الضيقتان بمناظر ونقوش محفورة حفراً غائراً ، هذا إلى أن الجزء الأعلى حوالى هذا الحوض قد حلى بالنقوش .

والطغراء التى على اليمين باسم « أوزير » رب الحياة والذى يشرف على الغرب ، والطغراء التى على اليسار لأوزير الذى يسكن فى « يات جمى » (أى مدينة هابو) . ويوجد أمام كل طغراء من الطغراءين مائدة قربان خفيفة وإناءين للطهور يندفع منهما ماء يتلقاه فى كفيه شخص راكع .

وقد نقش فوق الشخص الذى على اليمين العبارة التالية : « مدير البيت العظيم للمتعبدة الإلهية « أخآمون رو » ابن كاهن آمون فى الكرنك « بكيرى » » .

وفوق الشخص الذى على اليسار : « الشريف ، الأمير والسمير الوحيد والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية ، والمعروفة حقيقته لدى الملك ، حبيبها « آخآمون رو » .

وكتب على الجهـــة الصغيرة من اليمين من جهة واجهة الحوض الكبيرة ما يأتى : « عبادة سيدته ، الكاهن العظيم للمتعبدة الإلهية ، المعروفة للملك حقيقة « آخآمون رو » (ابن) كاهن آمون « بكيرى » » .

وعلى اليمين نقش : المتعبدة الإلهية أو الزوجة الإلهية سيدة الأرضين « شبنوبت » المحبوبة من الآلهة الذين فى الجبانة .

وعلى الجهة اليسرى من الوجه الكبير نقش مهشم يشبه السابق ، ثم يأتى بعد التهشيم : « المتعبدة الإلهية سيدة الأرضين « أمنردس » محبوبة « أوزير » الذى يشرف على الغرب سيد العرابة » .

وحول الحوض نقش مهشم جاء فيه ذكر المتوفى وألقابه ويدل النقش على أنه تقليد لمتون الأهرام ومتون توابيت الدولة الوسطى مما يشير إلى بداية عصر النهضة التى ازدهرت فى خلال الأسرة السادسة والعشرين .

(٩) ووجد اسم هذا المدير العظيم كذلك على قطع حجر مستعملة ثانية فى أسس الردهة الأمامية لمعبد الكرنك « لآمون رع — منتو » بالكرنك الشمالى ، وهذه الأحجار كانت فى الأصل من مقصورة منذورة للاله « أوزير بادد عنخ » (أوزير سيد الأبدية) من المتعبدة الإلهية « شبنوبت الثانية » و « أمنردس الصغيرة (ابنة تهرقا) وعلى هذه القطع تقرأ ألقاب « آخآمون رو » واسم والده « بكرى » [1] .

(١٠) مقبرة « آخآمون رو » : ظلت مقبرة هذا المدير العظيم مجهولة إلى أن تعرف عليها الأثريان « باجيه » و « لكلان » فى جبانة العساسيف وتقع مباشرة فى الشمال الشرقى من مقبرة « حاروا » السالف الذكر (رقم ٣٧) ، وقد وجد بين النقوش التى فى هذه المقبرة اسم صاحبها وألقابه [2] ، ومن بينها لقب « مدير كل وظيفة إلهية للتعبدة الإلهية » و « مدير القصر للتعبدة الالهية » .

(١١) تمثال جد « آخآمون رو » المسمى « باكنبتاح [3] » :

وقد عثر عليه فى خبيئة الكرنك وطوله ٠٫٣٦ مترا وهو من الجرانيت الرمادى المبرقش ونقوشه ممحوة بعض الشئ .

وقد مثل « باكنبتاح » جد «آخآمون رو » قاعداً على كرسي ظهره منخفض جداً . وقد مثل فى الصورة الشعائرية التى يمثل بها « أوزير » وهى الهيئة التى مثل بها كثير من تماثيل هذا العصر ونخص بالذكر منها تمثال « منتوحات » المحفوظ بمتحف برلين ، وكل هذه التماثيل من طراز الدولة الوسطى كما أشار بذلك الأثرى «أفرى» .

والنقوش التى على هذا التمثال هى : (على مقدمة القميص) : قربان لآمون رع رب عرشى الأرضين ليمنح قربانا من خبز وجعة وحيوانات وطيور لروح كاهن آمون ، رئيس كتبة الحريم » . وعلى قدمى التمثال من الجهة اليمنى جاء : « انه والده كاهن

---

(١) راجع J.N.E.S., Vol. XIII, July, 1945, p. 159 *ff*

(٢) راجع Ibid, p. 161

(٣) راجع Ibid, p. 162 ; J.E. de Caire, 37866

آمون فى الكرنك ، رئيس كتبة الحريم ، كاهن « ماعت » ابنة « رع » (المسمى) « بكيرى » وهو الذى عمله له (أى التمثال) لأجل أن يحيي اسمه فى المدينة » .
وعلى الجهة اليسرى : « إنه ابنه البكر من ظهره ، الذى يحبه صاحب كل متاعه ، كاهن « آمون » ورئيس كتبة الحريم ، كاهن ماعت ابنه رع ، « بكيرى » والذى أعجب السيدة « أرب باسانت أرو » لقد عمله لأجل أن يحيي اسمه » .

وعلى عمود ظهر التمثال جاء : يا إله المدينة المحلى لكاهن آمون رع ، رئيس كتبة الحريم ، وكاهن ماعت ابنه رع ، « باكنبتاح » المرحوم ابن كاهن آمون ، رئيس كتبة الحريم « عنخ باخرد » ليته يوضع خلفه فى حين أن روحه تكون أمامه ، إنه تابع لمدينة « عين شمس » .

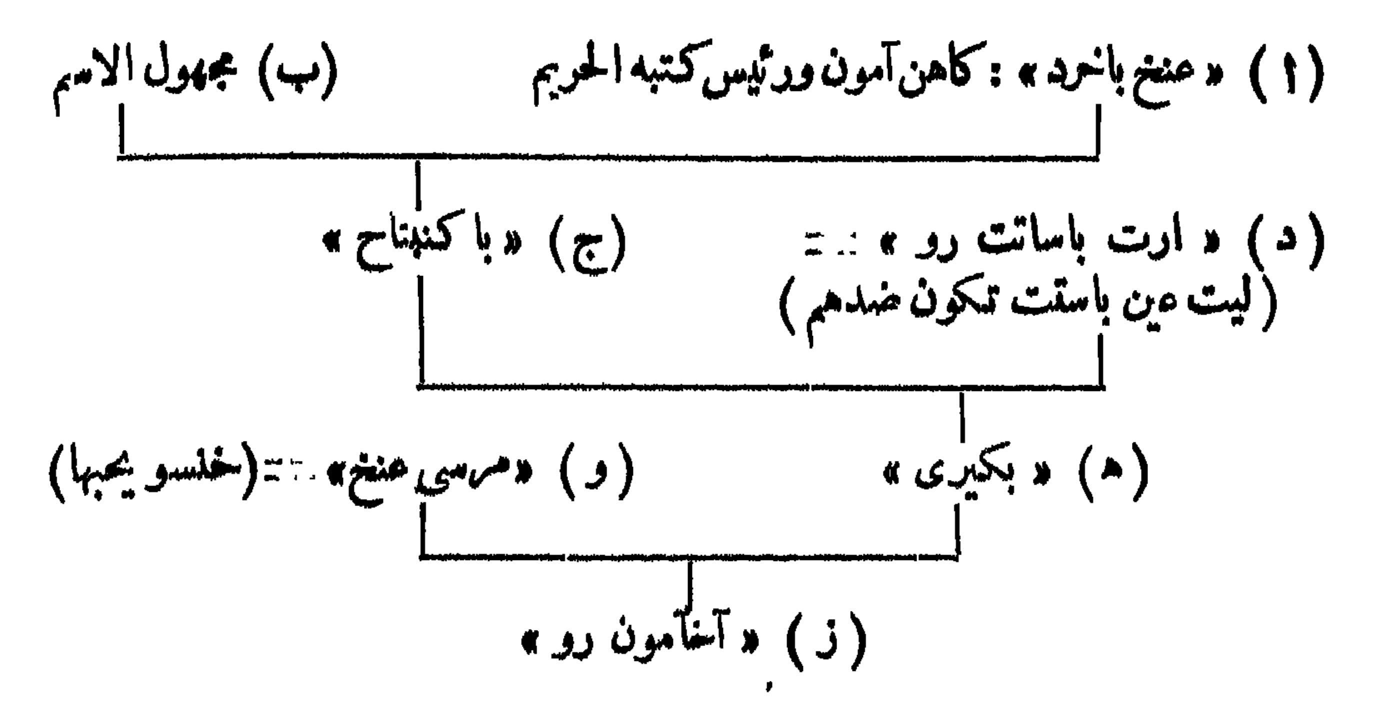
ونقش حول قاعدة التمثال ما يأتى من جهة اليسار : « قربان يقدم لمنتو سيد « طيبة » ، ليته يعطى كل شئ كامل ونق وممتع ، وأن تكون له قربات كل يوم وأن يخرج عند سماع الصوت (أى المتوفى) عند ما ينادى لروح كاهن آمون « باكنبتاح » المرحوم » .

وعلى الجهة اليمنى : « قربان يقدم لآمون سيد عروش الأرضين ، ليته يعمل حتى يتسلم الخبز «سنو» فى القاعة العظمى للاله « جب » فى حضرة أرباب عين شمس لأجل روح كاهن آمون رئيس كتبة الحريم ، وكاهن ماعت ابنة رع ، « باكنبتاح» المرحوم » .

وتدل شواهد الأحوال على أن « بكيرى » الذى ذكر على تمثال « باكنبتاح » هو والد « آخامون رو » الذى ذكر على آثار هذا الأخير ، وعلى ذلك فإن قراءة هذا الاسم « يانب أرى » كما جاء فى بعض البحوث خاطئة [1] . ويمكن الآن وضع سلسلة نسب « أخامون رو » كما يأتى :

---

(١) راجع J.N.E.S , Ibid, p. 165



والظاهر أنه لا يمكن أن ينسب «بكيرى» إلى أصل كوشى وذلك لأن أجداده من حيث الأسماء مصريون، وعلى حسب هذه القائمة يمكن أن نجعل «عنخ بانرد» معاصراً لأسرة «شيشنق» الطيبية. ولابد أنه كان قد عاش فى بداية عهد المتعبدة الإلهية «شبنوبت» الأولى، وكان هو نفسه، وكذلك أخلافه، يعدون من بين الطيبيين القدامى الذين كانوا يناصرون الفاتحين الكوشيين[2]. وقد كان فى مقدورهم أن يتوارثوا من الأب للابن لقبى كاهن «آمون» ورئيس كتبة الحريم لمدة ثلاثة أجيال، وفى الجيل الأخير صار أحد أفراد هذه الأسرة أعظم موظف فى خدمة المتعبدة الإلهية الكوشية. والواقع أن «أخنامون رو» (وليت ءين آمون تكون ضدهم) يقدم لنا باسمه شاهداً على تعبده للإله الطيبى، وهو يحمل سلسلة من الألقاب الحقيقية وألقاب الشرف ونعوت المدح التى تبرزه بأنه من أعظم الشخصيات فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين بوصفه خلف «حاروا» السالف الذكر. وألقابه: الشريف والحاكم، ومدير خزانة الملك، والسمير الوحيد، والمحبوب وكذلك المعروف للملك حقاً ومحبوبه، التى نجدها مكررة كلها أو بعضها على تماثيله هى من الألقاب والنعوت التى يرجع عهدها إلى الدولة القديمة. ولما كانت هذه الألقاب والنعوت مستعملة فى نقوش «حاروا» فلابد أنها كانت تقليدية فى الألقاب الساوية.

(١) راجع S. Sauneron et J. Yoyotte, B.I.F.A O.L. (1952), p. 201 note 4-6.

واللقب الرئيسى والمميز « لأخآمون رو » هو المدير العظيم للتعبدة الإلهية أو زوج الإله . هذا ويدل لقبه « المدير العظيم للتعبدة الإلهية لأملاك « آمون » على أن هذه الأميرة أى المتعبدة الإلهية كان لها ارتباط بإدارة أملاك هذا الإله . وهذه الوظيفة الهامة يظهر أنها كانت تشمل وظيفة « رئيس خدم المتعبدة الإلهية » وهى وظيفة كان يحملها كذلك « حاروا » . أما لقب « تشريفاتى الزوجة الإلهية » وهو لقب على ما يظهر ثانوى بالنسبة له فلم يوجد إلا على تمثال واحد وربما كان قد صنعه فى أول حياته ، ومع ذلك فإننا نجده على غرار سلفه « حاروا » قد لقب « رئيس التشريفاتية » .

وفضلا عن ذلك نجد أن « أخآمون رو » حمل نعوتا يظهر أنها شرح لألقابه لا ألقابا بالمعنى الحقيق ، مثال ذلك أنه كان يلقب « مدير كل الوظائف الإلهية للتعبدة الإلهية » وهذا اللقب كان يحمله سلفه « حاروا » . وهذا اللقب يوجد أيضا فى مقابر بعض الشخصيات الطيبية مع بعض التغيير فكان مثلا يحمله « منتو محات » « وأبا » وكذلك كان يلقب « أخآمون رو » مدير قصر المتعبدة الإلهية .

ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى ماذكره « آخآمون رو » من وصفه لنفسه من التقرب للآلهة ، فقد كان مقربا من آلهة طيبة وبخاصة آمون صاحب الكرنك ومن الإله « خنسو » فى طيبه ، وكذلك كان مقربا من الملك ، وأخيراً من يد الإله « امنردس » المرحومة . وكان بوصفه وزيراً للتعبدة الإلهية « شبنوبت » يظهر بطبيعة الحال ولاءه لذكرى أم سيدته وهى التى كانت ، كما تدل شواهد الأحوال ، مشتركة معها فى الحكم سابقا .

وكما تؤكد الوثائق السالفة نعرف أن « آخآمون رو » كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالملك « تانوتآمون » كما نعرف أنه واحد من المعاصرين للجزء الثانى من عهد حكم المتعبدة الإلهية « شبنوبت » ابنة الملك « بيعنخى » . هذا ونجد على بعض التماثيل أن « امنردس » المتوفاة و « شبنوبت » العائشة مذكورتان معا (٢ و ٣)

وإذا كنا نجد أن « آخامون رو » قد اكتفى بذكر « شبنوبت » على بعض آثاره الأخرى (مثل التمثال رقم واحد والحوض) دون أن يحدد إذا كانت على قيد الحياة أو ميتة فإن ذلك يرجع إلى أننا وجدنا اسمه على المبنى الذى فى الكرنك الشمالى ، ويفهم من النقش الذى وجد فيه أنه كان مصاحبا « شبنوبت » التى كانت مشتركة معها وقتئذ « امنردس » بنت الملك « تهرقا » .

وهكذا نجد أنه فى حين كان « حاروا » المدير العظيم للبيت لأمنردس الأولى ابنة « كشتا » و « شبنوبت » ابنة الملك « بيعنخى » فإن « أخامون رو » كان بدوره المدير العظيم للأخيرة التى كانت تشاركها « امنردس الثانية » ابنة « تهرقا » ؛ ونحن نعلم من جهة أخرى أن « حاروا » قد عاش بعد وفاة « امنردس الأولى » وذلك لأنه كان كاهنا لأمنردس المتوفاة فى بيت روحها ورئيس كهنة الروح ، وبهذه الصفة اعتنى بالمقصورة الجنازية الخاصة بهذه الأميرة فى مدينة هابو ، وذلك بعد أن سهر على تجهيز دفنها بوصفه الكاهن المحنط لأنوبيس للزوجة الإلهية .

ونفهم على أية حال أن الوظائف التى كان يحملها « أخامون رو » قد وصل إليها بعد « امنردس الأولى » .

والواقع أن مجموع هذه الدلائل توحى إلينا بأن نضع زمن ذروة مجد « أخامون رو » حوالى عام ٦٦٣ ق . م . وفى هذا العهد كان مشتركا فى بناء السياسة الثقافية والجنازية للتعبدات الإلهيات فى كل من الكرنك ومدينة هابو ، ومن ثم نراه قائما بوظائفه كما نشاهد ذلك على جدران مقصورة « أوزير بادد عنخ » وهو على ما يظهر كان ضمن كهنتها كما كانت الحالة مع سلفه « حاروا » ، وذلك مع الفارق أن « آخامون رو » فى الحالة الراهنة بالنسبة للوثائق التى فى متناولنا على الأقل لم يكن يتمتع بأى لقب جنازى . وكل ما نعلمه أنه كان يعرف بأنه المقرب من « أمنردس الأولى » . وإذا كان الحوض الذى ينسب إليه يبرهن على نشاطه الجنازى فى مدينة « هابو »

فإنه على الرغم من ذلك يجوز لنا أن نظن أنه لم يكن لديه الميزة بأن يبقى فى وظيفته حتى موت « شبنوبت » .

على أن قبره الذى أهمل أو بعبارة أصح الذى لم يكن قد تم عند وفاته يمكن — بما فيه من دلائل نقص — أن يضئ لنا السبيل عن نهاية مجال حياته . فقد يجوز أنه فى آخر حياته قد غضب عليه ! ! ولا يمكننا بما لدينا من معلومات حتى الآن أن نحدد بالضبط التاريخ أو الأحوال التى تسلم فيها خلفه وظيفته، هذا إذا فرضنا أنه كان هناك فرد بعينه قد خلعه وهو لا يزال على قيد الحياة . ويجب ألا يغرب عن بالنا أنه فى وقت الانتقال الذى يقع بين غزوة الأشوريين التى قاموا بها على « تانوتآمون » الكوشى حوالى عام ٦٦٣ ق . م . وبين استيلاء « بسمتيك » الساوى على إمارة طيبة حوالى عام ٦٥٦ ق . م . كانت السلطة فى صعيد مصر لا تزال باقية فى يد « منتومحات » الكاهن الرابع لآمون وأمير المدينة . وقد يكون من الممكن أنه فى عام ٦٥٦ ق . م . قد تراجع « آخآمون رو » مع « تانوتآمون » بوصفه أحد موظفيه إلى بلاد كوش . أو لم يكن قد سار بحماس كاف فى ركاب « منتومحات » الذى انضم إلى الأسرة الجديدة وصار من مناصريها .

ومما لا جدال فيه أنه عندما حضر « سماتو تفنخت » مبعوث الملك « بسمتيك الأول » لينصب المتعبدة الإلهية الجديدة « نيتوكريس » متعبدة إلهية، وعندما قام « منتومحات » وزوده بالتبرعات لتعيين هذه الزوجة الإلهية الجديدة، لم تدل شواهد الأحوال على وجود مدير بيت عظيم فى طيبة . وعلى أية حال فإن المصادر الحالية التى فى متناولنا يظهر أنها تكشف عن أخلاف « لآخآمون رو » من بين الأشراف الطيبيين .

تعليق على محتويات نقوش هذه التماثيل وأشكالها :

إن أهمية نقوش تماثيل « آخآمون رو » لا تبرز قيمتها الحقيقية وأهميتها إلا عند ما تقرن بنقوش حياة كبار رجال هذا العصر الذين من هذا الصنف .

ونلتظر بطبيعة الحال أن تكون نقوش تراجم رجال العصر المتأخر قد وضعت على طراز مقرر من قبل ، ولكن ما هى هذه الطرز السابقة ؟ ولأجل أن نصل إلى ذلك يجب علينا أن نفحص الجمل الرئيسية التى جاءت فى المتون التى ترجمناها هنا .

فأول ما يلاحظ هنا الجمل التى يوجهها المتوفى سواء أكان « حاروا » أم « آخامون رو » ملتجئا إلى الأحياء لتقديم القربان والصلوات له ولروحه وبخاصة للكهنة خدام الإله والكهنة آباء الإله والكهنة المطهرين والكهنة المرتلين وكل الذين يذهبون إلى معبد « آمون » فى الكرنك لتأدية الشعائر الصالحة ولتقديم قربان والقيام بأداء خدمة الكاهن الشهرية . وهذه الصورة من التضرع والالتجاء — أى مخاطبة موظفى المعبد — قد تطورت فى عهد الدولة الحديثة عندما أصبح من المعتاد عند كبار الموظفين أن يضعوا تماثيلهم ولوحاتهم فى المعابد حتى يمكن بذلك اشتراكهم فى الأحفال .

والواقع أن عادة وضع التماثيل الخاصة بكبار الموظفين ورجال الدين فى المعبد قد بدأت بوصفها ميزة يمنحها الملك خادما أمينا يريد أن يكافئه ويظهر حبه له أمام الآلهة . والظاهر أن أقدم متن مدون من هذا النوع يشير إلى ذلك وهو المرسوم الملكى الذى أصدره الفرعون لحماية تماثيل الوزير « إدو »(1) . وتدل نقوش الدولة الوسطى على أن حكام المقاطعات العظام كانوا يقومون بمثل هذا العمل لأنفسهم(2) وكذلك نجد على قطع من تمثال من عصر الفترة الأخيرة من عهد الدولة الوسطى أنهم يتحدثون عن ذلك ويعدونه ميزة منحهم إياها سيدهم(3) . وكان حق الملك لا يزال بارزا فى ذلك فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة(4) ولكن بعد ذلك سارت هذه العادة دون الإشارة إلى الإرادة الملكية .

(١) راجع Urk. I, 304-306, First Intermediate Period.

(٢) راجع Griffith, Siut Pl. VI, 273 and Pl. VII, 290 (Hepdjefy), Newberry Beni Hassan I, Pl. XXV, 83-84 = Urk. VII, 29,18 Khnumhotep II,

(٣) راجع Mariette, Karnak Pl. VII: f,p,q,r,s,, of Maspero, Etudes de Mythologie, I,53-61.

(٤) راجع Urk. IV, 45-46

وقبل ذلك العهد كان أمثال هذا التضرع ينقش على جدران المقابر واللوحات التذكارية وكان فى استطاعة المار بها رؤيتها وقراءتها وكان التضرع على الرغم من أنه كان موجها فى غالب الأحيان لطبقات معينة من الناس مثل الكتبة والكهنة فإنه كان فى الأصل موجها لكل الناس الذين يعيشون على الأرض عامة . ويلاحظ أنه فى عهد الدولة الحديثة وعهد الدولة البوبسطية من بعدها كان المتوفى يوجه خطابه بالتفصيل لطوائف الكهنة الذين يتألف منهم موظفو المعبد ، وهذا النوع من التضرع هو الذى نجده فى نقوش تماثيل كل من « حاروا » و« آخآمون رو » . وعلى أية حال نلحظ أن التفصيل فى توجيه الخطاب للكهنة وبخاصة الإشارة إلى واجباتهم المنوعة يظهر أنه كان من الأشياء المستجدة فى هذا العصر المتأخر وبخاصة العبارة التالية : « لتأدية الشعائر الصالحة ولعمل القربان والإقامة خدمة الكاهن الشهرية ، وهذه الأمور يظهر أنها تجديد حدث فى العصر المتأخر ، وبالاختصار نجد أن التضرع للاحياء الذى كان ينادى به كل من « حاروا » و « آخآمون رو » هو من طراز وضع أساسه فى الدولة الحديثة ثم تطور بعدها .

هذا ونجد فى نقوش «آختآمون رو » صلوات للاله «آمون رع» رب «الكرنك» ولآلهة « طيبة » الآخرين ليمنحوا المتوفى نصيباً من قربات المعبد التى تقدم لهم . والصيغة التى كانت موضوعة لذلك هى فى الواقع صيغة قديمة تطورت فى عهد الدولة الحديثة والقصد منها أنها تذكرنا بالغرض الذى من أجله وضع تمثال الكاهن أو الموظف العظيم فى المعبد . هذا ونجد « لآخآمون رو » ملتمسات أخرى فيطلب مثلا شم عبير المر ، وكذلك يطلب أن يرى الشمس عند الفجر ، وأن يخترق السماء فى سلام ، وهذه رغبات تقليدية قد سبقت عصر الدولة الحديثة ، أما الصلاة للاله المحلى للمدينة فكان الغرض منها طلب حمايته للأهلين منذ الدولة الحديثة كما كانت منتشرة جداً فى العصور المتأخرة .

ومن ثم نفهم أن صلوات « آخآمون رو » كانت تحتوى جزئياً على عناصر

شائعة في كل العصور ومنها جزء صيغ في عهد الدولة الحديثة ثم استعمل بكثرة في العهد المتأخر .

العبارات التي يمدح بها الموظف نفسه ونعوته :

من الأمور التي امتاز بها الموظف المصرى في كل عصور تاريخه تأليفه جملا خاصة تنطوى كل ألفاظها على عقود مدح وثناء على نفسه وما قام به من أعمال عظيمة سواء أكانت أعمالا مادية أم خلقية ، فنجد هنا مثلا أن « آخامون رو » يقول « إنى شريف (سعح) طيب محلى بمدائحه ومراتب شرفه » ، ويلفت النظر هنا أن الكلمة الدالة على لفظة « الشريف » لها معنى مزدوج فقد تعنى أحد أشراف البلاط أو تعنى « روحا منعمة » وهذان المعنيان نجدهما في عهد الدولة الوسطى ولكنهما يوجدان أكثر في عهد الدولة الحديثة ثم تطورتا أكثر في العهد المتأخر .

وقد يشير هذا اللفظ للحياة الدنيا أو للحياة الآخرة . ولدينا كذلك التعبيرات : « الذى يدخل أولا ويخرج آخراً » و « الموظف الذى على رأس قومه » ، و « العظيم في وظائفه » و « الكبير في مرتبته » فنجد كلا من هذه العبارات الثلاث في المتون والتراجم الخاصة بالدولة الوسطى وكلها قد استعملت في الدولة الحديثة والعصر المتأخر .

ولدينا تعابير أخرى مثل « ملجأ اليائس » و « عوامة الغريق » و « سلم من في الهاوية » . وهذه التعابير نجدها في نقوش كل من « حاروا » و « آخامون رو » ويلحظ أنها استعارات غير عادية تسترعى الأنظار حتى أنها تكاد تكون خاصة بهذا العصر إذ لم يسبق لها مثيل في العصور السالفة غير أنها تنم عما كان عليه أهل هذا العهد من بؤس وشقاء .

هذا وقد نقل « آخامون رو » بعض تعابير تقليدية عن الدولة الوسطى مثال ذلك : « إن سيدتى قد جعلتنى عظيما عندما كنت ولداً صغيراً ورفعت درجتى

عندما كنت فطيما » وهذه عبارات تقليدية نجد أمثالها فى نقوش الكاتب الملكى « خنوحتب » فى نقوش « بنى حسن » وفى نقوش « تف إبى » « بأسيوط »[1] .

ومن التعابير التى نقلت إلى العهد الذى نحن بصدده أن « حورسيد القصرميزنى » وهذه العبارة لها نظائر فى الدولة الوسطى[1] والمقصود بكلمة « حور » هنا الملك .

وكذلك نجد التعبير « وكل بعث أرسلنى فيه جلالته قد نفذته تماما » . وقد كان من أحب الأمور عند الموظفين العظام أن يوصفوا بأنهم قد نفذوا كل بعث أرسلهم فيه الملك[2] .

وهذا قليل من كثير من الملحوظات التى يمكن الإدلاء بها عن محتويات هذه المتون والتماثيل التى نقشت عليها ، غير أن كل هذا لا يغير من النتيجة التى نستخلصها من درس الجمل الرئيسية التى وردت فى هذه النقوش إذ الواقع أن متون « آخامون رو » تحتوى على مادة تقليدية من التى كانت تستعمل فى عهد الدولة الوسطى والدولة الحديثة ونجد كثيراً منها قد أخذ شكله النهائى فى عهد الدولة الحديثة ؛ ومن ثم نفهم أن وظيفة الدولة الحديثة كانت مزدوجة فقد حملت للقرون التالية مادة أخذتها من الدولة الوسطى وكذلك نقلت صيغا من صنعها ، وقد كان نشاط كتاب العصور المتأخرة ينحصر كثيراً فى الاختيار من هذه المواد واستعمالها بطريقة منظمة ملائمة . هذا مع إضافة بعض العبارات الجديدة أو صيغ مبتدعة ألفت من القديم والحديث معاً .

غير أن ما تكشفت لنا عنه متون « آخامون رو » يمكن معرفة أصولها عند قرنها بأية مجموعة من المجاميع التى يمكن قرنها بها من النقوش الهيروغليفية المتأخرة . والواقع أن هذه المتون فى حقيقتها — إذا استثنينا بعض مقتبسات من متون الأهرام

---

(١) راجع Newberry, BeniHassan, I, Pl. XLI, e (Tomb 13); Griffith, Siut Pl. XI, 13; Br., A.R., I, p. 395 note

(٢) راجع Hierog. Insc. Berlin I, 146 No. 8808 ; Urk. VII, 62 Siut.

(٣) راجع Urk. I,134

وبعض مصطلحات قديمة أخرى — لا تخرج عن كونها تقليداً للغة الدولة الوسطى والدولة الحديثة وقد ظهر ذلك منذ الأسرة الواحدة والعشرين حتى السادسة والعشرين وبعبارة أخرى نجد أنه عندما كانت تستعمل متون الأهرام فى هذا العصر كانت تنقل حرفياً دون أى تغيير يذكر ، ولكن نجد من جهة أخرى أن كلا من متون الدولتين الوسطى والحديثة كانت تقتبس مع بعض تعديل ثم تستعمل فى كتابات القوم . ومما يجدر ملاحظته أن المصادر اللغوية من الدولة الحديثة هى فى الواقع مأخوذة عن تعابير الدولة الوسطى بعد تحوير فيها وبخاصة فى تراجم عظماء الرجال الذين نقشت على تماثيلهم وفى مقابرهم فى كل من العهد اللوبى والعهد الكوشى ثم فى العهد الساوى . وقد كانت اللغة الفصحى مستعملة دائما ولم تشب باللغة المتأخرة ، وذلك أنه بعد القرون التى سادها الاضطراب فى عهد تمزق الدولة كانت المواضيع الإنشائية والأدبية سائرة سيرها الطبيعى كالعادة آخذة فى النمو دون توقف ولم يكن ذلك قاصراً على اللغة العامية التى كانت ذات نضارة وقوة لا توجد فى النقوش الهيروغليفية التقليدية بل كذلك فى اللغة الرسمية .

حقاً إن هذه اللغة الرسمية كانت قد أصبحت مصطنعة إلى أقصى حد ، إذ كان ينقصها التجديد والسهولة عند معالجتها للمواضيع كما كنا نجد ذلك عند معالجة الكتاب للغة الدولة الحديثة والاقتباس منها فنجد أن التعابير قد زاد حصرها وتكرارها بل كذلك زاد الميل إلى نقلها حرفيا من المتون السابقة لعصرها . غير أن منشآت الكتاب على وجه عام كانت حكيمة ومناسبة فلم تكن مجرد نقل عبارات قديمة بل على العكس نلحظ فيها حسن الاختيار الذى كان يؤدى إلى غرض خاص .

ومن المفهوم أنه منذ زمن بعيد كانت المدنية الساوية أو عصر النهضة غير مقصود منه الرجوع إلى الدولة القديمة ومدنيتها غير أن هذا الفهم غالباً ما غطت عليه الميول البارزة الدالة على الرجوع للقديم فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، ثم أصبح ذلك الميل أكثر وضوحا وانتشاراً فى عهد الأسرة السادسة والعشرين

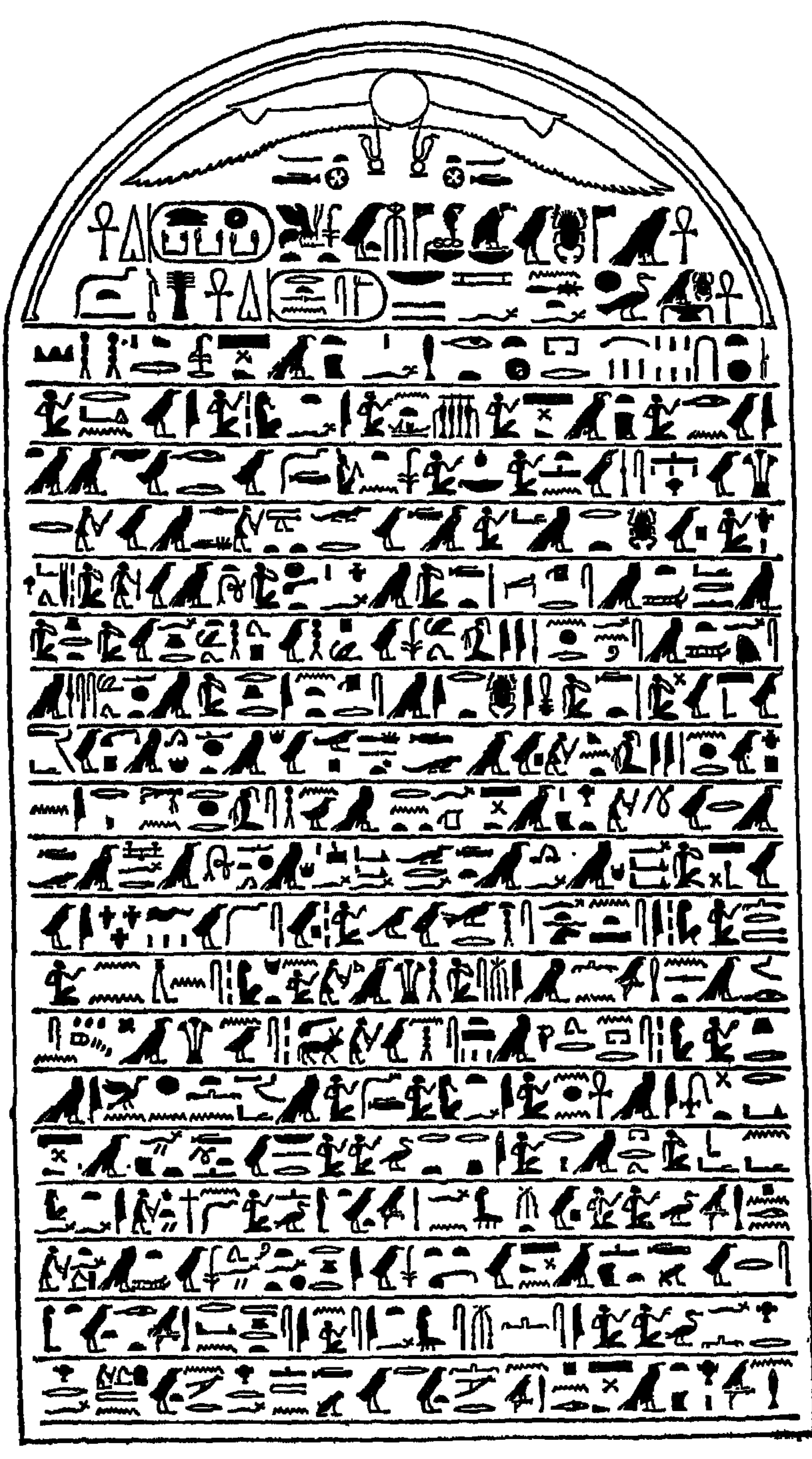
ولكن نريد أن نوضح هنا دون الدخول فى مناقشة المقتبسات القديمة فى العهد الساوى وهى ظاهرة يجب أن تفحص تماما وتعطى عناية أكثر مما أعطيت من قبل ، ففى تراجم حياة رجال هذا العصر تكاد تكون العلاقات والتأثيرات التى يقال إنها صبغت بها عن الدولة القديمة ، لا تذكر فى حين نجد أن اعتماد كتّاب العهد الساوى على أساليب مدنية عهدى الدولة الوسطى والحديثة كان عظيما ، وانه كان تياراً لم ينقطع معينه دون الرجوع إلى الزمن العتيق وتقليده تقليداً أعمى كما ظن البعض حتى زمن قريب جداً .

وسنتناول الكلام إن شاء الله عن فن النحت فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين وما بعدها فى الجزء التالى من تاريخ العهد الكوشى الذى يبتدئ بالملك « بيعنخى » .

فهرس الأشكال الإيضاحية والخرائط

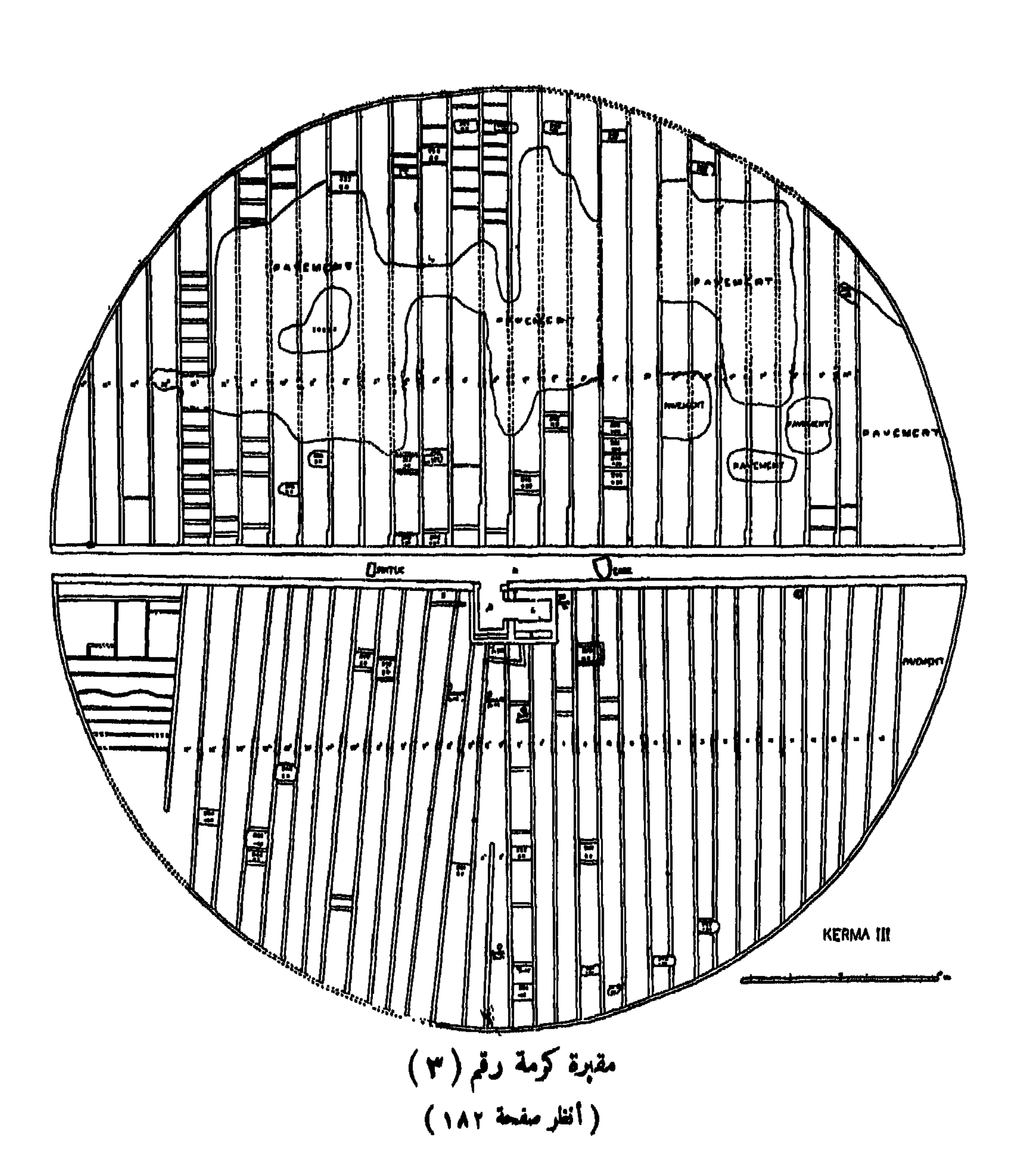
Aswan اسوان
1st Cataract الشلال الأول
الشلال El-shallal
Gazirt suheil جزيرة سهيل
Wadi Gamr وادى قمر
نجع رزق الله Naga rizkalla
Naga Maris نجع مريس
Morkos مرقص
بقع Boggà
Qertassi قرطاسى (الامبركاب)
Beit el-wali بيت الوالى
Kalabsha كلابشه
Morwau ميرواو
Dendur دندور
ماريا Mariya
Gerf Huseih جرف حسين
Kushtemna كوشتمنه
El dakka الدكة
كوبان Qûbân
Qurta قورته
العلاقى Alaki
El-maharga المحرقه
سياله Sayala
Madiq المضيق
Derr الدر
Tongala تنقاله
Tomas توماس

[صورة رقم ٢]



لوحة الحدود للملك « سنوسرت الثالث »

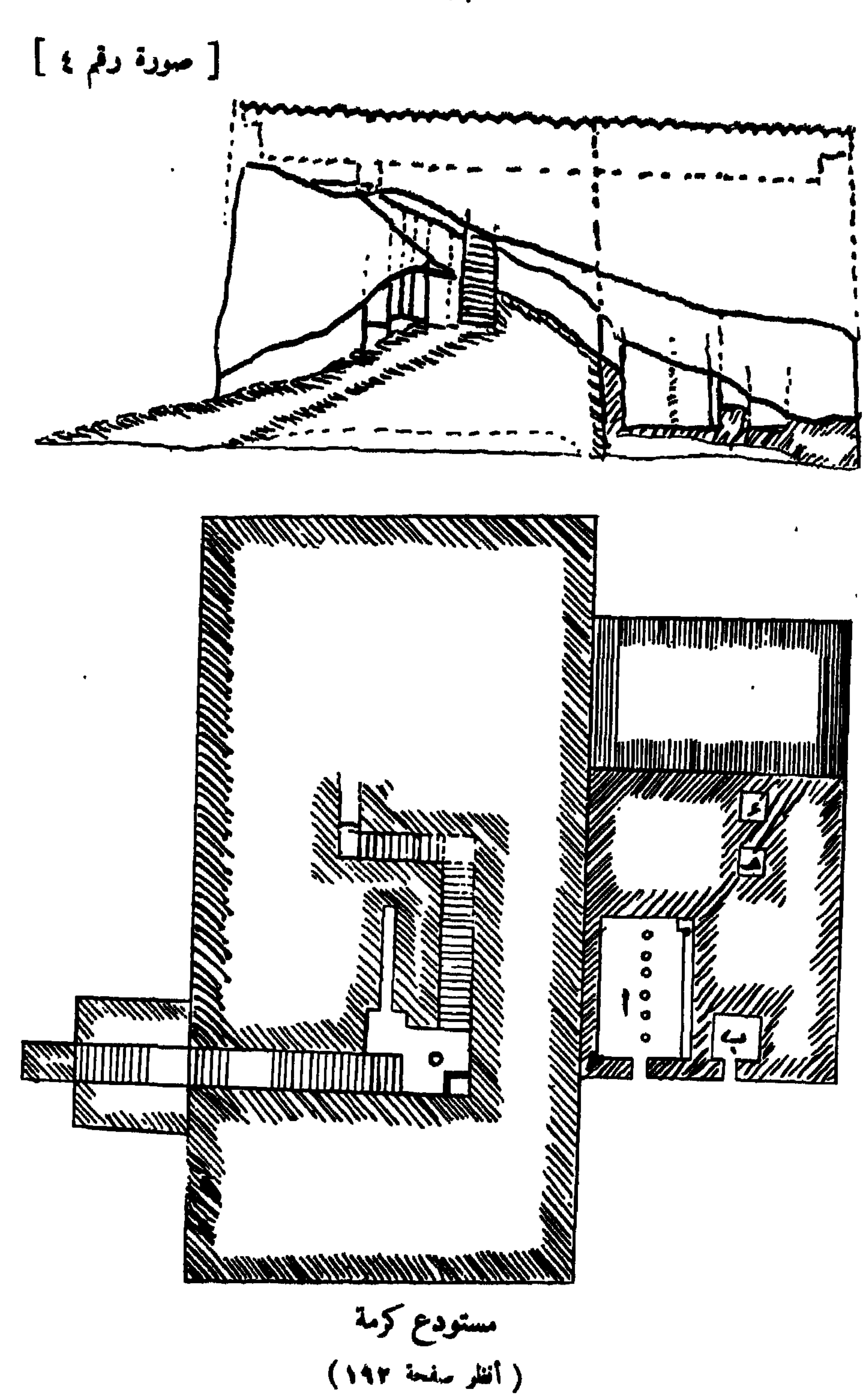
[صورة رقم ٣]



مقبرة كرمة رقم (٣)

(أنظر صفحة ١٨٢)

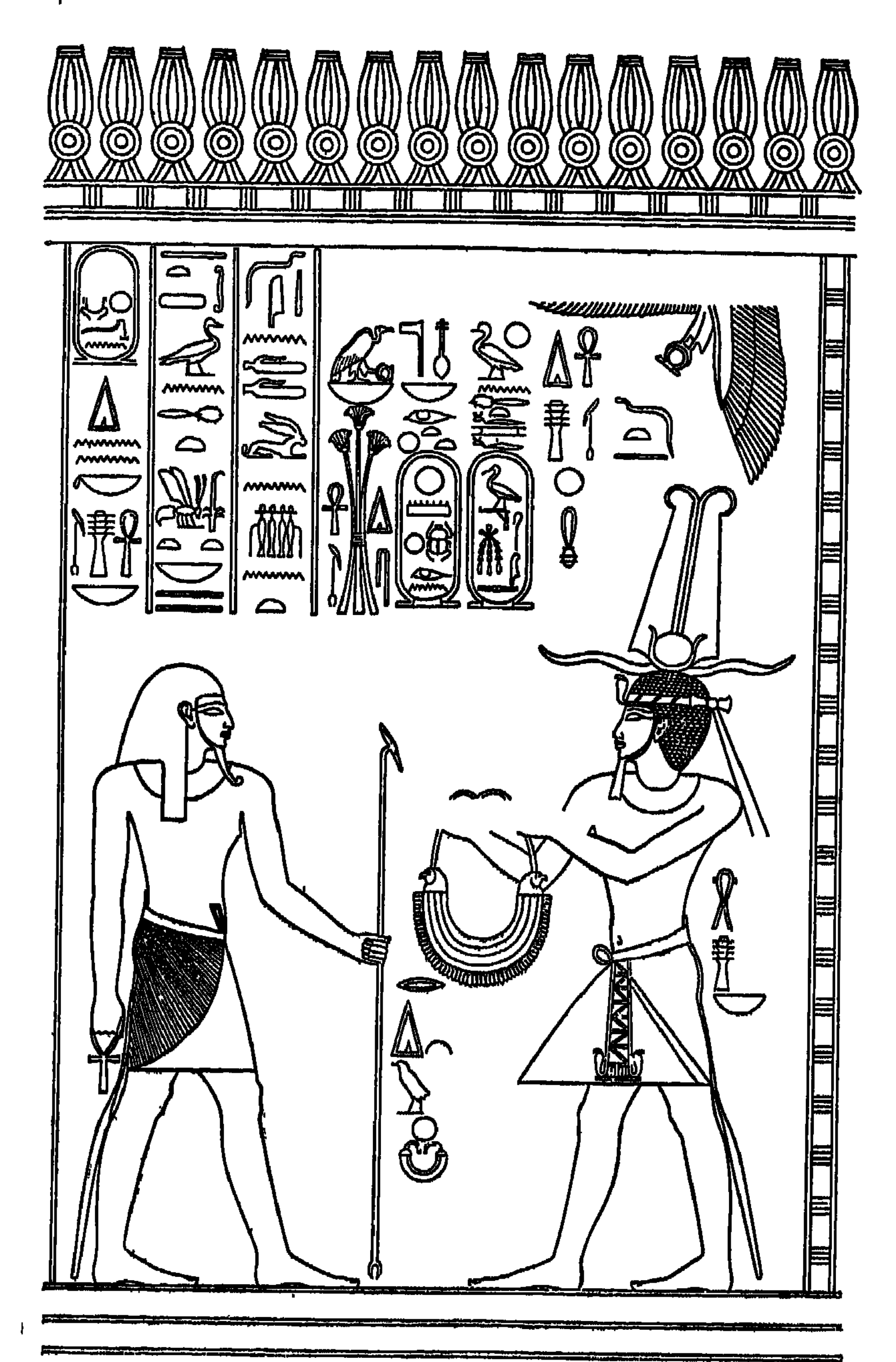
[صورة رقم ٤]



مستودع كرمة

(أنظر صفحة ١٩٢)

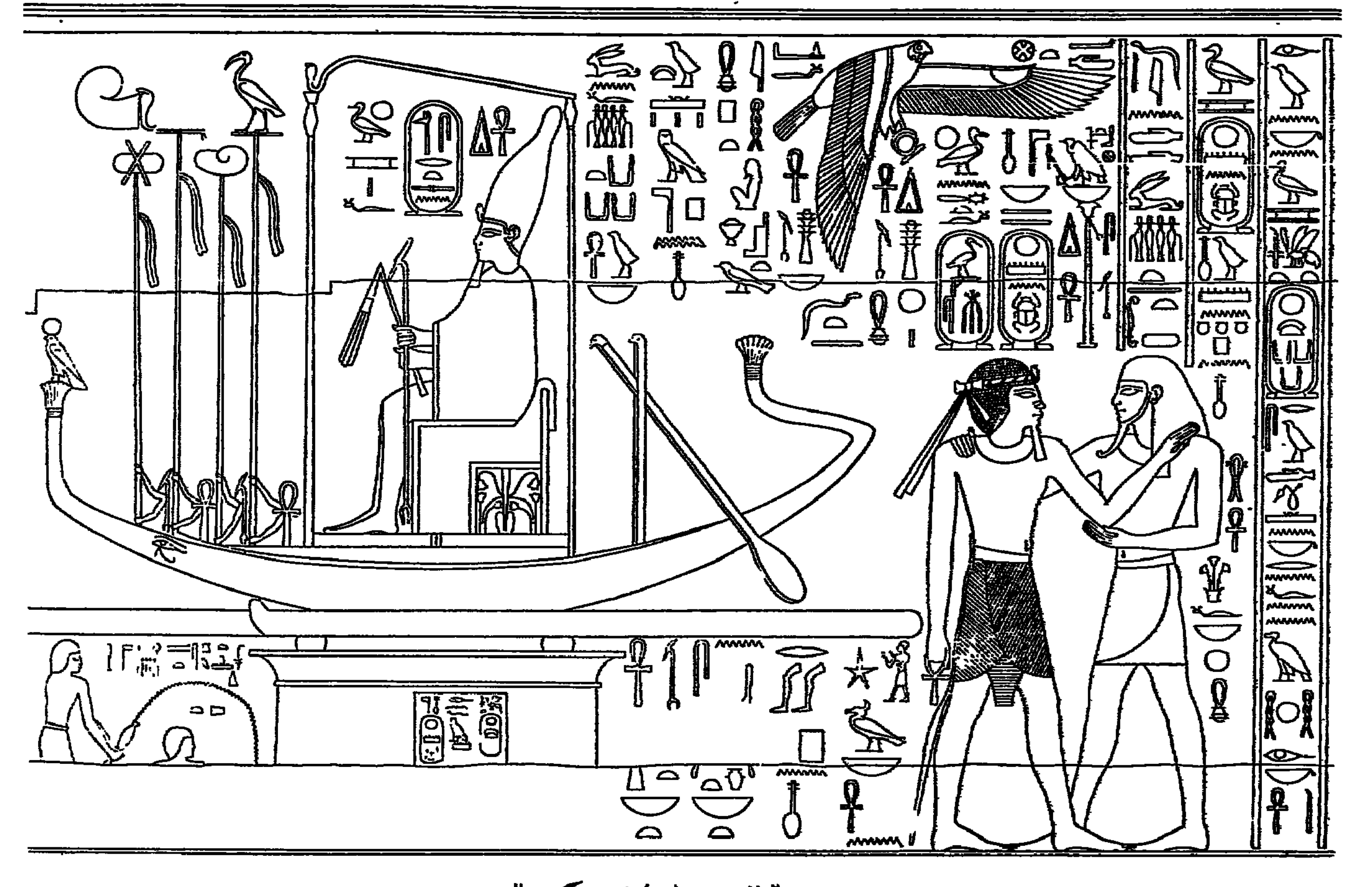
[صورة رقم ٥]



الإله ددون يقدم قلادة للملك تحتمس الثالث

(أنظر صفحة ٣٩٩)

[صورة رقم ٦]



سنوسرت الثالث مؤلهاً فى مركب الشمس

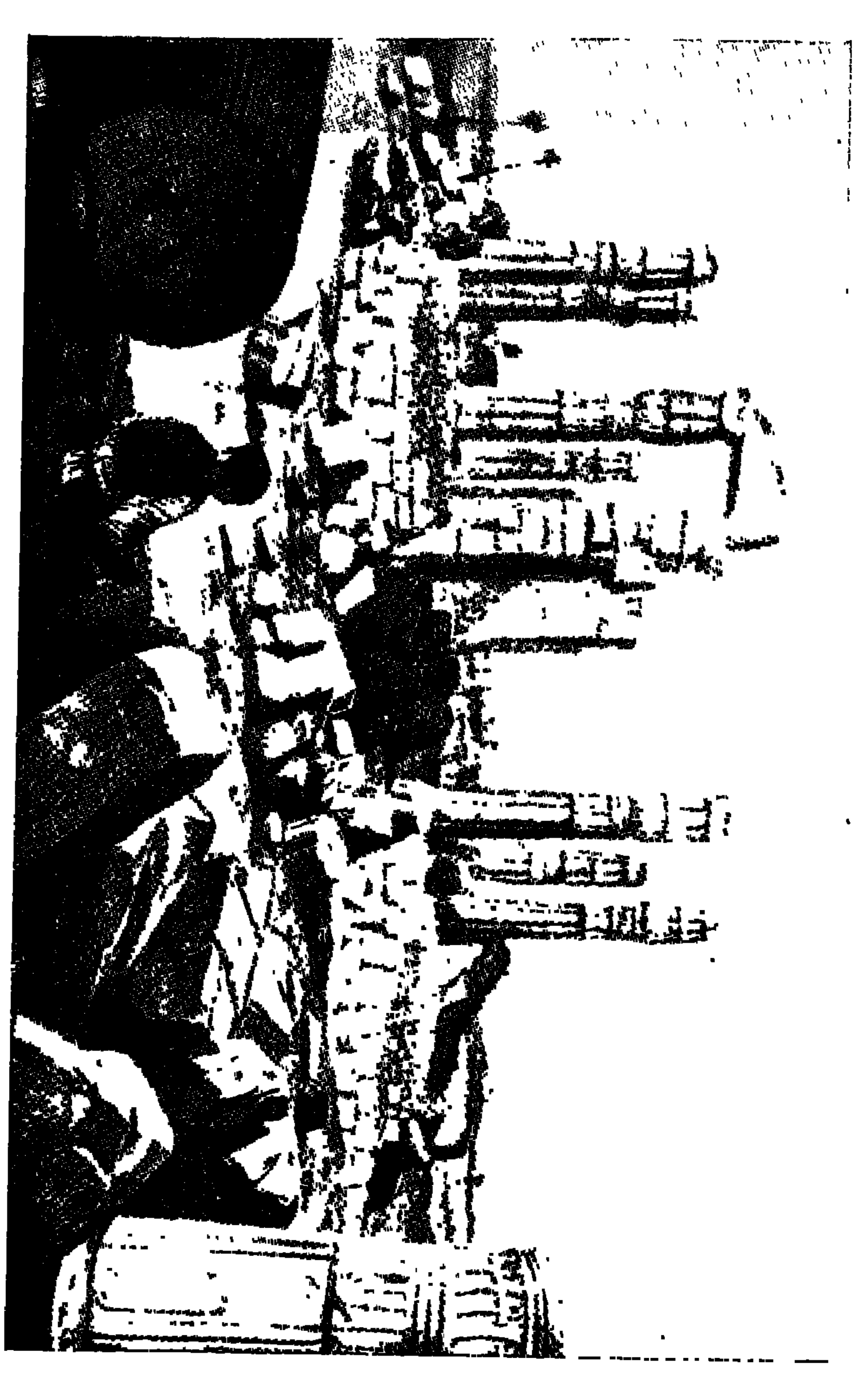
(أنظر صفحة ١٢٤)

[صورة رقم ٧]



تحتمس الثالث يتعبد للآله سنوسرت الثالث
(أنظر صفحة ١٤٣ و صفحة ٤٠١)

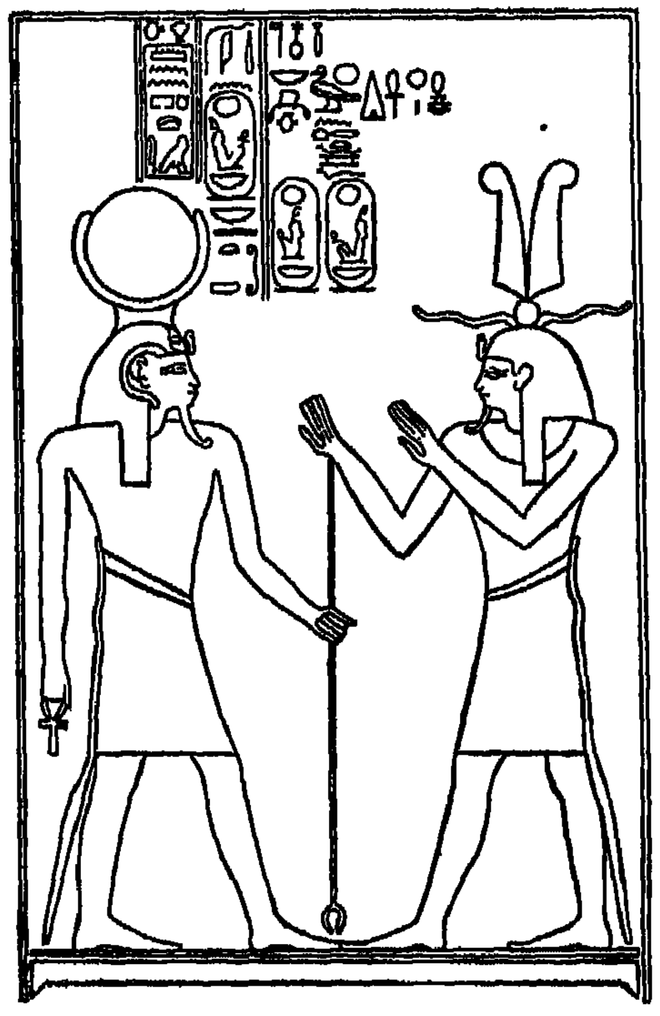
[صورة رقم ٨]



منظر معبد أمنحتب الثالث فى طيب

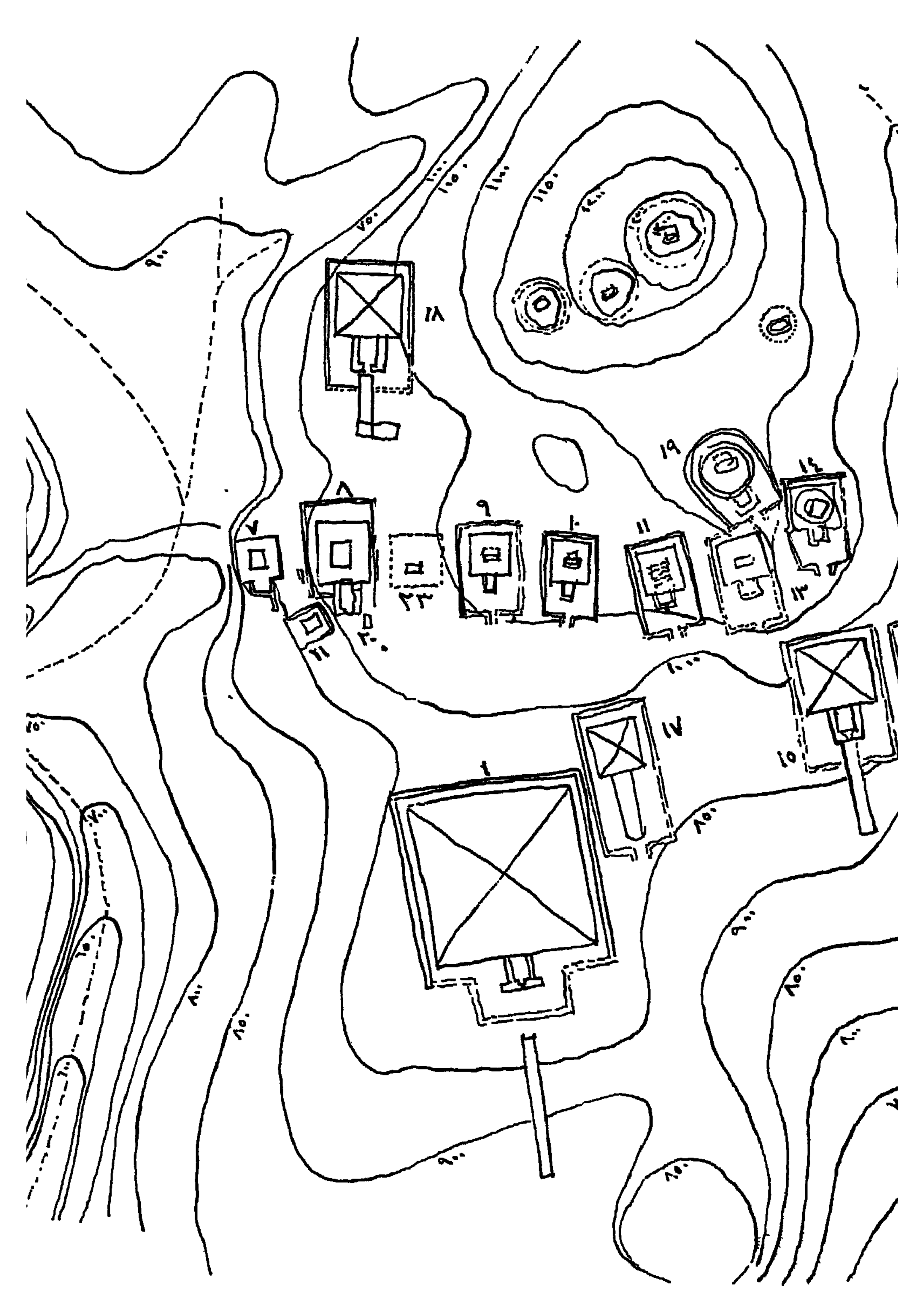
(انظر صفحة ٤٠١)

[صورة رقم ٩]



أمنحتب الثالث يتعبد لتمثاله فى صورة الإله خونسو فى معبد « صلب »

(أنظر صفحة ٤٠١)



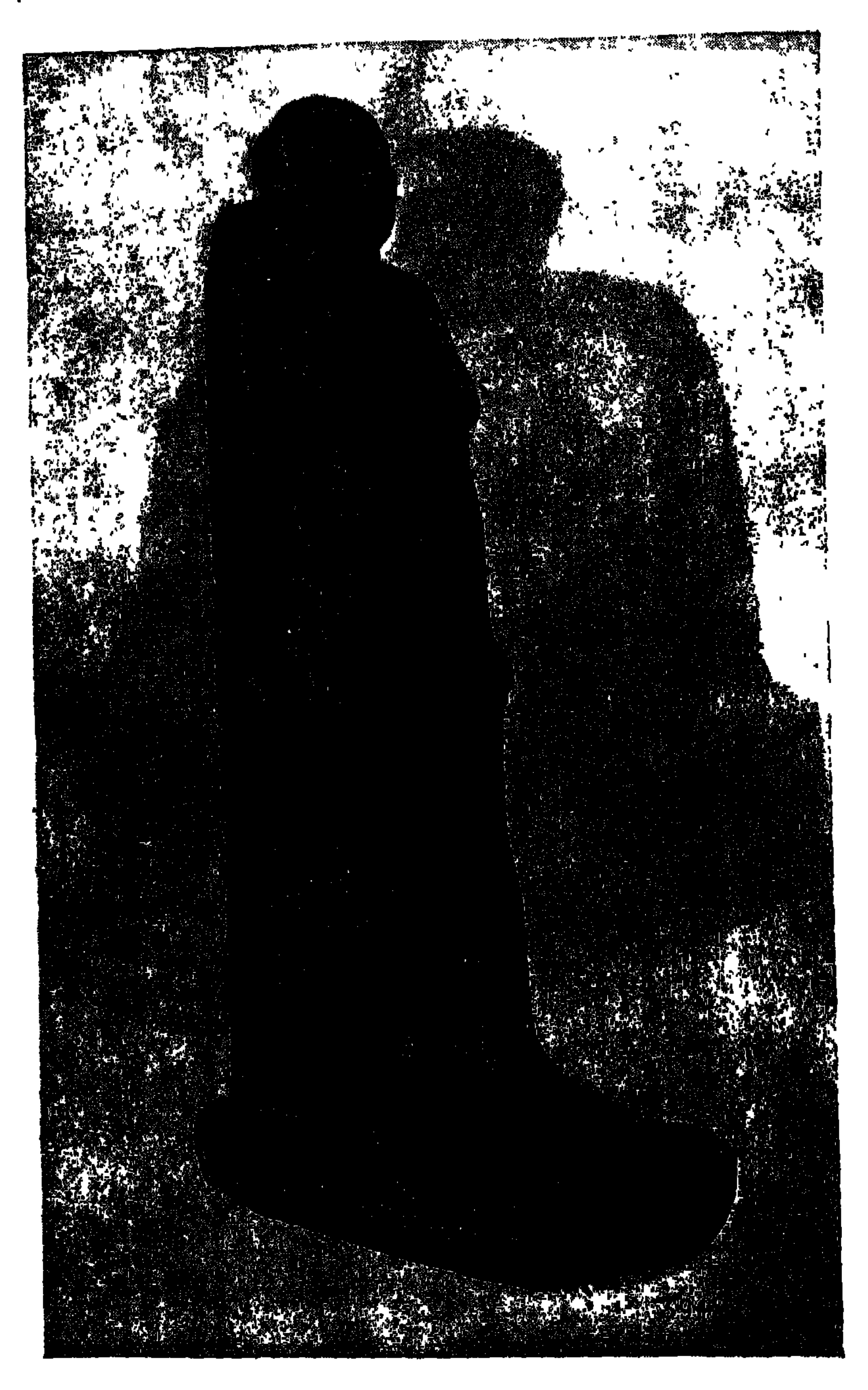
كروكى لمدافن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين فى جبانة الكورو

[صورة رقم ١١]



تمثال حاروا (رقم ١)

[صورة رقم ١٢]



تمثال اريجاديجان
(أنظر صفحة ٥٠٩)

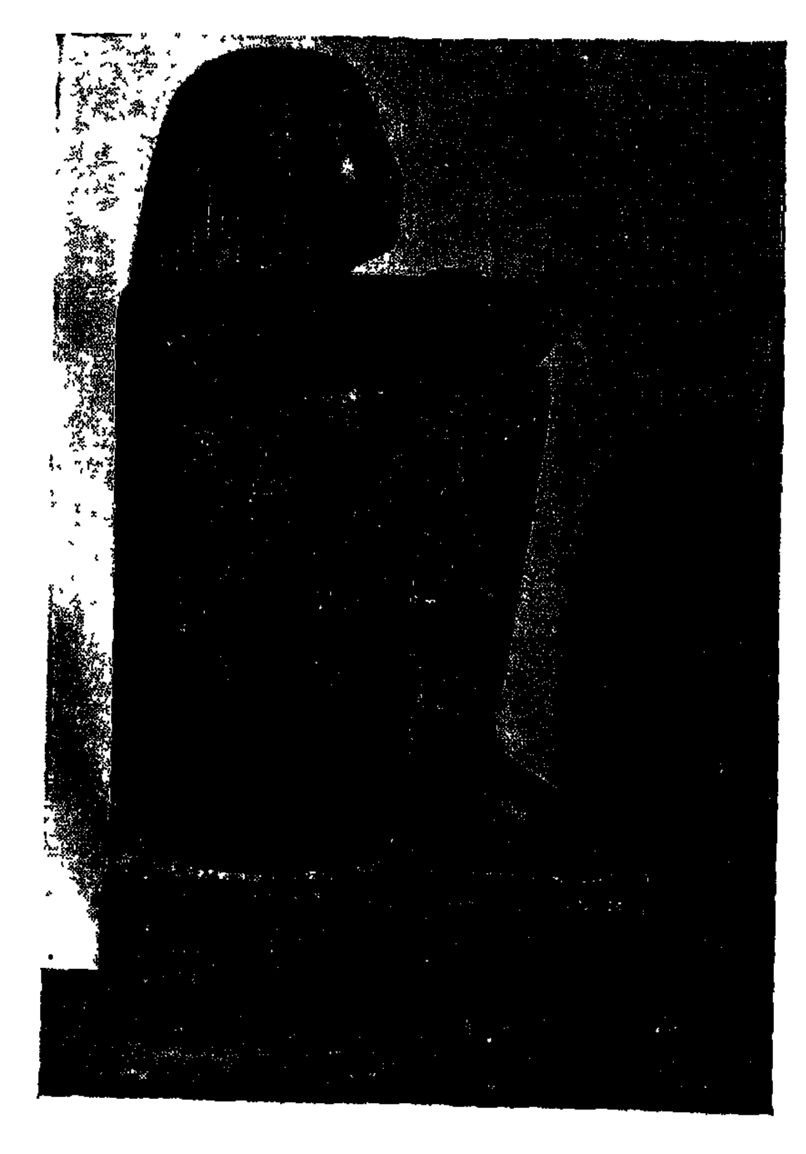
[صورة رقم ١٣]



التمثال الخامس لمدير البيت العظيم « حاروا »

(أنظر صفحة ٥١٤)

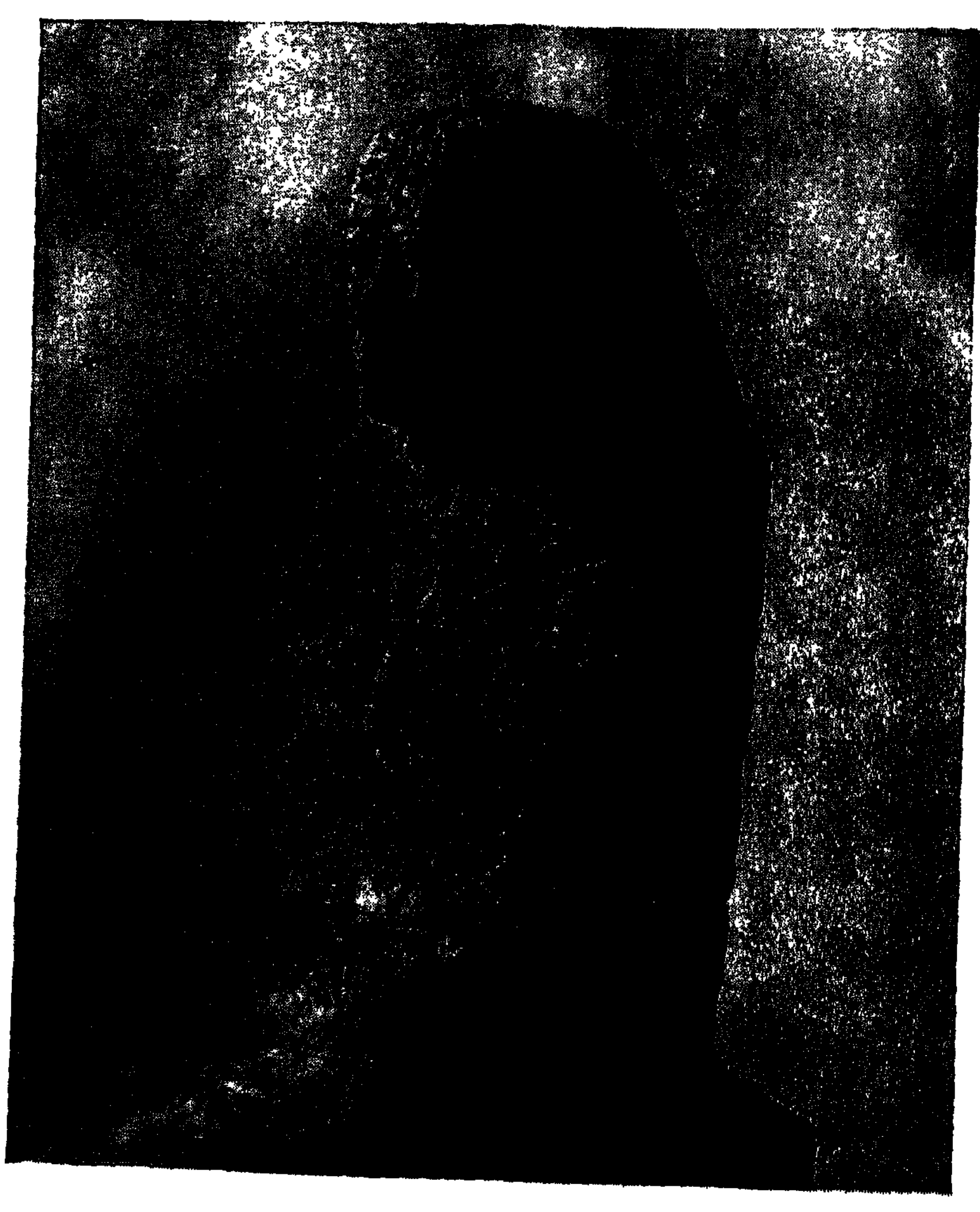
[صورة رقم ١٤]



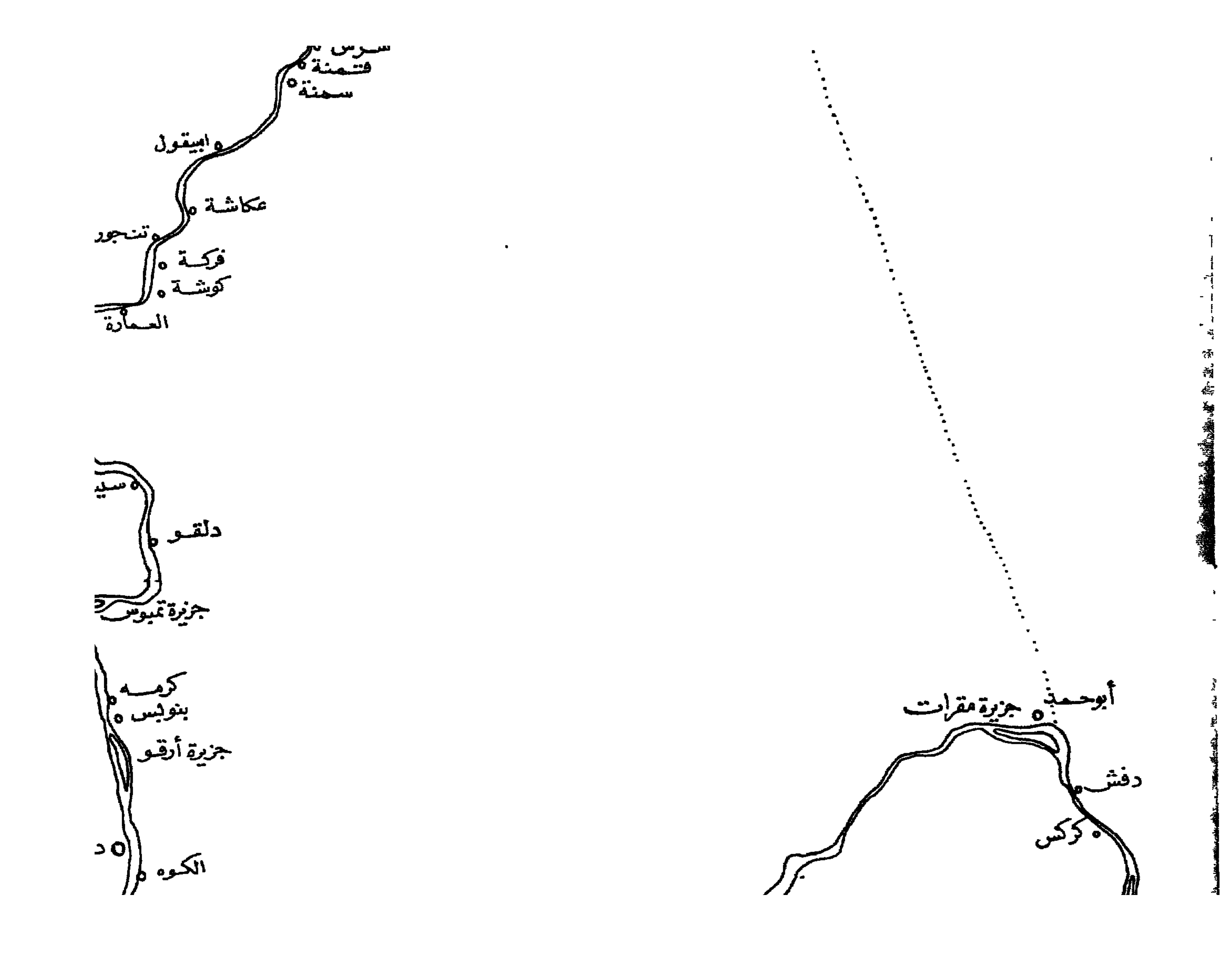
تمثال آخآمون رو (رقم ٣)

(أنظر صفحة ٥٢٧)

[صورة رقم ١٥]



تمثال باكنبتاح
(أنظر صفحة ٥٣٦)



فتمنة
سمنة
ابيقول
عكاشة
تنجور
فركة
كوشة
العمارة
دلقو
جزيرة تميوس
كرمه
بنوليس
جزيرة أرقو
الكوه
أبوحمد
جزيرة مقرات
دفش
كركس

فهرس الموضوعات

علاقة بلاد النوبة (كوش) بمصر منذ أقدم العصور

حتى نهـاية الفتح الكوشى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهـــرس

أسماء الأعلام والبلدان والآلهة

حرف (ا)

حرف (ب)

حرف (ت)

حرف (ث)

حرف (ج)

حرف (ح)

حرف (خ)

حرف (د)

حرف (ر)

حرف (ز)

حرف (س)

حرف (ش)

حرف (ص)

حرف (ط)

حرف (ع)

حرف (غ)

حرف (ف)

حرف (ق)

حرف (ك)

حرف (ل)

حرف (م)

حرف (ن)

حرف (ه)

حرف (و)

حرف (ى)

ملاحظة : حدث بعض الأخطاء فى كتابة الأسماء الأعلام وما جاء فى هذا الفهرس هو الصحيح .

المصادر الافرنجية

١ — مختصر أسماء الدوريات الافرنجية :

A.J.S.L. = The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Chicago and New York.

Ancient Egypt, London.

A.S. = Annales du Service des Antiquites de L'Egypte, Caire.

A.S.N. Bull. = Survey Department, Archæological Survey of Nubia, Cairo

A.Z. = Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig.

Bull. Boston M.F.A. = Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston.

Bull. Inst. Fr. = Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, Caire.

Chronique d'Egypte, Brüssel.

The Egyptian Expedition Metropolitan Museum = The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York.

J.E.A. = Journal of Egyptian Archæology, London.

Journal Asiatique.

Kemi, Revue de Philologie et d'Archeologie, Egyptienne et Coptes. Paris.

L.A.A.A. = Annals of Archæology and Anthropology issued by the Institute of Archeology, University of Liverpool, Liverpool.

Mélanges Maspero, *i.e.* Mem. Inst. Fr.

Mem. Inst Fr. = Mémoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, Caire.

Mem. Miss. Fr. = Mémoires publies par les Membres de la Mission Française du Caire,

(Ministre de l'Instruction Publique et des Beux Arts).

Mitt. D. Inst. = Mitteilungen des Deutschen Instituts für Ägyptischs Altertumskunde in Kairo, Berlin.

O.L.Z. = Orientalische Literaturzeitung Monatsschrift für die Wissenschaft von ganzen Orient, Leipzig.

P.S.B.A. = Proceedings of the Society of Biblical Archæology, London.

Rec. Trav. = Recueil des Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes, Paris.

Rev. de l'Egypte Anc. = Revue de l'Egypte Ancienne, Paris,

Revue d'Egyptologie, Paris.

Revue Egyptologique, Paris.

Sphinx, Revue Critique Embrassant le Domaine Entier de l'Egyptologie' Upsala.

Sudan Notes and Records, Khartoum.

Z.D.M.G. = Zeitschrift der Deutschen Morgenladischen Gesellschaft, Leipzig.

٢ — المراجع الافرنجية :

Albright, W. F., The Archæology of Palestine and the Bible.

— , The Excavation of Tell Beit Mirsim, 1 A: The Bronze Age Pottery of the Fourth Campaign, Yale University, 1933.

Anthes, R., Die Felseninschriften von Hatnub, Leipzig, 1928.

Avedief, V., The Origin and Development of Trade and Cultural Relations of Ancient Egypt with Neighbouring Countries (Papers presented by the Soviet Delegation at the 23rd International Congress of Orientalism, 1954),

Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914.

Baumgartel, Elise J., The Culture of Prehistoric Egypt, Oxford, 1927.

Blackman, A. M., The Temple of Derr, Cairo, 1913.

Blankenhorn, M., Aegypten, Heidelberg, 1921,

Borchardt, L., Altägyptische Festungen an der Zweiten Nilchnelle, Leipzig, 1923.

Boreux, C., Etudes de Nautique Egyptienne. L'art de la Navigation en Egypte jusqu'a la fin de l'Ancien Empire, (Memo. Inst. Fr. 50).

Breasted, J. H., Ancient Records of Egypt. Historical Documents from the Earliest Times to the Persian Conquest, I-IV, Chicago, 1906; V, Chicago, 1909.

British Museum, A Guide to the Egyptian Galleries, Sculptures, etc., 1909.

— , Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae, I-VII vols., 1911.

Brugsch, H. K., Thesaurus Inscriptionum Aegyptiacarum. Altaegyptische Inschriften gesammelt verglichen, ubertragen, erklart und Autographiert von H. Brugsch Abteilung I-VI, Leipzig, 1883 ff.

Brunner-Traut, E., Der Tanz im Alten Ägyten, 1938.

Brunton, G., Mostagedda and the Tasian Cultures (British Museum Exploration to Middle Egypt 1st. and 2nd years 1928, 1929), London, 1931.,

— , Qau and Badari III, London 1930.

Brunton C., and Caton-Thompson, G., The Badarian Civilisation and Predynastic Remains near Badari, 1928.

Budge, E. A. W., The Egyptian Sudan, Its History and Monuments in 2 vols., London 1907.

Burckhardt. J. L., Travels in Nubia, London, 1819.

Carnarvon, G.E.S.M.A. and Carter, H., Five Explorations at Thebes, **A Record** of Work done 1907-1911, London, 1912.

Carter, H., and Mace, A.E., The Tomb of Tut Ankh Amun discovered by the late Earl of Carnarvon and Howard Carter 4, London, 1930.

Carter, H. and Newberry, P.E., The Tomb of Thutmosis IV, Westminster, 1904.

Davies, N. De G., The Rock Tombs of Sheikh Said, London, 1901.

— , The Tomb of Huy, Viceroy of Nubia in the Reign of Tut Ankh Amun, London, 1926.

— , Tomb of Ken-Amun at Thebes, 2 vols., New York, 1930.

— , Tomb of Neferhoteb at Thebes, 2 vols. New York, 1933.

— , The Tombs of two Officials of Thutmosis the fourth, London, 1923.

— , The Rock Tombs of El Amarna, I—VI, London, 1903-1908

Davis Th. M. and Maspero, G. u. a., The Tomb of Siptah, the Monkey Tomb and the Gold Tomb, London, 1908.

Drioton, E., and Vandier, G., L'Egypte, Paris, 1938.

Dunbar, G. H. Sarra, The Rock Pictures of Lower Nubia.

Dunham, Dows,The Royal Cemeteries of Kush, El Kurru, Cambridge, 1950.

Emery, W. B., andKirwan, L.R., The Excavations and Survey between Wadi Es Sebua and Adindan, 1929-1931, Cairo, 1935.

Engberg, S. M. The Hyksos reconsidered, Chicago, 1939.

Erichsen, W., Papyrus Harris I, Brüssel, 1933.

Ermann, A., Aegypten und Aegyptischen Leben im Altertum Neu bearb. von H. Ranke., Tubingen, 1923.

Evans A., The Palace of Minos at Knossos, I–II Vols., London, 1921 ff.

Firth, C. M., The Archæological Survey of Nubia Report for 1908–1915, Cairo, 1915. Report for 1909–1910, Cairo, 1915. Report for 1910–1911, Cairo, 1927.

Firth, C. M. and Quibell, J. E., The Step Pyramid, Cairo, 1936.

Fritzler, K., Steinbrüche und Bergwerke im Ptolemäischen und Römischen Ägypten. Ein Beitrag zur Antiken Wirtschaftsgeschichte Diss., Leipzig, 1910.

Gardiner, A. H., Egyptian Grammar, Oxford, 1927.

— , Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947.

— , The Inscription of Mess, Leipzig, 1905.

— , Late Egyptian Miscellanies, Cairo, 1914.

— , The Admonitions of an Egyptian Sage from a Hieratic, Papyrus in Lieden, Leipzig, 1909.

Garstang, G., Moroe, The City of the Ethiopean, Oxford, 1911.

— , La Livres des Rois d'Egypte, I–III Vols.

— , Precis de L'Histoire de l'Egypte, Caire, 1932.

— , La Temple d'Amada, Caire, 1926–1926.

— , La Temple de Kalabchah, Caire, 1911–1927.

— , Dictionnaire des Nom Geographiques conteuus dans les Textes Hieroglyphiques. Caire, 1925.

Griffith F. Ll., The Oxford Excavations in Nubia.

Helck, H. W., Der Einfluss der Militarfuhrer in der 18 Agyptischen Dynastie, Leipzig, 1939.

Hieratische Papyrus aus den Koniglichen Museen zu Berlin, Leipzig, 1911.

Hölscher, W., Libyer und Ägypter, Gluckstadt-Hambirg, Ney York, 1937.

Jaquier, G., Le Monument Funéraire de Pepi II, Caire 1939.

Junker, H., Der Nubische Ursprung der Sogenannten Tell el Jahudiye Vasen, Wien 1921.

— , Das Erste Auftreten der Neger in der Geschichte, Wien, 1925.

Junker, H., Bericht über von der Akademie der Wissenschaften in Wien auf gemeisame Kosten mit Dr. Wilhelm Pelizaeus Unternomonenen, Grabungen auf dem Friedgof des Alten Reiches bei den Pyramiden von Giza, Wien, Leipzig, 1934.

— , Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wein auf den Friedhofen von Ermenne (Nubien) im Winter 1911-1912, Wien, 1925.

— , Ditto Ditto von Kubanieh Nord im Winter 1910,-1911, Wien 1919.

— , Ditto Ditto Ditto von El Kubanieh Süd im Winter 1910-1911, Wien, 1919.

— , Ditto Ditto von Toschke (Nubien) im Winter 1911-1912, Wien, Leipzig, 1926.

— , Giza, Vorbericht, 1913, Wien, 1927.

— , The first Appearance of the Negroes in History.

— , **and Delaporte, L.,** Die Völker des Antiken Orients. Die Agypter, von H. Junker, Freiburg, 1933.

Kees, H., Totenglauben und Jenseitsvorstellungen der Alten Ägypter, Grundlagen und Entiwicklung bis zum Ende des Mittleren Reiches, Leipzig, 1926.

— , Beiträge zur Altägyptischen Provinzialverwaltung und der Geschichte des Feudalismus, 1932.

— , Heribor un die Aufrichtung des Thebanischen Gottesstaates Gottingen, 1936.

— , Kultlegende und Urgeschichte Grundsätzliche Bemerkungen zum Horusmythus von Edfu, 1930.

— , Beiträge zur Geschichte des Vezirats im Alten Reich. Die Chronologie der Vezire unter König Phiops II, Gottingen, 1940.

Knight, F., Nile and Jordan, 1921.

Kortenbeutel, H., Der Ägyptische Süd-und Osthandel in der Politik der Ptolemäer und Romischen Kaiser, Berlin, 1931.

Lange, H. O. and Schäfer, H., Grab-und Denksteine des Mittleren Reichs., Berlin 1902-1925.

Lepsius, C. R., Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien, Berlin, 1894.

Lieblein, Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabitique, Christiania, 1871.

Loat, L., Gurob, London, 1905.

Lucas, A., Ancient Egyptian Materials and Industries 2nd rev. Ed. London. 1934.

Macadam, M. F. Laming, The Temple of Kaw, I-II Vols., London, 1949.

Maciver, D. R. and Woolley, C. L., Buhen, 2 Vols., Philadelphia, 1911.

— , Areika, Oxford, 1909.

Macmichael, H. A., A History of the Arabs in the Sudan, 2 Vols., Cambridge, 1922.

Mariette, Catalogue General des Monuments d'Abydos Decoverts pendant les Fouilles de cette Ville, I-II, Paris, 1880.

— , Monuments Divers Recueilles en Egypte et en Nubie. Paris, 1889.

Maspero, Melanges d'Archeologie Egyptien.

Meyer, Ed., Geschichte des Altertums. Stuttgart, Berlin, 1921.

Möller, G., Hieratische Lesestucke für den Akademischen Gebrauch, I-III, Leipzig, 1910.

Montet, Byblos et L'Egypte.

— Les Reliques de L'Art Syrien.

Moret, A., L'Egypte Pharaonique, Paris, 1932.

De Morgan, J., Catalogue de Monuments et Inscriptions de L'Egypte Antique, 1er sér. Haute Egypte, Wien, 1894.

Muller, M. W., Die Felsengräben du Fürsten von Elphantine, 1940.

— Die Liebespoesie der Alten Ägypter, Leipzig 1899.

Murray, M. H., Saqqara Mastabas, London, 1905.

Naville, E., The XIth Dynasty Temple at Dier El-Bahari, I-III Vols. London, 1907, 1910, 1913.

— Bubastis (1887-1889), London, 1891.

Newberry, P.E., The Set Rebellion of the IInd Dynasty, 1922.

— Egyptian Antiquities, Scarabs, London, 1906

Otto, H., Studien zur Keramik der Mittleren Bronzezeit in Palastine, 1938

Peet, T. E., and Loat, W. S. L., The Cemeteries of Abydos, I-III Vols.

Pendlebury, J. D. S. Aegyptiaca, a Catalogue of Egyptian Objects in the Aegean Area, Cambridge, 1930.

Petrie, W. M. Fl., Prehistoric Egypt, London 1920.

Petrie, W.M. Fl., Six Temples at Thebes, 1896, London, 1897.

— Diospolis Parva, the Cemeteries of Abadiyeh and Hu, 1898-99 London, 1901.

— Gizeh and Rifeh, London, 1907.

— A Season in Egypt, 1887, London, 1888.

— A History of Egypt, London, 1894.

— Royal Tombs of the 1st Dynasty, London, 1900.

— Royal Tombs of the Earliest Dynasties, London, 1901.

— Qurnah, London, 1909.

Petri. W. M. Fe., and Duncan, J. G., Hyksos and Israelite Cities, London, 1906.

Piehl, K., Inscriptions Hieroglyphique recueillies en Europe et en Egypte, Stockholm, 1884.

Pirenne, J., Histoire des Institutions et du Droit privé de l'Ancienne Egypte, Brussel, 1932-1935.

Plyte, W., and Rossi, F., Papyrus de Turin, Leiden, 1869-76.

Porter and Moss. Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs, and Paintings, I-V Vols., Oxford, 1921-1937.

Posner G., Princes et Pays d'Asie et de Nubie, Brussel, 1940.

Quibell, J. E. and Green, F. W., Hierakonpolis, London, 1902.

Reisner, G. A, Excavations at Kerma, I-III, IV-V, U.S.A., 1923.

— The Archæological Survey of Nubia, Report for 1927, 1908, Cairo, 1910.

Roeder, G., Der Felsentempel von Bet El-Wali, Cairo, 1938.

— Debod bis Bab-Kalabsche, I-II, Caire, 1911.

— Der Tempel von Dakke, I-III Cairo, 1930.

Rowe, A., Catalogue of Egyptian Scarabs in the Palestine Arch. Museum.

Save-Soderbergh, Torgny, Egypten und Nubien, 1941.

Schafer, H., Urkenden der Alten Athiopenkonige, Leipzig, 1905.

— Kriegerauswanderungen unter Psammatik und Sölderaufstand unter Apries. Leipzig, 1904.

Sjoqvist, E., Problems of the late Cypriote Bronze Age, Stockholm, 1940.

Seligman C. G., Egypt and Negro Africa, London, 1934.

Sethe, K., Die Thronwirren unter den Nachtfolgun Konigs Thutmosis I, ihr Verlauft und ihre Bedeutung., Leipzig, 1896.

— Die Achtung Feindlicher Fursten Volker und Dinge auf Altägyptischen Tongefassscherben des Mittleren Reiches, Berlin, 1926.

— Die Altägyptischen Pyramidentexte, nach den Papierabdrüchen und Photographique des Berliner Museums, Leipzig, 1908 ff.

— Die Bau-und Denkmalsteine per alten Ägypter und ihre Namen 1933.

— Urgeschichte und alteste Religion der Ägypten, Leipzig, 1930.

— Aegyptische Lesestücke zum Gebrauch im Akademischen Unterricht Texte des Mittleren Reiches, Leipzig, 1929.

— Urkunden des alten Reichs, Leipzig, 1932 ff.

Steindorff, G., Aniba. Vorlaufiger Bericht uber die Ergebnisse der in den Jahren 1912-1914 und 1930-1931 I-II Vols. 1935, 1937.

Stock, Studien zur Geschichte und Archeologie der 13 bis 17 Dynastie Agypten, 1942.

Wainwright, G. A., Balabish, London, 1920.

Weigall, A. E. P., A Report on the Antiquities of Lower Nubia, Oxford, 1907.

Weill, R., Les Décrets Royaux de l'Ancien Empire Egyptien, Paris, 1912.

— La Fin du Moyen Empire Egyptiene., Paris, 1918.

Wiedmann, A., Aegyptische Geschichte, Goth. 1884.

— and **Portner**, Aegyptische Grabsteine. und Denksteine aus Verscheidenen Sammlungen.

Wilkinson, J. G., Manners and Customs of the Ancient Egyptians, 3 Vols. London 1837.

Williams, C. R., Gold and Silver Jewelry and Related Objects, New York, 1923.

Winlock H. E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947.

Wolf, W., Die Kultische Rolle des Zwerges in Alten Ägypten (Anthropos 33).

Wreszinski, W., Atlas zur Altaegytischen Kulturgeschichte, 2 Bande, Leipzig, 1914.

كتب للمؤلف

بالعربيـــة :

(١) مصر القديمة : الجزء الأول فى عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الاهناسى .

(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الاهناسى .

(٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية ولوبيا .

(٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الأمبراطورية .

(٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها وأول عقيدة للتوحيد بالله .

(٦) مصر القديمة : الجزء السادس فى عصر رعمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية .

(٧) مصر القديمة : الجزء السابع فى عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث .

(٨) مصر القديمة : الجزء الثامن فى نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة الحديثة فى طيبة (الأسرة الواحدة والعشرين) .

(٩) مصر القديمة : الجزء التاسع فى نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبى ولمحة فى تاريخ العبرانيين .

(١٠) مصر القديمة : الجزء العاشر فى تاريخ بلاد النوبة إلى أول عصر « بيعنخى » .

(١١) جغرافية مصر القديمة (محلاة باحدى وأربعين خريطة) .

(١٢) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .

(١٣) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

(١٤) تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيـــل الوقت الحـاضر بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .
(١٥) تاريخ أوروبا الحديثة وحضارتها : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .
(١٦) صفوة تاريخ مصر والدول العربية : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى والشيخ أحمد الاسكندرى .
(١٧) تاريخ دولة المماليك فى مصر : (تعريب) بالاشتراك مع محمود عابدين .
(١٨) ديانة قدماء المصريين : (تعريب) .
(١٩) صفحة من تاريخ محمد على : (تعريب) بالاشتراك مع طه السباعى .

بالفرنسية :

(1) "Hymnes Religieux du Moyen Empire": 199 pages (1923, Cairo).
(2) "Le Pœme dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh". 162 platcs. Université Egyptienne, Faculté des Lettres. (1929, Caire).
(3) Le Sphinx à la lumiére des fouilles récentes.

بالإنجليزية :

(1) "Excavations at Giza", Vol. I, (1929-1930); 119 pages, 81 Plates, 187 Illustrations in the text, Plan (Oxford, 1932).
(2) "Excavations at Giza", Vol. II, (1930-1931); 225 pages, 83 Plates 251 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo. 1936).
(3) "Excavations at Giza", Vol. III, (1931-1932); 229 pages, 71 Plates. 227 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo, 1941).
(4) "Excavations at Giza", Vol. IV, (1932-1933); 218 pages, 62 plates, 159 illnstrations in the text, 3 plans (Fourth Pyramid) (Cairo 1943).
(5) "Excavations at Giza", Vol. V, (1933-1934); 325 pages. 79 plates (3 coloured), 169 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo, 1944).
(6) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part I, "The Solar Boats: (1934-1935) (Cairo, 1947).
(7) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part II. The "Offering-list in the Olp Kingdom", 504 pages, 174 Plates, and numerous Illustrations in the text (Cairo, 1948).
(8) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part III, a Description of the Mastabas and their Contents (1934-1935).
(9) "Excavations at Giza", Vol. VII, (1935-1936).
(10) "Excavations at Giza", Vol. VIII, "The Great Sphinx and its Secrets" (1936-1937), (Cairo, 1954).
(11) The Sphinx, Its history in the light of Recent Excavations.

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة جامعة
القاهرة فى غرة رمضان سنة ١٣٧٤
الموافق ٢٣ أبريل سنة ١٩٥٥م

محمد زكى خليل

مدير مطبعة جامعة القاهرة

(مطبعة جامعة القاهرة ٢٤٣ / ١٩٥٤ / ١٥٠٠)